

د* رفعت السعيد

تاريخ الحركة الشيوعية المصرية

المجلد الثالث

١٩٤٠ - ١٩٥٠

يضم هذا المجلد كتابين :

- تاريخ المنظمات اليسارية المصرية

الطبعة الثانية

- اليسار المصرى والقضية الفلسطينية

الطبعة الثانية

مقدمة المجلد الثالث :

وتتواصل المحاولة ٠٠

فكما كان الامر منذ أكثر من عشرين عاما ، عندما فرضت هذه الدراسة نفسها ، وفرضت تكاملها ، بحيث أثبتت أنه يصعب اكتسابها قيمة حقيقية دون أن نبحث عن كل ما هو ممكن لتكاملها زمانا وموضوعا ٠٠

كما كان الأمر في المحاولة الأولى ٠٠ يكون الآن ٠

فحيث بدأت في إعادة النظر فيما كتبت من أجزاء هذه الدراسة ، مضيفا إليها كل ما تجمع من إضافات ، ومصححا ما ورد من أخطاء ، واضعا في الاعتبار كل نقد موضوعي ، وكل اسهام يمكنه أن يصبح اضافة حقيقية ، حيث بدأت ٠٠ وجدت نفسي مضطرا أن أواصل عبر كل أجزاء الدراسة ٠

ولعله من حقى أن أقدر أن اصدار المجلدين الاول والثاني كان أسهل بكثير ٠

فالمجلد الأول (١٩٠٠ - ١٩٤٠) والثاني (الصحافة العلنية) ٠٠ امثلنا اضافات عديدة وهامة لكن إعادة صياغتهما لم تنتوقف أهمها صخور الانتقاد الجاد ، في بعضه ، وغير الجاد في بعضه الآخر ، الموضوعي أو الشخصي ، العلمي أو الخالي من الفمقة ٠٠ كذلك التي توقفت أمام مسيرة إعادة صياغة هذا المجلد ٠

فهنا نتحدث عن فترة صعبة وخرجة وتمس جراحا شخصية ، ومفاهيم وتوجهات ذاتية ، وهنا تقحم السياسة نفسها فالبعض يعلو صوته الآن متصورا ان بإمكانه اضافة بعض « الرنوش » الى صورة أحداث وقعت في الماضي ٠ والبعض يحاول أن يقنعك أو أن يفرض عليك أن تقتنع انه كان في هذه المرحلة - موضوع الدراسة - محور كل حدث وكل حديث ، بينما تحليلك الاكاديمي ينفي ذلك ٠٠

والبعض ، من الخصوم السياسيين اليسار - اتخذ من هذه الدراسات ومن انتقادها بل والتشهير بها مادة للدعاية المضادة لليسار ، بل مادة للدعاية

المضادة لشخصي معلنا اننى استهدف مجرد تمجيد من لا يستحقون ، واضفاء صفات البطولة على من لا يمتثلون منها أقل قدر ٠٠ بل ويصل الهجوم الى حد غير لائق لا علميا ولا سياسيا(*) .

٠٠ والبعض من مدعى اليسار وخاصة تلك العناصر المستحدثة والفردية وبعض الهوامش التروتسكية شنت على هذه الدراسة جام غضبها بادعاء أنها استهدفت تحليل الحرام ، وتحريم الحلال أى اثبات صحة ما كان خاطئا ٠٠ والعكس ٠٠ وهم بهذا الهجوم يحاولون اثبات ((فرضيات حاضرة)) هى ضعيفة ومبتذلة أحيانا ، بمحاولة تبييض صفحات من الماضى كانت سوداء برغم كل ادعاء حالى ٠٠ أو الحاج غير مجد**

٠٠ غير ان ذلك كله لا يعنى اننى أنرفع بما كتبت وبما أكتب عن النقد أو التصحيح أو الاضافة أو الحذف ٠٠ فلقد تقبلت بامتنان بالغ تصديحات وانتقادات من العديد من ((شهود)) و ((صناع)) هذه الرحلة ٠٠ ولأنهم كانوا مناضلين فعلا ٠٠ وليسوا مجرد ((هواة ثرثرة)) ، ولأنهم كانوا جادين فى نقدهم وانتقاداتهم فقد أنت ملاحظاتهم موضوعية ٠٠ واحتلت مكانها فى هذا المجلد ٠٠

٠٠ وبغض النظر عن كل شيء فان ما كتبت وما أكتب عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية لم يزل وسيظل مطروحا لكل نقد موضوعى واضافة جادة ٠٠ فان كان ما كتبت هو جهدى ، فان ما كتبت عنه هو تاريخ جيل كامل من المناضلين ، يسمو فوق كل ذات ، وفوق كل رؤية شخصية ، ويفرض علينا جميعا أن نسعى لاستكماله ٠٠ كى يكون ولو بأقل قدر لائقا بفارسان الماضى ٠٠ وقادرا على الهمام رجال الحاضر ٠٠ والمستقبل ٠

*) مثل مقالات عادل حسين فى جريدة الشعب ، التى أكد فيها بجرأة نادرة ان كل ما كتب انما كان يستهدف تمجيد دور « الشيوعى والصهيونى (فى آن واحد !) هنرى كورييل » - ومثل محاولات طارق البشرى فى الطبعة الجديدة من كتابه تاريخ الحركة السياسية ٠٠ والتى لجأ فيها الى « قص » بعض الجمل معزولة عن سياقها العام ليعيد تجميعها واستخلاص نتائج خاطئة تماما منها ٠٠ لكنها تخدم هدفا سياسيا استهدف القول به .

**) مثل الهجوم غير العامى الذى شنه بعض الشبان غير المؤهلين سياسيا أو أكاديميا - فى ندوة الالتزام والموضوعية فى كتابه تاريخ مصر الحديث (سبتمبر ١٩٨٧) والذين نعوا عليها أنها طمست حق الجماعات التروتسكية ٠٠ برغم الاعتقادى اننى قد تحدثت عنها بأكثر من وزنها الفعلى .

•• وربما لا أكون مبالغاً إذ أقرر أن إصدار هذا المجلد قد نطلب دراسة
وجهداً يفوق ما نطلبته عملية الكتابة الأولى لمحتوياته ••

فهذا المجلد يضم كتابين :

✽ تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ - ١٩٥٠

✽ اليسار المصري والقضية الفلسطينية •

ولقد صدرا منذ فترة ليست بالقصيرة فأولهما صدر عام ١٩٧٧ وصدر
الثاني عام ١٩٧٤] •

ومياه كثيرة تدفقت منذ ذلك الحين سواء في نهر الحياة ، أو مجال
البحث وتجميع المعلومات واستقصائها • ومنذ اللحظة الأولى لصدور الكتابين
أحسست أن أمانتى العلمية تتطلب التانى فى طبع أى منهما طبعة أخرى قبل
تضمينهما ما تراكم من معلومات وتصحيحات وإضافات فى سرعة غريبة عقب
صدورها ••

وكان الكثيرين ممن يمكن تسميتهم « بأوعية المعلومات » لهذه المنشرة
البالغة الحساسية والاهمية - فترة الأربعينيات - لم يكونوا يتقنون أو يصحقون
بإمكانية إنجاز دراسة عن تاريخ الحركة الشيوعية فى هذه الفترة ، أو لم
يكونوا يعتقدون بإمكانية نشرها وانتشارها الى هذا الحد • فما أن صدرت
الدراسة وما أن حظيت باهتمام ليس بالقليل سواء على مستوى الجمهور القارىء
أو مستوى البحث الأكاديمى المحلى والعربى والعالمى حتى ثارت شهية الكثيرين
للحديث والتصحيح والإشارة الى مصادر جديدة للبحث أو تقديم وثائق هامة
كانت فى حوزتهم ••

ومع اصرار الكاتب على أن يواصل مسيرة البحث حتى يكتمل ، فكان
من الضرورى أرجاء كل هذه المواد لحين أنتاحة الفرصة لإصدار طبعة أكثر
تحقيقاً وأكثر استيفاء للمعلومات ••

ولقد عاصر صدور كتاب « تاريخ المنظمات اليسارية ١٩٤٠ - ١٩٥٠ » وقتنا صعباً • فما أن انتهيت من كتابته - وقبل أن أشرع بمراجعتها - كانت انتفاضة يناير ١٩٧٧ وكان تشريفي بنفسى إليها فكان القبض والإيداع بسجن القلعة في حملة ترويع واسعة حاولت أسكات كل صوت ، وأخافة الناس ، ومنعهم من الهمس •

ودارت ماكينة الارهاب المتنوع •• أو بالدقة الارهاب المتكامل •• سجون - معتقلات - ترسانة قوانين مقيدة للحريات - حملات أعلاية ضارية •• وماذا يملك الإنسان داخل جدران سجن القلعة سوى أن يحتدل وأن يبحث عن المقاومة ولو من خلال ثقب ابرة •

وانتقدت ساعتها أن الاسراع باصدار هذا الكتاب حتى وبلا مراجعة أخيرة هو خير رد يمكن أن أوجهه إلى هؤلاء الذين يحاولون ترويعي وترويع اليسار وقوى التقدم عامة ، واعتقدت أن صدور كتاب عن تاريخ الشيوعيين ونضالهم عبر مرحلة تمثل المرحلة الأم لما تلاها من أحداث يمكنه أن يكون رداً على حملات التشهير والتشويش التي غمرت كل الصحف الحكومية والتي اتخذت من اليسار عموماً محط الهجوم والتشهير •

•• وبرغم موجة الارهاب الضارى فقد امتلك الباقون دون اعتقال من أبناء « دار الثقافة الجديدة » شجاعة الموقف ، وإصرار المناضل •• فأصدروا الكتاب ، وفي زنزانتي بالقلعة زارنتى النسخة الاولى •• وأحصست ساعتها بقيمة « الكلمة » في معركتنا ، وبقيمة دراسة تاريخ هذه المعركة ••

أما الكتاب الثانى « اليسار المصرى والقضية الفلسطينية » فلقد أحدث من الضجيج فوق ما توقعت ، وحاربه « فرسان ! » عديدون ولكن بسيوف خشبية عجزت عن أن تهز يقينى بصحة التوجه وبمبدئية الموقف الذى اتخذته الشيوعيون المصريون من القضية الفلسطينية • ولكن البعض يتعلم من وقائع الحياة ومن خبرة التاريخ ، بينما البعض الآخر لا يملك سوى معاندة الأرائع ومعاندة دروس التاريخ •

والى هؤلاء وأولئك كان من الضرورى تجميع المزيد من المعلومات فى اصدار جديد للكتاب ، خاصة وأنه منذ طبع طبعته الاولى فى بيروت لم تستطع سوى نسخ قليلة منه التسلل الى القارىء المصرى ••

وعبر هذه السنوات حظى الكتابان باضافات عديدة ، وباعادة صياغة
وبمراجعة دقيقة ، وكانت مصادر الاضافات عديدة ..

فقد حصلت على أغلب الوثائق الامريكية عن النشاط الشيوعى المصرى
فى هذه الفترة ، وأشهد اننى كنت مخطئا اذ تصورت ان الوثائق البريطانية
قد تضمنت المعلومات الاكثر دقة ، فبمطالعتى للوثائق الامريكية اكتشفت
كيف كانت السفارة الامريكية أكثر اهتماما وأدثر دقة فى تجهيع المعلومات
التفصيلية عن كل صغيرة وكبيرة فى الحركة الشيوعية المصرية ..

وقد حصلت أيضا على وثائق الخارجية الفرنسية .. وقد تضمنت
معلومات مهمة ، بل وتضمنت عددا من الدراسات الثبانية القيمة التى أعدتها
السفارة الفرنسية فى القاهرة عن الحركة الشيوعية ودورها فى ذلك الحين .

كذلك فقد تقدم العديد من الشهود ..

والبعض يتحدث لأول مرة أيضا فى معلومات وتصويبات بالغة القيمة .

والبعض يتحدث للمرة الثانية بعد أن شحذ ذاكرته أو استنقذها لتقديم
معلومات اضافية أو تصحيحات لما نشر ..

ومع استمرار الانغماس فى الموضوع ككل تكاملت معلومات اضافية
واكتملت صور وتصورات عديدة بحيث يمكننى أن أقرر أن القارىء يمتلك
الآن بين يديه بحثا أعتمد أنه أكثر اكتمالا وتكاملا .. وأن ما أدخل عليه من
اضافات وتعديلات وتصويبات وإعادة صياغة شاملة يكفى للاعتقاد
باننا أمام كتاب جديد تماما .. استنقاع أن يستوعب الاضافات على
كثرتها ، وأن يضع فى اعتباره الانتقادات دون أن يخضع لما يشوب بعضها
من رؤية أحادية أو شخصية . ولأن الدراسة تدرس فضائل جيل من الثوريين ،
ولأنها تمثل فى اعتقادى رؤية للماضى ودروسا للحاضر وأدلا للمستقبل فقد
تعين على ألا أسمح لأى ضغط شخصى أو ابتزاز سياسى أن يدخل اليها ما لا
أعتمد بيقين تام أنه جزء من مكونات الحقيقة .

.. والا أملك رغم كل ذلك الجرأة كى أضبع نقطة انتهاء ..

فالبعض لم يزل أرحب من أى محاولة لختامه .

وتاريخ النضال المخصب والمتنوع لم يزل أوسع من أن يتضمنه كتاب
أو عدة كتب مهما بذل أصحابها من جهد ..

القاهرة ١١ أكتوبر ١٩٨٧

الكتاب الأول

تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠ ١٩٥٠

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب
عام ١٩٧٧ - دار الثقافة الجديدة - القاهرة

الى كتيبة من الرجال الشجعان ٠٠٠٠

* عبد الخالق محبوب

* شهدى عطية الشافعى

* د. فريد حداد

* لويس اسحق

* محمد عثمان

في الأربعينيات ٠٠ كانوا يبذلون ما فوق الطاقة جهدا وعرقا ، وهم
يصنعون أحداث هذا الكتاب ٠

وبعدها ٠٠ بذلوا الحياة شهداء في سبيل المبدأ ٠

ليست مقدمة

•• بل هي ان شئنا الدقة استكمال لتلك الرحلة الطويلة عبر تاريخ الحركة اليسارية المصرية منذ مطلع القرن العشرين ••

ليست مقدمة ، فهناك كمقدمة ضرورية لهذه الدراسة كتب أربعة كان لابد من انجازها ووضعها بين يدي القارئ حتى يمكننا أن نصل بحديثنا الى مرحلة الأربعينات •

كتابان لدراسة المرحلة السابقة •• هما : « تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٢٠-١٩٢٥ » « واليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ » وكتابان آخران هما مجرد استكمال لهذا البحث ، فبدونها يبدو هذا البحث ناقصا ، وكان انفصالهما عنه مجرد ضرورة فنية وهما « الصحافة اليسارية ١٩٢٥-١٩٤٨ » و اليسار المصرى والقضية الفلسطينية » ويتعين على أن اعترف بأنه لم يكن ضمن مخططى أن أصدر كتابين منفصلين عن هذين الموضوعين فلقد تصورت في البداية أنه من الممكن استجماع الموضوع كله في بحث واحد متكامل ، لكننى ما أن بدأت خوض غمار التجربة حتى أفنعتنى الممارسة أن هذين الموضوعين « الصحافة » و « القضية الفلسطينية » موضوعان بالغا الأهمية بالنسبة للتاريخ ومسار هذه الفترة بحيث يتعين ايفائهما حقهما من الدراسة التفصيلية ، ذلك أن اختصارها يعنى بالضرورة ابتسارها ، أما الاماضة فيهما - وهى ضرورية - فسوف تشبثت جهدى وجهد القارئ ، وسوف تنأى بى وبالقارئ بعيدا عن المحور الاساسى وهو دراسة تاريخ المنظمات الشيوعية ، نشأتها ، وتطوراتها ، وأساليب عملها العلنية والسرية معا ، دراسة منهجية تسجل ما فى الصورة من تفاصيل ضرورية ومقاة •

وبهذا اضطررت الى استكمال هذين الموضوعين فى كتابين •• برغم أنهما مجرد امتداد أكاديمى للبحث الذى نوشك أنا والقارئ أن نقتحم الآن غماره ••



ليست مقدمة .. وليست نقطة تل على الانتهاء ، فكل هذه الدراسة التى بين أيدينا ، ليست فى اعتقادى سوى « جملة اعتراضية » فى ذلك السياق الطويل من العمل الشاق الذى خاضته حركة اليسار المصرى منذ الإشراقة الأولى للقرن العشرين ، وعبر ثلاثة أرباع القرن ، وحتى يومنا هذا ..

مجرد « جملة اعتراضية » ، ليست بداية ، وليست نهاية .

لكن هذه الجملة الاعتراضية كانت بالنسبة لابطالها سنوات من العمل الشاق ، من الانقدام المعمد بالعرق والدم ، وكانت بالنسبة لى سنوات من الجهد والبحث والاستقصاء ، فالمهمة ليست فقط صعبة لكنها كادت - فى بعض الاحيان - أن تبجو لى وكأنها مستحيلة .

فكيف يمكن استجماع خيوط بحث كهذا .. المنظمات الشيوعية ، قياداتها ، محاولات الوحدة ، والانقسام والتكتلات ، النشاط العلنى ، والعمل الجبهوى ، المواقف السياسية ، الانطلاقات الفكرية ، أساليب العمل السرى ، كل ذلك فى اطار اتفاقات واختلافات وتكتلات وانقسامات توشك أن تحتاج الى جداول اللوغاريتمات لحساب المواقف والاتجاهات والمتغيرات فيها .. كيف يمكن البحث فى هذا الخضم ، عن الحقيقة ، أو عن القسم الأكبر منها ، أو حتى عن أقرب شيء إليها .

كيف يمكن استجماع أجزاء الحقيقة ؟ وان استجمعت فكيف يمكن أن تصاغ ؟ كل هذه الاسئلة المحيرة ظلت تراودنى سنوات عدة ألوكها .. وأتمن فى جزئياتها ، وأكاد كلما ازددت تمعنا فيها ، أن أزداد خشية من الانقرااب من الموضوع وأزداد حيرة مع كثرة ما به من تعقيدات .

أين الحقيقة ؟ أو بالحقة أين يمكن أن أجدها ؟

ذلك هو السؤال الذى حيرنى ...

انها بالقطع ليست فى ذلك الكم القليل من الكتب التى أصدرها بعض الكتاب الأجانب أمثال والترلا كور - و . آجوانى ، فهى كتب ملغومة فى أكثرها بالأكاذيب والاستنتاجات المتعجلة والاختفاء الواضحة ، وأهم ما يعيبها أنها لم تصدر بهدف التعرف على الحقيقة وإنما يقصد التشهير بحركة اليسار فى مصر ، ويكيفها ذلك تماما كى تفتقد الموضوعية فى البحث ، والصدق فى الاستنتاج والتحليل ، كذلك فان أجنبية الكاتب وغربته الكاملة ليس فقط عن حركة اليسار المصرى ولا عن الصراعات السياسية والاجتماعية فى مصر وإنما - وهذا هو المهم - عن مصر ذاتها ، تفقد البحث أصالته والباحث جنوره القادرة على امتصاص الحقائق من التربة العميقة للواقع ، وتحليلها وفهمها وفقا لمعطيات واقعية ..

وهكذا فليس أماننا من خيار ...

ليس أماننا سوى أن نعتمد على أنفسنا في جهد ابتدائي يستهدف استكشاف مواقع وجود الحقيقة ، واستخلاص أكبر قدر منها وإذا شئنا استخدام أساليب المؤرخين في التعبير قلنا أنه ليس أماننا سوى البحث عن المصادر الأولية ...

وهنا تبدأ الصعوبة ...

فالمصادر الأولية .. أهمها الأوراق والنشرات والمنشورات والتقارير الصادرة عن المنظمات الشيوعية ، وغالبيتها العظمى قد صدر بشكل سري ، ثم سرعان ما تآكل ، ففي خضم المطاردات البوليسية الشرسة ، اختفت الأوراق « والأرشيفات » التي حاولت بعض المنظمات تجميعها ، كذلك أسهمت الانقسامات والتكتلات والوحدات في الخفاء هذه الأوراق ، وبرغم ذلك وبجهد مبرر وبفضل مساعدات رجال لن أنسى فضلهم أمكنني العثور على بعض هذه الأوراق ، لكن هذا البعض من النشرات والتقارير والمنشورات السرية الذي أمكننا الحصول عليه - برغم أهميته التاريخية البالغة - لا يمكنه أن يكون كافيا ، فهو أولا أقل من القليل بالنسبة للكم الهائل من الأوراق التي صدرت بالفعل على مدى أكثر من عشر سنوات من العديد من المنظمات والتكتلات كذلك فإنه في ظل السرية المطلقة والمطاردات البوليسية الشرسة لا يمكن للحقائق كلها أن تثبت في أوراق .. ففي الأوراق قد نقرأ الموقف السياسي أو التنظيمي لكننا لن نجد « القصة الداخلية » لعملية البناء وأساليبها ومصاعبها وأسماء من قاموا بها ودور كل منهم وطبيعة العلاقات فيما بينهم ... الخ .

وثمة مصدر آخر .. هو هؤلاء الرجال أنفسهم ، صناع هذا التاريخ ، وأصحاب « القصة الداخلية » أو بالحقة « القصص الداخلية » ..

وتبدأ رحلة البحث عن رجال تبعثروا ، تبعثروا بالمعنى السياسي فالبعض منهم تراجع عن المسيرة وعن الضوء ، عدد منهم تراجع منذ الأشهر الأولى أو السنوات الأولى للتجربة وربما تصور أن أحدا لن يعيد تذكيره بهذا التاريخ النحصر ، والبعض الآخر تبعثر جغرافيا .. ليس فقط في مختلف مدن مصر وإنما أيضا في مختلف أرجاء العالم ..

وتبدأ أغرب رحلات « صيد المعلومات » ..

على مدى تسع سنوات أو أكثر قليلا ، ومن خلال محاولات مضيئة للبحث عن هؤلاء الرجال ، وحثم على الكلام ، وإقناعهم بأهمية كل تلك

المعلومات التي قد يتصورون أنها قليلة القيمة ، وتنشيط ذاكرتهم •• ومن خلال تنقلات عديدة متكررة الى باريس وروما وأثينا وبرلين وبغداد وبيروت وعدن والخرطوم ، ومن خلال عمل شاق للبحث عن هذه الأسماء والتعرف عليها وعلى عناوينها أمكن استجماع أكثر من مائة محضر نقاش مع هؤلاء الرجال •••

وتبقى أمام الكاتب مهمة استخلاص الحقيقة الحقيقية • ان جاز مثل هذا التعبير - ففي خضم الذكريات القديمة قد تبرز بعض الملامح الشخصية وقد تختفي ملامح أخرى ، وقد تكون هناك بعض المبالغات ، وقد تفوت على الراوى أجزاء من الحقيقة ، وقد تختلط في ذاكرته بعض الروايات والأسماء لكن محاضر النقاش هذه وبرغم ما بذلت فيها من جهد لا أود أن أفرض فيه ، وبرغم ما قد يكون فيها من نواقص ، كانت بالنسبة لى ثروة حقيقية من المعرفة ليس فقط بوقائع الحركة الداخلية للعمل الشيوعي فى مصر وبأسرارها وحقائقه وانما أيضا المعرفة بشخصيات هؤلاء الرجال وأنماط تفكيرهم ورؤياهم العامة لأحداث مصر فى هذه الفترة •

ومن خلال الروايات العديدة والتي قد يكمل بعضها بعضا وقد يتناقض بعضها مع البعض الآخر ، أقصد أنه من خلال هذا الكم من الرؤى المختلفة والآراء والتصورات المتناقضة •• تبجو الحقيقة أكثر صفاء •••

لكن ذلك أيضا لا يكفي ••

فلا بد من البحث عن مصادر أولية أخرى ••

وأرشفات البوليس زاخرة بالمعلومات والوثائق والأوراق ، لكنها على أية حال ليست متاحة على الإطلاق ، وبرغم ذلك فقد أمكن أحداث ثغرة فى هذا الجدار المصمت وببعض الجهد أمكن العثور على نسخ من تقارير حكمدارية بوليس مصر والقلم المخصوص (البوليس السياسى فى ذلك الحين) مرفوعة الى وكيل وزارة الداخلية حول نشاط قيادات ومراكز نشاط الشيوعية فى هذه المرحلة •• كذلك أمكن العثور على بعض وثائق التصر الملكى عن هذا الموضوع وعن نشاط مخبرى السراى ضد الحركة الوطنية •

وهناك أيضا اطلالة ضرورية على أرشيف وزارة الخارجية البريطانية والذي سمح بالاطلاع فيه حتى كتابة هذه الأسطر على وثائق عام ١٩٤٥ •• ولا شك أن هذه الوثائق تمثل أهمية خاصة فقد كانت كل مراكز المعلومات الرسمية وغير الرسمية تصب فى السفارة البريطانية بشكل أو بآخر ومنها تعود لتصب فى شكل تقارير وبرقيات « سرية للغاية » فى وزارة الخارجية البريطانية ••

لكنى أود أن أحذر القارئ والباحث معا من أخذ ما ورد في هذه الوثائق كمسلمات فهي فقط ليست مملوءة بالأكاذيب بل هي تثبت أيضا عجز أجهزة السفارة - ومن خلفها مصادرها العديدة ومنها البوليس المصرى نفسه - عن الاستدلال على نقاط ارتكاز المنظمات الشيوعية وأساليب عملها والقائمين بها .

بل أن وثيقة بالغة السرية ، وبالغة الاهمية أيضا مرسله من المعتمد البريطانى في مصر لورد كيلرن الى وزارة خارجيته تنمغ كل هذه الأجهزة بالجهل الفاضح والغفلة التامة .

فاذا كنا سنكتشف في بحثنا هذا أن موجة المنظمات اليسارية الجديدة قد تواجعت بصورة عملية وفعلية بل وفعالة - الى حد ما - منذ عام ١٩٣٩ بل وقبل ذلك أيضا . فانه يصبح من الغريب أن نقرأ الأسطر التالية في برقية مرسله من لورد كيلرن الى وزارة خارجيته :

« الارشيف العام »

ملف ٣٧١ - رقم ٩٠٢٩/٤٦٠٠٣ .

نسخة خطية - لا يجوز تصويرها أو اعداد نسخ أخرى منها بدون إذن خاص .

رقم ٥٣٦

السفارة البريطانية بالقاهرة

٤٥/٧/١٢٧

أبريل ١٩٤٥

« سرى للغاية »

بالإشارة الى برقيتي رقم ۸۰۸ والمؤرخة في ۵ أبريل ۱۹۴۵ والتي رويت لكم فيها ما نقله عمرو باشا الى عن مخاوف الملك فاروق من نشاط الحركة الشيوعية في مصر فانني أتشرف بأن أنقل الى سيادتكم أن السكرتير الشرقي قد تناقش حول هذا الأمر مع مدير الأمن العام الذي أبدى هو أيضا انزعاجه من هذا الأمر لكنه أكد أنه ليست لديه أية معلومات محددة عن هذا النشاط » .

وهكذا يشهر كيلرن افلاسه التام أمام رؤسائه ، وهو يعود في نهائية تقريره هذا ليطالب لندن بتعيين ملحق عمالي بالسفارة الانجليزية بالقاهرة ويقول : « ان مثل هذا الملحق العمالي سوف يكون قادرا على الاتصال بمنظمات الطبقة العاملة ، وأن يبقى دوما متعرفا على نبض العمال » .

ولعل هذه البرقية كافية بذاتها للدلالة على مدى فشل أجهزة الأمن البريطانية والمصرية معا وحتى أبريل ۱۹۴۵ على الاقل في التعرف على أية معلومات عن حركة المنظمات الشيوعية في مصر . . .

فاذا أضفنا الى ذلك أن « كيلرن » كان مصابا بما يشبه الحالة المرضية تجاه النشاط المحدود للغاية للسيد عبد الرحمن سلطانوف القنصل السوفيتي في القاهرة بحيث تصور - ويا للغرابة - أنه خلف كل تحرك في مصر حتى تحركات الاخوان المسلمين ومصر الفتاة وحزب الكتلة (كما يتضح من تقاريره الى وزارة خارجته) فاننا نوشك ألا نجد في هذه الوثائق - وبرغم الجهد الذي بذلناه في الحصول عليها - سوى القليل من الفائدة . . لكنه حتى هذا القليل كان ضروريا لاستكمال الصورة العامة . .

ومن المصادر الاولية أيضا مجموعة الأوراق القضائية (أوامر القبض ، محاضر تحقيق النيابة ، ملفات القضايا ، محاضر اطلاق النيابة على المضبوطات ، حثثيات الاحكام) في عديد من القضايا الهامة والتي أمكننا الحصول عليها وكانت ذات فائدة جمة في استكمال بعض جوانب بحثنا . .

وهناك أيضا مجموعات صحف ومجلات اليسار ونشراته العلنية ونصف العلنية وقد أفادتنا كثيرا في التعرف ليس فقط على اتجاهات المنظمات والتجمعات الشيعية ، انما أيضا في التعرف على الكثير من الاسماء التي سعينا للبحث عن أصحابها أملا في اجراء حوار معهم . .

وهناك كذلك مجموعات الصحف والمجلات الاخرى التي صدرت في هذه الفترة . . وهي برغم كثرتها - والجهد الكبير الذي تطلبته محاولة البحث فيها - كانت ذات فائدة جمة في تقديم العديد من المعلومات والأخبار ،

وفي إرشادنا الى عديد من تواريخ الأحداث الهامة ، كذلك في تقديم العديد من الأسماء فيما نشرته من أخبار عن عمليات القبض على الشيوعيين والتحقيق معهم .

وفوق هذه المصادر الأولية وغيرها ظلت محاولات البحث مفتوحة طوال السنوات التسع في مختلف الاتجاهات أملا في العثور على أى خيط يقودنا الى أى جزء من أجزاء الحقيقة التى نبحث عنها .



ولست أدعى أننى قمت بكل ما كان يجب القيام به .
ولست أزعم أننى أنتزعت من غياهب المجهول كل أجزاء الحقيقة ، أو أننى استنقذت من الضياع كل ما هو ممكن من المعلومات والأوراق .

لكننى ولتسع سنوات بذلت كل ما أستطيع .

ولم يكن ذلك سوى مجرد بداية ، فحتى بعد تجميع هذه المعلومات تبقى الحيرة الأساسية فكيف يمكن لمثلئ أن يخوض تجربة الكتابة عن صراعات وخصومات كان بشكل وبأخر منحاذا لأحد أطرافها .

ولست أريد أن أقول أننى التزمت بالموضوعية التامة أو بالحياد المطلق .
فليس ثمة حياد تام في موقف الكاتب السياسى أو حتى المؤرخ الأكاديمى .

لكنى مع ذلك حاولت قدر طاقتى أن ألتمز بأكبر قدر متاح من الموضوعية والتجرد ، فأننا لم نكتب هذا الكتاب دفاعا عن تيار بعينه أو إدانة لتيار آخر .

أنا مجرد باحث عن الحقيقة في خضمها المتلاطم ، محاولا أن أستنقذ من الضياع أكبر قدر متاح من نشاط يسار هذه الفترة ، كن يسار هذه الفترة بمختلف اتجاهاته التى أتفق معها والتى اختلف .

كانت هذه غاييتى . . ومخوّر اهتمامى . .

فان وجد البعض شبهة تحيز أو انحياز في كلمة أو سطر فهى بالضرورة أمر غير مقصود . فأننا لم أكن أكثر من باحث عن الحقيقة ، ساع لاثباتها على الورق والاستنقاذا من الضياع .

ولقد حرصت على أن أتيح لمثل كل المخططات والاتجاهات فرصة تقديم انفسارهم ومعلوماتهم ووجهات نظرهم ، ولقد استخدمت ما قدمه لى انجميع استخداما أعتقد أنه متوازنا ، بمعنى أننى لم أتحيز فى اختيار ما قدم لى من معلومات ، وانما أخذت ما اعتقدت أنه أقرب الى الصحة وأكثر اقترابا من الحقيقة ، ولعل فى يوم قادم أستطيع أن أقدم للقارئ النصوص الكاملة وكل ما قاله هؤلاء الأشخاص ومن مختلف المخططات . .

وعلى أية حال ، فان المؤرخ أو السياسى أو كلاهما لا يمكنه أن يقف مجردا من المشاعر والاحاسيس تجاه موضوعات بحثه ، فلا بد له من أن يتعاطف ومن أن يرفض ، لا بد لمشاعره وفكره من أن يتحرك بصمات ولو قليلة على اختياراته وتحليلاته ، لكن المهم هو أن تتحرك المشاعر باتجاه موضوعى فتعطف على ما تعتقد مخلصا أنه صحيح بغض النظر عن قام به . .



واذا كان الفضل الاكبر يعود الى هؤلاء الرجال البواسل الذين صنعوا الأحداث . . وخاضوا المعارك ولم يكن لنا تجاههم من فضل سوى السير فى طريق نحتوه فى صخر صلد . .

فاننى أود أن أشيد بفضل هؤلاء الرجال الذين فتحو لى قلوبهم وعقولهم وذكرياتهم لنبحث فيها معا عن الحقيقة ، وقد تطلب ذلك منهم صبرا وجهدا بدونه لم أكن بقادر على أبدا الكتابة . .

ولا بد لى أيضا أن أشعر بالعرفان لهؤلاء الذين ظلوا لأكثر من ربع قرن يحتفظون فى اصرار غريب بورقة أو قصاصة أو نشرة أو تقرير . . . كانت مجرد حيازته تمثل خطرا داهما بالسجن لسنوات طويلة ، لكنهم مع ذلك تشبثوا بما فى أيديهم من أوراق ، لعله تشبث « الصوفى » بمسبحته أو المحب بتذكار عزيز لمحبوبة غالية ثم عادوا فقدحوا لى ما تحفظوا عليه طواعية وعن طيب خاطر وفى سبيل البحث عن الحقيقة . .



وأخيرا . .

لقد قلت أن هذا البحث ليس سوى جملة اعتراضية ، ولقد استخدمت هذا التعبير مدركا ماذا يعنيه بالنسبة لى . . فهو يعنى أن أوصل البحث سعيا لاستكمال اطار الحقيقة لفترة لاحقة .

وليس أمامى - على أية حال - سوى أن أوصل المحاولة . .

القاهرة - يونيو ١٩٧٦

١ - لماذا ٠٠٠ ثلاث مرات ؟

١ - لماذا تصاعدت موجة الحركة الشيوعية في مطلع الأربعينات ؟

٢ - لماذا تواجد الأجانب واليهود بكثرة في صفوفها ؟

٣ - لماذا نشأت الحركة الشيوعية منقسمة ؟

ان عملية تحليل ثمرة الجوز ،
تعنى - اولا وقبل كل شئ -
محاولة كسرها .
هيجل

وبينما كان الكثيرون وخاصة من أبناء البرجوازية الصغيرة يقيمون على التشكيلات الشبه فاشستية وعلى النزعات الدينية .. كان الشيوعيون يركزون انتباههم على الطبقة العاملة .. ويلمحون في صفوفها بواور وعى جديد يمكنه أن ينتقل بنضالها نحو مرحلة جديدة . ويقول أفيجدور أيضا « أن البروليتاريا المصرية التي تمرست خلال أعوام ثورة ١٩ - ١٩٢١ في الاضراب السياسي قد لجأت الى هذا السلاح أكثر من مرة » .

غير أن البروليتاريا وبرغم أنها كانت هي والفلاحين القوى الأساسية والمحركة للثورة ، الا أنها لم تستطع الانتقال الى مرحلة الهجوم الثوري المستقل « ذلك أنها كانت أسيرة لأيديولوجية البرجوازية الوطنية الاصلاحية .. لقد أوضحت معارك مايو ١٩٣١ أن البروليتاريا المصرية مثقلة في فصيلتها الامامية - عمال ورش السكك الحديدية وعمال النقل في مدينة القاهرة - قد بدأت في التحرر من هذا الأسر الايديولوجي ، لقد استطاعت بثوبة واحدة عظيمة حشمت فيها كل طاقاتها الطبقية والثورية أن تسبق وبمسافة واسعة زعماءها المفروضين عليها من معسكر الخيانة الوطنية ، والذين يبذلون أقصى جهدهم لتوجيه هذه الطاقة الهائلة الى مجرى التظاهرات السلمية (التي ليس لها أسنان) والتي تهدف الى مجرد الدفاع عن « الدستور والديمقراطية » العزيزين على قلوب هؤلاء الزعماء .

ان الأيام الدامية في يوليو ١٩٣٠ ، ومايو ١٩٣١ ، لم تكن مجرد جزء من لعبة التغييرات الوزارية التي أصبحت بشكل ما عملية عادية في الحياة السياسية في مصر خلال الأعوام الاخيرة ، وانما كانت بداية للانتقال بكل المعركة الثورية التحررية الى مرحلة أعلى « (١) » .

ومكذا تتحدد الخطوط العامة لدراستنا هذه ..

ندرس الأزمة كمفتاح لفهم الانطلاقة الثورية ..

ونتابع الازواض السياسية والاجتماعية والاقتصادية كسبيل لالتقاط خيط النضال البروليتاري المستقل ومتابعته خطوة خطوة حتى ينمو في الأربعينات حركة طبقية منظمة ومتسعة الفعل والنشاط .



(١) المرجع السابق ص ١٠٣ .

أزمة اقتصادية ٠٠ بغير مخرج :

والزراعة وهي المحور الأساسي للاقتصاد القومي كانت تعيش هذا الجو المختنق بكل أبعاده فالقطن المحصول الرئيسي ، والذي كان مصدر إثراء غير محدود للمستعمرين الانجليز ، أصبح غيبًا - غير محدود أيضا - على الفلاح المصري .

كانت انتاجية الفدان من القطن تتدهور ٠٠

(١)

السنوات في المتوسط	انتاجية الفدان من القطن (بالطنطار)
١٨٩٥ - ١٩٠٠	٤٧ر٥
١٩٣٠ - ١٩٣٥	٢٦ر٤

وذلك برغم اضطرار الفلاح الى استخدام كميات مضاعفة من الأسمدة الكيماوية ، ففي عام ١٩٣٧ كان الفلاح « يستعمل في المتوسط ٥٩ كيلو جراما من السماد الكيماوى لكل فدان مزروع في حين لم يكن يستخدم في عام ١٩٠٢ الا ٠١ كيلو جرام في المتوسط » (٢) .

واذا كان ذلك يعنى ارتفاع التكلفة ، وقد ارتفعت لأسباب أخرى فان أسعار القطن كانت تتدهور فقد انتهت تلك الايام الذهبية التي كان فيها القطن مصدر ثراء وافق .

« متوسط أسعار القطن (السكلاريدس) »

« خلال فترة موسم القطن سبتمبر - يونيو »

- (١) مريت بطرس غالى - سياسة الغد - ص ٤٦ .
(٢) المرجع السابق . ص ٤٨ .

السنة	سعر القطنار (بالحوار)
١٩ - ١٩٢٠	١٠٩٩٦
٢٤ - ١٩٢٥	٥٤٩٩
٢٥ - ١٩٢٦	٣٧١٢
٢٧ - ١٩٢٩	٣٥٢٢

ولم تكن اقتصاديات الفلاح تعاني فقط من هذا الهبوط المستمر في اسعار محصوله الرئيسى ، فالمعانة كانت تتضاعف بسبب انتشار المضاربة (مبوطا وصعودا) في بورصة القطن لصالح حفنة من المضاربين معظمهم من الاجانب ..

فالاسعار لم تكنذبذبذبا تحتسب بالموسم أو حتى بالشهر وانما باليوم والساعة نمثلا نجد « أنه خلال شهر واحد من ١٤ فبراير ١٩٣١ وحتى ١٢ مارس ١٩٣١ هبط سعر قطنار القطن (ساكلاريدس) من ١٧ر٠٦ دولار الى ١٦ر٩٠ دولار » .

بل لقد تدهور سعر القطن في يناير ١٩٣١ ليصل الى رقم مخيف ١٣ر٣٠ دولار للساكلاريدس وحوالى ٩ دولارات للاشمونى (٢) .

وكان طبيعيا بعد ذلك أن تثقل الارض الزراعية بالديون بحيث قدر أحد الباحثين أن « غالبية الاملاك العقارية مستغرقة بالديون وقدر اجبالى الديون بعشرة ملايين جنيهه ، لكن جريدة المقطم سارعت بالرد عليه معانة أن الديون العقارية لا تقل عن ٤٠ مليونا من الجنيهات » (٣) .

(١) مقال أفيجور مجلة ريفالوسيونى فوستوك (الشرق الثورى) المرجع السابق . ص ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق - ص ١٠٤

(٣) قلينى فهمى باشا - آراء وذكريات في السياسة والاقتصاد والاجتماع - مطبعة المجلة الجديدة - مايو ١٩٣٣ - ص ١٠

وثمة دراسات أخرى تقول « أن المتأخرات التي تراكت على المدينين قد بلغت عام ١٩٣٣ رقما يصل الى ٦٢١٧٣٣٩ جنيه عن قروض قيمتها ٢٣٦٩٤٦١٢ جنيه . وهنا اتفقت الحكومة (مارس ١٩٣٣) مع البنوك العقارية على تجميد كل المتأخرات التي حلت فوائدها وهم آجال الديون ٠٠ وفي عام ١٩٣٥ تم الاتفاق مع البنك العقاري المصري على ألا يزيد الدين الذي يتحمله الفدان عن ٤٥ جنيه وما يزيد عن ذلك يؤجل استهلاكه حتى نهاية السلفة ، ٠٠٠ وفي عام ١٩٣٩ حلت مشكلة المدينين الذين تزيد التزاماتهم عن ٧٠٪ من قيمة أرضهم فخفضت هذه الالتزامات الى ٧٠٪ من قيمة العقار» (١)

ولأن المشكلة كانت تهم كبار ملاك الاراضى - فى الأساس - فقد تفرغ لدراستها الكثيرين من المفكرين والكتاب ، بل لقد بدأ « الباشوات » أنفسهم فى دراستها ، وأصبح من المؤلف أن يظهر لقب « باشا » على أغلفة الكتب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

ويورد محمد على علوبة « باشا » الإحصاء التالى :

قيمة الأراضى والمنازل التى نزع ملكيتها بسبب الديون (٢)

عام ١٩٣٧	عام ١٩٣٨	عام ١٩٣٩	
١٠٨١٩٢٨١٩	٦٨٩٣١٣	٦٤١٩٤٨٤	بطلب أفراد
٧٩٢٥٣٥	٤٧٨٥٢٦	٥٨٦٥٦٥	بطلب بنوك
١٢٤٢٤	٣٧٠١	١٨٢٠٧	بطلب الحكومة
١٩٥٧٧٨٨	١٠١٧١٥٤٠	١٣٤٦٢٥٦	المجموع

وبما أن المشكلة كانت - كما قلنا - تخص كبار الملاك قد تحمست الحكومة لحلها وتحملت فى ذلك أعباء دفعت أحد الباحثين المحايدبن الى ملاحظة أن الحكومة قد أنفقت « ١٤٠٠٠٠٠٠٠ جنيه لاجل تنظيم دفع الديون العقارية ، أى لأجل انقضاء كبار الملاك النين لا يتجاوز عددهم

(١) د. راشد البراوى ، محمد حمزه عليش - التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث . مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثالثة (١٩٤٨) - ص ٢٥٠ .

(٢) محمد على علوبة باشا - مبادئ فى السياسة المصرية - مطبعة دار الكتب - ص ٥١ .

١٣٠٠٠ ، وهذا معناه أن كل واحد من هؤلاء المبتازين قد نال ١٠٠٠ جنيه دفعتها له الخزينة بحجة حماية الثروة الزراعية» (١) .

وما أن قامت الحرب العالمية الثانية حتى نشأت مشكلات أخرى أكثر تعقيدا فقد تناقصت كميات الاسمدة المستوردة نظرا لصعوبات النقل البحري وأجبر المستعمرون مصر على اتباع دورة زراعية غير ملائمة تستهدف زيادة انتاج القمح والحبوب قدر الامكان لتغطية احتياجات قوات الحلفاء من المحاصيل الغذائية .

وأدى ذلك - بطبيعة الحال - الى المزيد من تدهور انتاجية الارض الزراعية .

انتاجية الفدان وفقا لامحاصيل (بالأردب) (٢)

السنة	القمح	الشعير	الذرة الشامية
٣٨ - ١٩٣٩	٦١٥	٧٥٥	٧٠٣
٤٠ - ١٩٤١	٤٩٩	٦٨٦	٦٠٠
٤٢ - ١٩٤٣	٤٤٩	٦٢٥	-

وقد استخدم الانجليز في سبيل ذلك أساليب عديدة ، منه تحديد أسعار تعسفية للقطن المصرى تقل كثيرا عن السعر العالمى (فى عام ١٩٤٠ كان سعر القطن الأمريكى ما يوازى ١٢ر٦٢ ريالا مصريا ثم ارتفع الى ما يوازى ٢٠ر٤٤ ريالا فى عام ١٩٤١ : وكان سعر القطن الطار الهنذى ١٧٥ روبية ثم قفز الى ٣٣٢ روبية ، بينما عرضت بريطانيا فى عام ١٩٤١ شراء القطن المصرى بسعر ١٤ ريالا فقط) مضافا الى ذلك أنها حرمت مصر من بيع قطنها الى جميع الأطراف المحايدة أو المحاربة (٣) ، كذلك ضغطت لانقاص المساحة المزروعة قطناً

(١) الأب هنرى عيروط اليسوعى - الفلاحون - ترجمة د. محمد غلاب - الطبعة الثانية - مطبعة شركة الاعلانات الشريعة - (د٥ت) ص ١٢٦

(٢) مجلس الشيوخ - مجموعة مضابط دور الاعتقاد العادى السادس عشر - مصبطة جلسه ٨ سبتمبر ١٩٤١ خطاب يوسف الجندى - ص ٨٢٢-٨٢٤

(٣) د. عبد العظيم رمضان ، تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ الى سنة ١٩٤٨ - الجزء الثانى - دار الوطن العربى - بيروت - ص ١٦١ .

وألحت في انقاص المساحة المنزرعة قطناً الى الثلث والتوسع في زراعة
الأحبوب (١) .

« وفي عام ١٩٤١ أخطرت إنجلترا الحكومة المصرية أنها غير مستعدة
لشراء أكثر من نصف محصول القطن الجديد ، وبخس أسعار العام السابق ،
ولما كانت الحكومة المصرية قد قررت رفع سعر قنطار القطن بمقدار ريالين ،
فأنها قد تحملت وحدها هذا الفرق عن المحصول كله ، كما كان عليها أن
تمول شراء النصف الباقي من المحصول ، ولم تجد وسيلة لذلك سوى إصدار
تعرض قدره ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات طارحته على دفعتين » (٢) .

ومن الطريف أن الصحف البريطانية قد حاولت تبشير فرض هذا
السعر المنخفض قائلة « ان رفع أسعار القطن لا يفيد سوى حفنة من الباشوات »
وقد أثار ذلك قلق هؤلاء الباشوات وهاجمت جريدة الوفد المصرى هذا المنطق
قائلة « لصلحة من يريدون بذر بذور الشقاق بين هذه الطبقات ، واحداث
مشكلة اجتماعية من أعقد المشكلات التى أفلقت بال أمم كثيرة ، ومصر بقيت
ناجية منها الى الآن بفضل الله » (٣) .

ورد « الباشوات » الصاع صاعين للانجليز فاتهم أحدهم الانجليز بأنهم
« لا يتأثرون الا بمصلحتهم وبمصلحتهم وحدها » وأن سياستهم في شراء
القطن لا تقوم فقط على تحقيق مصالحهم الذاتية وانما « على سياسة افقار
الشعوب المحكومة » (٤) .

وقد أدى انخفاض أسعار القطن ، وعدم القدرة على تصريفه ، واستحكام
أزمة الانتاج الزراعى الى بروز أسلوب جديد من الاستغلال أدى الى القضاء
عبء الازمة على صغار المزارعين . . وهو أسلوب المضاربة بالأراضي الزراعية .

(١) د . يوسف نحاس - القطن في خمسين عاماً - دار النيل للطباعة (١٩٥٤)
ص ٤٧٧ - ٤٣٨ .

(٢) د . عبد المنعم فوزى - مذكرات في تطور مصر الاقتصادى والمالى في
العصر الحديث - دار المعارف (١٩٥٦) ص ١٧٦ .

(٣) الوفد المصرى - ٢٣/٨/١٩٤١

(٤) مجلس الشيوخ - المرجع السابق - ص ٨٢٤

« فقد كان استئجار الاراضى الزراعية ثم اعادة تأجيرها أكثر ربحا بالنسبة لكبار ملاك الأرض في مصر من زراعتها بالطرق الحديثة . وكان تأجير الارض بوجه عام هو أربح العمليات السائدة في البلاد » (١) .

وارتفع عدد المستأجرين للاراضى الزراعية الى مليونى شخص (٢) . ولم يكن أمام هؤلاء المستأجرين من أهل في الخلاص من هذا الاستغلال البشع فقد كان على « المستأجر الصغير أن يدخر حوالى ٢٣٥٠ جنيها إذا أراد أن يمتلك خمسة أفدنة (بأسعار عام ١٩٤٧) وكان هذا في حكم المستحيل نظرا لارتفاع قيمة ايجارات الأرض التى كان يستأجرها من ناحية . وثقل الديون العقارية من ناحية أخرى » (٣) .

أما العامل الزراعى ، فقد كان الطريق أمامه مسدودا تماما - هو أيضا - وبصوره أكثر استحالة كى يتخلص من وضعه اللا أنسانى فقد « بلغت ضالة أجور العمل الزراعى حدا استحالة انتقال عمال الزراعة الى مضاف الملاك ، اذ كانت قيمة الفدان في عام ١٩٤٥ مثلا تعادل أجر عمل ٣٣٣٣ يوما أى عمل عشر سنوات متصلة بفرض أن العامل يعمل طوال السنة ويدخر أجره ولا ينفق منه شيئا » (٤) .

وهكذا أصبحت ملكية الأرض نهبا للاغنياء وازداد تركيز الملكية الزراعية فى أيدي حنة من كبار الملاك والرتبكت خريطة الملكية الزراعية بصورة واضحة « ٢٣٠٨ر٩٥١ مالكا لا يملك كل منهم أكثر من فدانين ومجموع ملكياتهم ١٢٣٠ر٦٢ فدانا ، أى أن ٨٤٪ من الملاك يملكون ٢١٪ من الأرض . بينما ١ من ١٠٠ر٠٠٠ من الملاك يملكون حوالى ١٠٪ من الارض » (٥) .

1) Ph.d. Abhel razek m. Hassan- some U.A.R economic features , Cairo, 1970, b.y.

2) Ibid. , p.6

3) Doreen warrlner- land reform and development in the middle east (1962) P.29.

(٤) د . جمال الدين محمد سعيد - التطور الاقتصادى في مصر منذ الكساد العالمى - ص ١٢٨ .

(٥) المذكرة الايضاحية للمرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ الخاص بالاصلاح الزراعى .
راجع أيضا لمزيد من التفاصيل :

* سيد مرعى - الاصلاح الزراعى ومشكلة السمكان في القطر المصرى - ص ٣٤٨ وما بعدها .

وكان البؤس هو المحصلة الطبيعية لذلك كله . ولم يكن هذا البؤس خائفاً على أحد بل تحدث به حتى كبار الملاك أنفسهم ، ويورد الأب عيروط مقطعا من خطاب لعلى الشمسى باشا يقول فيه « اتنا لا نعالى من كوارث عديدة يمكن حلها واحدة بعد الاخرى ، لكننا نعانى من كارثة واحدة أساسية هي تدهور مستوى معيشة الفلاحين الى درجة تدمى كل المسائر الانسانية وتشين كرامة وطننا » (١) .

واذا كان أحد « الباشوات » قد اضطر الى الاعتراف بذلك ، فماذا بقى أمام الفلاح نفسه ؟ وعلى أية حال فان دراسات مفكرى اليسار فى هذه الفترة قد تجاوزت النظرة الجزئية أو العاطفية ولمست الجذر الحقيقى للمشكلة « ان أزمة الانتاج الزراعى فى مصر ليست أزمة طارئة أو مؤقتة ، لأنها نابعة من التركيب الاجتماعى ذاته ، ومن وضع البلاد كمستعمرة تقوم بدور المنتج الزراعى لصالح الدولة الاستعمارية الامر الذى جعل النهب المالى يتخذ طابعا « خاصا » وحادا بصورة لا يمكن تصورها ، خاصة وأن سلطة أصحاب البنوك والاقطاعيين والمرابين المكرسة لنهب الفلاحين تؤدى الى استلاب كل الموارد الحيوية فى البلاد ، والى الافلاس الكامل ، وضرب كل الحقوق الاساسية للجماهير » (٢) .

هذا عن اقتصاديات الريف ، فماذا عن المدينة ؟

واذا تحدثنا عن الصناعة ، فان هناك مقولة تردت دوما فى كتب التاريخ الحديث ، كما تردت فى كتب الاقتصاد والسياسة والاجتماع تقول ان الصناعة المصرية قد نشأت فى غمار نضال « وطنى » شنته البرجوازية المصرية ضد معوقات الاحتلال الأجنبى .

وليس من شك فى أن هذا القول فيه بعض الصحة ، كما أن فيه ايضا بعض الخطأ . ووجه الخطأ فيه أنه يتجاهل دور الرأسماليين الاجانب وأشبه الاجانب والمتمصرين فى عملية البناء الرأسمالى المصرى .

1) Henry Habib Ayrout — The Egyptian Peasant — Translated by John Alden Williams — Press Bostrom (1968) PP. 149.

(٢) مقال أفيجور بمجلة « ريفرلوسيدونى فوستوك » (الشرق الثورى) - المرجع السابق - ص ١٠٤ .

فالذى لا شك فيه أن أجهزة هذا البناء وهى المصارف وبنوك التسليف والرهن والبورصة والمصاربات المختلفة قد نشأت فى أغلب الاحيان بأيدى هذه الفئة من الاجانب والمتصرين ، وظلت والى أمد طويل وربما حتى الأربعينات احتكارا أو شبه احتكار لهم ٠٠ لقد « كانت البورجوازية الكبيرة كما تبدو غداة الحرب العالمية الثانية تنقسم الى فرعين يميز بينهما أصلهما التاريخى ٠٠ أما الفرع الأكثر قدما أى فرع المتصرين فلم يكن مصريا فى الاصل بل أوريبيا أو شرقيا نال الجنسية المصرية فيما بعد (يودانيون - أرمن - يهود من مختلف الأقطار ٠٠ الخ) هذا الفرع الذى دخل مصر مع انفتاحها على السوق العالمية ، ظل يسيطر فيها أو يكاد وحتى ثورة ١٩١٩ على أغلب مراكز النشاط الاقتصادى غير الزراعى التى أفلقت من السيطرة المباشرة للاجانب (الشبكات المالية المكتملة للاطار المالى الأورسى ، عمليات البورصة ، العمليات التى لم تكن تجذب رأس المال الاجنبى فى حقلى التصدير وتجارة الجملة) ٠

وكان هذا الفرع هو النخبة المحلية من رجال الأعمال التى كانت السلطة الاستعمارية تركز عليها والتى لم تكن لتستطيع أن تتبع الا لهذه السلطة ، لأنها لم تكن تملك قاعدة داخلية صلبة ، وكانت مقطوعة الصلة تماما عن الأمة المصرية ، هذه النخبة قطعت الطريق اذن ، فى أول الأمر ، على نمو برجوازية أعمال ذات طابع وطنى تاريخيا ٠٠ وعندما أخذت هذه البرجوازية بالنمو - فيما بعد - تمت على أرض المتصرين « الكوزموبوليتيه » وكانت فى معظم الأحيان على احتكاك بهم ، فلم تستعر تجربتهم فحسب ، بل استعارت أيضا ثقافتهم وأساليب حياتهم ، أما برجوازية الأعمال المصرية فعلا فبى - فى جملتها - من أصل ريفى ، ذلك أن الفئات المصرى القابل للتوظيف خارج الزراعة لم يكن يمكن أن يأتى فى الاصل الا من الريف ، أى من الملاك العقاريين الكبار » (١) ٠

وإذا شئنا المزيد من الايضاح الرقوى لهذه الفكرة لوجدنا العديد من الاحصاءات والحقائق ٠٠ لقد ظل رئيس اتحاد الصناعات وبشكل شبه مستمر أجنبيا أو ممتصرا ، كذلك ظلت هيمنة الاجانب معترف بها من الجميع على سوق الأوراق المالية وبورصة القطن ٠

(١) محمود حسين - الصراع الطبقي فى مصر من ١٩٤٥ الى ١٩٧٠ - ترجمة عباس بزى ، وأحمد واصل - دار الطليعة - بيروت - الطبعة الاولى - أبريل ١٩٧١ ص ٣٩ ٠

وكان نصيب المصريين في الشركات المشكلة من عام ١٩٣٤ وحتى عام ١٩٣٩ هو ٤٧٪ ونصيب الاجانب ٥٣٪ من رموس أموال تلك الشركات (١) فإذا أضفنا الى ذلك أن نسبة كبيرة من نصيب « المصريين » كانت في أيدي « المتصرين » من الاجانب أدركنا مدى هيمنة الأجانب أو أشباعهم على أسلوب تفكير ومعاملات ومنطلقات الرأسمالية في ذلك الحين .

والذا كان البعض قد اهتم - لأسباب سياسية - بدراسة مدى هيمنة اليهود وكانوا في غالبيتهم الساحقة من الاجانب أو المتصرين على الاقتصاد المصري في ذلك الحين فان الارقسام التي تحتويها هذه الدراسات يمكنها أن تعكس - بعضا - من نفوذ فئة المتصرين والاجانب على أبنية النظام الرأسمالي .

فقد قيل أن ٩٨٪ من العاملين في البورصة المصرية كانوا من اليهود (١) وقيل أيضا « أنه في عام ١٩٤٦ كان الرأسماليون اليهود يشاركون في ادارة وتوجيه ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨ شركات هي كل الشركات الموجودة في مصر آنذاك . وفي ميدان النشاط المالي ساهم اليهود في إنشاء وتوجيه البنوك وشركات التأمين وأهمها البنك العقاري المصري ، البنك الاهلي المصري ، البنك البلجيكي ، البنك التجاري المصري ، شركة الاسكندرية للتأمين ، شركة التأمين الأهلية » (٢) .

كذلك فان « أسرا » من أصل أجنبي مثل قطاوى ، هراوى ، موصيرى ،

1) Dr: Rashid Al-Brawy — Economic Development in the U.A.R (Egypt) Cairo; 1970,p.449.

ولزيد من التفاصيل راجع :

دكتور أيغور بيليايف ، دكتور أفغيني بريماكوف - مصر في عهد عبد الناصر - أشرف على تعريبه عبد الرحمن الخميسي - دار الطليعة - بيروت - للطبعة الأولى ، آذار (مارس) ١٩٧٥ . ص ٧ وما بعدها .

(١) د. على ابراهيم عبده ، خيرية قاسمية - يهود البلاد العربية - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - دراسات فلسطينية - ٨ يونيو ١٩٧١ . ص ٦٢ .

2) Murry Harris — Egypte under Egyptians - London 1952 P. 163

كوربيل ، سوارس ، وقد لعبت دورا هاما في النشاط الزراعى والعنارى
والمصرفى والصناعى (١) » •

وفى دراسة أكاديمية متخصصة نطالع التقييم التالى « يمكن القول
بصفة عامة ان الرأسمالية المصرية العائلية من منطلق الحرص على مصالحها
قد لعبت دورا بارزا فى تعميق التبعية للرأسمالية العالمية ولا سيما فى «لاقتها
مع الرأسمالية الاجنبية وقد اتضحت معالم تلك العلاقة فى الجوانب التالية :

(١) الارتباط الشديد بين رجال الدولة وبين العناصر الأجنبية ،
اذ حرصت هذه العناصر على الاستعانة بهم من أجل انجاز
مصالحتها وبذلك انخرط كبار رجال الدولة فى عالم الاعمال ' ما لانهم
من كبار الملاك الذين يديرون أعمالا ويسيطرون على السلطة بحكم
ما لديهم من ثروة ، واما لأنهم قد تم استقطابهم من قبل العناصر
الأجنبية والمحلية للاستفادة من سلطاتهم ونفوذهم ومن أمثلة هؤلاء
اسماعيل صدقى ، وحافظ عفيفى ، وحسين سرى ، وأحمد ريبور ،
ومحمد حافظ رمضان ، ومما لا شك فيه أن وجود مثل هذه العناصر
فى عضوية مجالس ادارة الشركات قد أثبت كيف استطاعت
الرأسمالية الأجنبية ان تظم إلى صفوفها كبار الاقتصاديين
والمنظمين وربطتهم بعملياتها ومشروعاتها ...

1).Gabriel Bear-A History of Landownership in modern Egypt, 1800-1950
(London—1952) P. 130

لمزيد من التفاصيل راجع • د • رفعت السعيد - اليسار المصرى والفضية
الاسطينية • دار الفارابى بيروت (ايلول ١٩٧٤) (الكتاب الثانى من هذا
المجلد) •

كذلك يمكن التأكد من هذه الظاهرة من مجرد مراجعة قوائم الخاضعين
لقوانين اصلاح الزراعى المتعاقبة وقوائم الذين خضعوا لقوانين التأميم ،
فان هذه المراجعة تكشف عن تواجد نسبة كبيرة من الاسماء الاجنبية فى كائنا
القائمتين (المؤلف) •

(٢) سامية سعيد امام - الرأسمالية المصرية (مقال) - مجلة اليقظة
العربية - ابريل ١٩٨٧ •

(ب) المشاركة بين رجال الاعمال المصريين ورجال الاعمال الاجانب
والخلف بين المال العام والمال الخاص الامر الذى عمق من تبعية
الاقتصاد المصرى للاقتصاد الرأسمالى ..

وكان من الطبيعى أن تكون محصلة هذا الوضع الاجتماعى الاقتصادى
السياسى الذى تقرب فيه قلة على قمة الهرم الاجتماعى المصرى مستحوذة على
السلطة والثروة معا ، أن ييسود نمط لتوزيع الدخل يحابى أصحاب الثروات
من مصريين وأجانب ضد أولئك الذين لا يملكون ..

وباختصار ، نريد أن نقول ان نمو البرجوازية المصرية قد 'تسم
بطابعين مميزين :

١ - أنها قد نمت فوق « وسادة » الأبنية المصرفية والرأسمالية
الأجنبية والمزدهرة وفى علاقة وثيقة معها ..

٢ - أنها نمت كامتداد لثقة كبار الملاك العقاريين ..

وكان لا بد لهذه الوضعية من أن تنعكس على هيمنة الشخصيات الممثلة
لكبار الملاك الزراعيين على مفاتيح السلطة فى المجتمع ، واستمرار هذه الهيمنة
برغم التطور الرأسمالى فى البلاد ..

فاذا ما نظرنا فى تركيب مجلس الشيوخ نجد أن نسبة كبار الملاك
الزراعيين فيه كانت كما يلى (١) :

مجلس الشيوخ وتاريخه	مجموع الاعضاء	عدد كبار الملاك	نسبتهم
الهيئة الأولى ٢٤ - ١٩٣٠	١٧٨	٨٨	٥٠٪
الهيئة الثانية ٣١ - ١٩٣٤	١١١	٥٧	٥١,٣٩٪
الهيئة الثالثة ١٩٣٦	٢٩٩	١٥١	٥٠٪

أما في مجلس النواب فان الامور لم تكن أفضل حالا ٠٠ فاذا أخذنا الدورات البرلمانية الخمس الأخيرة من الحياة النيابية في مصر فيما قبل ثورة يوليو وهى الدورات من السادسة (٣٦ - ١٩٣٨) حتى العاشرة (٥٠ - ١٩٥٢) (١) ٠

نجد ما يلى :

الهيئة النيابية وتاريخها	مجموع النواب	عدد كبار الملاك منهم	نسبتهم
السادسة (٣٦ - ١٩٣٨)	٢٣٢	١١٢	٤٨,٥٪
السابعة (٣٨ - ١٩٤٢)	٢٦٤	١٣١	٥٣,٩٪
الثامنة (٤٢ - ١٩٤٤)	٢٦٤	٩٣	٣٥٪
التاسعة (٤٥ - ١٩٤٩)	٢٧٥	١٢٣	٤٤,٣٥٪
العاشرة (٥٠ - ١٩٥٢)	٣١٧	١١٩	٣٧٪

أما الوزارات التى تشكأت في مصر منذ وزارة حسين رشدى في (٤/٥/١٩١٤) وحتى وزارة على ماهر (١٩٥٢/٧/٢٤) وعددها خمسون وزارة ، فقد كان متوسط نسبة الملاك الزراعيين فيها ٣٥,٨٪ (٢) ٠ وحتى في الوزارات التى شكلها حزب الوفد نجد أن الحزب كان حريصا على منح أغلبية مقاعدتها لكبار الملاك الزراعيين ، فوزارة مصطفى النحاس التى تشكأت في ٤ فبراير ١٩٤٢ كانت تضم ٦٣,٧٪ من كبار الملاك ، أما وزاراته التالية والتى أعيد تشكيلها في ٢٦/٥/١٩٤٢ فقد كانت تضم ٦٤,٢٪ من كبار الملاك ٠٠ وحتى في الصفوف القيادية لحزب الوفد كانت الغلبة دائما لكبار الملاك الزراعيين ٠ وعندما تكرنت أول لجنة مركزية لحزب الوفد كانت نسبة كبار الملاك الزراعيين فيها

(١) د. عاصم أحمد الدسوقي - كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصرى من ١٤ - ١٩٥٢ - دار الثقافة الجديدة - القاهرة ١٩٧٥ ٠ ص ٢١٣ ٠

وقد جرى تحديد كبار الملاك الزراعيين في هذا الإحصاء والاحصاءات التالية على أساس ملفات الخاضعين لقانونى الإصلاح الزراعى رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ ، ورقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١ ٠

(١) د. عاصم أحمد الدسوقي - المرجع السابق ، ص ٢١٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٠ ٠

١٩٣١/٨٣٪ وفي ديسمبر ١٩٣٢ ضم الوفد ١٢ عضوا جديدا الى قيادته كان منهم ٨ من كبار الملاك الزراعيين (١) ، وبعد أن وقع الوفد معاهدة ١٩٣٦ عاد ليعزز مواقع كبار الملاك الزراعيين في صفوف القيادة العليا فضم اليها أمثال « فؤاد سرايا الدين - محمد سليمان الوكيل - محمد المغازي عبد ربه - محمد الحفنى الطرزي - محمد محمود خليل - بشرى حنا ٠٠٠ » (١) .

وكان لابد لذلك كله أن يعود فينعكس حول قدرات البرجوازية على ممارسة القدر المتاح لها من السلطة ، وعلى الموقف العام للسلطة الحاكمة تجاه التطورات الاقتصادية والاجتماعية وتجاه النضال الوطنى بشكل عام ٠٠٠ وأبضا على تحديد مواقف اليسار المصرى تجاه السلطة وتجاه طبيعة المرحلة .

لكن ذلك كله لم يمنع البرجوازية المصرية من التمايز والتقدم في مجال النمو الاقتصادي كفته ذات مصالح مميزة ، ولعل ذلك أيضا قد بدأ على أيدي « الصناعيين » المتمصرين الذين أسسوا في عام ١٩٢٦ - وفي مواجهة المد النضالي العمالي والأزمة الاقتصادية المتفاقمة - « الاتحاد المصرى للصناعات » والذي سارع فور تكوينه « الى تقديم مذكرة الى الحكومة والبرلمان يوضح فيها رأيه في الظروف الملائمة لتعزيز النمو الصناعي في مصر ، وقد أعلنت المذكرة أن الاتحاد يمثل ١٤٠ صناعيا يمتلكون كل الصناعة المصرية التي قدرت رؤوس أموالها بأربعين مليون جنيه والتي توظف ما لا يقل عن ٢٠٠.٠٠٠ عامل ، أو مليون شخص بأحتساب عدد أسرهم » (٢) .

والحقيقة أن ظاهرة الذهو الرأسمالي قد تعرضت لعديد من الصعوبات والأزمات ، وقد انعكست الازمة الاقتصادية عام ١٩٣٠ انعكاسا خطيرا على سوق الأوراق المالية ، وإذا كانت الأدبيات الماركسية لا تعترف بتقنيات أسعار الاسهم كعنصر حاسم في التعبير عن الازمة الاقتصادية ، ذلك أنها تعتبر في نظرها مجرد عملية انتقال لفائض الارباح من جيوب مجموعة من الصناع الى جيوب مجموعة أخرى منهم ، وأنه يمكن أن يحدث نتيجة المضاربات أو عوامل وقتية ، فان ظاهرة الهبوط المستمر والحاد في أسعار الأوراق

(١) المقطم ١٩٣٢/١٢/٣ .

(٢) محمد زكى عبد القادر - أقدام على الطريق - ١٩٦٧ ص ٣٤٧ .

3) The Labour Monthly — The Strike Wave in Egypt — Article by J. B.- Volume 10—May 1928—P.303

المالية في بلد كان حديثا في مجال النمو الرأسمالي وتفتقد فيه عملية النمو الرأسمالي الى عنصر الاستقرار التاريخي - كانت تعبيرا عن احتراز الدعامات الرأسمالية في مصر و « باليومترا » يمكن أن تقاس به مدى حدة الأزمة .

انخفاض أسعار الأوراق المالية (١) (بالفرنكات)

الاسم	سعر السهم في ١٩٢٨/١٠/٣١	سعر السهم في ١١/٣١ ١٩٢٨	سعر السهم في ١٢/٣١ ١٩٢٨	النسبة المئوية لهبوط الأسعار ومقارنا بأسعار عام ١٩٢٨	النسبة المئوية لهبوط الأسعار ومقارنا بأسعار عام ١٩٢٨
الدين المصري المشترك	$87 \frac{2}{3}$	$81 \frac{1}{3}$	$74 \frac{1}{8}$	$7 \frac{1}{2}$	$10 \frac{1}{2}$
الدين الممتاز	$74 \frac{1}{3}$	$68 \frac{1}{3}$	$60 \frac{1}{3}$	$8 \frac{1}{3}$	$18 \frac{1}{2}$
القرض الزراعي	٩٩٤	$835 \frac{1}{3}$	٦٩١	$16 \frac{1}{3}$	$30 \frac{1}{2}$
البنك الأهلي	$36 \frac{2}{3}$	$31 \frac{1}{3}$	$28 \frac{1}{3}$	$12 \frac{1}{3}$	$21 \frac{1}{2}$
القاهرة هابوليس	٥١٦٠٥	٤٠٧٠٥	٢٩٥	$21 \frac{1}{2}$	$43 \frac{1}{2}$
	$7 \frac{2}{3}$	$1 \frac{1}{3}$	$1 \frac{1}{3}$	$11 \frac{1}{2}$	$79 \frac{1}{2}$

لكن الرأسمالية سرعان ما استعادت أنفاسها وأخذت في تحقيق أرباح خيانية .

ويشير احصاء رسمي الى أن شركة مساهمة قد مكنتها أرباحها في عام ١٩٤٠ « من دفع ١٥٪ ربحا للمساهمين نقدا ، وأعطت كل حامل خمسة أسهم مجانا فكانها أعطته ٧٥٪ ربحا في سنة واحدة من رأس ماله » (٢) .

وكانت الشركات تتمتع بحصانة كبيرة ليس مبعوثا فقط مكانتها « الرأسمالية » وإنما أيضا « أجنبية » كبار مساهميها . وإذا أردنا مثلا واحدا فلدينا مثال شركة مياه القاهرة ، ففي أعقاب تزايد شكوى الجمهور ، تشكلت لجنة وزارية في مارس ١٩٣٥ للبحث في تصرفات الشركة رفضت السماح للجنة بالاطلاع على حساباتها ، وبعد مجهودات طويلة توصلت الحكومة في عام ١٩٣٨ الى اتفاق مع الشركة ينص على أن تحصل الحكومة على ٤٠٪ من الأرباح التي تزيد عن شريحة من الربح مقدارها ٤٠٠.٠٠٠ جنيه سنويا .

1) L'Egypte Contemporaine — Prof : C. Blan Chard Mars 1931 — P866

(٢) محمد على علوية باشا - المرجع السابق - ص ٤١

وعند عرض الاتفاق على لجنة الشئون الدستورية في مجلس الشيوخ لاحظت اللجنة أن مجموع رأسمال الشركة ٢٢٣٩٠٠ جنيه بمعنى أن الشركة تريد أن تكسب أولا ربحا سنويا قدره ١٢٨٪ من اجمالي رأس المال ، ثم .نسمح للحكومة بالحصول على ٤٠٪ مما يزيد عن ذلك (١) .

وكانت الحرب العالمية الثانية فرصة المزيد من النمو الرأسمالى الصناعى على وجه التحديد « فخلال فترة الحرب نمت الصناعة بمعدل على ٥٥٪ سنويا » وزاد « انتاج صناعة النسيج بمعدل ١٤٥٪ فى العام الواحد ووصل انتاج الصناعة الكبيرة الصافى من ٤ ملايين الى ٢٣ مليون جنيه » (٢) .

وشهدت عمايه نمو الصناعة عملية موازية لها هى عملية تركزها
مقد « ازداد انسحاب المصانع الصغيرة من حلبة المنافسة ، ففي الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٥٠ نقص عدد المصانع الصغيرة التى تقل قيمة انتاجها السنوى عن ٥٠٠ جنيه من ٥٤٩٪ الى ٣٧٧٪ بينما ارتفع عدد المصانع التى يزيد انتاجها عن ١٠٠٠ جنيه من ٢٩٤٪ الى ٣٩٦٪ ، وكذلك ارتفعت نسبة المصانع التى يتراوح انتاجها بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ جنيه من ١٥٧٪ الى ٢٢٧٪ » (٣) .

ويظهر التركيز أيضا من الاحصاء التالى « بعد الحرب العالمية الثانية وطبقا لاحصاء ١٩٤٥ أصبح ٣٢٪ من عمال المصانع يشتغلون فى مصانع يستخدم كل منها ٥٠٠ عامل فأكثر وعددها ٤٥ مصنعا فقط » (٤) .

لكن هذا النمو الصناعى بوجهيه (الاتساع والتركيز) قد تلازم مع ظاهرة أخرى هى الافتقار المستمر لجماهير العمال وجموع الشعب عموما .

ففى عام ١٩٤٢ كان متوسط الأجر الشهري للعامل الصناعى ٢٩٣ قرشا فقط (٥) .

(١) المرجع السابق ص ٨٧ .

(٢) محمود حسين - المرجع السابق - ص ٦٤ .

(٣) د . جمال الدين محمد سعيد - المرجع السابق - ص ١٣٠ .

(٤) البنك الاهلى - النشرة الاقتصادية - المجلد الاول - الدور الثالث .

أكتوبر ١٩٤٧ . ص ١٢٨ .

وأنظر أيضا : شهدى عطية الشاعى - تطور الحركة الوطنية المصرية -

ص ٨٩ .

(٥) عبد المنعم الغزالى - تاريخ الحركة النقابية المصرية - دار الثقافة

الجديدة - عام ١٩٦٨ - ص ٢٠٦ .

ويلاحظ حافظ عفيفى باشا أن احصاء رسميا يعترف بأن « أربعة ملايين شخص من سكان مصر يعيش الفرد منهم بايراد يقل عن جنيه واحد في الشهر أى بنحو ثلاثة قروش في اليوم » (١) .

ويلاحظ أيضا أن الضرائب غير المباشرة أى التى يقع عبؤها على الطبقات المتفيرة تمثل ٧٥٪ من الإيرادات العامة (٢) ، وأن مرتبات الموظفين ومعاشاتهم تستغرق ٤١٪ من اجمالي مصروفات الدولة (٣) .

وكان النهب مزدوجا ٠٠ الرأساليون (مصريون ومتمصرون وأجانب) متهبون بأقصى ما يستطيعون ، وسلطات الاحتلال تنهب هى أيضا كل مايصل الى يديها ٠٠ والأمثلة عديدة منها انتهاز السلطات البريطانية فرصة ربط الجنيه المصرى بكتلة الاسترليني ولجؤها الى اصدار سندات على الخزانة البريطانية واستخدامها كغطاء مالى لما يصدر من أوراق نقد مصرية تتسلمها السلطات البريطانية لتشتري بها كل ما تريد من السوق المصرية وتسد بها أجور جنود الاحتلال والعاملين في المعسكرات ، وقد بلغت هذه الأرصدة رقما خياليا بالنسبة لبلد كمصر في ذلك الحين وهو ٤٤٠ مليون جنيه استرليني (٤) .

وقد أدى ذلك - بطبيعة الحال - الى تزايد شديد في كمية الصادر من النقد الورقى (٥) .

السنة	الصادر من النقد الورقى بالمليون جنيه
١٩٣٩	٢٨
١٩٤٠	٣٩
١٩٤١	٥٣
١٩٤٢	٧٩
١٩٤٣	١٠١
١٩٤٤	١٢٢
١٩٤٥	١٤٨

(١) حافظ عفيفى باشا . على هامش السياسة المصرية - ص ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٥٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٣٢ .

(٤) مصطفى مؤمن - صوت مصر - مطبعة دار الكتاب العربى (١٩٥١)

ص ٤٩ .

(٥) راشد البراوى - المرجع السابق ص ٢٨٢ .

كذلك فان « مصلحة الجمارك قد أعفت السلطات البريطانية في مصر من ضرائب مستحقة على السلع المستوردة طيلة مدة الحرب بلغت قيمتها ٦١٧٧٢٠٧٩٠ جنيها مصريا أما مجموع الضرائب التي تنازلت حكومتنا عن تحصيلها عن البضائع المصدرة فبلغت قيمتها ١٠٢٢٩ر١٨٨ر١٠ جنيها » (١) .

وكان طبيعيا في ظل هذا النهب المزودج ، وفي ظل التضخم الذي فرض فرضا نصالح سلطات الاحتلال أن ترتفع الأسعار بصورة لم يسبق لها مثيل في مصر . . .

الارقام القياسية للأسعار (٢)

الرقم القياسي	السنة
١٠٠	١٩٣٩
١٢٤	١٩٤٠
١٥٥	١٩٤١
٢٠٠	١٩٤٢
٢٥٣	١٩٤٣
٢٩٩	١٩٤٤
٣١٧	١٩٤٥



ومع كل نمو للرأسمالية كانت الطبقة العاملة تنمو هي أيضا ، تلك طبيعة الأمور ، وذلك هو قدر الرأسمالية الذي لا مفر منه .

(١) مصطفى مؤمن - المرجع السابق - ص ٥٠

(٢) فوزى جرجس - دراسات في تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى - مطبعة الادار المصرية ، ١٩٥٨ - ص ١٨٠ (نقلا عن دراسة أعدتها الأمم المتحدة عن التطورات الاقتصادية في الشرق الاوسط بين عام ١٩٤٥ و ١٩٥٤ - ص ٢٧) .

وكان « سعد زغلول » هو صاحب الفكرة ، وكرس لها الكثير من جهده ، وكلف بهذه المهمة واحدا من أكفأ مساعديه « عبد الرحمن فهمى بك » لكن محاولة « لوى عنق » حركة الطبقة العاملة لم تنجح ولم يلبث العمال أن انفضوا عن اتحاد العمال « الوفدى » (١) .

لقد عجزت النقابات (الوفدية) عن أن تصبح منبرا نصاليا رمن ثم بأنه « نظرا للطبيعة غير المرضية على الاطلاق لهذه النقابات كأداة للدفاع عن مصالح العمال ، فقد انفض العمال عنها ، الامر الذى أدى الى انهيارها . وبينما كان عدد المنضمين الى النقابات « الزغلولية » (الوفدية - المؤلف) قد وصل فى عام ١٩٢٦ الى ٣٥٠٠٠ عامل ، فانه سرعان ما هبط فى عام ١٩٢٧ الى ١٣٠٠٠ فقط . وفى بعض النقابات بلغت نسبة الانخفاض فى العضوية حتى الى ٦٠٪ و ٧٠٪ وهكذا فقدت هذه النقابات مبرر وجودها صلا » (١) .

وبرغم ذلك فان العمال كانوا حريصين دوما على ايجاد تنظيمااتهم النقابية المستقلة ، ففي عام ١٩٢٧ كان هناك « مائة وعشرون نقابة تضم حوالي ٥٠٠٠٠ أو ٦٠٠٠٠ عامل » (٢) .

ومع تردى الاوضاع السياسية ، وقيام سلسلة من حكومات الاقلية التى اعتمدت أساسا على القمع السافر لخصومها السياسيين ، ومع تصاعد محاولات مختلف القوى للتنمّل الى الحركة النقابية والسيطرة عاها ، بدأت سلسلة من المحاولات لفرض « زعماء » زائفين على الحركة النقابية ، بالاضافة الى محاولة الوفد التى منيت بفشل ذريع بعد عامين فقط من قيامها ، السراى حاولت وقدمت « زعيما » مضحكا للغاية هو اناجار حلاذ (باشا) ، والأحرار الدستوريين - حزب الاقطاع - حاولوا هم أيضا وكانت محاولتهم بزعامة داود راتب (بك) ، وكان هناك أيضا النبيل عباس طيم ود* محجوب ذانيت * ومحاولات أخرى عديدة » (٤) .

(١) لمزيد من التفاصيل راجع * د. رفعت السعيد * تاريخ الحركة الاشتراكية - المرجع السابق ، ص ٢٥١ وما بعدها .

2) The Labour Monthly — The Strike wave in Egypt, Volume 10 May 1923 -- P. 309.

3) The Labour Monthly — Capitalism and Trade — Unionism in Egypt -- Volum 9 — November 1928 — P. 683.

(٤) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع راجع :
عبد المنعم الغزالى - تاريخ الحركة النقابية المصرية - المرجع السابق
وأیضا - رؤوف عباس - الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ - ١٩٥٢ دار
الكتاب العربى - ١٩٦٧

ان الطبقة العاملة المصرية التى تواجدت فى جينزيات غير غاعلة - سياسيا أو اجتماعيا - فى مطلع القرن العشرين ، والتى كانت تحركاتها الاولى مجرد انعكاسات للبروليتاريا الاجنبية الموجودة بكثرة فى مصر والتى كانت بالضرورة أكثر وعيا وأكثر تنظيما وأكثر تمتعا بحرية الحركة وحرية الفعل بموجب الامتيازات الممنوحة للاجانب (ايطاليون - يونانيون - أرمن) (١) سرعان ما تحركت لتلعب دورا ثانويا وان كان مؤثرا فى ثورة ١٩١٩ وسرعان ما تلقفت حركتها الطبقية والوطنية الواعية أحضان الحزب الشيوعى المصرى الوليد فى ذلك الحين ، ليزداد كل منهما - كنتيجة لهذا الالتقى - قوة وفعالية ، ويبلغ عدد العمال المنضمين الى اتحاد العمال « الشيوعى » حوالى ٢٠ ألف عامل (٢) .

وتوالى الاضرابات والاعتصامات بصورة جعلت من الطبقة العاملة « محورا » بارزا من محاور العمل السياسى والاجتماعى فى العشرينات ، وكما كان التحالف الوثيق بين الحزب الشيوعى المصرى وحركة الطبقة العاملة المصرية سببا فى نهوضهما معا واتساع النفوذ السياسى والاجتماعى لكل منهما ، فان هذا التحالف - كان فى ذاته - أحد أسباب قرار الاحتلال والسراى والاقطاع والبرجوازية معا باستخدام سياسة القبضة القوية ضدهما ومحاولة سحقهما وتركيز النيران عليهما ..

وهكذا بدأت محنة عام ١٩٢٤ للحزب وللطبقة العاملة معا .

واذا كانت الخطأ التى رسمتها الرجعية هى اجتثاث جذور الحزب الشيوعى المصرى ، فانها لم تكن تستطيع حيال الطبقة العاملة سوى محاولة « امتطائها » بقيادات برجوازية وانتهازية وعميلة .

(١) لمزيد من التفاصيل عن نشاط البروليتاريا الاجنبية فى مصر فى هذه الفترة راجع :

« د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥ - الطبعة الثانية - ١٩٧٥ - دار الثقافة الجديدة - القاهرة ص ١٥٨ وما بعدها .
« وراجع أيضا :

Walter Laquer — Communism and Nationalism in the middle east —
PP. 223

(٢) الاهرام ١٩٢٤/٢/٢٢ ، ١٩٢٤/٣/١٩

٠٠ لكن الشيء الملحوظ هو أنه مع محاولات التسلل البرجوازي والافطاعي لصفوف الحركة النقابية كان العمال ينفضون سريعا عن هذه التجهعات النقابية ليتركوها في عزلة قاتلة ٠٠ وهكذا ما أن يأتي عام ١٩٣٢ حتى يتدهور عدد النقابات الى « ٣٨ نقابة منها ثلاث فقط تضم أكثر من ألف عامل » (١) لكن انفضاض العمال عن التشكيلات النقابية لم يكن يعنى بأية حال سكونهم عن الكفاح الطبقي ، فقد توالى الاضرابات العمالية دون توقف بل لهاها تصاعدت أكثر ما تصاعدت في سنوات الكبت ، فبالاضافة الى انتفاضة عمال غنابر السكك الحديدية الشهيرة عام ١٩٣١ كان هناك اضراب عمال النرسانة (أغسطس ١٩٣٢) وعمال النقل بمينا الاسكندرية (أكتوبر ١٩٣٢) وعمال شركة اتوبيس ثورنيكروفت (يونيو ١٩٣٣) وعمال طرق النحاس بالقاهرة (يونيو ١٩٣٣) - وعمال نقل الفحم بميناء الاسكندرية (فبراير ١٩٣٥) - وعمال نقل بذرة القطن بالميناء (فبراير ١٩٣٥) - وعمال مصانع الزيوت بالاسكندرية (يونيو ١٩٣٦) - عمال شركة أقطان كفر الزيات بالاسكندرية (يوليو ١٩٣٦) - عمال شركة الغزل الأهلية وعمال شركة السكر بالحوامدية (يوليو ١٩٣٦) ٠ وقد صاحب هذه الاضرابات اعتصامات ومصادمات مع البوليس وقد نجح عمال شركة السكر في احتلال المصانع والسيطرة عليها لفترة من الوقت ، كما أن بعض هذه الاضرابات ، قد استمر لفترة طويلة من الزمن مثل اضراب عمال ترام الاسكندرية الذي استمر ٣٦ يوما (٢) ، وقد تصاعدت هذه الموجة من الاضرابات الى الحد الذي دفع الحكومة الى تشكيل لجنة حكومية لبحث أسباب الاضرابات في يوليو ١٩٣٦ (٣) والى الحد الذي دفع حزب (الوند) الى بذل محاولة جديدة للسيطرة على الحركة العمالية تولى قيادتها هذه المرة حمدي باشا سيف النصر ، وتبوء هذه المحاولة - هي أيضا - بالفشل ، ويتصاعد النضال الطبقي للعمال في موجة اضرابية كاسحة في عام ١٩٣٨ بدأها عمال مصنع المحلة الكبرى للنسيج تحت قيادة لجنة سرية ، ثم مالبت الاضراب أن ينتشر ليشمل مختلف تجمعات عمال النسيج ، وتركزت المطالب على زيادة الاجور وعلى شرعية تشكيل النقابات ٠

وهكذا اثبتت الطبقة العاملة وعلى الدوام - قدرتها على النضال الطبقي المستقل ، ورفضها لتسلط البرجوازية على تشكيلاتها بل وفي بعض

(١) وزارة الشؤون الاجتماعية - الادارة العامة للعمل - تقويم النقابات والاتحادات العمالية في جمهورية مصر - دار الجمهورية للطباعة ديسمبر ١٩٥٦ - ص ٢١ - ٢٤

(٢) الاهرام : مجموعة الفترة من ١٩٣٢ حتى ١٩٣٦ ٠

(٣) عبد المنعم الغزالي : المرجع السابق ص ١٧٠ ٠

الأحيان استطاع القادة النقابيون الثوريون تحويل مسار التجمعات النقابية التي أسستها البرجوازية ليجعلوا منها تجمعات عمالية بالفعل ، فقد استطاع عدد من الماركسيين العاملين في صفوف الحركة النقابية في نهاية الثلاثينات الاستفادة من التناقضات العنيفة بين الوفد والنبيل عباس حلمي ليتولوا بهم ولفترة محدودة زمام الأمور في حزب العمال الذي أسسه عباس حلمي ولعلنوا هويته الاشتراكية وليقدموا له برنامجا متقدما غاية التقدم (١) .

وعندما تولى الوفد الحكم في أعقاب أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ وما صحب ذلك من هبوط حاد في شعبيته ، شدد للعمال من ضغطهم طالبا لحقهم القانوني في تأسيس نقاباتهم ، وخضع الوفد - في محاولة لاستعادة شعبيته - وصدر القانون ٨٥ لعام ١٩٤٢ الذي سمح لعمال الصناعة بتأسيس نقاباتهم . الأمر الذي أتاح أمام العمل النقابي أن ينشط ووصل عدد النقابات في عام ١٩٤٤ إلى ٢١٠ نقابة ، وفي عام ١٩٤٦ إلى ٤٨٨ نقابة وفي عام ١٩٥٢ إلى ٥٦٨ نقابة (٢) .

ومع اقتراب الحرب العالمية الثانية من نهايتها بدأت نذر البطالة تتجمع من جديد ، فالعمال وجدوا خلال فترة الحرب فرصا كبيرة للعمل في العسكرية والورش التي أقامتها قوات الاحتلال البريطاني والقوات الأمريكية والتي استوعبت عددا وصل لى ٣٠٠.٠٠٠ عامل (٣) ومع زيادة الطلب على العمال وخاصة المهرة منهم اضطرت القوات الإنجليزية والأمريكية الى دفع أجور سخية نوعا ما لعمالها . . . وفجأة ينساب هذا الرتم كله ودفعة واحدة الى ساحة البطالة .

وهكذا تقبل الموجة الشيوعية الجديدة لتجد المساحة العمالية مهيأة تماما . . . الطبقة العاملة مسلحة بخبرات نضالية خصبة ، ومدركة - وعلى امتداد تاريخها - لمخاطر التسلل البرجوازي الى صفوف قيادتها ورافضة لذلك ، وفي نفس الوقت جيوش من العمال المهرة وغير المهرة متعطلون عن العمل . .

(١) د . رفعت السعيد - عصام الدين حفنى ناصف - سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي . دار الثقافة الجديدة . القاهرة . ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) وزارة الشؤون الاجتماعية . الادارة العامة للعمل - تقويم النقابات والاتحادات العمالية في جمهورية مصر . المرجع السابق . ص ٢٤

3) U.S. Congress - House - Committee on Foreign Affairs — Strategy and tactics of world Communism — Report of Sub — Committe No 5 (Washington, D. C. — 1949) PP. 20 — 21.

وهكذا ومع عودة التلاحم - من جديد - بين صفوف الحركة الشيوعية والحركة العمالية تنمو كل منهما وتزداد قوة بصورة لم يسبق لها مثيل . .

ويعلق أحد الباحثين على هذه الفترة من تاريخ مصر قائلاً : « كانت مصر تموج بحالة من عدم الاستقرار السياسى تكاد تصل بها الى حافة الهستيريا . وكان الوضع فى مصر شبيها بوضعها فى عام ١٩١٩ مع فارق واحد هام . ففى عام ١٩١٩ كانت القيادة فى أيدي الفئات العليا من المهنيين ، والبرجوازية الوليدة ، أما فى ١٩٤٥ فقد انتقلت المبادرة الى أيدي الفئات الدنيا من الطبقة الوسطى والبروليتاريا الصناعية . . . واقتحم الشيوعيون المصريون الميدان بجسارة فائقة وسرعان ما وطدوا مواقعهم فى الفئات العمالية (١) » .



ولم يكن المثقفون بأفضل حالا . . . كانت الثقافة تعاني من التدهور والاضمحلال ، بينما عجز مثقفوا البرجوازية المصرية عن ملء الفراغ ، وربما كانت هذه الظاهرة واحدة من الظواهر التى لم تحظ بعد بدراسة دقيقة ، وليس هنا مجال هذه الدراسة ، ولكننا نكتفى بإبراز أسباب ثلاثة لعبت - فى اعتقادنا - دورا فى قصور ثقافة البرجوازية عن أن تنمو فى مواكبة متطلبات العصر ومتطلبات المجتمع المصرى . .

١ - الضعف الاقتصادى لهذه الطبقة واستمرارها فى لعب دور الذئب الأصغر للرأسماليين الاجانب والتمصرين ، وظفيلية تكوين قطاعات هامة منها نظرا لطبيعتها الكومبرادورية .

٢ - نشأت هذه الطبقة فى تلامس مع وعاء طبقى ذو طبيعة خاصة هو البرجوازية الاجنبية أو المتحصنة وهى ذات ثقافة غربية صرفة مرتبطة وجدانيا ولغويا بأوروبا ومنعزلة تماما عن التراث الحضارى لمصر ، الأمر الذى دفع البرجوازيين المصريين الى محاولة « التعلق » بظواهر « غربية » انزيع ، مجارة وتقليدا للمستوى العام السائد فى الصفوف المهيمنة فى الوعاء البرجوازى، لكن هذا التعلق كان فى أغلب الاحيان « ظاهريا » وفشل حتى فى تفهم المحتوى الأساسى للثقافة الغربية .

٣ - ان البرجوازية المصرية - كما رأينا من قبل - لم تنشأ فى صراع مع الاقطاع وانما كامتداد له . وليس من شك فى أن المالك الزراعى الكبير الذى

(1) M. S. Agwani — Communism in the Arab East — Asia Publishing house-India. — 1969 — P. 44.

يحول تراكمات الربيع تجاه الصناعة بحثاً عن ربحية أعلى ، لا يستطيع أن يغير بسهولة من أفكاره وتقاليده واتجاهاته العقلية ، وهكذا نشأ في مصر صراز غريب من الرأسماليين الذين يفكرون بعقلية الاقطاع ويمارسون أسلوب حياته ، بل ونمط استغلاله في قطاع الزراعة .

وكان طبيعياً أن ينعكس ذلك كله على المحتوى العام للثقافة البرجوازية ، وعلى متقن هذه الطبقة . وكان طبيعياً - أيضاً - أن تقتزن محاولات التجديد في مجال الفن والادب والثقافة بشكل عام بطابع التمرد الشامل على المجتمع شبه البرجوازي شبه الاقطاعي بأسره .

وعندما دعا رمسيس يونان (جماعة الفن والحرية) الى المدرسة السريالية حرص على أن يؤكد « أن مدرسة السيراليزم هي في صميمها دعوة اجتماعية أخلاقية قبل أن تكون مذهباً فنياً » (١) .

وعندما أقامت جماعة « الفن والحرية » معرضها التشكيلي الثاني أعلنت في نشرة المعرض أن هدفها هو « إثارة التعجب في أذهان الجماهير ، لأن التعجب كثيراً ما يكون مقدمة لإثارة الوعي النفسى ولبعض الانقلابات الفردية والاجتماعية » (٢) .

وكانت مجلة التطور تتحدث عن « الظلم الذى يلهب فينا العدل » ويكتب عصام الدين حنفى ناصف رواية « عاصفة فوق مصر » ليثير بها عاصفة في أفق النقد الادبى وخاصة عندما يصبح أحد أبطال روايته في وجه الاقطاعيين منذراً « بثورة اشتراكية وشيكة » (٣) وكتاب آخرون بصورون بشاعة المجتمع الرأسمالى الذى يقيم مدناً جميلة ومساكن أنيقة للانسياح بينما الفقراء « أجسام بغيضة لا حياة فيها ، كانت المدينة تتعذب بوجودهم ، كانت المدينة تتعذب برؤيتهم ، كانوا أشبه ما يكونون بوخزات الضمير . . وخزات ضمير متأصلة في أعماق الارض . ورغم كل ذلك لم يكونوا يريدون الموت . كان استجداء قطعة من الخبز من الذين انتزعوا منهم كل شيء هو بالنسبة لهم فرصة للحياة » (٤) .

(١) رمسيس يونان - غاية الرسام العصرى - مطبوعات جماعة العناية الفنية - ١٩٣٨ ص ٥٢

(٢) مجلة الفنون - المجلد الاول - العدد الثانى - ربيع ١٩٧١ ، محمد شفيق - مقال رمسيس يونان وجيل التمرد - ص ٨٠

(٣) عصام الدين حنفى ناصف - عاصفة فوق مصر . ص ٣٨ .

(٤) مجلة التطور - أبريل ١٩٤٠ - البير قصيرى (قصة) - قتل الحلاق امرأته .

وتلخص مجلة « التطور » كل تسمرد المثقف والفنان المصرى على أطر المجتمع القائم فى عبارة صاعقة « الفن معمل بارود » .

وكان التمرد فى صفوف المثقفين يستند الى وضعية اقتصادية فسدوا فى ظلها القدرة على الحياة المستقرة ، كانت البطالة متفشية فى صنوفهم بصورة لم يسبق لها مثال ، وكان خريجو الجامعات والمدارس يتراكمون عاما بعد آخر فى سوق البطالة . .

وقد قام أحد الدارسين ببحث ميدانى عن حالة خريجى مدرسة التجارة المتوسطة بالاسكندرية عام ١٩٣٧ وعددهم ٩٨ خريجا فوجد أن (١) .

- ٦ توظفوا بالحكومة .
- ٣ توظفوا بالشركات .
- ٨ زاولوا عملا حرا .
- ١ يتم تعليمه .
- ٧٦ عاطلون .
- ٤ حالتهم مجهولة .

وكانت مرتبات الموظفين دون الكفاف ، وباختصار فان المثقف المصرى لم يكن أقل استعدادا من الفلاح والعامل للتحرك الثورى بانتجابه تغيير جذرى للمجتمع .

وهكذا فتح الباب أمام المثقف المصرى كى يتجه يسارا . .



وفى مجابهة احتمالات تفجر العمل الثورى ، كان من الطبيعى أن تسارع الفئات الأكثر ذكاءا واستنارة فى الطبقات الحاكمة نحو « الاصلاحية » أملا فى استيعاب السخط ولو مؤقتا . .

وقد اتخذت « الاصلاحية » المصرية مسالك عدة ، لكنها تركزت فى الاساس حول محاولات مختلفة لتغيير خريطة الملكية الزراعية . .

ففى عام ١٩٣٥ وفى المؤتمر الوفدى الكبير تبنى حزب الوفد برنامجا ينادى باستصلاح الاراضى وتوزيعها قطعا صغيرة لا تتجاوز الخمسة أفدنة (٢) .

(١) عبد الحميد عفيفى مطر - التعليم والمتعطلون فى مصر - ص ٢٥٠
(٢) جاء هذا الاقتراح ضمن بحث قدمه الى المؤتمر محمود بسيونى بعنوان « شئون الفلاح واصلاح القرية » - الأهرام ١٩٣٥/١/٩ .

وتكونت جماعة النهضة القومية بمبادرة من عدد من « الاصلاحيين »
الذين قدموا برنامجا متكاملًا في اطار اصلاحي صرف .

وقد صدر اعلان عن « جماعة النهضة القومية » تحت عنوان « عهد
وجاء فيه :

« ١ - تأسست في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٤٤ « جماعة النهضة للقومية »
ومقرها مدينة القاهرة .

٢ - ترمى الجماعة الى بعث الشعور الوطني الحق وادعائهم النهضة المصرية
على أسس سياسية واجتماعية واقتصادية سليمة ، وتسعى بوجه خاص الى
تكوين رأى عام مستنير يتقبل مبادئها عن الاقتناع ويضطلع بنشر رسالتها .

٦ - تشرف على الجماعة لمدة سنة هيئة ادارية مكونة من أعضائها الموقعين
أدناه . . . »

أما الموقعون فلهم : ابراهيم مذكور - مريت غالى - محمد زكى عبد القادر -
يحيى العلايلى - محمد على الغتيت - محمد سلطان - عبد الملك حمزة - وديع
فرج .

ثم أصدرت الجماعة « برنامج النهضة القومية » وقد تضمن نقاطا
هامة من بينها :

- تأييد قضية السلام والامن الدولى ، والمساهمة فى القانون العالمى
على أساس العدل والمساواة وحرية الشعوب .

- استكمال الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وعدم الاعتراف بأى
مركز ممتاز لدولة أجنبية ، وتعديل معاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا على
هذا الأساس .

- اعدام النظام السياسى وضمان نزاهة الانتخابات والفصل فى الطعون

- انشاء محكمة عليا للنظر فى دستورية القوانين والمراسيم والفصل
فى تنازع الاختصاص بين السلطات .

- بث روح العدالة الاجتماعية فى الحياة المصرية وتأييد حق كل فرد
فى أن يعيش عيشة تتفق مع كرامة الانسان وأن يحمى نفسه ضد البطالة
والمعجز عن العمل .

- رفع مستوى الفلاح بنشر الملكية الصغيرة والمحافظة عليها وتقبيد
الملكية الكبيرة ، وتنظيم الايجارات الزراعية ، وادعام الحركة التعاونية فى
الانتاج والاستهلاك .

- تحقيق مرحلة من التعليم العام ، موحدة في ثقافتها القومية وتوجيهها الوطنى ، تتحمل الدولة أعباءها ويشتترك فيها أبناء مصر جميعا دون استثناء والتوسع فى التعليم الفنى والعالى بها يتناسب وظروفنا العامة « (١) .

وكان هناك أيضا مشروع محمد خطاب (عضو مجلس الشيوخ عن الحزب السعدى) ويستهدف الحد من زيادة الملكيات الكبيرة . . . حيث تنص مادته الاولى « كل شخص يملك خمسين فداناً أو أكثر من الأراضى الزراعية لا يجوز أن تنتقل الى ملكيته أرض زراعية جديدة وكل عقد يردى الى ذلك يعد باطلا ولا يقبل تسجيله » .

وبالمرجع محل نقاش ونزاع أمام لجنة « دراسات الملكيات الزراعية » بالمجلس من ١٥ - ٢ - ١٩٤٤ حتى ١٦ - ٧ - ١٩٤٧ وكان رئيس اللجنة فؤاد سراج الدين باشا ومقررها أحمد أبو الفتوح باشا وأعلنت اللجنة رفضها الاجماعى للمشروع بحجة أنه « تعسفى وفيه تمييز بين مختلف طبقات الأمة » (٢) .

لكن « الاصلاحية » حاولت أن تمد نطاقها الى مجالات أخرى . . ففى عام ١٩٣٦ تنبىه على ماهر باشا الى خطورة المشكلات الاجتماعية فأسس « المجلس الاعلى للإصلاح الاجتماعى » ، وذلك بهدف « مراقبة أحوال التطور الاجتماعى للبلاد ، والنظر فى الوسائل والتدابير والاصلاحات التى ترمى الى توجيه هذا التطور وتوجيها يتسق مع خصائص الشعب المصرى وتقاليده وملكوته » (٣) .

وفىما يتعلق بالعمال كان الوفد سباقا هو أيضا بالمحاولات « الاصلاحية » فكان هو صاحب قانون النقابات (القانون ٨٥ لسنة ١٩٤٢) والحقيقة أن الدلالة الهامة لهذا القانون والارضية الفكرية التى نبع منها يمكنها أن تنضج من تقرير لجنة شئون العمال والشئون الاجتماعية فى مجلس النواب الذى جاء فيه « لقى فريق من أصحاب العمل من صناع وتجار - ممن نصبوا

(١) د* رؤوف عباس - جماعة النهضة القومية - دار الفكر للدراسات - القاهرة (١٩٨٦) - ص ١٩٨٦ - ص ١٨٥ وما بعدها .

وأىضا : مريت غالى - سياسة الغد - المرجع السابق - ص ٤٢ - ٤٣

(٢) مجلس الشيوخ - مجموعة ملاحق دور الانعقاد الثانى والعشرين ص ٨٢٧ - ٨٢٨ .

(٣) المرسوم بقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٦ بإنشاء مجلس أعلى للإصلاح الاجتماعى .

أنفسهم للكسب والثراء وجعلوه قبلتهم - وغايتهم - من كثرة الاجراء وعظيم تزارحهم ، فرصة للسيطرة والتحكم فيهم فقدروا أجورهم بما شاءوا وحددوا لنهم ساعات عملهم ٠٠٠ وكان طبيعيا بعد ذلك أن يشعر العمال بأن أصحاب العمل انما يسخرونهم في خدمتهم ويستنزفون قوتهم لاقامة ثرواتهم والاستزادة من أرباحهم ، فتذاكرت قلوبهم وساءت علاقاتهم وساد جمعهم جو من الاضطراب والقلق (١) » .

لكن الغريب في الأمر هو أن الرجعية المصرية كانت من ضيق الأفق والتشبث بمكاسبها بحيث رفضت كل جوانب « الإصلاحية » واتهمتها « بالبلشفية والشيوعية » وذلك برغم أن بعض هذه النزعات قد أعلن عن نفسه صراحة كسبيل لدرء مخاطر العمل الثورى ٠٠ فمحمود كامل المحامى يعد مشروعا بتوزيع الأراضي البور على صغار الفلاحين قائلا أن الطبقة الجديدة التى ستنشأ نتيجة لهذا التوزيع « ستكون خير ضمان للقضاء على كل احتمال لنشوء آراء اجتماعية كالتى تفشت في بعض دول أوربا وآسيا القريبة وهى الآراء التى تؤمن بأنها شر وبيل ويجب الاحتياط لتطهير هذا الوطن من جرثومته النخبية » (٢) .

لكن ضيق الأفق يعطى ٠٠

ويصل الأمر الى حد أن بعض النواب كانوا يعارضون التعليم الإلزامى لأنه ، يؤدى الى أن يتحول أصحاب الجاليب الزرقاء الى أصحاب جاليب مكرية « ولان التعليم « يجعل من الصعب عليهم أن يهدسوا بالنأس بعد ذلك (٣) » .

وعند مناقشة قانون التعليم الاولى فى مايو ١٩٣٣ قال وهيب دوس من فوق منصة مجلس النواب ان تعليم أولاد الفقراء « يعد طفرة كبرى

= راجع أيضا : محمود عزمى - الايام المئة - على هامش التاريخ المصرى الحديث ، عهد وزارة على ماهر باشا - مكتبة النهضة المصرية ص ٩٣ .
(١) الغزالى - المرجع السابق - ص ٢٠٢ .

(٢) محمود كامل المحامى . مصر الغد تلحت حكم الشباب (١٩٣٩) ص ٢٨ و ٣١ ، ١١٠ .

(٣) مجلس النواب - مضبطة جلسة ١٩٣٧/٦/٩ (مناقشات النائب عوض أحمد الجندى - والنائب السيد محمد البجراوى عاشور) .

لأنه خطر اجتماعى هائل لا يمكن تصور مداه ، لانه لن يؤدى الا الى زيادة عدد المتعلمين المعاطلين ، بل يؤدى الى ثورات نفسية حين يتعلم ابن الصراف وابن الساعى « وطالب « بقصر التعليم على أبناء القادرين (١) » .

وضيق الامق هذا لم يكن قاصرا على كبار الملوك الزراعيين بل لعله امتد ايضا الى غلاة الرأسماليين فعندما أعد محمد زكى عبد القادر بحثا عن « البطالة ووسائل علاجها » استدعاه طلعت حرب باشا وأنبه قائلا « ان الدعوة الى اذخال نظام التأمين الاجتماعى على العمال يعرقل نمو الصناعات ويؤدى الى متاعب جمة فضلا عن أن فيه تفتيحاً للأذهان (٢) » .

والإتهام « بالبلشفية » كان سريعا ما ينطلق في وجه أية دعوة اصلاحية حتى ولو جاءت من الحكومة ذاتها فعندما اختلف أحمد ماهر باشا مع النحاس باشا تحدث في اجتماع الهيئة الوفدية في ٢٣/١٢/١٩٣٧ منتقدا حكومة الوفد لأنها « أغدقت النعم على العمال حتى أبطرتهم وجراتهم على الاخلال بالنظام والتحكم في رؤسائهم » وأعتبر أحمد ماهر باشا أن قيام الحكومة بنقل وكيل المطبعة الاميرية استجابة لرغبة العمال « عملا شبيها بأعمال البلشفية (٣) » .

وفي سنة ١٩٤٠ قدمت الحكومة الى مجلس النواب قانونا بنص على عدم السماح بالحجز على الضروريات اللازمة للفلاح الصغير ولعمليشته فئار للنواب وصاح أحدهم « ان هذا القانون يعلم الناس الباطل والتضليل » وصاح آخر « أنا أعارض هذه القوانين التى تقدمها لنا الحكومة لأنها قائمة على المبادئ البلشفية » (٤) .

••• ويبدو أن العداء « للاصلاحية » كان طاغيا الى درجة أثارت المراقبين الغربيين أنفسهم ونقرأ في وثيقة من وثائق وزارة الخارجية الفرنسية ما يلى :

« اضطر مجلس النواب الى أن يعير المطالب العمالية بعض الاهتمام بعد اضراب عشرين من العمال عن الطعام كمنسوبين عن زملائهم ، فعرض قانون النقابات على المجلس ، لكن هذا القانون ظل يتعثر حتى فبراير ١٩٤٠

(١) مجلس النواب - مضبطة جلسة ٢٣/٥/١٩٣٣ (مناقشة النائب

وهيب دوس) .

(٢) محمد زكى عبد القادر - أقدام على الطريق - ص ٣٦٢ .

(٣) المصرى ١٩٣٧/١٢/٢٥ .

(٤) للتطور - عدد مايو ١٩٤٠ .

حين أقره مجلس النواب ثم أحالته الى مجلس الشيوخ الذى قام بدوره بالنظر فيه وتأجيله عدة مرات ولم يصدره الا فى عام ١٩٤٢ وبعد تولى الوفد الحكم » .

وتهمى الوثيقة قائلة « ان هذا التباطؤ فى اصدار القانون يظهر مدى الازدراء الذى كانت تشعر به الحكومات المصرية المختلفة للاصلاح الاجتماعى حتى ولو كان ضروريا .

والوفد وحده هو الذى أظهر بعض الشجاعة فى هذا الصدد « (١) .

واستمرت هذه النزعات الاصلاحية على ضآلتها وهى تواجه بمعارضة حاسمة من رجعية متشددة وعاجزة عن تفهم طبيعة العصر ومتطلباته .

بل لقد وصل الامر الى حد تلفيق صحف الرجعية المصرية الاتهامات ضد القوى اليسارية بحزب الوفد بأنها على علاقة بالكومنترن فاتهم بعضها د . محمد مندور رئيس تحرير جريدة الوفد المصرى « بأنه كان الواسطة بين حزب الوفد والكومنترن . . . وأنه كان الواسطة فى تحرير ميثاق بين الوفد والدولية الثالثة . وأنه تولى مفاوضات طلب اليه فيها حتى يمكن أن تساعد الدولية حزب الوفد - ضرورة فصل كبار أعضاء الوفد من أصحاب رؤوس الاموال (٢) » .

. . وهكذا أغلقت الرجعية المصرية بضيق أفقها باب الاصلاحية . . ولم تتح أى مجال آخر للمفاضلة بين الاستغلال البشع وبين البحث عن تغيير جذرى .

. . وهكذا كان ضيق أفق الرجعية المصرية واحدا من الاسباب التى أسهمت خلال فترة التفجر الثورى والاجتماعى فى اندفاع قوى عديدة نحو اليسار . .



(١) تقرير باللغة الفرنسية مرسل من السفارة الفرنسية الى الخارجية الفرنسية مؤرخ فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ وموجه من موريس كوف دى مورفيل سفير فرنسا بمصر الى روبر شومان وزير الخارجية ومعنون «الحركة النقيابية والعمالية فى مصر» - والتقارير معد بناء على طلب سابق من ادارة قسم افريقيا الشرقية بالخارجية الفرنسية .

(٢) أخبار اليوم - ١٣/٧/١٩٤٦ .

•• وأزمة سياسية بغير مخرج :

طوال الثلاثينيات - أو قسمها الأكبر - كان الصراع السياسى المحلى محصورا أو بالذقة محاصرا بين طرفين اثنين الوفد باعتباره حزب الاغلبية فى طرف ، وفى الطرف الآخر كانت هناك أحزاب الاقلية وشخصياتها المجتمعة على الاحتماء بالسراى والاحتلال •• كسبيل وحيد للوثوب الى الحكم بغير أصوات الناخبين ••

أما الوفد حزب الاغلبية البرلمانىة الدائمة ، وصاحب النفوذ تكاسح لدى أية انتخابات فقد كان يعانى من تناقضات عنيفة ، مصدرها تناقض أساسى بين المحتوى الاقطاعى لغالبية قيادته وبين المحتوى الفلاحى أو البرجوازى الصغير عموميا - لقاعدته •

لقد سجل شيوعيو الثلاثينيات انتقادات عنيفة - ربما كان بعضها مبالغاً فيه - ضد الوفد واتهموه بالتهادن مع الاستعمار والعداء الاصيل للجماهير « ان سياسى الوفد عندما يتحدثون عن الجماهير فانما يفعلون ذلك مجرد تحقيق أهدافهم وبشرط أساسى وحاسم هو ألا تتمكن هذه الجماهير من ممارسة أى دور ايجابى للتأثير على أعمال الوفد (١) » •

ولقد اتهموه صراحة بأنه « الحزب الذى يضلل جماهير الشعب ، وأنه حزب الخيانة الوطنية (٢) » •

بل ان مداولات مؤتمر الكومنترن السادس قد تضمنت رأيا يقول « ان الامبرياليين أنفسهم هم الذين يريدون للوفد أن يبقى كقوة معارضة ، كلجام يكبحون به جماح العناصر الاقطاعية (٣) » •

(١) ريغولوسيونى فوستوك (الشرق الثورى) - (العدد ١ عام ١٩٣٢ - مقال أ • شامى - بعنوان - مصر بعد الانقلاب الأخير - ص ٢٧٦ من الطبعة الروسية •

(٢) راجع النص الكامل لبرنامج الحزب الشيوعى المصرى الصادر عام ١٩٣١ والنشور فى كتاب :

Ivor Spector — The Soviet Union and the Muslim World 1917 — 1959 — University of washington press seattle (1959) — PP. 151 — 157.

3) International Press Correspondence — The discussion on Comrade Bukkarin's report — No 72 — 18 — 10 — 1928 — PP. 7311.

ولقد أخطأ الوفد كثيرا في هذه الايام ٠٠ وأدت أخطاؤه الى عزلته عن جماهير ظلت طوال العشرينات طوع اشارته ٠

أما أحزاب الأقلية وشخصياتها فلعله يكفي أن نتلخّذ نموذجا لها أحد رؤساء وزارات الأقلية وهو توفيق نسيم باشا الذى وصفه دافيد كيلى مستشار دار المحبوب السامى البريطانى قائلا « كان توفيق نسيم يعد نفسه بصراحة ، وبلا حاجة الى موازنة صنيعتنا ، وكان يعترف بهذا فخورا ، وفي قرارة نفسه كان توفيق نسيم يبايئ دائما لاننا قد تخلينا عن الكثير من نفوذنا (١) » ٠

وفيما بين هاتين القوتين السياسيتين كان هناك ثمة هامش صغير يحتل اليسار بعضا منه ، وتحتل « شظايا » سياسية أخرى بعضه الآخر ٠

لكن تفاسم الازمة السياسية ، وامعان الوفد في تعميق التناقض بين المحتوى الطبقي لقيادته وبين جماهيره القاعدية ، بالاضافة الى تفاسم الازمة الاقتصادية - كما أشرنا من قبل - واحتدام عناصر الصراع الطبقي مع اصرار القیادات السياسية على التهادن ٠٠ كل ذلك أتاح الفرصة كي يتسع هذا الهامش الضيق ، ومكن « الشظايا » من أن تنمو لتصبح أحزابا وقوى سياسية ذات ثقل ٠٠

وهكذا تواجدت ونمت جماعات مثل الاخوان المسلمين ، مصر الفتاة ولعبت دورا سياسيا - مهما اختلفنا في تقدير حجمه - الا أننا لا نختلف على أنه كان تعبيرا أو نذيرا بفقدان الوفد لبعض نفوذه وسط الجماهير ،

ولعل هذا هو السبب في مسارعة الوفد الى اعادة تنظيم صفوفه وحرصه على عقد مؤتمره الكبير في ٩ ، ١٠ يناير ١٩٣٥ والذى حضره من ٢٠ ألف الى ٣٠ ألف مندوب يمثلون لجان الوفد الفرعية ، وناقش قادة الوفد - ولأول مرة - أبحاثا عميقة تناولت مختلف الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية (١) ٠

ويبدو أن هذا المؤتمر كان مظهرة متعمدة قصد بها اشعار الجميع بقوة الوفد الحقيقية الأمر الذى دفع الجريدة البريطانية « نيوسينتسمان »

(١) محمد عودة - سبعة باشوات وصور أخرى - الكتاب الذهبى - ص ١١٧

(٢) عبد العظيم رمضان - تطوّر الحركة الوطنية في مصر - الجزء الأول -

دار الكاتب العربى - القاهرة ص ٧٧٣ ٠

الى القول « أن الوفد يبرز بعد الاحتجاجه الاخير منظما تمام التنظيم ، ولا يلتقى منازعا مهما في الميدان ، فهو يمثل في مصر الدور الذى يمثلته حزب المؤتمر في الهند(١) » .

وفي هذه الآونة ركز الوفد على المطالبة بعودة دستور ١٩٢٣ - الأمر الذى يعنى اجراء انتخابات جديدة تكفل له - حتما - الوصول للحكم . وكانت أحزاب الاقلية ترى أن المناداة بدستور ١٩٢٣ مجرد عوامة وغنية .

لكن بريطانيا لم تكن بحاجة - بعد - الى الوفد في كراسى الوزارة ، وهكذا صدر تصريح الوزير البريطانى « هور » والذى جاء فيه « لا صحة مطلقا لزعم الزاعمين أننا نعارض في عودة النظام الدستورى الى مصر بشكل يوافق احتياجاتها » . أجل عندما استشارونا أشرنا بعدم إعادة دستورى ١٩٢٣ و ١٩٣٠ ما دام الأول قد ظهر أنه غير صالح ، والثانى لا يذطبق مع رغبات الأمة(٢) » .

وتجرت مظاهرات الغضب في كل مكان احتجاجا على التدخل البريطانى للسافر ، أضربت الجامعة وأضرب المحامون واحتجبت الصحف يوما - وحتى مستشارى محكمة استئناف مصر والقضاة المصريين في المحاكم المختلطة أصدروا بيانات الاحتجاج . لكن الكثير من هذه التحركات كانت تتم في اطار المناداة « بجهة قومية » تواجه الانجليز . وتشبثت أحزاب الأقلية بهذا الشعار ، خوفا من أن تنتهى « الانتفاضة » بانتخابات تاتى بالوفد منفردا الى الحكم .

وأعلن محمد محمود بيانا يقول « ان واجب السياسيين وأولى الرأى أن يستجيبوا ، وأن يتخذوا الوحدة ويتخذوا الاستقلال رمزا لهذا العهد الجديد . وليذكر المصريون أن مصر وحقوقها فوق الأشخاص والاحزاب(٣) »

أما حمد باشا الباسل فقد صرح قائلا « ان الهدف هو توحيد الأمة ، للوصول على الاستقلال . وليس في ذلك اهمال لشأن الدستور ولا نسيان له لان تحقيق الاستقلال يستلغى قيام الدستور(٤) » .

(١) الاحرام - ١٩٣٥/١/١٢

(٢) الاحرام ١٩٣٥/١١/١١

(٣) عبد الحميد المشهدى - صحيفة سوابق . ص ٤٦ .

(٤) المرجع السابق - ص ٤٦ .

٠٠ وحتى الملك ألقى بثقله أيضا خلف هذا الشعار حين دعا ممثلي الأحزاب ليقول لهم « اننى كملك لا أعرف أحزابا ، ولا أعرف جماعات ، لا أعرف الا مصريين ، ولا أعرف الا مصر ٠٠ نعم هناك انتخابات ، نعم هناك برلمان سينعقد ، ولكن الامر أصبح وقد لا يستطيع معه التأخير ٠٠ فاذا ما تم الامر واذتعيينا من القضية العامة ، كان فى الاستطاعة أن نأخذ الانظمة الدستورية طريقها التقليدى المعتاد(١) » ٠

ولأول مرة تخرج الجامعة ٠٠ ليس تحت شعار الوفد ، وانما تحت شعارات الامة ، لقد كان ذلك الهامش الضيق يتسع ، وكانت قوى جديدة تحرك الطلاب تحت شعار « الجبهة القومية » لكن النحاس باشا صمم على موقفه الحاسم ضد هذا التناقض المتعل بين الاستقلال والدستور ٠٠ وفى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥ ألقى خطابا قال فيه : « لا يصح أن نخدع بأقوال معسولة ، بنداء الى وحدة ٠٠ وعلى أى شىء هذه الوحدة ؟ لا لسنا نخدع بذلك ، ما هى الوحدة ، الوحدة تمسك قلبى وعزم صحيح على دستور ١٩٢٣ ، يقولون الاستقلال أولا فهل ننكص بينما يترك الحكم لبعض المصريين اسما الذين لا يستندون الى الامة فى شىء ! كلا لا نقبل هذا مطلقا ، وأحب أن نعوض على الدستور بالنواجز ، هذا طريق الامة وطريق الوفد المرسوم ٠٠ وبدون ذلك لا نفهم وحدة ولا جبهة(٢) ٠

وبرغم أن الوفد قد نجح فى فرض ارائته ، واستمر على رفضه لفكرة الوزارة الائتلافية ، ونجح فى فرض وزارة « محايدة » لنجسرى الانتخابات ، على أن يشكل وفد المفاوضات بأغلبية وغدية مع ممثلين للأحزاب الأخرى ٠

وبرغم أن الانتخابات البرلمانية التى أجريت فى مايو ١٩٣٦ أثبتت شعبية كبيرة للوفد الذى حصل على ١٧٩ مقعدا مقابل ٥٣ لجميع الأحزاب الأخرى ٠

ألا أن ثمة ظاهرة هامة تستحق التأمل وهى أن ذلك « الهامش » المتواجد بين حزب الاغلبية وبين أحزاب الاقلية التقليدية ، قد أثبت ولأول مرة فى تاريخ مصر الحديث وجوده السياسى ٠٠ لقد تحركت قطاعات

(١) محمد زكى عمر - ربع قرن فى مفاوضات - مطبوعات دار الشرق ، (١٩٤٦) - ص ١٥٨ ٠

(٢) عبد الحميد المشهدى - المرجع السابق ص ٤٨ ٠

هامة من المجتمع وخاصة بين طلاب الجامعة (ذوى المكانة السياسية الهامة في أى تحرك وطنى) باتجاه وطنى ومناهض للاستعمار ٠٠ ولكن تحت رايات غير وفدية ، وربما استدرجت - ولأول مرة أيضا - الى ترديد شعارات . هى بالأساس شعارات الاحزاب الرجعية ٠٠

وأمام البرلمان ألقى النحاس خطابا لعرش تميز بتطورات ايجابية هامة حيث تبني مهام اصلاحية ونادى بحل عديد من المشاكل التى يعانى منها المصريون (الغاء ضريبة الخفر فى الريف - معالجة مشكلة الديون العقارية - انشاء بنك التسليف الصناعى - المحافظة على التعريفية الجمركية - انغاء القوانين الاستثنائية - انشاء قرى نموذجية - توفير مياه الشرب فى الريف) .

وباختصار لقد شعر الوفد بأن ثمة حصارا يضرب حوله ، وشعر بخطر القوى السياسية الجديدة التى تمثلت فى « الهامش » الذى شربنا اليه ، وأحس بان من واجبه أن يواكب روح العصر ويطرح شعارات متقدمة ٠٠

وكانت المفاوضات التى افتتحت بمعاهدة ١٩٣٦ قد بدأت ، وكانت الظروف مهيأة لنجاحها فلقد أحست جميع الاطراف المعنية ٠٠ الانجليز وحكام مصر معا بأن ثمة حربا عالمية وشيكة الوقوع وانه يتعين وضع ضوابط قانونية لعملية استخدام أراضي وموارد مصر فى هذه الحرب .

وكان الزعماء المصريون يشعرون أن مثل هذه الظروف تشكل عنصرا ضاعطا يمكن من انقراع مكاسب محلية من الانجليز ، بل لعلمهم كانوا يشعرون بالانزعاج من النفوذ الايطالى القريب فى ليبيا ، ومن الغزو الايطالى للحبشة حيث موارد النيل وحيث الحدود الملاصقة للسودان (١) .

وهكذا كان التوصل الى اتفاقية جديدة مسألة مرغوب فيها من الطرفين وبرغم ذلك فقد تعرضت « المعاهدة » الى هجمات شديدة من بعض القوى السياسية وخاصة من تلك القوى السياسية الجديدة ٠٠ الامر الذى «هدد» الى حد ما جماهيرية الوفد ودفعه الى تنظيم حملة اعلامية تهجيدا للمعاهدة وللوفد ٠٠ خصوصا وأن أحزاب الاقلية كانت تروج لفكرة أن توقيع

(١) يوزباشى صلاح نصر ، يوزباشى كمال الدين الحناوى . الشرق الاوسط فى مهب الريح - مكتبة النهضة - الطبعة الاولى (١٩٤٤) .

« المعاهدة » ينهى الدور التاريخى للوفد كحزب قام من أجل مهمة محددة
هى تحقيق الاستقلال (١) .

وذلك استغلا لنص المادة الرابعة من قانون الوفد التى تنص
« أنوفد يقوم ما دام العمل الذى انتدب لأجله قائما وينفض بانقضاضه » (٢)

وقد عبر فكرى أباطة عن هذه الفكرة بأن نشر على صدر لجنة التصور
صورة للنحاس وهو يقدم « المعاهدة » لمصر قائلا « ها قد أمضيت
المعاهدة وانتهت مهمتى » (٣) .

وقد ركز الوفد فى البداية دعايته على التأكيد على أن المعاهدة قد
حققت لمصر استقلالها الكامل وطلب الى د. محمد عبد الله العزبى -
أستاذ القانون العام بكايية الحقوق ، وضع دراسة علمية عن المعاهدة .

فوضع دراسة بعنوان « المعاهدة من الوجهة القانونية -
معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ تحقق لمصر استقلالها التام وسيادتها
الكاملة » (٤) .

فلما بدأت حملات التلميح بانتهاء دور الوفد والنحاس تركز الاعلام
الوفدى على تمجيد دور النحاس ولقد بالغ بعضهم فى ذلك الامر بمبالغة
واضحة ، فأمدى أحدهم كتابه عن المعاهدة الى « محرر مصر » ومن
غير مصطفى النحاس حرر مصر ، منذ غزاها الفرنس - ان أربعة وعشرين
قرنا لتخر خاشعة بين يدى القوائد الموفق وعلم الجهاد الخفاق ورسول
السلام والوفاق . وبطل سيشل ، وعميد الوفد ورمز الوحدة الوطنية ،
وصاحب الرياسة الجليلة ومنقذ الدستور ، وبطل الجلاء (٥) » .

(١) آخر ساعة - ١٩٣٦/٨/٢ .

(٢) النص الكامل لقانون الوفد المصرى .

(٣) المصور ١٩٣٦/٨/٢٨ .

(٤) الجهاد ١٩٣٦/٩/٢ .

(٥) عبد الحليم الياس نصير - عهد الاستقلال - مطبعة عبد الحليم

حسنى (١٩٣٦) ص ١ .

ومن تمجيد المعاهدة الى تبرير نقاط ضعفها انزلق « الومديون »
وبمسائل انكساب الوفدى « كيف نشكو من وجود طائرات الحليفة نذود
الاذى عن البلاد . ما دامت لم تكتمل لدولتنا الناشئة الاسراب الكافية
لمسد غارات الدول الغازية . كيف نشكو من « ضيافة » عشرة آلاف
جندى » (١) .

ولا بد لذلك كله من أن يجرح مشاعرا وطنية كانت ملتزمة بطبيعتها .
لكن الوفد سرعان ما جابه معركة متشعبة الاطراف متعددة الجبهات . .
الاحتلال ، السراى . التيارات الفاشستية ، التيارات الدينية ، ومن حقه
علينا أن نقرر له أنه خاضها بشجاعة وكفاءة .

وفي اعتقادى أن تقليد مجابهة السراى ونفوذها كان تقليدا
« نحاسيا » أكثر مما كان تقليدا . وفديا أقصد أن النحاس كان في هذا الصدد
أكثر تمسكا بالحقوق الدستورية وبالاتجاهات الليبرالية من بقية تيمادة
حزب الوفد . ولقد كانت الزعامة الشعبية للنحاس أخطر منافس السراى
التي بذلت جهودا مضمية لسحب الارضية الجماهيرية من النحاس وحزبه .

وكان النحاس حريصا على سلب « الملك » حق التدخل في الشؤون
المختلفة ، فانتهاز فرصة فتره الوصاية على العرش قبل تولي فاروق العرش
رسميا ، وسن قانونا بانشاء مجلس الدفاع الأعلى وهيئة أركان الجيش قطع
فيه الصلة ما بين الجيش والملك . . وقد ألغى هذا القانون منصب الملك كقائد
أعلى للجيش (٢) .

وفد نص هذا القانون على أن رئيس مجلس الوزراء هو رئيس
مجلس الدفاع الاعلى مما نقل القيادة الفعلية للجيش بعيدا عن أيدي السراى (٣)
وقد أعلن هذا القانون بعد يومين فقط من مباشرة فاروق لسلطاته ، وعلى
الفور تلقى الملك تقريراً أودع في ملفات السراى يشير الى أن القانون (يدعو
الى التساؤل ويثير ظلالا من الشك حول الغرض الاصلى من انشاء مجلس
الدفاع الاعلى » (٤) .

(١) المرجع السابق ص ١٣ .

(٢) وثيقة بعنوان « بحث في مجالس الجيش وهيئة أركانه » ملف
الجيش - تقارير الحكومة المصرية رقم ٢ - ملفات الحكومة المصرية
رقم ٦١٣٣ - مكتبة رئاسة الجمهورية .

(٣) القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ .

(٤) « بحث في مجالس الجيش وهيئة أركانه » الوثيقة السابقة » .

ولقد كان انحاس حريصا منذ البداية على تقليد أظافر الملك للشباب والخضاعه لقواعد جديدة تحد من نفوذ السراى ، وأثناء زيارة قام بها الملك وحاشيته للصيد أصدر الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية تعليمات الى مديرى الاقاليم التى سيزورها الملك بالأا يقيموا أى زينات ، لأن ميزانية المجالس البلدية لا تحتل أية نفقات جديدة . وقام الملك برحلته هذه دون أن يرافقه أى وزير . وتحت ضغط من النحاس تنازل الملك عن ثلث المخصصات المالية للقصر وبلغ الأمر الى حد اعتراض حكومة الوفد على تعيين مهندس ميكانيكى بالقصر فى محاولة لتأكيد سلطانها على كل موظفى السراى (١) . ويكتب دافيد كىلى مستشار دال المنسوب السامى « أن حسنين باشا أبلغه يوما بأن الملك فاروق كان يبكى من الاعانة حينما كان يجد فى الصحف اتهامها بالنحاس أكثر من الاهتمام بشخص الملك » (٢) .

لكن السلطة الديمقراطية لم تستسلم بسهولة ، وتجمع محور على ماهر - المراغى - البندارى حول الملك الشاب يؤغرون صدره ويرسمون له الخطط المناوئة .

وفى ١٩٣٧/١٢/٣٠ وجه الملك أمر اقالة الى النحاس جاء فيه : « نظرا لما اجتمع لدينا من أن الشعب لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم وأنه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدستور وبعدها عن الحريات العامة .. لم يكن بد من اقالمتها » .

وانطلقت جماهير الوفد فى مظاهرات صاخبة هاتمة « النحاس أو الثورة » « لا استقالة ولا اقالة » « الدستور فوق الجميع » . ولقد سبق للوفد أن سير مظاهرات مماثلة فى عام ١٩٢٤ هتفت « سعد أو الثورة » لكن الفارق فى هذه المرة أن النقراشى باشا أكبر عقلية منظمة للجماهير فى الوفد كان فى عام ١٩٢٤ داخل صفوف الوفد ينظم مظاهراته ، ولكنه فى عام ١٩٣٧ كان فى داخل القصر يتأمر على الوفد . كذلك فقد كان الوفد عام ١٩٢٤ سيد الشارع المصرى بغير منازع أما فى عام ١٩٣٧ فقد تحالف الشيخ المراغى « بنفوذ فى الأزهر » مع الإخوان المسلمين (بنفوذهم فى دار العلوم) مع مصر الفتاة (بها كسبوه من نفوذ فى الجامعة) وسيروا مظاهرة

(١) عبد الحميد المشهدى ، المرجع السابق - ص ٦٦ .

(٢) محمد عوده - المرجع السابق - ص ١٥٤ .

ضخمة الى قصر عابدين حيث خرج الملك لتحييتها ست مرات (١)٠ وعندما سمع الملك المناسرات تهتف « الله مع الملك » أعرب عن غبطة شديدة قائلاً « نعم الله معنا » (٢) .

ولقد فهم الامر وكأنه محاولة للقول بأنه اذا كانت الجماهير مع النحاس فان الله مع الملك .

والحقيقة أن محور السراى قد حاول استخدام الدين كأداة لتعزيز الحكم الاوتوقراطى ولتح الملك بعضا من الجماهيرية التى يفتقدها .

ومنذ يوم توليه الملك العرش اقترح الامير محمد على إقامة حفلة دينية ضمن حفلات تولية الملك ورفض النحاس الفكرة بشدة لأنها « اقحام للدين فيما ليس من شأنه ، وايجاد سلطة دينية خاصة بجانب السلطة المدنية » .

ومع ذلك فقد صمم المراغى والاخوان المسلمون ومصر الفتاة على محاولة اصفاء ضامع دينى على احتفالات تولية الملك . . . وزحفت جموع من الاخوان المسلمين الى القصر « لتبايع الملك على كتاب الله وسنة رسوله » (٣) .

ويخوض اندحاس المعركة ضد اقحام الدين فى شئون الحكم من فوق منبر البرلمان « الاسلام لا يعرف سلطة روحية وليس بعد الرسل وسطة بين الله وبين عباده . . . وليس أحرص منى ولا من الحكومة . . . على احترام الاسلام وتنزيه الاسلام كما أنه ليس أحرص منها على التزام أحكام الدستور ، ولكن الاحتمال بمباشرة جلالة الملك لسلطته الدستورية شئ آخر ، فهو مجال وطنى يجب أن يتبارى فيه سائر المصريين مسلمين وغير مسلمين » (٤) .

(١) الاهرام - ١٩٣٧/١٢/٢٢

(٢) البلاغ - ١٩٣٧/١٢/٢٢

(٣) حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية . ص ٢٥١ .

(٤) المصرى ١٩٣٧/٧/٢٢

وقد كان الشيخ المراغى يؤكد أن « الأمة الاسلامية هي محتوى سياسى كما أنها محتوى دينى » ويرفض أية محاولة لفصل الدين عن الدولة وبعد أن يربطهما معا يقدمهما - معا أيضا - فى خدمة الملك باعتباره ولى الامر .

وإذا كان الشيخ المراغى قد تخصص فى التآمر لصالح السراى مستخدما الدين (الازهر والايوان المسلمين) فان كامل البندارى قد حاول منح الملك بعض الشعبية من خلال فكرة الاعتماد على « الشباب » والايحاء بأن شباب مصر بزعامه الملك الشاب هم عدة المستقبل . . وكانت أداته فى ذلك جماعة مصر الفتاة .

وفى محاولة للمزج بين المخططين انتهاز الملك فرصة مطلع العام الهجرى ليووجه نداء بالتراديو الى العالم الاسلامى يقوم فيه بانقلاب دستورى يعلن فيه توليه زمام كل الامور مؤكدا أن أحدا لا يستطيع « أن يؤثر فى اذا تبين لى صواب أمر واعتقدت بعد تقليب الرأى أنه فى صالح شعبى وأن ثقتى بنفسى وتوكلتى على الله هو الذى يلهمنى تصريف الامور ويوجهنى الوجهة التى أختارها » ولم ينس فاروق الجزء الآخر من المخطط فقال « . . ان شباب مصر المتوثب الى المجد سيكتبون صحيفة خالدة فى تاريخ الوطن . . وعلى الشباب وحده تحقيق هذا الحلم » (١) . ولم يجد الفحاس مناصا من الرد على الملك فى صورة بيان صدر عن اجتماع طارئ للهيئة الوفدية جاء فيه « أن الدستور والنظام الديمقراطى فى مصر قد أصبحا فى خطر » (٢) .

بل لقد حاولت السراى أن تعزز مواقعها من خلال تكوين جهازها العسكرى الخاص بها أو ما سمي فى ذلك الحين البوليس الخاص بالسراى ونكشف الوثائق التى عثر عليها فى قصر عابدين عن أن عدد أعضاء هذا البوليس كان فى عام ١٩٤٠ حوالى ٩٠٠ متطوع مقسمين الى أربع فرق - منها فرقة ميكانيكية تضم ٦٠ سيارة (٣) .

(١) مصر الفتاة ٢٣/٢/١٩٣٩

(٢) مصر الفتاة - ٢٧/٢/١٩٣٩

(٣) وثائق قصر عابدين - تقرير من محمد طاهر باشا قائد عام قوة البوليس ، مرفوع الى عمر فتحى باشا كبير ياوران الملك لرفعه الى جلالة الملك . مؤرخ فى نوفمبر ١٩٤٠ - محفوظات مركز تاريخ مصر المعاصر .

وهكذا ورويدا رويدا يتكشف ذلك « الهامش » السياسى الذى تحدثنا عنه فى البداية والذى يَتمثل فى الاخوان المسلمين ومصر الفتاة كأدوات فى أيدي السراى فى صراعها ضد الوفد .

ولقد كان النحاس - ومنذ البداية - صريحا غاية الصراحة فى رفضه لهذا « الهامش » ولدى مقابلته لأحمد حسين فى بيت الأمة جابهه على الفور قائلا « أنت دسييسة » وقال له أنه ينادى بهبادة خطيرة « خذ مثلا (الله) التى وضعتها فى أول شعارك ، فلست أراها الا شعوذة ، لان وضع كلمه (الله) فى برنامج سياسى هو شعوذة » (١) .

ويمكننا القول أن النحاس وحزبه بفضل شعبيتهما الجارفة كانا أحد الحواجز الجبارة التى أوقفت تيار التعصب الدينى المتمثل فى الاخوان المسلمين والاتجاهات الفاشستية المتمثلة فى مصر الفتاة عند حدها .

كما أنه قد تصدى أيضا لمؤامرات « المحور » التى تركزت أيضا فى الدوائر القريبة من القصر والتى ركزت هجماتها بدورها على حزب الوفد .

لكن الوفد ما لبث أن خاض معركة أخرى ضد الانجليز . وفى أول أبريل ١٩٤٠ وجه الوفد مذكرة عنيفة الى الانجليز متنها اياهم بمساندة الانقلاب الدستورى « واستغلاله لصالحها (انجلترا) رغم أحكام المعاهدة فى نصها وروحها » وطالب الوفد بريطانيا بأن تصرح من الآن (وتحت ضغط تطورات الحرب غير المواتية لبريطانيا) :

٢ - بجلاء القوات البريطانية عن مصر بعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح .

٢ - اشتراك مصر اشتراكا فعليا فى مفاوضات الصلح .

٣ - الدخول فى مفاوضات مع مصر بعد انتهاء مفاوضات الصلح يعترف فيها بحقوق مصر كاملة فى السودان لمصلحة أبناء وادى النيل جميعا .

(٢) «رافعات الرئيس أحمد حسين فى عهد حكومة الوفد - من كفاح مصر الفتاة - الطبعة الثانية ص ٤٧ .

٤ - التنازل عن الاحكام العرفية التي أعلنت بناء على طلب بريطانيا

٥ - حل مشكلة القطن بعدم الحيلولة دون تصديره الى البلاد المحايدة
أو بشرائه بالاسعار والشروط المناسبة (١) .

وكان رد فعل المذكرة عنيفاً ، فقد حاصرت الانجليز والسراى وأحزاب
الاقليية جميعاً ومضربة واحدة ، وأرسلت الخارجية البريطانية الى دار
المنسوب السامى « أبلغوا النحاس باشا فى الحال أن الحركة التى قام
بها .. قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعوراً أليماً للغاية » .

وهكذا حاصر النحاس جميع خصومه مهياً الفرصة لحادث ٤ فبراير .
أى لعودته الى الحكومة . ولقد قيل الكثير عن حادث ٤ فبراير .. ولقد
حرص النحاس باشا وحرص معه بعض المؤرخين* على التأكيد بأنه
لم يكن يعلم بنوايا الانجليز فى « فرضه » رئيساً للوزراء بينهما
أكد اللورد كيلرن المدير الاساسى للحادث أن النحاس باشا كان على علم
أكيد (عن طريق أمين باشا عثمان) بكل التطورات المرتقبة ولقد أكد
ذلك وأكثر من مرة فى مراسلاته مع وزارة الخارجية البريطانية التى أكدت
عليه أكثر من مرة بضرورة « التيقن من أن النحاس لن يتراجع عن قبول
الوزارة » (٢) .

(١) مجلس الشيوخ - مجموعة مضابط دور الاعتقاد العادى الخامس
عشر - مضبطة جلسة ٣٠ أبريل ١٩٤٠ خطاب يوسف الجندى ص ٥٨١ -
٥٨٢ .

* د . محمد أنيس - ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى - المؤسسة
العربية للدراسات والنشر (بيروت) (١٩٧٢) وأيضاً جمال سليم - قراءة
جديد لحادث ٤ فبراير - مطبوعات الشعب (١٩٧٥) وأيضاً د . عبد
العظيم رمضان تطور الحركة الوطنية فى مصر من ١٩٣٧ الى ١٩٤٨ . جزءان
- المرجع السابق .

1) Lord Killearn (Sir Lampson) - The Killearn Diaries 1936 - 1946
edited and introduced by Trefor E. Evans-Sidgwick and Jackson -
London (1972) .

وراجع أيضاً :

Public record office London, f.o 4079221

From Lampson to Eden — November 29, 1937 Tel No : 676,

والذى يوضح أنه كان هناك اتفاق وأضح مع أمين عثمان (يعلم من
النحاس) بالاستعداد لاحتتمالات فرض النحاس رئيساً للوزارة على الملك
غير الموثوق به ، وكان ذلك قبل ٤ فبراير ١٩٤٢ بحوالى أربعة سنوات .

وبعض النظر عن مشاركة النحاس في الاعداد لحادث ٤ فبراير أو عدم مشاركته فان الهدف كان واضحا ومحددا وهو ضرب مخططات المحور والعناصر الموالية له في مصر . وذلك في فترة تتطلب شجاعة خاصة من أى زعيم سياسى كى يتولى الحكم وجحافل المحور تحقق أبواب مصر . ومؤامرات عملاء المحور بالداخل تتصاعد لتصل الى حد أن نجح بعض عملاء السراى وبالتحديد على ماهر والمراغى والبندارى في تسخير مظاهرة تهتف، « الى الامام يا روميل » (١) .

وفى وقت كانت فيه قوى أخرى تسعى للتقارب من المحور كيبدأ للانجليز .

وبرغم ذلك كله فان مصر التى غفرت للنحاس الوفد « هنات » كثيرة لم تغفر له مطلقا حادث ٤ فبراير . واذا كان « الهامش » السياسى الذى نشأ في اثلاثينيات (الاخوان المسلمين ومصر الفتاة) قد تم استيعابه بشكل أو بآخر لصالح مخططات السراى والمحور ، فان حادث ٤ فبراير بما نجره من مشاعر وطنية جارفة قد هيأ الفرصة لخلق هامش جديد ، وطنى حقا ، وثورى حقا ، استطاع أن يتفهم طبيعة الحادث وجوهره ووضع الوفد في موضعه الصحيح كقوة تفهم القضية الوطنية وتسعى نحوها بأساليب تهادنية ليس من بينها - على أية حال - الاعتماد على حركة الجموع الشعبية ، وأن كان من بينها الكثير من محاولات المناورة واللعب على الحبال بين الاحتلال والقصر .

وكان أساس هذا الهامش الجديد محورين « حركة الضباط » و « حركة الديبصار » .

والحقيقة أن الانعكاس المباشر لحادث ٤ فبراير على صفوف الضباط الصغار يمكن استقراؤه من مراسلات جمال عبد الناصر في هذه الفترة والتي كانت توضح مرارة وحقدا وتطلعا لغد جديد (٢) . أما انعكاساته على حركة اليسار فتتضح من كونه قد أفسح أمام الشيوعيين « هامشا » واسعا للعمل والانتشار الجماهيرى السريع في صفوف كان من المفترض تقليديا أنها جماهير وفدية .

-
- (١) جلال الدين الحمامسى - معركة نزاهة الحكم - مطابع دار الكاتب العربى - القاهرة - ص ١٠
 (٢) المصور مجموعة عام ١٩٧٢ رسائل شخصية من جمال عبد الناصر الى بعض أصحابه .

ولم تكن القوى المناوئة الوفد بغافلة عن الظروف الصعبة التي أجاطت
بأكبر حزب في البلاد فشجعت حملاتها ومؤامراتها ضده ، ولعل أخطر
وأقضى هذه المؤامرات هي تلك التي توجت بانقسام مكرم عبيد باشا عن
الحزب ، وما تلى ذلك من حملة تشهير واسعة انتهت بتجميع المئات والآلاف
من الاتهام باستغلال النفوذ والمحسوبية والفساد ضد قيادات هامة في حزب
الوفد وضد الدوائر المقربة من النحاس ومن زوجته (١) .

وكان لابد لهذه الحملة من أن تترك أثرها على شعبية حزب هو في
الأساس حزب يوجه حديثه الى الجماهير الفقيرة وعلى جماهيرية زعيم اكتسب
أكبر قدر من زعامته الطاغية بسبب بساطته ورفعه عن الكسب الشخصي .

وهكذا يتسع نطاق « الهامش السياسي » بدفعة جديدة تستهدف تغيير
المجتمع تغييرا جذريا وتثبت أن طريق الخلاص لمصر هو الاشتراكية .

ولا بد لنا من أن نضع في الاعتبار أن قوات الاحتلال التي شعرت بأن
الأرض المصرية تهديد من تحت أقدامها في أحيان عديدة ، والتي أحست بأن
قوى مصرية واسعة تتطلع نحو المحور الذي تدق قواته أبواب مصر الغربية ،
قد وجدت نفسها في شبه حلف إجباري مع تلك القوى الناشئة التي تدين
الفاشية والفاشيين وتدعو لقضية الحلفاء . برغم عداوتها للإنجليز . وسكتت
قوات الاحتلال عن جنذرات النشاط الشيوعي على أمل الاستفادة من تأثيرها
الفكري والسياسي المناهض للفاشية ، بل لقد سعى الانجليز للاتصال بالشيوعيين
والتعاون معهم لكن الشيوعيين رفضوا (٢) .

وهكذا برزت الى الوجود قوة سياسية جديدة ذات مواقف متميزة .

نإذا كان البعض يتحالف مع المحور ضد الانجليز بدعوى الوطنية ،
وإذا كان البعض الآخر يتحالف مع الانجليز ضد المحور بدعوى الديمقراطية فان
الشيوعيين المصريين قد رفعوا شعارا جديدا يطالب بأوسع جبهة للنضال ضد

(١) تقرير لجنة التحقيق الوزارية في الوقائع والتصرّفات المسماة
بنزاهة الحكم في عهد الوزارة النحاسية الأخيرة المطبوعة الأميرية بالقاهرة
(١٩٤٥) والتقرير مكون من ٢٨٢ صفحة وملئ بالوقائع والاسانيد واتهم ،
ومثبت في صفحته الأخيرة أنه قد طبع من هذا التقرير خمسة آلاف نسخة .
راجع أيضا : جلال الدين الحماصي - معركة نزاهة الحكم . المرجع
السابق .

(٢) د* رفعت المسعيد - اليسار المصري - المرجع السابق ص ٢٧٨ .

الفاشية وفي نفس الوقت بادانة الاحتلال البريطاني لمصر .. ويتبلور ذلك في شعار « ضد الفاشية .. ولكن ليس مع الانجليز » .

ولم يكن هذا هو التمايز الوحيد .

ففي مواجهة شعار أجمع عليه كل الساسة البرجوازيين وكبار الملاك « وحدة وادى النيل - نيل واحد - شعب واحد - ملك واحد » رفع الشيوعيون شعار « الاستقلال السياسى والاقتصادى والكفاح المشترك مع الشعب للسودانى وحقه فى تقرير مصيره » .

وفي مواجهة منهج المفاوضات مع الاحتلال رفع الشيوعيين شعار « الكفاح المسلح » وهكذا تكونت في مصر مدرسة سياسية جديدة ذات منهج جديد ومتكامل .

وفي هذه الاثناء أيضا كانت مدافع حماة ستالينجراد قد أيقظت ، مشاعر الكثيرين وسطرت في قلوبهم اعجابا غير محدود بالاتحاد السوفييتى .. (١)

وتتجمع ظروف محلية وعالمية عديدة لتهىء الفرصة أمام حركة اليسار المصرى كى تعمل - ولأول مرة في تاريخ مصر الحديث - في ظروف سياسية واجتماعية جديدة تماما . ولنتيح الفرصة أمام الضباط الوطنيين أن ينشطوا هم أيضا في صفوف الجيش .

ولعل أبلغ دليل على نضج هذه الظروف الموضوعية أن الوفد عندما أعترف بتواجد تيار يسارى في صفوفه ، وصاغ له منبرا متميزا الى حد ما هو « الطليعة الوفدية » ، لم يستطع مطلقا أن يستخدم هذا المنبر لاستقطاب قوى من اليسار ، بل على العكس فقد نجح الشيوعيون في منتصف الأربعينات في استقطاب « الطليعة الوفدية » كاحتياطي مباشر لعملهم وسط الجماهير وخاصة في صفوف الطلاب .. ولعل هذا بذاته دليل كاف على « هيمنة » الفكر والمنطلقات الشيوعية في هذه السنوات بحيث استطاعت أن تكون قوة جذب تستقطب باتجاهها تيارا وفديا متكاملا وتبتعد به عن محور الجذب التقليدى للمجتمع ككل .. « الزعامة الوفدية » .

(١) لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع راجع د. فؤاد المرسى خاطر - العلاقات المصرية السوفيتية ١٩٤٣ - ١٩٥٦ رسالة دكتوراه (غير منشورة) .

ان قوة الجذب ٠٠ ومدى نموها ٠٠ ومدى تأثيرها تجاه القوى السياسية الأخرى هي أحد العلامات المباشرة على اتجاه ربح السياسة ، وعلى مدى قدرة التيار السياسى صاحب قوة الجذب هذه على النمو .



وبعد ٠٠ فلم تكن الصفحات المتابعة محاولة لتأريخ فترة خصبة من تاريخ مصر ٠٠ الفترة التى احتضنت جنينيات الحركة الشيوعية ومنحتها دفئاً ونمواً بغير حدود ، بقدر ما كانت محاولة لابرار « رموز » مجرد رموز لعلها تكون كافية للإجابة على السؤال الذى طرحته فى البداية .

لماذا تصاعدت موجة الحركة الشيوعية فى مطلع الأربعينات ؟

لماذا تواجد الأجانب واليهود بكثرة في صفوفها ؟

كان للأجانب ثقل خاص في مصر • كانوا مجموعة من جاليات ضخمة ذات نفوذ سياسى واجتماعى واقتصادى طاغ • وقد بلغ عددهم غرابة النصف مليون (عندما كان مجموع سكان مصر ١٦ مليون) وكانوا موزعين في الأساس على جاليات كبيرة توشك أن تكون لنفسها مجتمعاتها الخاصة (علاقات اجتماعية - مدارس - صحف - أندية - حياة ثقافية خاصة ركنت أكبر هذه الجاليات هي اليونانية (قرابة المائة ألف) والايطالية (٧٠ ألف) الأرمن (٤٠ ألف) وبرغم هذه الانتماءات العرقية فإن الكثيرين من هؤلاء الاجانب كانوا عديمي الجنسية - (بعضهم كان في الأصل من سلالة رعايا الدولة العثمانية ، الذين حصلوا على صفة « رعية عثمانية » التي كانت تكفل لهم وضعاً ما نتيجة لانتماء مصر العثمانى ، ثم فجأة وجدوا أنفسهم بلا وضع خاص بعد اعلان الحماية البريطانية على مصر) •

وكانت هناك عدة عوامل تدفع هؤلاء الاجانب الى الاحتفاظ « بأجنبيتهم » رغم ميلادهم المصرى وربما ميلاد أجيال سابقة لهم في مصر • • ولعل أهم هذه الاسباب هو « الامتيازات الاجنبية » التي كانت تكفل للاجنبي (أيا كانت جنسيته وحتى لو كان بغير جنسية) حقوقاً قانونية ومالية واجتماعية غير محدودة (١) •

ويأتى مطلع القرن العشرين ليجد الأجانب وقد هيمنوا على ممارش الحياة الاقتصادية في مصر وقد طالعنا في الصفحات السابقة دلائل هذه الهيمنة ، لكن الغريب أن أفواج المهاجرين عبر المتوسط والتي تدفقت بغير انقطاع كانت تأتى بمهنيين وصناع ومغامرين من كل نوع (٢) • وفي عام

(١) راجع النصوص المقترحة لمعاملات الاجانب في مشاريع الاتفاقات المتعاقبة بين مصر وبريطانيا في : على رفاة الانتصارى - في طريق الحرية - مطبعة الاخاء - ص ١٤٨ وما بعدها •

(٢) راجع التفاصيل : دافيد لاندز - بنوك وباشوات - ترجمة د • عبد العظيم أنيس (دار المعارف) •

١٩٠٧ كان في مصر ٣٦٧٧ مهندساً ومهندسا معماريا (أو مشتقلين بمهن مشابهة و ٢٢٣٧ من المحامين وكتبة المحامين ، ٧١٩ صيدليا وصيدليا مساعدا ، ٥٣ طبيبا بيطريا ، ١٢٧١ طبيبا وجراحا وكان أكثر من نصف هؤلاء جميعا من الأجانب (١) ، كذلك كان الأجانب يمسكون بالفتاح الاساسية في الجهاز الحكومي ، وقد سجلت « لجنة ملنر » في تقريرها التشهير أن المصريين لا يشغلون (في عام ١٩٢٠) الا أقل من ربع الوظائف الكبيرة ، « وعند مراجعة التغيرات التي حدثت منذ سنة ١٩٠٥ وجدت أن نسبة المصريين في كل المراكز ازدادت من ٤٥٪ الى ٥١٪ أما في الوظائف الكبرى فقد نقصت نسبة المصريين من ٢٨٪ الى ٢٣٪ بينما ازدادت نسبة البريطانيين من ٤٢٪ الى ٥٩٪ (٢) » .

ولم يكن تكاثر الموظفين الأجانب والانجليز خاصة بسبب نقص في الكفاءات المصرية وانما كسبيل لاحكام قبضة الاحتلال البريطاني على المجتمع بمصرية وأجانبه من الجاليات الأخرى ، كذلك « فان مصر كبدا خاضع للاستعمار كان مطمحا للكثيرين من المسؤولين الذي يريدون تحقيق مغنم خاصة لهم (٢) » واذا كان الانجليز قد سيطروا على هذه النسبة الكبيرة من الوظائف فان المصريين لم يحصلوا الا على ٢٣٪ لأن النسبة الباقية قد استحوذ عليها سوريون وأرمن (٤) ، واذا كان هذا الوضع قد تحسن الى حد كبير بعد الاستقلال وعلى مدى الثلاثينات ، فان الشركات المساهمة والتجارية - وكان أغلبها مملوكا للأجانب - قد ظلت تعتمد أساسا على موظفين أجانب بل وتستخدم في مراسلاتها وتعاملاتها وحساباتها اللغات الأجنبية (٥) .

ولعل أبرز مظهر لدور الجاليات الأجنبية واستقرارها في مصر كمجتمعات متميزة ذات حياة ثقافية واجتماعية متميزة هو نزوع هذه الجاليات الى تأسيس مدارسها الخاصة تلك المدارس التي أصبحت أداة لتكريس عزله هذه الجاليات وانغلاقها على نفسها وبعدها عن الحياة المصرية .

(1) P.M. HOLT—Political and social change in modern Egypt—London — Oxford University press — (1968) P. 157.

(٢) مورو بيرجر - البيروقراطية والمجتمع في مصر الحديثة - ترجمة د. محمد توفيق رمزي - مؤسسة فرانكلين (١٩٥٩) - ص ٤٩

(3) Afaf Lutfi Al-Sayyid — Egypt and Cromer — John Murray-London (1968) P. 140.

(4) Ibid P. 141.

(٥) محمد على علوبة باشا - المرجع السابق ص ٨٢

الجنسية	عدد المدارس	عدد المدرسين	عدد الطلاب
مدارس ألمانية	٥	٥٨	٤٥٤
مدارس أمريكية	٣٧	٤٥٤	٦٣٢٩
مدارس انجليزية	٣٩	٢٩٤	٤٤٥٤
مدارس فرنسية	١٥٧	١٨٦٥	٣٢٤٩٥
مدارس يونانية	٦١	٥٧٥	١٢٠٠٢
مدرسة ايطالية	٥٧	٦٣٩	١٠٦٨٨
جنسيات أخرى	٨	٧٦	٢٣٨٦

لكننا نخطئ لو تصورنا أن الأجانب كانوا جميعا من الرأسماليين المنعزلين عن الشعب المصري ، فثمة جاليات كانت مكونة أساسا من صناع وحرفيين وعمال وصغار وتجار ومهنيين كانوا يمارسون بالضرورة احتكاكا يوميا ومباشرا ليس فقط بجماهير المصريين وإنما أيضا بمشكلات الحياة الاجتماعية في مصر .

ووسط العمال والمثقفين الاجانب قامت حركة سياسية بسيطة اتخذت مسارا اشتراكيا ويساريا واضحا منذ مطلع القرن العشرين وحتى قبل ذلك بقليل .

وقد أسهم الايطاليون في تأسيس أول نقابات عمالية تأسست في مصر مثل نقابة لفافي السجاير ونقابة الخياطين وعمال المعادن وعمال المطابع وكانت هذه النقابات مكونة أساسا من العمال الاجانب (٢) لكن تأثير وتقاليدهم العمل النقابي ما لبثت أن امتدت وبسرعة الى العمال المصريين الذين تلقنوا الكثير من أساليب النضال من زملائهم العمال الاجانب . وقد لعب الحزب الاشتراكي الايطالي (القديم) دورا نشيطا في صفوف هؤلاء العمال وأسس لهم « الجامعة الشعبية الحرة » التي عنيت أساسا بتحقيق العمال ورفع وعيهم (٣) وكان نشاط الحزب الاشتراكي الايطالي واسعا في

(١) عبد الحميد فهمي مطر . التعليم والمتعلمون في مصر - المرجع السابق

ص ١٩١ .

(٢) الأهرام ١٩٢٤/٣/٧ - (شهادة روزنثال أمام النائب العام) .

(٣) Marcel Colomb. Ibid,

مصر الى درجة أن لورد لويد كتب يقول « إن الحزب الاشتراكي الايطالى كان نشطا في مصر نشطا لا يقل عن نشاطه في ايطاليا (١) » .

وقد اتسع نشاط الايطاليين اليساريين في الثلاثينيات ليجابه التيار الفاشى المتعظم النمو وسط الجالية الايطالية كما سنرى في الصفحات القادمة .

كذلك كان اليساريون الارمن يصدرن نشرة شيوعية دورية وكذلك اليونانيون ، وحتى المهاجرين الروس من أعضاء الحزب الاشتراكي الديمقراطى الروسى (البلشفيك) كانوا يصدرن هم أيضا نشرة يسارية باللغة الروسية أسمها « ماريك » أى « البحار (٢) » .

ولم تكن علاقات الجاليات الاجنبية بالصراع الاجتماعى والسياسى في مصر قاصرة على اليسار وحده ، بل ان عناصر برجوازية أجنبية قد أقامت مثلا علاقات وثيقة بحزب الوفد ، وربما كان « ليون كاسترو » نموذجا لهذه الاتصالات . فقد كان صديقا شخصيا لسعد زغلول ، وأصدر مجلة باللغة الفرنسية ذات ميول وفدية وهى *Liberté* (٣) .

ثم تاتى أحداث الثلاثينيات العاصفة لتخلق مبررات لتزايد الاهتمامات السياسية والعمل السياسى والاجتماعى وسط الجاليات الاجنبية . ومن هذه المبررات .

- الفاشية وامتداداتها السياسية والتنظيمية في مصر .
- التيارات الدينية المتطرفة وانعكاس نهوها على وضعية الاجانب في مصر .

- الحرب العالمية الثانية وتأرجح مصير كل الأجانب . واليهود خاصة مع اشتداد هجمات جيوش المحور على مصر .

فلنحاول أن نلقى وبسرعة بعض الاضواء على هذه المبررات .

(١) مارسيل اسرائيل (شيريزى) - تقرير بالالة الكاتبة الفرنسية - عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - قدمه الكاتب للحزب الشيوعى الايطالى (نسخة أصلية)

(٢) لمزيد من التفاصيل : راجع : د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر - المرجع السابق . ص ١٥٨ وما بعدها .

(٣) لمزيد من التفاصيل حول دور ليون كاسترو وتطور مواقفه راجع : - أحمد محمد غنيم وأحمد أبو كف - اليهود والحركة الصهيونية في مصر - سلسلة كتاب الهلال .

وأيضا - د . رفعت السعيد - اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ (دار الطليعة) بيروت .

• منذ أن قامت الفاشية في ايطاليا وموسوليني يتطلع أنصاره أولا وسط الجالية الايطالية الكبيرة العدد ، والحسنة التنظيم ، واستفادوا أيضا في تحركهم من الامتيازات الاجنبية التي كانت تحمي تحت مظلتها كل أجنبي • وقد تعاطفت الرجعية المصرية مع الفاشية لعلها تجد فيها مخرجا يحميها من خطر اليأس وتصادم الصراع الطيفي • ووصل الأمر إلى حد تهجيد الفاشية باءذيها السد المنيع ضد الشيوعية ، وامتدحت صحيفة مصرية موسوليني بآعذاره « أتى أعمالا مجيدة وجعل الشعب الايطالي يقلع عن كثير من العادات القديمة التي كادت أن تؤدي بايطاليا إلى الثورة والخراب » (١) ، وجريدة أخرى تؤكد أن كل أوربا قد تنبهت إلى مزايا الفاشية التي أنقذت ايطاليا بعد أن «كادت تهوى إلى هاوية الشيوعية» بل لقد وجد الكاتب الشجاعة كي يقول: لقد سمعت كثيرين يعربون عن الأسف على أن لا يكون عندهم موسوليني من أهل بلادهم ليمسّر دفة البلاد إلى العمل والنجاح » (٢) والحقيقة أن كل قيمة موسوليني عند الرجعية المصرية كانت تتركز في عداوته للديمقراطية وللشوعية وأنه « أسكت المعارضة في البرلمان الايطالي • وصان بذلك حياة الملكة التي كانت جرائدها ولسان معارضتها تقودها بخطوات سريعة نحو البلشفية » (٣) ، بل لقد وصل الأمر إلى حد أن مجلة قانونية متخصصة هي « مجلة المحاكم المختلطة » كتبت تقول « بينما مصر تتسلح بما لديها من قوانين مكتوبة وغير مكتوبة للدفاع عن كيانها إزاء الدساتير الشيوعية قد يكون مفيدا لقاء نظرة إلى الحرب العوان التي أعلنتها الفاشيست في ايطاليا على العدو المشترك » (٤) ، وكانت صورة « شباب الفاشيست » من أبناء الجالية الابطالية وهم « يزهون » بمصانهم السوداء تجد مكانا مرموقا في الصحف المصرية (٥) •

بل لقد وصل الأمر إلى حد أن حزبا مسئولا شارك في الحكم أكثر من مرة وأسمى نفسه « الأحرار الدستوريين » قد سمح لجريدته أن تكتب قائلة « وقد لا نخطئ إذا قلنا أن فكرة البرلمانية والفاشستية تجد كل منهما في مصر أنصارا إذا عرضنا للبحث ، ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا أن الروح الفاشستية تلقى تأييدا أشد حرارة من الروح البرلمانية » (٦) ولعل هذا الموقف هو امتداد طبيعي لرفض حزب الاقلية الضئيلة لأن تحكم البلاد

(١) اللطائف المصورة ٢٨/٢/١٩٢٧

(٢) ملحق مجلة الفلاح المصري • عدد شهرى سبتمبر وأكتوبر ١٩٣٨

(٣) قسطنطى الياس عطارة - تاريخ تكوين الصحف المصرية - مطبعة

انتعش (١٩٢٨) ص ١٩٧ •

(٤) الأهرام ١٩٢٧/٩/٨

(٥) اللطائف المصورة ٧/٣/١٩٢٧

(٦) السياسة ٣١/٨/١٩٣٦ •

دستوريا وبواسطة حزب الاغلبية البرلمانية (الوفد) • ولم يكن أحمد حسين وحزبه « مصر الفتاة » سوى رجوع الصدى لأشد القوى يمينية في مصر • وهو لم يحاول حتى أن يخفى نفسه ، فعندما سافر الى باريس في عام ١٩٣٠ لم يزعجه هناك أكثر من « سريان الشيوعية المخربة المدمرة لكل ما هو جميل وروحي وكذلك الاشتراكية المتطرفة » (١) وهو يعترف بأن الفكرة التي أوحى الى موسوليني بالقميص الاسود في ايطاليا ، والتي أوحى الى هتلر أن يبتكر القميص البنى في ألمانيا هي « التي أوحى اليها أن نفعل مثلها فعلوا » (٢) •

وهو يرفض الحياة البرلمانية والمستور والديمقراطية ويصف سنواتها في مصر بأنها « عشر سنوات ضاعت ، وتأخرت بها الأمة عشرين عاما الى الوراء ، وانها ضاعت في القليل والقال ، بين خطب ومناقشات ومفاوضات وبين خلافات حزبية ويران مستعرة وبرلمانات تشاد وبرلمانات تهدم » (٢) •

مرة أخرى يؤكد أحمد حسين « نكره هذا النظام البرلماني الذي يقوم على تعطيل الاعمال وتعويق الانتاج ، والذي يحول البلاد الى مسرح من مسارح الخطابة والتمثيل » ويقول « ونحن نريد في نهاية الامر نظاما لا تكون الكلمة فيه للجهال وهم في كل مكان الاكثرية » (٤) • وبعد رحلة قام بها أحمد حسين الى ايطاليا وألمانيا يعود ليؤكد « أننا سوف نثبت جدارتنا بالسير ببلادنا في الطريق الذي سلكه من قبل هتلر وموسوليني » (٥) • وفي حديث له مع مراسل جريدة « لافوروفاشيست » الايطالية يؤكد أحمد حسين أن مبادئ حزبه تتشابه مع مبادئ روما وبرلين ويفول « ونحن نرغب في أن نقلد زعيمكم الدوتشي فيما أدخله من الاصلاحات » وقال أن شبيبة مصر الفتاة « تعتقد أن الدوتشي هو منشيء قواعد السياسة في هذا العصر » (٦) •

ويبدو أن أحمد حسين قد صدق نفسه بالفعل فأعلن في يونيو ١٩٣٨ أن حزبه سيصل الى السلطة بعد ثلاث سنوات وهو يعلق على رد الفعل

(١) أحمد حسين - ايماني - الطبعة الاولى - مطبعة الرغائب (١٩٣٦)

(٢) المرجع السابق ص ٣١١ •

(٣) الصرخة ١٠/٧/ ١٩٣٣ •

(٤) مصر الفتاة ١٨/٧/ ١٩٣٨ •

(٥) مصر الفتاة ٤/٧/ ١٩٣٨ •

(٦) مصر الفتاة ٨/١/ ١٩٣٨ •

الناجم من هذا التصريح فيقول « فلم أكد ألقى هذا التصريح حتى استبشرت به الأمة فرحاً أما الشيوخ ورجال السياسة فقد سخروا كما سخروا من قبل بكل مصلح وصاحب فكرة وإرادة : سخروا من هتلر وسخروا من موسوليني .. ونحن لا يزعجنا ذلك ، بل يزيّننا إيماناً ، نحن نريد الحكم » (١)

وقد حرص أحمد حسين على أن يطعم « فاشيته » بفزعة فرعونية فدعا إلى « ميليشيا فرعونية » (٢) ، وحاول أن يطعمها أيضاً باتجاه إسلامي فهو يتحدث إلى جريدة « جرنال دى جنوا » الإيطالية قائلاً « الفاشية فيها الكثير من الإسلام » (٣) وهو يستأسد فجأة مستنداً إلى تأييد السراى فيدعو إلى انقلاب فاشى شامل « يا من بايعتمونى ، لا بد من انقلاب ، لا بد من قوة ، ولا قوة بغير تضحية .. إذا أردنا إصلاح هذه العجالة القديمة ، عنبنا نحاول تريميمها ، أو نغير بعض أجزائها ، لا بد من تحطيمها تحطيماً وإعادة بنائها وذلك هو الانقلاب الذى تحتاجه البلاد » انقلاب ضد من ؟ يجب أحمد حسين « .. كل شئ يحتاج إلى انقلاب لا بد من انقلاب يكتسح هذه الحشرات التى يسمونها وفداً أو نحاساً أو مكرماً أو برلماناً » (٤)

وهكذا يستبين كل شئ فالدعاوى الفاشية لم تكن سوى أداة في يد القصر وأحزاب الأقلية ضد البرلمان والدستور الذى كان يكفل لتوفد دوماً أن يأتى للحكم ..

وكان لا بد لهذه الدعاوى من أن تثير الذعر فى نفوس الأجانب ، وأكثرتهم تربت وتثقت وأطمأنت فى رحاب « فكر الثورة الفرنسية وعتاليد الإصلاح الدستورى فى أوروبا » (٥) ولا بد له أيضاً أن ييبث الرعب فى نفوس اليهود وهم كثيرين بشكل ملحوظ وسط الجاليات الأجنبية ، بل ولا بد لكل أجنبى مقيم فى مصر أن يشعر بالخوف وهو يقرأ المبادئ العشرة التى صاغها أحمد حسين لتؤهل معتنقها كى يكون جندياً من جنود مصر الفتاة .. ويجد فيها

(١) مصر الفتاة - ٤ - ٧ - ١٩٣٨ .

(٢) الصرخة - ١ - ٣ - ١٩٣٥ - وراجع أيضاً كتابه : إيمانى - المربع السابق .

(٣) مصر الفتاة - ١١ - ٨ - ١٩٣٨ .

(٤) تقرير اتهام النيابة العمومية فى قضية الجنائية رقم ٨٧٦ السيدة زينب لعام ١٩٣٩ .

5) Robert Stephens — NASSER — Pelican books — (1983) — P. 45.

« احتقر كل ما هو أجنبي بكل نفسك ، وتعصب لقوميتك الى حد الجنون » (١) .
 ولا بد لهذا الخوف من أن يتضاعف عندما يشعر الاجنبى بأن « الناصر
 الحكى » ورجله المفضل كامل البندارى يحتضنان هذه الجماعة ويسندانها ،
 ولم يكن أمر هذه العلاقة خافيا على أحد . بل لقد تناولته الصحف
 في أحاديث صريحة . وتكتب جريدة المصرى وهى تتحدث عن الفاشيست
 المصريين قائلة « فالدكتاتورية اذا كانت شرا فى صورتها الشعبية كما هى فى
 ايطاليا ومانيا فان شرها ليجاوز الحدود والقيود اذا تولاهما رجال السراى ،
 وقد صدق زعيم الامة حيث قال . « ليس أسوأ من حكم رجال السراى
 فى أى بلد من البلاد » (٢) . وعندما كان النحاس فى الحكم حاول الحد من نشاط
 جماعة مصر الفتاة فوجهت السراى أحد أتباعها من النواب كى يوجه
 استجوابا عن أسباب ذلك ، ورد النحاس بنفسه معلنا أنه قد « ثبت
 لوزارة الداخلية أن جمعية مصر الفتاة تعهل لحساب دولة أجنبية ضد
 مصلحة البلاد » (٣) .

أما من هى الدولة فقد أجابت صحف الوفد تأمينا بأنها ايطاليا ،
 وفالت احداتها أن ايطاليا أنفقت فى عام ١٩٣٥ مبلغ عشرين ألف جنيه
 على الدعاية وحدها وانها ضاعفت هذا المبلغ عام ١٩٣٦ (٤) .

وقد صحب ذلك كله نشاط محمود قامت به التيارات الفاشية فى الجالية
 الايطالية تحت زعامة مانتزولينى Mazzolini الوزير الايطالى الموض
 والمندوب فوق العادة والذي كان فاشيا مقحمسا ، وكثيرا ما شوهد فى
 مدن القطر المختلفة وهو يستعرض فى قميصه الأسود فضائل الشباب الفاشى
 من أبناء الجالية الايطالية (٥) . وقد تصاعد هذا النشاط ليثير مخاوف
 الكثيرين داخل مصر وخارجها The communist International مقالا هاما
 يلهمس هذه القضية فيقول « أن القاهرة هى أحد المراكز الرئيسية للدعاية
 الفاشستية وللتجسس لحساب الفاشست الايطالين والالمان . ان الدعاة
 الفاشست يرددون للجماهير المسلمة دعايات تقول ان الكثيرين من الالمان
 والايطالين قد اعتنقوا رسالة محمد . وهم يوزعون كتاب « كفاحى » باعتباره
 قرآنا جديدا » . ومضى المجلة قائلة « ووفقا لما أوردته الصحف التركية فان

(١) الصرخة ١٩٣٣/١٢/٩

(٢) المصرى ١٩٣٨/٧/٣

(٣) مجلس النواب . الهيئة النيابية السادسة . مجموعة مضابط دور
 الانعقاد الاول - المجلد الاول عام ١٩٣٩ ، مضبطة ١٩٣٦/٧/٢٢ ص ٩٧

(٤) آخر ساعة ١٩٣٦/٧/١٩

(٥) د . عبد العظيم رمضان - المرجع السابق ص ٢٤٦ .

في مصر وحدها ما يزيد على ٣٠٠ جاسوس ٠٠ كما أن الدعاية الفاشستية تساند أيضا فكرة معاداة السامية» (١) .

وقد ضاعف من خطورة الوضع أن « القصر » ورجاله « على ماهر - المراعى - البنداري » قد ظلوا - لفترة ما - يلعبون لعبة التقارب من « المحور » ، وفي يوم ٢٣ فبراير ١٩٣٩ كتب الكونت شيانو وزير خارجية الدوتشي في مذكراته يقول إن نبأ مثيرا قد وصله عن مقابلة تمت بين مراد سيد أحمد باشا وزير مصر المفوض في برلين والسفير الايطالي بها « أتوكيلو » استفسر فيها الوزير المصري باسم مليكه « الذي يناصر الانجليز العداء » عما اذا كان المحور سيقف الى جواره ويسانده اذا ما أعلنت مصر حيادها وترتب على ذلك تدخل مباشر أو غير مباشر من جانب بريطانيا العظمى ؟ » (٢)

ونؤكد المخابرات البريطانية في أحد تقاريرها أنها كسفت - بعد الحرب - وثائق ألمانية تفيد أن على ماهر المدير الاساسي لتقارب القصر مع المحور « كان يحصل من النازي على مبالغ مالية عن طريق بنك درسدنر (Dresdner) » (٣) .

ولم يكن مصادفة أن الصديق الوفي لعلى ماهر - في ذلك الحين - محمود عزمي والذي ألف عنه كتابا بعنوان « الأيام المئة » كان أيضا في رأى كرومر « قد أصدر مجلة أسبوعية في مارس ١٩٣٦ تلقى العون المالى لاصدارها من الايطاليين » (٤) .

وكانت هناك أيضا التيارات الاسلامية المتعصبة ، وهي تلك التي تمد أبصارها للماضي لتستلهم آثار السلاف « تتجاوز الحاضر ولا تنظر للمستقبل بل تعود الى الماضي السحيق لتستلهم عصر صدر الاسلام كنموذج لما يجب أن يكون عليه العالم » (٥) .

1) The Communist international, Vol : XVII No. 6 (1939) P. 476 — By D.DAVOS

2) The Ciano Diaries 1939—1943— Doubleday and Company — ine, Garden City, New York (1946) P. 32.

ولمزيد من التفاصيل راجع السياسة الدولية - أكتوبر ١٩٧٠ . مقال د . عبد العظيم رمضان - الدبلوماسية المصرية أثناء الحرب العالمية الثانية .

3) G. Kirk, The Middle East in the war 1939—1954 London (1953) P. 34.

(٤) رأى السفير البريطاني منذ ٣٠ سنة في ١٥٠ سياسيا مصرية - الازهرام ١٣/٢/١٩٧٠ (نقلا عن وثائق المتحف البريطاني) .

5) Albert Hourani —Thought in the Libarl age 1798—1939—Oxford (1970) P.8.

وكان حسن البنا يلجأ هو أيضا الى نفس الاسلوب الخطابى المثير الذى لجأ اليه أحمد حسين ، وبمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس جماعة الاخوان المسلمين ألقى خطابا جاء فيه « وفى الوقت الذى يكون فيه منكم معشر الاخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت نفسها روحيا بالايمان وفكريا بالعلم والثقافة وجسميا بالتدريب والرياضة ، فى هذا الوقت طالبونى أن أخوض بكم لجج البحار وأقتحم غنان السماء ، وأغزو بكم كل عنيد جبار ، فانى فاعل ان شاء الله » (١) .

وكان حسن البنا يؤكد أنه يريد الحكم ويريد حكومة اسلامية « الاسلام عبادة وقيادة ودين ودولة ، وروحانية وعمل ، وصلاة وجهاد ، وطاعة وحكم ، ومصحف وسيف ، لا ينفك واحد من هذين عن الآخر » (٢) .

والحقيقة أن القصر قد حاول وباستمرار استخدام بعض رجال الدين وبعض رجال الازهر كأداة لمجابهة الحياة الدستورية وحكومة الاغلبية ، ولعل فى تقارير البوليس السياسى التى عثر عليها مؤخرا ضمن وثائق قصر عابدين ما يكشف عن خبايا هذه العلاقة . فعلى سبيل المثال نجد تقريرا مرفوعا من حكامدار بوليس مصر الى كبير الامناء بالقصر الملكى عن « حالة الازهر الشريف يوم ٤ فبراير ١٩٢٧ » جاء فيه « أنه كان بالازهر أمس عدد كبير جدا لمناسبة صلاة الجمعة . فالتفت فيه الخطب الكثيرة طول النهار وفى الليل أيضا - وقد كانوا يصيحون بالنداءات الاتية من وقت لآخر « يحيا جلالة الملك - يحيا حسن نشأت باشا - يسقط البرلمان والحكومة وسعد باشا » (٣) .

وكان لا بد لذلك كله أن يثير هواجس الاجانب وكلهم غير مسلمين ، وأكثرهم علمانيون وكان لا بد للاجانب ولاعداء المحور منهم خاصة أن يشعروا بالرهبة تجاه هذا التحالف الذى نشأ بين الاخوان المسلمين والقصر الملكى ثم دين الاخوان وعملاء المحور ودعائته من ناحية أخرى . وبرغم أن لجماعة

(١) د . اسحق موسى الحسينى ، الاخوان المسلمين كبرى الحركات الاسلامية الحديثة . ص ٢٨ .

(٢) حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية - دار الكتاب العربى (القاهرة) ص ١٥١ .

(٣) وثيقة معنونة - محافظة مصر - ادارة الضبط فرع ب - نمرة ١٩٠ سدادسى سرى - مطلوب الرد - (مؤرخ فى ٥ فبراير ١٩٢٧ وموقع . حكامدار بوليس مصر) .

كانت عند نشأتها على علاقة بالدوائر الموالية للانجليز (أول تبرع حصلت عليه الجماعة كان مبالغ ٥٠٠ جنيه من شركة قنصاة السويس حيث يهيمن النفوذ البريطاني) (١) الا أنها سرعان ما اعتلت موجة التقارب مع القصر ثم مع المحور (٢) الامر الذى دفع الانجليز الى المطالبة أكثر من مرة باعتقال حسن البنا متهمين اياه أنه على علاقة وثيقة مع الايطاليين واعتقل البنا والسكرى وأودعا معتقل الزيتون لكنهما ما لبثا أن أفرج عنهما ويقول جورج كيرك تطيقا على هذا الافراج أنه « تم بضغط من القصر الذى ساد الاعتقاد أنه يهدد (حسن البنا) بمعونة سخية » (٣) .

فاذا ما وضعنا ذلك كله فى اطواره العام حيث كانت جحافل النازى تدن أبراب مصر بالفعل لامتكننا أن نتصور المناخ العقلى والفكرى والنفسى الذى عاشت فيه القوى العلمانية والديمقراطية واليسارية فى صفوف الجاليات الاجنبية والذى دفعها حتما الى العمل والنشاط باتجاه تقدمى . واذا كانت حراب الفاشية تتلجه أولا ضد اليهود فقد كان طبيعيا أن يتجه لكثيرون من أبناء الطائفة اليهودية فى مصر (واعددها ٦٢ و٩٥٣ وفقا لاحصاء ١٩٣٧) (٤) الى مجالات العمل المناهض لها .

فاذا أضفنا الى كل ما سبق عدة عوامل أخرى ذات أهمية خاصة منها :

✳ الحياة الثقافية والمناخ الفكرى العام وسط التجمعات الأجنبية والذى كان يتأثر بشكل مباشر بمثيله فى أوروبا وفى الوطن الام بالذات ، حيث كانت القوى اليسارية الاوربية تنشط بصورة ملحوظة باتجاه العمل المناهض للفاشية وتوسيع النشاط الجبهوى والديمقراطى ضدها . .

✳ الامتيازات الاجنبية التى كانت تحمى النشاط السياسى وسط الأجانب حتى ولو لم يكن مرضيا عنه من جانب السلطة . .

✳ عنصر اللغة ، فحتى نهاية الثلاثينيات لم تكن أوليات الادبيات

1) Richard P. Mitchell — The Society of the Muslim Brothers — OXFORD (1969) P. 9.

2) IBID — P. 19.

(٣) جورج كيرك — المرجع السابق — ص ٣١٤ .

4) Département de la statistique General - Annuel Sattistique de Poche 19١4—Le Caire p. 6.

الماركسية قد ترجمت الى العربية ، لقد ترجم الشيوعيون المصريون في مطلع العشرينات كتاب وحيد هو « الدولة والثورة » ثم فشلت محاولات لاحقة لترجمة كتب أخرى ٠٠ وطوال النصف الاخير من العشرينات وكل الثلاثينات كان دخول الكتب والمجلات والنصحف الشيوعية الى مصر ممنوعا ، وهكذا انفرد التقدميون الأجانب بالقدره على « استيراد » كتب ومجلات شيوعية ، احتماا بالامتنيازات الاجنبية ، وبحكم احتكاكهم الثقافي بأوروبا ، وبحكم نزوده الدائم عليها) وانفردوا - والى حد كبير - بالقدره على الاطلاع عليها (بحكم معرفتهم باللغات الاجنبية) .

* وكل ذلك يتم وقت كانت فيه سلطات الاحتلال البريطاني - وهي التي كانت تهيمن على أجهزة الامن - ترتجف فزعا من اقتراب الغزو النازي لمصر . ومن تواجد قوى مصرية موالية للمحور ومن مساندة الرجعية المصرية وفي قمتها القصر الملكي لهذه القوى ٠٠ وفي ظل مناخ كهذا كان من الطبيعي أن تسمح سلطات الأمن بالنشاط الديمقراطي والمناهض للفاشية ، وأن تشجعه في بعض الاحيان ، وأن تتغاضى عن الميول الماركسية لبعض التجمعات ، بل وأن تسعى للتحالف معها .



وهكذا أتاحت الفرصة أمام الأجانب وأمام اليهود منهم بالذات كي ينشطوا باتجاه مناهض للفاشية ، ولقاومة معاداة السامية ، فكيف استغلوا هذه الفرصة ؟

كانت البداية على يد « ليون كاسترو » صديق سعد زغول ، وصاحب مجلة « لبييرته » حيث أسس في نهاية العشرينات جماعة Essayistes (المحاولين) كجماعة ثقافية علمية ضمت عددا من الايطاليين واليونانيين والشوام وقليل جدا من المثقفين المصريين ، وكانت هذه الجماعة تصدر مجلة اسمها L'effort (المجهود) ، وداخل هذه الجماعة تواجد تيار يسارى ، وكامتداد لجماعة « المحاولين » كانت هناك مجلة ذات اتجاه قريب من اليسار تصدر بالفرنسية في الثلاثينيات اسمها La gerbe (الحزمة) وكان يصدرها زكى ليفى (١) .

وعندما تصاعد المد الفاشى فى أوروبا ومع تردد صدها فى مصر فنشط ليون كاسترو مرة أخرى وأسس « جمعية مكافحة العداء للسامية (I.S.C.A.)

(١) محضر نقاش مع ادوارد ليفى - أجرى فى باريس فى أوائل نوفمبر

وقد امتد نشاط هذه الجماعة الى مدارس اللبسيه حيث يدرس معظم الشباب الأجانب ، ومن داخل هذه الجماعة التي حشدت في صفوفها الكثير من اليهود تبلور تيار يسارى ما لبث أن تباعد عنها تحت ضغط عناصر صهيونية تجمعت فيها أيضا (١) . وقد أقام بعض أفراد هذا التيار اليسارى علاقة مع الحزب الشيوعى الفرنسى ، ومن بينهم ادوارد سوريانو (وكان موظفا في شركة قناة السويس بالاسماعيلية وتوفي عام ١٩٣٨) ويقال أنه اشترك في اعداد كتاب أصدره الحزب الشيوعى الفرنسى بعنوان « الأدب والاستعمار مصر في الادب الفرنسى » (٢) .

وقد نشطت هذه المجموعة اليسارية ، وأوجدت مسارات عديدة لعملها منها تأسيس مدرسة للاسبرانتو (٣) ويبدو أن الاهتمام بتدريس اللغة الدولية (الاسبرانتو) كان رد فعل طبيعى وسط جماعات تتكلم لغات مختلفة وفي بلد لا يعرف أى منهم لغته الأصلية .

وفي عام ١٩٣٤ تجمع معظم هؤلاء اليساريين الأجانب من عدة جنسيات وبأغلبية من اليهود في « اتحاد أنصار السلام » الذى أسسه بول جاكو دى كودب وارتبط بالتجمع العالمى للسلام

(٤) Rassemblement Universel Pour la Paix

واتخذ طابعا ديمقراطيا مناهضا للفاشية والحرب .

وكان « بول جاكو دى كودب » على علاقة بتجمع شيوعى من اليونانيين يقوده ياناكاكس وبيريديس ثم انقسم عنه عندما اكتشف عزلته القامة عن مشاكل مصر وقضاياها فقرر أن يقترب أكثر من مصر من خلال واجهة علنية هي اتحاد أنصار السلام (٥) ، وقد انضم الى هذا الاتحاد عدد من الشخصيات اليسارية الهامة من مختلف الجنسيات منهم فيوبيريديس .. (الشاعر اليونانى الشهير) ، وزوجته الكسندرا ، ودورا ستوليار Dora stoliar وأخوها أبى Aby وهما من أصل روسى ، وأنا طوبى Anna Touby (٦)

(١) محضر نقاش مع ايلى ميزان - أجرى في باريس في منتصف نوفمبر

١٩٦٨ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) تقرير قدمه الرفيق سبانو عن فترة اقامته في مصر الى الحزب الشيوعى الايطالى (مودع أصله في أرشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى (صورة فوتوغرافية) .

(٤) مارسيل اسراييل (شيريزى) - تقرير مكتوب بالالة الكاتبة الفرنسية

-- المرجع السابق .

(٥) محضر نقاش مع دينا فورتي - أجرى في روما في ١٩٧٣/٢/٢٤ .

(٦) محضر نقاش مع بول جاكو دى كودب - أجرى في باريس في أوائل

نوفمبر ١٩٦٨ .

وقد نشطت جماعات المتقدمين الاجانب في تنظيم حملات لمساندة الجمهوريين الأسبان وجمعوا تبرعات لبناء مدرسة أطفال في فالينسيا بالمنطقة المحررة بالاسبان . بل أن عددا منهم قد حاول المتطوع للحرب في صفوف الجمهوريين الأسبان ، وطلبوا الى السفارة الاسبانية بالقاهرة أن تنظم لهم فوجا من المتطوعين ، لكن السفارة أفتعتهم بالبقاء في القاهرة لمواصلة الحملة ، لحشد جهود القوى الديمقراطية لمساندة الجمهوريين (١) .

وما أن نشبت الحرب العالمية حتى نشطت القوى اليسارية والتقدمية وسط الجاليات الأجنبية ، البعض يدعو لنبذ ثرثرة المثقفين والاشتراك مباشرة في القتال ضد الفاشية وقد سافر عدد منهم بالفعل مثل أبى ستولبار (روسى الاصل وقد مات في معارك الجبهة الايطالية) وجورج بوانتيه (عضو الحزب الشيوعى السويسرى وقد حضر الى مصر ليعمل مدرسا للغة الفرنسية ، وقد انضم الى الفرقة الفرنسية ومات هو أيضا في المعارك) (٢) وكارليتو مندل Carletto Mendel (وكان عضوا بالمجموعة الشيوعية الايطالية بمصر وعاد الى ايطاليا عام ١٩٣٩ ليشترك في حركة المقاومة ضد الفاشيست وظل هناك حتى قتل بأيدى الفاشيست عام ١٩٤٣) (٢) .

بينما قرر البعض الاستمرار بمصر والفضال كجزء من الحزب الأم . . خاصة وأن القاهرة قد تحولت مع اشتعال الحرب العالمية الثانية الى مركز ذو أهمية دولية . .

وكانت هناك المجموعة الشيوعية اليونانية التى تضم يانا كاكس والأخوة بيريديس وحاجى أندريوس وهو كاتب روائى مشهور اشتهر في ميدان الأدب باسم تسيركوس Tsirkos والرسام انزلو بولو والمحامى سقراط كالياريكوس ونيقولا باباريديوتى وآخرين كثيرين (٤) وما لبث أن اتسع هذا

(١) من رسالة خطية كتبها باللغة العربية مارسيل اسرائيل (شيريزى) يجب فيها على عددا من الاسئلة وجهها له المؤلف خلال لقاء معه في روما في منتصف فبراير ١٩٧٣ والرسالة مؤرخة مارس ١٩٧٣ .

(٢) محضر نقاش مع هنرى كورنيل - جلسة النقاش الاولى - أجريت في باريس في نوفمبر ١٩٦٨ .

(٣) محضر نقاش مع دينا فورتى - المرجع السابق .

(٤) نقولا باباريديوتى - تقرير باللغة الفرنسية كتبه اجابة على أسئلة المؤلف عن نشاط المجموعة الشيوعية اليونانية بمصر (نسخة أصلية) .

الانشاط بوصول مجموعات عسكرية من الجمهوريين اليونانيين الى مصر وكان
الفوذ اليسارى قويا فى صفوفها ، وقد قامت هذه المجموعات بخمس انتفاضات
ضد تآمر السلطات البريطانية عليها ومحاولات الزج بها فى معارك بعيدة
عن اليونان وبقوى غير متكافئة مع العدو بهدف تصفيتهما خدمة للملكيين
اليونانيين وقد أسهم الكثير من اليساريين الاجانب فى مساندة هذه المعركة .

وتشير أحد وثائق السفارة الأمريكية بالقاهرة الى وجود « حزب
شيوعى أرمنى مقره القاهرة ويتزعمه ك . هوفمانسيان
وتؤكد الوثيقة أن هذا الحزب لا يقيم أية علاقات مع الجماعات المصرية
المتطرفة » (١)

وكانت هناك تجمعات أجنبية أخرى تضم جنسيات مختلفة منها تجمع
كان بضم ريمون أجيون وراؤول كورييل وبعض اليونانيين الذين أصدروا
مجلة « دون كيشوت » التى سرعان ما تورطت فى بعض الانتقادات الموجهة
للسياسة السوفيتية فاتهمت بالتروتسكية وما لبثت المجلة أن أغلقت . وقد
نشط « أجيون » بعد ذلك هو وزوجته وعدد من اليساريين الانجليز فى تكوين
لجنة لرعاية المهاجرين اليوغسلاف بمصر (٢٨٠٠٠ مهاجر) وجمع التبرعات
لهم ، وتقوية الصلات بالشيوخيين فى صفوفهم (٢) .

وبين جنود قوات الاحتلال البريطانية كان هناك أيضا شيوعيون منهم
كونونيل كولجمان KLUGMAN (وكان على علاقة ببول جاكو دى كرومب)
الذى تعرف به عن طريق أستاذ الانجليزى شيوعى كان يدرس بالجامعة
المصرية (٣) ومنهم أيضا الضابط سام باردل (وكان على علاقة بهنرى
كورييل - وكانت زوجة سام واسمها هنريت آرييه تعمل موظفة فى المكتبة
التى أفتتحها كورييل واشتهرت باسم مكتبة الميدان (٤) .

(١) وثيقة مودعة بأرشفيف وزارة الخارجية الأمريكية تحت رقم :
226 - OSS — 113884 — Feb1, 1945

(٢) محضر نقاش مع ريمون أجيون : أجرى فى باريس فى ١٩٧٣/٤/٤

(٣) محضر نقاش مع بول جاكو دى كرومب - جلسة المناقشة الثانية -
أجريت فى باريس فى ١٩٧٠/١/٢٦

(٤) محضر نقاش مع هنرى كورييل - جلسة النقاش الثانية - أجريت
فى بنزيس فى ١٩٧٠/١/٢٥

لكن أكثر المجموعات الشيوعية نشاطا في الثلاثينيات كانت بغير منازع المجموعة الشيوعية الإيطالية والتي كانت تضم عدیدا من الاعضاء النشطين منهم ٠٠ دينا فورتى ، وريناتوميلى Renato mielli وزوجته ايزا Isa ، وأوجو ناكسون Ugo Nacson وريناتو فرفرة ولارا ليفى Lara Ivi وزوجها راؤول مكاريوس ، وكارليتو مندل .

وكانت هذه المجموعة تعمل بنشاط في صفوف الجالية الإيطالية في محاولة باسلة لمقاومة النشاط الفاشستى فيها ، وكانت تقيم علاقات أيضا مع مجموعة تضم الاشتراكيين الإيطاليين بزعامة باولو باتينو (وكان أحد قادة الحزب الاشتراكى الإيطالى) وكانت هذه المجموعة على علاقة بفرع الحزب الشيوعى الإيطالى في فرنسا حيث كانت تتلقى نسخا من مجلة يصدرها في باريس اسمها « صوت الإيطاليين » La vos delglitaliane حيث تقوم بتوزيعها بالبريد على مختلف الشخصيات الإيطالية وعندما تكاثرت الأسرى الإيطاليين في مصر أصدرت المجموعة الشيوعية نشرة كانت ترأس تحريرها لارا ليفى وكان يجرى توزيعها بالتعاون مع السلطات البريطانية وأصدرت أيضا نشرة أخرى لتوزع على معسكرات الأسرى الإيطاليون في أنحاء العالم وكان أسمها « الجبهة المتحدة Fronto Unito

وكانت هذه المجموعة من النشاط بحيث حظيت باهتمام خاص من الحزب الشيوعى الإيطالى الذى أرسل أحد قادته حوالى عام ١٩٣٥ الى مصر وهو الرفيق سبانو ليقوم في بورسعيد بهدف تنظيم نشاط سياسى وسط الجنود الإيطاليين المتجهين الى الحبشة (١) .

كذلك يبرز اهتمام قيادة الحزب الشيوعى الإيطالى بنشاط هذه المجموعة من أن الرفيق تولياتى لدى مروره بالقاهرة قادما من موسكو بعد انتهاء الحرب زار لارا ليفى في منزلها حيث وجه انتقادات عديدة لخط السياسى لمجالتها « (٢) » .

ولقد ظل النشاط الشيوعى وسط الإيطاليين المقيمين بمصر متصلا لفترة لاحقة الى الدرجة التى لفتت انظار السفارة الامريكية فأعدت تقريرا عن مجالين

(١) محضر نقاش مع دينا فورتى - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع مارسيل ميسيكوا - أجرى في باريس في

هامين من مجالات نشاط الشيوعيين الايطاليين بالاسكندرية وهما منظمة
ايطاليا الحرة Movimento Libera Italia والمركز الثقافي الايطالى
Centre Cultural Italiano وقالت السفارة أن المنظمة الاولى تقع
تحت « سيطرة مجموعة من المتطرفين الذين يرددون دعايات لصالح روسيا
ويتزعم الاذشاط الشيوعى فى هذا المجال أوجو فيورينتو Ugo Fiorentino
وأوردت اسماء أربعة آخرين من معاونيه . . وتقول الوثيقة ان فيورينتو قد
سافر مؤخرا الى ايطاليا حيث اجتمع بتوليأتى .

وتقول الوثيقة أن منظمة ايطاليا حرة قامت بتأسيس « المركز الثقافى
الايطالى فى ١٦ فبراير ١٩٤٥ بهدف ترويج الفكر الماركسى بين شباب الجالية
الايطالية . ويرأس المركز الثقافى الايطالى البروفسير جيوسيبى سيباستى
PROF Giuseppe Sebast (١)

ولعله كان طبيعيا بعد ذلك كله . . أن يستشعر بعض هؤلاء الشيوعيون
- من مختلف الجنسيات - احساسا بتأنيب الضمير وهم يتحدثون عن
الماركسية والصراع الطبقي ويقاومون الفاشية ، كل ذلك باللغة الايطالية
أو الفرنسية أو اليونانية وبمعزل تام عن شعب يرون بأعينهم كل يوم كيف
يعانى ويناضل . .

لعله كان طبيعيا بعد ذلك كله أن يستشعر الكثيرون من هؤلاء الشيوعيين
الأجانب ضرورة النضال . . ان لم يكن فى صفوف الشعب المصرى ، فعلى الأقل
محاولة النضال من أجل الشعب المصرى ، سعيا الى كوادر مصرية تقود العمل
الشيوعى على أرض مصر ومن أجل شعب مصر .
وفى ظل هذه الفرص الواسعة التي أتاحتها ظروف الحرب العالمية ،
وامكانيات وامتيازات الجاليات الاجنبية فى مصر ، وفى ظل المطاردة العنيفة
التي لاحقت بقايا كوادر الحزب الشيوعى المصرى (القديم) التي صمدت
فى نضال مستميت دام حوالى عشرين عاما والتي تركز ضدها كل حقد
وقسوة وبطش سلطات الاحتلال والرجعية المصرية ، حتى جعلت منها
خلايا معزولة ، كانت برغم شجاعة رجالها عاجزة عن ممارسة دور ذو أثر . .

فى ظل هذا التناقض الغريب بين الفرص المتاحة أمام اليسار الاجنبى
والمطاردة - الشرسة ضد اليسار المصرى . . كان طبيعيا أن ينمو دور الأجانب،

(١) وثيقة مودعة بأرشفيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :
RG. 319 Mis 284423 - 21 May 42 .

لفترة من الوقت حتى نستعيد الكوادر المصرية أنفاسها . . ثم لا يلبث بعدها
أن يتصائل مع أمواج المصريين المقبلين للنضال تحت راية الشيوعية .

وهذا هو ما حدث بالفعل . .

وفي بلد شبه مستعمر ، يعاني من حساسيات بغير حدود تجاه الأجانب ،
كان لا بد لوضع القيادات الأجنبية من أن يكون مؤقتا في صفوف الحركة
الشيوعية ، فبرغم إيجابيته في المرحلة الأولى ، كان لا بد له من أن يخلق -
بذاته حساسيات أخرى تفرض انهاءه . . .

وهذا هو ما حدث أيضا . .

٣ - لماذا نشأت الحركة الشيوعية منقسمة :

هل كان ضروريا أن تنشأ الحركة الشيوعية في مطلع الاربعينات وهى منقسمة ؟

هذا هو السؤال الذى تردد باستمرار فى أعماق كل شيوعى مصرى وكل باحث فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية . . وردا عليه قال البعض :

لو أن شيوعى الحزب القديم ظلوا متماسكين ومتواجدين الى الحد الذى يمكنهم من استقطاب الموجة الجديدة ، لكان الامر قد حسم ولتوحدت حولهم كل الفئات والجماعات المقبلة باتجاه اليسار . .

وقال البعض الآخر :

لو لم يكن الأجانب . . لما كان الانقسام ، فهم بطبيعة انتمائهم غير المصرى أقاموا تجمعات منفصلة يونانيين ، ايطاليين ، أرمن . . الخ ، وهم بطبيعة تكوينهم المنعزل عن الشعب المصرى لم يستشعروا خطر الدقوقع داخل « جدران تنظيمات » صغيرة . .

وقال رأى ثالث :

لو أن الأحزاب الشيوعية الاوربية (وخاصة الاحزاب الشيوعية باثيونان وايضاليا وفرنسا وبريطانيا) كانت تعيش فى ظروف طبيعية ، ولو لم تجابه صعوبات بل وضربات الحرب العالمية الثانية ، لأمكنها أن تسهم فى توحيد هذه « التجمعات » وأن تتداخل لصالح عملية الوحدة .

وثمة رأى آخر :

يقول لو أن « الكومنترون » لم يحل فى هذا الوقت بالذات ، لكان قد أدلى بكلمة مسموعة وواجبة الطاعة من جانب الجميع ولتوحدوا تحت رايته .

وآراء أخرى كثيرة . . كل منها يحتوى على قدر معين من الصحة . . ومجموعها يحيط بنشأة الحركة الشيوعية المصرية فى الاربعينات بسلسلة متراكمة من سوء الحظ تحالفت على جعلها منقسمة . ومع تسليمتنا بتأثير كل عامل من العوامل السابقة تأثيرا قل أو كثر فاننا نود أن نشير الى بعض عوامل أخرى أسهمت - فى اعتقادنا - فى تكريس الانقسامية :

* « حاقية » بعض قادة التجمعات الأولى :

فلقد سيطر على البعض منهم احساس بالخاطر الدائم والخوف المستديم تحول الى شك وريبة في الجميع ، وتحول الحذر لدى البعض الى معوق عن استيعاب القوى الجديدة الوافدة تحت رايات الماركسية اللينينية ، بل ورفضها وادانتها واتهامها فلم تجد هذه القوى الوافدة سوى أن نبحث لنفسها عن « تجمع » مستقل تعمل من خلاله . .

فقد رأينا كيف أن مؤسسى « اتحاد أنصار السلام » وبرغم أنه كان قد كون جماعة ماركسية داخل هذا الاطار الديمقراطي ، الا أنه صمم تصميمها غريبا على رفض الانفتاح على أى وافد جديد . .

وقد عرض عليه الكثيرون الانضمام الى مجموعته وتحت قيادته لكنه رفض وبإصرار حتى مجرد النقاش في الامر .

ولقد يكون له بعض العذر . فقد كان درس الحزب القديم والمطاردات الساحقة التى لاحقته ماثلا أمامه دائما .

ولقد كان البوليس المصرى حذرا ومدربا ومتيقظا لاى تحرك ، ولقد كان الرجل - الدائم الحذر - يبحث عن مصريين ، أو على الاقل متصريين ، ولم يكن يريد أجنبى . . . ولعله كان محقا في تصوراتة هذه ، لكنه صم أذنيه عن صيحات الآخرين بصورة دفعتهم دفعا الى تكوين منظمات أخرى .

ولقد نظلم « الرجل » اذا ما ألقينا عليه عبء هذه المسئولية الخطيرة ، ولعله كان حسن النية تماما ، ولقد نكون مبالغين عندما نلقى بعضا من مسئولية هذه الظاهرة العامة والتي استمرت لاجيال على عاتق « فرد » لكن السؤال الذى يتعين على المؤرخ المحايد أن يسأله :

ماذا لو أن هذا الرجل قد مزج بعض حذره ببعض من سعة الافق ، واسفطاع - بشكل أو بآخر - أن يستوعب هؤلاء الذين أتوا اليه يطرقون بابيه ، ويسألونه أن يضمهم الى منظمته ؟

ولسوف يظل هذا السؤال المحايد بغير اجابة قاطعة ، لكنه يظل أيضا ملقيا ببعض ظلال المسئولية على منهج الرجل وتصرفاته . خاصة وأن المنظمة التى تابعت آراءه ومنهجه قد واصلت السير على نهجه في رفض الالتفات لقضية الوحدة رفضا قاطعا جعل من الانقسامية أمرا واقعا ولا مفر منه .

✽ كان الانجيه « جددا » ولا يقدرّون هدى ومسئولية تأسيس حزب شيوعي ؟

كانت الساحة ممهدة ، والحاجة ملحة ، لكن الكوادر المدربة الراحية المركة معنى والمسئولية تأسيس حزب شيوعي مفتقدة ، والكوادر القديمة « محاصرة » تصمم الرجعية على حصارها ، ويصمم الجدد على تجاهلها أو عدم الاعتماد بخبرتها ، وهكذا اندفعت مجموعات من الشبان الى مجال العمل التنظيمي غير مسلحة بأية خبرة تنظيمية ، كانت معلومات الجميع سطحية ، وخبرتهم التنظيمية قليلة أو منعدمة ، والاستناد الى تجارب اى ، والى تجارب الغير . مفتقد . وهكذا تجمعوا فى البداية بشكل مرتجل .

والغريب فى الامر أن أحدا منهم لم يشعر فى بداية الامر بمخاطر « الانقسامية » كانوا فى أغلب الاحيان يرددون نفس الكلمات ، والخلاصات السياسية قليلة ، أما الاختلافات البارزة فهى خلاصات فى أساليب العمل ومنهج النضال .

ولقد اعترف لى جميع من قابلتهم من مؤسسى هذا النشاط أنهم كانوا مجردين تماما من خبرة العمل التنظيمي ، والى حد كبير من خبرة العمل السياسى ، كان فى داخلهم حماس يتقد دون خبرة ودون ادراك لماهية المسئولية المترتبة على خوض معركة تأسيس منظمة شيوعية . الى جانب منظمات أخرى .

وحتى عندما نمت هذه المنظمات ، وعندما اتحدت أغلبها معا فقد ظلت خبرة العمل التنظيمي وأساليب معاملة الكادر والتعامل معه ، ومناهج الصراع الداخلى فى الحزب الشيوعي وضوابطه مفتقدة الى حد كبير ، وأدت الى مزيد من الانقسام .

✽ وكانت أرض مصر خصبة :

كانت مصر فى شوق بالغ الى راية جديدة ، الى منبر متميز عن تلك المنابر البرجوازية التى أثبتت عجزها وعدم قدرتها على تحقيق أمانى الشعب والوطن ، وكان الوقت ناضجا تماما ، والجو مهيأ تماما ، وألوف الشباب ذوى الطموح الثورى والامكانيات النضالية تتوثب استعدادا للالتفاف حول هذه الراية الجديدة راية الماركسية اللينينية ، وأى منبر وأية جماعة قل أعضاؤها أو كثروا طالما أنها كانت ترفع هذه الراية كانت مهيأة لان تستقبل أفواجا من هذا الشباب المتفجر ثورية وحماسا .

وكان هذا أيضا - على ايجابيته - عنصرا سلبيا رسخ في أذهان كل هذه « المنظمات » الوليدة فكرة « النمو الذاتى » .. بمعنى تجاهل الآخرين والاسراع بالنمو والتحول الى تنظيم كبير ، طموحا الى تأسيس حزب .. لقد وصل الامر الى درجة أن جماعة من طلاب المدارس الثانوية كانت تلتقى في زاوية الطريق بين مسجدى الرفاعى والسلطان حسن اختارت لنفسها طريق العمل الشيوعى ، وسرعان ما تحولت الى منظمة شيوعية. اشتهرت باسم الحى الذى وجدت فيه .. « القلعة » ..

ورويدا رويدا تنمو هذه المنظمات وتتلاقى قواعدها ، وتتسائل ما الذى يفرق بينها . رويدا رويدا .. تبدأ الصعوبات الحقيقية والمسئوليات الحقيقية عندما تتحول الحلقة الى منظمة ، والمنظمة الى منظمة كبيرة العدد كثيرة المسئوليات ..

ورويدا رويدا تتوقف موجة المد العارم الاولى بانطفاء جذوة الأحداث الوطنية والطبقية الحادة .. وفى منتصف عام ١٩٤٧ تبدأ الدعوة الى الوحدة .. وتهزم سياسة النمو الذاتى ، لكن الموقف الحلقى القديم للبعض أدى الى أن تقوم الوحدة ناقصة وغير كاملة ، ثم ما لبثت صواعق المطاردة العنيفة من العدو وتقشى الاتجاهات البرجوازية الصغيرة وقلة الخبرة بمعالجة قضايا الصراع الحزبى ان أجهزت على الوحدة التى تأمت ، وتفتشت الانقسامات من جديد ..

✽ عندما يتحول التباعد الى تمايز !

فى البداية نشأت الحلقات جنبا الى جنب ، وتعاملت فى مودة كاملة بدون صدامات أو حساسيات ، ولعل أفضل تشبيه ينطبق عليها هو أنها كانت تشبه « الأندية الرياضية » تتنافس فى ود ، ولقد يبدو ذلك تحليا بروح « رياضية » ، لكنه كان أيضا تعبيراً عن افتقاد الاحساس بمخاطر الانقسامية وافتقاد الحس الحزبى والتنظيمى .

وفى مطلع الأربعينات كانت كوادر المنظمات المختلفة تعمل فى « ود » جنبا الى جنب ، أعضاء الحركة المصرية للتحرر الوطنى يوزعون مجلة « الفجر الجديد » ويكابون فيها وكذلك أعضاء ايسسكرا ، والجميع يذهبون الى « دار الابحاث العلمية » و « جماعة نشر الثقافة الحديثة » الخ ..

وساد الحركة الشيوعية مناخ خطير للغاية روج له البعض ربما عن عمد وربما بحسن نية مؤداه أن كل نضال يسارى هو خير فى حد ذاته ،

وأن في الشارع المصرى متسع للجميع وأن أى منبر يسارى جديد ينشأ هو شوكة في جنب الأعداء ..

وفي البداية كان التباعد « مكانيا » .. بمعنى أن معظم النخب كانت لا تختلف عن بعضها البعض إلا في التفاصيل ، وحتى قادتها عندما يحاولون اليوم - خلال نقاشي معهم - أن يقدحوا ذهنهم بحثا عن أسباب الخلافات الأولى فلا يجدون سوى أسباب واهية بعضها شخصي وبعضها في أساليب ومناهج العمل .

لكن هذا التباعد المكاني ما لبث أن أوجد - بذاته وبالضرورة - تباعدا في أساليب العمل ومنهج التفكير ووسائل المعالجة للقضايا التنظيمية والفكرية

وبمرور الزمن واختلاف الأساليب والمناهج تهايز تياران ، تيار ثورى وتيار انتهازى . ولست بحاجة الى القول بأن كل تيار كان يختار لنفسه اسم الثورى ويلصق بالآخرين اسم « الانتهازى » .

ومع هذا التمايز واستقراره تكرست « مدارس » مختلفة في العمل الشيوعى المصرى أصبح توحيدها أمرا صعبا بالفعل ..

✽ قضية الحزب :

ويقول البعض أن أحد أسباب الانقسام أن أحدا لم يعلن قيام « حزب شيوعى » وانما أقاموا « منظمات » ويتصور هذا البعض أن مجرد اعلان لافتة الحزب كان كافيا بذاته لمنع الآخرين من التواجد خارج صفوفه ..

ولست بحاجة الى القول بأن هذه حجة شكلية ، رغم أنها ترددت كثيرا ، ورغم أن البعض قد مارسها في الواقع العملى في مطلع الخمسينات فلم يزد الوضع إلا سوءا ، وكان مجرد اعلان منظمة تحمل اسم الحزب في وجه المنظمات الأخرى ورفضها لها ، تكريسا جديدا للانقسامية .

والحقيقة أن هؤلاء الشبان الذين تصدوا لتأسيس منظمات شيوعية في مطلع الأربعينات كانوا بحاجة ملحة الى فترة من تحسس الواقع الذى كانوا بعيدين عنه ليس فقط لانهم من أصل أجنبى وانما أيضا لانهم « جدد » ولأنهم مبتدئون في العمل السياسى والتنظيمى على السواء ..

ومن هنا كان احجامهم عن التسرع باعلان الحزب أمرا مفهوما ومعقولا . . . لكن المشكلة تطورت فيما بعد ، وعندما أصبحت الظروف الموضوعية في مصر ملائمة تماما لاعلان الحزب ، وعندما أصبح اعلانه أمرا ضروريا كانت الأوضاع الذاتية للحركة الشيوعية تعوق اتخاذ هذه الخطوة ، فقد تفتشت الانقسامات وانكمأ الكثيرون في حمأة الصراع الداخلي مكتفين « بنهش » بعضهم البعض دون النضال في صفوف الشعب .

وهنا أثر شعار « معقول » مؤداه عدم الفصل بين معركة التوحيد ومعركة اعلان الحزب .

وبدأت محاولات ، وبذلت جهود عديدة ، لكنها كانت بغير ثمرة ، فالوعاء ذاته كان قد امتلأ بالثقوب ، والكثيرين كانت قواهم قد أنهكت من الصراع الداخلي المرير ومن المطاردات البوليسية العنيفة . .

وأخيرا فان البعض يتخطى كل ما سبق ليؤكد أن جوهر الانقسامية ينبعها الاساسي كان بسبب تواجد تيار انتهازي تسوده روح البرجوازية الصغيرة التي ثملت بنشوة الانتصار السهل في المد الثوري في الاعوام الاولى ثم ما لبثت أن تراجعت بحثا عن مهرب تحت ضغط الاحداث والمطاردات البوليسية العنيفة في فترة الجذر . . فلم تجد مهربا من عنف المعركة سوى الانقسام والتشويش على النواة الثورية التي مارست النضال وظلت تمارسه . .

وبعض الآخر - ولعله أساسا من هؤلاء الذين انقسموا - يركز الاسباب كلها في تعنت القيادة وفي رفضها عقد المؤتمر وتجاهلها لارادة الكادر وعجزها السياسي والتنظيمي وتشبثها بخط سياسي يميني أطلق عليه - خط القوات الوطنية والديمقراطية - وبعض هؤلاء يترفقون فينسبون الخطأ الى قلة في الخبرة وقلة في الدراية بأسايب القيادة وأساليب الصراع ، بينما الآخرون يؤكدون أن الأمر كله كان مدبرا ومخططا . .

وبعض ثالث ينسب الانقسامات الى تأمر العدو الذي بث عملاء له يفجرون الألغام في داخل الحركة ويفتعلون الخلافات ويصعدونها ثم يتفجرون بها في صورة انقسامات وتكتلات . . وبرغم أنني أرفض هذا الرأي ليس فقط لأنه يصم تيارا كاملا بالبوليسية وانما لأنه يتجاهل أن ظروفنا موضوعية كانت تولد الروح التكتلية والانقسامية ، أقول برغم أنني أرفض هذا الرأي ، إلا أنني لا أستبعد في حالة محددة أو أكثر أن يكون العدو الطبقي قد أسهم

بل وخطط لبعض التفجيرات الداخلية .. أما المؤكد فانه قد تابعها بسرور واستفاد منها بذكاء ..

وبعد فما أسهل أن يتخذ المؤرخ موقف « الحياد » فيصد كل الاحتمالات ثم يتعالى فوقها جميعا ..

وما أسهل أن أقول في محاولة للتفلسف أن كل هذه الاسباب كانت بشكل أو بآخر متوافرة - بقدر قل أو أكثر - فأدت الى تفشى الانقسامية .

ولست أعتقد أن هذا القول خاطيء تماما .

لكننى وبصراحة أقف في حيرة ..

بين موقفى السياسى الذى يدين الانقسامية ويرفضها كمبدأ ، وأيا كانت مبرراتها بل ويرفض مبدأ تبريرها أو تسببها أو البحث عن « فتاوى » تجيزها أو تقلل من حجم ادانتها ..

وبين موقفى كمؤرخ يريد أن يتقصى كل الاسباب والعوامل ليس فقط استكمالا للشكل الاكاديمى للبحث وإنما محاولة للوصول الى الحقيقة ذاتها والاستفادة - بأكبر قدر ممكن من دروسها ..

ومن هنا فاننى ومع يقينى بأن كثير من الاسباب التى وردت كانت الى حد ما أسبابا موضوعية ، فانها لم تكن أبدا مبررا للانقسام والتكتل .

وبغض النظر عن « الحياد » الضرورى « للمؤرخ » ، و « الالتزام » المفترض فى « السياسى » تبقى الانقسامية والتكتلية جريمة لا يمكن تبريرها .

جريمة لمن ارتكبها ، أو سكت عليها ، أو هيا الظروف لارتكابها .. هذا هو المبدأ ، وبعدها يجتهد « المؤرخ » و « السياسى » كل بأسلوبه ووسائله فى بحثهم سعيا لتحديد حجم الخطأ ومداه فى هذا الجانب أو ذاك ..



- ٢ -

٠٠ مع الجماهير

•• وتصبح الماركسية قوة

مادية عندما تلتحم بالجمهير •

لينين

كان شيوعيو العشرينات أساتذة في فن العمل بين الجماهير ، وقد أكسبهم ذلك - وفي هذا الوقت المبكر - مزيدا من النفوذ والقدرة على التأثير .

فعلى سبيل المثال نجد أن الحزب الشيوعي المصري قد أقام ركائز قوية في صفوف الحركة العمالية ، واستطاعت كوادره المتخصصة في مجال العمل النقابي من السيطرة وبشكل كامل على اتحاد نقابات العمال . الذي تؤكد مصادر هامة أنه كان يضم ما بين ١٥ و ٢٠ ألف عامل (١) وكانت الشخصيات الأساسية في هذا التجمع النقابي الهام من قيادات الحرب ، فسكرتيره العام هو الشيخ صفوان أبو الفتوح ، ومستشاره القانوني المحامي أنطون مارون وكلاهما من القيادة المركزية للحزب . .

ولعل خير دليل على نفوذ الحزب في صفوف الحركة النقابية في ذلك الحين هو انفراده في ميدان العمل فيها ، وفي وضع قواعد وتقاليد العمل النقابي والنشاط الاضرابي في هذا الوقت المبكر . وعندما اشتدت الموجة الاضرابية في عام ١٩٢٤ ، والتي كان الحزب هو المخطط لها والشيوعيون هم قيادتها ، توقفت أهم المراكز الانتاجية تماما عن العمل . . وانزعجت الحكومة . . وأرسلت قوات من الجيش الى الاسكندرية مركز الحركة الاضرابية ، وهدد الاحتلال الانجليزي بتحريك بعض سفن أسطوله الى الاسكندرية وتدخل سعد زغلول بنفسه وبثقله لاييقاف الاضراب ، وعندما قدم قادة الحزب للمحاكمة ، وقف انجرام بك أحد قادة البوليس - في ذلك الحين - ليشهد أمام المحكمة قائلا « ان العمال كانوا يعملون بنصائح الأستاذ مارون ورفاقه وأنه لم يكن سهلا على البوليس اخراج العمال من المصنع ، ولكن اخراجهم كان من أيسر الأمور على الأستاذ مارون ، كما أن كلمة واحدة منه كانت تكفي لانهاء احتلال العمال للمصنع » (٢) .

كذلك نشط الحزب في صفوف قوى اجتماعية عديدة : الفلاحين (ولعله كان أول حزب سياسي مصري يقدم برنامجا فلاحيا مستقلا ويسعى لاقامة نشاط سياسي وحزبي في أعماق ريف مصر) والمثقفين وخريجي المدارس المتوسطة وحتى مستأجري المساكن أقام لهم رابطة تدافع عن مصالحهم ضد تعسف الملاك . .

وعندما بدأت حملة المطاردة ضد الحزب كان السلاح الاساسي الذي استخدمته الرجعية هو خنق امكانيات العمل الجماهيري أمامه ، فحلت

(١) الأهرام ٢/٢٢ ، ١٩٢٤/٣/١٩

(٢) الأهرام ٩/٢٩ ، ١٩٢٤ .

اتحاداته وروابطه وأغلقت أندية وصادرت صحيفته العلنية (الحساب) وسدت عديدا من التشريعات وصلت حد السفاهة لتحرم الشيوعيين من أية إمكانية للتلاصق مع الجماهير . ثم اتبعت ذلك بعملية غزو برجوازي لمجالات النشاط الجماهيري المختلفة بهدف استيعاب حركتها وشل نفوذ الشيوعيين فيها . . .

ويكتب الأهرام « لقد ظهرت في الاسكندرية في هذين اليومين حركة مفسدة للشيوعية ترمى الى تبرئة العمال من اتباع مبادئها . . . وهى حركة طيبة نسابلها بمزيد من الارتياح » (١) .

ومع توالى الضربات وتتابعها واستخدام أثقل الهراوات فيها ، تراجع النشاط الجماهيري للشيوعيين ، ثم ما لبث أن ضعف ، ومع ضعفه بدأ الشيوعيون فى الابتعاد عن الاحساس بنبض الجماهير ولاناولوا - طوال الثلاثينات - كثيرا من القضايا بروح يسارية ، وبمنهج يسارى استند فى كثير من الاحيان الى تفسير متزمت لقرارات مؤتمر الكومنترن السادس والخاصة بالموقف من أحزاب البرجوازية الوطنية فى المستعمرات وأشباه المستعمرات .

ثم ان خلافا قد نشب ، البعض يرى أن العمل السرى هو فى ذاته كارثة لانه يقود الى السجن ويغرى السلطة بالهجوم وينادى بعمل علنى وقانونى بحث بكل ما يتطلبه ذلك من تراجع عن بعض الاهداف ومن تغيير فى الألوان والمنطلقات والشعارات (مجموعة حسنى العرابى - الهامى أمين) (٢)

بينما تمسكت غالبية الكوادر برأى الحزب لكنها تراجع وتحت ضغوط عنيفة عن أسلوب التنفّس علنا .

وهكذا تمايز تياران . . شيوعيون يعملون سرا بغير علن . . وآخرون يعملون علنا بغير سر ، وكان انفصال العمل السرى عن العمل العلنى بداية حتمية لتضاؤل العاملين معا وضعف محصولهما وانتهائهما الى العجز وما يشبه الشلل .

وكان هذا هو الدرس . .

(١) الأهرام ١٠/٣/١٩٢٤ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الاول - دار الامل - القاهرة (١٩٨٧) .

وعاد القادمون الجدد فانطلقوا بمجرد تولدهم نحو العمل وسط الجماهير وبخاصة نحو صفوف الكادحين منهم كسبيل أساسي لتعزيز مواقع العمل الشيوعي في مصر . .

ويمكن القول أنه وبرغم انتهاج المنظمات الشيوعية المصرية المختلفة نهجا فكريا متقاربا في بديلية الأمر فانها قد اختلفت أساسا حول أسلوب العمل بين الجماهير . .

ح . م (الحركة المصرية للتحرير الوطني) تمايزت أساسا عن ايسكرا بسبب شعار التمصير ، ثم عادت فعززت هذا التمايز بسبب رفعها لشعار « التعميل » .

ويمكن القول بأن ح . م ثم « حدثو » كانا المحور الاساسي لانطلاقة الشيوعيين وسط مجالات عديدة من العمل الجماهيري مثل الصحافة اليسارية العذبية (شاركتها جماعة الفجر الجديد في البداية في هذا المجال ثم عادت حدثو للانفراد المطلق فيه ابتداء من عام ١٩٤٧) الجيش ، الفلاحين ، العمال (شاركتها فيه الفجر الجديد أساسا في مجال عمال النسيج) ، رجال الدين (مسلمين ومسيحيين) ومجالات أخرى عديدة أكسبت الفكر الماركسي رسوخا واستقرارا واستمرارية وميزته عن غيره من التيارات التي عبرت على سطح مصر الأربعينيات لينطفئ لمعانها سريعا . .

ويمكن القول بأن مدرسة حدثو كانت تتميز أساسا (بعيد أن تحصنت بشعارى التمصير والتعميل) بالعمل الجماهيري المفتوح والواسع الانتشار والذي يكسب الكوادر حرية في الحركة وقدرة كبيرة على التجنيد ، وبرغم أن هذه المدرسة كانت تعتقد بأن العمل الجماهيري هو بذاته عنصر أمن يظل البوليس ويحمي الكوادر الا أن الكثيرين قد عابوا على « حدثو » انغماسها في النشاط العلني وشبه العلني دون اهتمام بحماية كوادر سرية غير مكشوفة وأن وعاء الامن في حدثو كان « مثقوبا » على الدوام بمعنى أن العمل العلني الواسع والمكشوف كان يفقد الكوادر حذرهما ويفقد القادمين الجدد الحماية اللازمة اذ سرعان ما يدخلون هم أيضا الى دائرة العناصر المكشوفة لاجهزة الأمن .

ويدلل هؤلاء على صحة رأيهم بأن تاريخ حدثو عبارة عن مجموعة من موجات النشاط المحتدم ، موجات بمعنى أنه كان هناك فاصل زمني بين

كل موجة وأخرى ، هو فترة من ارهاب السلطة ، وفي هذه الفواصل الزمنية التي يصعب فيها العمل الجماهيري أو تنتفي امكانياته تفكش حذو الى حد كبير ، وتمتد أيدي البوليس الى كل ركن من أركان المنظمة .

أما مجموعة « الفجر الجديد » والتي ظلت حصنا للحذر ، والحيطة في التفكير والعمل ، فانها قد مارست في بداياتها عملا جماهيريا هاما بغير شك (جماعة الشباب للثقافة الشعبية - جماعة نشر الثقافة الحديثة - مجلة الفجر الجديد - مجلة الضمير - لجنة العمال للتحرير القومي بالاضافة الى عمل نشيط في صفوف حزب الوفد) غير أنه يلاحظ أن هذا النشاط الجماهيري قد تلاشى تماما بعد أول ضربة دلققتها الجماعة في يوليو ١٩٤٦ ، وبعد البدء في تشكيل النواة السرية للتنظيم شيوعى سمي « الطليعة الشعبية للحرر » وكان قيام هذا التنظيم ايذانا باختفاء هذه المجموعة من الانشطة العلنية (باستثناء مجالين هما حزب الوفد وعمال النسيج) ولا يبنى أمام الدارس لهذه المرحلة سوى أن يتصور أن هذه المجموعة لم تكن تعرف معنى ومغزى المزج بين العمل السرى والعلنى معا وفي اطار تنظيمى واحد ، فقد كان العمل الجماهيري في نظرها مجرد بديل للعمل السرى الذى لم يحن حينه بعد ، وكان العمل السرى (عندها قام) مانعا من الاحتكاك العلنى بالجماهير عملا بآليات الحذر المشددة ، وثمة ملاحظة ثانية في هذا الصدد وهى أن الكوادر المحدودة والتي أنيط بها العمل الجماهيري سواء في حزب الوفد أو وسط عمال النسيج لم تكن ذات وعى سياسى كاف ، أو لعلها لم تدرك معنى العمل الجماهيري في اطار تنظيم شيوعى ، فقد شاب نشاطها بعض الأخطاء الفادحة منها حرص هذه الكوادر على التئصل من الشيوعية بل والتهمج عليها أمام الجماهير وفق تصور خاطئ مؤداه أنهم بذلك يحمون أنفسهم وأنهم بهذا يخدعون البوليس ويضللونه .

أما المدرسة الثالثة فكانت مدرسة منظمة الحزب الشيوعى المصرى التي تواجدت ابتداء من عام ١٩٥٠ والتي أحكمت إغلاق أبوابها ضد أى نشاط علنى محاولة - وفق تصورات سياسية - نقل كل الانشطة حتى الجماهيرى منها الى ميدان السرية ، وهكذا شهدت الادبيات الشيوعية (على الورق فقط بطبيعة الحال) مسميات مثل اتحاد العمال السرى ، اتحاد الفلاحين السرى ، اتحاد الطلاب السرى - لجان السلام السرية .. الخ ..

وبرغم هذه الملاحظات فانه يمكن القول وبشكل عام أن الحركة الشيوعية المصرية فى الأربعينيات قد أمكنها - مع بعض الاستثناء - أن

تتفهم وأن تطبق بنجاح تعاليم وأفكار المؤتمر السابع للكونغرس الذى
يعتبر نقطة تحول « كرسست فكرة توحيد كل القوى المناهضة للامبريالية
والديمقراطية والنضال من أجل العمل الجبهوى بهدف توحيد الجماهير فى
حركتها ضد أعدائها » (١)



لكن هذا الرصد السريع ، وما تضمنه من طابع انتقادي ربما بدا
صارماً لبعض الشيء لا ينفى جدية النشاط الجماهيرى الذى قام به الشيوعيون
المصريون طوال الأربعينات ولعله من المفيد أن نعود فنحاول أن نلقى - نظرة
سريعة أيضاً - على بعض مواقع هذا النشاط ، لعلها تقدم لنا صورة
أكثر تعبيراً عن نوعية هذا النشاط وحجمه وفعاليته ..

• • وسوف نكتفى ببعض النماذج • •

* الأندية والروابط والتجمعات الثقافية •

* الصحافة والنشر •

* الجيش •

* العمال •

* الفلاحين •

* الطلاب •

* العمل الجبهوى •

1— Boris Ponomarev — Some problems of the revolutionary movement
— Prague-1975 P. 62

الأندية والروابط والتجمعات الثقافية

* الفن والحرية :

في « بيت الفن » (٥ شارع درب الحباله بالحامية الجديدة) تجملت نواة من الفنانين التشكيليين والمثقفين والشعراء بزعامه جورج حنين معلنة تمردا على الثقافة والفكر والمجتمع ، داعية الى استخدام الفن كأداة للتمرد رافعة شعار « الفن معمل بارود » وكان اعتمادها للسريالية مذهبا سبيلا « لاشارة الاستغراب في نفوس الجماهير » ذلك أن « كل راحة ونعمة في الحياة الجديدة ولدت في أذهان رجال شذوا عن العرف والمألوف المصطلح عليه » (١)

و « الفن والحرية » هي مجرد امتداد متمصر لجماعة المحاولين وحتى بعد أن تأسست جماعة « الفن والحرية » ظل جورج حنين على صلة بجماعة « المحاولين » فهو ينشر في العدد الثاني من مجلة « لفن وانحرية » نص تقريره الذي تلى في ندوة لجماعة المحاولين عقدت في ٦ أبريل ١٩٣٩ . ويحدد جورج حنين موقفه من الفن والفنان في هذا التقرير قائلا « ان هدفنا ليس تغيير الرغبة بل تغيير المجتمع وتكييفه مع رغباتنا ، ولا يمكن للفن أن يكون عاطفيا فحسب ، فهو ضد النظام القائم ، وضد العنيفة الحاكمة وضد الخنوع وضد الركوع البوذي ، فانفن ليس سوى مخزن للخيرة » (٢) .

وعندما نقول أن « الفن والحرية » كانت امتدادا متمصرا « للمحاولين » وعى جماعة أجنبية في الأساس فاننا نعني بكلمة « متمصر » أن غالبية الأعضاء كانوا مصريين (جورج حنين - أنور كامل - رمسيس يونان - يوسف العفيفي ٠٠ انخ) الا أنهم كانوا يعيشون في بوتقة أجنبية التفكير ، أجنبية اللغة ، متقوقعة في وعاء الفن وحده ، عاجزة عن فهم الواقع والتجاوب معه أو التأثير فيه ولو بأقل أثر .

(١) مجلة التطور - يناير ١٩٤٠ - كامل التلمساني - مقال « نحو فن

حر » .

2 - ART et Libarté -- No 2 -- May 1939,

وهي نشرة مطبوعة بالرونيو غلافها مرسوم بلوحة سريالية
(التوقيع =

كانت نشرة « الفن والحرية » تطبع باللغة الفرنسية والعدد الأول الصادر في مارس ١٩٣٩ كل موضوعاته باللغة الفرنسية ، أما العدد الثاني فمعظم موضوعاته باللغة الفرنسية .

وكان جورج حنين يكتب أشعاره ومقالاته باللغة الفرنسية أيضا .

ولم يكن هذا الحاجز اللغوي هو الحاجز الوحيد ، فهناك أيضا ذلك الانتماء الفنى المحضر الذى يعجز عن التقارب من جماهير الكادحين المصريين .

ولقد كان ذلك محل انتقادات عديدة يعترف بها قادة الجماعة في

افتتاحية أول عدد أصدروه من نشرتهم « لقد حذرونا قائلين ، هذه الجماعة التى تريدون تأسيسها لماذا يتمسكون بسجنها داخل الاطار المحدود ؟ ألسنم بذلك تبعدون عن صفوفها هؤلاء الذين لا يحملون تجاه الفن سوى الفضل وليس الاهتمام ؟ ونحن نجيب على هؤلاء أن الفن يعتبر في نظرنا ليس مجرد صور أو أشكال منحوتة . انه شئ آخر تماما ، فهو فوق كل ترجمة ممكنة للحياة ، وفوق كل تعبير مؤقت أو أبدى عن المشاعر . » (١)

ولذلك فقد أعتبرت الجماعة أن وصول عدد الحاضرين في اجتماعاتها الى ثلاثين شخصا انتصار كبير يستحق التسجيل . . .

وتحت عنوان نشاط « الفن والحرية » جاء في العدد الثانى من النشرة « كان شهر مارس شهرا حاسما بالنسبة للفن والحرية فقد كانت الشكوك تراود بعض العقول وتحوط بحركتنا وبالتسرع الذى استجاب به بعض المثقفين الشباب وبعض الفنانين المصريين لندائنا ولكن بعد الاجتماع العام في الاربعاء ٨ مارس والجلسة الافتتاحية العامة في الخميس ٢٣ مارس

= غير واضح) وصفحات النشرة غير مرقمة والمقال المشار اليه منشور باللغة الفرنسية تحت عنوان « المثقف والخضم » خطاب الصديق والرفيق جورج حنين الى جماعة « المحاولين » .

1 — ART et Libarté Buletin No 1 Mars 1939

نشرة مطبوعة بالرونيتو غير مرقمة الصفحات ، غلافها عبارة عن لوحة سيرالبي اسمها « أم الشعوب » بريشة « الألبسانى » .

تبددت هذه الريب نهائيا » ٠٠ « وقد حضر هذه الجلسة ما يقرب من ثلاثين شخصا » وتمضى الفشرة قائلة « وفي يوم الخميس ٢٣ أبريل قزاحم أكثر من خمسين شخصا في مبنى الفن والحرية المؤقت الذى فتح أبوابه للامة للمرة الأولى » (١) .

وقد قامت الجماعة ببعض الانشطة في مجال الفنون التشكيلية حيث أقامت أول معرض سيرىالى في القاهرة سهى « المعرض الاول للفن الحر تحت شعار « Et Apres » « وماذا بعد ! » (٢) كذلك أصدرت الجماعة نداءا تدين فيه تدمير الفاشست للامال الفنية الخالدة بحجة أنها « فن منحط » وكان عنوان النداء الذى وقعه كل من سلامة موسى - جورج حنين - أنور كامل - رمسيس يونان « يحيا الفن المنحط » وقد طبع بالفرنسية وجاء فيه :

« نحن نعرف مدى عداء المجتمع البرجوازى لكل خلق أدبى أو فنى يهدد بشكل مباشر أو غير مباشر النظم الفكرية والقيم المعنوية التى يرجع الكثير من بقائه وحياته لاستمرارها ويتجلى هذا العداء اليوم في الدول ذات النظام الواحد وخاصة في المانيا الهنترية حيث يشن اعتداء فظ على الفن الذى يصفه الوحوش العسكريون ٠٠ بأنه منحط ، ان كل ما قدمه النبوغ المحاصر ابتداء من سيزان الى بيكاسو ، وكل ما أبدعه الفنان الحديث من نتاج حر ذا قيمة انسانية يسب ، ويداس بالاقدام ويمنع من التداول ٠٠ » .

ثم يختتم بعبارة « أيها المثقفون والكتاب والفنانون : ملنرد جميعا على هذا التحدى . ولنعلن تضامننا مع هذا « الفن المنحط » ففيه تكمن كل آفاق المستقبل ، ولنعمل على نصرته ضد وحشية القرون الوسطى التى تعود لتتربع من جديد في قلب الغرب » (٣) .

واذا كانت جماعة « الفن والحرية » قد أعلنت أن أهدافها « تنحصر في نشر الثقافة وإيقاف الشباب المصرى على الحركات الفنية في العالم ونشجيع الآداب مع الفنون » (٤) فإنها كانت في واقع الامر ، بوثقة تركزت فيها عناصر تروتسكية وحاولت أن تستخدمها مركزا لنشاطها .

وقد كان جورج حنين تروتسكيا (وقد ظل كذلك حتى بعد أن غادر مصر نهائيا ليستقر في باريس ، وأصبح واحدا من أبرز قادة سكرتارية باريس

1 — Art et Liberte No 2 — Ibid.

(٢) محضر نقاش مع أنور كامل - أجرى في القاهرة في ١٤/١/١٩٦٩

(٣) منشور مكتوب بالالة الكاتبة الفرنسية معنون :

Vive l'ART Degneré

(٤) النيابة العسكرية العليا - ملف قضية الاشتراكية المتهم فيها أنور كامل مع أعضاء جمعية الخبز والحرية بالاتفاق الجنائى على تلج نظام الحكم بالقوة - يونيه ١٩٤٢ - محضر أقوال المتهم أنور كامل .

أحدى انشقاقات الاممية الرابعة • وقد اتهم قبل وفاته بالاشتراك في تدبير الاضطرابات التروتسكية في سيلان عام ١٩٧٢ (١) وكان الكثيرون من أعضاء الجماعة تروتسكيين أيضا (أنور كامل و لطف الله سليمان (✱) ورمسيس

(١) فلسطين الثورة • عدد مايو ١٩٧٥ - عبد القادر يس مقال التروتسكيون المصريون والقضية الفلسطينية •

(✱) والحقيقة ان لطف الله سليمان يقلل كثيرا من شأن هذه العلاقة مع التروتسكيين فيقول في حديث صحفي :

« لم أنتسب لاي حزب ، كنت أمأشي تارة الطليعة الوفدية وطورا التجمعات الشيوعية والحركة السيريلية الى أن اتهمت بالتروتسكية » • ويروى لطف الله سليمان كيف قامت علاقته مع الجماعة التروتسكية ، فيقول أنه دعى لائقاء محاضرة في النادي الديمقراطي (هنري كورييل) « وهاجمت في حديثي لاتفاق هتلر - ستالين (سنة ١٩٣٩) فما كان من الحاضرين الا انهم انزلوني وعلا الصراخ في القاعة فتدخل الشاعر جورج حنين وأصدقائه السيريليين لحمايتي وأصبحت صديقا لتجمع حنين الذي كان يميل بعض الشيء للتروتسكية » •

لكنه يعترض على المناخ العام للسيريليين « كانت أجواء شديدة الجمالية وكان أغلبهم ينتسب الى البرجوازية الكبيرة ، في هذا الجو المخلى كنت أشعر في بعض الاحيان أنني كالزنجي بين البيض » •

وبرغم ان مواقف لاحقة للطف الله سليمان تشير الى التصاقه الوثيق بهذه الحركة التروتسكية أو تلك الا أنه كان يتمتع - بالإضافة الى تروتسكيته وربما تماشيا معها - بنزعة فوضوية خاصة ••

يقول عنهم « كانت مواقفهم أفضل بكثير من مواقف الشيوعيين ، كنت أراهم يتقدمون من ضيق مواردهم التي تمنعهم من القيام بالثورة (قال من قبل ان مناخهم مخلى واغلبهم ينتسب الى البرجوازية الكبيرة) فظننت وأنا ابن العشرين ان المسألة متعلقة فقط بقرى وضعهم المالى فقمت بعملية سطو على بنك في بلدتي المنصورة، وعندما وصلت الى القاهرة حاملا هذه الاموال رأيتهم مجمعين في مقهى جروبي ، واخبرتهم بما جرى فأمروني بارجاع الاموال فورا • وبالطبع لم أفعل ، وقد استعملت قسما منها لفتح دار للنشر فيما بعد » • وتتجسد هذه النزعة « الفوضوية » في عبارة حادة ومحيرة فعندما سألته المحرر « ما الذى أوصلك الى العمل السياسى ؟ » قال في بساطة مثيرة « أولا اللذة في خيانة الاهل » •

(حديث أدلى به لطف الله سليمان الى مجلة البلاد - (لندن) بعنوان « لطف الله سليمان يتذكر - معارض دائم على طريقته » •

يونان) ، وقد أصدر أنور كامل (في فترة لاحقة) كتاباً بعنوان - « أفزيون الشعب » يتهم فيه السياسة السوفيتية بأنها أفزيون الشعب ويدافع عن تروتسكى ويتساءل « أليس من العجيب مثلاً أن يتهم تروتسكى بالاجتاسوسية حتى في الوقت الذى كان يتولى فيه وزارة الدفاع ويقود الجيش الأحمر » ويصب أنور كامل هجومه على ما أسماه « البيروقراطية الكرملينية » ولعل أنور كامل قد شعر بفداحة الجرم الذى يرتكبه فأتى كتابه « معذراً للاصدقاء الاعزاء الذين حاولوا أن يثبوني عن نشر هذه الأحاديث حرصاً على مستقبل السباسب فيما يتصورون » (١) والحقيقة أن أنور كامل قد حدد مستقبله بهذا الكتاب الذى نشره بتعاون تام مع رجال الامن ، والذى كان ثبناً لكى يظل أنور كامل بمأمن من عمليات القبض المتتالية التى تعرض لها غيره .

واذا كان جورج حنين تروتسكيا حاول فرض تروتسكيته على الجماعة، فقد كان أيضاً أرسنقراطيا (أبوه صادق باشا حنين من أغنى أغنياء مصر ، وزوجته بولا الملايلى حفيدة شاعر الارسنقراطية المصرية أحمد شوقى بك) حاول أن يفرض أرسنقراطية على الجماعة فيفرض عليها اللغة الفرنسية (لغة الارسنقراطية المصرية المفضلة) ويفرض عليها التباعد عن مشاكل الجماهير المصرية ومتاعبها . . . وقد استخدم جورج حنين ثراه فى تمويل وفى ترويض تحركات الجماعة .

وهو الذى قدم الضمان المالى لمجلة التطور ، وعندما حاولت أن تتمرد على اتجاهاته الانعزالية سحب الضمان فسمح بترخيص المجلة وتوقفت عن الصدور (٢) ، وعندما حاول اليساريون المصريون الجدد غزو مقر « الفن والحرية » طاردهم جورج حنين أيضاً بفنوده المالى ، يقول أسعد حليم أحد رواد هذه الفترة واندفعنا بكل قوتنا لجذب أكبر عدد ممكن من المصريين ومن العمال الخاصة وبدأنا نحشد فى ندوات الفن والحرية عمالاً وكادحين ، وخلقنا هذا رد فعل ، وبدأ النقابات والنقائض واضحة ، هم أغنياء ، أرسنقراطيون ومثقفون ونحن فقراء ، وحدث تمايز ، وبدأ قادة المجوعة لا يرحبون بحضورنا . . . ولم يسدد الارسنقراطيون رسم استهلاك الكهرباء وقطع التيار

(١) أنور كامل - أفزيون الشعب - القاهرة - ص ٢٢ - ٧٧ .

(٢) محضر نقاش مع أنور كامل - المرجع السابق ، ولزيد من التفاصيل عن تاريخ الحركة التروتسكية راجع : د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الاول - المرجع السابق .

الكهربائي عن النادى لكننا صممنا على الاستمرار ، وكنا نعتقد ندواننا على ضوء شمع» (١) .

• وكان يحرك هذه المجموعة الجديدة من اليساريين المصريين شاب ايطالى تواجد أيضا على مضض فى صفوف « الفن والحرية » هو مارسيل اسرائيل ، ثم مالينثوا أن - انفضوا عن « الفن والحرية » وأعلنوا « الخبز والحرية » .

* الخبز والحرية :

لكن التمايز الذى تم لم يكن تمايزا تاما ، ذلك أنه لم يتم على أساس أيديولوجى بالمعنى المفهوم للكلمة وإنما على أساس « أرستقراطيون » و « فقراء » أو « أجانب » و « مصريون » أو « مثقفون » و « عمال » .

وهكذا تكونت « الخبز والحرية » كمنبر علنى •• يضم أنور كامل وفتحى الرملى (وهما تروتسكيان) وأسعد حليم وصالح عرابى ود• عبد العزيز هيكى (وهم شيوعيون ينضمون الى مجموعة سرية يقودها مارسيل اسرائيل) .

ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد ، فأنور كامل وفتحى الرملى أيضا كانا يرفضان العمل السرى ويقول أنور كامل « كان هناك خلاف جذرى آخر هو أنهم كانوا يدعون الى تأسيس منظمات سرية ذات صبغة شيوعية أما أنا فكنت أرى ضرورة تأسيس حركة علنية والاستفادة من الامكانيات القانونية ، وكنت أجهد نفسى بحثا عن تكييف قانونى ، فالاشتراكية مثلا لا يعاقب عليها القانون ، ولهذا قلت أننا اشتراكيون وليسنا شيوعيين » (٢) .

ومن بين الأنشطة البارزة التى قامت بها جماعة الخبز والحرية اصدارها دراسة هامة بعنوان « مشاكل العمال فى مصر » ولعله من الملفت للنظر أن تهتم الجماعة بأن تثبت على غلاف هذه الدراسة أنها « بحث اقتصادى مقدم الى وزارة الشؤون الاجتماعية من جمعية الخبز والحرية » .

(١) محضر نقاش مع أسعد حليم - أجرى بالقاهرة - فى ٢٠/١/١٩٦٩

(٢) محضر نقاش مع أنور كامل - المرجع السابق .

وعلى ذات الغلاف نقراً « قوة العامل من قوة النقابة التي ينتمى إليها ، وقوة النقابة من قوة الاتحاد العام والاتحاد العام للنقابات هو الأنواء التي تستند عليها الطبقات العاملة في كفاحها من أجل تحقيق مطالبها العادلة - يا عمال مصر اتحدوا » .

ثم على ذات الغلاف « المكاتبات ترسل باسم الزميل أنور كامل ٦٠ شارع القصر العيني » والدراسة في مجملها هامة وتتناول بالتفصيل القوانين العمالية المسارية والمطالب العمالية المحة بشأن ساعات العمل والبطالة وتشغيل النساء والاحداث ٠٠ ثم دراسة تحليلية للنقابة ودورها ٠٠ (١) وقد قال أنور كامل ان الجماعة قد طبعت من هذا الكتاب ١٠٠٠ نسخة (٢) .

واذا كانت قيادة « الخبز والحرية » مكونة من خمسة أشخاص (أنور كامل رئيسا وفتحى الرملى سكرتيرا وأسعد حلیم ود. عبد العزيز هيكل وصالح عرابى) فان ثلاثة من هؤلاء كما قلنا كانوا بصدد تكوين تنظيم شيوعى سرى هو « تحرير الشعب » تحت زعامة مارسيل اسراييل ٠٠

وهكذا اشتدت المصادمات بين تروتسكيين يتمسكون بالعمل العائى وشيوعيين يسعون لتأسيس منبر سرى ٠٠

وانهارت « الخبز والحرية » ٠٠ وأغلق مقرها . (شارع محمد على عمارة المؤيد) .

وينبذ مارسيل شيريزى (اسراييل) وكان مسئول منظمة تحرير الشعب الامور ايضا فيقول « كانت الخبز والحرية منبرا يجمع أعضاء ينتمون الى عدة اتجاهات . أما التنظيم السرى الذى كان وراء الخبز والحرية وهو تنظيم « تحرير الشعب » فقد كان يضم الشيوعيين فقط ٠٠ وعندما تمسك كل من أنور كامل وفتحى الرملى بالاراء التروتسكية والفوضوية ، وبعد فشل المحاولات لاقناعهم بالالتخلى عن هذه الاراء تقرر عدم التعاون مع كليهما ٠٠

-
- (١) مشاكل العمال فى مصر - بحث مقدم من جماعة الخبز والحرية - دار الطباعة الحديثة - القاهرة - أغسطس ١٩٤١
(٢) محضر نقاش مع أنور كامل أجرته الباحثة الامريكية سيلما بوتمان فى ٤ أبريل ١٩٨٠ - مكتوب بالالة الكاتبة الانجليزية .

وقد كان اغلاق مقر الخبز والحرية بقرار من البوليس بعد أن تردد عليه عدد كبير من العمال لا سيما عمال المطابع « (١) » .

وتتفرق السبل ..

تحرير الشعب تواصل طريقها ..

والثروتسكيون يحاولون مرة أخرى .. لكن محاولاتهم كانت وباستمرار مجيبة .

الجبهة الاشتراكية ..

.. يقول عنها أحد مؤسسيها فتحي الرملى أنها كانت شبه تنظيم بمعنى أنها كانت مجموعة تعمل علنا وتنشط وتناقش دون أن تكون تنظيما بالمعنى المهوم (٢) .

ويقول أنور كامل أنهم فكروا فى اعلان « حزب اشتراكى » وأن يعلن فى اجتماع عام يعقد فى ١٦ سبتمبر ١٩٤٧ (٣) .

وحول هذه البؤرة تجمع الثروتسكيون ، كما يقول تقرير قدمته حكمدارية بوايس مصر الى وكيل وزارة الداخلية حسن فهمى رفعت باشا عن : « الجبهة الاشتراكية » وتضم أسماء عديدة منها محمود فتحي الرملى - محمد فتحي الرملى - رمسيس يونان - لطف الله سليمان - جورج حنين - نور كامل - فؤاد كامل - ابراهيم ايليا مسعود - بخور منشه « (٤) » .

(١) مارسيل تشيريزى (اسرائيل) رسالة كتبها الى المؤلف يعلق فيها على الطبعة الاولى من هذا الكتاب ويرد على المزيد من الامثلة التى وجهها اليه . والرسالة مكتوبة بخط اليد باللغة العربية ومكونة من ٣٧ صفحة مؤرخة فى ١٨/٥/١٩٨٤ وموقعه مرسى (الاسم الحركى القديم لمارسيل) (٢) محضر نقاش مع فتحي الرملى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٥/٥/٤ .

(٣) النيابة العسكرية - ملف قضية الاشتراكية (المرجع السابق) .
(٤) حكمدارية بوليس مصر - سرى سياسى رقم ب / ١٣٧ سنة ١٩٤٤ - والتقرير مؤرخ فى ٣١/١٢/١٩٤٤ وموقع من سليم زكى عن حكمدارية بوليس مصر .

وقد تبادلت هذه الجماعة فرشحت فتحى الرملى فى انتخاب مجلس النواب التى أجريت عام ٤٤ - ١٩٤٥ فى ظل الاحكام العرفية فى دائرة السيدة زينب ، وقد قام التروتسكيون بتمويل هذه المعركة الانتخابية حيث يعترف فتحى الرملى « ان الذى أمدنى بمعظم المال الذى احتجت اليه فى المعركة الانتخابية هو لطف الله سليمان » (١) ويبدو أن هذا التمويل لم يكن قليلًا ، ذلك أن المنشورات الانتخابية الكثيرة التى وزعها فتحى الرملى كانت مثار تقارير عديدة للبوليس (٢) .

وكانت النتيجة تعبيرًا واضحًا عن نفوذ هذه الحفنة من التروتسكية فان درشحها لم يحصل الا على ٣٢ صوتًا فقط (٢) . وذلك رغم أن فتحى الرملى قد ارتدى ثياب العمال الزرقاء محاولًا أن يكسب أصوات هذا الحى الشعبى .

ولعل هذه النتيجة الهزيلة ، كانت صدمة لكل التروتسكيين وخاصة نزعيمهم جورج حنين الذى نفذ يديه من كل شئ وغادر مصر الى باريس . وبسفر الزعيم والممول انفض التجمع التروتسكى المصرى ليعود مرة اخرى بعودة جورج حنين .

* نحن أنفسنا :

كانت احدى الارهاصات التى أسسها فتحى الرملى لتخبو سريعًا دون أن تترك أثرًا ما سوى ما للاسم من دلالة ، فقد هاجر « الممهل » و « المفكر » فلم يبق أمام الاتباع سوى أن يعتمدوا على أنفسهم أو أن يحاولوا ذلك ، ولم تستمر هذه المحاولة سوى وقت قصير جدًا ، ولم تترك أثرًا سوى لمحة فى بعض تقارير البوليس تقول ان « عبد الرحيم صالح عرابى مع فتحى الرملى يكونان جمعية « نحن أنفسنا » وأغراضها تتفق مع أغراض الخبز والحرية » (٤) .

- (١) محضر نقاش مع فتحى الرملى - المرجع السابق .
- (٢) حكمدارية بوليس مصر - سرى سياسى - رقم ٣٣٦٤ ، ٣٣٧٦ ، مؤرخ ٣٠ ديسمبر ١٩٤٤ وموقع من سليم زكى ومرفوع الى حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية .
- 3) Public Record office -- f-o 371 -- 46003/9029 -- 7 th April -945
- () وهى عبارة عن تقرير مرفوع من السفارة البريطانية بالقاهرة الى وزارة الخارجية البريطانية حول النشاط الشيعى فى مصر () .
- (٤) حكمدار بوليس مصر - سرى سياسى - مذكرة عن هنرى دانييل كورينيل .

لكننا نخطئ لو تصورنا أن صفحة هذه المجموعة قد طويت
سريعا ، فقد ظلوا يلعبون دورا متميزا كتروتسكيين أحيانا وكفنانين
متميزين في أحيان أخرى . .

وفي مطلع عام ١٩٤٨ تحاول هذه الجماعة أن تنشط فتصدر منشورا
معاديا للملك فاروق الامر الذى يؤدى الى حملة قبض واسعة في صفوفها . .
وثمة وثيقة من وثائق السفارة البريطانية تتحدث عن هذه القضية
فتقول . . « منذ عدة أسابيع صدرت أول نشرة عن الحزب التروتسكى
في مصر وقد عنونت النشرة « الدولية الرابعة - النشرة الداخلية للحركة
الشيوعية الثورية » وقد وزعت هذه النشرة على الاعضاء وقد تضمنت
النشرة مقالا بقلم « فكرى » (وهو اسم سرى) يهاجم بشدة الملك فاروق
الامر الذى دفع القصر الملكى الى اصدار أمر بالقبض على التروتسكيين
المعروفين ، وقد قام البوليس بالقبض على ٣٢ شخصا ولم يعثر معهم على
أى دليل لادانتهم وما لبثوا أن أفرج عنهم . . وفيما يلي قائمة بالذين قبض
عليهم . . ونقرأ في القائمة أسماء لطف الله سليمان ، أنور كامل عثمان ،
جورج صادق حنين وزوجته اقبال العلايلى ، بخور مناحم منشه ، البير
قوصيرى ، كينتروفتش ، مكاريوس ، عمر رشدى - عادل أمين - شكرى
اسحق خلوصى - عبد العزيز حسين هيكىل ، محمد على عامر « (١) » .

وننتوقف في هذه القائمة أمام اسم محمد على عامر الذى كان في ذلك
الحين قائدا عماليا مرموقا ورئيسا لنقابة عمال النسيج بالزيتون ،
والذى سرعان ما ترك النشاط التروتسكى لينضم الى منظمة حدتو . .

وربما يمكن القول أن هذه القضية كانت نهاية النشاط « السياسى »
السرى للجماعة . وان كانوا قد استمروا بعد ذلك نشطين في مجالات
الفن والادب .

وفي الخمسينات حاول السيرياليون لم شملهم من جديد فأقاموا معرضا
بمعنوان « نحو المجهول » اشتركت فيه زوجة فؤاد كامل وخديجة رياض أخت
اقبال العلايلى وحمدى خميس . . وربما كان معرض حامد ندا (١٩٥٩)
آخر مظاهر نشاط هذه المجموعة حيث أصدرت كتالوجا بمعنوان « المجهول
لا يزال » (٢) .

(١) وثيقة بريطانية معنونة « سرى - السفارة البريطانية » ومؤرخة
١ فبراير ١٩٤٨ ومرقمة

8027/T from G.J. Jenkins to F.H. Tomlyn

(٢) سمير غريب - السيريالية في مصر - الهيئة المصرية العامة للكتاب -
١٩٨٦ - ص ٣٧

واستمر جورج حنين ورمسيس يونان يتابعان نشاطا فنيا متميزا ولكنه محدود في نهايات الخمسينيات وان كان جورج حنين قد ظل يمتلك قدرا كافيا من الرفض لعبد الناصر وحكمه وكان يسميه « الأمير صاحب الآف التي تشبه عمود الإشارة » (١) بل لقد تحدث يوما عن عبد الناصر قائلا « ان العنصرية ، النميمة ، الكذب ، الامية الايديولوجية والانغلاق الثقافي تشكل فيما يتعلق بالشرق كما أعرفه - أسس وطنية جديدة تستند ما على المثل الأعلى أو على الحماية الوطنية » (٢) .

٠٠ وفي عام ١٩٦٠ عاد جورج حنين الى مغادرة مصر ٠٠ لكنه نادرها دون أن يعود مرة أخرى*

* اتحاد أنصار السلام :

« بول جاكو دى كومب » شاب سويسرى ، تلقى علومه في ألمانيا ، وارتبط هناك بالحزب الشيوعى الالمانى ، ثم عاد لمصر في أجازة لكن النازيين وصلوا الى الحكم فقرر ألا يعود ، وأرسله أبوه (صاحب شركة مقاولات كبيرة) الى أسوان ليشرف على بعض أعمال شركته ، وأحس بشقاء العمال والفلاحين المصريين وقرر أن يسلك طريق النضال من أجل الاشتراكية

ولانه أجنبى فقد كان طبيعيا أن يتصل بأجانب مثله ، فانضم الى المجموعة الشيوعية اليونانية ، وفي المجموعة اليونانية شعر بالغربة فلا هو يونانى ولا المجموعة تفعل شيئا من أجل مصر ، وتركها ليؤسس منبرا قانونيا هو «اتحاد أنصار السلام» (٢) وانضم به للتجمع العالمى للسلام وقد جاء تأسيس هذا الاتحاد في وقته تماما فالتناخ وسط الاجانب والمتصرين كان

4 — Alexandrian — Georges Henien — Edition seghers paris

(1981) P. 66.

(٢) سمير غريب - المرجع السابق - ص ٣٧ .

* لمزيد من التفاصيل عن الحركة القروتسكية وأدواتها وشخصياتها راجع :

- سمير غريب - المرجع السابق .

- د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الأول

١٩٠٠ - ١٩٤٠ (المرجع السابق) .

(٣) محضر نقاش مع بول جاكو دى كومب - جلسة المناقشة الاولى -

باريس - أوائل نوفمبر ١٩٦٨ .

مهيباً للنضال ضد الفاشية وضد خطر الحرب ، كذلك كانت قوى سياسية
مصرية هامة مستعدة للاسهام في هذا الجهد ٠٠ وسرعان ما تجمع الكثيرون
من الاجانب من مختلف الجنسيات وعدد من المصريين (قوى الثقافة الاجنبية)
في صفوف الاتحاد بفرعيه في القاهرة والاسكندرية ٠٠

وثمة مذكرة تحدد أهداف هذا الاتحاد حصراً فتقول :

« واتحاد أنصار السلام كان له برنامج محدد في أربعة نقاط :

أ - السلام بين جميع الشعوب ومكافحة الحرب .

ب - استقلال الشعوب وحريتها .

ج - الكفاح ضد الفاشية .

د - الكفاح ضد العنصرية » (١) .

وما لبث الاتحاد أن أقام علاقات مع بعض العناصر الوفدية الهامة
مثل عبد الفتاح الطويل باشا وعن طريقه رتب بول جاكو دي كومب لقاء
بين الزعيم الهندي نهرو وبين مصطفى النحاس (٢) ، كذلك أقام الاتحاد
علاقات وثيقة بالاتحاد النسائي المصري وبزعيمته هدى شعراوي وبعدد
من قياداته مثل سيزا نبراوى ٠٠ وكان الاتحاد النسائي يتخذ ومنذ
أمد بعيد مواقف تقدمية ، وكان يدعو للسلام العالمى ويقاوم الفاشية ،
فمنذ عام ١٩٣١ نجد سيزا نبراوى توجه على صفحات مجلة الاتحاد والتي
كانت تصدر بالفرنسية باسم (المصرية) "L' Egyptienne" نداء للكفاح
من أجل السلام العالمى (٣) ٠٠

وقد تعززت العلاقة بين الاتحادين حتى فتح الاتحاد النسائي أبوابه
للندوات التي يعقدها اتحاد أنصار السلام (٤) .

(١) مذكرة من ١١ غولسكاب بالالة الكاتبة العربية مقدمة الى « السيد
الرئيس عبد الناصر - وموقعة بعدد من التوقيعات بمناسبة طلب القبض على
يوسف درويش ووضع أمواله تحت الحراسة بقرار من وزير المالية نشر في
العدد ٩٤ مكرر من الوقائع المصرية الصادر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ وذلك
ضمن مجموعة من اليهود المقيمين في مصر .

(٢) المرجع السابق .

3 — L' Egyptienne — Juillet - Aout 1931 — P 2

(٤) بطاقة دعوة معنونة « اتحاد أنصار السلام » بالقاهرة - الاحتفال
بذكرى الهدنة يدعو فيها الاتحاد للاحتفال بذكرى الهدنة في مساء ١١
نوفمبر ١٩٣٧ بقاعة الاتحاد النسائي بشارع القصر العيني رقم ٢٢ .

وهكذا أتيحت الفرص جميعها أمام هذا التجمع كى يلعب دورا هاما فى تاريخ مصر ٠٠ وكان بإمكانه أن يجمع وفى يسر قوى هامة قادرة على انشاء حزب شيوعى .

لكن « بول جاكو » رفض ٠٠

كان يرتب فى ذهنه وفى حذر بالغ الى درجة لا تصدق محاولة لتجنيد عدد من العناصر المتمصرة ليوكل اليها مهمة تأسيس الحزب ٠٠ ورفض أن يناقش الامر مع أى انسان آخر ، وبينما كانت الظروف ناضجة تماما للعمل الماركسى كان بول جاكو يصمم على رفض أى نقاش حول هذا الامر مع أى انسان باستثناء ثلاثة أشخاص اصطفاهم من بين الجميع وكان كل ما يميزهم عن سواهم هو أنهم يعرفون اللغة العربية (السبيل الطبيعى للوصول الى المصريين) ويتقنون مثله الحذر الشديد وهم (صادق سعد - يوسف درويش - ريمون دويك) ٠٠

وخلال ذلك كان مارسيل اسرائيل يضغط من أجل تمصير « اتحاد أنصار السلام » ويحاول أن يناقش بول جاكو فى ضرورة تأسيس « تنظيم شيوعى » لكنه رفض النقاش ، وقال أنه لا يقبل النقاش فى أى موضوع غير الأهداف المعلنة للاتحاد (١) وابتعد مارسيل اسرائيل عن الاتحاد ليقوم نشاطا منفصلا ٠٠ ولم يخرج مارسيل وحده بل خرج معه آخرون .

ويروى « ريمون أجيون » أسباب انفصاله عن « اتحاد أنصار السلام » فيقول « بدأت أشعر أنهم حذرون أكثر من اللازم ، خائفون دوما من أى حركة ، كانوا يتحدثون دوما بحذر شديد وخوف شديد وقلت فى نفسى اذا كانت هذه هى الشيوعية فأنا لست شيوعيا ٠٠ وفى ١٩٣٩ تركتهم أنا ومارسيل وراؤول كورييل وفتاة يونانية وقررنا تأسيس «حزب شيوعى» (٢) وهكذا بذرت بذور الانقسامية فى تربة العمل الشيوعى المصرى ٠٠

أما اتحاد أنصار السلام فقد استمر فى نشاطه فى فرعيه (القاهرة بشوارع شريف والاسكندرية بشوارع صفية زغلول) وقد نظم حملات ناجحة ضد الغزو الايطالى الحبشة ، وضد النازية ، ولساندة الجمهوريين الأسبان . كذلك استمر « بول جاكو دى كومب » فى نشاطه الشديد الحذر

(١) مارسيل اسرائيل (شيريزى) - رسالة خطية موجهة للمؤلف .
(المرجع السابق) .

(٢) محضر نقاش مع ريمون أجيون (المرجع السابق) .

لتجميع نواة ماركسية بدأت تنظم دراسات للنظرية الماركسية ، يقول صادق سعد « كنا مجموعة من أربعة أو خمسة أشخاص تجتمع مرة أو مرتين في الاسبوع في منزل واحد منا ونقرأ صفحة أو صفحتين من كتاب في الاقتصاد السياسى ثم نجرى مناقشة حولها ، وكان النشاط ثقافيا ودراسيا بحثا » (١) .

وفي عام ١٩٣٩ اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ولم يعد هنالك مأوى يبرر - استمرار لافتة « اتحاد أنصار السلام » ، واجتمع « عشرة أو خمسة عشر شخصا واتفقنا على ضرورة حل اتحاد أنصار السلام طبقا للائحة الاتحاد ، وناقشنا في نفس الوقت تأسيس جماعة أخرى سمنها " Groupe Etudes " » (٢) .

❖ جماعة البحوث " Groupe Etudes " ❖ :

٠٠ وفي دار جديدة بشارع عدلى ، مارست المجموعة الجديدة نشاطها ٠٠ بعد أن تخلصت بعض الشيء من حذرهما ، ويجتمع فيها حوالى « ٢٥ أو ٣٠ شخصا كلهم أجانب أو متأجنيين » (٣) وقررت الجماعة أن تقوم بأعداد دراسات عن الواقع المصرى والفلاحين ، وكان هدفها الاساسى هو « تعريف الاوروبيين بأوضاع المجتمع المصرى ، لقد قامت الحرب وأغلقت الحدود ، وهكذا كان لا بد للأجانب المقيمين في مصر أن يتجهوا لدراسة الواقع المصرى ٠٠ وبالفعل تمكنت مجموعة الدراسات من اعداد دراسات جيدة عن الفلاح المصرى - تاريخ مصر - ثورة عرابى - نهر النيل ٠٠ الخ » (٤) .

ومن بين الدراسات التى وضعتها « جماعة البحوث » كتاب مصر الآن - " Egypt Now " الذى صدر بالانجليزية في طبعين الاولى في يونيو

(١) محضر نقاش مع صادق سعد - أجرى النقاش بالقاهرة في ١٩٧٥/٤/٦ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(❖) لعل الترجمة الصحيحة لاسم " Groupe Etudes " هو « مجموعة الدراسات » لكن صادق سعد يؤكد أن مؤسسى الجماعة قد ترجموا الاسم الى جماعة البحوث » .

(٤) محضر نقاش بول جاكرو دى كورب - جلسة المناقشة الثانية (باريس) ١٩٧٠/١/٢٦ .

١٩٤٣ والثانية في يناير ١٩٤٤ وقد وجه أساسا لجنود « الحلفاء » بهدف تخديم مطبوعات مبسطة وإيجالية عن تاريخ مصر وشعبها .. وفي مقدمة الكتاب يؤكد المؤلف « هذا الكتاب موجه لجنود الحلفاء ، لكن ذلك لا يعنى أن الآخرين يمتنعون عن قراءته ، انه يستهدف أن يستشعر لابسو الكاكي الالفة في مصر وبين المصريين وأن يشاركوهم نظرتهم الى الحياة » (١)

وفي هذه الاثناء كان « بول جاكوب دى كومب » يركز اهتمامه على الثالوث (صادق سعد - بيرسيف درويش - ريمون دويك) .

وكان يرفض أن يحول هذا الحشد الماركسي الاجنبى الى تنظيم .. وهو يؤكد « أنا مصمم على أننى لم أؤسس تنظيما ، أنا وضعت البذور ثم تركتها تنمو ، أنا كنت من الناحية المبدئية ضد أن يقوم اجنبى بتأسيس تنظيم .. أننى أقرر بوضوح أن تاريخ الحركة الشيوعية قد بدأ بعد أن تحدثت أنا عن العمل » (٢) .

وفي عام ١٩٤٢ كانت جحافل النازى تقترب من مصر ، وكانت معارك العامين الشهيرة تشتعل في ضراوة أثارت مخاوف الكثيرين من الاجانب واليهود خاصة خوفا من اضطهاد النازى وهاجر معظم أعضاء « جماعة البحوث » الى فلسطين ..

ويروى صادق سعد « في ذلك الحين اجتمعت أنا وريمون ويوسف لنتناقش هل نهاجر أم لا ؟ وقررنا أن نبقى على أساس أنه لا يصح أن يغادر الشيوعيون جميعا البلد » (٣)

وهكذا بقى الثلاثة في فترة خصبة وعارمة وعاشوا التجربة وحدهم وشعروا بمغزى العمل المنطلق بين الجباهير .. « وفي هذه الفترة كنا قد بدأنا مرحلة نشاط فعلى وسط المصريين واجتمعنا مع بول جاكوب دى كومب وقلنا له أننا استمررنا لفترة في العمل مستقلين بدون توجيهات من الحلقة الماركسية التى هاجر معظمها الى فلسطين خلال معارك العلمين واقترحنا أن نستقل عن هذه الحلقة وأن ننظم أنفسنا بالطريقة التى تناسبنا (٤) » .

1 -- Hilary waynet - Egypt now - Second Edition (January 1944)
Hours - Cairo

- (٢) محضر نقاش مع بول جاكوب دى كومب (المرجع السابق) .
- (٣) محضر نقاش مع صادق سعد (المرجع السابق) .
- (٤) محضر نقاش مع صادق سعد (المرجع السابق) .

واستمرت « جماعة البحوث » في التواجد الشكلى لتتقدم بعض المساعدات الفكرية والمالية للمجموعة التى انطلقت الى ميدان العمل المصرى .

✽ جماعة الشباب للثقافة الشعبية :

منذ عام ١٩٤١ وقبل انفصال الثلاث عن جماعة البحوث ، كان هؤلاء

الثلاثة يتجهون بفاء على طلب بول جاكو دى كومب للعمل بين المصريين .

ويلتقى يوسف درويش حيث يسكن فى بولاق بمجموعة من الشبان المتحمسين للخدمة العامة والذين افتتحوا مدرسة لمحو الامية ويشاركون يوسف درويش نشاطهم وسرعان ما يتحول منزله (رقم ٧ سكة جلالة الملك أمام حوش فايد) الى مقر لجماعة جديدة تستهدف محو الامية بين العمال والفلاحين وتقيم فرعاً لها فى السبتية بشوارع ورشة القطن لمحو أمية العمال وفرعاً آخر فى قرية ميت عقبة للنشاط بين الفلاحين (١) .

ومن هذين الفرعين تكونت « جماعة الشباب للثقافة الشعبية » .

لكن حلمى يس يس يقدم لنا رواية أخرى . . فيقول أنه وقد بدأت الحرب العالمية الثانية ، بدأ كغيره من الشباب الاهتمام بقضايا الوطن ، وبدأ فى التردد على الجمعيات والاندية لسماع المحاضرات ، وأنه بدأ فى التردد على جماعة البحوث حيث استمع الى محاضرة جيدة عن «خزان أسوان» ومن الضرورى تعليقه مرة ثالثة ؟ . ويضيف «وعندما بدأ المصريون فى التردد على مقر هذه الجماعة بدأ القائلين عليها فى تكوين مجموعة أخرى للمصريين حيث تلقى المحاضرات باللغة العربية لانها فى جماعة البحوث كانت تلقى بالانجليزية أو الفرنسية وسمح للاوربيين الذين يجيدون اللغة العربية أن يشاركوا فى المجموعتين وأسهمت المجموعة الجديدة « جماعة الشباب للثقافة الشعبية » وكان مقرها فى ذات مقر جماعة البحوث ٥ شارع عدلى (٢)

وبعد ذلك وليس قبله - وفق رواية حلمى يس - بدأ النشاط فى بولاق وميت عقبة .

(١) محضر نقاش مع يوسف درويش .

(٢) محضر نقاش مع حلمى يس - أجرته معه الباحثة الامريكية سيلما بوتمان فى ٢٣ ديسمبر ١٩٧٩ - محرر بالالة الكاتبة الانجليزية .

وعلى أية حال فمن خلال النشاط في هذه الجماعة التقى يوسف درويش بمحمود العسكري الذي كان ولفترة طويلة مقبلة حجر الزاوية في نشاط هذه المجموعة في المجال العمالي وخاصة وسط عمال النسيج في شبرا الخيمة .

ثم ما لبث ريمون دويك وصادق سعد أن تفتحت أمامها أبواب نشاط واسع وسط المثقفين سواء من خلال مجلة الفجر الجديد أو من خلال « لجنة نشر الثقافة الحديثة » .

وما لبث يوسف درويش أن انغمس في نشاط عمالي ونقابي صرف يستهدف تأسيس « لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية لنطقة العاملة » وإصدار مجلة « الضمير » . ولم يعد هناك مبرر لاستمرار جماعة الشباب للثقافة الشعبية وقررنا حلها « (١) » .

✽ الاتحاد الديمقراطي :

ما نحن مرة أخرى أمام أناس فقدوا الأمل في « بول حاكم » فقرروا العمل منفردين .

والحقيقة أن لدينا أكثر من رواية عن تأسيس « الاتحاد الديمقراطي » وهي متطابقة أو بالذقة تكمل بعضها بعضا .

يقول راؤول كوربيل عن علاقاته ببول جاكو دي كومب « لقد اختلفنا معه لانه كان يخاف من أية تحرك ، ويخشى أى ارتباط بالمصريين ، يعمل في حذر شديد يصل الى حد الشلل التام ، وكان يخشى من أى مظهر ماركسي فخرجنا وأسسنا الاتحاد الديمقراطي ، وبدأنا في تكوين مجموعات صغيرة تدريس الماركسية » (٢) .

ويقول مارسيل اسرائيل « وفي بداية ١٩٣٩ تكون في القاهرة والاسكندرية تجمع جديد باسم « الاتحاد الديمقراطي » وكان مؤسسه هم أنصار التمسير من الأعضاء السابقين في رابطة أنصار السلام بالإضافة الى مجموعة الايطاليين المناهضين للفاشية وبعض المصريين الذين اتصلوا برابطة أنصار السلام ثم تركوها لاحساسهم بالغربة في داخلها . وقد تضمنت لوائح الاتحاد الديمقراطي نصوصا تقول بأنه ينبغي أن تكون

(١) محضر نقاش مع صادق سعد (المرجع السابق) .

(٢) محضر نقاش مع راؤول كوربيل - أجريت المناقشة في باريس في منتصف نوفمبر ١٩٦٨ .

غالبية اللجنة القيادية من المصريين ، ولكن الشيء الهام هو أنه قد تكونت خلف الاتحاد الديمقراطي جماعة سرية ماركسية تتكون هي الأخرى من الاجانب وحدهم ، وحددت هذه الجماعة مهمتها الرئيسية بجذب أكبر عدد ممكن من الشباب المصريين الى الاتحاد الديمقراطي بهدف تجنيد أفضل العناصر من بينهم كأعضاء في الجماعة الماركسية السرية « وبالإضافة الى ذلك تقرر اخضاع الواقع المصرى لتحليل اقتصادى وسياسى واجتماعى » (١) .

أما هنرى كورييل فيكمل القصة قائلا « وفي عام ١٩٣٧ - ١٩٣٨ اقتنعت بالماركسية وبدأت في الاتصال باخرين وفعلا اتصلت بجورج بواتيه وراؤول كورييل (أخى) ومارسيل اسراييل وآخرين وبدأنا في تأسيس الاتحاد الديمقراطي ، وكان معنا عدد من المصريين وهم د. فؤاد الاهوانى ، ومحمد نصر الدين وكان مدرسا في كلية البوليس واتخذ الاتحاد الديمقراطي مقرا علنيا له في العمارة رقم ١ شارع سكة الفضل ، وقبل أن نتخذ هذا المقر عقد الاتحاد الديمقراطي أولى اجتماعاته في مقر احدى الجمعيات الماسونية ، وعلى الفور بدأ الاتحاد الديمقراطي بنشاط واسع جدا ، وهذا هو الفرق بيننا وبين المجموعة الأخرى ، هم كانوا خائفين بينما انطلقنا نحن في نشاط ماركسى واسع النطاق (٢) ويضيف - في مناسبة أخرى - الى أسماء من تعاونوا معه في تأسيس الاتحاد الديمقراطي اسما آخر هو ساندرو روكه وهو شيوعى ايطالى ، لعب دورا هاما في الحركة المناهضة للفاشية في مصر (٣) .

أما وثائق وملفات البوليس السياسى فانها تتضمن أسماء أخرى عديدة لهؤلاء الذين أسهموا في نشاط الاتحاد الديمقراطي ومن بينهم « ريمون أجيون . ميموازيل استر ستون ومحموازيل هنرييت آربييه عزرا هزاري (٤) » وكان النشاط العارم الذى بدأه النشادى الديمقراطى سببلا لجذب

-
- (١) مارسيل اسراييل (شيريزى) - تقرير باللغة الفرنسية مرفوع الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى (المرجع السابق) .
 - (٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل - جلسة المناقشة الاولى - (باريس) الأسبوع الاول من نوفمبر ١٩٦٨ .
 - (٣) محضر تحقيق النيابة في قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ ملف القضية ، صفحات ١٠٢٨ - ٢٥٣١ .
 - (٤) حكمادارية بوليس مصر - سرى سياسى - مذكرة عن هنرى دانييل كورييل .

الكثيرين من التقدميين المصريين نحوه .. يقول عبده دهب « كنت أشعر أنني بحاجة الى الثقافة ، وكنا نبحث في الصحف عن المحاضرات وائذونات في الأندية المختلفة وذات يوم من أيام عام ١٩٣٩ قرأت عن مناظرة ستجرى في مقر النادى الديمقراطى حول - المرأة المصرية والاوربية بين الأستاذين سلامة موسى وزكى مبارك(١) » .

وبعدها أصبح عبده دهب شيعيا .. وتكاثر غيره من المصريين والسودانيين فى صفوف الاتحاد الديمقراطى أو بالحقة فى صفوف المجموعة الماركسية التى تواجدت خلف واجهة النادى الديمقراطى ..

وقد بلغ نشاط الاتحاد الديمقراطى حدا لفت اليه أنظار قوات الاحتلال التى حاولت أن تتعاون معه فى النضال ضد الفاشية وضد خطرهما المتزايد فى صفوف الجالية الإيطالية الكثيرة العدد وفى صفوف المصريين أنفسهم » يقول هنرى كورييل « .. فى هذه الاثناء اتصل بى مندوب من السفارة البريطانية اسمه - فيما أذكر - مستر حودوين وطالب أن يعمل الاتحاد معهم عملا موحدا ضد الفاشية وتحدث كثيرا عن أهمية توحيد القوى الديمقراطية ضد الفاشية ، لكننا رفضنا التعاون معهم(٢) »

والتمسح نشاط الاتحاد الديمقراطى واتسعت المجموعة الماركسية المتوارية خلفه ، وتزايد عدد الماركسيين فى صفوفها .. وفجأة دب خلاف بين الذين دعموا لقيادة الاتحاد الديمقراطى ..

هنرى كورييل يرى ضرورة البدء فوراً فى تأسيس تنظيم شيوعى ويرفع شعار التمسير .

مارسيل اسرائيل يقول بالتمسير ولكنه يتشدد الى درجة منع الأجانب من المشاركة بأى دور قيادى (٣) » .

(١) محضر نقاش مع عبده دهب حسنين - أجرى النقاش فى الخرطوم فى ١٨/١٠/١٩٦٩ .

(٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل - جلسة المناقشة الثانية - باريس ٢٥ فبراير ١٩٧٠) .

(٣) مارسيل اسرائيل - المرجع السابق .

ثم ظهر هليل شوارتز ليعلن أن شعار التمصير هو شعار شوفيني وأنه لا فرق بين مصرى وأجنبى فى صفوف حركة أهمية الاهداف .
وتركمت خلافات أخرى ، بعضها ذا طابع شخصى أيضا وانتهى الامر بأن تفرقت المجموعة الماركسية التى تواجدت فى إطار الاتحاد الديمقراطى الى ثلاث منظمات .

هنرى كورييل . . الحركة المصرية للتحرير الوطنى (ح . م)
هليل شوارتز . . ايسكرا .

مارسيل اسرائيل . . تحرير الشعب
ومكذا تكرست الانقسامية وتحددت معالمها .

أما الاتحاد الديمقراطى فقد أنهى وجوده وحل محله ناد جديد سمي
« المركز الثقافى الاجتماعى » .

لكننا وقبل أن ننقل الى موضوع آخر نود أن نلاحظ أن سمات وأساليب عمل الاتحاد الديمقراطى وتمايزها عن الاسلوب المنغلق لاتحاد أنصار السلام لم تكن شيئا عارضا فقد ظل هذا التمايز قائما وفاعلا طوال الاربعينيات والخمسينيات بين تيارين تمتد جذورهما الى هذين الاصنين .
تيار انعزالى وتيار يتقن فن العمل بين الجماهير . .

✱ المركز الثقافى الاجتماعى :

بعد أن انهمك هنرى كورييل فى تأسيس منظمة الحركة المصرية للتحرير الوطنى (ح . م) لم يعد المركز الثقافى الاجتماعى بالنسبة له سوى أحد مجالات النشاط بين الاجانب وعدد محدود من المصريين ومن ثم فقد الكثير من أهميته . . فترك العمل فى هذا النادى الى ثلاثة من الاجانب هم بلاموتس (يونانى الجنسية) وسلامون سليم سدنى وعزرا هراى .

وكان الهدف من هذا المركز استمرار النشاط الديمقراطى المعادى للفاشية فى صفوف المجموعات الاجنبية . . أما لماذا تغير الاسم فان كورييل يقبل صراحة أمام انديابة العسكرية فى أحد تحقيقاتها معه ، أن هذا التغيير قد تم « لان الدعاية الانجليزية فى أوائل الحرب أرادت أن تستغل اسم النادى الديمقراطى لصالحها هى ، فقرر أعضاء النادى تغيير الاسم وسموه « المركز الثقافى الاجتماعى » وعلشان كمان يكون اسمه بعيد عن السياسة (١) » .

(١) ملف قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ - محضر التحقيق مع هنرى كورييل بتاريخ - ١٠ أغسطس ١٩٤٦ - الصفحات ١٠٢٩ وما بعدها .

أما البوليس فقد أكد في تقاريره العديدة « أن هذا النادي يقوم بنشاط سياسي ضاهره الدعوة للحلفاء والديمقراطية وباطنه نشر الدعاية الشيوعية وإثارة الخواطر ضد النظم الرأسمالية (١) » .

وكانت هذه التقارير تؤكد أيضا أن هنرى كورييل لا يزال يحرك هذا المركز من وراء الستار (٢) .

وتتلاقح تقارير البوليس السياسي ضد المركز الثقافي الاجتماعي ويكون آخرها تقرير من سليم زكى بالنسبة عن حكمدار بوليس مصر مرفوع الى « حضرة صاحب السعادة حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية يعلن فيه اغلاق المركز والقبض على قيادته » . وبشأن قيام بعض زعماء المركز الثقافي الاجتماعي الذي كان يستأجر داره ويديره هنرى كورييل بنشاط شيوعي ، نفيد بأنه قد تم ضبطهم وتولت النيابة التحقيق معهم وصدر أمر الحاكم العسكري العام باغلاق الدار المذكورة واعتقال زعماء هذه الحركة وهم توماس بالامونس ، وسلمون سدنى ، وعزرا هرارى ، وتم الافراج عنهم ، وضعهم تحت مراقبة البوليس عسكريا لمدة ثلاثة أشهر تجددت حتى اليوم » .

* ثقافة وفراغ :

كما كانت « الخبز والحرية » محاولة من جماعة « تحرير الشعب » أو بالدقة من مارسيل اسرائيل للاتجاه نحو العمال ، فقد أسست جماعة « ثقافة وفراغ » وسط المثقفين ، « ولكن نشاط الخبز والحرية أدى بعدد من المثقفين والفنانين المصريين الى التردد على مقر ثقافة وفراغ واخذوا يمارسون فيها نشاطا وتأثيرا متزايدا » (٣) .

ويقول أسعد حليم أن « ثقافة وفراغ » قد ضمت عدد قليلا من المصريين منهم فوزى جرجس ، وكانت خطة مارسيل أن تعمل هذه المجموعة وسط المثقفين أما مجموعتنا (الخبز والحرية) فتعمل وسط العمال (٤) .

(١) حكمدارية بوليس مصر - سرى سياسى - مرفوع الى النيابة العسكرية العليا ومؤرخ في ١٦ يناير ١٩٤٣ .

(٢) حكمدارية بوليس مصر - سرى سياسى - رقم ب/١٣٧ بتاريخ ١٦ يناير ١٩٤٣ - مرفوع من سليم زكى الى حسن فهمى رفعت باشا وكيل وزارة الداخلية .

(٣) مارسيل اسرائيل (شيريزى) - تقرير باللغة الفرنسية (المرجع السابق) .

(٤) محصر نقاش مع أسعد حليم (المرجع السابق) .

أما نقائير البوايس فتقول « وفي عام ١٩٤٠ أسس المذكور نادى « الثقافة والفراغ » بشارع الفلكى ثم بشارع أبو السباع وكان يهيمن على هذا النادى مارسيليو ماريو اسرائيل وزوجته جانيت ، وكانا على صلة بهيئة شيوعية فلسطينية ، وكانا يمدان أنور كاهل عثمان (الخبر والحرية) بالمال ، وكان ظاهر النادى الرياضة والثقافة وحقيقته الدعاية للشيوعية الى أن أغلق فى أغسطس ١٩٤١ » (١)

ويقول مارسيل اسرائيل ان نشاط هذه اللجنة قد اتسع ليشمل عددا من المتقنين منهم الطيار عبد اللطيف بغدادى (٢) .

✽ لجنة نشر الثقافة الحديثة :

فى ١١ أبريل ١٩٤٥ وجه اللورد كبلرن برفقية « سرية » الى السيد أنتونى ايدن يعرب فيها عن انزعاجه الشديد من نمو الحركة الشيوعية وكتب تحت عنوان « نمو الشيوعية فى مصر » فقرة خاصة عن لجنة نشر الثقافة الحديثة جاء فيها « أن لهذه اللجنة علاقات بسوريا ولبنان ويبدو أنها تستمد من هناك موادها الاعلامية . ان معظم أعضائها هم من الشيوعيين المعروفين ، الذين كانوا مثلهم مثل أعضاء الجبهة الشيوعية (يقصد الاشتراكية - المؤلف) على صلة سابقة بمجموعة الفن والحرية ، ويمكن اعتبار استقلال هاتين المجموعتين عن الفن والحرية نتيجة لبروز خلاصات نظرية حول الشيوعية » (٣) .

ولدى دراسة تاريخ تأسيس هذه اللجنة ثار نوع من الجدل . .
صادق سعد (جماعة الفجر الجديد) يقول « أسسنا لجنة نشر الثقافة الحديثة مع سعيد خيال » (٤)

بينما مارسيل اسرائيل (شيرزى) يؤكد أنه وبالتحديد جماعة « تحرير الشعب » هم مؤسسو هذه اللجنة . .

(١) حكمدارية بوليس مصر - سرى سياسى - مذكورة عن هنرى دانجيل كوربيل .

(٢) مارسيل شيريزى (اسرائيل) - رسالة الى المؤلف - المرجع السابق

3 — The developement of communism in Egypt — Public Record office — Fo. 371 — 46008 — 9039

(٤) صادق سعد - محضر نقائش (المرجع السابق) .

وسعيد خيال رئيس اللجنة يقول ان مارسيل ، وراؤول مكاربيوس ومصطفى كامل منيب كانوا مؤسسي اللجنة معه (١) ٠٠ لكن ذلك لا ينفي تواجد جماعة الفجر الجديد ضمن المؤسسين دون أن يكشف عن أنفسهم ٠٠ لكن تواجدهم لم يستمر طويلا ذلك أنهم بحكم قلة عددهم (ثلاثة أشخاص فقط) لم يكونوا قادرين على التواجد في أكثر من موقع ومن ثم فإن تأسيسهم لمجلة الفجر الجديد كان ايدانا بانسحابهم من الميادين الأخرى ٠٠

ولتحقيقة أن لجنة نشر الثقافة الحديثة قد لعبت دورا هاما وفعالا ، ففي دارها (شارع القصر العيني) تجمع العشرات من المثقفين المصريين ليستمعوا - ولأول مرة - الى محاضرات ذات محتوى ماركسي وفكر تقدمي *

وتورد وثيقة أمريكية قائمة طويلة تضم اثنان وستون اسما تقول انهم « أناس عرف عنهم انهم على علاقة بلجنة الثقافة الجديدة ٠٠ ونكتفى بابرار بعض الأسماء ٠٠

« الأنسة الطرزي - ريمون دويك - أحمد أمين - الاتسة درية - أمين تكللا - صادق سعد - محمد رفعت - د* مندور - سعد لبيب مكاوي - عبد الرحمن الشرقاوي - الاتسة نجوى - سعيد عبد المعطي خيال - فتحى الرملى - شعبان حافظ - أحمد رشدى صالح - أنسة عظيمة مختار - حورية مصطفى - حسنى العرابي - أنسة اقبال العلايلي - صفية ابراهيم غهمي - ٠٠ الخ « (٢) *

* جماعة أصدقاء الثقافة :

وتتحدث وثيقة أمريكية عن هذه الجماعة فتقول أنها جماعة صغيرة تنشط في القاهرة والاسكندرية وهي مكونة من يهود ذوى اتجاه شيوعى « وثأهست عام ١٩٤١ ، وتستهدف العمل وسط الشباب عن طريق جذبهم الى المشاركة فى الرحلات والمعسكرات والرحلات البحرية ٠٠ وتتكون قيادة هذه الجماعة من خمسة أشخاص يرأسهم فيكتور كباسو Victor Cabasso رعية فرنسية ٠٠٠ ، ويتضح التوجه الشيوعى لهذه الجماعة من ندوة نظمت في ١٠ يوليو ١٩٤٥ تحت عنوان « الولايات المتحدة والعالم » حاث وصفت

(١) محضر نقاش مع سعيد خيال - أجريت المناقشة في ١٩٧٣/٥/٥
2 -- 306843 -- 18/Sept/46 A2

الولايات المتحدة بأنها ضد الديمقراطية ، ضد التقدم ، انانية ،
عنصرية .. وباختصار دولة فاشية « (١) » .

✽ حركة استقلال طرابلس :

وتقول مصادر السفارة الأمريكية عن هذه الحركة أنها تأسست للدفاع
عن استقلال ليبيا وللمساعدة الليبيين المقيمين بمصر وانها تقدم مساعدات
مالية للطلبة الليبيين بمصر ويترأس هذه الجماعة الشيخ عمر على الغويلى
وهو قاضى شرعى من خريجي الازهر .

لكن السفارة تؤكد « ان من بين أكثر مساعدى الغويلى نشاطا وحركة
في هذه الجماعة الشيخ محمد أبو الحسن الغنيمى (عضو الحركة المصرية
للتحرر الاوطنى - المؤلف) والذي اشتهر بكتابه عن الشيوعية والاسلام
والشيخ عبد الرحمن حسن الذى اشتهر بأنه داعية شيوعى نشيط ومثابر
في كلية اللغة العربية بالازهر » (٢) .

✽ دار الأبحاث العلمية :

ولعلها أشهر الاندية والروابط العلنية التى أسسها الشيوعيون
المصريون دون منازع وكانت هذه الدار هى الواجهة العلنية لمنظمة امسكرا
وسبيلها للدمل والنشاط في صفوف المثقفين المصريين ..

ولعل أفضل تقديم لدار الابحاث العلمية النشاطها هو أقوال شهادى
عطية الشافعى - مسئول الدار - أمام النيابة العسكرية التى استدعته بعد
مداعمة البوليس للدار وصحور قرار باغلاقها .

« وتبدأ القصة بمذكرة سرية من حكمدارية بوليس مصر ..

« مذكرة - تعيد بأن القائمين على ادارة دار الابحاث العلمية
هم حضرات : الدكتور محمد الشحات مدرس الكيمياء بكلية الطب وشهادى
عطية الشافعى أفندى مدرس بالمعهد العالى التجارى ، ومحمد محمد
عبد المعجود الجبيلى أفندى معيد بكلية العلوم ، وأبو بكر نور الدين أفندى
خبير بوزارة العدل » .

(١) وثيقة مودعة بأرشفيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :
RG - 319 Mis 295977 A - 24 July 46

(٢) وثيقة مودعة بأرشفيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :
RG - 319 Mis - 282372 A - 9 June 46

ولدى مداومة النيابة للدار ٧ شارع نوبار أكد صاحبها للنيابة ان الذى استأجرها هو الاستاذ شهدى عطية الشافعى وقد سألته النيابة عن المسئول عن ادارة الدار فأجاب بأنهم ثلاثة هم منير ملطى أفندى وظريف وعبد الرحمن نصر أفندى* .

.. ويمضى محضر النيابة العسكرية العليا ..

» وقد استدعينا الاستاذ شهدى عطية وسألناه الآتى :

س : ما صلتك بجماعة دار الابحاث العلمية ؟

ج : أنا عضو فى دار الابحاث ..

س : وما غرض الأعضاء ؟

ج : القيام بالابحاث العلمية وتطبيقها على المجتمع .

س : وما هى شروط الالتحاق بالدار ؟

ج : أن يكون العضو على درجة كبيرة من الثقافة وأن يتردد على الدار مدى شهر أو اثنين وأن يركب عضو فى الدار ، وأن يدفع الاشتراك وأن يقوم بتلخيص أى كتاب من تلقاء نفسه وعرض مجهوده على باقى الاعضاء والمناقشة فيه ونقده ، ولكل عضو الحق فى أن ينشر ما يشاء من أبحاث فى النشرة التى تصدرها الدار على أنه فى هذه الحالة يكون ذلك على مسئوليته الخاصة ، وهذه النشرات يشتريها باقى الاعضاء أو الاشخاص الذين يترددون على الدار أو الزوار بمعنى أنها لا تباع فى الطرقات « (١) » .

وقد لعبت النشرة « غير الحورية » (تلافيا لعدم الحصول على ترخيص) دورا هاما فى رفع الوعي الثقافى والفكرى لدى المثقفين التقدميين المصريين ..

(*) وردت هكذا بالمحضر وصحتها عبد الرحمن الناصر (المؤلف) .

(١) ملف قضية الشيوعية الكبرى لعام ١٩٤٦ . محضر تحقيق النيابة العسكرية العليا صفحات ٦٠١ وما بعدها .

ان تصفح احدى هذه النشرات يكفى تماما لاعطاء صورة عن مدى اهميتها وعن قيمتها الفكرية والسياسية فالعدد الذى تحت ايدينا وهو العدد الرابع يتضمن مجموعة من الاخبار الهامة . . والموضوعات الجادة . .

وفى اول صفحة نقرأ « انتهت الحرب العالمية الثانية ، ودقت أجراس السلام بعد كفاح مريع ضد العدوان الفاشى ، كفاحا دالما ستة أعوام ، قاست فيها شعوب العالم ما قاست وفقدت الملايين من الشباب والنساء والأطفال كل هذا لاشباع أطماع حفنة من الاستعماريين الرجعيين الذين يريدون فرض سيطرتهم واستغلالهم على شعوب العالم أجمع . ثم تقرير اخبارى عن المعاهدة الصينية - السوفيتية - وتقرير آخر عن اليونان وتقرير عن جنوب أفريقيا بعنوان الرجعية ترفع رأسها . »

. . أما الافتتاحية وهى بعنوان كلمة وفى برواز يتوسط الصفحة الأولى والثانية فتقول « هامو العدد الرابع بين ايديكم أعضاء وزائرين وهى بلا شك صاعدة الى الامام تشق طريقها نحو النمو والاكتمال . »

ويبدو أن البعض قد اعترض على أسلوب بعض المقالات الذى كان فوق مستوى فهم القارئ العادى . . اذ تمضى الافتتاحية قائلة « وقد حاولنا فى محتويات هذا العدد أن تكون المقالات أسهل منالا حتى لا يكون فهمها قاصرا على أعضاء الدار . . فان كنا قد نجحنا فى ذلك فقد حققنا رغبة عامة ترددت على ألسنة الكثيرين » ثم تأكيد على اتساع طابع المجلة ومحرريها فتقول الافتتاحية « ولا يفوتنا أن نذكر أن جميع المقالات والبحوث لا تعبر عن رأى الدار بل هى تعبر فقط عن رأى محرريها فالنشرة حقل لتعويد الاعضاء على الكتابة ومعالجة مختلف الموضوعات ودور الدار هو درر توجيهى فقط . »

ونلاحظ أن كافة الموضوعات بلا توقييع ، كما نلاحظ أن العدد بلا تاريخ وان الكتفى بذكر عام (١٩٤٥ م)

ونلاحظ أيضا تنوع الموضوعات قصة - شعر - صوت من السودان - أسباب فشل عصبة الامم - الديون - أهدافنا القومية - الثقافة الدولية - أيمكن أن يكون الاتحاد السوفيتى استعماريا ؟ (١) .

(١) بحوث علمية - ٤ - عن دار الابحاث العلمية - ١٩٤٥ - الناشر (لم يذكر) - د . ت ، ونلاحظ أن الصفحات مرقمة من ١٢٩ الى ١٧٦ بما يوحى أن الترقيم كان يعطى مسلسلا واحدا لكل الاعداد . والنشرة مطبوعة بالطبعة وهى بغلاف من ورق سميك .

وقد لعبت الدار دورا هاما في توعية الكوادر الحزبية وخاصة كوادر
أيسكرا بأهمية الدراسة النظرية على أسس أكاديمية ٠٠ ولعلها قد
أسهمت في تربية نمط خاص من الكوادر الشيوعية في مصر ٠٠

وعز نوعية المحاضرات والمحاضرين يقول أحد المترددين على الدار
« كثيرين كانوا ينفون محاضرات منهم شهادى وعبد المعبود الجبيلى .
وأذكر أن اسماعيل الازهرى ألقى محاضرة عن السودان ، وكان عبد المعبود
الجبيلى يلقى محاضرات مبسطة في العلوم ، وكانت هناك محاضرات حول
حركة التحرر الوطنى والوحدة مع السودان » ٠

ويقول أن « عدد الحاضرين كان يصل الى حوالى ٥٠٠ شخص أو
٦٠٠ شخص » ٠

وكانت « دار الابحاث العلمية » بسبب نشاطها الجم والطابع
العام والمفيد لنشاطها ملتقى المثقفين من مختلف المنظمات ولعلها كانت
بوضعها هذا أحد البواغث التى حفزت الكوادر على التصادة بالوحدة
والاصرار عليها ٠

وقد حرص المشرفون على هذه الدار أيضا على الطابع التوعيدى
لنشاطهم فعندما حاولوا عقد ندوة عن فلسطين دعوا ممثلى مختلف المنظمات
الى الاشتراك فيها ٠٠ وقد طبعت أبحاثهم في عدد خاص من نشر
الدار ٠

وفي ١١ يوليو ١٩٤٦ ، ومع الهجمة الرجعية الشرسة التى قادها الطاغية
اسماعيل دافى يداهم البوليس الدار معززا بأمر باغلاق صادر من رئاسة
مجلس الوزراء ٠

✽ الجامعة الشعبية :

وتحدث عنها وثيقة أمريكية فتقول « انها قد تأسست عام
١٩٤٦ بواسطة الدكتور محمد الشحات ، وهى في حقيقة الامر مجرد امتداد
لدار الابحاث العلمية والاتحاد خريجي الجامعة ، وبخضوعها لسيطرة
الدكتور الشحات وغيره أصبحت في واقع الامر مركزا للنشاط الشيوعى ويلعب
شخص يسمى على عقل يقيم في ضواحي القاهرة دور الوسيط بين المثقفين
المتحركين في هذه الجامعة وبين العمال ٠٠ وقد تنامي دور هذه الجامعة
٠٠ ويحضرها ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ طالب معظمهم من العمال » (١)

* الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية :

في منتصف الأربعينيات بدأ خطر الصهيونية يتزايد في مصر ، وأخذ الصهيوينيون - بمارسون دورا نشيطا في صفوف الاقلية اليهودية (حوالى ٧٠ ألف نسمة) واصطدموا هناك بالنشاط الشيوعى .

وقد كان الشيوعيين نشاط جماهيرى في عدد من الاندية اليهودية ومنها مكابى الظاهر حيث تمكن أحد كوادر ايسكرا (يوسف حزان) من أن ينتخب عضوا في مجلس الادارة ، ومن خلاله مارس الشيوعيون نشاطا ثقافيا واسعا « وكانت الدعايات والمحاضرات الشيوعية تقدم بشكل علنى في هذا النادي ، وأمكن تجنيد عناصر كثيرة من النادي في عام ٤٦ - ١٩٤٧ . مع ملاحظة أن حى الظاهر كان يضم فقراء اليهود وكان هناك كذلك رابطة خريجي مدارس الليسيه وكنا يسيطر عليها أيضا » (١)

وبالمقابل « كان الصهيوينيون يمارسون نشاطا واسعا ومكشوفاً ومؤيذاً من جانب قوات الاحتلال والرجعية المصرية » (٢) .

وكان الشيوعيون يعارضون الصهيونية من منطلقات مبدئية باعتبارها حركة عنصرية ، ومن منطلقات وطنية باعتبارها حليفة للاستعمار . ومن منطلقات نضالية أيضا « فالصهيوينيون كانوا يعملون وسط شباب الجالية اليهودية لاقناعهم بالهجرة من مصر الى فلسطين ، في حين كان الشيوعيون يدعون كل الجاليات الاجنبية الى اتخاذ موقف صديق من الشعب المصرى والنضال الى جانبه ضد الاستعمار وعملاء الاستعمار » (٣) .

وكان الاخوان المسلمون ومصر الفتاة يحاولون جهم تصعيد الصدام العنصرى ضد اليهود ، الامر الذى لم يكن يخدم سوى المخطط الصهيونى الرامى الى اقتناع اليهود بأنه لا أمل لهم في الحياة في مصر (٤) .

(١) محضر نقاش مع البير آرييه - جلسة المناقشة الثانية - الاسكندرية في ١٩٧٤/٤/٦ .

(٢) محضر نقاش مع شحاتة هارون سيلفييه - أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٩٧٤/٢/٢٥ .

(٣) محضر نقاش مع البير آرييه - جلسة المناقشة الاولى - القاهرة في ١٩٧٤/٣/٢٩ .

(٤) لريد من التفاصيل راجع : د. رفعت السعيد - اليسار المصرى والقضية الفلسطينية - الكتاب الثانى في هذا المجلد .

وهكذا كان من الضروري ايجاد منبر يعمل وسط الجالية اليهودية بمصر ليقاوم النشاط الصهيوني ويسد الطريق أمام المؤامرات العنصرية . .
وهكذا تأسست « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » وأصدرت بياناً مطولاً طبعته في كتيب وزع على نطاق واسع وسط اليهود وكان عنوانه « ضد الصهيونية . في صالح اليهود ، في صالح مصر » . وبعد أن يستنرد البيان في دراسة المشكلة اليهودية وتطوراتها ومخاطر - الصهيونية كحركة عنصرية يحدد أهداف الرابطة كما يلي :

١ - الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كل اليهود والعرب .

٢ - الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصري في الكفاح من أجل الاستقلال والديمقراطية .

٣ - العمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين .

٤ - العمل على حل مشكلة اليهود المشردين (١) .

ويبدأ البيان بعبارة تقول وبشكل مباشر : « نشأت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية من الشعور بخطر الصهيونية على المشكلة اليهودية . . ان كفاحنا ضد الصهيونية جزء لا يتجزأ من الكفاح العام لحل المشكلة اليهودية » .

ثم . . « اننا نعتبر الصهيونية حركة معادية لليهود لانها تخدم في آخر الامر مصالح أجنبية وضارة بهم . ونحن نعلن أن الطريق الوحيد الذي يجب على اليهود أن يسلكوه هو الاشتراك الوثيق الصريح المخلص ، في الحياة القومية للبلد الذي يعيشون فيه » .

« والطريق الوحيد الذي يجب أن يسلكه يهود فلسطين هو التفاهم مع العرب والاتحاد معهم لتحرير فلسطين من نير الاستعمار ، ان فلسطين مستقلة ديمقراطية هي الوحيدة التي تستطيع أن تضمن للسكان اليهود حياة حرة ومثمرة ، أما عن الاشكال الدستورية التي ستخضعها الدولة الفلسطينية المستقلة الديمقراطية فاننا نرى أن هذه المسألة يجب أن نترك للفلسطينيين أنفسهم عرباً ويهوداً ليحلوها كيفما شاعوا » .

(١) بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية - القاهرة يونيو ١٩٤٧
مطبعة الشبكتي بالازهر بمصر - كتيب من ١٦ صفحة عدا الغلاف .

•• « أن تكوين جبهة موحدة مع الحركة التحررية العربية في سبيل فلسطين حرة ، مستقلة ديمقراطية هو طريق الخلاص الوحيد للجماهير اليهودية في فلسطين » (١) •

وقد أكد مارسيل اسرائيل (شيريزي) أنه كاتب هذا البيان ، وأقر بذلك الكثيرون دمن ناقشتهم حول هذا الامر ، والامر الذي لا شك فيه أن مارسيل وبقية اليهود من كوادر حدثو قد لعبوا دوراً نشيطاً في هذه الرابطة ••

وقد أصدرت الرابطة منشورا بعنوان « نداء الى يهود مصر » جاء فيه :

« أيها الاخوان : يدعى الصهيونيون أنهم يستطيعون حل المشكلة اليهودية وأنهم يدافعون عن مصالح طائفتنا وهذا كذب واقتراء •• »

ثم يختتم المنشور بالعبارات التالية :

« أيتها الامهات : نريد أن نحمل أطفالكن من أكاذيب الدعاية الصهيونية الخلابه التي ترمى الى ارسال أولادكن ليعيشوا في فلسطين وسط عداء أغلبية السكان وفي نظام كله استبداد والاضطهاد •

أيها اليهود •• أيتها اليهوديات :

•• تريد الصهيونية عزل اليهود عن جماهير الشعب المصري !

الصهيونية عدوة اليهود •

فلتسقط الصهيونية •

ولتحيا أخوة العرب واليهود •

وليحيا الشعب المصري » (١) •

ولم تكن مهمة هذه الرابطة سهلة ولا هينة ، وقد اعترف بذلك عزرا هراري سكرتير الرابطة في حديث صحفي قال فيه « لا بد لنا من الاعتراف بأن تحقيق هدفنا يحتاج الى جهاد طويل •• فالصهيونية في مصر مؤيدة

(١) المرجع السابق - ص ١١ •

(٢) نداء الى يهود مصر - منشور وزعته الرابطة الاسرائيلية لمكافحة

الصهيونية - مؤرخ في ٢٥ مايو ١٩٤٧ •

- مع الاسف الشديد - من قوات البوليس المصرى نفسه ! وهى أيضا مدعمة بالأموال الطائلة والجاه العريض ! ولكننا واثقون بالقضية التى ندافع عنها ، لأنها قضية عادلة لصالح مصر والوطن . ولصالح اليهود أنفسهم (١) » .

وتحل الرابطة .. ليس بسبب صعوبة المهام التى تواجهها ، وإنما - وهذا هو الغريب - بقرار من رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى باشا . وتكون آخر أنفاس الرابطة برقية توجهها الى رئيس الوزراء جاء فى ختامها « .. وبما أن هدف الرابطة وطنى وهو مكافحة الصهيونية المجرمة التى تسىء الى سمعة الطائفة الاسرائيلية وتضر بمصالح الشعب المصرى ، فإن الرابطة تبذل دولتكم شديد احتجاجها على هذا القرار راجية سحبه لعدم تنجيع نشاط الصهيونية الاثيم فى مصر(٢) » .

✽ حركة الجيل الجديد :

ولعلها نموذج آخر من تلك التجمعات اليسارية التوجه والتى تكاثرت فى مطلع الاربعينيات وقد تأسست هذه الجماعة من عدد محدود من طلاب جامعة الاسكندرية عام ١٩٤٣ وقد ضمت فى صفوفها فؤاد مرسى الحداد ، وابراهيم سعد عامر ، وعبد الجواد أبو زيد القوصى ومحمد جلال جوجو ومصطفى عبد العظيم(٢) وقد اتخذت الحركة شعارا لها « أيها الصانع اعمل لتكون لك آلةك - أيها الفلاح أرض الدولة ملك الجميع - أيها التاجر السوق المصرى لك وحدك » .

(١) الجماهير ١٩٤٧/٥/٥ .

(٢) الجماهير ١٩٤٧/٦/٢٣ .

(١) أورد تقرير لجهاز الامن هذه الاسماء حصرا على أساس أنها مجمل ما علمه من أعضاء هذه الجماعة ، والتقرير مرقم كالاتى :

رقم ٥٤٥ سرى سياسى - الضبط فرع ب - القائم المخصوص . ومودع فى ملف القضية ٨ عسكرية عليا سنة ١٩٥٩ ضمن تقرير المباحث العامة عن د. فؤاد مرسى - ص ١٠٤٥ من الملف .

وبالإضافة الى ذلك كله ٠٠ فقد لعب الشيوعيون دورا هاما في العديد من المنظمات والروابط والاندية والتجمعات التي كانت قائمة فعلا بل لقد وصل دورهم في « اتحاد خريجي الجامعة » الى درجة كبيرة أدت بالسلطات الى اتخاذ اجراءات ضد الاتحاد وضد مجلته « الطليعة » (جماعة تحرير الشعب) ٠

كذلك مارس بعض الشيوعيين (الفجر الجديد) دورا يعتمد به في صفوف اليسار الوفدى وخاصة منظمة الطليعة الوفدية ومجلتها رابطة الشباب ٠٠

وتجمعيات أخرى عديدة « اتحاد خريجي المدارس الصناعية » (منظمة ح م) و « رابطة فتيات الجامعة والمعاهد » ٠ الخ .

كذلك لعب الشيوعيون (ح م) دورا بارزا وسط تجمعات السودانيين وروابطهم وأصدروا لهذا الهدف مجلة حرية الشعوب ثم أم درمان ، ونجحوا في أن يربطوا وبشكل جماهيري ومؤثر شعار « الكفاح المشترك ضد العدو المشترك » في مواجهة شعار البرجوازية « نيل واحد - شعب واحد - ملك واحد » ولعل أهم ثمرة لهذا النشاط هي مجموعة الكوادر الأساسية من السودانيين التي قامت فيما بعد ببناء منظمة « الحركة السودانية للتحرر الوطني » (حسنو) ٠٠ والاسماء كثيرة بغير حصر يكفى أن نذكر من بينها الشهيد عبد الخالق محجوب ٠٠

ووسط الاقلية النوبية المطحونة لعب الشيوعيون (ح م) دورا بارزا في تأسيس الاندية النوبية والمطالبة بتعويضات أفضل للنوبيين المتضررين من تعلقة خزان أسوان ومقاومة مخطط الانجليز وحزب الامة بالدعوة لفصل النوبة عن مصر وضمتها الى السودان « ولأول مرة برزت قيادات ماركسية مرموقة ذات نفوذ حقيقى وسط النوبيين (١) » ٠

ولعل كل ما سبق يكفى لتحقيق ما نهدف اليه ، وهو اعطاء انطباع عام عن نوعية وأساليب وحجم نشاط الشيوعيين وسط الاندية والروابط ٠٠

١ - محضر نقاش مع مبارك عبده فضل - جلسة المناقشة الاولى - القاهرة ١٩٧٤/١٢/٢ ٠

الصحافة والنشر

« لو تفشت بيننا ثقافة ماركسية لعرف الشعب أين يضع يده على الاداء وكيف يحصل على الدواء » (١) هكذا كتب سلامة موسى في مطلع الأربعينات . ثم هو يعود فيؤكد « لهذا يجب أن يكون الميدان الصحفي واسعا حرا يجد فيه القنبيون بالوجدان الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي المجال لتعليم الامة وتغيير ارادتها أو عقائدها وتحريك أذهانها نحو المستقبل » (٢) .

ولم يكن سلامة موسى مغاليا في دعوته هذه ، بل لعل كلماته لم تكن أكثر من واقع تجرى ممارسته بالفعل » .

لقد كانت مصر الاربعينات تموج بالثورة ، وكانت البرجوازية عاجزة تماما عن أن تقدم فكرا مثيرا أو قادرا على الاخصاب ، والفكر الجديد يتحول الى عمل ثورى عارم على يد هؤلاء الشباب الماركسيين الذين اقتحموا ميدان الفكر رافعين راية جديدة ، استطاعت أن تجذب اليها الانظار هي « راية الماركسية » .

وكانت ستالينجراد تدوى في وجدان ومشاعر شعوب لعالم حيث يقدم السوفييت نموذجا فذا في الصمود ، وفي بلد كمصر حيث جحافل النازي على الأبواب . كان صمود ستالينجراد ثم الهجوم السوفيني الكاسح يعنى الكثير .

وكانت المشكلات الاجتماعية تتفجر بصورة مثيرة بحيث تدفع حتى العناصر الاصلاحية الى التذمر والى المخاداة بالتغيير والى ضرورة « أن نترح للعمال ما يظنونهم على مستقبلهم ويحميهم من استبداد بعض أصحاب الاعمال » (٣) ويكتب مريت غالى مهاجما المليكيات الزراعية الكبيرة داعيا

(١) سلامة موسى - حرية العقل في مصر - دار الفجر - القاهرة (١٩٤٥)

ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦ .

(٣) مصطفى محمود فهمي المحامى - الحالة الاجتماعية في مصر - القاهرة

(١٩٤٠) - ص ١٠١ .

الى تقييدها مطالبها « بتنظيم الايجار والعمل كى يوزع ربح الاراضى
توزيعا عادلا على من يشتركون فى تكوينه » (١) .

وحتى فى ميدان الرواية والادب كانت سمات التذمر الاجتماعى تبرز
بصورة واضحة - ربما لأول مرة - بمثل هذه الكثافة - فى تاريخ الادب العربى
الحديث كله .

ويكتب عصام الدين حنفى ناصف رواية « عاصفة فوق مصر » التى
اكتسبت شهرة كبيرة وقد هاجم فيها كبار الملوك وهددهم بثورة اشتراكية
تطيح بهم وبحكمهم ، ويصف عبد الخالق أفندى (أحد أبطال الرواية)
وهو شاب مثقف من أسرة متوسطة هذه الثورة قائلا « انها عاصفة فوق مصر
من أقصاها الى أقصاها ، تجتث بذور الظلام وتقلع أصول الفساد » (٢) .

وفى نفس العام ١٩٣٩ تصدر مجموعة قصصية بعنوان « الناس
والدنيا » تهاجم الاغنياء هجوما شديدا ويتساءل الكاتب : « كيف يمكن
أن يجوع كل هؤلاء ، وأن يطول جوعهم لقرون طوال وهم ينجون هذا
الخبر العجيب ؟ » .

ثم يجيب « انهم السادة الأغنياء » (٣) .

ثم يمضى الكاتب قائلا « لست أعرف أى الفريقين أدين : أغنياء جزيرة
الجياح أم جبايعها ، الظالم لانه لا يكف عن الظلم أم المظلوم لانه لا يدفع
عن نفسه » .

• • « وأنا أستطيع أن أفهم أن يكون هناك فرق بين انسان وانسان
على أن لا يتعدى الفرق بينهما الفرق بين انسان وانسان ، لكل منهما عقل
وقلب وعينان وانسان ، ولكننى لا أستطيع أن أفهم أن يكون الفرق بينهما
هو الفرق بين الملائكة والصراصير » (٤) .

(١) مريت على - الاصلاح الزراعى - الملكية - الايجار - العمل ، القاهرة
(١٩٤٥) - ص ٩٠ .

(٢) عصام الدين حنفى ناصف - عاصفة فوق مصر - (١٩٣٩) مطبعة
فتى النيل • ص ١٣ .

(٣) حكمت كاهل آدم - الناس والدنيا - مطبعة دمنهور (١٣٩) ص ٨

(٤) المرجع السابق - ص ١٦ .

وحتى في مجالات متخصصة مثل الدراسات الصحية تبرز أيضا سمات تقدمية ، لعلها تعبر بذاتها عن مدى علق التحول نحو اليسار في الوجدان المصري ككل . . الدكتور محمود على السيد يصدر عام ١٩٤٣ كتابا علميا بعنوان « النهضة الصحية الروسية » يقدم فيه دراسة جادة عن أساليب ومناهج العلاج والصحة العامة في الاتحاد السوفيتي . . وفي مقدمته لهذا الكتاب يتحدث عن الحرب والهجوم النازي الفاتر على الاتحاد السوفيتي والصمود الرائع الذي جابه به السوفييت هذا الهجوم ثم يقول « وأخذت روسيا تقاوم وتجالد . . لم يتطرق اليها اليأس ، ولم يسلك بابها الضعف والوهن ، ولم تترك شبرا من أرضها الا بعد أن جعلت منه مقبرة لآلاف الجنود من الألمان . . فما سر ذلك الصمود ؟ . . فعن لى وأنا الطبيب الذى تعلم منذ نعومة أظفاره أن الصحة أساس تقدم الأمم ، أن هؤلاء القوم لا بد فد شادوا لانفسهم نظاما صحية سمت بهم الى ما وصلوا اليه » (١) .

وثمة كتاب آخر مثير للاهتمام . . عنوانه « حركة التحرير في العالم » يهديه مؤلفه حسين فهمى مصطفى « الى الجماهير الكاححة التى عانت الأمرين في ظل الاقطاع المظلم ، ثم في ظل الفردية بمظهرها الفاشية والاحتكارية مبشرين ببزوغ فجر الاشتراكية الحرة وانتشار شمسها في أرجاء العالم من أقصاء الى أقصاء » .

أما مقدمة الكتاب فتبدأ بعبارتين الأولى لكارل ماركس « ليس حرا شعب يريد أن يستعبد غيره » والآخرى لفلاديمير لينين « حرية العالم أجمع هي الضمان الوحيد لحرية الاتحاد السوفيتي » .

وتقول مقدمة الكتاب الذى صدر في أعقاب الحرب الثانية « ومما يسترعى الانتباه أن الكتلة التقدمية العالمية التى يتزعمها الاتحاد السوفيتي قد اتخذت مكانها في مواجهة عصابة الاستعماريين ، وان كانت القوتان قد تحالفتا على استئصال شافة النازية والفاشية الا أن الكتلة التقدمية تشعر بأن عليها أن تقضى أيضا على الخطر الاستعماري المنبثق ممن يسمون أنفسهم ديمقراطيين » (٢) .

(١) دكتور محمود على السيد - النهضة الصحية الروسية - (١٩٤٣)

ص ٥ .

(٢) حسين فهمى مصطفى - حركة التحرير في العالم - الناشر لم يذكر

(د . ت) ٠ ص ٤

وبعد أن يفند الكاتب مزاعم « حكومة العمال البريطانية » ، يقدم الفارق بين « اشتراكيي الدولية الثانية » وبين الشيوعيين فيقول « وقد كان أول تأليف للأحزاب الشيوعية في العالم عقب الحرب العالمية الأولى التي خانت فيها الدولية الثانية قضية العمال وساقتهم إلى هامة تلك الحرب بقتلهم لقضاء مآرب الحفنة الاستعمارية » (١) .

ثم يقول « اننا نلوذ بالاتحاد السوفيتي ونستشهد بما يجري عليه أو نفسر سياسته لان الاتحاد السوفيتي هو أول وأكبر دولة تحررية تقدمية في العالم ولان الاتحاد السوفيتي قد آل على نفسه أن يضع شعوبه الزراعية ، وقواه الزاخرة في خدمة الحركة التحررية وما هو الثائر لينين يدين بأفصح لسان بأنه « لا يتصور بقاء الجمهورية السوفيتية طويلا والدول الاستعمارية جنبا الى جنب فلا بد من غلبة أحدهما على الآخر » .

أما الحزب الشيوعي السوفيتي فهو « المدرسة الشعبية الكبرى التي تعلم الشعب حذوقه وواجباته وتبصره بحقائق السياسة الدولية الحديثة . وتربى الشباب تربية يصلح بعدها لما يوكل اليه من مهام . والحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي هو خلاصة التقدميين ويسعى كل مواطن لنيل شرف الانتماء اليه » (٢) .

ولم يكن كل ما سبق سوى مجرد نماذج لارهاصات أولية - للمرجة العالمية التي كانت تقبل على الفكر المصري لتحقيق فيه تحولا جذريا وحقيقيا رابعة وفي اعتزاز وثقة راية الفكر الماركسي .



•• وباختصار أيضا سنقدم مجرد لمحات عن مجالين هامين •• الصحافة والنشر ••

والصحيفة لم تكن بالنسبة لليسار المصري مجرد منبر اعلامي ، كانت أكثر من ذلك بكثير ، ففي بعض الاحيان كانت وجهها علنيا لتنظيم سرى ، وربما كانت - في نظر البعض - بديلا مؤقتا عنه ، أو تمهيدا ضروريا له •• وهكذا لعبت الصحافة اليسارية دورا بارزا وفعالا ليس فقط في مجال نشر الوعي الماركسي وترسيخ الفكر التقدمي ، وانما أيضا كأداة نضال وصراع طبقي وكمحور للعمل التنظيمي ومساعد له ••

(١) المرجع السابق - ص ٧

(٢) المرجع السابق - ص ١٧

وفي دراستنا هذه سوف نكتفى بلمحات سريعة عن صحافة الشيوعيين في الأربعينات مراعين أن كل ما سبقه لم يكن سوى جزء من موجة عارمة تمثلت ليس فقط في قيام الشيوعيين بأصدار صحف مستقلة تنطلق بأسسهم وتدعو لفكرهم وإنما أيضا في علاقات واسعة مكنت كتابهم ومثقفهم من أن يلعبوا دورا أساسيا وهاما في العديد من الصحف بحيث نجحوا في أن يتركوا عليها بصمات يسارية وتقدمية واضحة مثل رابطة الشباب والبعث (من صحف حزب الوفد) والطليعة (اتحاد خريجي الجامعة) والمجلة الجديدة (سلامة موسى) وقد أسهمت جماعة تحرير الشعب ، في إصدار المجلة الجديدة لفترة من الوقت بمساعدة مالية من ريمون أجيون (١) و « الأسبوع » وكانت أسبوعية متخصصة في نشر الإعلانات الاجتماعية لآعيان الريف فاتفقت جماعة نشر الثقافة الحديثة مع صاحبها على أن تتولى إصدارها ، فكانت تصدر في أسبوع كمجلة يسارية وفي الأسبوع التالي حافلة بأخبار آعيان الريف وإعلاناتهم ..

لكننا وعلى أية حال سوف نكتفى هنا بلمحات عن المجلات التي تصدر عن تجمعات أو منظمات يسارية • مكتفين بالإيجاز الشديد ، ذلك أنه لدى أية رغبة في التعرف على التفاصيل يمكن الرجوع لمؤلفنا « الصحافة اليسارية في مصر » (١٩٢٥ - ١٩٤٨) * والذي يعتبر استكمالا أكاديميا لهذه الدراسة وجزءا لا يتجزأ منها •

✽ التطور :

- « نحن نؤمن بالتطور الدائم والتغير المستمر »
- « نحن نقاوم الاساطير والخرافات ونكافح القيم المتوارثة » (٢)
- « نحن لا نريد منك أن تتبعنا ، وإنما نريد أن تشق معنا الطريق » (٣)
- « الدولة التي لا عدالة فيها خير لها ألا تكون »
- « لكل فرد في الدولة الحق في أن يعيش حرا ٢٤ ساعة في اليوم » (٤)
- « الفن معمل بارود »

-
- (١) مارسيل تشيريزي - رسالة الى المؤلف - المرجع السابق
 - ✽ د • رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الثاني - الصحافة العلنية - دار الامل - القاهرة - ١٩٨٧
 - (٢) انظر - يناير ١٩٤٠
 - (٣) التطور - فبراير ١٩٤٠
 - (٤) التطور - أبريل ١٩٤٠

« على الدولة أن تكفل للمواطن حقه في الشعر والجنس والخبز » .

حاملة هذه الشعارات صدرت التطور في يناير ١٩٤٠ ، لتمثل تيارا جديدا في الحياة الفكرية والادبية والفنية . وليس من شك من أن التطور كانت مجلة يتمتع فيها التروتسكيون بنفوذ كبير (مولها جورج حنين ورأس تحريرها أنور كامل وأسهم في تحريرها رمسيس يونان ، كامل التامساني ، ألبير قصيري الخ) لكنه ليس من شك أيضا أن قوى أخرى كانت متواجدة ومؤثرة في تحرير المجلة ، وخاصة بعض ممثلي منظمة (تحرير الشعب) الذين تواجدوا في المجلة كامتداد لتواجدهم في جماعتى « الفن والحرية » و « الخبز والحرية »

ويمكن القول أن « التطور » نتيجة لذلك قد وقفت على ذلك الهامش الدقيق ، الشديد الدقة الذى يمكن أن يقف عليه كل من الوطنى الرافض للاحتلال ، والشيعى الراغب فى الدعاية لنظريته ، والتروتسكى المعادى للنموذج السوفييتى ، والليبرالى الرافض لقيود التقاليد القديمة سواء فيها يتعلق منها بالدين أو الجنس أو أية قيود أخرى .

وحول هذا الهامش الدقيق تجمع العديد من مثقفى مصر فى ذلك الحين فبالإضافة الى التروتسكيين وجد عصام الدين حنفى ناصف ، وعبد الحميد الحديدى ، وتوفيق حنا ونظمى لوقا ، وزكى سلامة ، أنور شتا ، عبيد المغنى سعيد . الخ وتراوحت مواقف المجلة من صفحة لآخرى فالفكر التروتسكى قد يبرز فى مقال وفى مقال آخر فكر موضوعى صرف ، ثم مقالات ودراسات جيدة وجادة ومعبرة عن التيار الماركسى الحقيقى . لكننا مثلا نلاحظ أن اسم الاتحاد السوفييتى لم يرد فى المجلة على الإطلاق لا بالسلب ولا بالإيجاب مما يوحى بأن الأمر كان محل خلاف وأن مصدرى المجلة تجنبوا الخوض فى هذا الموضوع .

ولكن كم من الوقت يمكن لمجلة كهذه أن تستمر فى الوقوف على ذلك الهامش الدقيق ؟ .

ثلاثة أعداد فقط احتملها الممول « جورج حنين » ثم أحس أن الأمر يخرج من يده ومن يد التروتسكيين ، وكعادته لجأ الى أسلوب الضغط المالى فكف عن التمويل ، فصدر العدد الرابع وعلى غلافه الداخلى العبارة التالية « لظروف فوق إرادتنا تأخر صدور هذا العدد كما ظهر فى نصف حجمه المعتاد » (١) .

(١) التطور - أبريل ١٩٤٠

ويبدو أن الجماعة قد حاولت المضي بدون تمويل جورج حنين فأصدرت العدد الخامس في نصف حجمه المعتاد أيضا ، لكن جورج حنين يواجه غربته القتالة « فيسحب الضمان المالي » (١) ، فتسحب الحكومة الترخيص وتتوقف المجلة عن الصدور في مايو ١٩٤٠ .

وعلى وجه الاجمال يمكن القول بأن « التطور » كانت نقطة تجمع يسارية للمثقفين التقدميين المقيمين - عبر رحلة مصرية - من مصر الثلاثينات نحو مصر الأربعينات .

• ومع الأربعينات كان التمايز والوضوح الفكري • ، الفهم النظري يحل محل الدسخط ، والتطلع للمستقبل يحل محل مجرد الرفض • ويتمزق الهامش الحقيقي وينطلق كل في طريق •

✽ الفجر الجديد :

تابعنا في صفحات سابقة مسار « اتحاد أنصار السلام » وكيف تمايز الثلاثي صادق سعد - ريمون دويك - يوسف درويش بعيدا عن المجموعة الأجنبية التي بقيت في « جماعة البحوث » واتفق الثلاثة على أن يعموا في شعبيتهم ريمون دويك وصديق سعد وسط المثقفين ويوسف درويش - باعتباره محاميا عماليا - وسط العمال •

وفي « جماعة نشر الثقافة الجديدة » استطاع ريمون وصديق التعرف على عدد من المثقفين المصريين ، عبد الرحمن الشرقاوي ، نعمان عاشور ، أحمد رشدي صالح ، سعد مكاوي ، محمد اسماعيل محمد ، • • وبهؤلاء عملوا على اصدار الفجر الجديد وشاركهم في اصدار المجلة أحمد رشدي صالح • • وحصلوا الترخيص باسمه ، يقول صادق سعد « كان أحمد رشدي صالح أكثرنا قدرة على الحصول على ترخيص لاصدار مجلة ، فقد كان والد زوجته على علاقة بوزارة الداخلية ، وسهل له الحصول على الترخيص » (١) •

وفي ١٦ مايو ١٩٤٥ صدر العدد الاول ، وكانت في البداية نصف شهرية واستمرت كذلك حتى العدد الثاني عشر الصادر في ١ نوفمبر ١٩٤٥ عندما أعلنت « الفجر الجديد » في رسالة حماسية الى قرائها أنها سوف تصدر أسبوعية ، والغريب في الامر أن العدد التالي وهو العدد ١٣ قد صدر بدون تاريخ • أما العدد ١٤ فقد صدر في ٦ ديسمبر ١٩٤٥ ثم يصدر العدد ١٥

(١) محضر نقاش مع أنور كامل - المرجع السابق •

(٢) أحمد صادق سعد • محضر نقاش - أجرى النقاش في القاهرة في ٥

مارس ١٩٧٥ •

بعد عشرة أيام أى فى ١٦ ديسمبر ولا ينتظم صدور المجلة أسبوعية الا بعد العدد السادس عشر الذى صدر فى ١١ يناير سنة ١٩٤٦ ثم تستمر المجلة فى الصدور كل أربعة .

وقد كان الشعر الذى اتخفته « الفجر الجديد » لنفسها منذ عدها الاول « الفجر الجديد - مجلة الثقافة الحرة » وابتداء من العدد السابع تضيف شعاراً جديداً « نحن نجاهد لكى لا يندم أحد على الحياة » (١) ، وابتداء من العدد ١٣ (بدون تاريخ) تعلن الفجر الجديد كشعار لها أنها « مجلة التحرر القومى والفكرى » . وبعد ذلك تطور الشعار الى « الفجر الجديد مجلة التحرر الوطنى والفضال الديمقراطى مع العاملين من أجل مصر حرة مستقلة ديمقراطية » (٢) .

وقد حرصت « الفجر الجديد » على أن تتحول من أداة توعية الى أداة تنظيم ، فحاولت أن تنظم لجان « أصدقاء الفجر الجديد فى بعض المدن والأحياء » وأن - تدعو أصدقاءها الى التبرع لها والى القيام بتوزيع الأعداد بأنفسهم (٣) .

ولأسباب فنية ترجع الى نقص عدد المحررين واضطرار كل محرر الى أن يكتب أكثر من مقال فى العدد الواحد استخدمت الفجر الجديد أسماء مستعارة لكتابها .

وقد أمكن بعد سلسلة من الاستفسارات أن نعرف أصحاب بعض هذه الأسماء - المستعارة نوردها هنا حتى يسهل على الدارسين متابعة أية دراسة مستقبلية لأعداد « الفجر الجديد » .

جهاد : أحمد رشدى صالح .
أحمد سعيد ، نهاد : صادق سعد
حسن زاهر ، على الكاتب : على الراعى
رأفت ، رأفت يوسف ، أ* يوسف : أبو سيف يوسف *

(١) الفجر الجديد ١١/٨/١٩٤٥

(٢) الفجر الجديد ٢٧/٣/١٩٤٦

(٣) الفجر الجديد ٢٧/٣/١٩٤٦

* أصبح أبو سيف يوسف بعد فترة مديراً لتحرير المجلة لكن صادق سعد يؤكد أنه حتى بعد تفرغه للعمل بالمجلة لم يكن عضواً بالتنظيم .
راجع صادق سعد - صفحات من اليسار المصرى - ص ٥٠

ابراهيم الكاشف ، محمد أمين : ريمون دويك
حسن زكي : يوسف درويش
اسماعيل يحيى : محمد اسماعيل محمد

ومن الاسكندرية كان يشترك في التحرير لطفى عزوز ومحمد صنبجى
وكانا يوقعان باسم « اسكندرانى » .

وقد كانت الفجر الجديد مجلة مقاتلة بحق ، رفعت راية الفكر
التقدمى بشجاعة ودافعت عن مصالح الجماهير الكادحة وقدمت دراسات
جادة فى الفكر الماركسى ودافعت عن الوحدة العربية وقضية فلسطين دفاعا
حارا وشجاعا . كذلك أسهمت فى ارساء دعائم مدرسة جديدة فى الفن
والشعر .

وعلى صفحاتها ومنذ العدد الاول يلعب عبد الرحمن الشرنابى بقصيدة
عنوانها « الفجر الجديد » مطالعها :

بارفناق الجدد قد عشنا الى الآن حيارى

فهاهنا ٠٠ وضوح النهج ، الى المجد البدارا

وعلى صفحاتها أيضا يلعب أكثر من شاعر إتقدمى كمال عبد الحليم ،
محمد خليل قاسم ، ٠٠ الخ .

وعلى صفحاتها أيضا قدم نعمان عاشور دراسات ممعة وجادة عن
« القوى النهارية والقوى النامية فى الأدب المصرى » (١) وعن « معالم
القصة فى الادب العربى » (٢) .

ولأن الفجر الجديد « مجلة مقاتلة ، فقد كان طبيعيا أن يتعرض
أصحابها للسجن والمطاردة أكثر من مرة وانتهى الامر باغلاقها بقرار من
مجلس الوزراء فى ١١ يوليو ١٩٤٦ ضمن المذبحة التى نظمها الطاغية اسماعيل
صدقى ضد كل الصحف الوطنية والتقدمية .
الضمير :

٠٠ وفى نفس الوقت كان يوسف درويش يعمل فى صفوف العمال ،
« والتقى بمحمود العسكرى من خلال فصول محمود الامية التى أنشأتها جماعة

(١) الفجر الجديد ١٦/٨/١٩٤٥

(٢) الفجر الجديد ٦/٢ ، ١٣/٢/١٩٤٦

الشباب للثقافة الشعبية ويوسف المدرك الذى كان يعمل عند بعض أقارب ريمون دويك وتعرف به ريمون ثم قدمه الى يوسف درويش» (١) .

ويبدو ان يوسف درويش - وكان محاميا فى المحاكم المختلطة ثم وابتداء من عام ١٩٤٣ ، تخصص فى القضايا العمالية . يبدو أنه قد نجح كحام عمالى وكسب ثقة دوائر مهمة منهم (٢) .

ويشير الى ذلك تقرير للبوليس السياسى يقول « ان الاستاذ يوسف درويش صار محاميا للعمال وللنقابات ابتداء من سنة ١٩٤٣ وقدم لهم خدمات جليلة فحاز ثقتهم فصار يروج للشيوعية » (٣) .

وعلى الأرجح فان محمود العسكرى هو الذى نجح فى أن يضم طه سعد عثمان وكان شخصية نقابية هامة (رئيس النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى وملحقاته بالقاهرة وضواحيها من ١٩٣٨ حتى ١٩٤٣) (٤) .

وبهذا الثالث النقابى البارز (محمود العسكرى - يوسف المدرك - طه عثمان - استطاع يوسف درويش أن يضع قدما ثابتة فى الحركة النقابية انصرية وعن طريقهم أصدر مجلة الضمير .

ولما كان من الصعب الحصول على ترخيص لمجلة فقد لجأت الجماعة الى شخصية تقدمية هى الدكتور عبد الكريم أحمد العسكرى لتستأجر منه مجلة كان يصدرها باسم « الضمير » لتصدرها كلسان حال « للجنة العمال للتحرير القومى » . فى ٢٦ سبتمبر ١٩٤٥ (٢) وكان رئيس التحرير هو محمود العسكرى وسكرتير التحرير طه سعد عثمان أما يوسف درويش فقد كان يكتب المقالات الافتتاحية باسم مستعار هو خيرى محمود (٥) .

(١) صادق سعد - محضر نقاش - المرجع السابق .

(٢) يوسف درويش المحامى - تريضة الى دولة الحاكم العسكرى العام موضحا بها الظروف التى أحاطت باعتقالى والاسباب التى تؤدى الى الافراج عنى - مؤرخة ٢ فبراير ١٩٤٩ - مثبتة بخط اليد فى كراس مكتوب على غلافه : يوسف موسى درويش اعتقال ١٩٤٨ - ويتضمن نصوص للعرائض والشكاوى التى تقدم بها طوال فترة الاعتقال الى ادارة معتقل هاكستب . (٣) الكاتب - يوليو ١٩٧١ - مذكرات ووثائق من تاريخ الطبقة العاملة . (٤) راجع محاولة التدقيق فى تاريخ صدور الضمير كمجلة عمالية - = تقديمية فى : د. رفعت السعيد - الصحافة اليسارية فى مصر ١٩٢٥ - ١٩٤٨ - دار الطليعة بيروت - (١٩٧٤) ص ١٥٩ .

(٥) محضر نقاش مع يوسف درويش - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٣/١١/١ .

ويمكن القول بأن « الضمير » تحت قيادتها اليسارية الجديدة قد ركزت جهودها حول اتجاهات أربع أساسية :

• نشر الوعي السياسى بين العمال وحثهم على تكوين منبر سياسى
عمالى مستقل وعلنى •

- الدفاع عن الحريات النقابية والحريات عامة •
- التوعية بضرورة التضامن العمالى العالمى •
- التوعية بضرورة التضامن بين العمال العرب •

وكالعادة تعرض محررو الضمير لحمولات الارهاب التى انتهت بالقاء القبض عليهم فى ٢ يناير ١٩٤٦ وظلوا بالسجن حتى ٣٠ مايو ١٩٤٦ ، ومنذ ٢٠ يناير وحتى ٢٤ يونيو سنة ١٩٤٦ ظلت « الضمير » متوقفة عن الصدور ثم صدرت من جديد كل اثنين بعد أن كانت تصدر كل أربعاء وصدر منها بعد ذلك ثلاثة أعداد كان آخرها بتاريخ الاثنين ٨ يوليو ١٩٤٦ •

ويأتى بعد ذلك ١١ يوليو ١٩٤٦ تاريخ المذبحة الشهيرة التى نظمها اسماعيل صدقى ضد الصحافة التقدمية ، وتوقف الضمير عن الصدور •

✳ حرية الشعوب :

يقول عبده دهب « عندما قابلت هنرى كورييل حدثنى طويلا عن رغبته فى تأسيس مجلة تعمل على نشر الوعي فى مصر ، وكلفنى بأن أبحث عن مجلة مصرية لاستئجارها حيث يصعب على أشخاص مثلنا الحصول على رخصة مجلة • وفعلا استأجرت مجلة « حرية الشعوب » وكان يصدرها شخص اسمه رجب أحمد وهو شخص عادى جدا لما تكن لديه أية ميول سياسية رغم هذا الاسم الذى أطلقه على مجلته وكان الايجار المتفق عليه ١٥٠ قرشا شهريا ارتفعت الى ٢٥٠ قرش بعد أن بدأت مضايقات البوليس • واحتفظنا باسم المجلة وأضافنا اليه شعارا يقول أنها « مجلة مصرية سودانية عمالية ثقافية » (١) •

(١) محضر نقاش مع عبده دهب حسنين - أجرى النقاش بالخرطوم فى

١٩٦٩/١٠/١٨ •

وهكذا صدرت « حرية الشعوب » كلسان حال لمنظمة « الحركة المصرية لتحرير الوطنى » . بعد أن تقلب بها صاحبها (وهو مجرد صحفى محترف) بين مختلف الاتجاهات . فالعدد ١١ من السنة التاسعة (١١ ديسمبر ١٩٣٨) يعلن أن « حرية الشعوب » تصدر على مبادئ الحزب الوطنى (١) .

والعدد ٢٦ من السنة التاسعة أيضاً يعلن أنها لسان حال عمال فن الطباعة (٢) أما العدد ٣٤ من السنة التاسعة فيصدر كلسان حال لعمال القطر المصرى (٣) ، ثم هى لا تلبث أن تصدر كمجلة مخصصة للإعلانات القضائية فى عام ١٩٤٠ وإن كنا نلاحظ أن ثمة اتجاهات جيدة ، قد بدأت فى التواجد على صفحاتها ، ففى العدد الخامس من السنة الحادية عشرة نجد مقالا بعنوان « أغيثوا العمال . أدركوهم لقد أشرفوا على الموت » (٤) وابتداء من العدد ٤٣ من السنة الحادية عشرة (٨ سبتمبر سنة ١٩٤١) بدأ اسمى محبى الدين صابر وعبد هب فى الظهور على صفحات المجلة وبظهورها بدأت المجلة تتحول لتوشك أن تصبح مجلة سودانية صرفة . فقد بدأت مقالات محبى الدين صابر وعبد هب عن السودان ومشكلاته والعمال « يطالب « بوضع حد ثابت لأقصى مرتب فى الدولة وأدناه فيه » والنوبيين ومطالبهم تزحف على معظم صفحات المجلة . . وإن كنا نجد بعض المقالات الأخرى ، لكنها قليلة جدا مثل مقال بعنوان « الحكومة ومقال آخر يهاجم زكى مبارك بعنوان « جناية زكى مبارك على النقد الأدبى » (٥) .

ثم تتوقف المجلة أسبوعين . . تصدر بعدها فى ثوب جديد تماما سواء من حيث الطباعة أو الإخراج أو التحرير ، معلنة بذلك تمام تحولها الى مجلة رأى .

لكن نظرة سريعة على العدد الأول الذى صدر بعد هذا التحول الشام فى ٢٠ أكتوبر ١٩٤١ (العدد ٤٦ من السنة الحادية عشرة) تكفى للتأكيد بأن منظمة الحركة المصرية للتحرير الوطنى قد خصصت هذه المجلة وبشكل يكاد يكون تاما لمناقشة القضايا السودانية والنوبية ولترسيخ وجودها فى

(١) حرية الشعوب ١٠/٦/١٩٤١

(٢) حرية الشعوب ١١/١٢/١٩٣٨

(٣) حرية الشعوب ٢٤/٤/١٩٣٩

(٤) حرية الشعوب ٢١/٨/١٩٣٩

(٥) حرية الشعوب ١٢/٨/١٩٤٠

هذا المجال ٠٠ ففي هذا العدد وهو من ثماني صفحات فقط نجد المقالات التالية « من القاهرة الى الخرطوم » « المهرجان الأدبي في السودان » - « السودانيون المتعلمون أيضا » - « حول مقال الأدب النوبى » - « نشاط الهيئات السودانية في القاهرة » (١) الخ .

ولكن عبده ذهب يكلف من قبل المنظمة بالسفر الى السودان للاتصال بمجموعة شيوعية سمعوا بوجودها هناك . وتولت الاشراف على المجلة إحدى عضوات الحركة المصرية للتحرير الوطنى وهى أسماء البقلى ، وكان طبيعيا ان تتجه المجلة اتجاها مختلفا تماما فقد تحولت الى مجلة نسائية صرمة .

ثم بدأت الحركة المصرية للتحرير الوطنى تتعرض للاشكال الاولى من الملاحقات البوليسية . وبعد حملة اعتقالات محدودة توقفت « حرية الشعوب » عن الصدور كمجلة خاضعة لاشراف « المنظمة » .

❖ أم درمان :

كان هناك صراع بين شعاريين تجاه قضية السودان ، شعار يرفعه الشيوعيون (الكفاح المشترك مع حق تقرير المصير) وشعار الاحزاب البرجوازية (وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى) وكان يؤيده من السودانيون في القاهرة على البربر . ويمضى عبده ذهب في روايته « وعلمنا أن القصر الملكى سيصدر مجلة شهرية اسمها السودان وسيرأس تحريرها على البربر للدعوة لشعار وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى فاسرعنا باصدار مجلة لنا وفي البداية طلبنا ترخيصا لمجلة باسم « مجلة الكفاح المشترك » ورفضت وزارة الداخلية ، فقدمنا طلبا آخر باسم « أم درمان » ورفض طلبنا أيضا . لكن أحمد الدمرداش تونى وهو زوج ابنة محمد محمود جلال استطاع أن يقتنع صهره الذى كان نائبا في البرلمان بأن هذه المجلة ستحمل نداء الدعوة لمبادئ الحزب الوطنى وتقدم النائب محمد محمود جلال بضمنان المجلة لدى السلطات . وبناء على وساطته استقبلنى رئيس الوزراء حسن ناشا صبرى في كلوب محمد على ، وأبلغنى أنهم سيعطوننا ترخيص المجلة وضحك قائلا « وان كنت أعتقد أن اسمها الحقيقى سيكون « ميسكي » وليس « أم درمان » ، وصدر الامتياز باسم محمد أمين حسين لانه كان أكبرنا سنا وكنت أنا رئيس التحرير وقد لعبت الجريدة دورا كبيرا ضائق السراى ، الى درجة أن أحد سكرتيرى الملك وهو حسن بك حسنى اتصل بى وعرض على ٢٥٠٠ جنيه مقابل أن أغلق المجلة وأن أسافر الى السودان ، فلما رفضت

هددنى بالقتل وطلبت عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية وعرضت عليهم الأمر ، وقررنا أن نتحدى هذا التهديد «(١)» .

وهكذا صدرت « أم درمان » - مجلة الكفاح المشترك « كأول مجلة تصدرها وتسيطر عليها ح*م سيطرة كاملة .

ولسنا بحاجة الى القول بأن « أم درمان » كانت تهتم في الأساس بقضايا السودان والنوبة الى درجة أنه يمكن القول بأنها كانت مجلة سودانية يصدرها الشيوعيون المصريون والسودانيون الاعضاء في منظمة ح*م بل أن المجلة لم تكن تخفى هويتها السودانية فعندما حرمت الادارة الاستعمارية دخول المجلة الى السودان نشرت أم درمان في صدر أحد أعدادها العبارة التالية « منعت حكومة السودان الاستعمارية هذه المجلة من الدخول في وطنها الأول السودان »(٢) .

وقد صدر العدد الأول من أم درمان في ١٥ مارس ١٩٤٥ . وهى تعتذر لقرائها لانها « سوف تصدر نصف شهرية بعد أن كانت النية متجهة لان تصدر أسبوعية بسبب أزمة الورق » كذلك حرصت المجلة على أن توجه الشكر الى محمد محمود جلال (الأمر الذى يعزز رواية عبده دهب بشأن تدخله للحصول على ترخيص المجلة) « أما الأستاذ محمد بك محمود جلال فاننا نعبده من أسرة تحرير المجلة ، ولا نخالنا في حاجة الى توجيه الشكر اليه فهو منا والينا ونحن مهما شكرناه فلن نوفيه حقه واللسان ازاءه عاجز ومقصر »(٣) .

وقد أحتشد في تحرير « أم درمان » معظم كوادر قسم السودان وقسم النوبيين في منظمة ح*م وهكذا برزت على صفحاتها أسماء محمد أمين حسين - عبده دهب - عبد الماجد أبو حسبو - عز الدين على عامر - حامد حمداى - صالح عرابى - محمد خليل قاسم - زكى مراد .

وقد حاولت « أم درمان » أن تبلور أهدافها وبرنامجها في اجابة على سؤال « من نحن ؟ » .. فقالت :

✱ نحن جماعة غنية ولكن بوطنيتها وايمانها .

(١) محضر نقاش مع عبده دهب - المرجع السابق .

(٢) أم درمان ١١/١/١٩٤٥ .

(٣) أم درمان ١٥/٣/١٩٤٥ .

- * نحن نحارب الاستعمار حرباً لا هوادة فيها ولا ندارى فى الحق .
- * نحن ندعو للتكتل أولاً لمواجهة عدونا الأكبر الاستعمار .
- * نحن نكره الحرب لأنها دمار ، ولكننا نحبها ضد الظلم ، والطالين
- * نحن نعلم أن نضالنا سيكون مرأ ، ولكننا نعلم أنه الطريق الوحيد لاسعاد شعبنا .
- * نحن أقوياء ، يزيحنا قوة نضال الاحرار معنا فى كل بقاع العالم .
- * هؤلاء نحن « فهل أعجبك أسلوبنا فى الكفاح ؟ » (١) .

وقد كان طبيعياً أن تتعرض « أم درمان » لاضطهاد السلطات .. فى السودان منعوها من الدخول « لكنها كانت تهرب لبيع العند الواحد منها خمسة وعشرين قرشاً » (٢) . وفى مصر كان البوليس يترصد دارها لمنع الزائرين ويحبس عليهم ، وقد داهم البوليس أكثر من مرة دار المجلة « وقبض على مدير الإدارة عبده ذهب ونبهوا عليه فى قسم الأربكية أنه ممنوع معنا باتنا اجتماع أكثر من خمسة أشخاص فى دار المجلة » (٣) .

وتستمر المطاردة ، وتنتشر (أم درمان) (نعتذر الى قراءنا الكرام عن تأخر ميعاد صدورنا لأسباب منها عدم صرف الورق لنسا فى الميعاد المحدد . وتفتيش المجلة وبيوت المحررين ومصادرة أصول المقالات) (٤) .

وبرغم أن « أم درمان » كانت تهتم فى الأساس بمشاكل السودان والنوبة والكفاح المشترك بين الشعبين المصرى والسودانى ، الا أنها أفسحت صدر بعض أعدادها لموضوعات أكثر عمومية مثل (مسألة الوحدة العربية - بقلم نقولا شاورى) (٥) و (مشكلة الازهر) . و (فلسطين الشقيقة والاستعمار) (٦) و (هذه هى الامبريالية) (٧) .

-
- (١) أم درمان - ١٩٤٦/٢/١ .
 - (٢) محضر نقاش مع عبده ذهب - المرجع السابق .
 - (٣) أم درمان - ١٩٤٦/٢/١٦ .
 - (٤) أم درمان ١٩٤٦/٣/٨ .
 - (٥) أم درمان ١٩٤٦/٣/١٥ .
 - (٦) أم درمان ١٩٤٦/٥/٥ .
 - (٧) أم درمان ١٩٤٦/٥/١٨ .

ولفترة طويلة من الوقت كانت « أم درمان » برغم سودانيتها هي المنبر العلنى للوحيد المنظمة ح.م ومن ثم فلم يكن هناك مفر من أن تمثل « أم درمان » بوجهها السودانى منظمة الحركة المصرية للتحرير الوطنى فى مختلف الأنشطة والتجمعات والندوات العلنية مثل ندوة دار الابحاث . . رغبة الهيئات العامة . . الخ .

وكغيرها من الصحف التقدمية ، جرى اغتيالها - أيضا - فى ١١ يوليو ١٩٤٦ .

* الجماهير :

كانت حملة ١١ يوليو ١٩٤٦ محاولة من الطاغية صدقى لكبت أنفاس اليسار - لكن اليسار استعاد أنفاسه سريعا وواصل التقدم - وكانت الجماهير أحد الرموز التى عبر بها اليسار على اصراره على مواصلة المسيرة .

وفى ابريل ١٩٤٧ صدرت الجماهير كلسان حال لمنظمة شرارة (أيسكرا) وكان مسئولها السياسى شهدى عطية الشافعى وإن كان رئيس تحريرها المعلن وصاحب الامتياز هو محمود النبوى (وهو أيضا أحد كوادر ايسكررا لكنه استطاع الحصول على الترخيص لانه كان ابن واحد من كبار الاقطاعيين هو محمود عبد اللطيف باشا) ، وقد تكونت قيادة سياسية للاشراف على المجلة من خمسة من الكوادر الاساسية شهدى عطية - عبد العبود الجبيلى - سيدنى سلامون - محمد سيد أحمد - أيلى ميزان(١) . كذلك أسهم الكثير من كوادر أيسكرا فى أعمال التوزيع والادارة والتحرير فكان يشرف على التوزيع فى القاهرة ابراهيم المنسترلى وفى الوجه البحرى عبد المنعم الغزالى . كذلك كانت المكاتب النوعية للتنظيم تشرف على تحرير الابواب الخاصة بها فصفحة الطلبة والموضوعات الطلابية يحررها ثلاثة من دائرة الطلاب هم عبد المنعم الغزالى - جمال شلبى - سعد زهران وكذلك صفحة العمال والنساء (٢) .

(١) محضر نقاش مع ابراهيم المنسترلى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٧٣

(٢) محضر نقاش مع عبد المنعم الغزالى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٧٣ .

أما قسم التحقيقات الصحفية فقد أشرف عليه نقولا ورد وقد نجح في أن يقدم تحقيقات ممتازة تعتبر اسهاما في تطوير صحافة الرأى في مصر .

وهكذا تكونت داخل الجماهير كمنبر على شبكة من الاجهزة التنظيمية ذات الاختصاصات المختلفة وللربط فيما بينها شكلت لجنة قيادية أسميت « لجنة تنظيم اللجان » وقد أشرف على اعداد هذا البناء التنظيمى المعقد خبير التنظيم في أيسكرا سيدنى سلايون .

ومن ابريل حتى مايو ظلت الجماهير منبرا لايسكرا ، وفي يونيو - يوليو ١٩٤٧ - تمت الوحدة بين-ايسكرا و ح .م وتأسست منظمة حدتو ، وأصبحت الجماهير منبرا سياسيا لهذا التنظيم الجديد . وجرت التعديلات الضرورية في قيادة الجريدة . ويقول عبده دهب « عندما اتحدنا كان الاتفاق أن يكون المسئول السياسى والتنظيمى في جميع المستويات من ح .م ومسئول العمل الجماهيرى من ايسكرا . ونتيجة للوحدة صار ضمى الى « الجماهير » كمسئول سياسى لكن شهدى عطية لم يقبل هذا الوضع وبعد صراع اتفق على أن تشرف ل .م مباشرة على المجلة (١) » .

ويمكن القول دون مغالاة أن الجماهير كانت فتحا جديدا تماما لصحافة اليسار ، فهي من حيث مستواها السياسى والنضالى والفكرى ومستوى طباعتها واخراجها وتحريرها وتوزيعها كانت تمثل طفرة بالنسبة لكل صحافة الرأى ولكل الصحافة المصرية والعربية بشكل عام .

ومع التهاب المعارك الطبقيية ، اشتعلت صفحات الجماهير بتحقيقات صارخة عن العمال واضراباتهم والفلاحين ومشاكلهم ، وازدادت جرأة محرريها وتساعدت الى حد نشر النصوص الكاملة للمنشورات والبيانات التى كانت تصدرها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى .

ومنذ العدد الأول أكدت « الجماهير » أنها مجلة مختلفة تماما عن كل ما سبقها « ليست الجماهير مجرد اسم يوضع في صدر صحيفة انما هي أعق من هذا بكثير ، هي صوت الملايين من العمال والفلاحين والطلبة والمثقفين الوطنيين ، الملايين التى تموج بها ضفاف النيل ، تناضل استعمارا بغضا وتنشد استقلالاً كريما . . والجماهير تعلنها حربا شعواء لا هوادة

(١) محضر نقاش مع عبده دهب . المرجع السابق .

ففيها ضد كل ألوان الاستعمار سياسيا كان أم اقتصاديا أم ثقافيا ..
والجماهير اذ تناضل المستعمرين لن تغفل عن الخونة والتهاونين والمترددين
والخائفين أولئك الذين يختمون وراء مصريتهم ليكيدوا لمصر مع الكائدين ..
والجماهير اذ تخوض معركة الحرية والاستقلال لا تخوضها عبثا ، إنما تسعى
الى ديمقراطية صحيحة فكل انتقاص من حرية الرأي والصحافة والانتخاب
انما هو تعزيد للمستعمرين والجماهير لا تؤمن باستقلال أجوف تظل فيه
الملايين جائعة عارية جاهلة مريضة .. « (١) » .

و ضد الخطر الامريكى الزاحف و جهت الجماهير ضرباتها « ان الشعب
لا يرضى أن يستبدل استعمار باستعمار ، ولا أن يضيف استعمار الى
استعمار » (٢) .

ومن أجل شرعية التنظيم الذى تمثله الجماهير يفجر محمود حمدي
(الاسم المستعار لشهدى عطية) مقالا أثار كثيرا من الجدل والنقاش
« يريد الشعب حزبا .. من نوع جديد » (٣) .

وكذلك فتحت الجماهير صفحاتها أمام شعراء اليسار ليرسوا دعائم
مدرسة جديدة فى الشعر برز فى صفوفها كمال عبد الحليم - محمد خليل
قاسم - زكى مراد .

وعندما وقف صدقى ليحاول أن يقنع أعضاء مجلس الشيوخ بتمرير
قانون مكافحة الشيوعية غير الدستورى وفى محاولة لان يقنعهم أو بالذقة
لأن يرهبهم لم يجد الا واحدة من القصائد التى نشرتها الجماهير ..

وعندما يطبق هذا القانون الارهابى ، منتهزا فرصة الاحكام لعرفية
فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ تصدر الجماهير .. ثم يسحب ترخيصها .



وكانت هناك أيضا بالاضافة الى الصحف دور النشر اليسارية - التى
أسهمت فى تقديم ثقافة جديدة تماما للجماهير وللمثقفين الذين كانوا يتطلعون
فى شوق للتعرف على ذلك الفكر الجديد ..

(١) الجماهير ١٩٤٧/٤/٧

(٢) الجماهير ١٩٤٧/٤/٢١

(٣) الجماهير ١٩٤٧/٤/٢٨

وكانت إحدى مؤسسات منظمة « تحرير الشعب » وكانت مملوكة رسمياً لاثنتان من كوادر هذه المنظمة هما مصطفى كامل منيب وأسعد حليم .

وقد أصدرت هذه الدار عدداً من الكتب المترجمة عن الانجليزية والتي اهتمت أساساً بتقديم النموذج السوفياتي - ولأول مرة - للفقاري المصري .

فأصدرت - وفي فترة وجيزة - كتباً منها « الرفيق ستالين » بقلم المرشال فورشيوف ترجمة مصطفى كامل منيب و « الجيش الاحمر » بقلم ابفور مونتيجي ترجمة أسعد حليم ، و « الزواج والاسرة في الاتحاد السوفيتي » و « الزواج والامومة والعائلة في التشريع السوفيتي » و « الدين في الاتحاد السوفيتي » وقد ترجمها جميعاً مصطفى كامل منيب . كذلك أصدرت الدار واحداً من أشهر كتب سلامة موسى وأكثرها شجاعة هو كتاب « حرية العقل في مصر » .

كذلك أصدرت ديوان شعر بالعامية بعنوان « أنا العامل » لفتحي أحمد المغربي .

وقد كان هذا الفيض من الكتب التي تلبى احتياجات ماسة في المكتبة العربية سبباً في قلق السفارة البريطانية التي أرسلت برقية سرية للغاية وعاجلة الى لندن تتضمن قائمة ببعض الكتب الصادرة عن الدار ونبذة عن كل منها (١) .

ولعل هذا الاهتمام من جانب السفارة البريطانية يفسر اهتمامها آخر لدى السلطات المصرية التي ركزت سهامها في حملة « ١١ يوليو » على هذه الدار ومثيلاتها وكان فتحي المغربي صاحب ديوان « أنا العامل » ومصطفى كامل منيب وأسعد حليم صاحبي دار الفجر هم المتهمون الثلاثة الاول في قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ . حيث قدموا للمحاكمة باعتبار أن دار الفجر « كانت تصدر بعض المجلات والنشرات والكتب التي تروج للمذاهب التي ترمي الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الأساسية لاهيئة الاجتماعية » (٢) .

1) Public Record office-F.O 341-46003 TCR — NEA. No 930 (127— 18:15) Top. Secret — From British Embassy. CAIRO 26 th June, 1945.

(٢) ديثيات الحكم الصادر من محكمة جنايات مصر في قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ .

وقد انبثقت هذه الدار عن مجلة « الفجر الجديد » وتميز إنتاجها بمعالجته للواقع المصرى ٠٠ مثل « مأساة التموين » و « مشكلة الفلاح » (أحمد صادق سعد) .

وأصدرت أيضا كتاب « كرومر فى مصر - صفحات من تاريخ مصر الحديث » لأحمد رشدى صالح .

وقد حرص أحمد رشدى صالح أن يؤكد فى مقدمة كتابه على أهمية تبلور الوعى الطبقي فقال « يظهر مدى نضج المجتمع المصرى الان فى تزايد متناقضاته ، تبلور طبقاته ، وفى تكيف كل طبقة فى كيانها ووعيتها تكيفا صاعدا ، وينعكس بالانحص فى الوعى الطبقي المطرد مع تبلور الطبقات » .

وهو يدعو المثقفين الاحرار الى دراسة المتغيرات الجديدة الناتجة عن « القومية الشعبية العالمية ٠٠ وأن يتفاعلوا معها ، ويستوعبوا مسباتها ، ويستوعبوا القوات المناهضة لها ، ويعملوا على ضوء الجدلية السلمية ، التى لا تقوم بغير النقائص ، ولا تتحرك بغير كفاح النقائص بعضها لبعض ، واجبههم أن يعيشوا بوجودهم فى التحليل المادى العلمى ، لا أن يعيشوا بأحلامهم على هامشه ، فيكونون عالة على قومية الشعوب » (١)

والكتاب فى مجمله دراسة جيدة لسنوات الاحتلال الانجليزى الاولى وما جرت على مصر وشعبها من كوارث ، وقد أصدر رشدى صالح كتابا آخر بعنوان « مسألة السودان » ونلاحظ أنه لم يثبت على غلافه اسم دار النشر وان كان المؤلف قد طلب الى القراء مراسلته على صندوق بريد ١٩٢٤ القاهرة ، وهو ذات صندوق البريد الخاص بدار القرن العشرين ٠٠

ويختتم رشدى صالح كتابه مسألة السودان ببرنامج واضح :

« فالواجب العملى الاول هو تنظيم صفوف الجماهير الشعبية المصرية والسودانية على أساس تحرير الوادى مصره وسودانه واشاعة الديمقراطية السياسية فى مصر والسودان ورفع مستوى الجماهير هنا وهناك ، وان هذا

(١) أحمد رشدى صالح - كرومر فى مصر ، صفحات من تاريخ مصر الحديث - دار القرن العشرين للنشر - القاهرة (دت) - ص ٨

التنظيم وسيلة عظمى لمواصلة الكفاح الوطنى الناجح ضد الاستعمار وخدامه
الرجعيين المصريين والانفصاليين السودانين فكلمتنا الموحدة بالنسبة
للسودان هى :

- جلاء تام عن مصر والسودان .
- حق الشعب السودانى فى تقرير مصيره .
- تأييد تام لنضال الشعب السودانى من أجل الحرية .
- المطالبة باشاعة الديمقراطية السياسية فى السودان وتطبيقها فى مصر .
- تنظيم الجهاد المشترك بين شعبينا «(١)» .

•• واضح تماما أنها ليست مجرد كلمات باحث أو مؤلف وانما هى
برنامج لجماعة ••

كما أصدرت الدار كتاب « حول الفلسفة الماركسية • رد على العقاد »
(أبو سيف يوسف) • وقد كان هذا الكتاب الاخير دليل اتهام ضد مؤلفه
من جانب السلطة التى قدمته للمحاكمة هو أيضا وكان المتهم الخامس فى
الفضية المشهورة باسم قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ •

✽ دار النشر السودانية :

وهى أحد امتدادات مجلة أم درمان وقد ذكرت فى الاعلانات التى
نشرتها فى أم درمان أن هدفها هو اصدار كتب شهرية عن السودان فى
الادب والشعر والتاريخ والاقتصاد (٢) •

لكننا لم نعثر على كتب صادرة عن هذه الدار •

وفى مجال النشر نلاحظ أن منظمة « الحركة المصرية للتححر الوطنى »
قد انتهجت أسلوبا مختلفا فهى لم تؤسس دارا للنشر ، بل اكتفت باصدار
كتب وكتيبات عديدة دون أن تنسبها الى دار نشر محددة •• وقد تركز إنتاج
ح•م فى مجال النشر فى موضوعين أساسيين •• محاولة تقديم تفسير

(١) أحمد رشدى صالح - مسألة السودان • (الناشر لم يذكر) -

(د • ت) - ص ٦٤ •

(٢) أم درمان ١/٥/١٩٤٥ •

تقدمي واشتراكي لاديين الاسلامى وقد اضطلع بهذه المهمة أحد كوادر المنظمة من رجال الدين وهو الشيخ محمد أبو الحسن جاد الله الغنيمي الذى أصدر كتاب « الشيوعية فى الاسلام » وهو دراسة جادة عالية المستوى وبالعلة الشجاعة فى نفس الرقت ٠٠ جاء فيها - على سبيل المثال - « لماذا لانكون الأرض كلها ملكا للامة وتكون الحكومة قيمة عليها ، ويكون الفلاحون جميعا مزارعين فيشتغل كل بحسب طاقته ثم يأخذ بحسب حاجته ٠ ولماذا لا تكون المصانع والمعامل وجميع موارد الثروة ملكا للجميع فما دمننا مشتركين فى تحصيل الارزاق واحداث الثروات فالواجب يقضى باقتسامها من كل والى كل » (١) انى أن قال « فما هو الحل ؟ وما هو المخرج من هذه الملمات المتراكمة والمفاسد المتلاطمة والجواب عن ذلك سهل ويسير ، فقتش عنه اجث عنه ، نقب عنه ، سوف تجده فى كلمة واحدة هى الشيوعية » (٢) ٠

ولنفس المؤلف كتاب « أبو ذر الغفارى أول ثائر فى الاسلام » وله أيضا « دورنا فى الكفاح الوطنى » ٠

كذلك أصدرت الحركة المصرية للتححر الوطنى سلسلة الكتب الخضراء ، التى كانت تطبع سرا وتوزع علنا وهى ترجمات دقيقة لأهم المصادر الكلاسيكية للفكر الماركسى يمكن القول بأنها قد لعبت دورا حاسما وأساسيا فى تثقيف الكوادر الشيوعية المصرية من كل المنظمات ٠ وقد قام بترجمتها قسم المثقفين فى ح ٠م بأشراف د ٠ محمود القاضى وكان يتولى طباعتها بالاسكندرية أحد كوادر الحزب الشيوعى الاول وهو الدكتور حسونة ٠

كذلك أصدرت ايسكرا كتابا هاما يتعم ما يشبه البرنامج بعنوان « أهدافنا الوطنية » (٣) ٠

وعندما تأسست « حدثو » لجأت أيضا لنفس الاسلوب فأصدرت عدة كتب دون نسبتها الى دار نشر معينة ٠ فأصدرت كتابا مثل « أحمد حسين - الذى باع الوطن لكل من دفع الثمن » وكتاب « الاخوان المسلمون فى الميزان »

ولعل هذا الكتاب كان أول دراسة علمية وتحليلية لجماعة الاخوان المسلمين من واقع وثائقها ، فالمؤلف ، محمد حسن أحمد - وهو اسم سرى «

(١) أبو الحسن الغنيمي - الشيوعية فى الاسلام ص ٥ ٠

(٢) المرجع السابق ص ٦ ٠

(٣) شهدى عطية الشافعى ، محمد عبد المعبود الجبيلى - أهدافنا الوطنية - مطبعة الرسالة (١٩٤٥) ٠

يحلل مختلف وثائق الجماعة فلا يجد فيها برنامجا مفصلا . ولا أثرا لبرنامج ٠٠ وانما « هم يتهربون من مواجهة مطالب الشعب ، ويحاولون باستعمالهم أسلوبهم تارة وباستعمال الآيات القرآنية والاحاديث « في غير موضعها » أن يثبتوا للناس أن اللقمة اللينة ، والنومة المريحة ، والحلة الجميلة كما يقولون أشياء لا قيمة لها بل هي من سفاسف الامور ٠٠ يقولون هذا في بلد أغلبيته لا تجد العيش الذى تسد به رمقهـا ٠٠ يقولون هذا الكلام والآلاف يموتون جوعا ومرضا « (١) » .

وهو يوجه الاتهام الى السادة كبار الملاك وأصحاب الشركات بتأييد جماعة الاخوان لانها تضلل العمال وتصرفهم عن النضال الطبقي ويقول « ان الفاشية هي السلاح الاخير في يد هؤلاء السادة يلوحون به اذا ما دقت ساعة الخطر وقام الشعب يطالب بحقوقه » .

٠٠ ويدهش الكاتب من أنه رغم أن الجماعة تضع الاقباط المصريين في مأزق قبول احدى ثلاث « الاسلام أو الجزية أو القتل » فان النابيد الذى ينهال على جماعة الاخوان لا يأتى فقط من « كبار الملاك أو أصحاب المصانع المسلمين ، انما هو تأييد على نطاق واسع حتى من كبار الملاك المسيحيين فلويس فانوس ومریت غالى وغيرهم لا يتأخرون عن الدفاع عن الاخوان ٠٠ ولا تعجب فقد كان بعض كبار الماليزين اليهود يؤيدون هتلر ليضمن لهم أن يكتم أفواه العمال والفلاحين ، وأن يخرس صوت اللاتاجين المطالبين بحقوقهم» (٢) .

وفي ختام الكتاب « نداء » « ها قد عرفتم يا شباب الاخوان مدى خداع قواد هذه الجماعة لكم ٠٠ فيا شباب الاخوان تنبهوا الى الخطر الذى أنتم فيه ، اعلموا ان استقلال مصر هو غرضنا وغرضكم ٠ اقرأوا هذا الكتيب بامعان وادرسوه ، وارجعوا الى الوثائق الرسمية حتى تفقننوا بفاشية هذه الجماعة وخطرها على الحركة الوطنية ٠٠

يا شباب الاخوان ارفعوا الغشاء الذى يغطى أعينكم ٠٠ واعلموا ان ترككم الجماعة ليس معناه ترك الدين ، بل على العكس ، فان جماعة

(١) محمد حسن أحمد (اسم سرى) - الاخوان المسلمون في الميزان مطبعة الاخفاء - (د . ت) - ص ١٧ .

(٢) المرجع السابق - ص ٤٩ .

الاخوان تستغل الدين استغلالا سيئاً ، فالدين يبرأ من هذه الجماعة •• وضعوا
نصب أعينكم أن الدين لله والوطن للجميع «(١) •

وباختصار يمكن القول بأن شيوعى الأريعنات قد لعبوا فى مجال
الصحافة والنشر والفكر دورا مرموقا وبارزا ترك أثرا ثابتا على المناخ
الذى كرى العام للثقافة المصرية وبحديث أصبح الفكر الماركسى بفضل هذه
الجهود الباسلة أحد المكونات الأساسية - والمعترف بها من الجميع - للفكر
المصرى عامة (٢) •

(١) المرجع السابق - ص ٩٤ •

(٢) لمزيد من التفاصيل فى هذا الصدد راجع د • سيد حامد النساج • حركة
الفكر التقدمى فى مصر بعد الحرب العالمية الثانية • مجلة الكاتب
يوليو ١٩٧٥ •

الجيش

كان عام ١٩٣٦ عاما فاصلا في تاريخ مصر ، وفي تاريخ الجيش المصرى فلقد رأينا كيف أصدر النحاس قانونا للجيش يحاول به ابعاد نفوذ ائلك عن صفوفه . كذلك كانت المعاهدة المصرية - البريطانية قد نجحت في إلغاء القيود البريطانية على عدد القوات المصرية المسلحة (١) وهكذا زادت الحاجة وبسرعة الى أعداد كبيرة من الضباط ومن حسن حظ مصر أن ذلك قد تم في ظل حكومة الوفد التي سعت الى توسيع القاعدة الاجتماعية التي أنى منها هؤلاء الضباط الجدد (٢) وهكذا وبذلا من أبناء الطبقة الغنية والارستقراطية والمقيمة أساسا في القاهرة (٣) أمكن للوفد أن يضم الى الكلية الحربية - ولأول مرة - شبانا من أبناء الطبقة الوسطى في الريف وصغار ومتوسطي الموظفين (٤) ، ويبدو أن أبناء هذه الطبقات كانوا من الحماس والوطنية الى درجة « أن من بين الاحدى عشر الذين أسسوا تنظيم الضباط الأحرار تجد أن ثمانية دخلوا الكلية الحربية في دفعة عام ١٩٣٦ (جمال عبد الناصر - عبد الحكيم عامر - عبد اللطيف بغدادى - جمال سالم - حسين الشافعى - زكريا محيى الدين - أنور السادات - صلاح سالم) ، وفي الدفعة التالية دخل اثنان من مؤسسى الضباط الأحرار (كمال الدين حسين - حسن ابراهيم) ودخل خالد محيى الدين في الدفعة الثالثة (٥) . والحقيقة أن هؤلاء الضباط الذين تخرجوا بسرعة مذهلة قد أثبتوا بسرعة أيضا أنهم « متأثرون كلهم بالانكار الوطنية تأثرا عظيما . وكانوا يحملون كلهم في قلوبهم الحقد على الاحتلال والتوق الى عمل شئ لتأمين نهضة مصر » (٦)

1) Keith Wheelock—Nasser's New Egypt — Atlantic Books—London

2) Robert Stephens — NASSER—Pelican Book (1973) P. 49.

(1960) P. 3.

3) Jean & Simone Lacouture — Egypt in Transition (London — 1958) P. 128.

4) P. J. VATIKIOTIS — The Egyptian Army in Politics — Indiana University Press (-961) P. 48.

5) Ibid — P.48.

(٦) أنور عبد الملك - مصر مجتمع جديد بينيه العسكريون - ترجمة كتاب (Egypte Societe Militaire) دار الطليعة بيروت . الطبعة الأولى -

ديسمبر ١٩٦٤ - ص ٥٦

وحتى قبل أن يتخرج هؤلاء الشبان من أبناء الطبقات الوسطى والدنيا
ليصبحوا ضابطاً ، وحتى وهم لم يزالوا بعد يمرون باختبارات القبول
بالتدنية لم يتوانوا عن اعلان مواقفهم الوطنية .

ويتعرض الطالب جمال عبد الناصر الى أسئلة محرّجة من رئيس لجنة
« كشف الهيئة » .

— مهنة الوالد ؟

— موظف بالبريد .

— هل في أسرتك فلاحون ؟

— نعم .

— هل في أسرتك ضابط ؟

— لا .

— لماذا تريد أن تصبح ضابطاً ؟

— لأخدم وطني .

— هل لديك أملاك ؟

— لا .

— هل لديك توصية من أحد ؟

— لا .

— هل اشتركت في مظاهرات نوفمبر ١٩٣٥ ؟

— نعم (١) .

ويرفض طلب جمال عبد الناصر ، ذلك أن اللجنة اذا تسامحت وقبلت
شاباً فقيراً فليس بإمكانها أن تسمح لطالب شارك في المظاهرات الوطنية
أن يصبح ضابطاً في الجيش ويحتاج جمال الى خمسة أشهر أخرى وإلى
« وساطة » كي يقبل في الكلية الحربية .

• • • وكنموذج لتفكير ومطامح هؤلاء الشبان نقدم بعض ما تحتويه
قائمة استعارات الطالب جمال عبد الناصر من مكتبة الكلية الحربية :
« بونابرت ، كحاكم مصر بقلم شارل روا — لورانس بقلم روبرت جرافس
— حرب النهر بقلم ونستون تشرشل — نابليون بقلم أميل لوفيج ، حملة
فلسطين بقلم ويفل » (٢) .

1) Jean Lacouture — NASSER 1973 P. 39.

2) Georges Vaucher, Gamal Abdel Nasser et son équipe (Paris) 1959,
Vol 1, P. 97.

وهكذا تحققت الحماة الجديدة في صفوف الجيش ، ربما بهدف خدمة الوطن » وربما أيضا لان تكاليف الدراسة في الكلية الحربية كانت أقل من تكاليفها في الجامعة (١) .

« ولقد كان تأثير هؤلاء الشبان جارفا في صفوف القوات المسلحة المصرية خاصة وأن الرجعية المصرية لم تهتم على الإطلاق بأن ترسل أبناءها الى الجيش كما فعلت الطبقات الحاكمة في أوروبا . لم يكن في الجيش المصرى أبناء أسر اقطاعية (حاول زكى سراج الدين شقيق فؤاد سراج الدين الانضمام للكلية الحربية لكنه لم يحتمل الحياة كطالب فيها الا عاما واحدا وانسحب من الكلية) كذلك تباعدت الاسرة المالكة عن الجيش (عين الملك الاميراسماعيل داود في الفترة ٤٢ - ١٩٤٤ قائداً لسلاح الفرسان ثم أبعد ، وعين زوج شقيقته الامير اسماعيل شيرين مديرا لإدارة فلسطين بالجيش دون أن يتخرج من الكلية الحربية ، ثم عينه وزيرا للحربية في وزارة نجيب الهلالي الأخيرة)(٢) وكان ذلك بطبيعة الحال عنصرا حافزا لنمو التحرك الثورى في صفوف القوات المسلحة ، وفتح أبواب الجيش ولاول مرة منذ الثورة العربية أمام النشاط السياسى لمختلف القوى . وخاصة الشيوعيون والاخوان المسلمون .

وفيما يتعلق بالشيوعيين فان المنظمة التى بدأت بالاهتمام اهتماما فعليا بالعمل في القوات المسلحة كانت الحركة المصرية للتححر الوطنى (ح.م) يقول كورييل « وكان لدينا في ح.م. تحليل لفئات الجيش هو :

الجنود - فلاحين

عمال الجيش - عمال

صف الضباط - برجوازية صغيرة

الضباط - برجوازية متوسطة

الضباط الكبار - برجوازيين مرتبطين بالمصالح العقارية والملكية (٣) .

وقد بدأ النشاط الحقيقى في صفوف القوات المسلحة من خلال خريجى مدرسة ميكانيكا الطيران وبواسطة كوادر ح.م. وكانت هذه المدرسة قد فتحت أبوابها في عام ١٩٣٧ - في أعقاب المعاهدة أيضا - وانضم اليها

1) Jean Lacouture — Nasser — ibid. P. 41.

(٢) أحمد حمروش - قصة ثورة ٢٣ يوليو - الجزء الاول - المؤسسة العربية لدراسات والنشر بيروت - ص ٢١٢ .

(٣) محضر نقاش مع هنرى كورييل جلسة المناقشة الثانية - المرجع السابق .

في الدفعة الاولى ٩٠ طالبا حاصلين على شهادات الكفاءة أو البكالوريا أو الفنون والصنائع نظام الخمس سنوات . وكانت ح.م قد أقامت علاقات وثيقة باتحاد خريجي المدارس الصناعية ونجحت في اجتذاب عدد من الكوادر النهامة من صفوفه وعن طريقهم ومن خلال الدفءاع عن مطالب ميكانيكي الطيران (المطالبة بالترقى لرتبة الضباط وقد عارض هذا المطلب الطيارون القدامى والمطالبة بتغيير الزى الرسمي ، ومطالب أخرى اقتصادية) . وقد اتسع نشاط ح.م وسط صفوف ميكانيكي الطيران اتساعا كبيرا واستطاعت أن تجند من صفوفهم عددا من خيرة كوادرها سيد سليمان رفاعى (بدر) ، فؤاد حبشى (غاروق) ، يوسف مصطفى (صدقى) ابراهيم عرفه (حوتر) وقد استطاعت هذه الكوادر أن تقيم تنظيمها سرىا له قيادة من ٤٢ عضوا بحيث يمثل كل سرب أو قسم فى السلاح اثنان من المندوبين ، وتكونت لهذا التنظيم لجنة تنفيذية عليها من ١١ شخصا كان النفوذ الأساسى فيها للشيوخين (١) وكانت السيطرة الفعلية على كل هذه الحركة لمنظمة ح.م التى بلغ عدد أعضائها فى سلاح الطيران وحده (٨٠) ثمانين عضوا والتى كانت لها خلايا فى مختلف الأسراب والورش التابعة للسلاح (٢) .

وعن طريق هذه المجموعة ، وعن طريق ضابط طيار انضم الى صفوف ح.م هو ابراهيم العطار (شقيق مختار العطار مسئول الاجهزة الفنية فى ح.م) أمكن إقامة علاقات مع عدد من الطيارين ذوى النفوذ الهام فى ذلك السلاح فى ذلك الحين مثل عبد اللطيف البغدادى ووجيه أباطة (٣) ويقول أحمد حمروش (ويجب أن نلاحظ أنه قد استقى معلوماته من مصادرها الأصلية) أن عبد اللطيف بغدادى ومجموعة الطيران قد اتصلوا بجماعة « ثقافة وفراغ » ، ويقول أيضا أن ميكانيكى الطيران قد أقاموا علاقات مع عدد من ضباط الطيران حال دون تقدمها غارق الرتبة والموضع الطبقي» (٤)

وعن طريق ميكانيكى الطيران اتصلت ح.م بميكانيكى سلاح الصيانة والطيران المدنى ومدرسة الكتاب العسكريين ومدرسة موسيقات الجيش

(١) أحمد حمروش - المرجع السابق - ص ١٢١ .

(٢) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى

١٩٧٦/١/١٢ .

(٣) محضر نقاش مع فؤاد حبشى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى

١٩٧٤/١٢/١٨ .

(٤) أحمد حمروش - المرجع السابق - ص ١٢١ . ويلاحظ أنه قد أخطأ

فى الاسم وذكره كما يلى « جمعية الرياضة وأوقات الفراغ » .

ومنهم أيضا كسبت ح.م كوادر هامة (مصطفى طيبة) وفي نصية المنصورة عام ١٩٤٩ اكتشف البوليس أن شبكة الاتصال لكل منطقة بحرى كان يديرها خندان من فرقة الموسيقى التابعة لمطافئ الزقازيق وانهما انضما للحركة الشيوعية عندما كانا فى مدرسة موسيقات الجيش ، وكانا يقومان بهذا العمل مستفيدين من ملابسهما العسكرية) .

وعندما حقق ميكانيكيو الطيران مطالبهم بفضل كذاهم المتواصل تحت قيادة الشيوعيين تشجع زملاؤهم فى سلاح الصيانة ، وتحرك ٦٠٠٠ طالب وخريج منهم متجهين الى قصر عابدين ، ولكن هذه المظاهرة الفريدة من نوعها انتهت بغير مكاسب وأعتقل بعض قادتها .

كذلك نجحت حدتو فى العمل فى صفوف صولات الجيش وأقامت لهم تنظيميا سريا قويا . كذلك سكونت لهم تنظيميا جماهيريا سمي « الاتحاد العام للصولات وضباط الصف » وما أن يأتى عام ١٩٤٧ حتى يكون هذا الاتحاد محورا هاما للعمل فى صفوف القوات المسلحة وحتى يصبح نقطة ارتكاز قوية لعمل جاد .

وتتطور أساليب النضال سريعا . وفى ديسمبر ١٩٤٧ يتقدم الاتحاد العام للصولات وضباط الصف بعريضة الى الملك فاروق بآءتباره القائد الأعلى للجيش يحدد فيها مطالب واضحة يطالب بتنفيذها . ويؤكد فيها « أن زمن العبيد ولى وراح وأصبحنا فى عصر يفهم فيه كل فرد معنى حقوقه الاجتماعية التى تتفق مع مبادئ الانسانية الصحيحة والجنسية السمحاء » .

ثم تمضى المذكرة الى التهديد بأنه « اذا لم تجب مطالب الانية فى مدى خمسة عشر يوما من تاريخه فان الصولات وضباط الصف والجنود سوف يتجهون الى ساحة عابدين فى مظاهرة عسكرية رهيبه » (١) .

وسرعان ما تحركت الرجعية لتصفية حساباتها مع حركة الصولات وضباط الصف بنفى وتشتريد بعضهم وفضل بعضهم من الخدمة ، وفى أوائل عام ١٩٥٢ أنهت السراى تصفية حساباتها مع حركة الصولات باغتيال زعيمها الشهيد عبد القادر طه (شقيق أحمد طه أحد كوادر حدتو) .

(١) عريضة مرفوعة من الاتحاد العام للصولات وضباط الصف بالجيش المصرى الى جلالة القائد الأعلى للجيش (نسخة أصاية) .

وفيما يتعلق بالضباط بدأت ح.م علاقاتها بمحمد نجيب « اتصلنا في ح.م بعدد من الضباط منهم محمد نجيب وقد اتصلنا به عن طريق أحد أعضائنا النوبيين (صلاح عرابي) وقد اتصل بى صالح عرابي وقال ان ضابطا من أصل سودانى يريد أن يعرف ما هو موقف الشيوعيين من السودان ، وكان هذا السؤال فرصة لبحث الموضوع وأعدنا تقريرا مفصلا عن وجهة نظرنا . كذلك اتصلنا بصلاح سالم عن طريق الزميل الطيار ابراهيم المطار « (١) .

ونجحت ح.م أن تضم الى صفوفها ضابطا جديدا هو عثمان فوزى ، وفى نفس الوقت تعرف مصطفى هيكل عن طريق محمد خطاب على أحمد حمروش وضمه الى منظمة القلعة (٢) كما انضم خالد محيى الدين الى منظمة ايسكرا عن طريق على الشلقانى ، وعندما اتحدت المنظمات الثلاث فيها بعد ، كانت « حدثو » تمتلك نقطة ارتكاز هامة فى القوات المسلحة وبهذا وضع الأساس لقيام حركة ماركسية فى صفوف الجيش لم تكن فقط بداية لتحرك ماركسى واسع النطاق فى صفوف الجيش وانما كانت بداية لمساهمة ذات أثر بالغ الأهمية فى تكوين « الضباط الأحرار » وفى أحداث ثورة يوليو ذاتها .

وتزايد عدد الضباط الشيوعيين وذوى الاتجاه اليسارى ، ومع تصاعد نشاط حثو فى الجامعات انضم الى صفوف القوات المسلحة ضباط مهنيون شيوعيون كثيرون مثل الضابط مهندس جمال علام ، والضابط صيدلى د. محمود الموييسى ، والضابط طبيب بحرى د. فؤاد منير .

يقول أحمد حمروش « وكان التجنيد (للعمل الشيوعى) داخل انجيش شيلا شديد الصعوبة وبأى التعقيد معرضا لخطر العصف به من القوى الرجعية المتربصة بأى نشاط تقدمى وخاصة فى صفوف الجيش . ومع ذلك فان حيرة الضباط الوطنيين ، وعجز الاخوان المسلمين عن ارضاء نفوسهم بالاجابة الوافية على أسئلتهم واستفساراتهم ، وحركة المد الثورى التى انطلقت فى الجامعة وتمثلت فى حركة الاضرابات والمظاهرات المتزايدة . الى جانب السمعة الطيبة التى أحرزتها القوات المسلحة السوفيتية خلال الحرب والتأييد الواضح المعلن من جانب الدول الاشتراكية لقضيتنا الوطنية فى هيئة الامم وخارجها . مع توفر التصور الفكرى الواضح لمشاكل المجتمع

(١) محضر نقاش مع هنرى كورييل - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع د. مصطفى هيكل - أجرى النقاش فى برلين

ووجود اجابة وافية عميقة على تسميات الضباط ٠٠ كل هذه العوامل مجتمعة كانت تجعل من التجنيد التنظيمات اليسارية أمرا ممكنا رغم خطورة ذلك في صفوف الجيش « (١) » .

كذلك فان أجهزة الامن سواء في الجيش أو الداخلية كانت محدودة العدد والكفاءة . كان كل ضباط المخابرات الحربية ١٥ ضابطا (بعضهم كان على علاقة بالوطنيين والتقدميين) وكان ضباط القسم المخصص في وزارة الداخلية لا يتجاوزون ٢٤ ضابطا ، وكانوا منمكين في متاومة العمل الشيوعي في صفوف المدنيين بالإضافة الى أنه لم يكن يدخل في اختصاصهم العمل داخل الجيش الا عن طريق المخابرات الحربية ٠٠

وهكذا اتاحت الفرصة كي ينتمأ ويتعزز قسم الجيش بمنظمة حدثو وأعطى اسما سريا هو « قسم الاحذية » .
وقد ظل هذا القسم يعمل بدأب ونشاط وسرية تامة ، وأصدر عديدا من البيانات بتوقيع « رجال الجيش » .

ولم يحدث أن تعرضت مظمات « قسم الاحذية » للكشف أو لضربات البوليس الا في أماكن محدودة حيث تصاعد العمل السياسي ليصبح نضالا جماهيريا كما حدث في حركة الصولات وأيضا في حركة ميكانيكي سلاح الطيران الذين صعدوا من كفاحهم الامر الذي أدى الى نفى ٤٠ منهم الى سيوه .

والحقيقة أن دور الشيوعيون وسط ميكانيكي الطيران قد لفت أنظار الأمن منذ وقت مبكر ، وتحفظ الوثائق الامريكية العديد من التقارير التي تحذر من النشاط الشيوعي في هذا المجال ٠٠ كما تضم احدى الوثائق قائمة بأسماء القى القبض على أصحابها في ديسمبر ١٩٤٥ بسبب نشاطهم الشيوعي ونقل الوثيقة أنهم جميعا من العسكريين وهم :

٠٠ « ابراهيم حافظ العطار - عز الدين السناني - محمد شوقي - عبد الحكيم - سيد سليمان رفاعي - سيد حافظ خير الدين - فوزى دوس - عبد الشهيد - عبد الحكيم مصطفى - محمد مصطفى فضل » (٢) .
وجميعهم اما طيارين أو ميكانيكي طيران .

(١) أحمد حمروش - المرجع السابق - ١٢٣ .

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :

OSS - Mis - 230561 - AL - 22 Dec 1045.

وفي وثيقة تالية أضيف اسم « فؤاد حبشى » ، الى قائمة المبروض عليهم من العسكريين .

بينما ظل باقى قسم « الأحيذية » سليما ٠٠ وفى بعض الاحيان كان هو القسم الوحيد الذى بقى سليما فى حدثو ٠٠ وكان المسئول السياسى تقسم أحمد حمروش مسئول الدعاية هو أحمد فؤاد وكان وكيلا للنياية (١) (وهى مهنة تتطلب جماية خاصة هى الاخرى ولهذا خصص أحمد فؤاد للقيام بعمليات التثقيف للضبباط) ومع ضعف التنظيم ضعفت أيضا علاقات قسم الجيش و'مكانياته وأخذت المنشورات الموقعة « رجال الجيش » تصدر مكتوبة بخط اليد (كان يكتبها البكباشى يوسف صديق وأحمد حمروش فى منزل الأول بثكنات الجيش بالعباسية) (٢) •

وفى هذه الاثناء برز دور جمال عبد الناصر كداعية لتأسيس تنظيم مستقل يضم كل الضباط الوطنيين والتقدميين بعيدا عن الاحزاب التقليدية • والى هنا ويتعين علينا أن نسأل أنفسنا لماذا برز هذا الاتجاه ؟ ولماذا نجح ؟

قلنا من البداية أن التيارين السياسيين الوجوديين اللذين لعبا دورا تنظيميا فى القوات المسلحة كانا الاخوان المسلمين ومنظمة حدثو •

وتأتى حرب فلسطين وما صاحبها من تشتت الوحدات التى كان للاخوان فيها نفوذ وتتصاعد الموجة الارهابية للاخوان وما تبعها من ارهاب مضاد نظمته الحكومة لتدفع الكثيرين من « عقلاء » الضباط الى الابتعاد بأنفسهم عن هذه الحماة ، وحتى فى غمار القتال برزت تناقضات - بغير حل - بين الضباط المعتدلين وبين القيادات المأزومة للاخوان المسلمين فالشيخ سيد سابق حاول أن يجبر المتطوعين فى حرب فلسطين على أن يهجموا متراصين فى صف واحد (توسكا بحديث شريف) وعارضه معارضة شديدة بعض ضباط المدفعية من الاخوان ٠٠ وهكذا تصاعدت تناقضات عديدة بين الضباط والاخوان انتهت بأن طلبوا مسئولا كبيرا من الاخوان ليحيب على سؤال حيرهم جميعا « ماذا يستعملون فى البلاد لو انتصرنا ؟ » وكان جواب المسئول الاخواتى الكبير غامضا كالعادة (٣) •

كذلك الشيوعيون تأثر نشاطهم فى الجيش بسبب حركة القراة المناجئة وتشتت الكادر ، وكذلك فان عددا من الضباط الشيوعيين لم ية تنعوا بعوقف

-
- (١) أحمد حمروش • المرجع السابق ١٤٦ •
(٢) المرجع ص ٤١ •
(٣) أحمد حمروش - المرجع السابق ١٤٠ •

« حدثو » القائل بالموافقة على قرار تقسيم فلسطين ، هذا بالإضافة الى حملة الارهاب الواسعة والانقسامات التي أضعفت « حدثو » وأضعفت هيبتها في نفوس البعض . .

هكذا وجد عبد الناصر الجو مهيئاً ، كذلك كانت أحداث حرب فلسطين وقضية الأسلحة الفاسدة والمد الوطني الجارف الذي بدأ في عام ١٩٥٠ عوامل هامة في استقطاب عديد من الضباط الى صفوف « الضباط الاحرار » وتكونت النواة الأولى للتنظيم من خمسة أشخاص في أواخر ١٩٤٩ (جمال عبد الناصر - حسن إبراهيم - خالد محيي الدين - كمال الدين حسين - عبد المنعم عبد الرؤوف) ولم يكن مصادفة أن يكون ممثلاً في هذه النواة (خالد محيي الدين) وكذلك الاخوان المسلمين (كمال الدين حسين - عبد المنعم عبد الرؤوف) .

وفي هذه الاثناء لعب اليساريون وأعضاء « حدثو » بالذات دوراً هاماً في نشاط الضباط الاحرار . . فكان خالد محيي الدين يحضر معظم المنشورات للضباط الاحرار ٥٠ - ١٩٥١ (١) المنشور الاول للضباط كتبه خالد محيي الدين وجمال منصور في فبراير ١٩٥٠) وبرنامج الضباط الأحرار (كتبه أحمد فؤاد وخالد محيي الدين ووافق عليه جمال عبد الناصر) (٢)

وهكذا لعب اليسار دوراً هاماً في تحديد المعالم الفكرية للضباط الاحرار ويقول أحد الباحثين الفرنسيين أن ضابط الفرسان الشاب خالد محيي الدين وان لم يستطع أن يقنع جمال عبد الناصر بالماركسية الا أنه استطاع على أية حال أن يقنعه بالعلاقة الوثيقة بين اقتناع الانسان بالشيوعية والنضال الجاد من أجل القضية الوطنية (٣) .

وفي نهاية ١٩٥٠ وبمساهمة فعالة من جانب خالد محيي الدين صدرت نشرة صوت الضباط الأحرار (٤) .

1) P.J. VATIKIOTIS 6 IBID. PP

(٢) محضر نقاش مع خالد محيي الدين - أجريت النقاش بالقاهرة في ١٩٥٧/١٠/٢٧ ويلاحظ أن أحمد حمروش - المرجع السابق - أورد ص ١٤٨ أن الذي كتب أول منشور للضباط الاحرار هو خالد محيي الدين وجمال عبد الناصر ، لكن خالد محيي الدين صحح لنا هذه الواقعة .

3) Jean Laccature — NASSER — Ibié P.56.

4) Keith wheelock — Ibid pp. 7

وقد طبع أول منشور للضباط الاحرار لدى شخص مدنى كان صديقاً لأحد الضباط ، ثم ما لبث تنظيم الضباط الاحرار أن اعتمد تلى « حدثو » اهتماما تاما فى طبع كل منشوراته ونشراته (كان يتم طبع هذه البيانات بالجهاز المركز للطباعة الخاص بمنظمة حدثو وكان مخبأ بمنطقة كوبرى القبة وكان مسئول الاتصال بين الجهاز وبين منظمة الضباط الاحرار كهربائى أرمنى الاصل . والغريب فى الامر أن البوليس قد داهم مقر هذا الجهاز عقب ثورة يوليو بقليل حيث حكم على العاملين به وعلى مسئول الاتصال بالسجن خمس سنوات لكل منهم أما جهاز الرونيو الذى كان يستخدم فى طبع هذه المواد فقد أودع بمتحف الثورة) .

والحقيقة أن « حدثو » قد قدمت للضباط الاحرار الكثير من كوادرها الضباط ، وان كانت قد حرصت على ألا تقدم كل هذه الكوادر الى « الضباط الاحرار » وخاصة هؤلاء الذين يعملون فى مواقع حساسة جدا مثل لطيار عبد المجيد نعمان الذى كان يعمل فى ذلك الحين ضابط لاسلكى فى السرب الخاص بالملك فاروق وأدى فى موقعه هذا خدمات بالغة الاهمية (١) . وكان القائمقام يوسف صديق أعلى الضباط المشاركين فى التحرك ليلة ٢٣ يوليو وأكثرهم فعالية فى هذا اليوم من بين من حجبت حدثو اسمهم عن الضباط الاحرار .

وكان طبيعيا على أية حال أن يلعب ضباط حدثو دورا أساسيا وحاسما ليلة - ٢٣ يوليو ، ولم يكن مصادفة أن القوة التى احتلت مبنى قيادة الجيش كانت بقيادة القائمقام يوسف صديق وجلس يوسف صديق لبعض الوقت على مقعد القائد العام للقوات المسلحة يصدر تعليماته للجميع ..

وعندما وصل جمال عبد الناصر الى مقر القيادة .. قام يوسف صديق من مكانه ، وجلس جمال عبد الناصر ..

(١) محضر نقاش مع عبد المجيد نعمان - منتصف فبراير ١٩٧٠ .

العمال

وقبل أن نبدأ لا بد أن نوضح أننا لا نستهدف في الصفحات المقبلة لا تقديم تاريخ لحركة الطبقة العاملة في الفترة موضع الدراسة ، ولا حتى تقديم دراسة عن دور الشيوعيين فيها ، فلعل ذلك يحتاج الى بحث مستقل وأكثر تخصصا .

فقط سنكتفى بتقديم لمحات - مجرد لمحات - عن المرتكزات الاساسية التي اعتمد عليها الشيوعيون في نشاطهم في صفوف الحركة العمالية . .

وبادىء ذى بدء فأننا عندما نبحث عن دور الشيوعيين في صفوف الحركة العمالية فأننا نعنى بالتحديد اتجاهين محددين هما « حذقو » و« جماعة الفجر الجديد » . ففيما عدا هاتين لم يكن لأى من انضامات الشيوعية الأخرى - في حدود الفترة موضع الدراسة - نشاط يذكر .

ولقد اختلفت منطلقات المنظمتين بل وتصادمت في كثير من الاحيان وأدى ذلك بطبيعة الحال الى الاضرار بالعمل النقابى عموما والى تقليل آثار النضال الشيوعى في صفوفه .

وإذا عدنا للبدايات الاولى نجد الصورة كما يلي :

منظمة ح.م بعد أن أنجزت مرحلة التمهيد ترفع شعار التعميل . بمعنى أن - زوجهاها الى حركة الطبقة العاملة كان يستهدف في الاساس تجنيد كرادر شيوعية من صفوف العمال كنقطة بداية تتلوها محاولة استخدام هذه الكرادر للقيام بعمل جماهيرى ونقابى بارز .

وقد نجحت ح.م في هذه المهمة وبيضا يحاول رجالها تجنيد العناصر الأكثر ثورية من العمال كانوا وفي نفس الوقت يجندون عادة عمالين ذوى نفوذ جماهيرى ونقابيين مرموقين .

ولم يهض سوى قليل من الوقت حتى كانت ح.م تضم في صفوف أعضائها عناصر مثل سيد سليمان رفاعى (عمال الطيران) ومحمد شطا (الذى صعد نجمه سريعا حيث انتخب في أواخر ١٩٤٥ وبعد اضراب شهير في شبرا الخيمة سكرتيرا للجنة العامة لعمال شبرا الخيمة) ومراد القليوبى (نقابة عمال السينما) ودافيد ناحوم (سكرتير نقابة مستخدمي المحال التجارية) بالإضافة الى علاقات نضالية مع كثير من النقابيين البارزين وقادة الحركة العمالية . .

وكانت خ.م تصدر نشرة عمالية نصف علية (تطبع سرا وتوزع علنا) هى « كفاح العمال » وقد لعبت هذه النشرة دورا هاما فى تعبئة صفوف الطبقة العاملة باتجاه العمل الثورى .

ومع توحيد ح.م وأيسكرا زاد دور المنظمة الجديدة « حدثو » فى صفوف العمال وكان « قسم العمال » فى حدثو ذا ثقل حقيقى ليس فى صفوف المنظمة وحدها وانما فى صفوف الحركة العمالية ككل .

اذ أن المرتكز الاساسى للحركة المصرية للتحرير الوطنى ثم امتدادها حدثو كان فى جذب العناصر الاكثر ثورية الى صفوف النضال الشبوعى ، ثم الاندفاع بها بعد أن تتمرس وتأنى بالمعرفة النظرية والنضالية . لكن هذا الاسلوب لم يكن يخلو من خطأ ذلك أن المنظمة لم تستطع أن تخلق لهذه الكوادر مناخا خاصا يحميها من ضربات البوليس ، فتركزت المطاردات البوليسية ضدها الامر الذى أدى الى تصفية نفوذها النقابى بسرعة . ومع كل موجة من موجات نشاط « حدثو » كانت تبرز كوادر عمالية ونقابية ذات جماهيرية واسعة ونفوذ كبير ووعى شيوعى مرتفع ، لكنها سرعان ما كانت تتخربط - بالاضافة الى عملها النقابى - فى غمرة العمل السرى دون حماية خاصة ، وسرعان ما تنالها عين البوليس البتلة ليعود الوضع الى نقطة البدء من جديد .

أما « جماعة الفجر الجديد » فقد سلكت مسلكا آخر .

وسوف نرى فى فصل مقبل كيف أن هذه الجماعة قد امتنعت عن تأسيس منظمة شيوعية انتظارا لاتمام عدد من الدراسات والارتباطات وأنها حتى ضربة ١١ يوليو ١٩٤٦ كانت تكتفى بالعمل العلنى فحسب وترفض فكرة التنظيم السرى . ولسنا نريد أن نناقش هنا مدى صحة هذا الموقف لكن ما يعيننا هو انعكاسه على نوعية وأساليب العمل .

لقد اتجه يوسف درويش الى تكوين جناح عمالى للجماعة ، وقد حقق ذلك بنجاح وأصدر مجلة الضمير (وقد لعبت دورا هاما) وأعلن تيماء « لجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » (وقد لعبت هى أيضا دورا هاما) ويقول أحمد صادق سعد ان هذه اللجنة قد تكونت « من ثمانية من الافراد » ويقول انها قد وزعت « بياننا بالغ عدد نسخه ٢٥٠٠٠ ، كما تم توزيع ١٥٠٠٠ نسخة من برنامجها » (١)

(١) أحمد صادق سعد - صفحات من اليسار المصرى - مكتبة مديولى - القاهرة (١٩٧٦) - ص ٥٢ .

لكن المؤسس الفعلى لهذه اللجنة « يوسف درويش » قد حرص فيما يبدو على ألا يتقوه أمامهم بكلمة عن الاشتراكية ، أو بأى إشارة الى أهمية العمل الشيوعى المنظم وفى هذا الصدد يقول أحد الكوادر الاساسية التى اعتمد عليها نشاط هذه الجماعة فى صفوف الحركة العمالية وهو طه سعد عثمان فى مذكراته « ولعاه من المستغرب (رغم أنه حقيقة) أننى وحتى خروجى من السجن فى آخر مايو ١٩٤٥ لم تكن لى أية صلة تنظيمية » (١) وقد انعكس ذلك على تصرفات وأساليب تربية هذه الكوادر التى انغمست فى العمل النقابى باعتباره أسلوبا وحيدا للعمل الانضالى العمالى ولم يكن غريبا أن برنامج لجنة العمال للتحرير القومى « كان يحمل على غلامه نداء الى العمال يقول لهم « أبعدوا عن المتسييسين » (٢) والحقيقة أن العناصر العمالية التى التقت فى هذا الوقت المبكر حول جماعة الفجر الجديد ، كانت عناصر جيدة ولعبت دورا هاما فى تاريخ الحركة العمالية لكن دفعها الى ميدان العمل النقابى البحث ، حرماها فرصة أن تكون تكوينا شيوعيا ودفعها نحو الاتجاهات « الزعامية » و « الانعزالية » .

وبعد هذه الملاحظة الاولى نواصل البحث عن المرتكزات الشيوعية للعمل فى صفوف الحركة العمالية . جماعة الفجر الجديد بدأت باصدار مجلة « لاضمير » وتتكوين لجنة العمال للتحرير القومى والتى قدمت برنامجا سياسيا لحزب عمالى (بمعنى أنه حزب مكون من عمال فقط وليس حزبا يدين بنظرية الطبقة العاملة) .

وقد استمر هذا المنهج مسيطرا على أسلوب عمل هذه الجماعة ، فحتى بعد أن اقتنع كوادرها بضرورة تأسيس تنظيم شيوعى وأسسوا بالفعل منظمة « الطليعة الشعبية للتحرر » ظلت الكوادر النقابية بعيدة تماما عن مناح التربية الحزبية والشيوعية الامر الذى صبغ مسلكها فى العمل بسلبيات عدة .

وبطبيعة الحال فانه يمكن تصور خط وسط بين الاسلوبين ، خط يكفل التربية الحزبية والوعى الشيوعى للكوادر العمالية والنقابية ويكفل لها فى نفس الوقت أكبر قدر ممكن من الامن والحماية .

-
- (١) طه سعد عثمان - مذكرات ووثائق فى تاريخ الطبقة العاملة المصرية -
الكتاب - ابريل ١٩٧٢ .
- (٢) برنامج لجنة العمل للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة
(نسخة أصلية) .

وبرغم ذلك فإن النشاط الشيوعي في صفوف الحركة العمالية كان مؤثرا وفعالا ، وقد نجح الى حد كبير في اثراء الحركتين العمالية والشيوعية معا بخبرات وتجارب غاية الثراء تركت بصمات لن تمحى على وضعية الحركة النقابية المصرية .

وبعد هذه الملاحظة الاولى يمكننا أن نواصل الحديث عن المنطلقات الأساسية للعمل الشيوعي في صفوف الحركة وخاصة بعد صدور القانون رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ بشأن نقابات العمال والذي أزال الكثير من العقبات القانونية التي كانت تعيق الاعتراف بشرعية تكوين النقابات وكان من نتيجة هذا القانون أن تسارع العمال في تكوين نقاباتهم (في عام ١٩٤٤ بلغ عددها ٢١٠ نقابة تضم ١٠٢٨٧٦ عاملا) ، لكن القانون لم يعط العمال حق تأسيس اتحادهم العام .

وكان هذا هو الخط النضالي الذي تلمسه الشيوعيون . وبطبيعة الحال تلمسوه بطريقتين مختلفتين . جماعة الفجر الجديد كما رأينا سارعت بتأسيس « لجنة العمال للاتحرير القومي » لكنها كانت محاولة تتسم بطابع سياسي فقد سمت نفسها أيضا « الهيئة السياسية للطبقة العاملة » وقد نشرت هذه اللجنة برنامجا وطنيا وتقدميا لا بأس به يصلح بالفعل لكي يكون نواة لعمل جبهوى .

وهكذا حاولوا تفادى رفض القانون لفكرة الاتحاد العام بالباسها ثوب « هيئة سياسية » . أما ح . م فقد التقطت خطا آخر .

كان مكرم عبيد بعد انشقاقه عن الوفد يحاول أن يكسب جماهيرية ما . كان يشعر في نفس الوقت بخطر حركة الطبقة العاملة وبضرورة السعى لتقسيمها . وهكذا أصدر « كادر عمال الحكومة » الذي قدم مكاسب هامة لعمال الحكومة (غلاير السكة الحديد ، الترسانة ، المطبعة الأميرية ، الخ) وكانوا يكونون في ذلك الحين قطاعا أساسيا وفعالا من الحركة العمالية . ويفسر أحد القادة النقابيين اصدار هذا الكادر بأنه :

- ١ - محاولة لاكساب حكومة الاقلية (عام ١٩٤٥) بعض الشعبية .
- ٢ - تقسيم حركة الطبقة العاملة الى عمال حكوميين وعمال أهليين .
- ٣ - اعتمادات هذا الكادر تؤخذ بطبيعة الحال من خزانة الدولة ومن ثم فإنه محاولة لارضاء قطاع هام من العمال دون تحميل الرأسمالية أية أعباء . (١)

(١) طه سعد عثمان - الكاتب - ابريل ١٩٧٢

وهكذا خاضت ح.م معركة تجميع العمال غير الحكوميين في اتحاد عام أر ما يشبه ذلك تحت اسم « مؤتمر نقابات عمال الشركات والمؤسسات الأهلية » كأساس للمطالبة بتطبيق كادر عمال الحكومة عليهم . وقد دعت الكوادر العمالية منظمة ح.م والقوى النقابية الملتفة حولها الى اجتماع اللجنة التأسيسية عقد في ١٢/٩/١٩٤٤ في دار نقابة عمال مطبعة مصر التي كان رئيسها محمد عبد الحليم من العناصر القريبة من ح.م وكذلك سكرتيرها العام سيد على وقد حضر هذا الاجتماع كثير من الكوادر النقابية الشيوعية والصديقة . وكعادتها اهتمت السفارة الامريكية اتهامها بالغا برصد لعناصر المشاركة في المؤتمر والتي تلعب فيه دورا أساسيا في القاهرة والاسكندرية .

وتحفظ لنا وثيقة أمريكية العديد من الاسماء . . . التي توصف في الوثيقة بأنها « العناصر النشطة » :

« السيد على - السيد خضير - مراد القليوبى - محمد يوسف الجندي - محمد الصمرانى - دافيد ناحوم - حكمت الغزالى - محمد علام - عبد الظاهر محمد الشحات - حسين على - محمد حمزة (وهو قائد اضراب المحلة الشهير) - نجيب سوس - محمد شحاته - عبد المنعم ابراهيم - أحمد العجمى - عبد الفتاح قنديل - محمود مصطفى - محمد عبد الحليم - السيد عبد الغنى شطا - محمد أبى (١٩٤٤) »

وفد حاول المؤتمر فور تكوينه الاشتراك في الجلسة انتهيدية المؤتمر النقابات العالمى التي عقدت لندن وشكل وفدا برئاسة محمد عبد الحليم لكن الحكومة منعت سفر الفرد بحجة أن مصر سوف تمثل في المؤتمر بواسطة سفيرها في لندن .

وهكذا تواجد منبران . .

وكان لا بد من خلاعات وتصارعات وانقسامات بينهما . . وكان لا بد أيضا من محاولات للتوحيد بينهما . وبرغم الصراعات التي صاحبت عملية تشكيل وفد عمال مصر في مؤتمر الاتحاد العالمى بباريس فقد اتفق على ارسال وفد موحد (محمد يوسف المدرك - مراد القليوبى - دافيد ناحوم) وما لبث الوفد أن انقسم على نفسه فور وصوله الى باريس . .

وبطبيعة الحال مضى كل فريق يعزز موقفه ، ويسعى لتطوير كفاحه من أجل الاتحاد العام . . تنظيم ح.م دفع كوادره الى اعلان تأسيس

« مؤتمر نقابات عمال القطن المصري » وقد واصلت المجموعة اصدار نشرة « المؤتمر » التي كانت تصدر « عن مؤتمر عمال الشركات والمؤسسات الأهلية » ولكنها أخذت في الصدور باسم مؤتمر نقابات عمال القطن المصري متخذة شعار « قوة العامل من قوة نقابته » و « قوة النقابة من قوة مؤتمر نقابات عمال القطن المصري » (١) وكان سكرتير المؤتمر حسين كاظم* (أحد كوادر ح.م) كذلك نجح المؤتمر في أن يضم عددا من النقابيين البارزين والنقابات العامة مثل على شلبي الخولي (رئيس نقابة سائقى وعمال اللنشآت والشركات البحرية في بورسعيد) محمد الفرانه (رئيس نقابة عمال الموبيليا بدمياط) محمد عبده زهران (رئيس نقابة شركة مصر لنسيج الحرير بدمياط) عبد الظاهر الشاهد (رئيس نقابة عمال ترام القاهرة) نجيب سوس (رئيس نقابة عمال ترام الاسكندرية) ومحمد عبد الحليم وسيد على (رئيس وسكرتير نقابة عمال مطبعة مصر) وهكذا تكون بالفعل كيان ذو نفوذ حقيقى وسط الحركة العمالية وللشيوعيين (ح.م) دور قيادى بارز فيه .

وقد سارع المؤتمر الى خوض المعركة فوجه رسالة الى النقابات يدعوها الى الانضمام اليه على أساس برنامج سياسى وعمالى جيد ووجه في نفس الوقت هذا البرنامج في صورة مطالب الى رئيس الوزراء منذرا بأنه مالم تتم الاستجابة له فسوف يقوم « المؤتمر بتحديد موقفه » أما هذا البرنامج فيمكن تأخييص نقاطه الأساسية فيما يلي :

- ١ - المطالبة بالجلء التام سياسيا واقتصاديا وعسكريا عن وادى النيل فورا .
- ٢ - المطالبة بتطبيق كادر الحكومة على جميع عمال مصر .
- ٣ - مكافحة البطالة بمنع أصحاب المصانع من غلق مصانعهم واستيلاء الحكومة على كل مصنع يحاول الاغلاق .
- ٤ - اعادة العمال المتعطلين الى أعمالهم .
- ٥ - الافراج عن العمال المقبوض عليهم بسبب نضالهم النقابى .
- ٦ - الاحتجاج الصارخ على تشريد وطرد زملائنا عمال شبرا الخيمة والمطالبة بوقف هذه الاجراءات في الحال .
- ٧ - ٤٠ ساعة عمل في الاسبوع (٢) .

(١) المؤتمر - نشرة غير دورية يصدرها مؤتمر نقابات عمال القطن - العدد السادس ١٨/٥/١٩٤٦ .
* اسمه الحقيقى موسى عبد الحفيظ .
(٢) خطاب من اللجنة التنفيذية لمؤتمر نقابات عمال القطن المصري الى النقابات (نسخة أصلية) .

وكان واضحا أن الهدف الاساسى من هذه الخطوة هو استجماع وحشد أكبر قدر من القوة والنفوذ تمهيدا لاعلان الاضراب العام الذى تحدد له يوم ١٠ يونيو ١٩٤٦ .

أما المجموعة الاخرى (جماعة الفجر الجديد) فقد صعدوا هم أيضا موافقهم وأعلنوا تأسيس « اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات العمال » وقد وجهت هي الاخرى عدة نداءات الى النقابات العمالية في صورة خطابات دورية وكان الخطاب الدورى رقم ١ يناقش الارهاب البوليسى المسلط على الحركة النقابية ويبصر العمال بحقوقهم القانونية ويدعوهم للتمسك بها (١) كذلك وجهت اللجنة سلسلة من الاحتجاجات على اضطهاد النقابيين وكانت تحرص في كل منها على التأكيد بأنها « تضم مائة وثلاث نقابات تمثل ثلاثين ألف عامل » كذلك حرصت هذه اللجنة على الاهتمام بربط الحركة العمالية المصرية بالحركة العمالية العربية والحركات العمالية العالمية .

ومرة أخرى تبذل محاولات للتوحيد . . وتلتقى المحاولات عند نقطة واحدة « الدفاع عن العمال المعتقلين » وكانوا من جماعة الفجر الجديد ويصدر بيان مشترك من اللجنة التحضيرية والمؤتمر معنون « بيان الى العمال المصريين والشعب المصرى عن موجة الارهاب التى اجتاحت البلاد وقد جاء فيه « الى العمال والعاملات . . الى كل مواطن مصرى يؤمن بحرية التفكير والكلام والاجتماع . . موجة من الارهاب توجه اليوم ضد الشعب المصرى ويتجه هذا الارهاب خاصة نحو الطبقة العاملة المصرية ويستهدف هذا الارهاب القضاء على حق كل مصرى فى الحرية » (٢) .

ثم تكون محاولة ثالثة للتوحيد . . وتأتى المحاولة هذه المرة من جماهير وقيادات الحركة العمالية ذاتها التى شعرت بأخطار الانقسام فى صفوفها . وفى ٣٠ مايو ١٩٤٦ عقد اجتماع ضخم يضم ممثلين للحركة النقابية المصرية وحضره مندوبو اللجنة التحضيرية للمؤتمر . وفى هذا الاجتماع برز تعاطف الغالبية مع اتجاه المؤتمر وبالفعل اتخذ الحاضرون قرارا « بتوحيد الحركة النقابية المصرية تحت راية مؤتمر نقابات عمال القطر المصرى على أن تشكل قيادة مؤقتة تضم ممثلين للاتجاهين » ويقول

-
- (١) اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى - عضو مجلس اتحاد النقابات العالمى - خطاب دورى رقم ١ (نسخة أصلية) .
(٢) بيان مشترك من اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات الشركات والمؤسسات الأهلية (نسخة أصلية) .

طه سعد عثمان أحد كوادر جماعة الفجر الجديد ان هذا القرار قد اتخذ
« أمام ضغط القاعدة العمالية وزعماء النقابات العمالية وخاصة في الأقاليم » .

وبرغم ذلك يعود الانقسام فيتكسر من جديد لانه كان مجرد انعكاس
لانعقسام آخر قائم في الحركة الشيوعية ذاتها . ويستمر التمايز في المواقف
ينعكس في كل التصرفات سواء في داخل الحركة العمالية أو خارجها . .
وحتى في مسائل عامة مثل تكوين « اللجنة الوطنية للأعمال والطلبة » فقد كان
قيام كل من ح . م . وايسكرا بدور نشيط فيها كنيلا باثارة الريب في
نفوس جماعة الفجر الجديد التي سرعان ما دفعت اللجنة التحضيرية الى
نوجيه خطاب للجنة الوطنية . والخطاب شديد الجفاف وهو يبدأ بهجوم
عنيف ودون أية مجاملات « يهمننا أن نقرر الامور الاتية : لم تقم اللجنة
الوطنية للأعمال والطلبة بأى عمل ايجابى الى اليوم فنلاحظ أن اضرابات
يومى ٢١ فبراير و ٤ مارس أيضا ليست من فعل اللجنة المباشر ، بل جاءت
عنه الاضرابات بشكل تلقائى » (١) .

وفي هذا الخطاب نلمح آثار الخط الذى أشرنا اليه في البداية (العمال
المتعصبون عن غير وعى لعماليتهم وغير المدركين لدور الفئات الثورية الاخرى)
ولهذا فقد ألح الخطاب على تغيير الطلاب بأنهم مجرد طلاب « ويؤكد لهم
» أن مأموريتهم في الفترة الحالية من تاريخ مصر ليست في قيادة الحركة
التحريرية في البلاد ولكن في مساعدة الطبقة العاملة على التعبير عما يجول
في خاطرها وعن أهدافها ومبادئها » (٢) .

ولقد نختلف من الناحية النظرية حول دور الطلاب في بلد شبه
مستعمر كعنصر قيادى في ذلك الحين ولكننا على أية حال لن نختلف على أن
الخطاب قد جانبه الصواب . . وأن جماعة الفجر الجديد لم تقدر حقيقة
الدور التاريخى الذى لعبته اللجنة الوطنية للعمال والطلبة تقديرًا صحيحًا .

وقبل أن ننتقل من هذه الفقرة لا بد أن نشير الى ظاهرة صدور العديد
من الكتب والكتيبات ودواوين الشعر الشعبى الموجهة الى العمال والى خدمة
معركتهم النقابية والطبقية . . والمحررة أساسا بأيدي طلائع العمال الواعين

(١) خطاب من اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى الى
اللجنة الوطنية للعمال والطلبة (نسخة أصلية) .

(٢) طه سعد عثمان - الكاتب يوليو ١٩٧٢ .

• • مثل ديوان «أنا العامل» (١) الذى أثار اهتماما ملحوظا سواء أدى العمال أو فى دوائر الامن التى تقدمت صاحبه للمحاكمة • • ومثل كتاب « النصيحة - الى العمال فى مصر » والذى أصدره أحد العمال النقابيين من أعضاء حديثو • • وقد تضمن هذا الكتيب برنامجا من اثنتى عشرة نقطة بعنوان من « أجل حركة نقابية موحدة » يتضمن مطالبات مثل :

- وضع حد أدنى للأجور •
- تأمين ضد البطالة والشيخوخة والعجز •
- تعديل قانون عقد العمل الفردى •
- تقييد سلطة أصحاب الاعمال فى فصل العمال •
- المساواة فى الأجور بين الجنسين •
- عدم تشغيل الأحداث من الجنسين •
- حق النقابات فى وضع مشروعات القوانين قبل صدورها •
- الاعتراف بحق الاضراب العام كحق مشروع •
- الاعتراف بالاتحاد العام • (٢)

وإذا كانت عملية تنظيم الاضرابات العمالية واحدة من الأدلة الهامة على مدى فعالية وحيوية النشاط الشيوعى فى صفوف الطبقة العاملة نلعله من المفيد أن نشير هنا الى تقرير محاييد يستند فى الاساس الى تقارير أجهزة الامن • • ويقول « لقد كان أبرز مظاهر النشاط الشيوعى فى أوساط العمال هو الاضراب ، ومع أنه من قبيل التزايد نسبة كل الاضرابات العمالية الناشئة عن أوضاع اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها للجهود الشيوعية الا أنه ليس من المبالغة القول بأن نسبة كبيرة من هذه الاضرابات كانت ترجع لتأثير المنظمين اليساريين فى صفوف العمال » (٣)

(١) فاضى أحمد المغربى - أنا العامل - دار الفجر (١٩٤٦) - وقد قبض على المؤلف والناشر ، وكان المؤلف هو المتهم الاول فى قضية الشيوعية الكبرى عام ١٩٤٦ واتهمته النيابة بأنه حرر كتابا فيه « تمجيد للثورة الشيوعية وإشادة بنتائجها وتحريض لنتائجها ودعوة للشعب لترسم خطاها لنيل النتائج التى أسفرت عنها » •

(٢) يس مصطفى ، محمد فتحى - النصيحة الى عمال مصر - دار لطباعة الحديثة - القاهرة (رت) - ص ١٤ •

(٣) د • عبد الوهاب بكر - أضواء على النشاط الشيوعى فى مصر - ١٩٢١ - ١٩٥٠ - دار المعارف ، القاهرة (١٩٨٣) - ص ٦١

الفلّاحين

ثمة حوار مثبت في وثيقة (محضر تحقيق نيابة المنصورة العسكرية في قضية الشيوعية بالمنصورة ٢٩ ابريل ١٩٤٩) * والحوار بين المحقق وجاسوس دسمه البوليس في تنظيم حدثو بمدينة المنصورة ويسجل الجاسوس في المحضر معلوماته عن خلايا الحزب بقرية طناح * وعن نوعية أعضائها * وبعد أن يروى الجاسوس كيف كلف من قبل لجنة المدينة يتولى مسئولية القرية * وكيف رتب له المسئول السابق طريقه للتعرف مع شخص أسمه الحركى « طلب » *

يدور الحوار :

المحقق - ما الذى دار بينك وبينه عندما تعرفت عليه ؟
الجاسوس - رافقتنى الى الغيط فوجدت خمسة جالسين أمام فاخورة فى حقل مصطفى حافظ عبد الله (أحد المتهمين) وكلهم كانوا لابسين جلابيب زرقاء وقعدنا على الأرض وأنا تظاهرت بأنى ألقى محاضرة عن الاستعمار البريطانى ، ودفعوا مبلغ ٦٥ قرشا اشتراكات * وقد طلبوا منى بعض الكتب الشيوعية ليقوموا بدراستها * وقالوا انهم يبذلون جهدهم بقدر امكانهم على نشر المبادئ الشيوعية *

المحقق - وما الذى فهمته عن مدى ادراكهم للشيوعية * ؟

الجاسوس - مثلاً خلال الحديث عن القرية وأحوالها قال أحدهم أن تمينة الطوب تكلف جنيه ونصف للآلف طوبة ويبيع صاحبها الآلف بخمسة جنيهات دون أن يتعب * وفى الاجتماع وعد أحدهم وهو فلاح أسمه عبد العزيز محمد وكان يلبس جلباب أزرق ووجهه أحمر بأن يقدم فى الجلسة القادمة كورس دراسى عن المجتمع الاقطاعى *

المحقق - كم كان عدد الشيوعيين بالقرية ؟

الجاسوس - قال أربعة من الجالسين بأن كل منهم قد كون خلية من فلاحي القرية بالفعل وأنه يقوم بالتدريس لها ، أما الخامس فكان بصدد تشكيل الخلية الخامسة « (١) » *

(١) ملف قضية الشيوعية بالمنصورة - محضر تحقيق نيابة المنصورة العسكرية مع « الجاسوس » سعد زغلول المصليحي فى ٢٩ ابريل ١٩٤٩ ، صفحات ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، من ملف القضية *

ولم تكن طنجاح سوى واحدة من القرى التى امتد اليها نشاط كوادر
حدثو ، ولم يكن ما سبق سوى مثال لهذا النشاط .

والحقيقة أن النشاط الشيوعى وسط الفلاحين قد ظل ولفترة طويلة
- وربما طوال الاربعينات - قاصرا على حدثو .

وكانت بدايات النشاط طيعية .. طلاب يعودون خلال أجازاتهم
الدراسية الى قراهم (أحمد الرغامى طالب الحقوق . أقام هذا النشاط الشيوعى
فى قرية طنجاح وأمثلة أخرى عديدة) ومع انتشار النشاط الطلابى انتشر العمل
الفلاحى بصورة متفاوتة فى أماكن عديدة متأثرة على طول الوادى ويبقى
منها علامات بارزة . فى قرى عديدة بمحافظة الدقهلية والغربية والجيزة
وبنى سويف وأسيوط وغيرها رسخ فيها الشيوعيون أقدامهم فى مناح قد
ينمو فيه العمل السياسى ببطء لكنه عندما يستقر .. يستحيل إقتلعه .

ولنلاحظ أن الشيوعيين باقتحامهم ميدان الريف كانوا أول من يقوم
بعمل تنظيمى ذا طابع سياسى فى ريف مصر ، فالأحزاب الأخرى تواجدت
على هامش الريف ووسط أعيانه وتواجدت كشعارات ولم تنجح مطلقا فى
جذب الفلاح الى اطار العمل السياسى المنظم ، ناهيك عن العمل السرى ذو
الأساليب الخاصة المتعلقة بالامن وتعليمات الحذر .

ولنلاحظ أيضا أن الشيوعيين وإن أقاموا لانفسهم نقاط ارتكاز
حزبية فى الريف ، وقد نجحوا فى ذلك الى ما ، لكنهم لم يكونوا - بعد -
قادرين على خلق أجهزة للعمل الجماهيرى الفلاحى فهى أمر بالغ الصعوبة ،
وإن يصح الامر ممكنا الا فى الخمسينات حيث عادت كوادر حدثو لتلعب
دورها وخاصة فى الوجه البحرى ولتصدر مجلة « صوت الفلاحين » وتكون
كثائب الانصار من فلاحى منطقة القناة فى عام ١٩٥١ ولجان المستأجرين .. الخ
وفوق هذا كله لتلعب ريف مصر بانفجارات فلاحية عارمة كانت دليلا على
عمق نفوذ الشيوعيين فى تلك القرى الباسلة .. بهوت ، درين ، كفور نجم ،
البرامون التى انفجر فلاحوها بالغضب ضد الاقطاعيين حاملي سلاحهم فى هبة
تقودها العناصر الشيوعية فى هذه القرى .

.. وكان العمل فى الريف حصنا للكثير من الكوادر المختلفة عن أعين
البوليس وكان مجالا لاستيعاب العشرات من المحترفين الثوريين الذين قاموا
بنشاط متفان فى ظروف بالغة الصعوبة .

ويشهد ريف مصر ولأول مرة في تاريخه شبانا ، مثقفين ، يتركسون المدينة ، وكل شيء ، ليحترفوا مهمة غرس بذور الماركسية في ريف مصر .

وإبتداء من عام ١٩٤٧ وبعد القبض على أول قضية شيوعية في الريف (فؤاد عبد الحليم وجمال زكي) اضطرت أجهزة مكافحة الشيوعية الى مد نشاطها بحيث يغطي معظم المدن الريفية في كل مصر) .

•• ان ملحمة الشيوعية والشيوعيين في ريف مصر لم تكتب بعد برغم أنها غنية بتجارب ونضالات باسلة ، ولعل الامر ليس بحاجة الى جهد المؤرخ أو السياسي وحده ، بل لعله بحاجة أكثر الى جهد كاتب الدراما ليقدم لنا تلك النماذج الفذة من شباب مصر المثقف الذين ألقوا ذلك الجدار السميك الذي يعزل القرية عن المدينة والفلاح عن المثقف وتخلوا عن كل شيء ليعيشوا في أحضان ريف مصر يبذلون في أرضه الخصبة بذور فكر جديد .

الطلاب

كانت الحرب العالمية قد انتهت ، وكانت مصر تستعد للانفجار المرتقب ضد قوات الاحتلال ، وكالعادة - في باد كمصر - اتجهت الانظار الى طلاب الجامعة باعتبارهم المفجر الطبيعي للانتفاضة التي طال انتظارها . وبدأت القوى السياسية تستعد لافتتاح الجامعات ، وامتلأت شوارع القاهرة والمدن الاخرى بكتابات على الجدران « يا شباب ١٩٤٥ كن كشباب ١٩١٩ » وكانت قيادة ح . م تعتقد أن الجامعات ستنفجر بالثورة فور بدأ العام الدراسي في ٦ أكتوبر ١٩٤٥ ، واستعدت لذلك ببيانات الى الطلاب بل وبلغ من ثققتها في وقوع الانفجار المرتقب أن أصدرت في ٥ أكتوبر منشورا موجها الى « جنود الجيش والبوليس » تقول لهم فيه « انهم جزء من القوى الوطنية المعادية للاستعمار ويجب ألا يسمحوا لانفسهم بأن يستخدموا لضرب مظاهرات الطلبة التي ستندلع غدا » (١) .

« .. لكن ٦ أكتوبر يأتى ، ولم تقم مظاهرات ، ونهكمت علينا كل المنظمات وشار عبد الفتاح الشرقاوى (كان عضوا في ل . م . الحركة المصرية لتحرير الوطنية وانقسم عنها في يوم ٦ أكتوبر ١٩٤٥ مكرنا منظمة اتحاد شعوب وادى النيل) وقال أنتم فشلتم وتحليلاتكم خاطئة ، لكننا قلنا نحن لم نهزم وانما الذى هزم هو القيادات التقليدية للحركة الوطنية لانها عجزت عن قيادة الحركة الوطنية في ظل الشعارات الملائمة وطرح علينا هذا واجبات جديدة هي العمل على تكوين قيادة وطنية جديدة نقود العمل السياسى الوطنى ، وبدأنا في تكوين اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » (٢) .

وهكذا وبسرعة شديدة انتقل الشيوعيون من مجال التأثير من الخارج (توجيه - نداءات للطلاب) الى مجال التأثير من الداخل (العمل النشط والمكثف في صفوف الطلاب) .

وقد شهد العام الدراسي ٤٥ - ١٩٤٦ عملا شيوعيا نشيطا غاية النشاط في صفوف الطلاب سواء في مجال العمل الحزبى أو العمل الجبهوى .. وانتهكت المنظمات الشيوعية في بناء قواعد واسعة لها في صفوف الطلاب .

(١) محضر نقاش مع هنرى كريبيل - جاسة المناقشة الثانية - المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

وكانت ايسكرا أوسع المنظمات نشاطا في هذا المجال وكانت كوادرها الطلابية تابع دورا هاما في الحركة الطلابية ويليهها منظمة ح.م.م. التي انفردت تقريبا بالعمل في مجالات هامة مثل الازهر (عند الوحدة قدمت ح.م.م ٢٢ عضواً في لجنة قسم الازهر أما ايسكرا فقد قدمت عضوين فقط) (١) . وكلية الفنون الجميلة وفي صفوف الطلاب السودانيين والنوبيين (٢) والتي تميزت بالعمل في صفوف الطلاب من أبناء الطبقات الفقيرة والمتوسطة .

.. كذلك نشط الشيوعيون في صفوف الطالبات وتأسست « رابطة طالبات وخريجات الجامعة » وتصف لطيفه الزيات أحد اجتماعات الرابطة فتقول « عقد اجتماع في مدرسة اللبسيه حيث أقيمت محاضرة وكان عدد الحاضرات يصل الى حوالي ٥٠٠ سيدة وكان اجتماعا حماسيا » وكانت لطيفه الزيات في ذلك الحين عضوة في تنظيم ايسكرا (٣)

وتقول « أخبار اليوم » عشية حملة القبض الواسعة ضد الشيوعيين (يوليو ١٩٤٦) .

« وثبت أن بين الشيوعيين في مصر ٥٠ فتاة مصرية أغلبهن متعلقات تعليميا راقيا ومن خريجات الجامعة أو الطالبات بها ، وقد أمر دولة صدقي باشا (رئيس الوزراء) بعدم التعرض لهن في الوقت الحاضر » (٤)

وبدرجات أقل تواجدت المنظمات الاخرى في الجامعة « فالفجر الجديد » و « القلعة » كان لهما بعض النشاط .. وقد كان الجو مهيئا تماما للنشاط الشيوعي والجهوي في صفوف الطلاب .

وسرعان ما أصبح الطلاب الشيوعيون ملء السمع والبصر في عديد من الكليات مثل علوم القاهرة وعلوم الاسكندرية وطب القاهرة والاسكندرية والحقوق والتجارة بجامعة القاهرة وبلغ الامر الى حد اطلاق اسم الكلية الحمراء على كلية العلوم .. والى حد أن البوليس اتهم الطلاب أكثر من مرة

(١) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل - جلسة المناقشة الاولى أجريت بالقاهرة في ١٢/٢/١٩٧٤ .

(٢) محضر نقاش مع زكى مراد - جلسة المناقشة الثانية - أجريت المناقشة في ١١/٢٥/١٩٧٤ .

(٣) محضر نقاش مع لطيفه الزيات - أجرت المناقشة الباحثة الامريكية سيلما بوثمان - مكتوب بالآلة الكاتبة الانجليزية - أجريت المناقشة في ٢/٩/١٩٨٠ - بالقاهرة .

(٤) أخبار اليوم - ١٣ يوليو ١٩٤٦ .

أنهاء أضراباتهم واعتصاماتهم المتكررة خلال عام ١٩٤٦ بأنهم رفعوا الرايات الحمراء فوق أسطح الكلية وعندما أبلغوا عميد كلية علوم الاسكندرية الدكتور حسين فوزى بذلك رد على حكمدار البوليس قائلاً « سأذهب يا سيدى الى سطح الكلية وأحيى العلم قبل انزاله » (١) .

ولعانا بحاجة الى نموذج من أسلوب عمل حدثو وسط الطلاب ..
ولنأخذ بعض أقوال سعد رحى نموذجا :

« فى أكتوبر ١٩٤٦ دخلت كلية الطب وكان مسئولى فتحى خليل وقد نشطنا نشاطا واسعا فى لجان مكافحة الكوليرا وكنا نقوم بتوعية المواطنين ورش مسحوق الـ دودات ، وبتوجيه من حدثو نشطنا مع لجنة الوفد فى مصر القديمة . وفى الصيف نظمت فى لجنة الروضة ومصر القديمة وكان مسئولى المهندس عبد العزيز أحمد فؤاد ولفترة من الوقت كان مسئولى آمال انرصفى (بعدها أصبح ضابطا بالجيش) ومع بداية العام الدراسى عدت الى كلية الطب وكان عدد عضوية حدثو بالكلية أكثر من العشرين عضوا وأذكر من بين الأعضاء منير بطرس - فتح الله ناجح - يوسف ادريس - ابراهيم فتحى - صلاح حافظ - محمد يبرى أحمد وكان مسئولنا عبد الواحد بصيله » (٢) .

ومع رسوخ مواقع النشاط الحزبى واتساعه كان من الطبيعى أن يتسع النشاط الديمقراطى والجبهوى .

واذا كان ٦ أكتوبر ١٩٤٥ قد أتى بدون مظاهرات ، فان الطلاب الشيوعيين لم يضيعوا وقتهم ففى ٧ أكتوبر دعوا الى اجتماع عام بكلية الطب بجامعة فؤاد الاول - (القاهرة) وقد حضره مندوبون عن طلاب الجامعة والمعاهد العليا والمدارس الثانوية والفنية . وحاول الاخوان المسلمون افشال هذا التحرك بالدعوة الى اجتماع مواز قالوا أنه قد حضره ٦٠٠٠ طالب ووجهوا باسمه رسالة الى رئيس الوزراء قالوا انها تنطق باسم (أرض مصر الخضراء) (٣) . وواضح أنهم هنا يحاولون التعريض بالنشاط الشيوعى وبرغم ذلك نجح الاجتماع الذى دعا له الشيوعيون وتقرر فيه تكوين « اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلاب » والتي حددت لنفسها أهدافا ثلاثة تقول :

(١) الطليعة . سبتمبر ١٩٧٥ . د . عبد العظيم أنيس . مقال شجاعة الرجال . تحية لحسين فوزى فى عامه الخامس والسبعين .

(٢) محضر نقاش مع سعد رحى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٥ - ٩

١٩٨٣

(٣) الاخوان المسلمون فى الميزان - المرجع السابق .

* النضال من أجل الاستقلال الوطنى ومكافحة الاحتلال العسكرى
والسيطرة الاستعمارية والاقتصادية والسياسية والثقافية .

* العمل على تصفية العملاء المحايين للاستعمار وهم الاقطاع وكبار
الماليين المرتبطين بالاحتكارات الاجنبية .

* توحيد كل القوى الوطنية المعادية للاستثمار .

كذلك نص البيان الذى أصدرته « اللجنة التحضير » على أن التفاوض
مع المستعمر حول حقوق الوطن خيانه (١) .

ونود أن نلاحظ هنا المنفوذ الواضح للشيوعيين فى اختيار هذه الأهداف
وصياغتها وأن نؤكد أنهم قد استطاعوا استقطاب عناصر واسعة من الشباب
الوحدى (كان مصطفى موسى زعيم الطلاب الوفديين رئيس اللجنة التحضيرية)
وأنهم قد استقطبواهم على أرض تقدمية (ضد الاقطاع وكبار الماليين
وهى أمور لا بد لها وأن تغضب قيادة الوفد وضد مبدأ المفاوضة - فى
الوقت الذى كان مصطفى النحاس زعيم الوفد قد وجه مذكرة ، قبل شهرين
مقط من هذا التاريخ ، الى السفير البريطانى يعرب فيها عن استعدادة
للتفاوض (٢) . وبسرعة فائقة مضى الشيوعيين يحققون هدفهم وهو خلق
قيادة جديدة للحركة الوطنية بدلا من القيادات التقليدية التى أشهت
افلاسها فى ٥ أكتوبر . ومن أكتوبر ١٩٤٥ وحتى فبراير ١٩٤٦ كانت الحركة
الطلابية تموج بنشاط واسع النطاق . حيث جرى تشكيل اللجان الطلابية
فى مختلف السنوات الدراسية بالانتخاب المباشر . وقامت هذه اللجان
بدورها بانتخاب اللجنة التنفيذية لطلاب جامعة القاهرة ثم اللجنة التنفيذية
للازهر . وبدرجات متفاوتة كان هناك نشاط مماثل فى المعاهد العليا ، جامعة
الاسكندرية وطلاب المدارس الثانوية . وقد أسفرت الانتخابات عن نجاح
ساحق للشيوعيين والتقدميين والوفديين وسقط معظم مرشحي الاخوان
المسلمين . ومن جماع هذه اللجان انتخبت اللجنة التنفيذية العليا للطلاب
رأى مصطفى موسى زعيم الطلاب الوفديين وأحد قادة الجناح اليسارى
للفرد (الطليعة الوفدية فيما بعد) رئيسا لهذه اللجنة .

(١) عبد المنعم الغزالى - ٢١ فبراير ١٩٤٦

2) Jean-Pierre THIECK — La Journée de La 21 Fevrier 1946 .

P. 167.

وفى ٦ فبراير ١٩٤٦ وجهت اللجنة التنفيذية العليا خطاباً مفتوحاً لرئيس الوزراء حددت فيه مطالبها وأهدافها بصورة "عكس نفوذاً واضحاً للشيوخ والتقدميين" (١) .

ومن التقاء اللجنة التنفيذية العليا للطلبة مع القيادات العمالية نذرية الجديدة للحركة الوطنية المصرية . التى قادت أحداث فبراير ومارس ١٩٤٦ تكونت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال . وهكذا - وبسرعة - تواجدت القيادة التى رسخت وبصورة لم يسبق لها مثيل من قبل دور الشيوعيين واليسار عموماً كقوة أساسية وفاعلة فى صفوف الحركة الوطنية المصرية .

ومع تزايد النشاط الشيوعى وسط الطلاب ، تزايد اهتمام أجهزة الامن بالعمل وسط هذا المجال فى محاولة لتعقب النشاط الوطنى عامة والشيوعى خاصة ، وثمة وثيقة وجدا ترجمتها الفرنسية فى محفوظات وزارة الخارجية الفرنسية وهى مذكرة معنونة « مذكرة مرفوعة الى معالى وزير الداخلية » من « مدير الامن العام محمود غزالى ومؤرخة ٣٠ - ٥ - ١٩٤٥ » وتقول « بالاشارة الى المذكرة رقم ٥٦٧/٥٦/أ والمؤرخة فى ٢٥ - ٥ - ١٩٤٥ بشأن تعيين ٢٠ عميل سرى بين طلاب الجامعات والمدارس الثانوية لمتابعة الانشطة المتطرفة أتشرف بأن أقدم قائمة بالخمسة عملاء الاول وسوف يكونون تابعين مباشرة للقسم السياسى لادارة الامن العام ..

وتتورد المذكرة الاسماء (التى نعتذر عن ذكرها) ثم تتورد قرين كل منها الكلية أو المدرسة وهى كلية العلوم - جامعة فؤاد ، كلية الاداب - جامعة فاروق ، كلية الحقوق - جامعة فاروق ، مدرسة فؤاد الاول الثانوية ، مدرسة الخديوية الثانوية « (٢) .

(١) الوفد المصرى - ١٩٤٦/٢/٧ .

(٢) مذكرة مترجم نصها الى الفرنسية بمعرفة سفارة فرنسا بالقاهرة ومودعة بأرشيف الخارجية الفرنسية والمذكرة معنونة « وزارة الداخلية - ادارة الامن العام - البوليس السياسى ٨٩/٤٥/ت .

العمل الجبهوى

وهو مجال سجل فيه الشيوعيون المصريون نجاحات هامة مكنتهم من أن يرسخوا أقدامهم فى حقل العمل السياسى وأن يمارسوا تأثيرا متزايدا فى صفوفه .

ويمكن القول أن هناك - فى هذا الصدد - تجربتين متميزتين .

تجربة مجموعة الفجر الجديد بالعمل (داخل) حزب الوفد ، وتجربة « حدثو » بالتحالف أو التعاون (من الخارج) مع القوى السياسية وال جماهيرية المختلفة .

والحقيقة أن موقف مجموعة الفجر الجديد من حزب الوفد كان محلا لاقاويل عديدة حيث استقر فى أذهان الكثيرين أن مجموعة « الفجر الجديد » لم تنسج الى تأسيس حزب أو تنظيم شيوعى - فى بادئ الامر - لانها كانت من حيث المبدأ ضد قيام حزب شيوعى ، وانها كانت تستهدف - فحسب - العمل من داخل صفوف حزب الوفد بهدف خلق تيار يسارى فى صفوفه .

لكن مؤسس « الفجر الجديد » ينفون ذلك بشدة (١) ولعله من الضرورى اذن أن نعود الى ما كتبه « الفجر الجديد » عن حزب الوفد ، وخاصة الى مقال بعنوان « الديمقراطية المصرية بين أنصارها وأعدائها » والمقال يكيل المديح للوفد « الذى انطلق يقود الحركة الوطنية ويدعم الديمقراطية فى الست والعشرين سنة الأخيرة » ولكنه يعود فيحذر من أن ديمقراطية الوفد تقف عند حدود معينة « فعلى الرغم من أن الوفد يؤيده غالبية الشعب الا أن تياراته لا تمثل تمثيلا حقيقيا صادقا بين الطبقات والطوائف وتخص بالذكر طبقة العمال والفلاحين الأجراء وطائفة طليعة الديمقراطيين من المثقفين المصريين » . ويقول الكاتب ان العمال والمثقفين الطليعيين « على الرغم من تأييدهم - غير المعلق على شرط - للوفد فى كساحه الديمقراطى ضد خصوم الديمقراطية . . الا أنهم يشعرون مع ذلك أن مصلحة وطنهم تتطلب ديمقراطية أكثر من التى يقدمها الوفد » (٢) .

(١) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد - المرجع السابق

(٢) الفجر الجديد ١٦/٧/١٩٤٥

وثمة مقال آخر يهاجم فيه أبو سيف يوسف مذكرة الوفد الى
المنسفرة البريطانية ويصفها بأنها « حل انتهازى لانه ضحى بمصلحة
الطبقات الشعبية في سنبل مصلحة حزبية » (١) .

ومثل هذه المقالات تقدم من جانب كوادى « الفجر الجديد » كأدلة على
خطأ فكرة سعيهم الى الاكتفاء بالعمل فى صفوف حزب الوفد ، وان كان
من السهل الرد عليها بأنه حتى يسار حزب الوفد كان يكيل انتقادات أشد
وأعنف لقيادة الوفد من تلك التى ساققتها « الفجر الجديد » .

لكن المسألة الحاسمة - والتى تستحق التأمل - هى موقف مجموعة
« الفجر الجديد » من مقال شهير نشرته « الجماهير » بعنوان « يريد الشعب
حزبا . . من نوع جديد » يدعو فيه كاتبه (شهدى عطية الشافعى) * صراحة
الى تأسيس حزب للطبقة العاملة ويقول « ان العمال ليجركون أن التاريخ
قد عهد اليهم برسالة مقدسة . . أن يحرروا العالم من عبودية استمرت
أجيالا وراء أجيال وأن عليهم أن يثيدو عالما لا يعرف البطالة والحرمان
عمالا لا يعرف الخوف والجوع والحروب . . . ولهذا نجد اليوم فى أكثر
بلدان العالم أحزابا عمالية يتجمع حولها الملايين » (٢) .

لكن أحمد رشدى صالح أحد قادة « الفجر الجديد » يسارع بالرد على
شهدى فى مجلة وفدية مهاجما الفكرة مؤكدا أن الدعوة من أساسها خاطئة . .
وردا على مقال رشدى صالح يعود شهدى للتأكيد فى عدد لاحق « نعم ! يريد
الشعب حزبا من نوع جديد » (٣) شئ فيه هجرما عنيفا على كاتب المقال
الذى وصفه بأنه تستر خلف مجلة « وفدية صديقة » .

ولعل من حق القائلين بأن مجموعة « الفجر الجديد » كانت تكنق فى
هذه الفترة بالعمل فى كنف حزب الوفد أن يستخدموا هذه الواقعة بالذات
دليلا على صحة قولهم هذا .

(١) الفجر الجديد ١٣/٦٣/١٩٤٠ .

* وقع المقال باسم محمود حمدى وهو الاسم الذى اعتاد شهدى عطية أن
يوقع به مقالاته فى الجماهير - المؤلف .

(٢) الجماهير ٢٨/٤/١٩٤٧ .

(٣) الجماهير ٥/٥/١٩٤٧ .

ويعترف أحد مؤسسى الفجر الجديد - صادق سعد . » أعترف أن هذا كان خطأ فقد فهم من مقال رشدى صالح أننا معارضون فى تأسيس الحزب الشيوعى ، وأننا معارضون للوحدة مع هذا الحزب وهذا غير صحيح ولكن موقفنا كان أن هذه الدعوة الصادرة من هؤلاء الناس بالتحديد ، وفى هذا الوقت بالتحديد وبهذه السياسة بالتحديد دعوة غير مقبولة ، ولكننا - على أية حال - نتحمل مسئولية الموافقة على هذا المقال « (١) .

أما حدثوا فقد رسخت بالفعل تقاليد عمل جبهوى يعتمد فى الأساس على تمايز منبرها المستقل وتحالفه - من خلال هذا التمايز - مع القوى السياسية الأخرى ومنها يسار حزب الوفد ومختلف الهيئات والمنظمات الوطنية . .

ومنذ البداية كانت ح . م صاحبة هذا التقليد . وقد تمثلت أولى خطواتها فى هذا الاتجاه فى تأسيس « جبهة الهيئات العامة » التى أعلن عن قيامها فى ٦ أكتوبر ١٩٤٥ . (وها نحن نعود مرة أخرى الى ذلك اليوم) الذى لم تنفجر فيه مظاهرات طلاب الجامعة فأكدت ح . م عجز القيادات التقليدية والحاجة الى خلق منبرها العلنى مجلة أم درمان التى كتبت تقول « تألفت فى مصر جبهة من عدد كبير من الهيئات العامة الشعبية احتفظت فيها كل هيئة بذاتها وافتقت على وجهة نظر واحدة فيما يتعلق بالمطالب الوطنية لرادى النيل وكانت الهيئات المشتركة فى هذه الجبهة هى : اتحاد خريجي الجامعة - اتحاد الفنون والهندسة التطبيقية - اتحاد حملة انكباوريا - اتحاد خريجي المدارس الابتدائية - لجنة نشر الثقافة الحديثة - أصدقاء الفجر الجديد - جمعية الدعاية للحج - هيئة العلماء - واشتركت « أم درمان » فى هذه الجبهة . . . هذا وقد وضعت هذه الجبهة مذكرة ضمنقتها رأيتها فى المطالب الوطنية ورفعتها الى رفعة رئيس الديوان الملكى ودولة رئيس الوزراء ورفعة رئيس الوفد وباقى الزعماء وسفراء الدول الأجنبية وقد أذاعت هذه الجبهة بياننا الى الشعب المصرى ودعته الى أن « يطالب بحقوقه الوطنية والجلء عسكريا وسياسيا واقتصاديا عن مصر والسودان » (٢) .

ونلاحظ أن هذه الجبهة كانت خالية من ممثلى الاحزاب السياسية الأخرى لكننا نلاحظ أيضا اتساعها وشهرتها لهيئات عديدة قد يصعب

(١) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد - المرجع السابق .

(٢) أم درمان ١٠/٦/١٩٤٥ .

تدور نجاح الشيوعيين في جذبها الى غمرة العمل المشترك مثل « هيئة العلماء » (وهم خريجو الازهر) وجمعية الدعاية للحج .. الخ ..

وسرعان ما ينجح الطلاب الشيوعيون في اقامة تحالف جبهوى واسع يضم كل الطلاب الوطنيين والتقدميين وخاصة ممثلوا يسار حزب الوفد في اطار اللجنة التنفيذية العليا للطلبة ثم اللجنة الوطنية للطلبة والعمال .

وقد كان هذا التحالف خطوة هامة ونقطة تحول خطيرة في تاريخ العمل السياسى المصرى فقد استطاع هذا الحلف أن يصبح - وبالفعل - قيادة حقيقية للحركة الوطنية المصرية وأن يقود مصر كلها باتجاه النضال المتصاعد ضد الاستعمار وعملائه . ولقد يتطرق البعض ليقول « كان تحالف اليسار الوفدى مع الشيوعيين يشيع الديمقراطية في صفوف الجماهير ويهيئ الشعب لتسلم أمر البلاد كلها » (١) . لكننا ومع تسليمنا بما في هذا القول من بعض المبالغة الا أننا نؤكد أن مصر قد شهدت في ظل قيادة « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » مدا ثوريا عارما ، يقود جماهير شعب مصر في اطار ثورى وتقدمى بالفعل . ولعلها المرة الاولى في تاريخ مصر الحديث التى ينجح فيها الشيوعيين فى التصدى لتأسيس وقيادة عمل جبهوى يستطيع أن يقود وبالفعل جماهير شعب مصر فى طريق العمل الوطنى فى اطار ثورى . واذا كان والتر لاکور يتحدث عن أحداث ١٩٤٦ فيقول « ان التاريخ لا يعرف مجتمعا لعب فيه الطلبة والمثقفون بصفة عامة دورا طليعيا فى الحركة الوطنية كما حدث فى مصر » (٢) فان لاکور قد نسى أو تناسى أن الدور الاساسى فى هذه الاحداث كان - بالفعل - للشيوعيين المتمركزين فى صفوف الطلاب والمثقفين والعمال والذين استطاعوا أن يحركوا قيادات وجماهير هذه الفئات فى اتجاه وطنى وثورى صحيح .

والحقيقة أن « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » التى جسدت شعارا قديما تردد أيام ثورة ١٩١٩ « يحيا الطلبة مع العمال » والتى نجحت فى تكوين محتوى وطنى وطبقى معا يناضل مع أجل المطالب الوطنية والطبقية كانت خطوة متقدمة للغاية فى طريق العمل السياسى والثورى فى مصر .

(١) أنور عبد الملك - مصر مجتمع بينيه العسكريون - المرجع السابق

ص ٣٨ .

وكان يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ واحداً من أكثر أيام التاريخ المصرى خلوداً وقد أصبح عيداً عالمياً للطلاب تمجيذاً للنضال المصرى ضد الاستعمار . وعقب الاحداث الدامية لهذا اليوم (١٥ قتيلًا و ١١١ جريحاً في المصادمات مع قوات الاحتلال بالقاهرة وحدها) أصدرت اللجنة بياناً تطالب فيه «بمسح القوات البريطانية من المدن الكبرى فوراً ، وأن تعلن الحكومة - كما يعلن كل مصرى مسئول رفضه الحكم أو المفاوضة الا على أساس تصريح يصدر من الجانب البريطانى بالجلء» (١) .

لكن الملفت للنظر أن ذلك التحالف بين العمال والطلاب والذى استطاع أن يفود جماهير الشعب المصرى لم يقيم على أساس المطالب الوطنية فحسب وإنما أيضاً على أساس تبنى مطالب طبقية فقد أصدرت اللجنة بياناً يندد بالحكومة التى بدأت « هجوماً على مستوى معيشة الشعب الذى لا يكاد يجد القوت ، حتى تنفخ جيوب أصحاب الاعمال والمستعمرين بالارباح الطائلة من دماء الملايين وقوت أبنائهم » . ويحضى البيان مدافعاً عن حقوق العمال ومطالباً بتطبيق كادر عمال الحكومة على عمال الشركات وبالحرية النقابية» (٢) .

ولا يملك المؤرخ ألا أن يدهش لهجوم مجموعة « الفجر الجديد » على « اللجنة الوطنية للعمل والطلبة » خصوصاً وأنها كانت وثيقة الصلة بالقيادات الصليبية الوفدية الممثلة فيها . ولقد طالعنا في صفحات سابقة ذلك النقد الشديد والجرح الذى وجهته اليها عن طريق « اللجنة التحضيرية لمؤتمر نقابات عمال مصر » . ولكن صادق سعد يبرر هذا الهجوم بقوله : « في هذه الفترة انتشرت فكرة خاطئة هى أن « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » وشروعها هى الشكل المصرى للسوفيئات وقد عارضنا هذه الفكرة لأسباب واضحة وعلى أساس عزلة اللجنة عن الفلاحين . وكانت اللجنة في اعتقادنا لجنة تحريك أى لجنة عمل وليست تنظيماً مستقراً ولا يمكن أن يحل محل الجبهة » (٣) . ولقد أدرك الشيوعيين أن الاطار الجبهوى للنضال يجب أن يمتد ليشمل جماهير أوسع ومجالات أكثر ومن هنا فقد سعوا الى تأسيس لجان وطنية شعبية في مختلف الاحياء تضم في صفوفها ممثلين

(١) روز اليوسف : ١٩٧٢/٢/٢١ - مقال د. محمد أنيس « ٢١ فبراير في التاريخ المصرى » .

(٢) بيان من « اللجنة الوطنية للعمال والطلبة » معنون : مؤامرة على الحركة الوطنية (نسخة أصاية) .

(٣) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد : المرجع السابق .

مختلف الطوائف والاعزازات • غير أن مثل هذا النشاط لم يحقق النجاح المرجو له •

وعلى أية حال فإن تجربة « اللجنة الوطنية للطلبة والعمال » تمثل على مدى تاريخ مصر الحديث نموذجا ممتازا للتحالفات التي يبنيتها الشيوعيون مع القوى الوطنية الاخرى في اطار ثوري وتقدمي .

وفي أغسطس ١٩٤٧ تعلن « الجماهير » لسان حال منظمة « حدتو » عن محاولة جديدة اتسبس جبهة من الاحزاب والهيئات الديمقراطية اسمها « الجبهة الوطنية الشعبية » وتقول انها تضم « ممثلى شباب وعمال الهيئات التالية : انومد المصرى - الكتلة الوفدية - الجبهة الاشتراكية - حزب العمال الاشتراكي - رابطة الطلبة المصريين - مندوبى الاعمال المصريين فى المؤتمر العالمى لنقابات العمال - اتحاد الطلبة السودانيين - اللجنة التحضيرية للاتحاد النسائى الدولى » • ويلاحظ أن « حدتو » فى محاولتها لتوحيد هذه القوى السياسية لم تتجه الى قياداتها التقليدية وانما ضمت الى الجبهة ممثلى « الشباب والعمال » فيها • • • وقت حددت الجبهة الوطنية الشعبية اهدافها فيها يأتى :

أولاً : الكفاح لتحقيق الجلاء العسكرى والسياسى والاقتصادى عن وادى النيل جلاء تاماً ، عاجلاً ، ناجزاً ، غير مقيد أو مشروط بشرط .

ثانيا : رفض كل اتجاه لعقد تحالف عسكري أو اقتصادي مع الدول الاستعمارية وخاصة انجلترا وأمريكا .

ثالثاً : تحقيق وحدة وادى النيل بالطريقة التى يراها أبناء الوادى بشرطه .

رابعاً : محاربة كل محاولة لاستتفاف المفاهيمات .

خامسا : الاندفاع عن الدستور والحريات العامة والكفاح لتدعيم الديمقراطية السياسية بالبلاد ومناهضة حكم الانقلابات والديكتاتورية .

سادسا : مناصرة الشعوب المضطهدة ضد مستعمراتها : ومتغلباتها .

سابعاً : مزاورة انطبقات الشعبية من عمال وفلاحين وصغار تجار وموظفين من أجل مصالحتها العاجلة في رفع مستوى معيشتها تحقيقاً للمعادلة الاجتماعية» (١) .

(١) الجماهير ١٩٤٧/٨/٢٣ •

وثمة أنسطة أخرى عديدة للعمل الجبهوى لم تنحصر فحسب في إطار العمل الوطنى والسياسى وإنما امتدت الى مجالات أخرى للخدمة العامة مثل محو الامية وسيرها ولعل أبرزها وأكثرها نجاحا هو « لجان مكافحة الكوليرا » التى كونتها « حدتو » في مختلف الأحياء والمدن بهدف مقاومة وباء الكوليرا الذى انتشر في صيف عام ١٩٤٧ والتي لعبت دورا هاما في هذا الصدد .



ولم يكن كل ما سبق سوى محاولة لاثارة خيال القارئ، حيل نوعية وحجم وعق نشاط الشريطين المصريين في صفوف جماهير شعبهم وفي مختلف المجالات : لم يكن محاولة لتسجيل كل هذه النشاطات وإنما مجرد ايراد نماذج بارزة تستطيع أن تلهم خيال القارئ نوعا من التصور المجسم للعمل المتوسع والنشاط المحتدم الذى خاض شيوعيو الاربعينات غماره محاولين أن يغرسوا أقدامهم عميقة في تربة العمل الوطنى والثورى الخصبة .

- ٣ -

في غمار العمل العسري

في هذا العالم نرى كل يوم
الذين هم في النار والذين هم في الجنة
والذين هم في النار والذين هم في الجنة
والذين هم في النار والذين هم في الجنة

والذين هم في النار والذين هم في الجنة

والذين هم في النار والذين هم في الجنة

والذين هم في النار والذين هم في الجنة

والذين هم في النار والذين هم في الجنة

1

« وأسوف يظل هذا العالم نارا حية أبدا ، تشتعل بانتظام ،
وتخمد بانتظامه ، لتشتعل من جديد » ..

هيراقليطس

وإذا جاز لنا أن نعتبر أن الفصل الثانى من هذه الدراسة كان محاولة للنظر من الخارج على نشاط الحركة الشيوعية المصرية فى الأربعينات ، بمعنى محاولة متابعة نشاطها الجماهيرى والعلنى ، فإن هذا الفصل هو محاولة للنظر الى أنداأل ، أى متابعة حركة البناء الحزبى والتنظيمى ، وأساليب النشاط والصراأ داخل المنظمات الشيوعية ذاتها ..

ولسوف نتابع هذه المحاولة على ثلاث مراحل :

• التجمعات الاولى .

• الوحدة .

• الانقسام .

التجيمات الأولى

كان مارسل اسرائيل (شيريزي) عضوا في اتحاد انصار السلام بالقاهرة في صيف عام ١٩٣٥ . ثم سافر في عام ١٩٣٦ الى لبنان في رحلة علاجية « وخلال هذه الفترة اتصل بى الرفيق فرج الله انخل ، وقدمنى الى شاب لى منتهى الذكاء والقوة هو نقولا شاوى سكرتير الحزب الشيوعى اللبنانى الحالى ، وأخذت اجتمع عدة مرات مع شاوى وآخرين فى منزل رفيق فرنسى ، ثم قدمنى شاوى الى الرفيق خالد بكداش ورفيق ارمى الأصل اسمه ميدويان وكان شاوى يناقشنى باستمرار فى أن واجب كل شيوعى يعيش فى مصر هو الاتصال بالعمال والمتقنين المصريين واقتناعهم بالشيوعية . ثم طلب منى لدى رجوعى الى مصر ان ارسل جريدة « صوت الشعب » بمقالات وأخبار عن الأوضاع فى مصر وقد واضبت طوال عامين تالين على القيام بهذا العمل» (١) * .

« ولدى رجوعى من لبنان طلبت من سكرتير اتحاد السلام - وكنت متأكدا من أنه شيوعى - مناقشة آراء الرفاق اللبنانيين لكنه رفض النقاش وقال أنه لا يقبل النقاش فى أى موضوع غير الاهداف المعلنة للاتحاد . فقامت بالعمل على تكوين تيار داخل الاتحاد ينادى بتصير نشاطه دما أدى الى ابعادى عما يلى من الاتحاد» (٢) .

وهكذا انسحب مارسل من اتحاد انصار السلام وانسحب معه آخرون يحملون بتأسيس تنظيم شيوعى من المصريين .

(١) مارسل اسرائيل « شيريزى) - تقرير يجيب فيه على أسئلة مكتوبة وجهها له المؤلف (مخطوط باللغة العربية مؤرخ مارس ١٩٧٣) .

(*) فى محاولة للتثبت من هذه الواقعة وجهت سؤالا مكتوبا الى الرفيق نقولا شاوى وقد تفضل بارسال الرد التالى كتابة « المعنى وصل من مصر الى بحدون فى صيف ١٩٣٥ وكان معه عنوان معام صديق لآبو زهير (نقولا شاوى) واخوانه غاتصل به . وفى هذه الفترة كان فى لبنان رفيق فرنسى وعن طريقه توثقت المعرفة بين آبو زهير وأنطون ثابت والمعنى . ثم عاد الى لبنان مرات عديدة قام خلالها بالاتصال بآبو زهير واخوانه . وفى عام ١٩٤٦ ولدى مرور آبو زهير بالقاهرة عند عودته من لندن قبل أسبوع من هجوم اسماعيل صدقى على الشيوعيين اجتمع آبو زهير بالعديد من الشيوعيين المصريين من مختلف المجموعات ومنهم المذكور « (المؤلف) .

(٢) المرجع السابق .

يقول ريمون أجيون « في نوفمبر ١٩٣٩ تركت اتحاد أنصار السلام أنا ومارسيل إسرائيل وراؤول كورييل وفتاة يونانية كانت تشغل بالصحافة ٠٠ وكان مارسيل أكثرنا خبرة ، لكن خبرته كانت هي أيضا متواضعة وعندما اتفقنا على ترك مجموعة بول جياكو دي كومب كنا نعرب بذلك عن سخطنا على التردد والخوف وعلى انحصار العمل وسط الأجانب وحدهم وعلى الابتعاد عن المصريين ومشاكل مصر الحقيقية » (١) .

وبالإضافة الى مارسيل إسرائيل وريمون أجيون كان هناك راؤول مكاريوس وزوجته وسيدة ايطالية اسمها فارستا تيرنى (٢) .

وفررت هذه المجموعة تأسيس مجموعة ماركسية ٠٠ « وبدأنا ، كان مارسيل يعمل في مصنع قرب حلوان وكانت لديه بعض علاقات بالعمال ، وبعضنا كانت له علاقات بعدد من الطلاب وفي نفس الوقت تأسس النادي الديمقراطي وانضممنا اليه لنعمل في داخله » (٣) لكن مارسيل مالبت أن اختلف مع ريمون وراؤول كورييل بسبب الاتجاهات السياسية لمجلة « دون كيشوت » التي كانا يصدرانها في ذلك الحين (٤) . ثم ما لبث أن اختلف داخل الاتحاد الديمقراطي مع هنري كورييل وهليل شوارتز حيث نهج كل منهما نهجا مختلفا في محاولة تأسيس تنظيم شيوعي .

ويتول مارسيل « ركزت المجموعة الماركسية على التكوين الماركسي للعناصر المصرية التي تم تجنيدها سواء عن طريق الاتحاد الديمقراطي أو عن طريق « الفن والحرية » ونظمت دراسات في الماركسية باللغة العربية ، وخلال عدة أشهر فقط استطاعت هذه المجموعة أن تجند وتنظم العديد من المصريين وهكذا وبسرعة فائقة أصبح المصريون أغلبية في صفوفها . وفي عام ١٩٤٠ قررت هذه المجموعة أن تتحول الى منظمة شيوعية وعقدت مؤتمرا تمت خلاله مناقشة عدة تقارير حول الموقف في مصر وتقرير عن التنظيم . قدمه مصري كان عضوا في الحزب الشيوعي الفرنسي) * وسميت المنظمة

(١) محضر نقاش مع ريمون أجيون - أجريت المناقشة في باريس - ١٩٧٣/٤/٤ .

(٢) محضر نقاش مع راؤول كورييل - أجريت المناقشة في باريس في منتصف نوفمبر ١٩٦٨ .

(٣) ريمون أجيون - المرجع السابق .

(٤) ريمون أجيون - المرجع السابق .

(*) هو تحسين المصري وكان يدرس الهندسة في باريس حيث انضم لفترة من الوقت الى الحزب الشيوعي الفرنسي .

التي أعلن تأسيسها « منظمة تحرير الشعب » وانتخبت لجنة تنفيذية ضمت
ثلاثة من المصريين بالإضافة الى مارسيل اسرائيل ٠٠ « (١) » .

وقد لعبت « تحرير الشعب » دورا هاما في عديد من المجالات ، سواء
في النشاط العلني في الاندية والروابط « الخبز والحرية » و « ثقافة وفراغ » .
« لجنة نشر الثقافة الحديثة » وفي مجال الصحافة اليسارية والنشر
« التطور » « المجلة الجديدة » « الأسبوع » « دار الفجر » أو في النشاط
السري الذي نجح الى حد ما في اجتذاب عدد من الكوادر المصرية مثل أسعد
حليم ، صانع عرابي ، عبد العزيز هيكل ٠٠ وقد بذل مارسيل اسرائيل
جهدا أساسيا في تثقيف وتوعية هذه الكوادر المصرية .

يقول أسعد حليم « كان مارسيل المحرك والمنظم الفعلي لنشاطنا ،
كان أكبرنا سنا وأوسعنا ثقافة وإدراكا ، كانت الماركسية تبهرنا وكان
مصدرها الوحيد هو مارسيل ومن هنا تبهرنا به ٠٠ والحقيقة أن مارسيل
قد بذل خلال عام ١٩٣٩ جهدا خارقا في تثقيف عدد من الكوادر المصرية .
لقد ثقفنا مارسيل بسلسلة محاضرات ممتعة بذل جهدا كبيرا في اعدادها
وكانت هذه المحاضرات تتضمن المادية والمثالية ، الجدلية ، المادية التاريخية
وتطور المجتمعات ، المجتمع الرأسمالي وقوانينه ، صراع الطبقات ، الدولة ،
الحرب ٠٠ الخ (٢) » .

ومأبئت « تحرير الشعب » أن تعرضت لضربات البوليس الذي قبض
على حوالي عشرة من كوادرها وأغلق مقر نادى « ثقافة وفراغ » في ١٥/١٠
١٩٤١ لكن التحقيق ما لبث « أن حفظ في ٢٧/١١/١٩٤١ » (٣) ٠ وأفرج عن
الجميع ما عدا مارسيل اسرائيل الذي أرسل الى معتقل الايطاليين .

« وفي يوليو ١٩٤٢ وخلال هجوم روميل على مصر تدخلت الحركة
الايطالية المعادية للفاشية وتدخل أيضا الرفيق أبو بكر حمدي سيف النصر

(١) مارسيل اسرائيل (شيريزى) - تقرير بالالة الكاتبة الفرنسية -
مرفوع الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى - أُلجج السابق ٠

(٢) محضر نقاش مع أسعد حليم - أجريت المناقشة بالقاهرة في
٢٠/١٠/١٩٦٩ ٠

(٣) حكمدارية بوليس مصر - مذكرة معلومات عن هنرى دانييل نسيم
كريبيل ٠

ابن وزير الحربية حينذاك للافراج عني ، وتحت هذا الضغط تسلمني البوليس
السياسي ليسلا من المعتقل وصحبني حتى أبعدني خارج الحدود الى
فلسطين « (١) » .

وبعد هذه الضربة وبسبب ترحيل مارسيل خارج مصر تعرضت
« تحرير الشعب » لفترة من التفكك والضعف ، بل ان بعض كوادرها انضم
الى منظمات أخرى . ولكن مارسيل ما لبث أن عاد الى مصر في عام ١٩٤٤
ليعيد تنظيم تحرير الشعب وفي هذه المرة يحرص مارسيل على التأكيد بأنه
كان « العضو الوحيد غير المصري في صفوفها » (٢) .

• • « وكان نشاطي يقتصر على تدريس الماركسية ، وكنت مكلفا
بالاتصال بـ (ح . م) وايسكرا » (٣) .

-
- (١) مارسيل اسرائيل - تقرير مخطوط باللغة العربية - المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .
(٣) مارسيل - رسالة الى المؤلف - المرجع السابق .

كانت مصر هي تلك التي عرفناها في الفصول السابقة ، وكان شبابها هم هؤلاء الذين تابعننا حركتهم فيما مضى من صفحات ..

وفي زاوية الطريق بين مسجدى الرفاعى والسلطان حسن بحى القلعة كانت مجموعة من طلاب المدارس الثانوية تلتقى بشكل عابر لتناقش غديدا من القضايا التي كانت تهوج بها أفكار شباب هذه الفترة .

وحى القلعة كان مقرا للثكنات الاساسية لقوات الاحتلال البريطانى ، والى جواره تماما أى فى حى الحليمية الجديدة كان هناك المقر الرئيسى لجماعة الاخوان المسلمين وفيه أيضا فى شارع درب اللبانة كان « بيت الفن » الذى تحدثنا عنه .

وهكذا فالمكان مهيأ تماما للعمل السياسى والمناخ العام يبحث هؤلاء الشبان على الاهتمام بالسياسة ، وأحدهم وهو مصطفى هيكى يسكن المنزل المجاور لبيت الفن - ويختلط بهؤلاء الفنانين والمثقفين التقدميين من أمثال كامل التلمسانى ورمسيس يونان ويوسف حلمى عن طريق أخوه أحمد هيكى الذى كان رساما يشارك فى نشاط بيت الفن(١) .

« وهكذا يتسرب الفكر التقدمى الى مناقشات هؤلاء الشبان ، وعن طريق أنور كامل (بيت الفن) التقى مصطفى هيكى بعبد العزيز هيكى (الخبز والحرية ومنظمة تحرير الشعب) ورغم انها أبناء عم فان العلاقة السياسية لم تتوثق بينهما واكتفى عبد العزيز هيكى بأن أوضح له بعض الامور وأجرى معه بعض المناقشات »(٢) .

وهكذا بدأت هذه المجموعة من الشبان تتجه نحو الفكر الاشتراكى لكنها ظلت طوال عامى ٤٠ - ١٩٤١ مجرد مجموعة من ثمانية أشخاص (خمسة من طلاب المدارس الثانوية وطالب أزهري وعامل وحرفى) تناقش فيما بينها أحوال الوطن وتطورات السياسة بمفهوم تقدمى .. ويأتى حادث ٤ فبراير ليهيئ وجدان هذه المجموعة من الشبان هذا عنيقا .. « وفى آخر فبراير ١٩٤٢ قررنا أن نكون تنظيما وكونا خلية واحدة كنت

(١) د. مصطفى هيكى . تقرير (مخطوط) بعنوان « حول منظمة القلعة الشيوعية » ، كتبه فى عام ١٩٧٢ بناء على طلب المؤلف .
(٢) محضر نقاش مع د. مصطفى هيكى جلسة المناقشة الاولى - برلين فى ١٩٧٢/١٢/٧ .

أنا مسئولها ٠٠ وبدأت هذه الخلية توسع نشاطها في إطار الحي وامتداداته وتبلور لنا برنامج يرتكز أساسا على المطالبة بالاستقلال الوطني والاستقلال الاقتصادي والمطالبة بالتأهيل (وقد استخدمنا هذا التعبير لأن أحد زملائنا من الازهرين رفض تعبير التأمين نسبة الى الامة وفضل التأهيل نسبة الى الاهالى) وهذا البرنامج لم يكن مطبوعا ويمكن القول بأنه كان برنامجا شفويا وكان لدينا كورس تثقيفي غير مكتوب « (١) » .

وهذه المجموعة من الشباب التي قررت اقامة تنظيم شيوعي يستند الى برنامج شفووي وكورسات غير مكتوبة لم يكن لها اسم ، وكانت تتصور أنها التنظيم الشيوعي الوحيد القائم في مصر ٠٠ وعندما اكتشمتها الآخرون واكتشفت هي المنظمات الاخرى ظهر اسم « القلعة » لم تخره هي وانما أطلقه عليها الآخرون تهكما من أنها منظمة منحصرة في حي واحد . لكنها تمسكت بالاسم ، ولم تكن المنظمة في بداية الأمر تستخدم الاساليب التنظيمية المتعارف عليها في العمل السري مثل الاسماء المستعارة ٠٠ ومرة ثانية أطلقت المنظمات الاخرى اسم « الباشا » على مصطفى هيكل فاذا به يتمسك بهذا الاسم ويستخدمه كاسم مستعار * .

ولم يكن للمنظمة أجهزة فنية ولا مجلة سرية ، لكنها مع ذلك وإصاات انهو مستندة الى الارض الخصبة والى جموع الشباب التي تتجبه يسارا ٠٠

وفي نهاية عام ١٩٤٢ دخل مصطفى هيكل الجامعة طالبا في كلية التجارة كذلك دخل عبد العزيز بيومي (أحد مؤسسي الخلية الأولى) كلية الحقوق . وكان هذا ايزانا بانطلاق المنظمة في النشاط بين الطلاب واستطاعت خلال العام التالي أن تضم مجموعة لا بأس بها من الكوادر الطلابية مثل مصطفى أغا ، عادل سيف النصر ، عادل صدقي ، عبد الواحد بصيلة ، عبد الرحمن بصيلة ، فؤاد عبد الحليم ، حمدي عبد الجواد ، أحمد الرغاعي .

(١) محضر نقاش مع د. مصطفى هيكل - جلسة المناقشة الثانية - برلين الشرقية - ١٩٧٥/٣/٨ .

(*) لان مصطفى هيكل هو ابن عم د. محمد حسين هيكل باشا قطب الأحرار الدستوريين وربما في محاولة للتعريض به أطلق عليه هذا الاسم ، أما هو فقد تمسك به على أساس أنه مسئول « القلعة » ايماء الى أن والى مصر وكان مقره القلعة في عهد العثمانيين كان يطلق عليه لقب الباشا (محضر المناقشة الثانية مع مصطفى هيكل) - (المؤلف) .

ثم ضمت القلعة أحد ضباط القوات المسلحة (أحمد حمروش) وقد تعرف عليه مصطفى هيكـل عن طريق محمد خطاب * .
ورويدا رويدا بدأ اتساع العمل يفرض على هؤلاء الشبان اللجوء الى شكل التنظيم الهرمى . وبعد أن كان مصطفى هيكـل مسئولا وحيدا تكونت مجموعة قيادية من خمسة .

وقد مارست القلعة دورا لا بأس به فى حركة الطلاب بالجامعة فى عامى ٤٥ - ١٩٤٦ ، ومن خلال الطلاب القادمين من الريف تكونت لها علاقات بانثريف وأساسا بريف الدقهلية (أحمد الرفاعى : قرية طناح ، مصطفى هيكـل : قرية كفر غنام) ووصل عدد أعضاء القلعة الى حوالي ١٥٠ عضوا (١) ، وقامت بنشاط واسع ، ومن خلال هذا النشاط والاتساع بدأت المنظمات الأخرى تحس بهذه المجموعة وتقيم معها علاقات وتدعوها الى الاتحاد معها ..

واتصل مصطفى هيكـل بهنرى كورييل وأجرى معه مناقشات طويلة ، كذلك اتصل فؤاد عبد الحليم بعبد هـب وهنرى كورييل (١) .
وبدأت كوادـر القلعة تسأل نفسها هل نواصل السير مستقلين ونعمل على بناء التنظيم وتوسيع قواعده أم نتحد مع منظمة أخرى ؟

ويبدو أن الجميع اتفقوا على فكرة الاتحاد مع منظمة أخرى لكنهم اختلفوا على اختيار المنظمة التى يتحدون معها ..
وكان مصطفى هيكـل قد وثق علاقاته بايسكرا وبكوادرا الطلابية بالجامعة ثم بشهدى عطية الشافعى واتجه الى الوحدة مع هذه المنظمة .
واذا كان مصطفى هيكـل يقول « عرض علينا شهدى الانضمام الى ايسكرا ولما كانت ايسكرا تسعى للوحدة مع ح.م فقد قبلنا الانضمام اليها » (٢)
بما يوحي أن القلعة كلها قد انضمت الى ايسكرا ، فان كلا من حمدي عبد الجواد وفؤاد عبد الحليم يؤكد أن منظمة القلعة قد انقسمت الى مجموعتين مجموعة بزعامة مصطفى هيكـل انضمت الى ايسكرا ومجموعة أخرى تضم فؤاد عبد الحليم وحمدي عبد الجواد وآخرين انضموا الى ح.م .

(*) يقول مصطفى هيكـل (محضر المناقشة الثانية) أن د. محمد حسين هيكـل باشا هو الذى قدمه الى محمد خطاب . المؤلف .

(١) محضر نقاش مع محمود حمدي عبد الجواد - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٥/٧/٧ .

(١) دحصر نقاش مع فؤاد عبد الحليم - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٥/١٢/٢٧

(٢) مصطفى هيكـل - جلسة المناقشة الثانية - المرجع السابق .

جماعة الفجر الجديد :
الطائفة الشعبية للتحرر (ط ٠ ش ٠ ت) :
دليعة العمال (ط ٠ ع) :

في الفصول السابقة تابعنا قصة المجموعة الماركسية الشديدة الحذر التي تولدت داخل اتحاد أنصار السلام تحت زعامة بول جاكو دي كومب ، وتابعنا بول جاكو وهو يؤكد « أنا مصمم على أنفى لم أؤسس تنظيماً ، أنا وضعت البذور ثم تركتها تنمو » (١) .

وكانت البذور ثلاثة من المتمصرين « صادق سعد ، ريمون نويك ، يوسف درويش » . أما بقية الأجانب فقد تجمعوا في « جماعة البحوث » . فكيف نمت هذه البذور ؟

لثلاثة أصبحوا أربعة بأن انضم اليهم أحمد رشدى صالح . وقد اضطر الثلاثة اضطراراً الى ضمه اليهم ، يقول صادق سعد « كان أحمد رشدى صالح أكثر قدرة على الحصول على ترخيص لإصدار مجلة ، فغد كان والد زوجته على علاقة ما بوزارة الداخلية وسهل له الحصول على ترخيص . وفي جلسة لمناقشة كيفية إصدار المجلة أثار أحمد رشدى صالح مسألة التمويل وأبلغناه أننا سنحاول حل هذه المشكلة ، وأصر رشدى صالح على معرفة مصدر التمويل ، واضطررنا أن نشرح له الأمر وعلاقتنا بالمجموعة الأجنبية السرية التي تعمل خلف « جماعة البحوث » وكيف أن هذه المجموعة هي التي ستمول إصدار المجلة . ووافق رشدى صالح على الانضمام الى مجموعتنا الضيقة » (٢) .

ومنذ مايو ١٩٤٥ موعد صدور الفجر الجديد وحتى سبتمبر ١٩٤٦ ظلت المجموعة الرباعية كما هي . لم تزد ولم تنقص .

حقيقة قام أفرادها بنشاط واسع في صفوف لجنة نشر الثقافة الجديدة ، وفي صفوف حزب الوفد . وفي مجلة الفجر الجديد ، ورابطة الشباب (الوفدية) ، ودار القرن العشرين للنشر ، ومجلة الضمير ، وفي صفوف الحركة العمالية (لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية

(١) محضر نقاش مع بول جاكو دي كومب - جلسة المناقشة الثانية - المرجع السابق .

(١) د ٠ رفعت السعيد - الصحافة اليسارية في مصر ١٩٢٥ - ١٩٤٨ ، ص ١١٤ (نقلاً عن محضر نقاش أجرى مع صادق سعد خاصاً بموضوع مجلة الفجر الجديد) .

للطبقة العاملة) • لكن هذا النشاط والذي نجح في أن يستجمع حوله أعدادا لا بأس بها من العناصر اليسارية أمثال (أبو سيف يوسف - محمد اسماعيل محمد - نعمان عاشور - في مجال المثقفين ومحمد يوسف الحرك - محمد العسكري - طه سعد عثمان - في مجال العمال) لم يكن ليسمح لنفسه - وعن عمد - بأن يتحول الى تنظيم شيوعي ..

كانت هذه المجموعة تعيش مرحلة « العلنية بدون سرية » أى مرحلة النشاط الديمقراطية العلنى وترفض رفضا مطلقا أى حديث عن العمل السرى أو إقامة تنظيم شيوعي ..

ولعل هذا هو الذى دفع خصومها من تجمعات اليسار الأخرى الى التأكيد بأذهنها كانت من حيث المبدأ ضد فكرة إقامة تنظيم شيوعي وأنها كانت تسعى فحسب لتكوين جناح يسارى لحزب الوفد ..

ويقول مارسيل اسرائيل أنه خلال هجرة كثير من الأجانب واليهود الى فلسطين أثناء تقدم قوات روميل في معارك العلمين تواجد في فلسطين ممثلوا مختلف التجمعات الماركسية وأن « الحزب الشيوعي الفلسطيى دعا ممثلين من كل المجموعات لبحث أسباب الانقسام ومحاولة توحيدهم » وفى هذه الاجتماع أعلن أعضاء مجموعة بول جاكوب دى كومب أن الظروف الموضوعية في مصر لا تسمح بتأسيس حزب شيوعي « (١) » •

ولقد طالعتنا في فصل سابق كيف هاجم رشدى صالح وعلى صفحات مجلة وفدية دعوة شهدى عطية الشافعى « يريد الشعب حزبا من نوع جديد » وكيف أن « صادق سعد » قال أن مجموعته كانت في ذلك الحين ترى «أن هذه الدعوة الصادرة من هؤلاء الناس بالتحديد ، وفي هذا الوقت بالتحديد وبهذه المناسبة بالتحديد ، دعوة غير مقبولة » (٢) •

وسعيا «رأى» تحديد أكثر وضوحا للامح الحقيقة أوصل أسئلتى لصديق سعد : « عندما قررتم أنتم الثلاثة الانفصال عن الحلقة الماركسية الأجنبية ، لماذا لم تعلنوا تأسيس تنظيم شيوعي كما فعل الآخرون ؟ » ويجب « لقد كان أماننا هدف مزدوج » •

(١) مارسيل اسرائيل (شيريزى) - تقرير بالآلة الكاتبة الفرنسية -
ارجع السابق •

(٢) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد - المرجع السابق •

١ - فهم مصر على أساس رسم ما أسميناه السياسة الشيوعية المصرية بمعنى أننا كنا مقتنعين بأنه لا توجد شيوعية بشكل مجرد ، وإنما هناك سياسة شيوعية لكل بلد من البلدان . وأن الخطأ الرئيسى الذى وقعت فيه الحركة الشيوعية الاولى فى مصر ، والنشاط الشيوعى الآخر الذى كان موجودا وقتئذ كان يكمن فى عدم تفهم الطابع القومى الخاص والشخصية المتميزة والخاصة لمصر . . .

٢ - إيجاد علاقات جماهيرية بالحركة الشعبية الوطنية والديمقراطية المصرية . . . »

ويراصل صادق سعد اجابته « وعلى هذا الاساس فقد منعنا أنفسنا عن وعى من اعلان تأسيس تنظيم شيوعى ، وكنا نعتقد أن تأسيس حزب شيوعى فى هذا الوقت كان سيشغلنا فى مهام تنظيمية تمنعنا بدورها من أن نحقق أهدافنا السابقين » .

لكن صادق سعد بواصل اجابته « والحقيقة أننى - وبعد مراجعة متأنية لما حدث أعزق أن موقفنا فى هذا الصدد كان خاطئا بشكل جزئى ، ذلك أنه كان من الممكن بطبيعة الحال إيجاد تنظيم دون أن يمنع ذلك تحقيق الهدفين اشار اليهما « (١) » .

والحقيقة أن كتابات أعضاء هذه المجموعة فى ذلك الحين تعكس هذا التصور فأحمد رشدى صالح يكتب فى مقدمة كتابه « كرومر فى مصر » . . . « وجرائم الوعى الشعبى هذه لا تولد فى محابر المثقفين ، لا تولد فى برامجهم ، لا تولد فى حيز أفكارهم ليتفضلوا بها على الطبقات الشعبية ، وهى بالمثل لا تستورد من الخارج . لا تأتى بها كاملة التيارات العالمية ، وأن أتت بعناصر بعضها ، ولا تترجم عن أمهات الكتب ، وعبثت بال نظريات الفلسفية مادامت لا تكون نظريات مصرية حرة ، وإنما هى تنبعث اليهم من وقع المجتمع المصرى » (١) .

ثم هو ينتقد سطحية التجمعات الأخرى ويعزوها الى « افتقارهم الى تراث مصرى فكرى حر . ولن يوجد هذا التراث ماداموا مكتفين بترجمة الأفكار ونقل الآراء الصادرة فى بلاد تختلف وضعيتها عن وضعيتنا » .

(١) المرجع السابق . . .

(٢) أحمد رشدى صالح - كرومر فى مصر - دار القرن العشرين للنشر -

ص ٩

وبرغم ما في هذه الكمات من بعض الصحة فإن أعضاء التجمعات الأخرى نظروا اليها باعتبارها ترديدا لاقاويل الاعداء عن « استيراد الافكار وترجمة النظريات » وباعتبارها تنصلا من الفكر الماركسي .

ولنعد الى الحوار مع صادق سعد فقد سألته رأيه في أن البعض « يعزو أن عدم اتجاههم لتأسيس تنظيم شيوعي فور استقلالهم عن « جماعة البحوث » لم يكن للاستعداد ، وانما كان نتيجة أوهم تواجحت لديهم حول امكانية العمل في صفوف حزب الوفد واستحداث جناح يساري في داخله » ويجب « هذا غير صحيح » ويقدم عددا من الدلائل منها انتقادهم لحزب الوفد على صفحات « الفجر الجديد » ومنها نشاطهم في صفوف الطبقة العاملة ، وبهدف ايجاد منبر مستقل فيها ، وتأسيس لجنة العمال للتحرير القومي التي حرص مؤسسوها على تسميتها « الهيئة السياسية للطبقة العاملة »

وحول هذا الموضوع يقول أبو سيف يوسف « انطلاقا من قناعه بناء (الطليعة الشعبية للتحرر) بأن الماركسيين المصريين هم أو يجب أن يكونوا ورثة أو الاستمرار الطبيعي للحركات الوطنية والشعبية . حددت المنظمة أن حزب الوفد على الرغم من تذبذب قيادته بين قوى الاستعمار والسراى من ناحية والشعب ناحية أخرى ، يمثل القيادة التقليدية للحركة الوطنية وأنه يتمتع بتأييد أوسع قطاعات الرأسمالية الوطنية وصغار الفلاحين والبرجوازية الصغيرة الديمقراطية وقطاع من الطبقة العاملة يمثلهم عمال الحكومة (مثلا عمال الترسانة والسكك الحديدية وعمال المطابع الاميرية) وأنه بناء على ذلك يتعين اقامة أشكال من التحالف والتعاون والتنسيق مع ممثلى قواعده الشعبية (الطلاب المنظمين تحت قيادة لجنة الطلبة التنفيذية العليا (الوفدية) والقوى الديمقراطية والتقدمية الذين شرعوا يكونون تيار « الطليعة الوفدية » ثم فئات المهنيين وخاصة المحامين . من هذا المنطلق كانت منظمة الطليعة الشعبية أكثر المنظمات الماركسية تماسكا ومعارضة للأحزاب التي ضمت القوى غير الديمقراطية من البرجوازية الصغيرة مثل حزب مصر الفتاة أو الاقسام المتخلفة من البرجوازية الصغيرة (الاخوان المسلمون) (١) » .

(١) مخطوط - بعنوان « الطليعة الشعبية للتحرر - مسودة » من سبع صفحات فولسكاب - كتبه أبو سيف يوسف ووقعه بامضائه - مؤرخ في ٩ - ٥ - ١٩٨٧ - بناء على طلب الباحث العراقى الدكتور طارق اسماعيل (نسخة مصورة عن الاصل) .

والحقيقة أن لجنة العمال للتحرير القومي التي أعلنت في نفس يوم
انتهاء الاحكام العرفية ، والتي أصدرت برنامجا جيدا للعمل الوطنى والنقابى
كانت بالفعل تعبيرا عن رغبة في التمايز عن الاحزاب التقليدية لكنها كانت
دعوة « عمالية » صرفة بمعنى أنها لم تكن تستهدف العمل ، أو حتى الدعوة
لتأسيس حزب شيوعى أو يسارى وانما كانت دعوة لتيار نقابى متميز
وفعال فى صفوف الحركة العمالية . الأمر الذى دفع أحد الباحثين الفرنسيين
الى القول « لقد اكتفت لجنة العمال للتحرير القومي بنشر الافكار الجديدة
داخل صفوف الطبقة العاملة . ولكنها لم تحاول تنظيم هذه الطبقة » (١)

ولكن البرنامج الذى قدمته « لجنة العمال للتحرير القومي » والذى
يعتبر أول وثيقة برنامجية تصوغها جماعة « الفجر الجديد » يستحق منا
وقفة تؤكد فيها ايجابيته وتناوله الصحيح للعديد من القضايا .

والبرنامج يؤكد فى مقدمته أن اللجنة تهدف « الى تحرير مصر
من الاستعمار والى تحرير الطبقات الشعبية من قبضة الفئات المستغلة
الطاغية . وهى أقلية ضئيلة من سكان مصر . وهذا البرنامج شعبى يتجه
الى شعب مصر ويهدف الى تحقيق مصلحته . وهو برنامج شعبى لانه
لا يمكن تحقيقه بمناورات الساسة الرسميين أو من وراء الستار . برنامج
سيحققه الشعب المصرى بنفسه وعلى رأسه الطبقة العاملة مؤيدا من الشعوب
الأخرى . وتؤمن اللجنة ايمانها راسخا عميقا بأن وظيفتها هى فتح الطريق
أمام الطبقة العاملة المصرية حتى ترجح بقوةها الهائلة فى ميزان السياسة
الصلبة كفة الشعب المصرى على كفة مستغليه . »

أما نقاط البرنامج فهى تبدأ بالتحرير من الاستعمار وتؤكد أنه
« لا يمكن للطبقة العاملة أن تتحرر دون أن تحرر مصر من الاستعمار ودون
أن يضع الشعب المصرى يده فى يد سائر الشعوب التى تكافح جميعها فى
سبيل الحرية والاستقلال » .

وفى هذا الصدد يطالب البرنامج :

- (أ) جلاء الجيوش الاجنبية عن مصر والسودان .
- (ب) إلغاء المعاهدة المصرية الانجليزية .
- (ج) وضع قناة السويس فى يد مصر .
- (د) تخليص الجيش المصرى والبوليس والادارة من الموظفين الاجانب
وخاصة المتمصرين .

1) Jean - Pirre Thick - PP 122.

(ه) الاتحاد مع السودان بشرط أن يتمتع الشعب السوداني بجميع الحقوق والحريات الديمقراطية . . » •

ونلاحظ أن الموقف من السودان يقع في نفس دائرة شعار « الوحدة » بينهما كان موقف ح*م - كما سنرى - هو حق تقرير المصير للشعب السوداني •

ويواصل البرنامج مطالبه فينادى « بالتحرير من الجوع والحرمان » ويؤكد أنه « لا يكتفى للطبقة العاملة لتتحرر من الجوع والحرمان أن تكافح الاستعمار السياسى بغير أن تقضى على الاستغلال الاجنبى والداخلى • ان الشعب المصرى وعلى رأسه الطبقة العاملة يريد أن يكون هو المستفيد من كده وعمله وليس أن يعمل لزيادة غنى الأقلية الرأسمالية » •

ويطالب البرنامج « بوضع حد أقصى للتملك ونزع المالكيات الكبرى وتوزيعها على صغار الفلاحين وقصر توزيع الاراضى الحكومية على مقراء الفلاحين وصغارهم » •

كما يطالب « بنقل المؤسسات ذات الامتياز والاحتكار الى الدولة وتمصير المؤسسات الكبرى فعلياً » (١) •

وثمة وثيقة أمريكية اتحدت أعضاء « لجنة العمال للتحرير القومى » وتورد ستة أسماء « محمد يوسف أحمد المدرك - محمود يوسف أحمد العسكرى طه سعد عثمان - محمد محمود قطب - محمد مدبولى سليمان - محمد حمزة » •

والاسماء الثلاثة الاخيرة لم ترد عن قبل في أية دراسة أو حديث عن هذه الجماعة • • (٢) وتخطئ الوثيقة خطأ فادحاً إذ تنسب هذه الجماعة الى نشاطات هنرى كوريل بما يوحى بضعف مصادر السفارة الأمريكية بالقاهرة في هذا الصدد - كما أن ورود اسم محمد حمزة يلفت النظر لأنه أحد كوادر حثرتو العمالية •

• • وعلى أية حال فقد نجحت هذه الكوادر العمالية التي أصنرت البرنامج في أن تحدث في صفوف الحركة النقابية حماساً لا بأس به وأن

(١) برنامج لجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة - (نسخة أصلية) •

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الأمريكية تحت رقم
RG - 319 - 306836 A — 20 Sept 46.

تألب دورا ساما في صفوفها ويقال أن يوسف المدرك قد سافر « الى مؤتمر اتحاد نقابات العمال العالمي ومعه ٧٠ ألف توقيع من مختلف النقابات في مختلف المدن » (١)

ويأتى ١١ يوليو ١٩٤٦ ، وبوجه الطاغية صدقى ضربته لكل المنافذ الديمقراطية والعننية للجماعة ويعتقل معظم كوادرها .

وهكذا تنتقل المجموعة الى مرحلة جديدة تماما . من « العننية بغير نشاط سرى » الى « السرية المطلقة بغير نشاط علنى ملحوظ » .

ويقول صادق سعد « بعد خروجنا من السجن اتفقنا نحن الاربعة (كانوا لا يزالون اربعة) على ضرورة تأسيس تنظيم » ويقول أنه « كان صاحب الفكرة » ويقول « اتفقنا أولا على اعداد الوثائق الاساسية للتنظيم وعملنا لائحة وخط سياسى وخط تنظيمى وخط جماهيرى وخط نقابى . وانفطنا على الاتصال بعدد من الاصدقاء الذين كانوا على علاقة وثيقة « بالفجر الجديد والضير » وعرضت عليهم الوثائق ، وجمعناهم مع عدد من الرفاق الاخرين اما على أساس جغرافى أو على أساس محل العمل . وتمت الموافقة على الوثائق بعد ادخال بعض التعديلات عليها . وقامت كل مجموعة بانتخاب مسئولا ، بعد أن قمنا نحن بتزكية عدد من المرشحين وهؤلاء المسئولين اجتمعوا في سبتمبر ١٩٤٦ في أحد مقاهى شارع الهرم ، وتمت في هذا الاجتماع اقرار الوثائق واعتبر الاجتماع مؤتمرا تأسيسى » .

وبهضى الحوار :

« س : كم كان عدد أعضاء المؤتمر ، وما هى أسماؤهم ؟

ج : سبعة أو ثمانية أذكر منهم أنا - ريمون - يوسف - رشدى - محمود العسكرى ، وربما المدرك ولا أذكر الباقى .

س : من الذى كتب الوثائق ؟

ج : نحن الاربعة اشتركنا في كتابتها « (٢) » .

ويقول صادق سعد أن الاجتماع اختار للمنظمة اسم « الطليعة الشعبية للتححر - ط . ش . ت » . وانتمت لجنة مركزية من ثلاثة (صادق سعد ، يوسف

(١) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد - المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

درويش ، محمود العسكري) ويقول « أعتقد أن رشدى صالح ضم اللجنة المركزية بعد ذلك ٠٠ وكان صادق سعد مسئولا سياسيا ويوسف درويش مسئولا تنظيميا ومحمود العسكري مسئولا للعمل الجماهيرى » .

وانتقلت القيادة على أساليب السرية المطلقة والحذر التام التى وصلت الى حد عدم اعلان اسم التنظيم ٠٠ « فى هذا الوقت أو قبله بفترة كنا قد درسنا تجارب بعض الأحزاب وخاصة تجربة الزملاء اليونانيين فيما يسمى بقواعد السرية والامان ، وكانت هذه القواعد مستخلصة من تجارب العمل الشيوعى فى ظل الفاشية ٠٠ وكان هناك مبدأ أساسيا فى هذه القواعد هو « ما لا يفيد الحركة يضرها » ومن ثم سألنا أنفسنا ما فائدة اعلان الاسم ، ولما لم نجد فائدة امتنعنا عن اعلانه » (١) .

وكان عدد أعضاء هذا التنظيم لدى قيامه « ٢٥ أو ٣٠ شخصا » (٢) وقد نهج - كما يقول مسئوله السياسى - نهجا « منشددا فى السرية والامان » وقد وصل الامر الى حد أن كوادره التى اعتقلت فى حملة مايو ١٩٤٨ كانت ترفض أن تبوح أمام المعتقلين الآخرين باسم التنظيم أو بانتمائها اليه أو بعلاقاتها به وأقامت تجمعا فى معتقل الهايكستب يتزعمه محمود العسكري يستهدف صرف أنظار المعتقلين بعيدا عن النقاش السياسى الى « الحوار حول الحياة المعيشية للمعتقلين » ومن الطريف أن محمود العسكري كان يعلن أنه يتحدث باسم مجموعة هى « نحن » (٣) ومن ثم أطلق البعض - تهكما - على هذا التنظيم اسم « نحن » .

ولأن التنظيم لم يعلن اسمه ، ولانه قد غيره من الطليعة الشعبية للتحرر الى « طليعة العمال - طوع » دون اعلان ، فقد تدول البعض أسماء غير صحيحة لهذا التنظيم والغريب أن الاسم السائد والذى أطلقه الجميع على التنظيم وهو « الديمقراطية الشعبية - د.ش » لم يكن فى يوم من الايام - كما يؤكد صادق سعد - اسما للمنظمة « لم يكن هذا اسما ، ولم نطلقه على أنفسنا والذى حدث هو أننا يوما ما أصدرنا خطا سياسيا أو استراتيجيا تأثرنا فيها الى درجة كبيرة بكتاب ماوتسى تونج « الديمقراطية الجديدة » وفلنا أن هدفنا هو اقامة حكم الديمقراطية الشعبية وانس قالوا اننا أصحاب نظرية الديمقراطية الشعبية (د.ش) كذلك أطلقوا علينا اسم جماعة

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل - جلسة المناقشة الثانية -

٢٩ / ١٢ / ١٩٧٤ .

« الفجر الجديد » والحقيقة لم يكن هناك أى تنظيم اسمه « الفجر الجديد » كذلك فان محمود العسكرى اخترع يوما ومن تلقاء نفسه اسم « نحن » واستخدمه البعض ضدنا « (١)

وبالنسبة للاجانب من أعضاء جماعة البحوث فقد ظلوا في مجموعة مستقلة تستهدف اعداد دراسات للتنظيم وتقديم مساعدات مالية له دون أن تلعب أى دور في صفوفه ، ويصف صادق سعد دورها بأنها كانت « خادمة للتنظيم » .

وكان التنظيم يصدر نشرتين ، مجلة داخلية اسمها « الهدف » ولم تكن توزع الا على الاعضاء ويعاد جمع نسخها مرة أخرى ثم تعدم وكان يطبع منها نسخ بعدد الخلايا (حوالى خمسين نسخة) ومجلة جماهيرية وكانت توزع خارج التنظيم واسمها « كفاح الشعب » .

وفي مايو ١٩٤٨ عندما بدأت حملة الاعتقالات كان اجمالى عدد أعضاء التنظيم كما يؤكد صادق سعد حوالى مائة عضو أعتقل منهم ١٠ أو ١٢ ويقول أن أقصى عدد للاعضاء في تاريخ المنظمة كان في عام ١٩٥٧ غداة عقدهم المؤتمر التأسيسي لحزب العمال والفلاحين وقد وصل الى حوالى ألف أو ألف ومائتى عضو (٢) .

وعن أساليب العمل الحزبى يقول « كانت لدينا ديمقراطية مركزية لكنها في الحقيقة أوقفت لفترة طويلة غير أننا في عام ١٩٥٧ أجرينا انتخابات من القاعدة للقمة » .

ولم تحدث في صفوف هذه المنظمة انقسامات لكن صادق سعد يقول « حوالى عام ١٩٥١ أذكر أن قسم الطلبة عندنا أثار بعض المشاكل وأعتقد أنها كانت متعاقبة بمسألة الوحدة ، واتخذنا ضدهم اجراءات بالغة العنف فقررنا حل قسم الطلبة ووزعنا أعضاءه على وحدات مختلفة » .

أما عن القضية الفلسطينية فقد وقف التنظيم ضد قرار التقسيم (منفردا بهذا الموقف) ونشرت مجلة « الهدف » افتتاحية كتبها صادق سعد ضد قرار التقسيم . وظل التنظيم على موقفه هذا حتى انتهاء الحرب فعاد يعان تأييده لقرار التقسيم ويطالب بتنفيذه .

(١) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد - المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

وفيما يتعلق بتوحيد الحركة الشيوعية يمكن القول بأن منظمة « ط . ش . ن » ثم « ط . ع » كانت في الأساس ضد الوحدة مع المنظمات الأخرى .

• • « وعندما توحدت « ح . م . مع إيسكرا » كانتا تهدفان إلى توحيد ط . ش . ت الأمر الذي يضع الأساس لتوحيد المنظمات الأساسية في الحركة الشيوعية ، لكن هذا التنظيم - كما يقول أحد كوادر حدبو - سارع إلى تجميع عدد من المنظمات الصغيرة (العصابة الماركسية) و (اتحاد شعوب وادي النيل) لتكوين ما سمي في ذلك الحين بجبهة المعارضة لحدتو ، وشنت ضدما حمله ضخمة وكالت لها الاتهامات ، ورددت أخطر اتهام شائن في تاريخ الحركة الشيوعية وهو اتهام منظمة بأسرها بل أكبر منظمة شيوعية وهي حدتو بالبوليسية ، ومن هنا وضعت بذرة استسهال إطلاق التهم والتشكيك ، ولقد كانت هذه الخطوط بداية تكريس الانقسامية « (١)

وزداد على هذا الاتهام يقول صادق سعد أن منظمته كانت ترفض « أى نوع من التوحيد الوفاقي » .

ويقول « ولكي أكون واضحا فاننا كنا نعارض بشدة أن تتولى « حدتو » الدعوة والادعاء بتأسيس حزب شيوعي أو أن يكون هذا الحزب استثمارا لسياساتها وخلفيتها الايديولوجية » (٢) .

ومع ذلك ومع تصاعد الدعوة للوحدة في نهاية عام ٤٨ وبداية عام ١٩٤٩ ومع قبول معظم المنظمات الدعوة لحضور « لجنة الوحدة » أرسلت « ط . ش . ن » مندوبا عنها إلى اجتماعات اللجنة لكن صادق سعد يؤكد - وبصرامة - « كان مندوبنا هو محمد اسماعيل محمد وقد أرسلناه كسد خانة وليعلم ماذا يجري » (٣) .

ولعل في هذا القول ما يكفي لتبيان موقف هذه المنظمة من قضية الوحدة .

• • لكن هذا الموقف لم يلبث أن تغير في عام ١٩٥٧ عندما قرر « حزب العمال وانفلاحين الشيوعي المصري » الاسم الجديد للمنظمة الانضمام إلى الوحدة والمشاركة في تأسيس « الحزب الشيوعي المصري » .

-
- (١) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل • المرجع السابق .
(٢) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد - المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .

وقبل أن ننقل لا بد لنا من أن نورد تقييما يثير المزيد من الدهشة في اعتقادنا ، وتكمن أهميته في أنه يأتي « الآن » من الرجل الاول في هذه المنظمة « أحمد صادق سعد » الذى كتب يقول :

« كانت حلقتنا تتصف بجمود تنظيمي وفكري أشد من أغلب المنظمات الأخرى ، وبهذا المعنى السئ أيضا كنا يسارها ، وسبق الإشارة الى بعض النواحي الإيجابية لذكر الحلقة التنظيمي ، غير أنه ليست صدفة أن تكون هذه الحلقة قد أسست تنظيميا بعد المنظمات الأخرى بسنوات ، ولا انها لم تحصد شاعر عملها الواسع حصادا تنظيميا . ومن الناحية السياسية أيضا يظهر المعنى السلبى ليسارىتنا في موقفنا من ثورة يوليو عندما قامت . . فبدأنا باتخاذ موقف الترقب ، في حين ان إحدى المنظمات (منظمة الحزب الشيوعى المصرى) رأت فيها الفاشية ، وأخرى « حدثو » أكدت أنها وصلت إلى السلطة ، ثم أخذنا نفسر ثورة يوليو بالتناقضات التى بين الدول الاستعمارية فقط الامر الذى أصاب نشاط المنظمة بالانزعال ، الذى أدى إلى انهيارها في النهاية » (١) .

لكن الصورة لا تكتمل الا بتقييم آخر يتسم بالرؤية الإيجابية ، صاحبه أيضا أحد قادة طاشوت ، بل وأصبح فيها بعد قائدها الاول وهو أبو سيف يوسف ، يقول التقييم « أسهمت طاشوت كواحدة من المنظمات الماركسية الرئيسية فى تسليح حركة التحرر الوطنى فى مصر بالشعارات الرئيسية التى ساعدت على تطور هذه الحركة واغنائها بمحتوى اجتماعى للامبريالية . . ولعبت طاشوت دورا هاما فى معركة استقلال حركة الضيقة مناعض للنظام الذى أقامه كبار ملاك الارض والرأسمالية التابعة العاملة المصرية عن الاحزاب البرجوازية وأكدت على دورها القيادى فى حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى - ساهمت طاشوت مع غيرها من المنظمات الرئيسية فى صباغة العديد من القضايا التى شكلت فيما بعد وخاصة فى الخمسينات والستينات - الأساس لبرنامج الوطنى والاجتماعى الذى نبنته وطورته ثورة يوليو - كما ساهمت مع غيرها من المنظمات الرئيسية فى بعث تيار اشتراكى أصبح أحد التيارات الرئيسية فى الحياة السياسية والاجتماعية » .

ويلاحظ أبو سيف يوسف فى نفس الوقت « ان طاشوت لم تنجح فى أن تتطور لتصبح على النطاق القومى المصرى - الحزب الاشتراكى الذى

(١) أحمد صادق سعد - صفحات من اليسار المصرى - المرجع السابق -

ص ٦٠ .

يوجد صفوف الطبقة العاملة والطبقات الثورية الاخرى تحت قيادته ولم تنجح
قبة:تالى فى تجاوز ظاهرة الانتسام «(١)» .

ولنستكمل الصورة نعود الى الوجه الاخر فصادق سعد يعود فى تقييم
جديد ليؤكد - ربما فى تعال على كل شئ - ان هذه المنظمة قد لعبت
« دوراً رئيسياً » عن طريق الفجر الجديد والضمير ولجنة العمال للتحرير
القومى ٠٠ (الخ) فى توضيح معالم جديدة للحركة الوطنية فى بعثها الجديد
فى الاربعينيات ثم فقدت البصر والبصيرة فجاء وأصبحت عاقماً فى فترة
وجيزة » .

ويبرر صادق سعد ذلك بعدة أمور منها ما يسميه « التبسيضية »
والجمود العقائدى و ٠٠ « ان الاستراتيجية التى كانت هذه المنظمة تسيّر
على هديها كانت مرسومة على أساس ان البرجوازية القومية هى القائدة
للحركة التحررية فى هذه المرحلة ، ولكن هذه القيادة فى خطها الهابط ، وان
القيادة التى سوف تأتى بعدها - كانت - حتماً - قيادة الطبقة العمالية
ولم يكن مفهوماً فى ذلك الحين ان هذه الاستراتيجية غير صائبة لان القيادة
الصاعدة فى ذلك الوقت كانت قيادة نوع من البرجوازية الصغيرة (أقول
اليوم « نوع من الشعبوية ») الامر الذى يقتضى اجراء تغيير كامل فى الخط
انسياسى والتنظيمى والاهداف الخ ٠٠ «(٢)» .

(١) مخطوط بعنوان « الطلبة الشعبية للحرر - مسودة » - المرجع
السابق .

(٢) مخطوط بعنوان « على سبيل المراجعة » من خمس صفحات فولسكاب
كتبه أحمد صادق سعد ووقعه بامضائه وقدمه للباحث العراقى الدكتور طارق
اسماعيل - مؤرخ فبراير ١٩٨٧ . (نسخة مصورة عن الاصل) .

•• « •• وتحدث شوارتز فأيد فكرة تأسيس منظمة ، لكنه عارض فكرة اشتراط أن تكون غالبية المستويات القيادية من المصريين وأذكر أنه قال ان لينين كتب مقالا في العدد ٨٣ من مجلة ايسكرا قال فيه أنه يمكن لطائفة أجنبية أن تلعب الدور القيادي في بلد متخلف » (١) •

هكذا بدأ الخلاف •• كورييل يدعو الى التمهيد ، وشوارتز يؤكد أن التمهيد دعوة شوفينية ويدعو الى نظرية أسمائها - فيما بعد - نظرية المراحل •• « في المرحلة الاولى الاجانب ، ثم المثقفين المصريين ، ثم العمال » (٢) •

وهكذا كان الاسم الاجنبى « ايسكرا » ملائما تماما لتنظيم قرر أن يكون همه الاساسى - في المرحلة الاولى على الاقل - تجنيد الاجانب ، وظل قسم الاجانب فيه - وحتى النهاية أكبر الاقسام عددا (٤٠٠ عضوا من حوالى ٩٠٠) (٣) •

لكن ذلك الوعاء المكون أساسا من أجانب كان لا بد له من أن يقرر أساليب عمل تختلف كثيرا - ليس فقط - عن أساليب عمل المنظمة التي اختارت لنفسها اسما مصريا صرفا ووعاءا مصريا من العضوية (الحركة المصرية للثوار الوطنى) ، وانما يختلف أيضا مع تقاليد المجتمع المصرى ككل ••

وهكذا ترددت قصص كثيرة وربما مبالغ فيها عن الحفلات والاختلاط والرحلات •• الخ وفي بعض الاجيان تبرز هذه القصص لتغطى على الجوانب الاخرى من نشاط المنظمة •• وكان لا بد من أن نسأل كواحد ايسكرا أنفسهم ••

قد يلاحظ القارئ أننا حرصنا على مناقشة كل مؤسسى المنظمات الشيوعية المختلفة وعلى ايراد آرائهم وذكرياتهم باستثناء هليل شوارتز مؤسس ايسكرا ، والحقيقة أننا قد حاولنا جهد طاقتنا اقتناع شوارتز بالحديث وسعيا وراء ذلك اضطررنا لزيارة باريس دون جدوى فقد صمم على أنه نسى كل شيء عن نشاطه في مصر ولا يريد أن يتحدث عن هذا الامر (المؤلف) •

- ١ - محضر نقاش مع عبده دهب حسنين - المرجع السابق •
- ٢ - محضر نقاش مع محمد سيد أحمد - جلسة المناقشة الأولى - القاهرة في ١٩٧٦/١/٢٩ •
- (٣) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق •

ويقول أحدهم ٠٠ « يمكن القول بأن مناخا كهذا كان متواجدا بشكل عام ، أما فيما يتعلق بالحفلات فالحقيقة أن هناك مبالغاة حولها فانا شخصيا بقيت سنتين في ايسكرا ولم أحضر سوى حفلة واحدة وكانت حفلة سمر وأناشيد ثورية » ٠ أما فاطمة زكى فتذكر حفلة أقيمت في ٧ نوفمبر ١٩٤٦ بمناسبة ثورة أكتوبر « وقد أقيمت في منزل زميل أجنبي هو أرمان بليسي وكان المنزل شديد الفخامة وفي حي راق هو جاردن سيتي ولست أنكر أنني دهشت لدى دخولي المكان » لكنها تؤكد « أن هذه الحفلات كانت قليلة وبمناسبات محدودة » (١) .

أما البير آرييه فيقول « كانت الحفلات أسلوبا من أساليب العمل ، وكانت مجالا للتجديد ، وقد كانت هذه الحفلات في اطار ظروفنا ووسطنا الأجنبي وسننا مهمة ، فقد كنا نقضى عدة ساعات في مناقشات سياسية حامية بينما كان الشباب في مثل سننا يذهبون الى حفلات من نوع آخر » (٢)

أما محمد سيد أحمد ، فانه يروى قصة ذلك النادى الخاص الذى أقيم في الهرم بجوار ملهى الابرج والذى أطلق عليه أيضا اسم « الأوبرج » حيث كانت تقام حفلات يلتقى فيها الشباب من الجنسين - وهو أمر لم يعتقد عليه الشباب المصريين في ذلك الحين - ويقول « من الخطأ أن نأخذ هذه الحفلات في اطار خاص وأقول أنها بروح التجمع الاجنبى أو بروح الحزب الشيوعى الفرنسى مثلا كانت صحيحة أما بروح المجتمع المصرى في ذلك الحين فلم تكن صحيحة وأشارت الكثير من الأقاويل » لكنه يؤكد « أن الحفلات كانت جادة - وكانت تلقى فيها محاضرات مفيدة وتجرى مناقشات مثمرة ، لكن فكرة الاختلاط بين شباب مصريين بوجوازين صغار وبين فتيات أجنبيات كانت تؤدي الى الكثير من سوء الفهم » (٢) .

ويقول أحد أعضاء ايسكرا انه كان لا بد لذلك « من أن يؤثر على نوعية العناصر التى جرى تجنيدها في ايسكرا من الطلاب والمثقفين المصريين فالطابع السائد في صفوف المصريين الذين انضموا اليها كان هو أبناء الاثرياء ومعظمهم من أبناء البرجوازية وأحيانا من أبناء البرجوازية الكبيرة وعلى أية حال ولكي أكون دقيقا فان حكى قاصر على معرفتى بقسم الطلاب »

-
- (١) محضر نقاش مع فاطمة زكى - أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٩٧٥/٦/٣ .
(٢) محضر نقاش مع البير آرييه - جلسة المناقشة الثالثة - القاهرة ١٩٧٥/٧/٢٧ .

ولا بد لنا أن نتوقف عند ظاهرة موضوعية وهى أن بدايات نشاط
ايسكرا وسط الطلاب قد التقطت أولا مجموعات من أبناء الأثرياء ومن أبناء
الجياليات الاجنبية ولذلك سبب موضوعى تماما وهو أن بدايات هذا النشاط
كانت فى مدارس اللىسيه حيث يتعلم أبناء الطبقات الراقية من المصريين أو
أبناء الأسر الاجنبية أو « المتأجبة » (أى التى تمتلك وثيقة جنسية مصرية
لكنها تنتمى بالاصل وأسلوب المعيشة ولغة التخاطب والوعاء الاجتماعى الى
الروح الأجنبية) .

•• ولكن لماذا مدارس اللىسيه ؟ يجيب محمد سيد أحمد :
« كانت مدارس اللىسيه مصدرا للثقافة الماركسية فقد كانت مركزا
للعناصر المعادية للفاشية وبين هؤلاء تواجد مدرسون شيوعيون من أعضاء
الحزب الشيوعى الفرنسى . وكان هناك أيضا ناد لخريجى اللىسيه وقد
أصبح منذ ١٩٤٤ مركزا لنشاط ثقافى ماركسى عاينى •• وقد تواجدت
ايسكرا فى اطار ذلك كله » (١) .

وكان قسم الطلاب القسم الثانى من حيث عدد الاعضاء فى المنظمة فقد
بلغ عدد أعضائه ٣٠٠ عضوا (٢) أما عن أسلوب التجنيد فيقول أحد أعضاء
ايسكرا : « هم ملاحظة عن أسلوب عمل ايسكرا بشكل عام هو أن المدخل
الى التنظيم كان مدخل أيديولوجى ، ناجم عن القناعة الفكرية وليس من خلال
العمل النضالى ، فالتركيز فى الأساس على الكورسات التثقيفية والمناقشات
الدراسية ، وفى البداية ظللنا لمدة عام تقريبا مستغرقين فى دراسة
الكذب الماركسية والمناقشة حولها والامتحان فيها ، ولكن لم يكن هناك
عمل نضالى أو جماهيرى بالمعنى المفهوم ولم يبدأ النشاط الجماهيرى الا بعد
اشتعال الحركة الوطنية فى عام ١٩٤٦ • كذلك كان هناك طابع عائلى - أى
التجنيد من بين الاقارب وليس على أساس نضالى - فمثلا كان هناك من
عائلتنا وحدها سبعة أعضاء » .

وتقول فاطمة زكى « لقد قضيت عاما كاملا أدرس الكتب الماركسية
الخصها أمام مجموعتى ، ولم أمنح العضوية الا بعد هذه الدراسة الطويلة
والمركزة » لكنها تضيف « ولست أعتقد أن ذلك كان أمرا ضارا وخاصة
فى البداية فقد كانت المرحلة تتطلب كوادر مصرية » (٢) .

-
- (١) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد - أجرته الباحثة الامريكية سيلما
بوتمان فى ١٣ - ١٢ - ١٩٧٩ - محرر بالالة الكاتبة الانجليزية •
(٢) محضر نقاش مع عبد المنعم الغزالى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى
١٩٧٦/١/٢٩ •
(٣) محضر نقاش مع فاطمة زكى - المرجع السابق •

ولكن عضوا آخر في خلية مدرسة الليسيه الفرنسية يعطى انطباعا مختلفا « أذكر أنني قرأت عددا كبيرا من كتب لينين بالانجليزية وكل ما أذكره عن ذلك هو الملل الذى كنت أشعر به فقد كانت هذه الكمية من الدراسة فوق مستوى اهتمامى ، خصوصا أن ذلك كله كان يتم بمعزل عن مشاكل الشعب المصرى وكنا نردد النظرية كالببغاوات » (١) .

وكان الكورس مكونا من حوالى ٢٧ كتابا وكان من الضرورى أن يدرس العضو معظم هذه الكتب وأن يلخصها وأن يجتاز امتحانا فيها وكذلك كان من الضرورى أن يدرس المرشح قبل أن يمنح العضوية « المادة الجدلية » (٢)

دينكويين قسمى الطلبة والمثقفين تكون ايسكرا قد حققت المرحلة الثانية في مخطط شوارتز لكنها لم تفتح لها فرصة للوصول الى المرحلة الثالثة مرحلة « التعميل » ذلك أن التواجد العالى فيها وحتى تمت الوحدة كان نواجدا رمزيا (٢) .

وعلى أية حال فان ايسكرا وبرغم الملاحظات السابقة استطاعت أن تثبت وجودها في عدد من المجالات وخاصة في مجال الطلاب والمثقفين وأن تقيم عددا من المناابر العلنية ذات التأثير الجاد مثل « مجلة الجماهير » التى كان يشرف عليها مكتب قيادى مكون من شوارتز - ليلى ميزان - شمدى عطية - عبد المعبود الجبيلى - محمد عباس سيد أحمد ثم ضم اليه مدمود النبوى » (٤) .

والحقيقة أن ايسكرا قد ركزت الكثير من كوادرها للعمل في « مجلة الجماهير » بحيث كان كل باب من أبواب المجلة يحرر بواسطة مكتب حزبى ، كذلك قامت كوادر المنظمة بالإشراف على عمليات التوزيع والطباعة والمالية الخ . . وكان من الضرورى ايجاد شكل حزبى للتنسيق بين هذه اللجان فتكونت لجنة أسميت « لجنة تنظيم اللجان » تحت إشراف سيدنى سلامون (٥) .

ويمكن القول بأن « الجماهير » كانت قفزة كبيرة في مجال الصحافة اليسارية سواء من حيث المستوى الصحفى والفنى أو المستوى السياسى .

-
- (١) محضر نقاش مع الير آرييه - المرجع السابق .
 - (٢) محضر نقاش مع خالد محيى الدين - المرجع السابق .
 - (٣) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد - المرجع السابق .
 - (٤) محضر نقاش مع ابراهيم المناسترلى - المرجع السابق .
 - (٥) المرجع السابق .

كذلك أقامت ايسكرا « دار الابحاث العلمية » التى كانت واحدة من أشهر الاندية الثقافية اليسارية فى مصر وأكثرها تأثيرا . وكان مظهر الاتجاه الى التنظيم هو تأسيس « الجامعة الشعبية » تحت اشراف د* محمد الشحات بهدف تثقيف العمال حيث كانوا يتلقون دروسا فى القراءة والكتابة والحساب والنأربخ والجغرافيا واللغة الانجائزية وكان يقوم بالتدريس فيها عدد من كوادر المنظمة مثل منير ملطى - زاهر اسكاروس - أنور عبد الملك .

ومن المجالات العلنية التى تنفست منها ايسكرا أيضا « رابطة الطلبة انصريين » وهى تجمع تقدمى ويسارى يضم الطلاب من أصدقاء المنظمة والعاطفين عليها وكان مكتب الرابطة مكونا من جمال غالى - سعد زهران - جمال شلبى - عبد المنعم الغزالى وقد أصدرت الرابطة مجلة صوت الطالب التى أصدرت الاعداد الثلاثة الاولى منها مطبوعة بالمطبعة ووزعت بشكل شبه علنى (٥٠٠٠ نسخة) وبعد مطاردة البوليس صدر العدد الرابع بالرونيو لكنها لم تواصل الصدور . كذلك أقامت دار نشر طلابية باسم « صوت الطالب » صدر عنها عدة كتيبات مثل « نريد أن نتعلم » و « ١٣ نوفمبر عيد الجهاد الوطنى » (١) والحقيقة أنه لا يمكن تصور النشاط التقدمى الجارف وسط طلاب الجامعة ولا الدور البارز الذى لعبه الطلاب الشيوعيون فى أحداث عام ١٩٤٦ وفى تأسيس اللجنة الوطنية للطلبة والعمال بغير أن نضع فى الاعتبار هذا الدور الهام الذى قامت به ايسكرا فى مجال الطلاب .

كذلك أصدرت « ايسكرا » كتيبا يتضمن ما يشبه البرنامج المرحلى تحت عنوان « أهدافنا الوطنية » .

وقد تعرض هذا الكتاب بالدراسة والتحليل لأهم القضايا الملحة وقدم فيها كلمة واضحة تعبر عن وجهة نظر ايسكرا .

فحول القضية الوطنية يقول « الجلاء العسكرى وحده لا يضمن استقلال وادى النيل ، انما نريد جلاء الاستعمار الاقتصادى الى جانب العسكرى والسياسى حتى يكون استقلالنا قائما على أسس متينة ، فكثيرا ما شاهدنا بلادا كانت تتمتع بسيادة كاملة عسكريا ولكنها لم تكن فى الواقع سوى مستعمرات اقتصادية ومالية » .

(١) محضر نقاش مع عبد المنعم الغزالى - المرجع السابق (وقد أكد عبد المنعم الغزالى أنه مؤلف كتاب « ١٣ نوفمبر » الذى صدر باسم سرى هي محمد حامد) .

وعن وحدة وادى النيل « فانه مطلب يبدو جميلا ومعقولا ، ولكنه ينطوى على أخطار جمة قد تضر بقضية الشعبين المصرى والسودانى ، ففى السودان اليوم حركة ترى أن المطالب المصرية تخفى وراءها اتجاهاً استعمارية من كبار رجال المال والصناعة المصريين . أن الشعب المصرى لا يريد استغلال أحد ، وانما يريد سودانا حرا قد تخلص من كافة أنواع الاستعمار ، يريد اتحادا بين الشعبين المصرى والسودانى بما يحقق الرفاهية والتقدم للشعبين » (١) .

ولقد كان الكتاب معتدلا فى توجهاته الى الدرجة التى جعلته وهو يناقش السياسة الدولية لمصر ما بعد الحرب العالمية الثانية أن يطالب بالحقول « فورا فى مفاوضات مع الدول الكبرى أمريكا والاتحاد السوفيتى وفرنسا والصين لعقد معاهدات تحالف وصداقة ، ولإقامة علاقات اقتصادية وتجارية تقوم كلها على أساس الاحترام المتبادل مع عدم المساس بحريتنا وديمقراطيتنا وعلى أن لا يكون ليهما مركزا ممتازا فى مصر » (٢) .

ولم يتحدث الكتاب بسطر واحد آخر عن الاتحاد السوفيتى .

وعن الجامعة العربية « ان الشعب المصرى لىتمسك كل التمسك بالجامعة العربية ، ولكنه يرفض رفضا باتا - وتشاركه فى ذلك جميع الشعوب العربية - أن تكون الجامعة العربية أداة يستعملها المستعمر لكبت الحركات التحررية وللحيلولة دون نمو الديمقراطية .

ولز تغدو الجامعة العربية أداة كفاح الا اذا قامت الشعوب العربية جميعها قومتها ، مطالبة بحكومات ديمقراطية تمثل ارادة الشعوب ، وترفض كل تهاون أو مساومة مع المستعمر .

ولكى تزداد روح الكفاح فى داخل الوحدة العربية يجب أن يتسع نطاق التمثيل الشعبى فى داخلها ، فلا يقتصر على التمثيل الحكومى ، بل يجب أن يتسع ليصبح تمثيلا فعليا لنقابات العمال واتحاداتهم واتحادات الطلبة والثقافيين ومنظماتهم ولتنظمات الفلاحين والعمال الزراعيين الحالية والمستقبلية ، على أن يكون هؤلاء الممثلون منتخبين انتخابا حرا لا قيود فيه .

وان الشعب المصرى ليدعو جميع الشعوب العربية الى تكوين جبهة متحدة

(١) محمد عبد المعبود الجبيلى ، شهدى عطيه الشافعى - أهدافنا الوطنية - مطبعة الرسالة (١٩٤٥) - ص ٩
(٢) المرجع السابق - ص ٢٨ .

للكفاح ضد الاستعمار والى تحقيق الديمقراطية الصحيحة وإقامة اقتصاد
شعبى ونعاون وثيق فيما بينها على قدم المساواة» (١) .

وعن قضية فلسطين « ان حل القضية الفلسطينية لا يتحقق مطلقا الا
بنمو الديمقراطية والتخلص التام من الاستعمار والصهيونية ، الامر الذى
يقتضى جشد جميع القوى الشعبية - العربية واليهودية معا - لتحقيق
استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وفلسطين المتحررة من الاستعمار بكافة ألوانه
قادرة على حل مشاكلها بإقامة حكومة ديمقراطية يتعاون فى ظلها العرب
واليهود .. وقد أصبح ضرورة قومية ماسة أن يحارب الشعب المصرى كل
اتحاء أو دعاية ترمى الى بذر بذور الشقاق بين الشعب العربى واليهودى فى
فلسطين» (٢) .

.. وفى السياسة الداخلية « انها لضرورة اقتصادية ملحة أن تكون
نهضتنا الاقتصادية نهضة ديمقراطية صحيحة وذلك بأن تكون الصناعات
الهامة الكبرى ملكا للدولة تديرها لمصلحة الشعب لتزيد من قوته الشرائية
ورفع مستواه الاجتماعى ، وكى يتحقق هذا بصورة قاطعة يجب أن يشترك
مندوبو العمال والفنيين فى ادارة المصانع جنبا الى جنب مع مندوبى الحكومة
وموضيها» (٣) .

« ولا يفتأ بعض الرجعيين يرددون نغمة قديمة وهى أن تأهيل
الصناعة فى بلد كمصر (أى جعلها ملكا للدولة)» انما هو اجراء
اشرراكى أو شيوعى أو غير ذلك من الاسماء ، متناسين أن هذا مطلب
ديمقراطى قديم أخذت به كثير من الدول الرأسمالية وان الحكومة المصرية
بوضعها الحالى تملك مشروعات هامة كبرى كالمسكك الحديدية
والتليفونات» (٤) .

وعن المسألة الزراعية « الملكية الكبيرة أثر من آثار الاقطاع ، والتخلص
من آثار الاقطاع شرط أساسى لكل استقلال كامل .. وعلى هذا يجب
إعادة توزيع الملكية الزراعية باستيلاء الحكومة على الملكيات الكبيرة بعد
حد معين وتوزيعها على الاراضى الحكومية وأراضى الاوقاف على فقراء
الفلاحين والعمال الزراعيين .. ولكن لا يجوز أن يؤدى هذا التوزيع الى تفويت

(١) المرجع السابق - ص ٣٥ .

(٢) المرجع السابق - ص ٣٨ .

(٣) المرجع السابق - ص ٥٠ .

(٤) المرجع السابق - ص ٥١ .

الملكية وحرمان البلاد من فوائد الانتاج الكبير في الزراعة ٠٠ فيجب أن يشجع
الفلاحون على استخدام الاساليب العلمية الحديثة في الانتاج الزراعى ٠٠٠
وذلك بمساعدتهم على تكوين جمعيات تعاونية للانتاج الزراعى نمدها
الحكومة بالقروض والالات ٠٠ »

« ويجب أن يطبق على العمال الزراعيين ما يطبق على العمال الصناعيين
من حق تكوين نقابات للاجراء واتحادات لهذه النقابات » (١) .

ويهمى الكتاب - البرنامج متحدثا عن كافة مشكلات المجتمع ٠٠
الموظفين ، التعليم ، الصحة ، مساواة الجنسين والاقليات ٠٠ مقدما رؤية
علمية هادئة لهذه المشكلات وحلولا سليمة لها ٠٠

وأخيرا ٠٠ « هذا هو البرنامج الذى يكفل قبام الاكثرية الساحقة من
الشعب المصرى للكفاح فى سبيل الفوز بالاستقلال والحرية والديمقراطية ،
وهذا هو البرنامج الذى يجب أن يتلخذه الديمقراطيون أساسا لامركة الانتخابية
القادمة التى لابد لها أن تجرى دون أى مهلة أو تأخير » (٢) .

٠٠ وهكذا يتضح لنا ان الهدف من هذا الكتاب هو أعداد برنامج
متكامل تقدم به المنظمة نفسها الى الشعب المصرى ، وتجعله أيضا أساسا
للمناداة بانتخابات جديدة تخوضها مسلحه بهذا البرنامج ٠٠ وهو الامر
الذى لم يحدث .

٠٠ ويختتم الكتاب - البرنامج بالعبارات الاتية :

« فيا عمال مصر وفلاحيه ، ويا طلاب مصر ومثقفيه ، ويا مواطنات
مصر ومواطنيه الى الكفاح صفا واحدا ، والى الكفاح الذى لا يلى فى سبيل
الحرية والديمقراطية » (٣) .

هذا بالاضافة الى نشاط جماهيرى فى صفوف الاجانب مثل « رابطة
خريجي الليسيه التى أقامت لها فرعا لطلاب الليسيه وقد نجح هذا
النشاط فى أن يمتد الى معظم المدارس الاجنبية التى كانت تضم أبناء الجاليات

(١) المرجع السابق - ص ٥٧ .

(٢) المرجع السابق - ص ٧٧ .

(٣) المرجع السابق ص ٩١ .

الأجنبية وتضم معهم أبناء الارستقراطية المصرية ولعل هذا يفسر الطبيعة التطبيقية للطلاب المصريين الذين ضمتهم ايسكرا . « وفي كل يوم سبت كنا ننظم محاضرة حول موضوعات اجتماعية وتربوية وفلسفية ومشاكل تهوم الشباب والاسرة وتحاول أن تقدم لها حلوًا ماركسية » لكن المتحدث وهو أحد منظمي هذه المحاضرات يواصل حديثه قائلاً : « أود أن أقرر أن اهتمامنا كان بعيداً تماماً عن الواقع المصري ، وكنا لا نقرأ الا كتباً فرنسية ومطبوعات الحزب الشيوعي الفرنسي ، وكان نشاطنا لا يختلف من الناحية الفعلية عن نشاط أى مجموعة في الحزب الشيوعي لفرنسي » (١) .

هذا عن النشاط العلني فماذا عن العمل الحزبي . .

كانت هناك لجنة مركزية مكونة من هليل شوارتز - ايلي ميزان - سيدنى سلامون - عزرا هرارى - ارمان بياويسى - شهيد عطية - عبدالمعبد انجيلي ونلاحظ أن التركيب هو عكس تركيب ل.م.م الحركة المصرية (اثنان فقط من المصريين بينما في ح.م.م اثنان فقط من الاجانب) . .

ويجمع كواد ايسكرا على أن التنظيم كان برغم هذا النشاط الجماهيري الواسع وبرغم الحفلات والرحلات ، سرىا للغاية « كانت السرية في ايسكرا شديدة ، الناس كانت تعرف بعضها البعض في الحفلات ، لكن لا تعرف أى شىء عن الانتماء التنظيمي وأى خطأ في ذلك يعاقب عليه بشدة » (٢) وبرغم طول فترة الترشيح (يجمع كل من محمد سيد أحمد وفاطمة زكى والبير آرييه على أنهم قضوا فترة ترشيح لا تقل عن عام) فان المرشحين لم يكونوا يقاتحون بأن هناك تنظيماً ما « عندما أبلغت بقبولى عضواً كان ذلك أول مرة أعرف فيها أن هناك تنظيماً ، وأطلعونى على اللائحة . . وكانت باللغة الفرنسية - وأذكر أن اسم التنظيم كان مشطوباً وسألت عن سبب ذلك فقالوا للأمان وأبلغونى شفويا أن اسم المنظمة هو ايسكرا وكانت أول مرة أسمع فيها هذا الاسم ، وبدأت نشرات الحزب ونشرااته الداخلية تصلنا وكانت باللغة الفرنسية أيضاً ثم دعيت الى مدرسة كادر وكانت مدرستنا هي برت شوارتز زوجة هليل شوارتز وقد أعطتنا كورسا في الاقتصاد السياسى ومحاضرتين في الاسبوع لمدة عدة أشهر . وكانت النشرة الداخلية ضخمة جداً ومليئة بالتحليلات السياسية .

(١) محضر نقاش مع البير آرييه - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد - المرجع السابق .

وكانت قواعد الامان متشددة الى درجة أنهم كانوا يشككونا في
أسرنا» (١)

وإذا كانت النشرة الداخلية ضخمة جداً ٠٠ فان النشرة الخارجية كانت
بدائية للغاية ٠٠ ولم تكن تحمل ما يشير الى انها تصدر عن منظمة محددة
مكتفية باتخاذها اسم « الشرارة » وكانت تحمل كشعار شطر بيت شعر
« اذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان » ٠

والنشرة بدائية للغاية ٠٠ مكتوبة بخط يد رديء على الاستنسل
ومطبوعة على رونيو بدائي ٠٠ والنشرات لا تحمل اسم المنظمة ولا تاريخ
الصدور ولا رقم العدد ٠٠

وتحت أيدينا عديدين أحدهما يحمل في صدر صفحته الاولى عنوان
« جبهة وطنية موحدة » ويبدأ المقال « وأخيرا وبعد تهادن طويل قررت
حكومة الشركات النقراشية عرض القضية على مجلس الامن ، وقد جاءت
عريضة الدعوى معبرة عن اتجاه السعديين والاحرار الدستوريين فهي تخدم
الاستعمار البريطاني وتضر بقضيتنا ، تماما كالمذكرة الهزيلة الضعيفة التي
سبق للنقراشي في عهد وزارته الاولى أن قدمها ٠٠ »

ثم يؤكد المقال « ان الوضع الصحيح للقضية يجب أن يكون على
أساس :

أولاً : الجلاء التام عن مصر والسودان ٠

ثانياً : الاعتراف للسودان بالحكم الذاتي » ٠

ونقول « ان الاعتراف للسودان بحقه في الحكم الذاتي مطلب منطقي
وعادل فللسودان قومية مختلفة وقد قال ماركس ان شعباً حراً لا يمكن أن
يستعبد غيره ٠٠ وتسهيلاً لتأليف جبهة شعبية موحدة بين الشعبين المصري
والسوداني فعلى كافة الوطنيين وخاصة التقدميون أن يؤلفوا جبهة وطنية
موحدة لاقامة هذه الحكومة » (٢) ٠

(١) محضر نقاش مع البير آربييه - المرجع السابق ٠
(٢) الشرارة - نشرة مطبوعة بالرونيو ومكتوبة بخط اليد - (اسم
التنظيم غير مذكور - التاريخ غير مذكور - رقم العدد غير مذكور) ٠

وتضمن العدد مقالا عن الاتحاد السوفيتي ، ومقال بعنوان « منظمات ديمقراطية ورجعية » وفي الصفحة الأخيرة خبر مختصر عن اضطراب عمال التلغراف بالقطر المصري .

أما العدد الآخر فهو أيضا لا يحمل اسم المنظمة ولا تاريخ الصدور ولا رقم العدد . وهو أيضا بدائي الطبع ومكتوب بخط ردىء وتحمل صفحته الاولى رسم شعلة ورسمًا بدائيًا للغاية (يشبه رسوم الاطفال) للعلم سام وعنوان المقال الرئيسى « عدو جديد » ويقول « حملت الينا الانباء أخيرا أن النقراشى يسعى للحصول على قرض من أمريكا وإن الجيش المصرى سيحصل على أسلحته من أمريكا وسيستخدم كذلك بعثة عسكرية أمريكية إن هذه الاتجاهات النقراشية الرجعية نتيجة للقيود التى تحاول هذه الحكومات الاقطاعية تكبيل شعبنا بها » . « مثل هذه القروض هى التى كبلت الشعبين اليونانى والتركى باستعمار حربى بغىض ، هذه القرض هى التى ما زالت تسبيل الدماء فى الصين ، والآن ما هو الثمن ؟ لن يسدد هذا الثمن النقراشى أو غيره وإنما ستسدده جموعنا الشعبية من دمها ودمعها ، ستدفع الثمن غاليا وستفقد حريتها . فلا بد للخادم الجديد النقراشى أن يكبل الشعب وأن يفقد حريته وأن يجعل من مصر قاعدة حربية ونقطة وثوب وتهديد للشعوب العربية والديمقراطية بأوروبا » .

ثم مقال بعنوان « التقدميون والحركة » (كلمة مطبوسة عن عمد) للطبقية العاملة « ومقال آخر بعنوان « قصة كتاب رجعى » يتحدث عن كتاب انشيوعية لالبر مزراحى ويقول « إن كاتبه الحقيقى هو مصطفى حمام الذى كتبه لمزراحى مقابل عشرة جنيهات » .

ثم مقال بعنوان « أيدوا أندونيسيا » (١) .

وكانت ايسكرا تقوم هى أيضا على أساس التنظيم الفئوى قسم الاجانب (٤٠٠ عضو قبيل الوحدة) قسم الطلاب (٣٠٠ عضو قبيل الوحدة) قسم المثقفين ، ثم قسما عماليا رمزيا للغاية . . وتحت كل قسم لجان فروع وتحت لجان الفروع خلايا .

وكان نشاط ايسكرا مركزا أساسا فى القاهرة والاسكندرية ولم تبد اهتماما بذكر العمل خارج هاتين المدينتين .

(١) الشرارة - نشرة مطبوعة بالرونيو ومكتوبة بخط اليد - (اسم التنظيم غير مذكور - رقم العدد غير مذكور) .

وفي الاسكندرية كان هناك عملا نشيطا مركزا أساسا في أوساط الأجانب والطلاب وخاصة طلاب كليتى العلوم والطب ومن المصريين الذين لعبوا دورا هاما في هذا الصدد حسين كمال الدين - عبد المنعم خربوتس - عبد العظيم أنيس .

وأخيرا فاذا كان أحد الكتاب قد وصف ايسكرا بأنها « منظمة تمثل أساسا مجاميع من المثقفين ذوى الصلة بالثقافة الغربية ، طلبة ومدرسين ومهنيين ينشطون وسط المثقفين ومنعزلين الى حد ما عن الجماهير ، ويهتمون أساسا بالدراسة والتثقيف ويجندون لتنظيمهم العناصر المثقفة من خلال الصلات الشخصية لا من خلال النشاط الجماهيري » (١)

واذا كانت كوالدر المنظمة الاخرى (الحركة المصرية للحرر الوطنى) يقولون عنها « كانت ايسكرا منظمة مليئة بالأجانب والأغنياء » (٢) فإن أحد كوالدر ايسكرا يؤكد أن مثل هذا التكوين الذى تسوده غالبية ساحقة من أبناء الطبقات الغنية كان « بداية لاحداث رد فعل في المستقبل هو الانحراف اليسارى الذى رفع شعار ١٠٠٪ عمال » (١) غير أن شهادة أخرى تقدم ولا يمكن تجاهلها من إحدى كوالدر المنظمة ، ففاطمة زكى تقول « وبرغم كل شيء فإن هذه العناصر سواء من الاجانب أو المثقفين أو أبناء الاغنياء قد اثبتت في كثير من الأحيان نضاليتها . والذى أريد أن أوضحه أن ذلك كان طبيعيا في المرحلة الأولى ، (٢) » .

وبرغم ما قد يبدو في بعض ما سبق من لهجة انتقادية لأسلوب تفكير ومنهج عمل منظمة ايسكرا فإنه يتعين علينا أن نؤكد أنها قد لعبت دورا هاما وبارزا في عدد من المجالات مثل الطلاب والمثقفين . لكن هذا النشاط الجم وببرغم أهميته كان في نظر البعض - وبسبب الجوع الغفيرة من الاجانب والبرجوازيين الصغار وأبناء الاغنياء - بؤرة لتفريخ التكتيلية والانقسامية والانحرافات اليسارية التى ما لبثت أن سادت الحركة الشيوعية بعد فترة وجيزة .

(١) طارق البشرى - الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢ - الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٢) ص ٨٣ .

(٢) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل - جلسة المناقشة الاولى - المرجع السابق .

(١) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد . المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع ناطقة زكى - المرجع السابق .

الحركة المصرية للتحرير الوطنى (ح م) :

كان تأسيس الاتحاد اليمقراطى بداية لتجمع القوى الراغبة فى اقامة النشاط الماركسى فى مصر ، ولكنه كان - أيضا - بداية لتمايزها . ولقد تحدثنا أكثر من مرة عن الخلافات التى فرقت بين هنرى كورييل وهليل شوارتز ومارسيل اسرائيل .

١٩٦٨ - ١٩٦٧

وقد تمايز كورييل عن الطرفين الآخرين بدعوته للتمصير وبالجزء الى جماهير الشعب من منطلقاتها الحقيقية وبمراعاة مشاعرهم القومية والطبقية والدينية .

ونل اسم الحركة المصرية للتحرير الوطنى . يبدو كافيا للدلالة على نوعية الاتجاه الذى اختاره مؤسسها . لكن كيف كانت البداية ؟ . لقد قرر كورييل تكوين تنظيم مصرى . شعبى ، ولكن كيف ؟ . ذلك هو السؤال الذى جابهه وهو يروى ذكرياته عن هذه الفترة قائلا « فى البداية كنا وحدنا » وخلال أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ وبينما كانت القاهرة تموج بالمظاهرات « طبعنا منشورا باللغة العربية نقول فيه للمصريين لا تتصوروا أن الألمان أفضل من الانجليز » ويبدو أن عبارة « فى البداية كنا وحدنا » كانت حقيقية ذلك أن هنرى كورييل يمضى فى روايته « وخرجت لاوزع هذا المنشور بنفسى أنا وجورج بوانتييه وكان منظرا مضحكا اثنان من الاجانب يوزعان منشورات باللغة العربية . وقد وزعنا ٤٠٠٠ نسخة من هذا المنشور (١) » ثم تفرق الاثنان ، جورج بوانتييه فقد الحماس للعهل على أرض مصر وتطوع للقتال فى صفوف الفيلق الفرنسى واستشهد فى عام ١٩٤٣ أثناء تحرير فرنسا . أما هنرى كورييل فقد ألقى القبض عليه وأودع فى معتقل الزيتون حيث أخذ كما يقول « حمام تمصير » وخرج من المعتقل ليخرج أيضا « من جو النوادى والحلقات ذات الطابع الاجنبى وبدأت على الفور فى تأسيس حركة شيوعية مصرية منظمة وأسست ح م واتصلت بمجموعة من المثقفين المصريين وانطلقنا فى عمل واسع وسريع جدا ومنتشر ، واتصلنا بعدد من العمال وبعمال سلاح الطيران والسودانيين والنوبيين (٢) .

(١) محضر نقاش مع هنرى كورييل . جلسة المناقشة الاولى - باريس - الاسبوع الاول من نوفمبر ١٩٦٨ .

(٢) المرجع السابق .

وسرعان ما ضمت هذه الحركة الوليدة الى أحضانها عناصر مصرية وعملية ٠٠

« ففى أواخر عام ١٩٤٢ قامت إدارة الضبط فرع ب ببوليس مدينة القاهرة بمراقبة تنظيم شيوعى هو الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم قبض على زعمائه وهم توماس بلاموتيس وسلامون سيدنى وعلى أبو النيل وزكى عبده وادوارد عبده « (١) »

ويعلق أحد الباحثين على هذه الواقعة قائلا « وأهمية هذه القضية هو أن الثلاثة الآخرين من المقبوض عليهم كانوا من العمال » (٢)

وقبل أن نواصل بحثنا عن نشاط كبرى المنظمات الشيوعية وأكثرها تأثيرا فى مسار الحركة الشيوعية بل والحركة الوطنية المصرية عموما يتعين علينا أن نتوقف لنسأل مؤسسها لماذا اخترت اسم الحركة المصرية للتحرر الوطنى وليس الحزب الشيوعى ؟ ٠٠ ويجيب « الحقيقة أن الكثيرين طالبوا بإعلان الحزب فوراً ، لكننا كنا نرى أن إعلان حزب يمكنه أن يعبر حقيقة عن آمال الجماهير المصرية يتطلب وقتا كثيرا وجهدا أكبر وأعدادا سياسيا وماديا ونضاليا لم يكن متوافرا لنا ٠٠ كنا فى بداية الطريق ،

ولم يكن من السهل أن نعلن للجماهير أن هذا التكوين الضعيف هو الممثل الفعلى للبروليتاريا المصرية وهكذا أعلننا أننا حركة للتحرر الوطنى تستهدف تحقيق عدة أهداف من بينها :

١ - تكوين حزب شيوعى .

٢ - اصلاح زراعى .

٣ - تنظيم الكفاح المشترك مع الشعب السودانى (٣) .

(١) بوليس مدينة القاهرة - التقرير السنوى لسنة ١٩٤٢ - ١٩٤٣ - المطبعة الاميرية بالقاهرة - ص ١٠٧ .

(٢) د. عبد الوهاب بكر - أضواء على النشاط الشيوعى فى مصر - المرجع السابق - ص ٥٢ .

(٣) محضر نقاش مع هنرى كورييل - جلسة المناقشة الثانية - باريس - ١٩٧٠/١/٢٤ .

وكان قرار كورييل ومجموعته بأن يؤسسوا تنظيمًا شيوعيًا مجرد بداية
• • « أعلننا أننا شيوعيون ، لكن ما معنى أن نكون شيوعيين ؟ لا أحد يعرف ،
ما هو الشيء الذي يذعن علينا القيام به ؟ لا أحد يعرف وقلت علينا أن ندرس
ولكى ندرس يجب أن تكون هناك كتب ، وهكذا كانت أول خطوة هي العمل على
افتتاح مكتبة • وفعلنا افتتحت مكتبة الميدان » (١) •

ولقد لعبت مكتبة الميدان دورا هاما في جعل الفكر الماركسي متاحا
في مصر • • ولعلها كانت نقطة تحول حقيقية في هذا الصدد • • ولعلنا
نستطيع أن نستخدم في تقييمنا للدور الذي لعبته مكتبة الميدان الى مقرة من
تقرير « سرى - عاجل » أرسله المعتمد البريطاني اللورد كيلرن الى وزير
خارجية بريطانيا أنتوني ايدن في ١١ أبريل ١٩٤٥ • • « افتتح السيد /
كورييل مكتبة تروج الكتب والادبيات الروسية • وإذا كانت هذه الادبيات
لا تتخذ شكل الدعاية الشيوعية المباشرة ، فانها تقدم للقارئ جوانب
الحياة والانشطة الاجتماعية في روسيا ، وتقدمها له بصورة جذابة • وربما
تجد هذه الادبيات قراءا عديدين في صفوف الطلاب المصريين » (٢) •

والحقيقة أن معظم كوادر الحركة الشيوعية في ذلك الحين قد تلقت
معرفتها الاولى بالفكر الماركسي من مكتبة الميدان • غير أننا نريد أن نلفت
النظر الى نقطة هامة وهي نوعية التفكير العملي الذي تشير اليه المعادلة
• • « علينا أن ندرس ، ولكي ندرس يجب أن تكون هناك كتب ، وهكذا كانت
أول خطوة هي العمل على افتتاح مكتبة » • هذا التفكير العملي ، المباشر ،
الذي يعرف نقطة الانطلاق الحقيقية والعملية نحو الهدف ، ظل مميذا لكوادر
ح • م ، ثم كوادر حدثو فيما بعد •

وبعد المكتبة كان العمل التنظيمي والذي تمثل في تجميع عدد من
المصريين حول راية المنظمة الجديدة • • ويمكن القول أن عملية التجميع

(١) المرجع السابق •

2) F.C. 317 — 46003/9929 — (Secret) From British Embassy in CAIRO

11 th APRIL 1945.

الأولى تمت على مرحلتين ٠٠ المرحلة الأولى هي الوصول الى المصريين ٠٠ وفي هذه المرحلة جمع هنرى كورييل حوله عددا من المثقفين اليساريين المصريين وربما كان يدرك أنهم لن يصمدوا معه طويلا في المعركة الشاقة لتأسيس التنظيم لكنهم كانوا بالنسبة له مرحلة ضرورية للوصول الى تلك النوعية الخاصة من الكوادر التي يريدونها ليخوض بها المعركة الحقيقية لتأسيس ح ٠ م ٠٠

وهكذا وفي البداية كان هناك محمد زكى هاشم ، أحمد دمرداش تونى ، د ٠ فؤاد الاهوانى ، تحسين المصرى ، موسى عبد الحفيظ ٠٠ ثم من هؤلاء الى المرحلة الثانية الى الكوادر المصرية الشعبية التي اعتمد عليها حقاً في بناء التنظيم ٠٠ وأهم ما تميزت به عملية اختيار هذه الكوادر هو اجتذابها من ميدان النضال الوطنى والطبقى ، وشعبيتها وانتمائها (حتى المثقفين منها) الى الطبقات الكادحة والفقيرة ٠٠

وهكذا تواجدت عناصر مثل سيد سايमान رفاعى ، ابراهيم العطار ، سيد حامض ، فؤاد حبشى ، يوسف مصطفى ، ابراهيم عرفة (مجموعة ميكانيكى الطيران) ومن ابراهيم العطار (ضباط الطيران) الى شقيقه مختار العطار (كتيبة الفنون الجميلة) ومنه الى كمال شعبان (نفس الكلية) ومنها الى مجال الطلاب ٠

ومن عبده ذهب (نوبى سودانى فقير) الى صالح عرابى الى مجموعات السودانيين والنوبيين الذين استطاعوا من خلال كوادر مثل (زكى مراد ، مبارك عبده فضل ، محمد خليل قاسم) أن يلعبوا دورا نبياديا بارزا في الحركة النوبية وفي قيادتها ومنهم سودانيين مثل (عبد الخالق محجوب - محمد أمين حسين - التيجانى الطيب - عز الدين على عامر ٠٠) الذين أسهموا في تأسيس القسم السودانى ثم الحزب الشيوعى السودانى ٠

ومن محمد شطا (الذى برز خلال معارك اضرابات شبرا الخيمة والذى أنتخب سكرتيرا للجنة عمال شبرا الخيمة بعد قيام الساطات بحل نقابتها) ومن محمد حمزة (أحد القادة المرموقين لعمال المحلة الكبرى - قسائد اضراباتها الشهيرة عام ١٩٤٦) الى صفوف العمال ٠

ويتطلب الأمر وقفة للتأمل ٠٠

فالأمر لم يكن مجرد البحث عن مصريين وانما مصريين مناضلين تابعين من معارك نضالية ، وأيضا مصريين من أكثر فئات الشعب معاناة وفقرا ٠٠

وبالإضافة الى هؤلاء نجح كورييل ، بمساعدة من سام باردل الشيوعي الانجليزى الذى كان مجنذا ضمن قوات الاحتلال ، فى أن يضم الى تنظيمه المجموعة التى صمدت من كوادر الحزب الشيوعي القديم ٠٠ (د • عبد الفتاح القاضى - الشيخ صفوان أبو الفتوح - شعبان حافظ - عبد الرحمن فضل - د • حسونة - محمد دويدار وبقية أعضاء التنظيم الذى كانوا يقيمونه من أمثال عبد الفتاح الشرقاوى وكمال الحناوى والشيخ سعاد جلال ٠٠ الخ (١) •

وهكذا يوشك الحلم أن يتحول الى حقيقة ٠٠

لكن هنرى كورييل يعتبر أن التأريخ الحقيقى لتأسيس ح • م هو تاريخ أول مدرسة للكادر ، لماذا لانه يعنى بالنسبة له الانتقال الكيفى نحو الكوادر التى أمكنها الانطلاق بالعمل التنظيمى بنشاط وديناميكية كانت الطابع المميز لكوادر ح • م ثم حدثت من بعدها •

أنه يعنى بالدقة الانتقال من مرحلة ، «أى مصريين يساريين» الى مرحلة الكوادر الشعبية والعمالية التى جرى تجنيدها من خضم المعارك الوطنية والطبقية والمؤهلة فعلا للاستمرار فى العمل الثورى وتحمل تبعاته ٠٠

يقول كورييل « فى يناير ١٩٤٣ عقدت أول مدرسة كادر • وكانت هذه المدرسة نقطة تحول هامة فقد حضرها الكادر الاساسى الذى تولى قيادة الحركة فيما بعد ولهذا فقد اعتبرنا هذا اليوم هو تاريخ تأسيس ح • م »

فماذا عن هذه المدرسة ٠٠ ؟

عقدت فى يناير ١٩٤٣ • فى عزبة يملكها والد هنرى كورييل فى المنصورية بمحافظة الجيزة وقام بالتدريس فيها هنرى كورييل ، محمد زكى هاشم (وكان فى ذلك الحين وكيلًا للنيابة) ، أحمد دمرداش تونى ، تحسين المصرى ، جوماتالون ، موسى عبد الحفيظ ، أما الطلاب فكانوا وفقا

(١) راجع محضر النقاش مع د • عبد الفتاح القاضى ، أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢١ - ٩ - ١٩٦٨ - المرجع السابق •
ومع عبد الفتاح الشرقاوى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٣ - ١١ - ١٩٧٥ - المرجع السابق •

لرواية كورييل ٢٥ طالبا منهم ، سيد سليمان رفاعى ، سيد حافظ ، ابراهيم العطار (عمال سلاح الطيران) ، مختار العطار ، كمال شعبان ، صبحى زغلول (الطلاب) ، الشيخ عبد الرحمن ، وآزهرى آخر اسمه كمال (من الازهر) ، عبده دهب (السودانيين والنوبيين) وعدد آخر من العمال والمتقنين والموظفين لم يمكن الاستدلال على أسمائهم .

ولنترك أحد طلاب هذه المدرسة ليرى لنا انطباعاته « كانت المدرسة شيئا باهرا وكانت المحاضرات ذات مستوى مرتفع وأذكر أن محاضرة كل من زكى هاشم وجومتالون كانتا مهتازتين بشكل خاص وأن أحمد دمرداش تونى ألقى محاضرة جيدة عن الوضع الاقتصادى فى مصر وعن الاقتصاد الزراعى لكنها كانت معقدة بعض الشيء » (١) .

ويضيف هنرى كورييل « أن برنامج الدراسة فى مدرسة الكادر كان يتضمن محاضرات عن تاريخ مصر على ضوء المادية التاريخية جغرافية مصر - الاقتصاد السياسى - المادية الجدلية . وكان نظام الدراسة صارما وبروليتاريا حقا ، وكنا ننشد نشيد الدولة الذى ترجم الى العربية وكان مطلعه :

يا بؤساء الدنيا قوموا
قوموا يا محرومين م الخير
سخطكم بقى رعد ياللا قوموا
ده الانتفاض الأخير » (٢)

ويقول سيد رفاعى أن « عضوا بالحزب الشيوعى الانجليزى قد حضر الجلسة الختامية للمدرسة وألقى كلمة باللغة الانجليزية » (٣) .

ولأن المدرسة كانت نقطة تحول حقيقية يضيف كورييل « وفى ختام المدرسة أعلننا نحن المدرسين للطلبة أننا قد نكون أناسا ثوريين لكننا لسنا الأصحاب الحقيقيين للقضية وأنهم - أى الطلبة - هم الأصحاب الحقيقيين لها » (٤) .

(١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٢/١/١٩٧٦ .

(٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل - جلسة المناقشة الثانية - المرجع السابق .

(٣) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق .

(٤) محضر نقاش مع هنرى كورييل - المرجع السابق .

وبعد المدرسة صعد الى اللجنة المركزية للمنظمة عدد من الكوادر الجديدة بحيث أصبحت مكونة من « هنرى كورييل ، جو متالون ، تحسين المصرى (مهندس) ، موسى عبد الحفيظ (موظف) ، سيد سليمان رفاعى (عامل) سيد حافظ (عامل) ، كمال شعبان (طالب) ، مختار العطار (طالب) ، صبحى زغلول (طالب) ، عبده دهب (عامل) ، عبد الرحمن الثقفى (أزهري) ، كمال (طالب أزهري ثم يمكن الاستدلال على بقية اسمه) ثم د • عبد الفتاح القاضى (طبيب) وقد ضم الى اللجنة المركزية كممثل للمجموعة التى انضم بها الى ح • م • وتولى فى ح • م (مسئولية قسم المثقفين) • وفيما بعد ضم الى اللجنة المركزية محمد شطا (عمال النسيج) •

وانطلقت ح • م فى ساحة العمل الثورى والوطنى المصرى بكل قواها محققة نتائج باهرة • • ولعل خير تقييم لنشاطها فى هذه الفترة هو مقرة من تقرير أحد خصومها التاريخيين « مارسيل اسراييل » يقول فيها « كانت ح • م أكثر المنظمات الشيوعية ديناميكية وحركة » (١) •

ولقد تعرضنا فى الفصول السابقة الى الانشطة العلنية والجماعية للحركة المصرية للثحر الوطنى • • وسوف نكتفى هنا بالقاء نظرة على المظاهرات التنظيمية الاساسية التى تميزت بها ح • م وكانت محل صراعات وخلافات عديدة وسوف نركز أساسا على ستة محاور :

• التمهير •

• التعميل •

• الاهتمام بالفلاحين •

• التنظيم الفتوى •

• الاهتمام بالكوادر السودانية •

• التكوين النظرى •

ولقد كان التمهير معركة حقيقية ، لكنها كانت معركة ذات حدين • •

فكما خاض كورييل معركته فى الاتحاد الديمقراطى ضد هابسيل شوارتز الذى هاجم التمهير باعتباره موقف « شوفينى » فقد عانى هو

(١) مارسيل اسراييل • تقرير مرفوع الى الحزب الشيوعى الايطالى المرحع السابق •

أيضا من هجمات عنيفة شنها ضده عدد من هؤلاء الذين أسهم هو في تكوينهم وفي اقناعهم بأهمية التمسير ، فأولا وقبل كل شيء كان هنري كورييل أجنبيا أو على الأقل من أصل أجنبى . . . ومن ثم فقد تعرض ومنذ الاتحاد الديمقراطي لهجمات تطالب بالتمسير الكامل بمعنى ابعاده هو . . . تزعمها محمد نصر الدين (المدرس بكلية البوليس) ثم تزعمها بعد ذلك في صفوف ح . م نفسها كوادى من أمثال د . عبد الفتاح القاضى - عبد الفتاح الشرفاوى - فوزى جرجس .

ويروى لنا عبده ذهب قصة أحد اجتماعات الصراع من أجل التمسير ، وكان ذلك في البدايات الاولى وقبل تأسيس ح . م « وجهت نى الدعوة لحضور اجتماع في منزل شخص عرفت فيما بعد أنه جو ماثون وكان الاجتماع ساخنا جدا ، ودار فيه نقاش حاد ، وفي البداية أحسست أنني لا أفهم شيئا ، وبالتدريج فهمت أن هناك خلافا بين كورييل وشوارتز حول التمسير . . .

وقف هنري كورييل وفي يده تقرير مكتوب باللغة الفرنسية لكنه كان يترجمه فورا الى العربية وتحدث طويلا عن أهمية تشكيل تنظيم ليقود معركة التحرر الوطنى ، وتحدث عن أهمية تمسير هذا التنظيم بحيث تكون غالبية أعضاء اللجان القيادية من المصريين . . . وقال أنه يعلم أنه لا توجد كوادى مصرية كافية لكنهم سيتدربون من خلال ممارسة المسئولية . . .

وتحدث شوارتز فأيد فكرة تأسيس منظمة لكنه عارض فكرة اشتراط أن تكون غالبية المستويات القيادية من المصريين ، وأذكر أنه قال أن لينين كتب مقالا في العدد ٢٨ من « ايسكرا » قال فيه أنه يمكن لطلائع أجنبية أن تلعب الدور القيادى في التنظيم في بلد متخلف . . . وتحدث جورج حنين قائلا : أن وجهة نظر كورييل صحيحة بشرط أن يتم ابعاد كورييل نفسه لأنه أجنبى ، وتحدث كورييل قائلا بأنه مستعد لان يترشح فى اللجنة المركزية كعضو مرشح بدون صوت ، وبعد مناقشات حادة انفض الاجتماع دون اتفاق وبدأت بعده سلسلة من الاتصالات الفردية « (١) (٢) » .

(١) محضر نقاش مع عبده ذهب حسين - أجريت المناقشة بالخطوم في ١٨/١٠/١٩٦٩ .

(٢) بعرض محضر النقاش مع عبده ذهب على هنري كورييل لم يبد اعتراضا على هذه الرواية .

أما وجهة النظر الأخرى فيعبر عنها فوزى جرجس قائلا « لاحظت ان عدد الأجانب في التنظيم لا يتناسب مع التركيب العام له ، فكتبت تقريرا مضمونه أننا في معركة ضد الاستعمار ، وفي بلد القضية الوطنية فيه ملتبة ومن الممكن أن أعداء الحركة الشيوعية يتهموننا بأننا نستمد تفكيرنا من الخارج . وقلت أنا لا أشك في اخلاص هؤلاء الناس لكن عليهم هم أن يؤكدوا احلاصهم بأن ينسحبوا من المراكز القيادية » (١) وبرغم رواية فوزى جرجس هذه فان سيد رفاعى يؤكد أن عدد الأجانب في ح.م لم يكن يزيد على العشرة أشخاص وأنه ومع تقدم العمل لم يعد هناك أصلا قسم للأجانب (٢) .

والحقيقة أنه بالنسبة للحركة المصرية للتححر الوطنى يمكن القول بأن عملية التمهير قد تمت على أفضل وأسرع وجه ممكن بحيث تم اختيار عناصر مصرية جادة وشعبية ونضالية ودفعت وربما بأسرع مما يجب نحو مراكز القيادة . ولم يكن في قيادة ح.م كما شاهدنا سوى اثنان فقط من الأجانب هما هنرى كورييل وجومثالون .

كذلك فانه وبرغم جدية بعض الاعتراضات على وجود أجنبى - مهما كان - على رأس تنظيم مصرى فاننا نلاحظ أن البعض قد استخدم «التمهير» حجة أو مبررا اما للانقسام أو التكتل أو حتى الهرب من ميدان الكفاح ، كذلك استخدمه البعض سلاحا في الصراعات الايديولوجية والشخصية على السواء .

وفي اعتقادنا . أن التمهير من القمة الى القاعدة كان ضرورة تاريخية وحتمية وخاصة فيما يتصل بموقع المسئول السياسى .

لكن ، المؤرخ - وحتى المؤرخ الشديد الحياد - لا بد له أن يتوقف ويتساءل كيف ولماذا ثارت مشكلة التمهير كقضية صراع ضد القيادة في ح.م بينما لم يكن للأجانب فيها سوى عدد بالغ الضآلة ولماذا لم تثر في ايسر تلك المنظمة التي قاهات أساسا على الأجانب سواء في القيادة أو القاعدة . وحتى الكوادر المصرية لم تتذكر قضية التمهير والتعميل الا بعد الوحدة وبعد نشوب الصراعات الداخلية والتكتلات والانقسامات .

هذه المسألة تحتم علينا أن نتوقف لنتناول المواقف . وببدو أن قضيتى التمهير والتعميل برغم حيويتهما وضرورتهما كانتا كأتى شعار سياسى يمكن

(١) محضر نقاش مع فوزى جرجس - أجريت المناقشة في ١٧/١/١٩٧٦

(٢) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق .

استخدامهما من الحدين ٠٠ أى من الحد الصحيح ومن الحد الخاطئ ٠٠٠
ويمكز أن تكونا ستارا لمواقف متطرفة وانفعالية وهروبية ٠٠ ولعل الامر
يتضح أكثر في قضية التعميل ٠٠

وكانت ح ٠م أيضا صاحبة شعار التعميل ٠ وقد حققت في هذا المجال
نجاحات كبيرة استطاعت من خلالها أن تلعب دورا هاما - وبعد فترة
قصيرة - في الحركة النقابية المصرية وفي حركة الطبقة العاملة عموما ٠

ان نشرة « كفاح العمال » كانت أحد مظاهر تعميل أنشطة المنظمة
وتوجيهاتها ٠٠ ولقد كان التعميل معركة ، لكنها كانت معركة من نوع
آخر ، تتمثل في الاختيار الجاد للقيادات النضالية في مجال العمال
وصقلها وتربيتها تربية شيوعية بحيث تؤهل ليس فقط لخوض غمار النضال
الشيوعي وانما أيضا لقيادة هذا النضال ٠٠

وتحدث كورييل عن هذه المسألة قائلا ٠٠ « وبعد ذلك أعلننا هدف
التعميل ، وتصورنا أنه يمكن أنجاز مهمة التعميل بنفس الأسلوب الذى
اتبعناه في التلمصير ٠٠ وقد وقعنا في خطأ كبير فان عملية التلمصير تهت
بالتصعيد السريع لعناصر مصرية الى القيادة وتدريبها وتربيتها من خلال
الممارسة نفسها ، وتصورنا أنه يمكن التعميل بنفس الطريقة أى أن نصعد
عملا بغض النظر عن مستواهم الفكرى الى صفوف القيادة ، وصعدنا الى
القيادة عددا من العمال بقصد أن نشعر العمال بأنهم الملاك الحقيقيين
للتنظيم » ٠

« لكن من هم العمال ؟ هذا هو السؤال الذى حاولنا أن نجيب عليه ٠
وقلنا أن التعميل بالمعنى النظرى والثورى هو ضم طلائع العمال في المراكز
العملية الكبرى ، وهذا يعنى في ظروف مصر ضم قيادات عمال النسيج ،
وعمال النسيج المصريين كانوا في ذلك الحين ثوريين لكنهم كانوا بشك عام
غير متعلمين وأدى التصعيد السريع للعمال الى اضعاف التكوين الفكرى
لقيادة التنظيم في ظروف كان قد بدأ يتعرض فيها لصعوبات تنظيمية
وتواجهه مشكلات نظرية وفكرية خطيرة ٠ كذلك فان المثقفين في قيادة التنظيم
قالوا أن المسافة الواسعة بين الاجنبى والمصرى حتمت التلمصير ، لكن المسافة
تقل كثيرا فيما بين المثقف والعمال المصرى » (١) ٠

(١) محضر نقاش مع هنرى كورييل - جلسة المناقشة الثانية ٠ المرجع
السابق ٠

والحقيقة أن هذه المشكلة لم تتفاقم إلا بعد وحدة ح.م. مع ايسكرا
فكوربييل يؤكد أن التعميل قد تم في ح.م. بنجاح وأن المثقفين من أمثال
مختار العطار وغيره كانوا يتركون أماكنهم في القيادة طوعية لاتاحة
الفرصة لنصعيد العمال حتى أصبحت اللجنة المركزية مكونة أساسا من
العمال (١) . ويقول سيد رفاعي « لم يكن التعميل مجرد ضم عمال أي
عمال ، وإنما كان هناك اختيار جاد للكوادر العمالية ، ولكن بعد الوحدة
شوه شعار التعميل ، وحدث ابتزاز باسمه ، وصعد عمال غير جديرين بالقيادة
ولا وزن لهم ولما حاولنا الاعتراض قيل لنا ضد التعميل (٢) » .

وهكذا وكما قلنا من قبل ، يصبح الشعار السياسي ذو حدين ويمكن
استخدامه من الحد الصحيح أو استخدامه من الحد الخاطئ بل القاتل ،
فالعناصر البرجوازية الصغيرة تمادت في شعار التعميل ، كما سنرى فيما
بعد لتنادى بشعار ١٠٠٪ عمال .

وحتى بعض عمال ح.م. أنفسهم من أمثال محمد شطا ومحمد حمزة
يمكن استدراجهم أيضا إلى غمار الاعمال التكتلية والانقسامية في هذه الفترة .

هذا عن العمال ، فماذا عن الفلاحين ؟

لم يكن الاهتمام بالريف غريبا ، بل كان ضرورة حتمية .

لكن نقطة البدء كما يقول هنري كوربييل « كانت محاولة تلمس وسائل
الفهم وتحديد الأوضاع الطبقيّة وكان هناك اتفاق على الخريطة العامة للريف
عمال زراعيين - فلاحين معدمين - فلاحين متوسطين - فلاحين أغنياء -
اقطاع » لكن الخلاف نشب حول تحديد ماهية كل فئة « وقد لاحظت
أن البعض يعالج الموضوع بالنقل من الكتب الأجنبية ففى الكلاسيكيات
الاروروبية كانوا يقولون أن حدود الملكية المتوسطة هي ٢٠ هكتار وقد ترجمت
هذه الفكرة الى العربية ليصبح الفلاح المتوسط هو من يملك عشرة أفدنة (٣) » .

(١) محضر نقاش مع هنري كوربييل - جلسة المناقشة الثالثة . المرجع
السابق .

(٢) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعي - المرجع السابق .

(٣) محضر نقاش مع هنري كوربييل - جلسة المناقشة الثالثة - باريس -
١٩٧٣/٤/٢ .

هكذا فإن ح . م قد رفضت مثل هذا التفكير الميكانيكي والنقول ،
وقدمت مذهباً آخر . « الفلاح المعدم هو الذى يمتلك أو يستأجر أرضاً
لا تكفيه كى يتعيش منها . وفى التطبيق العملى يعنى ذلك من يمتلك أو
يستأجر فدانا غاقل . أما الفلاح المتوسط فهو الذى يعيش أساساً من عمله
بالأرض التى يمتلكها أو يستأجرها أى من يمتلك فدانين تقريباً ، أما الفلاح
الغنى فهو الذى يعتمد فى زراعة الأرض على العمل المأجور أكثر مما يعتمد على
عمله بنفسه هو وأسرته ، أى أن العنصر الحاسم فى تفكير ح . م هو أن كمية
العمل المطلوبة للأرض تزيد عن قدرة المالك وأن نسبة العمل المأجور أكثر
من نسبة مشاركة المالك فى العمل (١) » .

ولا يمكن القول بأن مثل هذه الأفكار قد تعرضت لخلافات أو
اختلافات جادة معها لسبب بسيط وهو أن الآخرين كانوا - فى أغلب
الأحيان - لا يهتمون أصلاً بمشكلة الريف ولم تكن قد وضعت بعد فى
جدول أعمالهم .

أما فؤاد عبد الحليم ، مسئول قسم الأقاليم فى ح . م ، ثم دائرة الأقاليم
فى « حدتي » فإنه يروى لنا مدى تفاوت اهتمام القيادات المختلفة بالعمل
فى الأقاليم وفى الريف عموماً .

« بعد أن انضممنا الى ح . م (مع جزء من منظمة القلعة) اهتم بى
هنرى كوريل اهتماماً كبيراً ، وقد لعب دوراً فى دفعى للعمل الشيوعى وخاصة
فى الأقاليم حيث عملت فى لجنة المناطق (وهى المسئولة عن النشاط فى المناطق .
أى النشاط ما عدا - القاهرة والاسكندرية) وهى اللجنة التى أسميت فيما
بعد بلجنة الأقاليم . وكان لها فى البداية نشاط محدود فى عدد من المدن
الريفية : شبين الكوم ، شنوان ، الزقازيق ، الاسماعيلية ، المنصورة - ثم
ما لبث النشاط أن اتسع بصورة كبيرة فى الأقاليم وامتد الى القرى من خلال
حث الطلاب من أبناء الريف على النشاط فى الأجازات الصيفية » .

وبعد الوحدة أحس فؤاد عبد الحليم بتغيير غريب . فجانبا من
القيادة لم يكن فقط غير مهتم بالنشاط فى الريف ، بل لعله كان يعتبره انحرافاً
غير محمود العواقب وكان يشعر « فى اجتماعات اللجنة المركزية بأن البعض
غير راض عن اتساع النشاط فى الريف (٢) » .

(١) المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع فؤاد عبد الحليم . المرجع السابق .

وبالنسبة « للحركة المصرية للتحرير الوطنية » أثير ويثار حتى الان الكثير من النقاش حول ما أسمى بالتنظيم الفتوى .

يقول فوزى جرجس « كان التنظيم الفتوى كارثة الكوارث » (١) ولقد هوجم التنظيم الفتوى من منظمات مختلفة البعض هاجمه على أساس أنه ضد النقاء البروليتارى للحزب بحجة أن الحزب هو حزب طبقة واحدة هي البروليتاريا والبعض هاجمه على أساس أن عزل المثقفين والطلاب والاجانب في أقسام مستقلة قد أتاح للسيارات البرجوازية الصغيرة سرعة النوالد في مناخ ملائم الامر الذى أدى الى سهولة الانقسامات والانشقاقات ، والبعض هاجمه على أساس أنه ضد القواعد المتعارف عليها للتنظيم .

وكان لا بد من أن نلجأ الى سؤال قادة ح . م حول هذا الموضوع . وأن نبحت معهم عن الخبرات التى أملت عليهم هذا النمط من أنماط التنظيم .

يقول هنرى كورييل « كانت هناك عدة أسباب لتفضيل هذا الشكل من أشكال التنظيم . أولا أننا لاحظنا أن هناك توسع شديد في بعض المجالات . ولم يفتح الباب أمام القادمين منها لاختل التوازن داخل المنظمة مثلا في مجال الطلبة كان التجنيد واسعا جدا ، وكذلك في صفوف الاجانب في البداية ، فكيف نفتح الباب كي تصبح أغلبية المنظمة من الطلاب أو من الاجانب أليس في ذلك خطر على اختلال التكوين الطبقي والسياسي والتوجه للمنظمة ؟ ولهذا فصلت تنظيم الطلاب مثلا في قسم خاص ، كذلك فقد كان النشاط في مجالات محددة ومن كوادر من نفس المجال يتيح الفرصة لاجراز نتائج باهرة وسريعة . شيوعيون طلاب يقودون طلابا شيوعيين وكان هذا الشكل يحقق تقدما كنا في أمس الحاجة اليه ، وخاصة في البداية ، وكان التخصص ضرورة لازمة ، كوادر تتخصص في العمل في مجال معين وتدرس كل أبعاده واحتمالاته وانعكاساته والفرص الثورية الكامنة فيه . كذلك فقد كانت خططنا بناء منظمة جماهيرية ديمقراطية لكل فئة ، فقد كانت مصر تفتقد المنظمات الجماهيرية مثل اتحاد طلاب ، اتحاد عمال ، اتحاد نسائي . الخ ومن ثم فقد كان تكوين قسم طلابي شيوعي بقيادة من كوادر طلابية شيوعية مثلا خطوة هامة لخلق النواة القادرة على اقامة هذه المنظمات الجماهيرية (٢) .

-
- (١) محضر نقاش مع فوزى جرجس . المرجع السابق .
(٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل ، جلسة المناقشة الثانية المرجع السابق .

ويكمل سيد سليمان رفاعى الصورة موضحا كيف تمت صياغة الشكل التنظيمى الملائم للتنظيم الفتوى قائلا « كانت المشكلة هى كيف نفهم طبيعة مجالات العمل ، الامر الذى دفعنا الى عدم تشكيل مستويات متعددة ، كانت عناك اللجنة المركزية ثم الاقسام مباشرة ، والاقسام قيادات نوعية لمجال محدد ومن نفس المجال فكان هناك مثلا قسم الطيران وتحتة مباشرة توحد الخلايا التابعة له » .

وهكذا كان الشكل التنظيمى للحركة المصرية للتحرر الوطنى كالاتى :

لجنة مركزية لها سكرتارية مركزية من أربعة منهم : هنرى كورييل ، سيد سليمان رفاعى ، كمال شعبان ، ثم أقسام : الطيران (٨٠ عضوا موزعين على خلايا فى كل الاسراب والورش) تم تحول قسم الطيران الى قسم الجيش (بعد اتساع النشاط وسط الكتاب العسكريين والاسلحة الصغيرة ، وسلاح الاشارة وسلاح المهمات وموسيقىات الجيش والصولات وادارة التجنيد ثم وهذا هو المهم وسط الضباط(١) وكان الاسم الحركى لهذا القسم فى بداية الامر « موسى » ثم قسم الطلاب وبعد اتساع النشاط فى الازهر تكون قسم خاص للازهر (٢٢ عضوا موزعين على خلايا فى كلية الشريعة ، كلية اصول الدين ، كلية اللغة العربية ، ومعهد القاهرة الدينى) (٢) .

وكان هناك قسم للعمل . ثم مع اتساع النشاط فى شبرا الخيمة استقل هذا النشاط بقسم خاص هو قسم شبرا الخيمة ثم قسم المحلة الكبرى مع اتساع النشاط العمالى هناك . وكان هناك قسم الأحياء لتنظيم خلايا الأحياء وقسم الاقائيم وقد بدأ أساسا بتجميع الخلايا المتواجدة فى عدد من المدن الربفية (المنصورة - الزقازيق - كفر الزيات - شبين الكوم - طنطا - دمنهور) . وقد تولى مسئولية هذا القسم فؤاد عبد الحليم بعد أن انضم الى ح . م . قادما من « منظمة القلعة » ثم أيضا قسم النوبيين : قد نشط هذا القسم نشاطا واسعا فى أوساط النوبيين وفى تكوين الاندية النوبية وحشد جموع هذه الاقلية المظلومة والشديدة الفقر فى غمار العمل النضالى وفى نفس الوقت احباط المخططات الاستعمارية التى كانت تستهدف فصل النوبة عن مصر . ويتحدث مبارك عبده فضل عن هذه المعركة قائلا « كانت معركة دخلناها كشيوعيين على نطاق الجماهير النوبية ، فقد كانت هناك حملة من حزب الأمة لتشجيع النوبيين المصريين القاطنين

(١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل - المرجع السابق .

في المنطقة بين حلفا والشلال على الهجيرة الى السودان • وكنا نحن
الشيوعيين نرفض ذلك بشدة ونقاومه وقد أسهنا في احباط محاولة قسم
النوبة الى السودان » •

(وكانت قيادة قسم النوبيين في ح*م مكونة من : زكى مراد ، مبارك
عبدہ فضل ، محمد خليل قاسم ، حسين عبد الرحمن جاسر » • (١)

ومن النوبيين امتد نشاط ح*م الى السودانيين المقيمين في مصر ،
والحقيقة أن ح*م • قد أولت قضية السودان اهتمامها بالغا ، وقد بدأ
اهتمامها ببحث هذه القضية عندما اتصل بها ضابط بالجيش من أصل
سوداني هو محمد نجيب ليسأل عن رأى الشيوعيين في القضية السودانية (٢) •

وبعد الدراسة قررت ح*م أن ترفض شعار البرجوازي « نيل واحد •
شعب واحد • ملك واحد » وأن ترفع شعار « الكفاح المشترك بين
الشعبين المصري والسوداني ضد العدو المشترك » وقد بلغ من فرط اهتمام
ح*م بالمسألة السودانية أن ركزت المجلستان العلنيتين الصادرتان عنها
« حرية الشعوب » و « أم درمان » ، وبشكل أساسي ، على القضية السودانية
وقضايا الكفاح المشترك بين الشعبين »

ويروى عبده ذهب قصة تأسيس قسم السودان في ح*م فيقول : « في
عام ١٩٤٣ كلفني التنظيم بالاهتمام بتجنيد عناصر سودانية وبعد ذلك
كلفت بالسفر الى السودان للاتصال بمجموعة شيوعية سمعنا انها موجودة
هناك • وفي الخرطوم قابلت أحد مؤسسي هذه المجموعة وهو ضابط انجليزى
اسمه (استورى) • وقال لى أنه برغم كل ما بذل من جهود لم يستطع أن
يجند سوى شخصين هما أحمد زين العابدين وحسن الطاهر زروق ، وطلب
منى استورى أن أضف نشاطنا الى مجموعته التى يزعم أن يلحقها بنشاط
الحزب الشيوعى الانجليزى • وعند عودتى عرضت ذلك على اللجنة المركزية
وعارض كورييل بشدة وأكد على ضرورة الاسراع بتكوين قسم مستقل
للسودانيين نمهدا لتأسيس تنظيم مستقل في السودان • وفعلا تكون هذا
القسم سريعا وكان اسمه الحركى « شركة الملح والصودا » (٣) •

-
- (١) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل - المرجع السابق •
(٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل : جلسة المناقشة الثالثة • المرجع
السابق •
(٣) محضر نقاش مع عبده ذهب حسنين - المرجع السابق •

وقد انضم الى هذا القسم عبد الخالق محجوب - د* عبد الوهاب زين العابدين - محمد أمين حسين - عبد الرحيم فودة - د* عز الدين على عامر ، عبد الماجد أبو حسبو ، حسن اسماعيل * وقد مثله في لجنة ح*م المركزية اثنان هما عبده دهب وعبد الماجد أبو حسبو .

ثم ما لبثت ح*م أن انتقلت الى مرحلة أخرى : بأن أسهمت في تأسيس التنظيم الشيوعي السوداني المستقل الذى كان نواة للحزب الشيوعي السودانى .

« وفي ١٩٤٥ وصل الى القاهرة شخصان هما حسن الطاهر زروق والمهندس عبد النحميد أبو القاسم ، وعقد اجتماع ضم قادة القسم السودانى بالقاهرة ومندوبى مجموعة الخرطوم وعدد من قادة ح*م هم منرى كورييل و د* عبد الانتاح القاضى وتحسين المصرى * وقد أتم الاجتماع فى منزل كورييل * وقدم المندوبان تقريراً يطالبان فيه بتشكيل تنظيم مسقط له قيادة مستقلة ورافق المجتمعون على ذلك * واتفق على أن يستمر السودانيون المقيمون فى مصر أعضاء فى ح*م وفى حالة عودتهم الى السودان ينضمون فوراً الى التنظيم هناك وفى نفس المستوى الذى كانوا يعملون فيه فى القاهرة * واتفق أيضاً على أنه فى حالة انتقال أى شيوعى سودانى للإقامة فى مصر ولو بصفة مؤقتة ينضم الى المستوى المقابل فى ح*م واتفق على تسمية التنظيم السودانى «الوليد باسم» « الحركة السودانية للتحرر الوطنى » - (حسنو) (١) » .

وهكذا ولد أول تنظيم شيوعى سودانى باسهم مباشر من ح*م . الأمر الذى يعتبر وبحق أحد مفاخر هذه المنظمة .

والحقيقة أن ح*م لم تقصر اهتمامها على تحنيد سودانيين وحدهم فقد كانت أيضاً عدة مجموعات من اليمينيين والليبيين والاثريبيين . . . وكان ذلك تعبيراً عن الادراك الواعى للدور الاممى للمنظمة .

لكننا لا نستطيع أن ننهى الحديث عن ح*م دون أن نعالج قضية بالغة الاعمى وهى موقف ح*م من الوعى النظرى ، لقد ردد بعض كوادرس ايسكرا دعاوى بأن كوادرس ح*م كانوا « عمليين » ولم يهتموا « بالوعى النظرى » وربما كان مصدر هذه الدعاوى هو أسلوب ح*م فى التجنيد وفى تربية الوافدين

(١) المرجع السابق .

الجدد بتكوينهم بروح الاهتمام بالعمل الجماهيرى ومشاكل الجماهير ودفعهم الى معترك الصراع وتثقيفهم أثناء ومن خلال المعترك ، بينما كانت ايسكرا تدخل المرشح الى « زنزانة » التثقيف كما يقول أحد كوادح ح.م بحيث يتعين عليه أولا ولكي يثبت « جدارته » كشيوعى أن يدرس وأن « يلخص » عددا من الكتب . بل وأيضا أن يدرس المادية الجدلية وأن يوافق عليها كشرط لانضمامه الى المنظمة ، كانت ح.م تبدأ الكورس التثقيفى للاعضاء الجدد بمحاضرة عنوانها « عيوب المجتمع » تناقش قضايا المجتمع المصرى ومشاكله وأساليب حلها . ثم تطور المجتمع ، ثم صورة عن المجتمع الاشتراكى ثم محاضرة عن « خلية المنشأة » تناقش قضايا التجنيد والعمل الحزبى . وبعد هذا الكورس أبلغنا المسئول أننا أصبحنا أعضاء (١) »

غير أننا لا يمكننا أن نناقش قضية « الوعى النظرى » دون الاشارة الى حقيقة هامة وهى أن ح.م كانت المصدر الاول والأساسى للنظرية الماركسية فى مصر . ففى انبداية فتحت مكتبة الميدان ، ثم بعد ذلك قدمت لجمهور القراء التقدميين أهم سلسلة كتب نظرية مترجمة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية والتي اشتهرت فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية باسم « سلسلة الكتب الخضراء » .

وربما كانت هذه السلسلة أول جهد مكثف فى الوطن العربى كله لترجمة الأدبيات الماركسية وقد تناولت ح.م هذه القضية باكبر قدر من الاهتمام والعناية فخصصت مكتبا كاملا (مكتب المثقفين) للقيام بهذا العمل « وكانت الترجمة دقيقة جدا وتراجع أيضا بدقة من قبل متخصصين فى اللغة العربية ومتخصصين فى اللغة الانجليزية . بل أننا اعتمدنا فى عملية المراجعة على بعض أعضاء مجمع اللغة العربية (٢) » .

وقد أمكن للحركة المصرية ومن خلال هذا الجهد المكثف أن تقدم لكل المنظمات الشيوعية والقراء المصريين عامة ثروة من الفكر النظرى مترجمة الى اللغة العربية . وقد طبعت منها كميات كبيرة وطرحتها للتوزيع بشكل نصف علنى . وتضم هذه السلسلة ثلاثة عشر كتابا منها :

البيان الشيوعى - تعاليم كارل ماركس (لينين) - الى الريف الفقير (لينين) - عن التنظيم (ستالين) - أسس اللينينية (ستالين) - عن اللغة

- (١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق .
- (٢) محضر نقاش مع فوزى جرجس - المرجع السابق .

(ستالين) - المادية الجدلية والمادية التاريخية (ستالين) - الاشتراكية العلمية والاشتراكية الطوباوية (انجلز) - العمل المأجور ورأس المال (كارل ماركس) - القيمة والثمن والربح (كارل ماركس) - الاقتصاد محرك التاريخ (روجيه جاردوى) - المسألة الوطنية والمستعمرات (ستالين) •

وبهذه الحصيللة النظرية أمكن للشيوخين المصريين أن يجدوا ولأول مرة ، سلاح الماركسية اللينينية متاحا في أيديهم وباللغة العربية •

وكانت ح*م تصدر عديدا من النشرات الحزبية منها :

- « الحقيقة » وهي المجلة الخارجية للتنظيم (كانت تطبع بالرونيو وتوزع حوالى ١٠٠٠ نسخة) •

- « الحياة الثورية » وهي توزع أيضا على غير الاعضاء وتتضمن نماذج ملهمة من حياة المكافحين ويطولات الشيوعيين في الحرب ضد الفاشية (كانت تطبع بالرونيو وتوزع حوالى ١٠٠٠ نسخة) •

- « كفاح العمال » وهي مجلة للتوزيع الخارجى وخاصة في مجالات العمال وكانت تهتم أساسا بالمشاكل العمالية (كانت في البداية تطبع بالرونيو ثم طبعت بالمطبعة وكانت توزع حوالى ٣٠٠٠ نسخة (١) وفي بعض الأحيان ارتفع توزيعها الى ٥٠٠٠ نسخة (٢)) •

« الوعي » وهي مجلة نظرية للتوزيع على الاعضاء ••

•• وبهذا نقف بالحركة المصرية للتحرير الوطنى وهي على عتبات الوحدة مع ايسكرا •• وكان مجموع عضوية ح*م قبيل الوحدة حوالى ٦٠٠ عضو (٢) •

منظمة اتحاد شعوب وادى النيل :

من بين امتدادات الحزب الشيوعى المصرى (القديم) كانت هناك مجموعة تضم د* عبد الفتاح القاضى ومحمود حسنى العربى (السكرتير

(١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق •

(٢) محضر نقاش مع زكى مراد - جلسة المناقشة الثانية - القاهرة -

١٩٧٤/١١/٢٥ •

(٣) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق •

العام السابق للحزب) وبعض الكوادر أمثال عبد الرحمن فضل ، محمد دويدار ، شعبان حافظ ، د. حسونة . الخ ، وفي نهاية الثلاثينات أنضمت الى هذا التنظيم مجموعة من ثلاثة عبد الفتاح الشرقاوى ، عبد المغنى سعيد الشيخ سعاد جلال ، وكانت هذه المجموعة تؤمن بالماركسية في جوانبها الاجتماعية والاقتصادية بينما ترفض الفكر المادى « (١) » .

وما لبث حسنى العربى أن انشق عن المجموعة كاشفا فجأة عن ميول فاشية صرفة واستمر هذا التنظيم الصغير في التواجد محاولا ألا يثير أية خلافات نظرية في صفوفه .

ومن خلال ضابط انجليزى شيوعى كان موجودا بمصر ضمن قوات الاحتلال اسمه ، سام باردل التقت هذه المجموعة مع منظمة ح.م . واتحدت معها (٢) .

لكن عبد الفتاح الشرقاوى قبل التواجد في صفوف الحركة المصرية للحرر الوطنى على مضض فقد كان لا يزال يؤمن باقامة منظمة ماركسية ترفض الفكر المادى وتتمسك بتعاليم الاسلام ، ومع ذلك فقد استمر في صفوف ح.م' وأصبح عضوا في لجنتها المركزية .

ويقول هنرى كورييل « كان عبد الفتاح الشرقاوى متدينا وكان يقطع اجتماعات اللجنة المركزية ليؤدى الصلاة . والحقيقة انه انضم اليها وهو ضدنا لاننا غير مصريين ، ولكنه انضم اليها ليكسب الخبرة اللازمة لكي يؤسس تنظيما جديدا . وكان الدين أحد أسباب الخلاف ، فهو لم يكنف بموقفنا الايجابى من الدين لكنه كان يفهم الماركسية فهما اسلاميا صرفا » (٣) .

ويؤكد عبد الفتاح الشرقاوى ذلك قائلا أن خلافه الاساسى كان يتركز حول موضوعى الدين وتواجد الأجانب في التنظيم (٤) .

وانتهز الشرقاوى أول انعطافة في العمل السياسى « للحركة المصرية للحرر الوطنى عندما تنبأت بانفجار المظاهرات في ٦ أكتوبر ١٩٤٥ ،

(١) محضر نقاش د. عبد الفتاح القاضى - المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) محضر نقاش مع هنرى كورييل - جلسة المناقشة الثانية - المرجع السابق .

(٤) محضر نقاش مع عبد الفتاح الشرقاوى - المرجع السابق .

فلما لم تتحرك المظاهرات انسحب الشرقاوى معلنا فشل التنظيم ومؤكداً أن البلاد تمر بحالة جذر شديدة تتطلب عملاً سريعاً صرفاً ، وداعياً إلى تأسيس تنظيم ماركسى يلتزم بتعاليم الاسلام .. أسماه « منظمة اتحاد شعوب وادى النيل » وأطلق عليه البعض من قبيل المزاح اسم « الحرب الشيوعى الاسلامى » .

وعلى أية حال فإن الحذر الشديد والمبالغ فيه (والذي جعل من هذه المنظمة مجرد توقعات بدون تأثير يذكر) لم يفد صاحبه فكان أول من صدر حكم ضده بالسجن خمس سنوات في قضية شيوعية عام ١٩٤٨ . وكان القبض على عبد الفتاح الشرقاوى هو النهاية لهذه المنظمة .

✽ العصابة الماركسية :

✽ نواة الحزب الشيوعى المصرى .

عندما انضمت مجموعة د. عبد الفتاح القاضى الى ح.م ، كان انضمامها مجرد تعبير عن الرغبة في التوحيد وفي الخروج من مأزق الطقة الصغيرة غير القادرة على الاتساع أو الاستجابة لمتطلبات الوقت .

وكانت هذه المجموعة مكونة - على صغرها - من اتجاهين أولهما هو اتجاه الكوادر القحيمية التى تعتبر امتداداً للحرب القديم وكانت هذه الكوادر تمتلك تحفظات عدة على ح.م ، لعلها كانت تعبيراً عن خبراتها المبررة الطويلة ويمكن القول بأن هذه التحفظات كانت تتلخص في موضوعين :

(أ) دور الاجانب في التنظيم .

(ب) أساليب العمل التنظيمى ..

أما الاتجاه الثانى فهو الذى وصفه د. عبد الفتاح القاضى بأنه « جناح يمينى يؤمن بالماركسية دون الفكر المادى » (١) .. وعلى مضض بدأ الدكتور عبد الفتاح القاضى نشاطه في صفوف ح.م حيث تولى قيادة قسم المثقفين في المنظمة .. والتقى الدكتور القاضى بفوزى جرجس وهو موظف بسيط جذبته الاناخذ العام نحو « الاتحاد الديمقراطى » وهناك « وبعد محاضرة ألقاها الدكتور الاهوانى عن علم النفس ، جرت مناقشة حضرها

(١) محضر نقاش مع د. عبد الفتاح القاضى - جلسة المناقشة الثانية القاهرة في ٢٣/٩/١٩٦٨ .

بعض الأجانب كان بينهم مارسيل اسرائيل الذى اهتم بى وضمنى الى
النادى » *

« وبعد الاتحاد الديمقراطى انضمت الى نادى « ثقافة وفراغ » .
وعملت مع مارسيل وأحسست أن خلفه مجموعة ن الناس ، ولكنه وبرغم
ارتباطنا معا كان وثيقا فانه لم يفانحنى فى أية مسائل تنظيمية » (١) *

وبدا فوزى جرجس فى دراسة الماركسية وتجمع حوله بعض المثقفين
الشبان بلغ عددهم حوالى ١٥ شخصا « وأحسست بمسئوليتى تجاه هؤلاء
الشبان ولجأت الى الدكتور القاضى لانضم الى الحركة المصرية للتحرر
الوطنى ، وكان لجوئى اليه بسبب احساسى بعدم خبرتى التنظيمية ولنفتى
الشخصية فيه » (٢) *

وربما كان انضمام فوزى جرجس الى ح . م من خلال د . عبد الفتاح
القاضى تعبيراً عن مشاركته له فى بعض أفكاره ، وربما كان هذا الانضمام
بداية لاسيما لأن الدكتور القاضى للوفاد الجديد الشباب تحفظاته التى
يخزنها . وبطبيعة الحال انضم فوزى جرجس الى قسم المثقفين
حيث يبدأ مع الدكتور القاضى وبقيّة أعضاء قسم المثقفين فى ترجمة سلسلة
الكتب الخضراء ، ولعل هذا الحماس الذى أتموا به هذا العمل الهام كان كما
يقول فوزى جرجس تعبيراً « عن احساسنا بضرورة تثقيف الكادر المصرى » *

وتظل هذه المجموعة على تحفظاتها التى يلخصها فوزى جرجس فى
تحفظين أساسيين :

١ - تحفظ حول افتقار القواعد والعلاقات التنظيمية الصحيحة ،
وضرورة أن تكون العلاقات بين الكادر حزبية وليست شخصية (وتفنول
هذه المجموعة أن هنرى كورييل كان يقيم علاقات شخصية مع بعض الكوادر
ويربطها به على أسس شخصية) *

٢ - تحفظ حول دور الأجانب **

(١) محضر نقاش مع فوزى جرجس . أجريت المناقشة بالقاهرة فى
١٩٧٦/١/١٧ *

(٢) المرجع السابق *

ثم ما لبثت هذه المجموعة أن انقسمت معلنة تنظيم « العصابة
الماركسية » .

وتتفق الروايات في تحديد تاريخ هذا الانقسام تحديداً دقيقاً فقد
تم وبشكل مباشر في أعقاب حملة الارهاب العنيف التي شنها اسماعيل
صدقي في ١١ يونيو ١٩٤٦ .

ويسود الحركة الشيوعية المصرية رأى بأن مجموعة العصابة انقسمت
من ح.م بعد الضربة على أساس شعار « احنا الرأس للعاصفة » . ويؤكد
من نائنتهم من الكوادر هذه المسألة .

يقول هنري كورييل « في ظروف الضغط الرجعي على الحركة تولدت
تيارات يسارية تبلورت فيما بعد في مجموعة م.ش.م واتجاهات يمينية مثل
مجموعة فوزى جرجس التي رفعت شعار « احنا الرأس للعاصفة » (١) .

ويقول مبارك عبده فضل أن مجموعة العصابة « انقسمت صغير من
ح.م خرجوا بعد حملة صدقي في عام ١٩٤٦ مطالبين باحنا الرأس
للعاصفة » (٢) .

أما سيد سليمان رفاعي وكان أحد الذين عاصروا عملية الانقسام من
موقعه كأحد قادة ح.م في ذلك الحين فيقول « بعد ضربة صدقي وضع
د. عبد الفتاح القاضى وفوزى جرجس (قسم المثقفين) تحايلاً بطائب
بضرورة احنا الرأس للعاصفة ، وعقد عبد الفتاح القاضى اجتماعاً لمن
بقى من أعضاء المكتب السياسى بالخارج من خلف ظهري وعند وافق الاجتماع
على هذا الخط وكتب بيان يدور حول هذا المعنى ، فلما علمت بذلك هاجمتهم
وقلت لهم أن هذا خط استسلامى وسحبنا البيان من الجهاز الفنى وكتبت
بدلاً منه بياناً غنياً أكد فيه أن الشعب المصرى يستطيع أن يزد على
هذه الضربة ، وتحدياً للضربة ولهذا الخط الاستسلامى أسسنا جهاز طباعة
بالحروف وأصدرنا عليه « كفاح الشعب » وهذا البيان . » (٣) .

(١) محضر نقاش مع هنري كورييل - جلسة المناقشة الثانية - باريس .
١٩٧٠/١/٢٥ .

(٢) محضر نقاش مع مبارك عبده فضل - جلسة المناقشة الاولى -
١٩٧٤/١٢/٢ .

(٣) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعي - أجريت المناقشة بالقاهرة
في ١٩٧٦/١/١٢ .

لكن فوزى جرجس يصمم على نفى ذلك ويقول « أن ح*م قد تفككت بعد الضربة ونحن كونا العصبة الماركسية لمواجهة الضربة » ويقول « أن شعار احناء الرأس للعاصفة هو محض اختراع وأنا لم أسمع به إلا في المعتقل »

ومع وضع تأكيدات فوزى جرجس في الاعتبار ، فإن كثيرا من الكوادر يؤكدون أن العصبة الماركسية قد تبنت قولاً وفعلاً شعار « احناء الرأس للعاصفة » على الأقل في الفترة التالية لضربة صدقي في يوليو ١٩٤٦ .

والمهم أن تنظيمًا جديدًا قد وجد في يوليو عام ١٩٤٦ اسمه « العصبة الماركسية » ، وكان مسئوله السياسى الدكتور عبد الفتاح القاضى والممثل التنظيمى فوزى جرجس والقيادة المركزية مجموعها خمسة أشخاص أما إجمالى عدد التنظيم فكان حوالى ٦٠ عضواً (١) .

أما المنهج الذى سار عليه التنظيم فيلخصه مسئوله التنظيمى فيما يلى :

١ - عدم ادخال أجانب فى التنظيم مطلقاً .

٢ - الاهتمام بالتكوين العضوى للتنظيم ومراجعة قوائم العضوية باستمرار بحيث يكفل وعلى الدوام التوجه نحو العمال .

٣ - إلغاء التنظيم الفئوى .

وكان للتنظيم نشرة خارجية اسمها « الأجير » (توزع حوالى ٤٠٠ نسخة) ونشرة داخلية . ويقول فوزى جرجس « أن الانحفاع فى التنظيم لم يكن مرضياً وما لبث الكثير من المثقفين أن هربوا من الكفاح بما فيهم المسئول السياسى للمنظمة نفسه ، وكان الخطأ الأساسى والجذرى هو أن المنظمة لم يكن بها محترفين على الإطلاق » (٢) .

ثم ما لبث هذا التنظيم أن تعرض لضربة من داخله أدت الى اصابة الكثير من كوادره بحالة من الشلل والتردد ويروى فوزى جرجس هذه الواقعة قائلاً « عندما تكون ما أسمى بالحزب الشيوعى المصرى ، تكون فى شكل ديماججى وأنشعوا أن هناك تكليف للرفيق خالد من الحزب الشيوعى الفرنسى (الذى قيل أنه المسئول عن متابعة نشاط الحركة الشيوعية فى الشرق الاوسط) بالعمل على تكوين الحزب الشيوعى المصرى ، وأن كل من لا ينضم للحزب

(١) محضر نقاش مع فوزى جرجس - المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

يعتبر خارجا على الحركة الشيوعية وخائن ، وقد تأثر بهذه الخدمة أحد المسؤولين في العصبة وهو طوسون كيرلس وكان مسئول الجهاز الفنى وقد خرج بطريقة مريبة ودون أن يثير معنا أى نقاش ، وقد أشار ذلك خوف عدد كبير من الكوادر في المنظمة وقالوا أنه سوف يكشف كل أسرار المنظمة ، وبدأوا في الانسحاب بهدوء ..» (١) .

ولا بد لنا أن نتوقف هنا لنلاحظ نوعية هذا الكادر ولنشير إلى توافق مثل هذه النوعية مع شعار « احناء الرأس للعاصفة » .

وبعد هذا التفكك في المنظمة يعيد فوزى جرجس في نهاية عام ١٩٤٩ تجميع شملها باسم جديد تأثر طبعا باسم التنظيم الذى أشار كل هذا الارتباك في صفوفهم وكان الاسم الجديد « نواة الحزب الشيوعى المصرى » ويقول فوزى جرجس « كانت النواة امتدادا للعصبة بأيديولوجيتها وتفكيرها » .

واستمرت النواة في اصدار النشرة الخارجية « الأجير » ونشرة داخلية سُميها « الطليعة » .

وكانت جماعة العصبة ثم النواة فيما بعد تتمسك بوجهة نظر تجاه قضية الوحدة تتلخص في ضرورة تحديد نقاط الخلاف وتصفيدها أولا من خلال صراع أيديولوجى مفتوح بين الكادر في مختلف المنظمات على أن تشكل لجنة لإدارة الصراع الأيديولوجى ثم يعقد مؤتمر للكادر .. والمؤتمر يحسم كل شيء .

ومن هنا فقد قاومت العصبة وحدة ح.م.م. و.ايسكرا ، ومن هنا أيضا كان حماسها لفكرة « اللجنة التحضيرية لمؤتمر الحزب الشيوعى المصرى » التى تكونت في نهاية عام ١٩٤٨ واشتركت فيها ومثلها فوزى جرجس لكنه سرعان ما انسحب منها عندما حاولت المنظمات أن توحد نفسها لأنه اعتبر أن الصراع الأيديولوجى لم يستكمل أركانه بعد (١) .

وظلت « النواة » تنظيما صغيرا ، يعاني من الطقية والعزلة الى حد كبير حتى انضم الى تيار الوحدة في عام ١٩٥٦ والذى تكون من خلاله « الحزب الشيوعى المصرى الموحد » .



(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

منظمة صغيرة ، يقال انها نتاج لانشقاق صغير قاده د. حسونة * وهو أحد كوادر الحزب القديم التي انضمت الى ح.م ضمن مجموعة الدكتور القاضى وكانت بطبيعة الحال تحمل نفس التحفظات التي يحملها كل أعضاء هذه المجموعة . ولكن د. فؤاد مرسى يؤكد أنه أسس هذه المجموعة قبل سفره الى باريس عام ١٩٤٧ (١) .

١. وقبيل انقسام الدكتور القاضى (العصابة الماركسية) كان الدكتور حسونة قد انشق ومعه أحد خلايا قسم المثقفين بالاسكندرية والاعلي أن مبررهم الاساسى كان حول دور الاجانب فى الحركة .

وقد استمرت هذه المنظمة فى التواجد كحلقة صغيرة تعمل فى اطار المثقفين فى مدينة الاسكندرية وحدها حتى اُسُميت (طليعة - الاسكندرية) . وكان مظهر التعدد الوحيد فيها هو عدلى جرجس موسى أحد قيادات رابطة خريجي المدارس الصناعية وعمال السكة الحديد .

وكانت تضم فى منتصف ١٩٤٧ أى عندما دعت للوحدة ما لا يزيد عن ٢٠ عضواً (٢) معظمهم من المثقفين وكانت قيادة هذه المجموعة (د. حسونة ، يوسف موسى (مدرس) ، شخص يدعى عبد الحكيم (مدرس) ، شخص يدعى لطفى (موظف بشركة مياه الاسكندرية) ، عدلى جرجس (عامل سكة حديد) . ولم تكن هذه المجموعة تصدر أية نشرات لكنها كانت تعتمد على ما لديها من الكتب الخراء (٢) .

(*) د. حسونة - صانع أسنان - أحد كوادر الحزب الشيوعى القديم . أرسل فى منتصف العشرينات الى موسكو للدراسة فى جامعة كادحي الشرق ، ثم عاد واستقر فى الاسكندرية حيث كون مجموعة كان لها نشاط محدود فى منتصف الثلاثينات واستمرت هذه المجموعة فى النشاط حتى التقت مع مجموعة الدكتور القاضى وعمالاً معها . وبعد أن انضمت المجموعة الى ح.م عمل د. حسونة فى قسم المثقفين وقد أسهم بصورة أساسية فى تهيئة امكانيات طباعة بعض الكتب الماركسية التى صدرت ضمن المجموعة الخراء (المؤلف) .

(١) د. فؤاد مرسى - حديث لجريدة الاهالى ١١ - ٩ - ١٩٨٥
(٢) محضر نقاش مع عدلى جرجس موسى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٦/٢/١٩٧٦ .
(٣) المرجع السابق .

وعندما ارتفعت موجة الوحدة تميزت منظمة الطلبة عن شقيقتها
العصبة الماركسية بأنها قبلت شعار الوحدة ، وسافر كورييل وسيد
رفاعي الى الاسكندرية لمفاوضة قادة المنظمة الذين اشترطوا تمثيلهم في
القيادة ، ثم استقر الامر في النهاية على أن تمثل في اللجنة المركزية للمنظمة
الموحدة بشخص واحد هو لطفي موظف شركة المياه على أن يكون مسئول
منطقة الاسكندرية الموحدة ولكن سرعان ما اكتشف الجميع أن طبيعة عمل
لطفي في شركة مياه الاسكندرية تعوق نشاطه في اللجنة المركزية وحل محله
شخص آخر من نفس المنظمة هو عدلى جرجس (١) .



ويبقى بعد ذلك أن نشير الى أن الرجعية المصرية لم تكن لامستريحه
ولا غافلة عن هذا النشاط . كذلك كان الاحتلال البريطاني والقصر الملكي
يتابعان بقلق متزايد هذا النشاط . ومنذ يونيو ١٩٤٥ تشكل جهاز
بوليسى خاص لمقاومة الشيوعية .

وترصد السفارة الامريكية هذه الخطوة وترسل تقريراً الى وزارة
الخارجية الامريكية جاء فيه :

« في يونيو ١٩٤٥ تأسس قسم خاص بمقاومة ومناجعة النشاط
الشيوعي في البوليس المصرى وقد تكون هذا القسم في أعقاب اجتماع عقد
بين اللورد كيلرن ورئيس الوزراء النقراشى باشا ، وتلاه اجتماع آخر بين
النقراشى وحسن رفعت واللواء فيتزباتريك وقد ترأس هذا القسم القسائم
حمدى بك الذى أشرف على عمليات القبض الاخيرة على العناصر
الشيوعية » (٢) .

ولا شك أن السفارات الاجنبية قد اهتمت هي الاخرى بهذا النشاط ،
بل وسعت لأن تكون لها مصادر خاصة حوله . والوثائق البريطانية
تتضمن أحياناً إشارة الى « مصدرنا الخاص داخل الحركة » كذلك يبدو أن
السفارة الامريكية قد فعلت نفس الشيء وربما من خلف ظهر البوليس المصرى -

(١) المرجع السابق .

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :

ويلف النظر القبض على شخص يدعى «أ.س.ع» وكان يعمل بمكتب
السفارة الأمريكية مترجما في الاستعلامات الأمريكية . (وقد راعينا ألا نذكر
الاسم كاملا رغم وروده بالوثيقة . المؤلف) .

وقد أرسلت السفارة الأمريكية تقريرا الى واشنطن من ثلاث صفحات
فولسكاب يتضمن دفاعا حارا عن الموظف المذكور ويوضح كيف تدخل «فراك
آلان» مدير مكتب الاستعلامات الأمريكي أكثر من مرة لدى البوليس المصرى
ولدى النيابة حتى تم الافراج عنه . (١)

(١) وثيقة من ثلاث صفحات مودعة بأرشفيف وزارة الخارجية الأمريكية
تحت رقم :

— RG 319 Mis — 302100 — AL — 31 Aug. 46.

ومؤشر على هذا التقرير عبارة بخط اليد تفيد أنه حرر بمعرفة
الكولونيل وليام ماكنون المحق العسكرى بالسفارة .

.. الوحدة

وفي غمار هذا الكفاح المحتدم كانت قواعد المنظمات المختلفة تتلاقى في العديد من المجالات وخاصة في الجامعة حيث تواجد الكثير من كوادر « ح.م.م. وايسكرا » ليكتشف كل منهم وجود الآخر ، وليكتشف أيضا أنه لا توجد خلافات جادة في السياسة تستدعى هذه الفرقة .

• وكان اند الجاهيري عارما يحمل معه آفاقا نضالية رحبة .

• وقد حاول صدقي أن يضرب الحركة الوطنية والتقدمية ضربة قاصمة

• وفشل .

• وكانت الأحزاب الشقيقة تدخل ساعية لتوحيد المنظمات المختلفة ،

ومعروف أن الأحزاب الشيوعية في فرنسا وانجلترا ولبنان وفلسطين قد لعبت دورا في الدعوة الى التوحيد .

وهكذا تهيأ المناخ للوحدة ••

فماذا كانت المواقف حولها ؟؟

جماعة « ط.ش.ت » دعيت وحضرت الاجتماعات الاولى ثم انسحبت ، بل وحضرت الآخرين على الرفض والحقيقة أن جماعة ط.ش.ت ام تتكف بالانسحاب من الوحدة وانما قامت بحركة غاية في الخطورة وهي أنها جمعت معها عددا من المنظمات الصغيرة (العصابة الماركسية ، منظمة اتحاد شعوب وادي النيل ، جزء من تحرير الشعب - المؤلف) • وما أن تمت الوحدة في يونيو ١٩٤٧ حتى فوجئ التنظيم الذي يجري توقيده ببيان اسمه « بيان جبهة المعارضة » يهاجم الوحدة ويصفها بالانتهازية ، ويهاجم المنظمة الجديدة مجوما عنيفا • والغريب في الامر أن « ط.ش.ت » لم تكن تعترف بمثل هذه المنظمات ولكنها استخدمتها فقط لتكريس الانقسامية « ولقد كان هذا البيان هو البداية الحقيقية لحملة الشتائم والمهاترات والانتهاكات في صفوف الحركة الشيوعية ، فقبلها كانت العلاقات ودية بين الجميع » (١) •

وثمة رواية أخرى تعزز نفس الفكرة « كان تيار الوحدة قويا في قواعد مختلف المنظمات ، وحظي هذا التيار بتأييد قيادات الأحزاب الشيوعية اللبنانية والفلسطينية خلال مرورهم بالقاهرة كذلك بتأييد عضوين من الحزب الشيوعي البريطاني • وشكلت لجنة للوحدة ودعيت كل من المنظمات الأربع (ح.م.م. ، ايسكرا ، تحرير الشعب ، ط.ش.ت - المؤلف)

(١) محضر نقاش مع زكي مراد - جلسة المناقشة الثانية - القاهرة -

١٩٧٤/١١/٢٥

الى ارسال ممثلين عنها في تلك اللجنة لمناقشة الخلافات التي تفصل بين تلك التنظيمات ووافقت على ذلك جميع المنظمات ما عدا « ط.ش.ت » التي رفضت الاعتراف بأن المنظمات الثلاث الاخرى شيوعية ، ولكن المنظمات الثلاث قررت استئناف المناقشات في موضوع الاتحاد ، وقام على الفور تعاون وتنسيق على مستوى العمل العلني . وتكونت لجان فرعية للتنسيق . وقد انضمت ط.ش.ت الى احدى هذه اللجان وهي اللجنة المختصة بتوجيه الصحافة العلنية . وفي النهاية تعاونت التنظيمات الثلاثة في اصدار نشرة شهرية اسموها « وحدة » . وقد اصطدمت هذه المحاولة بالعناد الانفصالي لمجموعة ط.ش.ت « (١) » .

وثمة وثيقة أمريكية تمسك بهذا الخيط وتبدى اهتماما بالغاً به ، فتشير الى تجمع « الهيئات الديمقراطية » والى عقدها اجتماعاً مشتركاً « ضم ممثلين للهيئات والتجمعات الآتية : مجلة أم درمان (ومثلها عبد، ذهب وأمين حسين) مجلة الفجر الجديد (ومثلها أحمد رشدي صالح وأبو سيف يوسف) رابطة فتيات الجامعة (ومثلها لطيفة الزيات) لجنة نشر الثقافة الحديثة (ومثلها سعيد عبد المعطي خيال) دار الابحاث العلمية (ومثلها شهدى عطية) » (٢)

ولعله لم يكن من قبيل المصادفة أن تعتبر السفارة الأمريكية أن تجمع الهيئات الديمقراطية هو أخطر نشاط سياسي وقع في الفترة الأخيرة .

أما صادق سعد فيقول انهم رفضوا هذا النوع « من التوحد الوفاقي والذي قد يقوم على أساس توزيع المناصب في القيادة أو على أساس تنازلات غير مدعونة » .

وعن جبهة المعارضة - التي يؤكد الكثيرون صدور بيان باسمها - يقول صادق سعد « لا أذكر . ولا أعتقد . وكل ما أذكره في هذا الصدد أنه في يوم ما كانت محاولة من جانبنا للاتحاد مع تنظيم لا أذكر اسمه وإنما أذكر أن سعيد خيال كان في قيادته (مجموعة من منظمة تحرير الشعب كانت تعمل أساساً في لجنة نشر الثقافة الحديثة - المؤلف) . ولكن الاتصال بهم لم يثمر » (٣)

(١) مارسيل اسراييل (شيريزي) - تقرير بالالة الكاتبة الفرنسية - المرجع السابق .

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الأمريكية تحت رقم :

RG 319 - 291034 - 30 June 46. - A1

T

(٣) محضر نقاش مع أحمد صادق سعد . المرجع السابق .

أما فوزى جرجس (العصابة الماركسية) فيفسر موقفهم من الوحدة كما يلي : لقد كان لنا مبدأ ، أنه قبل أى وحدة يجب أن تتم مناقشة أيديولوجية كاملة وتحدد نقاط الخلاف تماما ، ثم تحسم المسألة عن طريق اجتماع الكادر وبقرار الكادر ما يراه . وهكذا كنا نرى عقد لجنة لإدارة صراع فكرى ، ثم يعقد مؤتمر يقرر ما يراه « (١) » .

وهكذا وفي نهايات ١٩٤٦ وبدايات ١٩٤٧ كانت خريطة الحركة الشيوعية المصرية فيما يتعلق بالوحدة كما يلي :

✻ ح.م. ، ايسكرا ، تحرير الشعب ، تناقش مع قضية التوحيد وتصدر نشرة اسمها « وحدة » وتنسق فيها بينها في المجالات الجماهيرية .

✻ منظمة القلعة ترى أن تيار الوحدة هو الأقوى ومن ثم تقرر الانضمام الى هذا التيار ثم تختلف كوادرها ، البعض ينضم الى ايسكرا والبعض الآخر الى ح.م .

✻ منظمة الطليعة (الاسكندرية) توافق على الوحدة بشرط تمثيلها في القيادة .

✻ ط.ش.ت ترفض الوحدة على أساس أنها لا تتم بشكل مبدئى .

✻ العصابة الماركسية ومنظمة اتحاد شعوب وادى النيل ترفضان الوحدة بنفسى الحجة .

✻ مجموعة من تحرير الشعب تنشق عليها وترفض الوحدة . وتداول الاسم برفس الاسم ثم تتوقف (٢) .

لكن هذه الصورة كانت تحتوى فى داخلها على بعض التناقضات . فإيسكرا ، كانت تخضع لضغوط شديدة من قواعدها من أجل التوحيد السريع والعاجل وقد وصل الامر الى حد اعلان بعض طلاب ايسكرا بزعامة عبد المنعم الغزالى تمردهم وتهديدهم بالانقسام ما لم تتم الوحدة فوراً (٢) ويؤكد مثل هذا الموقف كادر آخر من كوادر ايسكرا هو محمد الجندى فيقول « كان موقف الجميع بشكل عام مع الوحدة . والحقيقة أن الاتجاه للوحدة كان هو المطلب الصحيح للتيسار الثورى والذى ظل ثوريا ، والوحدة

(١) محضر نقاش مع فوزى جرجس - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع سعيد خيال - المرجع السابق . وأيضا مارسيل

اسرائيل - المرجع السابق .

(٣) محضر نقاش مع عبد المنعم الغزالى - المرجع السابق .

تمت على أساس صراع بين مفاهيم ، وقد حسم الصراع لصالح مفاهيم ح*م* (١) . وإذا كان قسم الطلاب بالجامعة قد تأثر بتسيار الوحدة الى هذا الحد ، فان قطاعا من ايسكرا هو قطاع الأجانب لم يكن يدرى بشئ ، ذلك أن الطلاب قد شعروا بوجود كواد ح*م* معهم وبأهمية الوحدة معهم وبصورتها . أما أقسام ايسكرا الاخرى فلم تكن تعرف شيئا حتى عن مجرد وجود منظمات أخرى « وفجأة وفي أحد الدورات الداخلية بدأوا يتحدثون عن الوحدة ، عن المنظمة أ ، والمنظمة ب والمنظمة ج دون ذكر أية أسماء أو تفصيلات (٢) » .

بينما كان الوضع في صفوف ح*م* مختلفا ..

فأحد الكوادر الأساسية في قيادة ح*م* (سيد سليمان رفاعي) كان يرى « أن ايسكرا تنظيم غير ثوري وانما يضم عناصر ثورية ، وان واجب الحركة المصرية هو استخلاص العناصر الثورية من خلال الكفاح وضها الى صفوفها وتصفية ايسكرا . ومن هنا أنا كنت ضد الوحدة وكنت أشعر أن الوحدة كارثة وأعتقد أن الوحدة فرضت فرضا تحت مؤثرات خارجية فقبل الوحدة وصل بعض أعضاء الحزب الفرنسي وممثلين من الحزب اللبناني والحزب الفلسطيني وعملوا مناقشات .. وكان رأينا أن ايسكرا تنظيم يتطور باتجاه غير ضالني وأنها مكونة أساسا من قسم أجانب يمكن أن يتحولوا جميعا الى عاطفيين » وأعود فأسأله : من كان في قيادة ح*م* مع الوحدة ومن كان ضدها ؟

فيقول « عند الوحدة كنت مسجوناً في السجن العربي ، لكن اعتقادي أن أغلبية القواعد في ح*م* كانت ضد الوحدة ولم ترحب بها . وكان كوربيل هو القوة التي جرت ح*م* للوحدة (٣) » .

ويؤكد كادر آخر من كوادر ح*م* هو فؤاد حبشي هذا الموقف (٤) « .

وكادر ثالث من عمال ح*م* هو محمد شطا يؤكد أنه كان هناك تباين معارض للوحدة في ح*م* . ويقول « لم تكن ضد الوحدة من حيث المبدأ

(١) محضر نقاش مع محمد يوسف الجندي - أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٩٧٦/٢/٤ .

(٢) محضر نقاش مع البير آرييه - جلسة المناقشة الثالثة - المرجع السابق .

(٣) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعي - المرجع السابق .

(٤) محضر نقاش مع فؤاد حبشي - أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٩٧٦/٢/٢ .

ولكن كنا ضد نوعية كوادر ايسكرا وضد تكوينها العضوى وضد أساليبها ومنطلقاتها ، وكنا نطالب بتصفية ايسكرا وليس بالوحدة معها (١) » .

كان هذا هو منطق عمال ح.م لانهم ببساطة كانوا ينظرون الى ايسكرا كمنظمة من الاجانب والأغنياء ..

أما طلاب ح.م فقد وجدوا في الجامعة عناصر نضالية من ايسكرا ومن هنا رحبوا بالوحدة معها ، بل نجدهم يقولون « أن الوحدة قد فرضت فرضا على شوارتز وأنه قبلها على مضض ، وهكذا وتحت ضغط قبلت قيادة ايسكرا الوحدة (٢) » .

ولكن فيم كان يتناقش المتفاوضون من المنظمات الثلاث ؟ ..

يقول زكى مراد « وبينما كانت الوحدة قد تمت كواقع عملى بين القواعد ، كانت القيادات تناقش ثلاث مسائل أساسية من الناحية النظرية :

(أ) المركزية الديمقراطية وضوابطها .

(ب) التمسير وهل هو واجب فوري كما تطالب ح.م .

(ج) التعميل (٣) .

وبينما تجرى مباحثات الوحدة .. وبينما القواعد تعمل معا تشكلت ثلاث لجان واحدة في مجال الطلاب زكى مراد (ح.م .) ، وجمال غالى (ايسكرا) - وأخرى في شبرا الخيمة محمد شطا (ح.م .) ، ومصطفى بقشيش (ايسكرا) - وثالثة في مجال المثقفين : شهدى عطية (ايسكرا) ، كمال شعبان (ح.م) وفجأة وبدون مقدمات أعلنت ايسكرا - وفي محاولة لاستجماع القوة في مواجهة ح.م . - توحيد نفسها مع تحرير الشعب وجزء من « القلعة » .. معلنة منظمة الطلبة المتحدة .. ثم مالبت أن توحدت مع (ح.م .) فعلن قيام أكبر وأشهر منظمة شيوعية في تاريخ مصر الحديث « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - حدثو » .

(١) محضر نقاش مع محمد شطا - أجريت المناقشة بالقاهرة في

١٩٧٦/٢/٤ .

(٢) محضر نقاش مع زكى مراد - المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

الطليعة المتحدة :

كانت « الطليعة المتحدة » ثمرة وحدة متمثلة بين « ايسكرا » و « تحرير الشعب » (أو بالدقة غالية « تحرير الشعب » فقد رأينا أن قطاعا من هذا التنظيم قد رفض مبدأ الوحدة) وبين مجموعة من منظمة الفلعة (فقد فصلت مجموعة أخرى من نفس المنظمة الاتحاد من خلال ح.م) .

وبرغم أن « الطليعة المتحدة » قد أعلنت عن نفسها كمنظمة مؤقتة تماما وأن مهمة قيادتها تنحصر في اتمام الوحدة مع ح.م » فإن البعض يتهمها بأنها كانت ذات نتائج ومبررات سلبية تماما ، فهذا البعض يرى :

(أ) أن « الطليعة المتحدة » نشأت دون مبرر الا الضغط على ح.م .
للاسراع بالوحدة دون انضاج أية مناقشات حول القضايا المطروحة : المركزية الديمقراطية - التمسير - التعميل . الأمر الذي أدى في النهاية الى اتفاقات شكلية وغير مبدئية .

(ب) أنها كانت محاولة لاستجماع قوى عديدة ، والتظاهر بها في مواجهة كواد ح.م ضغطا للحصول على مراكز متساوية في الهيئات القيادية الامر الذي أدى في المستقبل الى شل القيادة عن اتخاذ اجراءات حاسمة .
وعلى أية حال فان هذه المنظمة التي قامت في بداية عام ١٩٤٧ لم تستمر أكثر من عدة أشهر ، ركزت فيها قيادتها على مسألة واحدة هي إنجاز الوحدة مع ح.م (١)

وقد تشكلت القيادة أساسا من كواد ايسكرا . . وبعد أن أضيف اليهم مؤسس « تحرير الشعب » مارسيل اسراييل . ولما كان مارسيل حريصا في كل كتاباته على الاصرار على أنه كان ضد وجود الاجانب في القيادة فقد حرص على أن يقول « وقد انتخبت رغم ارادتي ومعارضتي في قيادة الطليعة المتحدة (٢) » .

وحتى عملية الاندماج بين المجموعات التي كونت « الطليعة المتحدة » لم تنجز . فقد كان الجميع يشعرون أن الامر كله مؤقت ، وأن أى شيء لن يستقر

(١) مارسيل اسراييل (شيريزى) - رسالة باللغة العربية أجابة على أسئلة المؤلف - المرجع السابق .
(٢) المرجع السابق .

الا بانجاز الوحدة مع ح.م. • يقول مصطفى هيكل « أستطيع أن أقول
ان الانماج لم يتم حقيقة الا خلال عملية الوحدة الشاملة (١) » •

وهكذا نؤكد أن نتأكد من أن « الطليعة المتحدة » كانت مجرد خطوة
مرحلية تستهدف في الأساس الضغط على « ح.م. » بسلح الوحدة اقتصاديا
للشروط التي كانت تنمستك بها قيادة ح.م. مقدرين مدى تشبثها
بهذه الشروط ووضعين في اعتبارنا حجم ضغوط الكوادر العمالية التي كانت
ترفض الوحدة أصلا ••

ولا نجد في تاريخ « الطليعة المتحدة » كمنظمة شيئا يستحق الذكر
الا أن مجلة « الجواهر » قد صدرت في ظلها •

✽ الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى « حدثو » :

وأخيرا يمكن الخصمان اللودان هنرى كوربيل وهليل شوارتز من أن
يحققا في مواجهة التناقضات السابقة وفي مواجهة الخلافات التي أبرزها
وأكدتها النقاش بأكثر مما حلها وفي مواجهة العداءات التاريخية ••
تمكننا من أن يحققا اتفاقا تكونت على أسائسه منظمة « حدثو » • وكان
ذلك في يونيو - يوليو ١٩٤٧ •

ولكن حول ماذا كان يدور النقاش بين الخصمين ؟

لقد قلنا - فيما سبق - أن الخلاف قد تحدد حول قضايا ثلاث :
المركية الديمقراطية - التصير - التعميل • ولقد عرفنا في الفصول السابقة
الحجج والمقولات المختلفة حول قضيتى التهمير والتعميل فماذا عن المركية
الديمقراطية ؟ وعلى أى شىء كان يدور الخلاف ؟

كانت ايسكرا تطالب بالانتخابات في صفوف المنظمة الموحدة وكانت
ح.م. ترفض على أساس أن ظروف السرية تحول دون انتخابات حقيقية •
يقول أحد كوادر ايسكرا أن منظمته كانت ترى إجراء انتخابات من القاعدة
للقمة • وأسأله « وهل جرت انتخابات في صفوف ايسكرا ذاتها ؟ » ويجيب
« جرت انتخابات ، لكنها كانت شكلية تماما ، فقد كانت القيادة ترشح
شخصا وتطلب من الاعضاء انتخابه » (٢) •

وأخيرا رضح شوارتز لوجهة نظر ح.م. في هذه القضية ، وكان

(١) محضر نقاش مع د. مصطفى هيكل • جلسة المناقشة الاولى -
الرجع السابق •

(٢) محضر نقاش مع محمد يوسف الجندى - المرجع السابق •

قد رُضخ من تبل في مسألة التمسير حيث ضم قبيل الوحدة بقليل الى صفوف قيادة ايسكرا اثنان من المصريين هما شهدى عطية الشافعى وعبد المعبرد الجبيلى ، ومن هنا يأتى القول بأن « الوحدة قد تمت على أساس مماهيم ح.م. » (١) .

لكن هذا الاتفاق كان شكلياً محضاً ، ذلك أن الخلافات والتناقضات كانت أعمق من أن تحصر في هذه النقاط الثلاث ، وحتى فيما يتعلق بهذه فإن الأمر لم يحسم بشكل محدد .

والحقيقة أن مسافة ما كانت قائمة بالفعل بين عقلية ومنهج وأساليب ونوعية كوادر المنظمتين ، وكان اغماض الأعين عن هذه المسافة غير قادر على إنهاؤها ، بل ظلت متواجدة لتتفجر فيما بعد ..

ولا بد لنا من أن نتوقف لنفأمل مكونات هذه المسافة ، ليس فقط سعياً وراء استكمال أكاديمي لبحثنا ، وإنما كمداخل ضرورى لفهم الكثير من الأحداث التالية وخاصة تلك التى تتعلق بالتكتلات والانقسامات ..

يلخص سيد سليمان رفاعى هذه المسافة قائلاً « كانت « ايسكرا » مكونة من أجانب وأغنياء » ويؤكد هذا المعنى قيادى آخر من « ح.م » هو محمد شطا . لكن أحد قادة قسم الطلاب في ح.م وهو زكى مراد (ولاحظ أنه القسم الذى مارس أكبر قدر من الاحتكاك والتقسيم مع كوادر ايسكرا وأنه القسم الذى كان أكثر تحملاً للوحدة) يقدم لنا صورة أكثر تفصيلاً :

« وكانت « ايسكرا » و « ح.م » تلحقان في أشياء وتختلفان في أشياء ، كانتا تلحقان في نقطة تميزهما معا عن « ط.ش.ت » وهى فكرة المنبر المستقل ورفع شعارات مستقلة . وهذا الالتقاء قرب بين ح.م. وايسكرا في العمل المشترك في اللجنة الوطنية للعمال والطلبة . كذلك التقت ايسكرا و ح.م حول شعارات سياسية مستقلة ومتميزة وبرامج مستقلة للعمل الجماهيرى .. وكانت هناك أيضاً نقاط خلاف ، فكان هناك اختلاف في أسلوب التناول نتيجة لاختلاف التركيب الطبقي لكل من المنظمتين . والاختلاف في نوعية ومجال التوجه فمثلاً ح.م كانت قوية في الإحياء السكنية بينما ايسكرا لم يكن لها نشاط تقريبي في الإحياء السكنية - وايسكرا كانت أقوى في مجال الطلاب و ح.م. كانت موجودة ومؤثرة ولكن بنسبة أقل . وكذلك في مجال المثقفين والاجانب . وفي مجال العمال كان

(١) المرجع السابق .

تواجد ح*م فعليا ومؤثرا وذا جذور أما ايسكرا فيمكن القول بأنه كان لها تمثيل في مجال العمال وليس تواجدا بالمعنى المفهوم* وهذه الاختلافات في التوجه نبعت من اختلاف التركيب الطبقي ثم انعكست مرة أخرى على التركيب الطبقي العام للمنظمة واهتماماتها والقادمين الجدد فيها* .

وتؤكد هذا القول وثيقة بريطانية تشير الى عملية الوحدة بين ح*م* وايسكرا فنقول « ان قسم العمال في حدتو يضم في مجمله بشكل أو بآخر العناصر النمهالية الاتية من منظمة ح*م » (١)

ويمضى زكى مراد .. « وثمة خلافات مثل الموقف من الدين : كانت ح*م* تضم عناصر متدينة ولم يكن لدى كوادرها أى استعداد لامتداد الجماهير من هذه الزاوية . أما ايسكرا فقد كانت تعتبر مسألة مناقشة الدين والتدين مسألة هامة وملحة » .

« كذلك كانت ح*م تعمل وسط النساء ولكن باحتراس ورهبة . وتفصل بين الاعضاء من الجنسين . وكانت تعالج الامر معالجة يمكن وصفها بأنها « شرقية » . أما ايسكرا فقد انعكس الطابع الاجنبى على أسلوبها في هذا المجال وكان هناك « تحرر » و « حفلات » .

« وكانت ح*م* تراعى السرية المطلقة ، والحقيقة أن كوادر ح*م* لم تعرف بعضها البعض الا بعد الوحدة . أما ايسكرا فقد كانت غالبية كوادرها تتواجد معا في دار الابحاث وفي الحفلات والرحلات .

« أما نقطة الخلاف الاخيرة والحاسمة فكانت في أسلوب تناوؤ المسائل ، فكوادر ايسكرا اعتادت على النقاش المستمر والذي لا يوصل الى نتيجة ، كنا في ح*م* نناقش القضايا ثم نصل الى قرار سريع ، أما كوادر ايسكرا فان متعته النقاش لديهم كانت تدفعهم الى مناقشة الموضوع الواحد طوال جاسة ثم جلستين ثم ثلاثة وهكذا دون أن نصل الى أى اتفاق . وبعد الوحدة استغرق الجميع في النقاش ، ومارس أعضاء ايسكرا « هوايتهم » في المناقشة الى أقصى مداها ، ورويدا رويدا بدأنا نشعر أن كمية النقاش زادت وان كمية العمل قد قلت » (٢) .

1) F.O. 371 — 69250 — From Cambell to Mr. Bevin -- 10 March 1943 — Communism in Egypt .

(٢) محضر نقاش مع زكى مراد - جلسة المناقشة الثانية . المرجع السابق .

كل هذا بينما كان كوادري ايسكرا يملكون هم أيضا عدة تحفظات
أهمها أن كوادري ح.م. لا يهتمون بالوعي النظري وأنهم « عمليين » وليسوا
« نظريين » . كذلك كانت ايسكرا تعتبر أن أسلوب عمل ح.م. متعارض مع
قواعد الأمن وكانت الخلافات في موضوع الأمن تتركز في رغبة (ايسكرا)
في عدم اعلان اسم المنظمة وفي عدم اصدار جريدة سرية للتوزيع الخارجى (١)

وفوق كل هذه الحساسيات بين كوادري المنظمين المتحدثين ، فإن
المنظمة الموحدة قد بدأت عملها بدون أية وثائق . لا برنامج ولا خط
سياسي ولا لائحة ، وعندما بدأت في اعداد هذه الوثائق في فترة لاحقة .
بدأت التكتلات .

لكننا نود قبل أن نصل الى دراسة تاريخ « حدثو » لم تكن جميعا
لايسكرا و ح.م. فقط بل كانت هناك مجموعات صغيرة ثلاث : تحرير الشعب
- القلعة - الطليعة ، لكنها كانت أصغر من أن تلعب دورا مؤثرا في
الصراعات وتبعثر انتماء كوادري بين التيارين الاساسيين .

ويحلو للبعض أن يؤكد أن الوحدة قد تمت بناء على اتفاق فوقى
أو بالدقة ثنائى بين هنري كورييل وهليل شوارتز اللذين اتفقا أو تظاهرا
بالاتفاق وانتهى الامر .

وهذا القول غير صحيح ، ولقد يكون الاثنان هما اللذان لعبا الدور
الحاسم الا أن لجان التنسيق القاعدية والتي قامت في مجالات العمل قد
لعبت هي أيضا دورا هاما في حسم الكثير من القضايا . وقد كانت هناك
بالإضافة الى لجنة الوحدة الاساسية لجان التنسيق الثلاث السابقة الإشارة
اليها هذا بالإضافة الى لجنة التنسيق التي تشكلت في فترة سابقة للإشراف
على الصحافة العازية .

وبرغم كل الملاحظات السابقة فإن الجميع يؤكدون أن الوحدة قد
تمت في مناخ من البهجة العارمة ، والحماس الجارف ، وأنها قد حققت في
الفترة الاولى انطلاقا غاية في القوة في مختلف مجالات العمل وفي طاسقات
الأعضاء من مختلف الاتجاهات .

لقد انتصر تيار الوحدة ، وانتصر وفقا للأسس الاقرب الى الصدا
وعكذا تواجدت في مصر وبعد أعوام قليلة فقط من البدايات المتواضعة منظمة

(١) محضر نقاش مع البير آرييه - جلسة المناقشة الثالثة - المرجع
المسابق .

شيوعية ضخمة تضم حوالى (١٦٠٠ عضو) (٧٠٠ من ح.م. كلهم ، الا
أقل من عشرة أشخاص ، مصريون وكثير منهم عمال) (١) وحوالى (٩٠٠ من
« الطلبة المتحدة » منهم ٤٠٠ أجنبى و ٣٠٠ طالب وكثير من المثقفين وعدد
محدود جدا من العمال وان كان أحد كوادى ايسكرا ، وهم حسين كمال الدين ،
يؤكد أنه شخصيا كان قديم الوحدة مسئولاً عن عدة خلايا من عمال
النسيج فى منظمة ايسكرا بالاسكندرية » (٢) .

وانطلقت المنظمة الجديدة مدفوعة بطاقات هائلة من الحماس لتلعب
دورا هاما ومؤثرا - ويصف أحد المؤرخين الاجانب هذه المرحلة قائلاً أن
الشيوعيين « سرعان ما انطلقوا بحماس ليعمقوا جذورهم فى صفوف الحركة
العمالية والطلاب » (٣) .

وشية وثيقة هامة من وثائق الكونجرس الامريكى تؤكد أن حدثت
كانت « ذات نفوذ كبير فى صفوف الحركة النقابية العمالية » (٤) .

وكان المد الثورى عارما ، وخيوط الصراع الطبقي تتجمع فى الافق
لتنسج ملاحم نضالية أسهم فيها الشيوعيون من كوادى « حدثو » بقسط
كبير ففى سبتمبر ١٩٤٧ قاد كوادى « حدثو » اضرابا لعمال النسيج فى شبرا
الخيمة ضم ٣٧٠٠٠ عامل ونظم أعضاء المنظمة فى السكة الحديد اضرابا ناجحا
لعمال الاشارة كان الاول من نوعه (٥) . وفى يناير ١٩٤٨ نظم طلاب « حدثو »
اضرابا فى جامعة القاهرة حول قضية السودان . وفى هذا الاضراب مزق
الطلاب صور الملك فاروق وهتفوا بسقوطه (٦) . وعندما أضرب ضباط البوليس
نظمت مظاهرات فى القاهرة والاسكندرية تأييدا لرجال البوليس المضربين

(١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع د. حسين كما الدين . أجريت المناقشة بالاسكندرية

فى ٧٦/٢/١٢ .

3) M.S Agwani — Ibid P. 44.

4) U.S Congress, House Committce on Foreign - Affairs, strategy
and Tactics of World Communism; Report of Sub — Committee
No: 5 (Washington D.C.) - 1949 - P. 20-21

(٥) محضر نقاش مع على جرجس موسى : أجريت المناقشة بالقاهرة فى

٧٦/٢/١٦ .

6) M.S Agwani — Ibid P. 44.

ol

واصطدمت برجال الجيش الذين حاولوا فض المظاهرة • وكانت المظاهرات التي نظمتها « حدتو » تهتف « نريد الخبز ، نريد العمل (١) •

ويروى • عبد العظيم أنيس وهو أحد شهود وصناع أحداث الاسكندرية خلال يرمي ٥ ، ٦ ابريل ١٩٤٨ • أى خلال اضراب ضباط البوليس • بعض الوقائع الهامة • فحدتو وزعت منشورا طبع باسمها في مطبعة علينية وكان عنوانه « تسقط الملكية واتحيا للجمهورية » وينص ان بعض المظاهرات قد تحولت في ذلك اليوم الى مظاهرات مشتركة بين الجماهير وجنود بنوك النظام الذين كانوا يسيرون في المظاهرة حاملين أرغفة الخبز على « سونكى » البنادق •

وان بعض المظاهرة رفعت شعار المطالبة بالافراج عن طالب من حدتو سبق القبض عليه في قضية توزيع منشورات تحض العمال على الاضراب فنزل « طلاب جامعة الاسكندرية بكامل ثقلهم في مظاهرات انشئية ٥ ، ٦ ابريل يهتفون بشعار واحد « افرجوا عن سعد فريد » وقيل ان قسما من متظاهري الانشئية اتجه الى سجن الدرة لافراج سعد فريد وكان العمال يهتفون بشعارات تحسين الاجور واعادة المفصولين والتهاضم مع جنود انبوليس (٢) •

• وهكذا وصل التصعيد الى قمته ، وبدأت الرجعية تستجمع كل مخاوفها من تصاعد حيوية العمل الشيوعى •

(١) مجلة الطريق - اللبنانية - عدد ابريل ١٩٤٨ ، ص ١٠٦ •

(٢) الاهالى - ١٩ - ٣ ١٩٨٦ - د • عبد العظيم أنيس (مقال) • وقد عثرنا على نص هذا المنشور مترجما الى الفرنسية بمعرفة السفارة الفرنسية بالقاهرة ومودع بأرشيف الخارجية الفرنسية والعنوان الصحيح للمنشور هو « بيان من الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى - فلتسقط حكومة النقراشى - عاش كفاح البوليس مع الشعب » ويعلن المنشور أن اليوم هو يوم النضال ضد الظلم والعبودية • ويحيى المنشور نضال رجال البوليس دن أجل مطالبهم العادلة ونضال الطلاب للافراج عن زميلهم سعد فريد • وينتهى بشعارات تقسول :

فلتسقط حكومة النقراشى المجرمة - عاش نضال جنود وضباط البوليس - عاشت الامة المطالبة بحقوقها - عاشت وحدة جنود وضباط البوليس مع العمال والطلاب •

« وفي عام ١٩٤٧ قبض على بعض الكونستبلات بالبوليس وهم يوزعون نشرات « حدتو » • وتم قمع اضراب بين الكونستبلات في ذلك الوقت على وجه السرعة » (١) •

وعندما أضرب ممرضوا القصر العيني كان قائد الاضراب ورئيس رابطتهم « عبد الغنى النشترى » عضوا في حدتو أيضا • • وأمسكت أجهزة الامن بخيط هام فقد استعادت واقعة القبض على اثنين من كوادر حدتو وهما (مصطفى أعما المحامى وإيلى رافول) قبل الاضراب بثلاثة أشهر عندما كان الثانى يلتقط صورا داخل مستشفى القصر العيني لاغراض دعائية » (٢) •

وحتى في المجالات الصعبة للعمل مثل تنظيم الباعة الجائلين بالقاهرة في رابطة ذات نفوذ ، لعبت حدتو دورا هاما • • وعندما انعقدت أول جمعية عمومية للباعة الجائلين في القاهرة انتخب شحاتة النشار (حدتو) أمينا للصندوق وانتخب ثلاثة من العاطفين على حدتو أعضاء في مجلس الادارة (٣) كذلك قناد مصطفى طيبة أحد كوادر المنظمة اضرابا ناجحا نظمته «رابطة الفنون التطبيقية » وقد نجح هذا الاضراب في تحقيق المطالب الاقتصادية والنقابية التى طالبوا بها (٤) •

ولم يكن ما سبق سوى نماذج قليلة اعتمدنا فيها على مؤرخين محايدين • • لكن الواقع كان أخصب من ذلك بكثير ، فان الاشهر القليلة التى تفصل بين موجتى الوحدة والانقسام كانت أشهرا مجيدة بالفعل واستطاع فيها الشيوعيون أن يثبتوا وجودهم كقوة فاعلة ومؤثرة في أرض مصر • •

وكانت مجلة « الجماهير » (١٥ ألف نسخة) القوة الضاربة العلنية للمنظمة ، بالاضافة الى نشراتها السرية والى الكتيبات النصف علنية • •



وقد تمت الوحدة على أساس عدة اتفاقيات تنظيمية •

(١) د • عبد الوهاب بكر - المرجع السابق - ص ٦٣ •

2) F.O. 371/69210 — J 2724 — 22 nd April 1948

j

• مودعة بالمتحف البريطانى - الارشيف العام •

(٣) محضر نقاش مع شحاتة النشار - أجريت المناقشة في ١٧ - ٦ -

١٩٨٧ •

(٤) محضر نقاش مع مصطفى طيبة - أجرته الباحثة الامريكية سيلما بوتمان •

بتاريخ ٧ - ١٢ - ١٩٧٩ •

لجنة مركزية من ١١ (٥ ح.م* - ٥ ايسكرا - ١ طليعة) واتفق على أن يتولى كورييل المسئولية السياسية وشوارتز المسئولية التنظيمية واتفق على أن يتولى كوادح ح.م* المسئولية السياسية والتنظيمية في كل المستويات ، وأن يتولى كوادح ايسكرا المسئولية الدعائية ومسئولية العمل الجماهيرى .

وكانت اللجنة المركزية مكونة من احدى عشر شخصا كما قلنا وتضم في أول تشكيل لها ٠٠ هنرى كورييل ، سيد سليمان رفاعى ، محمد شطا ، كمال شعبان ، عبده ذهب (من ح.م*) وهليل شوارتز ، شهدى عطية الشافعى ، عبد المعبود الجبيلى ، عبد الرحمن الناصر ، ايمى ستون (من ايسكرا) ولطفى (من منظمة الطليعة) (١) .

واحتفظ التنظيم بالشكل الفئوى فكانت هناك عشر دوائر (طلاب ، مثقفين ، عمال ، أجانب ، نساء ، السودانيين ، نوبيين ، الجيش ، أحياء وأناليم) وتحت الدوائر مناطق فأقسام ففروع فخلايا ٠٠ وقد تولى هنرى كورييل مسئولية الاشراف على الدوائر غير العمالية أما دائرة العمال فقد شكلت لها قيادة رباعية من سيد سليمان رفاعى ، محمد شطا ، شهدى عطية ، عبد الرحمن الناصر (٢) .

ومع الحماس المتدفق ، واتساع النشاط ، وامتداد نفوذ المنظمة الى مناطق واسعة في الاقاليم بدأت عناصر من السكواذر الشابة تتفرغ للعمل الحزبى وتكونت سكرتارية للعمل في الاقاليم من : فؤاد عبد الحليم ، ومحمد لجندى ، وحمدى عبد الجواد وكان الثلاثة أول نواة من الحترفين الثوريين للعمل في الريف المصرى .

ولسنا نريد أن نفيض في تفاصيل هذا النشاط الذى نجح بالفعل في أن يصل الى أعماق ريف مصر في الدلتا والصعيد وأن ينتشر في القرى والكفور ملهما للتنظيم روحا جديدة ودماء جديدة ، ويكفى لكى نعرف مدى العمق الذى وصل اليه هذا النشاط أن نقول أنه قد امتد عميقا في قلب

-
- (١) محاضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى ، محمد شطا ، محمد يوسف لجندى ، أثير آرييه - المراجع السابقة .
- (٢) محضر نقاش مع هنرى كورييل . جلسة المناقشة الخامسة - المرجع السابق

الصعيد ليصل حتى رهبان الدير المحرق الذين تشكلت منهم عدة خلايا •
بل أن أحدهم ما لبث أن ترك الدير ليحترف العمل الثورى (١) •

•• وباختصار - وبعد أن نحذر القارىء من أن كل ما سبق لم يكن سوى محض اشارات ومجرد نماذج من نشاط جارف - فإن شهورا قليلة قد مضت على الوحدة لتتقدم لنا حالة كيفية جديدة ومنظمة عملاقة بالفعل بلغ عدد أعضائها ٤٠٠٠ عضو (٢) •

وفي غمار الصراعات الداخلية طرأت تطورات عدة على تركيب القيادة المركزية • فقد اتفق على تضيق القيادة بحيث انخفض عددها من ١١ الى ٧ : هنرى كورييل ، سيد رفاعى ، محمد شطا (ح.م.) ، شوارتز ، شهدى عطية الشافعى ، عبد المعبود الجبيلى (ايسكرا) وعدلى جرجس (الذى حل محل لطفى فى تمثيل منظمة الطليعة) •

ولكن مع اتساع مجالات النشاط المختلفة ، ومع الرغبة فى تمثيل مختلف المجالات تقرر توسيع اللجنة المركزية مرة أخرى وبلغ عددها فى هذه المرة ١٧ عضوا حيث ضم اليها قادة الأنشطة المختلفة مثل فؤاد عبد الحليم (الأقاليم) ، عبد الخالق محجوب (السودانيين) عبد الفتاح الهنيدى (الأجهزة الفنية) الخ • وتكونت سكرتارية مركزية من أربعة أشخاص تضم هنرى كورييل (مسئول سياسى) ، هليل شوارتز (مسئول تنظيمى) ، عبد المعبود الجبيلى (مسئول دعاية) سيد رفاعى (مسئول عمل جماهيرى) ، ويلاحظ أن التكوين (٢ ح.م. و ٢ ايسكرا) ومكتب سياسى من سبعة أشخاص هم الأربعة أعضاء السكرتارية يضاف اليهم محمد شطا وشهدى عطية الشافعى وعدلى جرجس •• (٢) •



وفى مواجهة صعاب جمة استطاعت « حدثو » أن تجعل من الأشهر القليلة التى أعقبت تأسيسها وسبقت قيام التكتلات والانقسامات شهرا من العمل الخصب والاندفاع الثورى والعمل النضالى العارم ••

-
- (١) محضر نقاش مع فؤاد عبد الحليم - المرجع السابق •
(٢) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق •
(٣) محضر نقاش مع عدلى جرجس - المرجع السابق •

أن رؤية سريعة « لأدبيات » حدثوا سواء العلنية أو السرية منها لتعطى لنا نموذجا حيا لهذه الاندفاع النضالية التي استطاعت أن تجعل من « حدثوا » عنصرا هاما ومؤثرا في العمل الوطني والطبقي في مصر ..

وتحت أيدينا مجلة « الجماهير » وأيضا نذر قليل من المطبوعات والبيانات السرية التي صدرت عن « حدثوا » ..

ولكنني أحذر القارئ ، فما استطعنا جمعه من هذه « الأدبيات » ليس سوى أقل من القليل وما نورده من نماذج ليس سوى اشارات عابرة والحديث المستفيض قد يستحق أن يستغرق دراسة مستقلة ..

فاذا أخذنا المعركة الوطنية فاننا نجد صفحات « الجماهير » ملتهبة بمقالات عنيفة ضد الاستعمار ، مطالبة بالكفاح المسلح ضده وبتوحيد كل القوى المعادية له ..

« تذكروا أن الاستعمار لا يزال يحتل أراضيكم ويمتص دماءكم ويخفق حريانكم ويحارب دستوركم ويستخدم نفس وسائل الغدر والخيانة والتآمر عليكم . تذكروا أنه لن يخرجكم الا كفاحكم ولن ينجح كفاحكم الا باتحادكم عمالا وفلاحين وطلبة وصغار موظفين في كتلة جبارة تحت قيادة جبهة وطنية مخلصه . طهروا البلاد من الخونة . وهبوا ضد العدوان الألد .. الاستعمار » (١) .

والدعوة للجبهة الوطنية مصحوبة ببرنامج تبرزه « الجماهير » في صدر صفحاتها الأولى تحت عنوان « هذه هي مطالب الشعب .. جبهة وطنية ضد الاستعمار » ، لا نريد استئناف المفاوضات . الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاق ١٨٩٩ . تنظيم ثورة وطنية عسكرية ضد الاستعمار . نرفض قرضا أمريكيا وبعثة عسكرية من أمريكا . مقاطعة أعدائنا في مجلس الأمن اقتصاديا وسياسيا . وتوثيق العلاقات بين مصر وأصدقائها روسيا وبولندا وسوريا » (٢) .

وتحاول « حدثوا » أن تجمع الرأي العام حول هذا البرنامج فتجرب استفتاء شعبيا حول نقاطه وتنتشر النتيجة : ٩٥٧٪ ترفض عودة

(١) الجماهير ١٩٤٧/٧/٧ .

(٢) الجماهير ١٩٤٧/٩/٢١ . (ويلاحظ أن هذه البلدان هي التي صوتت لصالح القضية المصرية في مجلس الأمن - المؤلف) .

المفاوضات ، ٩٧ر١٪ توافق على الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، ٨١ر٢٪ توافق على تنظيم ثورة وطنية وكتائب مسلحة ، ٩٣ر٧٪ ترفض قبول قرض أمريكي أو بعثة عسكرية أمريكية ، ٩٨٪ ترى ضرورة تدعيم العلاقات مع الدول الصديقة» (١) •

ولتحقيق هذا البرنامج تدعو « حدتو » الى جبهة وطنية تحدد معالمها وقواتها •• معلنة أن قوامها هو حلف بين « حدتو » (كحزب للطبقة العاملة أو كما ذكرت في المقال حزب الطليعة العمالية) وبين الوفد •• « ان التحالف بين الحركة العمالية وطلائعها الواعية وبين الوفد شرط أساسي لاستعادة حريات الشعب المسلوبة ، والكفاح المشترك للعمال والجماهير الوفدية في المدن والقرى هو الطريق الوحيد لتحطيم القيود التي تخنق حرياتنا » •• و « يعتبر التحالف بين الطليعة العمالية والوفد أمرا ضروريا لتوحيد صفوف الجماهير الشعبية وخلق الظروف المناسبة لتقديم نضال شعبنا » •

هكذا تم « حدتو » يدها لحزب الوفد الذي كان يرفض هو الآخر سيطرة حكومات الأقلية ، لكنها تمهد هذه اليد على أساس برنامج محدد •• ربما أكثر تحديدا من البرنامج العام الذي أشرنا اليه فيما سبق « ويجب أن يستند هذا التحالف الى برنامج وطني مشترك يقوم على أساس حكومة ديمقراطية تعمل على :

♦ تحقيق الجلاء التام فوراً عن وادي النيل دون أي تحالف مع مع الاستعمار •

♦ التوسع في الحريات الديمقراطية كجزء لا يتجزأ من الاستقلال •

♦ تأهيل (تأميم) الصناعات الكبرى •

♦ توزيع الملكيات الزراعية الكبيرة المتعاونة مع الاستعمار» (٢) •

ولا بد لنا من أن نلمح بعضاً من التطرف في هذا البرنامج ، فإذا كانت اليد ممدودة أساساً لحزب الوفد كقوة رئيسية في المعركة الوطنية

(١) المرجع السابق •

(٢) الجماهير ١٢/٥/١٩٤٧ •

فكيف يمكن تصور أن تقبل قيادة حزب الوفد بتركيبها الاجتماعي المعروف
تأهيل الصناعات الكبرى وتوزيع الملاكيات الزراعية ؟

وخلال عرض القضية الوطنية أمام مجلس الأمن حاولت « حنتو »
ارسال مندوب عنها لحضور المناقشات . وتقدم عبد المعبود الجبيلي عضو
اللجنة المركزية الى السفارة الأمريكية طالبا تأشيرة دخول لكن السفارة
ابلغته برفض طلبه . وعندئذ وجهت « حنتو » مذكرة الى الدول الاعضاء في مجلس
الأمن ثم طبعتها كمنشور . وقد بدأت هذه المذكرة بقولها « ان قضية مصر
المعروضة عليكم قضية بسيطة وواضحة فالطلب الوحيد الذي يطلبه الشعب
المصرى هو تطبيق مبادئ هيئة الامم المتحدة في حل قضية وادى النيل واحترام
بريطانيا لتعهداتها وواجباتها المترتبة على الميثاق » . وبعد أن تدن المذكرة
مشروع صدقي - بيغن باعتبارهم خرقا لميثاق الامم المتحدة وبعد أن تستعرض
الضغوط التي تتعرض لها مصر من قبل بريطانيا وتاريخ العلاقة المصرية -
البريطانية تؤكد المذكرة « ان الشعب المصرى ليرفض رفضا قاطعا مبدأ التحالف
مع بريطانيا » .

وتختتم المذكرة بالمطالب التالية « أن الحركة الديمقراطية للتحرر
الوطنى لتطالب :

أولا : بالجلاء التام الناجز عن وادى النيل دون شرط ودون تحالف
عسكرى أو معاهدة .

ثانيا : الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ .

ثالثا : الغاء النظام الاستعمارى الحالى فى السودان ووصاية مصر
تحت اشراف هيئة الأمم فى فترة انتقال تهمد للسودانيين حقهم فى تقرير
المصير . والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ترفض رفضا قاطعا مشروع
صدقي - بيغن وتعلن معارضتها التامة لمبدأ التحالف الثنائى وكل محاولة
لاستئناس المفاوضات الا فيما يخص المسائل الفنية للجلاء السريع وبشرط
أن تتم تحت اشراف مجلس الامن (١) .

(١) منشور معنون « مذكرة مرفوعة من « الحركة الديمقراطية للتحرر
الوطنى الى مجلس الامن » (مطبوع بالرونيو - نسخة أصلية) .

لكن « حدثو » تنشن أيضا هجومها على مذكرة الى مجلس الامن وتصدر منشورا تبدأه قائلة « أيها المواطنون .. ان الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى ، الحركة التى آلت على نفسها أن تكافح مع المكافحين حتى تخلص وطننا من الاستعمار ، ترى لزاما عليها ، وحقا لكم ، أن تواليكم بشرح وجهة نظرها فى ذواحي القضية المختلفة ، وتعاهدكم ، عهدا وثيقا أنها لن تنتثنى عن الكفاح معكم حتى تحقق لوادى النيل استقلالا كاملا غير منقوص » .. ويمضى المنشور « .. يا شعب مصر بيقظتكم وكفاحكم ضد الاستعمار وأذنايه سجلتهم الكثير من الانتصارات ، فانتاللبوا بالجلاء التام عن وادى النيل دون قيد أو شرط ، دون أى تحالف مع الاستعمار ، ولتعلنوا رفضكم التام لمشروع صدقي - بيفن ، ولتعلنوا اصراركم على الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ ولتشنوا كفاحا لا يلين على المستعمرين وأذنايهم حتى تطهروا وادى النيل من كل أثر من آثار الاستعمار » (١) .

ولا بد لنا من أن نلاحظ أن شعارات الكفاح المسلح والغاء معاهدة ١٩٣٦ ورفض الاحلاف العسكرية التى أصبحت محور النضال الوطنى كله بعد سنوات قليلة قد ارتفعت فى سماء العمل الوطنى المصرى بمبادرة من « حدثو » .

وفى ذكرى اتفاقية ١٨٩٩ تصدر « حدثو » منشورا بعنوان : بيان من الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى الى الشعبين المصرى والسودانى - ذكرى اتفاقية ١٨٩٩ ، ذكرى الكفاح المشترك « جاء فيه « فى مثل هذا اليوم من عام ١٨٩٩ أبرمت اتفاقية مشنومة تم بها للاستعمار البيطانى الغاشم السيطرة على وادى النيل شماله وجنوبه » .

وفى ختام المنشور « ان الاستعمار الذى يخنق العمال هنا ويسلبهم حقوقهم ويزج بهم وبالطلبة والمثقفين من أبناء الشعب المصرى فى غياهب السجون هو الذى يحرم السودانين حقهم ويحيك حولهم المؤامرات . علش الكفاح

(١) منشور معنون « بيان ونداء من الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى » (مطبوع بالرونو - مؤرخ - اليوم مطبوس - الشهر : يوليو ١٩٤٧ - نسخة أصيية) .

المشترك بين عمال مصر وعمال السودان . عاش الكفاح المشترك بين طلبة مصر وطلبة السودان « (١) .

والمعركة توجه ضد الاستعمار بكل أشكاله . وبالدرجة الأولى ضد الاستعمار الأمريكى الزاحف على مصر .

ويكتب شهادى الشافعى فى « الجماهير » وتحت عنوان « اننا لا نريد أى استعمار انجليزىا كان أم أمريكىا » ليقول « الارتما فى أحضان سيد جديد ، الاستعمار الأمريكى ، هذا هو الاتجاه الخطير الذى يتهجه بعض السياسة المصرىين فرئيس مكتب الدعاية فى مجلس الوزراء المصرى . . . أمريكى ، والمستشار الرئيسى للوفد المصرى المسافر الى مجلس الامن . . أمريكى ، ووزارة الدفاع المصرىة ترفع مذكرة تقترح انتداب بعثة عسكرية من كبار الأمريكىين لاعادة تنظيم الجيش المصرى » .

ثم يصف المقال الاستعمار الأمريكى قائلا « أن أمريكا تواجه العالم وتعمل على تحويل شعوبه عبيدا لحفنة من الاحتكارىين الأمريكىين » .

ويختتم المقال « ان الشعب المصرى يريد الاستقلال الكامل والتخلص التام من الاستعمار . ان الشعب المصرى لا يريد أن يستبدل استعمارا باستعمار ولا أن يضيف استعمارا الى استعمار » (٢) .

وفى معركة الشعب الاندونيسى ضد الاستعمار الهولندى وقفت «حدثو» بكل قواها لتساند هذا الكفاح ولتحرم الاستعمار الهولندى من نقل امداداته وعقائده عبر قناة السويس .

وتبدأ المعركة ببيان تصدره « حدثو » ، جاء فيه « ان الشعب الاندونيسى المحب للحرية يخوض اليوم كفاحا مريرا ضد الاستعمار الانجليزى والأمريكى . . . لقد أثار الاعتداء الهولندى سخط العالم أجمع ، ولكن الطبقة العاملة فى كل مكان كانت أول من وقف لتأييد أندونيسيا المكاثرة فى وجه الطغىان الاستعمارى . . . يا عمال الشحن ببور سعيد والسويس ضموا

(١) منشور معنون « بيان من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الى الشعبين المصرى والسودانى » - مؤرخ فى ١٨ يناير ١٩٤٨ (مطبوع بالرونو - نسخة أصلية) .

(٢) الجماهير ١٩٤٧/٧/٢٨ .

صوتكم وكفاحكم الى كفاح عمال العالم ضد الاعتداء على حرية الشعب الاندونيسى . أوقفوا شحن السفن الهولندية والاتاجازية المتجهة الى محاربة الشعب الاندونيسى . لتحييا الحرية ، ولتحيا الطبقة العاملة في نضالها ضد الاستعمار والاستغلال . لتحييا أندونيسيا المجاهدة (١) . ولقد كانت استجابة عمال بورسعيد والسويس رائعة . فقد خاضوا بالفعل هم وكل شعب مدينة بور سعيد معركة مقاطعة السفن الهولندية بنجاح تام .

والمعركة ضد الاستعمار ترتبط بمعارك النضال اليومى في الداخل . وبالمعركة ضد السراى والطبقات الخائنة . وفي يوم ١١ فبراير ٥٠ تصدر « حذتو » منشورا بعنوان « ١١ فبراير عيد الملك ٥٠ عيد الخونة » جاء فيه « أن السراى تفرض سلطانها الديكتاتورى على الشعب ، وتأتى بأذنانها الى الحكم ، وتحطم الحريات المكفولة في الدستور ، أن السراى تمتلك مليون فدان من أراضى الفلاحين وتصرف سنويا من مالبة الدولة ٢ مليون جنيه تمنحها من دماء الشعب » .

« ٥٠ » ان السراى تنفذ رغبة الاستعمار في توحيد صفوف الاحزاب الخائنة كى توقع معا على معاهدة العبودية والذل ، وهى تعمل بذلك على توحيد صفوف الخونة وعلى ربطنا بعجلة الاستعمار عدو الشعب « ويختتم البيان بالاشعارات التالية : « فلنمرغ التيجان في التراب - ليحييا نضال الشعب لاسقاط الاستعمار وديكتاتورية السراى - ولحييا نضال الشعب لاسقاط النظام الرأسمالى ولإقامة الديمقراطية الشعبية (٢) » .

ومع العمال خاضت « حذتو » معارك اضرابية عنيفة تعتبر علامات بارزة في كل تاريخ الحركة العمالية المصرية . مثل اضراب عمال المحطة . الذى مهدت له الجماهير بحراسة مستفيضة عن أحوال عمال المحطة ومطالبهم (٣) وقامت كوادر المنظمة بتكوين لجنة سرية لقيادة الاضراب برئاسة مسئول فرع المنظمة في المدينة العامل محمد حمزة . ولقد استخدمت الحكومة العنف البالغ ضد العمال المضربين (٢٦ ألف عامل) ووصل الامر الى حد استخدام دبابات الجيش ضدهم . وكان العمال المضربين يحملون رايات حمراء .

(١) منشور معنون « يا عمال الشحن جمينائى بورسعيد والسويس كافحوا في سبيل أندونيسيا » (مطبوع بالرونو - نسخة أصلية) .

(٢) منشور معنون « ١١ فبراير عيد الملك ٥٠ عيد الخونة » - (مطبوع بالرونو - نسخة أصلية) .

(٣) الجماهير ١٩٤٧/٩/٢

صبغوها من دماء زملائهم القتلى وهم يهتفون « يسقط الاستعمار - لا استعمار بعد اليوم - تسقط النقابة الصغرى - تسقط لائحة الجزاءات - نعيش أحرارا ٠٠ نموت أحرارا - الموت لأعداء العمال (١) » ٠

رُتفتحت « الجماهير » اكتتابا لشهداء المحلة ، وتدعو الشعب والعمال للتضامن معهم ٠ وتتحرك مجموعات المنظمة في شبرا الخيمة حيث يعلن ٢٠ ألف عامل من عمال النسيج اضرابا تضامنيا مع عمال المحلة (٢) ٠

ويضرب في نفس الوقت عمال شركة ماثوسيان للسجاير مطالبين برفع الأجور ٠ وعمال النسيج بالأسكندرية وعمال الترام وعمال شركة شل ٠ ومع تصاعد هذه الميعة تكتب « الجماهير » تحت عنوان « موجة من الاضرابات فمن المسئول » لتقول : « سلسلة من الاضرابات في كل مكان ٠٠ فلا يكاد يمر يوم حتى تنفجر فئة من الفئات ٠ فقد أضرب عمال المحلة وانفجر عمل شركة النسيج الاطمية بالاسكندرية ، ونفذ عمال شركة القنصل قرارهم بالامتناع عن العمل وشمل الاضراب عمال شركة النيل و شل وغيرها ٠٠ وامتدت الموجة الى طوائف شعبية أخرى كالمهندسين والمدرسين والاطباء الشرعيين ٠٠ وحتى القضاة قالوا لوزارة العدل : اما أن تجيبوا مطالبنا أو نمتنع عن العمل ٠٠

فما هو سر هذه الانفجارات وما سبب هذا التذمر ؟ انه شبح الجوع والعري والتشريد الذي يهدد العمال ٠ انه الضيق وسوء الحالة الاجتماعية التي تعانيها كل طائفة من الشعب ٠٠ »

وبعد أن يتحدث المقال عن الاستغلال البشع الذي يمارسه الشركات والاحتكارات الاستعمارية يقول « لقد أدرك العمال والموظفون أن السكوت أصبح لا يجدي ٠٠ ولقد أخذ العمال والموظفون يدركون الصلة الوثيقة بين الأزمة التي يعانونها والاستعمار الذي يتحكم في البلاد والشركات الاستعمارية الذي هي أحد مظاهر الاحتلال ٠ ثم هذا الذرع من الحكومات المستسلمة كل هذا الاستسلام (٣) » ٠

والى الفلاحين أيضا توجهت « حدتو » ٠ وفي مواكبة مع الاهتمام بارسال كوازر للريف واقامة نقاط ارتكاز حزبية هناك قامت « الجماهير »

(١) الجماهير ١٩٤٧/٩/٦ ٠

(٢) المرجع السابق ٠

(٣) الجماهير ١٩٤٧/١٠/٥ ٠

بحملة لدراسة واقع الريف ومشاكله تنتهى بتحديد برنامج زراعى يطالب « بتوزيع الملكية الزراعية الكبيرة ، وزيادة الاراضى المزرعة ، وادخال الآلات الحديثة بحيث تكون تحت تصرف صغار الفلاحين المتحدين فى جمعيات تعاونية » .

وانتختم « الجماهير » هذا البرنامج ببناء للفلاحين تقول فيه : « يافلاحى مصر ٠٠ أننا نريدكم قوة تكافح الفقر الذى تفاسونه ، تكافح من أجل نقابات لكم ، من أجل وحدة بينكم وبين العمال لتخلصوا مصر من الاستعمار وأذنا به (١) » .

وفى جبهة النضال ضد استغلال الرجعية للدين ٠٠ تخوض حدزو أيضا المعركة ، فمن كتاب « الاخوان المسلمون فى الميزان » ، الى حملات صحفية ناجحة فى « الجماهير » تفضح فيها موقف الاخوان المسلمين المخزى من القضية الوطنية وتحالفهم مع الطاغية صدقى بل ومع الاستعمار البريطانى ٠٠ الى تبنى المفهوم الصحيح للدين وجعله سلاحا ضد الرجعية والاستغلال ٠٠ واذا كان الكثيرون قد بهروا بالدور الذى لعبه الاستاذ خالد محمد خالد فى الخمسينات دفعا عن فهم متقدم للدين فى كتابه « من هنا نبدأ » ، فان القليلين هم الذين يعلمون أن « الجماهير » كانت أول جريدة تفتح صفحاتها لصيحات الشيخ الشاب ٠٠ ليكتب أحاديث رمضان وليكتب تحت عنوان « جبهة دعاية للفقر » قائلا : « الفقر المحبوب ، هكذا يحدثنا علماؤنا المسلمون ، وأوجس المشفقون على دين الله خيفة أن يقول الناس ان الاسلام دين يمجّد الفقر ويباركه ويجعله تذكرة الدخول الى الجنة ، وأنه ليروعنا أن نرى شيوخننا يكونون جبهة دعاية للفقر ٠٠ فلمصلحة من يا ترى تلك الجرعات المخدرة ؟ لقد صار واجب الغيورين على دين الله أن يواجهوا هذه الموجة الرجعية المجنونة قبل أن تجرف معالم الاسلام وتطمس حقائقه (٢) » .

٠٠ وبعد فلم يكن ما سبق حصرا للأعمال والمواقف بقدر ما كانت اشارات . ومجرد نماذج من موجة نضالية عالية حققت لامنظمة وخلال أشهر قليلة وجودا فعليا فى أرض النضال المصرى ٠٠



(٢) الجماهير ١٢/٥/١٩٤٧

(١) الجماهير ١١/٨/١٩٤٧

ولكن ٠٠ لم يكن الامر بمثل هذه السهولة ٠٠ فان « حدثو » التى قامت بكل هذه الأعمال كانت تحتوى فى داخلها على بذور التكتلية والانقسامية • ومصر التى كانت تموج بالنضال الثورى كانت مقبلة أيضا على فترة جذر خطيرة تواكبت مع حرب فلسطين ٠٠

والحقيفة ان نشاط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وحيوية كواهرها فى مختلف المجالات قد أفزع الرجعية المصرية وأفزع معها الاحتلال البريطانى ٠٠ ولم يكن اعلان الاحكام العرفية فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ببعيد عن حالة الفزع هذه •

وفى مذكرة من السفارة البريطانية الى وزارة خارجيتها بعنوان « مذكرة - المبررات الهامة التى تحتم اعلان الاحكام العرفية فى مصر حفاظا على الامن العام » تشير السفارة كأحد أهم هذه المبررات الى نشاط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى وتقول « أنه ليس من قبيل المبالغة القول بأنها تضم عدة آلاف من الاعضاء منتشرين وسط مختلف الفئات » (١) ونلاحظ أن هذه المذكرة مؤرخة أول ابريل ١٩٤٨ أى قبل اعلان الاحكام العرفية بشهر ونصف •

وهكذا ولم يمض أقل من عام على قيام منظمة « حدثو » حتى تبدأ التكتلات والاتقسامات وتبدأ معها ضربات عنيفة من السلطات وموجة من الجذر والانحسار فى العمل النضالى وتتعرض كبرى المنظمات الشيوعية المصرية لمحنة قاسية •

ويكفى للتعرف على حجم الضربات البوليسية التى تقالت على هذه المنظمة بالذات ان عدد القضايا التى حوكم فيها أعضاء حدثو خلال عام واحد ٤٨ - ١٩٤٩ كان ٥٠ قضية وبلغ عدد المقبوض عليهم فيها ٢٠٠ عضوا (٢) • هذا بالاضافة الى مئات المعتقلين فى معتقلات هايكستب والطور وعيون موسى والنزهة ٠٠ الخ •

1) F.O. 371 — 80348 — XC/A 011783 — 1 April 1948.

(٢) وزارة الداخلية - ادارة عموم الامن العام - « تقرير عن حالة الامن العام بالملكة المصرية عن سنتى ١٩٤٨ - ١٩٤٩ » - المطبعة الاميرية بالقاهرة - (١٩٥٠) - ص ١٠٥ •

الانقسام

وكانت « حدثو » تنمو ، وتنمو معها مشاكلها . . مشاكل التوحيد غير المبدئي بين تيارات غير متجانسة ، ومشاكل العمل الحزبي بغير مقومات ، فلا برنامج ولا استراتيجية ولا تكتيك ولا حتى لائحة . . ومشاكل النمو غير المتسق للاقسام المختلفة . . ففي الوقت الذي كان فيه قسم الاغالب (من اليسار أساسا) يضم أعدادا كبيرة ، وأقسام الطلبة والمثقفين تنضخم كان قسم العمال يعاني من قلة المضمين اليه وخاصة بعد توالي الضربات البوليسية للنشاط النقابي والعمالي بشكل عام (انخفض عدد الاعضاء في شبرا الخيمة من ١٢٠ عضوا الى ٢٠ فقط (١)) ، كذلك كان العمل في الأقاليم عاجزا - برغم نموه - عن تحقيق توازن للتركيب الطبقي المنتظم .

وباختصار بدأت حدثو تعاني من مشكلات تحول تجمع المنظمات الصغيرة الى منظمة كبيرة ، ذات مسؤوليات قومية ووطنية . وذات مسؤوليات ازاء الاعضاء والكوادر وازاء متطلبات الصراع الفكري الذي نجم بصورة عفوية عن حاله من الحيرة الفكرية ازاء قضايا ملحة ، تصادمت فيها مواقف حدثو المعلنة مع حركة الجماهير . . مثل قضية فلسطين . .

وكان من الطبيعي وفي اطار حركة وطنية عارمة أن يبرز تناقض في صفوف القيادة ، لعل مبعثه التحدث كثيرا عن التمصير « فتصعد الكوادر المصرية ، وتصعد حتى المكتب السياسي لكنها تجد حاجزا أجنبيا يمسك بالفتاح الأساسية . . المسؤولية السياسية والمسؤولية التنظيمية . . ثم التحدث كثيرا عند « التعميل » فتصعد الكوادر العمالية لتجد حاجزا مبعثه غلبة التكوين البرجوازي الصغير للمنظمة » .

يقول مارسيل تشيريزي « لقد كانت قضية تمصير القيادة أمرا بالغ الحساسية . وخاصة وأن الحركة الوطنية المصرية كانت تقف في وجه السيطرة الأجنبية عموما . . ومن ناحية أخرى فإن مشكلة فلسطين ومواجهة الاعتداء الصهيوني العالمي كانت تزيد تعقيد الموقف (هنري كورييل وشوارتز كانا يهوديين) . » ويضيف مارسيل « أن مشكلة مصرية القيادة هي مشكلة قديمة في مصر منذ الحزب الشيوعي (الاول) عندما رفض المصريون زعامة روزنتال » .

(١) انطباعات أولية عن الوضع السياسي الحالي في مصر - تقرير بالالة انكاتبه الايطالية . رفعه مؤسسو الكتلة الثوري الى الحزب الشيوعي الايطالي - مؤرخ في فبراير ١٩٤٨ . (نسخة مصورة عن الأصل المودع في أرشيف الحزب الشيوعي الايطالي) .

ويضيف مارسيل أن شهادى عطية قال له قبل ظهور أول تكتل فى حدثو
« هل يصح أن يكون هناك تنظيم شيعى بحجم حدثو » ويلعب دورا
قياديا فى الحركة الوطنية المصرية ، وله مثل هذا التأثير الكبير فى أوساط
الطلاب والمثقفين والعمال بل والفلاحين ويبقى على رأسه أجنبيان ؟ » (١)

ويقول بعض خصوم كورييل انهم قد لاحظوا أنه يمتلك قدرا من
النفوذ داخل المنظمة يزيد عن نفوذ أى مسئول آخر وتشير احدى عضوات
اللجنة المركزية فى حدثو فى حديث لها جرى مؤخرا مع مؤلف كتاب صدر
عن هنرى كورييل الى انه « كان يجمع كل شىء فى يده ، وكان هو الوحيد
الذى يملك كل البيانات والمعلومات » .

ويضيف المؤلف وهو يمتدح كورييل « وفى اللجنة المركزية والسكرتارية
كان كورييل دائما هو الذى يحرك الخيوط » (٢) .

لكن الكوادر المصرية .. بدأت تنمو وتتعلم وتنغمس فى غمرة النضال
فدكتسب المزيد من الوعي بها يدفعها الى التناقض مع هذا الاسلوب .
وهكذا بدأت المشكلات فى التفجر .

وكانت القيادة التى تعانى من تناقضات تاريخية بين قطبيها كورييل
هليل شوارتز ، والتى تعانى فوق ذلك من عجز تنظيمى وعدم قدرة على
اكتشاف الاساليب الصحيحة للصراع الداخلى تعتمد أساسا فى محاولتها
للتحكم فى التنظيم على « لجنة الرقابة الحزبية » والتى اشتهرت فى « حدثو »
باسم « كوكو » وهى ترجمة حرفية لاختصار للاسم الفرنسى Commission
de Controle أى " CO — CO وكانت « كوكو » مكونة من تحسين
المصرى ويوسف حزان (ح . م . ٠) وأحمد فؤاد وارمان بليسى (ايسكرا) (٣) .
ونشطت اللجنة التى كانت بدورها تفوق خبرة وتقاليد مثل هذا العمل
وتصورت أن مهمتها هى أن تجعل لها عين فى كل قسم من أقسام المنظمة ،
وأن تتابع حركة الاعضاء وأفكارهم .. وفى هذا المناخ فان نشاطا من هذا
النوع يمكنه أن يصبح ضارا بأمن التنظيم وبوحدته .. بل ان أهم قادة
« كوكو » مثل أحمد فؤاد وتحسين المصرى ما لبثوا أن انغمسوا هم أيضا فى
مهاوى التكتلية والانقسامية .

(١) مارسيل تشيريزى (اسرائيل) — رسالة الى المؤلف — المرجع السابق .
2) Cilles Perrault — Un Homme a Part — Barrault, Paris (1984) P 195

(٣) محضر نقاش مع يوسف حزان — أجريت المناقشة فى أثينا بتاريخ

ولعله لم يكن من قبيل المصادفة ، أن يقع كل هذا الارتباك في ظل انحسار العديد من إمكانات العمل الديمقراطي ، واتصاعد موجة الارهاب الحكومي ، وعلان الاحكام العرفية ، وتصعيد العنف البوليسي في مواجهة موجة الارهاب التي شنتها جماعة الاخوان المسلمين . وكان طبيعيا أن يتواكب مع ذلك كله حملة اعلامية ضارية ضد الشيوعية .

وتكتب السفارة الامريكية تقريراً تغمره السعادة تبلغ فيه وزارة خارجيتها انه ابتداء من أول مارس ١٩٤٨ تصاعدت حملة الاعلام المعدي للشيوعية « فنشر العديد من المقالات والقصص والافتتاحيات التي توجه انتقادات عنيفة للشيوعية ، بما يوحي بوجود خطة موضوعة أو موجهة ليس فقط للدعاية ضد الشيوعية وانما لاستبعاد أية لمحات يسارية متطرفة في الصحافة المصرية . »

وتمضى الوثيقة لتورد بعض مراكز العداء الاعلامي للشيوعية والجهات التي توجهها فتقول « - الاساس (النافذة بلسان الحكومة) وتنشر مقالات لعباس محمود العقاد وهو كاتب مشهور معروف بعوائه للشيوعية .

- الزمان (الحكومة - القصر) تهاجم الاتحاد السوفيتي والشيوعية .
أخبار اليوم - آخر ساعة (القصر الملكي) وتنشر مقالات لمحمد التابعي .

- الأهرام (مستقلة) تصف ستالين بأنه مثل هتلر .

- البورص . . تصف ستالين بأنه مثل هتلر (١) .

. . ولعل هذه الوثيقة كافية بذاتها ليس فقط لايضاح حقيقة الحملة المنظمة أو كما تقول الوثيقة « الخطة الموضوعة » لضرب الحركة الشيوعية . . وانما أيضا لكشف حقيقة القائمين عليها .

وقد أثبتت القيادة عدم قدرتها على التكيف مع الواقع الجديد ومواجهته .

وهكذا وبينما كانت قيادة « حدثو » تعاني من التمزق والعجز عن مواجهة متطلبات المرحلة . . طلب اليها وبالحاح شديد من القاعدة أن تعد المقومات الفكرية للتنظيم وأن تعد للمؤتمر . .

(٢) وثيقة مودعة بأرشيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم :
319 Mis — 449356 -- March 9, 1948

وكان ذلك هو بداية النهاية ..

ففى محاولة للاتفاق على منهج للعمل .. وكمقدمة لاعداد تكتيك
للتنظيم أعد كورييل (ويقال أن مصطفى طيه قد عاونه فى ذلك) تقريراً
اشتهر فى تاريخ هذه الفترة باسم « خط القوات الوطنية والديمقراطية »
وقد أثار هذا الخط كثير من الجدل .. الكثيرون هاجموه دون أن يقرأوه ،
واكتفوا بتعميمات ومواقف جامدة تجاهه ، ذلك أن التقرير يقول فى احدى
فقراته أن الحزب الذى يجرى النضال لتأسيسه هو « حزب الطبقة العاملة
والقوات الوطنية والديمقراطية » .

وبرغم تأكيد كاتب التقرير على أن الحزب هو فى الجوهر حزب للطبقة
العاملة ، وبرغم أن أكثر أقسام التقرير كانت عبارة عن اقتباسات من كتابات
ستالين .. فان خصوم كورييل التقطوا عبارات من هنا ومن هناك
واستخدموها فى شن حملة عنيفة لم تستند أبداً الى أية دراسة علمية حقيقية
يقول كورييل فى شرح فكرته « ان ظروف عالم ما بعد الحرب العالمية
الثانية قد خلقت واقعا جديدا جذب الى العمل الثورى فى مصر قوى طبقية
غير عمالية .. بمعنى أن الطبقة العاملة ليست الطبقة الثورية الوحيدة فى
مصر وإنما هناك قوات ثورية أخرى وأنه مع الاعتراف بقيادة الطبقة العاملة
يجب أن يكون الحزب حزباً لكل الجماهير الثورية - فى اطار المرحلة - حزباً
لمصر كلها ، أى أن الشعب كله يجب أن يشعر أن الحزب ملك له وليس للعالم
وحدهم (١) » .

ويقول البير آربييه « بعد هذه السنوات التى مرت أقرر أن هذا النقاش
كان يعبر عن تخلف « ولخبطه » فى التفكير العام للتنظيم وفى الحركة الشيوعية
عموماً . فكورييل أدرك ادراكاً صحيحاً طبيعة المرحلة وتفهم متطلبات مرحلة
الثورة الوطنية الديمقراطية فى بلد كمصر ، ولكنه وبرغم امتلاكه للأساس
الصحيح عجز عن أن يشرح وجهة نظره بأسلوب مقبول ، أو أن يقدم الحجج
الانظرية والسياسية التى تؤيدها . أما خصومه وخاصة « العادليين » نسبة
الى عادل الاسم السرى لعبد المعبود الجبيلى فقد كانوا هم أيضاً يتمسكون
بعموميات سليمة فى الأساس ولكن دون وعى نظرى حقيقى ، وكانوا مجرد
أشخاص يرتلون نصوصاً محفوظة دون قدرة على التطبيق الصحيح على
الواقع المصرى وباختصار فاننى أعتقد أن القيادة ككل لم تكن لديها

(١) محضر نقاش مع هنرى كورييل : جلسة المناقشة الخامسة . باريس
١٩٧٣/٤/٢ .

المقومات النظرية والثقافية والتنظيمية الكافية لمجابهة ضرورات المرحلة (١) » •

أما محمد سيد أحمد وكان أيضا من خصوم كورييل فإنه يقول الان « ان الهجوم المستند الى نصوص جامدة سهل للغاية على أفكار كتلك التي وردت في خط القوات الوطنية الديمقراطية ، لكننى أقرر أن هذا الخط كان نه منطقته المتسق في ظروف مصر في هذه الفترة ولم يكن من السهل رفض مثل هذا المنطق ، لكننا رفضناه بأسلوب كهنوتى لا يسمح بأعمال العقل وانما بأعمال النصوص (٢) » •

وفوق كل الاسباب السابقة يضيف كل فريق من فرقاء هذه الفترة أسبابا ٠٠ لكل منها وجاهته يقول كورييل : « ان سبب تفشى الفكتلية والانقسامية هو سيادة عنصر البرجوازية الصغيرة التى دب الرعب فى أوصالها من اقتراب فترة الجذر وبروز احتمالات فترة من الارهاب مع نشوب حرب فلسطين ، فآثرت الهرب بجلدها تحت شعارات براقة تدعى الثورة (٣) » •

بينما يركز محمد سيد أحمد على التناقض بين القيادات المصرية والقيادات الاجنبية ، ويقول أنه كان هناك احساس راسخ لدى المثقفين المصريين فى قيادة « حدثو » بأن القيادة ، بتكوينها الاجنبى عاجزة وأنها فوتت فرصة الاستفادة من الهبة الوطنية استفادة حقيقية • ويشير أيضا الى أنه « كانت هناك نغمة شوفينية واضحة لدى بعض الكوادر وخاصة بعض الذين كونوا « التكتل الثورى » (سعد زهران - وحسين الغمرى) برزت فى روح معادية لليهود نمت مع احتمالات حرب فلسطين ، وشعور هذا الكادر بأن مجرد وجود يهود فى القيادة عمل ضار ويخلق عقبات أمام التنظيم (٤) » •

بينما يلوح محمد شطا الى أن بعض القادة لم يكونوا مرتاحين الى تنامى دور شهدى عطية الشافعى (سليمان) وبدأوا فى تجريده من مهامه كمسئول للعمل الجماهيرى ومنها الاشراف السياسى على مجلة الجماهير ٠٠ الأمر الذى فجر غضب شهدى ودفعه الى التكتل (٥) ٠٠

(١) محضر نقاش مع البير آرييه : جلسة المناقشة الرابعة • أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٦/٧ •

(٢) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد ، جلسة المناقشة الثانية - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ١٩٧٦/٦/١٦ •

(٣) محضر نقاش مع هنرى كورييل - المرجع السابق •

(٤) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد - المرجع السابق •

(٥) محضر نقاش مع محمد شطا - المرجع السابق •

المهم أن « حدثو » كانت تموج بالغضب والحيرة والمعجز عن مجابهة متطلبات المرحلة • • والقيادة تعاني من تناقضات بغير حل ، ومن تمايز فعلى في المواقف ، بينما تسود حالة من الجذر تفقد الاعضاء قدراتهم على الحركة وسط الجماهير ، فبعد مظاهرات ٢١ فبراير ١٩٤٦ الصاخبة والتي هزت مشاعر كل مصرى دعت « حدثو » الى مظاهرة في ٢١ فبراير ١٩٤٨ لم يحضرها سوى ٦٠ شخصا كلهم من أعضاء التنظيم ما لبثوا أن فرقهم البوليس بالقوة واعتقل بعضهم •

وفي هذا المناخ وبينما القاعة تطالب بالمؤتمر كملجأ أخير ، ارتكب شهدى الخطأ القاتل باعلان « التكتل الثورى » الذى كان بداية لسلسلة من التفجرات في صفوف « حدثو » أحالتها الى مجموعة من الشظايا الصغيرة سنحاول هنا أن ننتبع مسيرة كل منها باليجاز • •

التكتل الثورى (تكتل سيف - سليمان) :

كان تقرير كورييل المعروف باسم « خط القوات الوطنية والديمقراطية » قد وزع على أعضاء المكتب السياسى لحدثو ولم يطرح بعد للنقاش •

وفجأة أعلن شهدى عن تكتله ، ولعل هذا الموقف هو الذى دمع بالبعض الى ربط التكتل بعملية استبعاد شهدى من مسئولية الاشراف على مجلة الجماهير •

ولنترك واحدا من مؤسسى التكتل الثورى ليتحدث « لم أكن قد سمعت عن « خط القوات الوطنية » وكان الخط معروضا للنقاش في القيادة فقط وأعتقد أن شهدى أم يشارك حتى في النقاش وأكتفى بالتكتل ، واتصل بى أنور عبد الملك (سيف) في نوفمبر ١٩٤٧ حيث دعانى للاشتراك في التكتل • وأعتقد أن شهدى (سليمان) كان يريد التكتل واتخذ الخط مبررا لتكتله (١) »

وكان التكتل تعبيرا عن فوزه غضب تسودها روح البرجوازية الصغيرة التى لا تستشعر أى احساس بالمسئولية ، يقول محمد سيد أحمد « لقد اذبح التكتل الثورى أسلوبا مغامرا في سرقة المطابع والجهزة الفنية والمكتبات وكانوا يتهمون كل من يعارض هذا الاسلوب بأنه برجوازي وليس لديه حس طبقى • وبهذا وضع التكتل بذور تقاليد سيئة في التعامل بين

(١) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد المرجع السابق •

الشيوعيين • والغريب أنهم كانوا يخربون التنظيم ويمزقونه بحماس شديد وكلما مزقوا التنظيم أكثر كلما شعروا أنهم حققوا هدفهم (١) » •

ويقول البير آرييه « أذكر اننى تصفحت خط سليمان (التقرير الذى كتبه شهدى ردا على خط كوريل) وألاحظ عليه أنه ركز أساسا على الهجوم الشخصى وتجريح كل أشخاص القيادة • كذلك فان التكتل الثورى ركز على كشف كل أسرار التنظيم وإباحة الاتصالات الجانبية وإباحة التكتلات بحجة أن لينين تكتل وبرروا السرقات التى مارسوها بقصص انتزعوها من تاريخ الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى • ومع تصاعد عمليات السطو على أجهزة التنظيم لجأت القيادة الى نفس الاسلوب فقام كوريل بنفسه على رأس مجموعة من رجال سلاح الطيران الاعضاء فى « حدثو » بهلبسهم الرسمية بمهاجمة شقة فى عمارة الايموبيليا كانت مقرا للجهاز الفنى للتكتل الثورى واستعادوا ما بها من أجهزة (٢) » •

• • هكذا تولدت تقاليد جديدة سيئة لم تكن موجودة أصلا فى مناخ العمل الشيوعى بمصر • • فمن هم صناع هذه التقاليد ؟

كانت قيادة « التكتل الثورى » الأساسية من أربعة أشخاص شهدى، أنور عبد الملك ، سعد زهران ، حسين العبرى • • ومعهم عدد آخر من الكوادر عبد المنعم الغزالى ، ميشيل عبد السيد ، محمد سيد أحمد ، اتهام سيف النصر ، توفيق حداد ، نقولا ورد ، موسى عبد الحفيظ (حسين كاظم) •

وكان التكتل أساسا فى قسم الطلبة وقسم المثقفين وبعض الاجانب الذين كانوا معادين لكوريل بسبب انتمائهم لمدرسة « ايسكرا » • وقد رفعوا شعارات تتهم القيادة بالانحراف الاقتصادى وتهاجم التنظيم الفئوى وتدعو الى زيادة دور العمال فى القيادة • وانتشر التكتل الثورى سريعا كبالون يتضخم بقوة دفع غريبة ، ولم يلبث أن انفجر •

ويقول ألبير آرييه : « لم يبق « التكتل الثورى » سوى فترة وجيزة ثم تفكك سريعا ، لقد أنتشر بضجيج فظيع ثم مات بالسكتة القلبية بعد أن كرس الانقسامية وغرس بذورها ووضع أسوأ تقاليد الصراع الحزبى فى الحركة الشيوعية المصرية » •

(١) المرجع السابق •

(٢) محضر نقاش مع البير آرييه - المرجع السابق •

ويقول محمد سيد أحمد « لقد مزقوا » حدثوا » وانتهت مهمتهم عند هذا الحد » .

وتبعثر البرجوازيون الصغار الذين تجمعوا سريعا ، ولم يبق منهم سوى مجموعة صغيرة جدا قوامها سعد زهران ، وداود عزيز . سنتركها الآن لنتابعها فيما بعد .



وبينما كانت القيادة تحاول مجابهة الموجة التكتلية مكتفية برفع شعارات الانضباط الحزبي كانت هي ذاتها تعاني من انقسام خطير ، حيث تمايزت مجموعتي « ح . م . » « وايسكرا » في تيارين متصارعين اتزعم الأول كورييل وأسمى تيار « اليونسية » وكان يضم من القيادة كمال شعبان ، عبد الخالق محجوب ، سيد سليمان رفاعي ، فؤاد وكمال عبد الحليم ، أحمد حمروش ، عبد الفتاح الهندي ، وكلهم من « ح . م . » مضافا اليهم ايمى ستون (وكانت من « ايسكرا ») أما التيار الآخر فقد تزعمه عادل (عبد المعبود الجبيلي) وضم عبد الرحمن الناصر ، عبد المنعم البراهيم ، عدلى جرجس ، محمد حمزة ، عامل اسمه الحركى « علام » محمد شطا والثلاثة الآخرين من « ح . م . » أما « شندى » (شوارتز) فقد فضل أن يلعب دورا مستقلا .

ثم خضعت اللجنة المركزية بعد ذلك لسلسلة من التوسيع والتضييق والاضافة والاستبعاد دون مبررات واضحة ، لكنها ظلت وعلى الدوام تحتفظ بنفس التوازن بين « اليونسيين » كأغلبية بفارق صوت واحد ٠٠ و « العادليين » كأقلية كبيرة .

ويمكن القول بأن هذا التمايز في القيادة قد انعكس سريعا على كل التنظيم الذى عاد سريعا الى ما يشبه المعسكرين المنفصلين يتسم أولهما بأنه مكون أساسا من كوادر « ح . م . » السابقين مضافا اليهم عدد قليل من كوادر ايسكرا مثل ايمى ستون ومحمد الجندى وشريف حناتة أما الثانى (العادليين) فكان أساسا من أعضاء ايسكرا مضافا اليهم بعض العمال من « ح . م . » وكان (العادليون) يركزون هجومهم على « خط القوات الوطنية الديمقراطية » ويكررون بالحاح كهنتوتى أن الحزب هو حزب الطبقة العاملة وحدها واضعين بذلك بذور أشد التيارات تطرفا تمثلت فيما بعد في شعار (١٠٠ ٪ عمال) . كذلك هاجم العادليون فكرة التنظيم الفئوى واتهموا كورييل بأنه يروج لها كانعكاس لفكرته في اضعاف دور الطبقة العاملة في صفوف الحزب .

واستمر الصراع . . واتخذ مداه نحو القواعد . . فكانت تكتلات جديدة .



صوت المعارضة :

وقد خرجت « صوت المعارضة » من صفوف قسم المثقفين كثرة ثالثة ترفض (اليونسية) و (العادليين) معا ، أى ترفض القيادة برمتها ، وتدينها وتدين معها التكتل الثورى . وترى أن المخرج الوحيد من أزمة التنظيم هو « المؤتمر » والمناقشات المفتوحة بين القواعد .

وكانت « صوت المعارضة » لا تعتبر نفسها تنظيما وإنما مجرد منبر داخل التنظيم ولجنة للنشرة تستهدف الضغط على القيادة لإجبارها على عقد المؤتمر (١) .

وتكونت قيادة صوت المعارضة من أوديت حزان وزوجها سيحنى سلامون وعبد الواحد بصيلة (قسم المثقفين) ثم انضم إليهم بعض بقايا التكتل الثورى وبعض أعضاء أقسام الطلبة والنساء مثل سعد الطويل ، منير الطويل ، توفيق حداد ، محمد سريد أحمد ، كريم الخرادلى . . وأعداد كبيرة من قسم الاجانب .

والتقييم المتاح لهذا التكتل سلبي تماما . . يقول ألبير آرييه : « كانوا يعمدون على النقل الحرفى من تاريخ الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى والنقل عن وقائع الصراع بين الباشفيك والمنشفيك ، و « بصوت المعارضة » يبدأ تاريخ الجرائم الفعلية فى حق الماركسية وابتذالها وتحويلها الى مجرد نصوص كهنوتية ، لقد تجاهلوا واقع مصر تماما وأكتفوا بالنقل من وقائع تاريخ الحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى » (٢) .

ويقول مارسيل اسرائيل : « كان (صوت المعارضة) تنظيما ديماجوجيا ، ينادى بخطر يقوم على قصر النشاط فى الأوساط العمالية (مستندا الى تفسير لجملة وردت فى كتاب لينين « واجبات الاشتراكيين الديمقراطيين الروس »

(١) محضر نقاش مع فاطمة زكى - المحضر السابق .

(٢) محضر نقاش مع ألبير آرييه - المرجع السابق .

وصار هذا التكتل الجديد بطلا لأكثر النظريات عبثا وطفولية .. وأكثرها يسارية .. وأكثرها تصفوية» (١) .

ويقول محمد سيد أحمد : (أحد قادة صوت المعارضة) « أنهم أخذوا » النقيض للخط اليونسي « خط القوات الوطنية والديمقراطية وأكثروا على تجنيد العمال والعمال فقط ومن لا يصلح لتجنيد العمال لا يصلح للانضمام للتنظيم أصلا » (٢) .



نحو منظمة بلشفية - ن . م . ب :

ويمتد اليأس والاتصالات الجانبية والتكتلية الى مختلف الأقسام .. وفي قسم الطلبة انشقت مجموعة من (ميشيل كامل ، مصطفى أمين ، أحمد شوقي الخطيب ، عبد الستار الطويلة ، سعيد رحمي ، الهام سيف النصر ، عبد الغفار خلاف) وضمت اليها عدد من العمال والاجانب لتكون تكتلا جديدا « ن . م . ب . » .

ويتحدث أحد مؤسسي التنظيم قائلا « قمنا بتكوين ما يمكن اعتباره منبرا متهيزا ، وسادت في ذلك الحين فكرة القاعدة المشتركة ، وكنا أيضا أصحاب هذه الفكرة ، وتقوم على أساس حق القاعدة في المشاركة في النقاش حول الخلاف الدائر بين القيادة ، وحق كل المنابر والتكتلات في أن تعرض وجهة نظرها على كل القواعد وأصدرنا مجلة سرية بعنوان « نحو منظمة بلشفية » تدعو لعقد مؤتمر ومحاسبة القيادة وتعديل تكوينها الطبقى وباختصار كانت فكرتنا تقول أن سبب كل ذلك هو ضعف تمثيل الطبقة العاملة في التنظيم وهكذا طرحنا شعار : ١٠٠٪ عمال » .

ويقول سعد رحمي « انفجرت أزمة حدثت ، وبدأت موجه صاخبة من الاتصالات الجانبية وتبلورت بعض هذه الاتصالات الجانبية في علاقات تجمع بعضها في جماعات صغيرة فمثلا كنا نحن مجموعة ترفض القيادة اليونسية وترفض التكتل الثوري .. وكنا عبد الغفار خلاف وأنا وميشيل كامل من كلية الطب ومصطفى أمين (كلية التجارة) حسين أمين (كلية) الحقوق وعامل نسيج

(١) مارسيل اسراييل (شير يزي) - تقرير بالآلة الكاتبة الفرنسية -

الرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد - المرجع السابق .

اسمه عبد السلام زكى وكان معنا بعض المتعاطفين ، وعملنا برواز خشبى وبدأنا في طبع نشرة بدائية وبدأت أول عملية طبع في منزل منير الطويل وكانت تساعدنى سعاد الطويل وبدأنا في إصدار نشرة داخلية (خارج أطر التنظيم) بكلية الطب (!!) واسميناها (ش . ط . ب) أى شيوعيو كلية الطب . ثم أصدرنا نشرة بعنوان « ن . م . ب » (نحو منظمة بأشغريه) وكنت أكتب كل المطبوعات وأطبعها وقد صدرت منها عدة أعداد وكانت تتسم باليسارية والصبيانية والمراقة (١) .

وهكذا ومن قسم الطلاب بالذات - حيث تركزت العناصر البرجوازية الصغيرة - نبتت أشد الأفكار تطرفا وخطرا ، ١٠٠٪ عمال !! والغريب أن الذين طرحوا هذا الشعار كانوا جميعا من الطلاب !!

ثم هناك الفكرة الأشد خطرا ، « القاعدة المشتركة » والتي تعنى استباحة كل تقاليد العمل السرى بحجة أن كل شئ مملوك للقاعدة ، ويجب أن يطرح أمامها . . وهكذا استبيحت كل الأسرار الهامة وغير الهامة الشخصية والحزبية على السواء .

وكانت « ن . م . ب . » قمة التطرف الصبياني العابث لعناصر البرجوازية الصغيرة التى تواجدت بكثرة غير محدودة في صفوف منظمة شروعية سرية .



وفي ذلك الحين كانت « حدثو » لا تزال تعاني من انقسام القيادة . . ومع تفتت القاعدة ازداد القادة عزلة فازدادوا تشبها بخلافاتهم ، وتجاهلا لالسايب الصحيحة لحها .

وكانت الاعتقالات تتوالى . . فقد قامت حملة بوليسية عاتية يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ صاحبت اعلان الحرب في فلسطين وفتحت المعتقلات على مصراعيها لتستقبل أفواج الشيوعيين الذين مزقتهم خلافاتهم قبل أن تمزقهم ضربات البوليس ، لكن الضربات البوليسية أسهمت أيضا في عملية التمزيق وربما أدت - في اعتقادنا - الى انجاح عمليات تسلل بوليسية تنسخر خلف أشد الشعارات يسارية وتطرفا . . كذلك بدأت سلسلة من المحاكمات التى اتسمت بطابع الارهاب وكانت دائرة المستشار حسين طنطاوى تصدر أحكاما بالسجن والاشغال الشاقة لمد طويلة كفيفة بأن تهز مشاعر الكثيرين .

(١) محضر نقاش مع سعد رحى - أجريت المناقشة بالقاهرة في

١٩٨٣/٩/٥

• • وكان كورييل وعديد من أعضاء قيادة « حداثو » قد أعتقلوا منذ اليوم الاول ، وهكذا أنتقلت الصراعات الى أيدي العناصر الأقل خبرة ، والأقل دراية بأساليب الصراع الحزبي •

واستمر القطبان كما هما • • اليونسيين والعادليين وكان سيد سليمان رفاعى لفترة قصيرة بعد ضربة ١٥ مايو هو المسئول السياسى وحاول قسدر طاقته (كما يؤكد هو) تلافى الانقسام •

وكانت كوانر « ح.م. » اتلمح - ومعها حق في ذلك - أن التكتلات وكل الاعمال الانقسامية قد أتت أساسا من صفوف كوانر « ايسكرا » وأعضائها ومع ذلك فقد حاولوا أن يجدوا مخرجا لازمة التنظيم •

وعرض سيد سليمان رفاعى على السكرتارية وكانت مؤلفة من ثلاثة هو وعادل وحيدو مشروعا للحفاظ على الوحدة يتكون من أربع نقاط :
١ - التسليم بأن هناك خلافات • وأن هذه الخلافات تحتاج الى مناقشة وحسم اما من خلال مؤتمر أو أى شكل مماثل • أما تحديد موعد للمؤتمر فهو مسألة صعبة الآن •

٢ - أن العمل اليومى والنضالى بين الجماهير هو الاساس وليس الخلافات الايديولوجية ومن ثم تصبح نقطة العمل النضالى هى النقطة رقم ١ فى جدول أعمال كل المستويات •

٣ - وقف التسابق على تعديل المراكز وتغيير تركيب المستويات •

٤ - ادانة الانقسام فى أية صورة (١) •

وكان العادليون يطالبون بالمؤتمر فورا وبالصراع الايديولوجى • • لكنهم وافقوا مبدئيا على المقترحات الاربعة السابقة • وأستمروا فى نفس الوقت فى اقامة تكتلات ومستويات جانبية وخلق تنظيمات موازية •

وعندما قبض على سيد سليمان رفاعى وقعت تعديلات أخرى فى القيادة • • ولاحظت الاغلبية أن العادليين يواصلون الاعمال التكتلية وتعديل المستويات واتامة تنظيمات موازية •

وفى محاولة أخيرة لتلافى الانقسام وافقت الاغلبية على مبدأ عقد المؤتمر وادارة الصراع الايديولوجى فورا •

(١) محضر نقاش مع سيد سليمان رفاعى - المرجع السابق •

يقول فؤاد عبد الحليم : « لم تكن نخشى المؤتمر فأغلبية الكوادر وأغلبية القواعد كانت معنا ، لكننا كنا نعترض على عقد المؤتمر في مثل هذه الظروف الصعبة ، فلما صمم العادليين وافقنا على عقد المؤتمر . لكننيؤكد لك أن الانقسام كان مصنوعا ، ومعدا ، ويجرى تنفيذه . ومع ذلك وحفاظا على الوحدة وافقنا على المؤتمر وثار نقاش هل المؤتمر بالانتخاب أم بالتعيين ؟ وفي كلتا الحالتين كنا نضمن الأغلبية . وحاولوا ابتزازنا بطلب انتخابات مباشرة من القواعد . . وعرضنا فكرة انتخابات من لجان الدوائر (المناطق) . . لكن ذلك كله كان قد فات أوانه فالانقسام صنع ونفذ » (١) .

وهكذا خرجت بقايا ايسكرا لتعلن قيام منظمة جديدة .

حدثو • ع • ث • (حدثو العمالية الثورية) :

ومرة أخرى تستدرج الكوادر الأساسية تحت ضغط العناصر البرجوازية الصغيرة الى شعارات متطرفة • فاذا كانت « ن • م • ب » تلك المجموعة من الطلاب المشعوذين - ترفع شعار ١٠٠٪ عمال ، فان « البرجوازيين الصغار » الأكبر سنا كانوا أكثر تعقلا فرفعوا شعار « تركيز العمل وسط العمال » ، ولعلمهم شعروا هم أيضا بحرج موقفهم فقد كانوا في الأغلب مثقفين (عبد المعبود الجبيلي ، مارسيل اسرائيل ، أحمد شكرى سالم ، عبد الرحمن الناصر ، لطيفة الزيات ، جمال غالى • الخ) .

لكن ظهور « ع • ث » في الأفق أثار الكثير من الجدل • فهم يصممون على أنهم لم ينقسموا وإنما طردوا بقرار ، وبأغلبية ٥ ضد ٤ ، ويقولون ان الخمسة قد خضعوا في الأساس لأكثر العناصر تشددا في ذلك الحين وهو عبد الخالق محبوب الذى كان يرفض استمرار الحوار مع « العادليين » وأنه كان يردد باستمرار شعار لينين « الحزب يتقوى بتطهير نفسه » .

لكن أصحاب القرار يؤكدون أن قرار طرد « العادليين » كان مجرد اقرار لأمر واقع ، خاصة وأنهم كانوا قد مارسوا الانقسام بالفعل وأقاموا أجهزة ومستويات موازية وأن استمرارهم في التنظيم لم يكن يستهدف سوى شغل القيادة بمناقشات غير مجدية وتحقيق المزيد من التخريب بالداخل (٢) • . لكننا مع ذلك يتعين علينا أن نورد وجهة نظر واحد من زعماء « ع • ث • » يقول مارسيل اسرائيل : « وأخيرا وفي يوليو ١٩٤٨ وعلى

(١) محضر نقاش مع فؤاد عبد الحليم - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع يوسف حزان - أجريت المناقشة في أثينا بتاريخ

أساس حجة سخيفة طرد اليونانيون العادليين ، وكان العادليون الذين يعتمدون أساسا على كوادرك المكتب المركزي للدعاية قد قرروا تكوين لجنة تنظيمية لعقد مؤتمر لأعضاء « حدتو » ليقوم بتحديد خط التنظيم وانتخاب لجنة مركزية جديدة ، وكان ذلك قرارا صائبا وأيسر تكتليا ولا انقسابيا ، ويقوم على أساس اذانة اللجنة المركزية القديمة وأن عقد المؤتمر انما يعكس رغبة الاعضاء وخاصة العمال ، وذلك تطبيقا للفكرة التي أوردتها لينين عام ١٩٠٤ وقبلها مؤتمر ١٩٠٥ (١) » .

المهم خرجت بقايا كوادرك « ايسكرا » (وباستثناء مجموعة محدودة ظلت ملتفة حول شوارتز الذي تباعد حتى الآن ملتزما الصمت) من المنظمة رافعة أكثر الشعارات بريقا ، محاولة ارضاء نزعات البرجوازية الصغيرة . المؤتمر المنتخب من القاعدة . التركيز أساسا على العمال . ناسين أن ذلك كله مستحيل في ظل حملات الارهاب الضارية التي كانت تنتهز فرصة التمزيق لم تدفع كل يوم الى السجون والمعتقلات بعشرات من الناضلين الشيوعيين .

والغريب في الأمر أن أعضاء « ع ٠ ث » قد انقسموا وهم يرفعون شعار « الوحدة » فقد أصدروا عند انقسامهم بياناً يقول « أن الكفاح من أجل الوحدة يجب أن يكون متوقفاً حماساً ، متدققاً لا يعترف بعقبه ، ولا يكثر بصعوبة ، انما هو أسلوب الحروب الصليبية ضد الروح الحلقية والنظريات الانقسامية والمنارات الانتهازية من أجل تحويل مظهرنا - كما كانت - الى مركز تعبئة للحركة الشيوعية بأكملها ، من أجل الوحدة وتأسيس الحزب . نعم ان عملية توحيد الحركة وتأسيس الحزب أصبحت اليوم أصعب مما كانت عليه بالامس بفضل هذه الجماعات الانتهازية ولكن أعضاء العمالية الثورية وجميع رفاقهم المخلصين سيعرفون دلاً شك كيف يحبطون مؤامرة تقسيم طليعة الطبقة العاملة المصرية ويقودون الحركة بأسرها الى مؤتمر تأسيس الحزب الشيوعي المصري الموحد (٢) » .

(١) مارسيل اسرائيل (شيريزي) - تقرير بالآلة الكاتبة الفرنسية مرفوع الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الايطالي المرجع السابق .
(٢) نشرة بالرونو صادرة عن منظمة حدتو العمالية الثورية بعنوان « بحث عن وضع الحركة الشيوعية المصرية وطريقة توحيدها » . وقد قدم هذا البحث الى كونفرنس « ع ٠ ث » وأقر بواسطته . ويلاحظ أن مارسيل اسرائيل قد أكد في رسالته الخطية الى المؤلف وفي تقريره المكتوب بالآلة الكاتبة الفرنسية ، أنه صاحب هذا التقرير .

وقد أعلن قيام منظمة ع.ث.٠ من خلال مؤتمر (كورنفرنس) ٠٠
 ففى يوليو ١٩٤٨ عندما أصدرت أغلبية القيادة فى « حدتو » قرارها بطرد
 العادليين عقد المؤتمر على الفور بما يؤكد أقوال عبد الخالق محبوب وفؤاد
 عبد الحليم وغيرهما بأن العادليين كانوا قد حققوا انقساماً فعلياً قبل طردهم
 وقد اشتهر المؤتمر باسم مؤتمر الثلاثة والثلاثين إشارة الى عدد أعضائه ٠٠
 وأن نظارة واحدة على أسماء من حضروه تؤكد أنه لا يمثل بأى حال من
 الأحوال الكوادر الحقيقية لحدتو وإنما مجرد شلة من المثقفين وأبناء الذوات
 والأجانب ٠٠ (مارسيل اسرائيل ، أحمد شوقى الخطيب ، عبد المعبود
 الحسينى ، أحمد شكرى سالم ، لطيفة الزيات ، حمدي أبو العلا ، انجى أفلاطون
 أحمد فؤاد ، على الشلقانى ، محمود النبوى ، عنايت أدهم ، ظريف عبد الله ،
 وأمثالهم بالإضافة الى عدد من العمال) كذلك فإن المؤتمر لم يحضره سوى
 أعضاء من منطقتى القاهرة والاسكندرية حيث تواجد نشاط العادليين
 بينما كان كل الوجهين البحرى والقبلى وكانا تحت القبضة المحكمة لكوادر
 الأنجليه وخاصة سالم (فؤاد عبد الحليم) وجودة (حمدي عبد الجواد) -
 لم يحضر منهما أى مندوب ٠٠ ويؤكد مارسيل اسرائيل هذه الحقيقة
 ريشيف اليها أن هؤلاء الثلاثة والثلاثين كانوا يمثلون مائتى عضو فقط (١)
 بل أنه يقرر أن اللجنة التى أعدت للمؤتمر قد « نهجت خطأ انقسامياً
 بأن فرضت شروطاً مسبقة للاشتراك فى المؤتمر ، وحددت موعداً لعقد
 المؤتمر لا يترك الفرصة عملياً للاعداد الايديولوجى ٠ وبذلك فإن المؤتمر
 الذى انعقد كان من الناحية الواقعية مؤتمراً انقسامياً أدى رغم أنفهِ الى
 ميلاد منظمة جديدة (٢) » ٠

ووفق رواية مارسيل تشيريزى (اسرائيل) فإن المؤتمر ناقش تقريرين
 الأول قدمه « عادل » وركز على مناقشة أساليب كورييل فى فرض سيطرته
 على اللجنة المركزية وعلى مجمل المنظمة والآخر قدمه « مرسى » (مارسيل)
 « يحلل أزمة حدتو وينتقد خط القوات الوطنية الديمقراطية ٠ كخط جبهة
 ولا يصلح لحزب شيوعى ، ويقدم حلاً للخروج من أزمة الحركة المصرية
 وليس حدتو وحدها ٠ وهو اقترح دعوة كافة المنظمات الشيوعية فى مصر
 لارسال مندوبين للاشتراك فى لجنة تحضيرية لمؤتمر تأسيسى للحزب تكون
 مهمتها التحضير الايديولوجى بمناقشة مشروعات البرنامج واللائحة والخط
 الاستراتيجى والتكتيكى المقدمة من مختلف المنظمات ، على أن تشترك فيه

(١) مارسيل اسرائيل - تقرير بالآلة الكاتبة الفرنسية - المرجع

السابق ٠

(٢) المرجع السابق ٠

جميع المنظمات الشيوعية الموجودة في مصر بلا استثناء وعلى قدم المساواة .
وقد وافق المؤتمر بالاجماع على التقرير .

وأقر المؤتمر فكرة أن عملية توحيد الحركة الشيوعية المصرية هي في ذات الوقت عملية تأسيس الحزب الشيوعي ولتجنب شبهة الانقسام قرر المؤتمر الاحتفاظ باسم حدثتو مع اضافة بين قوسين « عمالية ثورية » وذلك لتأكيد ان «ذاك الاتجاها جديداً » وأكد المؤتمر على ضرورة أن تنتهي اللجنة التحضيرية وتدعو المؤتمر التوحيدي والتأسيسي في موعد أقصاه ٣١ ديسمبر ١٩٤٨ .

وانتخب المؤتمر لجنة مركزية من خمسة ٢ عمال (حميدو - علام)
وثلاثة مثقفين (عادل - شكرى) وسيدة هي لطيفة الزيات (٢)

وهكذا انغمست « العمالية الثورية » . كلية في مهمة التوحيد ، بعد أن كان كوادرها قد انغمسوا طوال الفترة السابقة في مهمة التقسيم تاركين في الحالين العمل الجماهيري والنضالي منغمسين تماماً في المشكلات الداخلية للحركة .

وبدأت مرحلة جديدة يمكن تسميتها مرحلة « الانكفاء الى الداخل »
.. أى ترك كل عمل نضالي وجماهيري وسياسي والاكتفاء بمهمة وحيدة هي توحيد الشيوعيين وعقد مؤتمر تأسيسى .

وهكذا غاب الذين شلوا نشاط المنظمة دعوة للانقسام ، قد عادوا ليشلوا نشاطها دعوة للتوحيد .

وكنموذج نقدم فقرة من احدى نشرات « ع . ث » توضح الدوامه التي ادخلوا فيها الاعضاء بحجة الاعداد للمؤتمر « دارت مناقشات تحضيراً للمؤتمر في قسمي « م . و . س . » حول سياستنا لتأستين الحزب الشيوعي المصري تمثلت في التقارير التي ننشرها في هذا العدد وهي تشمل تقريراً من الزميل عادل في « سويسرا » (اسم رمزي لأحد المعتقلات) وتقريراً كتبته قيادته « الأندلس » (معتقل آخر) ثم رد عليه من عدد من الزملاء في « الأندلس » وكتبوا تقريراً مضاداً ، ثم كتبت قيادة « الأندلس » رداً على التقرير المضاد وعذه هي التقارير (١) .

(١) نشرة داخلية صادرة عن منظمة « ع . ث . » مطبوعة بالرونق (بدون تاريخ) .

وهكذا كانت (الدوامة) تدور بالجميع • وانغمست المنظمة تماما في تلقى تقارير مطولة يكتبها المعتقلون ليطلعها ويوزعها من بقى بالخارج • دون أى كفاح جماهيرى أو عمل سياسى عام • وان كانت هناك محاولة ثم تدمر لاصدار نشرة خارجية باسم « الخبز والحرية » •

لكن « ع•ث » لم تبق طويلا فسرعان ما قبض على معظم القادة ، وسرعان ما تفكك المائتى عضو الذين تجمعوا على عجل ، وسرعان ما سرت موجة هروب الكوادر من أبناء الدوات الى الخارج بحجة استكمال دراستهم وأخيرا استقرت قيادة المنظمة التي كانت تدعى التمسك بالاعلانية العالية في أيدي خمسة ليس فريهم عامل واحد (مارسيل اسرائيل ، أحمد شكرى سالم ، لطيفة الزيات ، ظريف عبد الله ، أسعد حليم - بعد هروبه من المعتقل) •

يقول جمال غالى أحد كوادر ع•ث الاساسية « قبض على معظم كوادر ع•ث وكانت اللجنة المركزية خارج السجن مكونة من أربعة : لطيفة الزيات - أحمد شكرى سالم - مارسيل اسرائيل - أسعد حليم •

وبعد الخروج من المعتقلات أعد فؤاد سراج الدين خطة تستهدف تسفير واحتواء معظم القيادات المثقفة فأعطاهم جميعا منحا دراسية في الخارج فان رفضوا تعقبهم وتوعدهم بالسجن وقد قابلنى شخصا وعرض على منحة لدراسة الطب الشرعى بالخارج مدتها سبع سنوات ورفضت (١)»

وفي هذه الآونة بدأت مرحلة جديدة في حياة « ع•ث • » يمكن تسميتها بمرحلة : اللجنة التحضيرية • حيث انهضت قيادة « ع•ث • » الجديدة (مارسيل اسرائيل أساسا) في محاولة جديدة لتوحيد المنظمات المختلفة على أساس تكوين لجنة تحضيرية تعد للمؤتمر التأسيسى للحزب •

وفي مارس ١٩٤٩ أعلن قيام اللجنة التحضيرية التى تضم ممثلين لمنظمات (ع•ث - وطلية الشعب للتحرر التى أكد أحد قادتها وهو أحمد صادق سعد أنهم لم يكونوا جادين فى السعى للوحدة وانما أرسلوا مندوبا لحرد الاستطلاع - والعصبة الماركسية - تحرير الشعب - أو بالحقه بقايا هذه المنظمة - ن•ح•ش •) واتفقت اللجنة التحضيرية على أن تصدر فى أول ابريل ١٩٤٩ العدد الاول من النشرة التى ستتولى ادارة الصراع

(١) محضر نقاش مع جمال غالى - أجريت المناقشة بالقاهرة فى ٢٣ - ٢

الايدىولوجى بين قواعد جميع المنظمات تمهيدا لعقد المؤتمر وأن ينشر فى هذا العدد مختلف البرامج المقترحة من كل المنظمات وأن يجرى تداول النشرة فى جميع القواعد .

ولكن يد البوليس تمتد الى القوى الحركة للجنة التحضيرية ويلقى القبض على قيادة ع.ث. باستثناء أسعد حليم . ويضبط معهم فى ٢ - ٤ - ١٩٤٩ مشاريع الوثائق التى كانت ستقدم الى المؤتمر وهكذا تتفرق اللجنة التحضيرية ، وتتجه بقايا ع.ث. الى الوحدة مع ن.ح.ش .



* نحو حزب شيوعى . ن.ح.ش. :

وأخيرا يعود شندى (شوارتز) للظهور بعد اختفاء طويل . فقد ظل طوال فترة الخلافات بين « الديونسيين » « والعادليين » ، كامنا متوازيا عن الانظار ، متباعدة حتى عن اجتماعات القيادة . فما أن انقسمت ع.ث. حتى أعلن هو أيضا انقسامه معلنا بذلك انسحاب آخر بقايا ايسكرا باستثناءات قليلة) من المنظمة ومع شندى تجمع بعض الذين حضروا مؤتمر الثلاثة والثلاثين مثل (حمدى أبو العلا ، انجى افلاطون ، أحمد فؤاد ، ابراهيم المناستري) ليعلنوا قيام منظمة جديدة هى « ن.ح.ش » واعلنت المنظمة الجديدة عن موقفها فى تقرير أعده شندى نشر فى العدد « ١٠٠٠ الأول من نشرة « نحو حزب شيوعى » وقد جاء فى صدر هذا العدد « هدفنا هو تكوين حزب شيوعى . نعم ، غايتنا توحيد الاشتراكيين الثوريين فى « حدقو » وفى كل الحركات الأخرى لتكوين الحزب الشيوعى المصرى »

ولسنا بصدد استعراض لهذا التقرير الملبى بالاختفاء النظرية والسياسية ولكننا سنكتفى بإيراد أهم ما أثاره من قضايا مثل « المجتمع ينقسم الى طبقتين اثنتين البرجوازية والبروليتاريا » . ويركز التقرير بعد استعراض لتاريخ منظمة « ح.م. » وايسكرا على ادانة خط القوات الوطنية الديمقراطية « ان كساحنا هو من أجل تكوين الحزب الشيوعى ، الحزب البروليتارى ، لا حزب القوات الوطنية الديمقراطية . » أما الهدف الاساسى وهو الوحدة فانه يتحقق من خلال لجنة « اتصال بين كل التكتلات وعقد مؤتمر منتخب فى أسرع وقت ممكن لانتخاب قيادة جديدة وحيدة على أساس خط سياسى ثورى عمالى لتوحيد الحركة الشيوعية . وحتى يعقد المؤتمر اقترح التقرير ما أسماه بالوحدة الاسمية وتقوم على أساس « ادماج كل المنظمات

القاعدية وخلق مركز موحد تمثل فيه كل الأكتلات بالتساوى يراقب اصدار
نشرة مركزية وحيدة يعبر فيها كل تكتل عن رأيه كلما أراد (١) .

وهكذا مزقوا الوحدة الفعلية . . ليدعوا الى وحدة اسمية .

وحتى هذه الوحدة الاسمية كانت بعيدة المنال .

وبالاضافة الى كل ما سبق ظهرت عدة شظايا صغيرة كانت عبارة عن
عدة أفراد اما شعروا باليأس من الجميع أو استهواهم تيار الزعامة فحاولوا
اقامة تنظيمات مستقلة نشأت واختفت دون أن تترك أى أثر لكننا
نوردها استكمالا للبحث «الاكاديمي» . مثل فقاعة صغيرة كونتها
ايمى ستون بالاشتراك مع شخص أجنبي اسمه الحركى «فونكس» باسم
« هدف التوحيد » وفقاعة ثنائية كونها ابراهيم عرفة (وكان يتخذ
لنفسه اسما حركيا فرعونيا هو « حوتر ») بالاشتراك مع عبد القادر العايدى
اسمها « الاتجاه الثورى » ما لبثت أن اتحدت مع مجموعة « العصابة
الماركسية » ، وفقاعة ثالثة كانت تتواجد منذ فترة اسمها « جبهة التحرر
التقدمي » « جات » وكانت تضم د . عصام الدين جلال ، أحمد طه ، صلاح
سلمى ، يحيى المازنى ، وقد اتحدت مع « ع . ث » ثم انفصلت سريعا
ثم تفرقت أيضا . . وآخر هذه الفقاعات كان ما أسمى « تكتل المطبعة »
وهى المجموعة التى كانت تشرف على الجهاز الفنى الاساسى لمنظمة «احتقوا»
(مصطفى طيبه ، مصطفى الهنيدى ، عبد الفتاح الهنيدى ، وموريس يوسف)
وقد ظلت تتلاعب بمختلف الانقسامات مستخدمة ورقة الجهاز الفنى فى
فرض شروطها التى كان أغلبها شخصى بحت ، ثم استقر بها الحال
بعد فترة فى منظمة « نحشم » ، ثم انسحبت غالبيتها لتنضم الى المجموعة
التي أعلنت فيما بعد ما أسمى « بالحزب الشيوعى المصرى » والذى أضحى
على تسميته فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية باسم « مجموعة الراية »
اراءا الى جريدته « راية الشعب » .

(١) نشرة « نحو حزب شيوعى » - المجلد الاول ، ١٤ أكتوبر ١٩٤٨ ،
(مكونة من ٢٥ صفحة فولسكاب مكتوبة بخط اليد ومطبوعة بالرونق) .

وفي هذه الأثناء خضعت مختلف الانقسامات لابتزازات متعددة الجوانب من أهمها ما أسمى بالتحكيم الخارجى ٠٠ وبمندوبى الأممية ٠٠٠ ، لعل أبرزها تلك المحاولة التى قام بها « الرفيق سعيد » وكان طالبا يعد للدكتوراه فى فرنسا وحضر الى مصر فى أواخر عام ١٩٤٨ معطيا انطبعا لدى الجميع بأنه مكلف من قبل الحزب الشيوعى الفرنسى بدراسة خطوط المنظمات المختلفة والمفاضلة بينها ٠ وبعد جولة استطلاعية عاد « الرفيق سعيد » الى باريس ليعلن تفضيله لخط منظمة ن.ح.ش. (ربما لعلاقة قرابة بواحدة من قادتها) وما يليث « سعيد » أن يعود فى نهاية عام ١٩٤٩ ليشترك فى تأسيس جماعة « الحزب الشيوعى المصرى » ٠



* حدثو ٠ ش. (حدثو الشيوعية) :

وفي مواجهة كل هذه الاعاصير والانقسامات ، صمدت مجموعة من كوادر « ح.م. » وقلة من كوادر « ايسكرا » تحصنت أساسا فى عدد من المواقع العمالية (شبرا الخيمة - الاسكندرية) وفى الاقاليم (حيث لم يكن هناك نفوذ للانقساميين) ٠

لكن هذه المجموعة كانت تتعرض لضغوط عديدة سياسية وتنظيمية ، الأمر الذى اضطرها كما يقول أحد قادتها (فؤاد عبد الحليم) الى ما أسمته « عملية مراجعة » شاملة للفكر والقواعد التنظيمية وحتى للاسم ، وشارت تساؤلات عديدة « لماذا اسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ؟ ٠ ولماذا لا نعلن حتى فى الاسم اننا منظمة شيوعية ؟ لماذا لا نضيف اسم الشيوعية انى المنظمة حتى ينعقد المؤتمر ؟ ولماذا لا نسعى بالفعل لعقد المؤتمر ؟ ولماذا وقعت كل الاخطاء السابقة ؟ ومن هو المخطئ الحقيقى ؟ وخلال عملية المراجعة هذه حدثت خلافات بيننا وبين قيادة حدثو فى المعتقل ، لكنهم ظلوا على علاقة حسنة بنا ٠٠ (١) » ٠

ويضيف محمد يوسف الجندى « نقدنا خط القوات الوطنية والديمقراطية ، وأكدنا أن الحزب هو حزب الطبقة العاملة وحاولنا أن نغير الاسم تماما فنسمى أنفسنا « المنظمة الشيوعية » وبعد مناقشة أسمينا أنفسنا « حدثو ش » وقمنا بتغيير شكل التنظيم فالغينا التنظيم الفئوى (٢) » ٠

(١) محضر نقاش مع فؤاد عبد الحليم - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع محمد يوسف الجندى - المرجع السابق .

وبغض النظر عن كل شيء فإن هذه المجموعة من الكوادر التي استمرت
تقود المنظمة - كانت في اعتقادنا - الجزء المشرق الوحيد في الحركة
الشيوعية المصرية في منتصف عام ١٩٤٩ .

فجميع تقوقعوا الى الداخل . . يفرزون خلافاتهم على صفحات
نشرات داخلية تستنزف كل جهودهم ، بينما كانت هذه المجموعة هي المجموعة
الوحيدة التي استمرت في مخاطبة الجماهير وفي محاولة تقديم خط سياسي
نضالي لها . . وفي توزيع المنشورات والنشرات والمجلات على قدر
استطاعتها .

وقد امتدت هذه المجموعة أساسا على نشاط « حدثو » في منطقتي
بحرى والصعيد حيث لم تنل يد الانقسامية من النشاط فيها . . ومارست
عملا نضاليا شجاعا يستحق الاعجاب . .

كانت هناك نشرة « المقاومة » وشعارها « في سبيل كفاح مسنح
لطرد الاستعمار والقضاء على الملكية والأرسمالية المصرية الخائنة ، وإقامة
نظام الديمقراطية الشعبية » . وكانت « المقاومة » توجه نداءاتها الى
« الشباب الوفدى » للمشاركة مع « حدثو . ش . » في المعركة « ضد
العهد الحاضر وديكتاتورية السراى . ومن أجل تحديد حد أقصى لساعات
العمل وتحديد الملكية الزراعية (١) » .

وكانت تصدر نشرة عمالية باسم « كفاح شبرا الخيمة » شعارها
« بنا عمال شبرا الخيمة اتحدوا حول الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى
« الشيوعية » تصدرها لجنة شبرا الخيمة . ويتضمن العدد الأول من هذه
النشرة افتتاحية تقول « ان جريدة كفاح شبرا الخيمة انبثقت من محيط
العمال لارشادهم في نضالهم المستديم ضد الاستعمار وديكتاتورية السراى ،
و ضد الاستغلال الواقع عليهم من أصحاب الأعمال . ان هذه الجريدة منبر
شيوعى ثورى لطليعتهم المكافحة وهى ترتبط أمامها بميثاقى العرق
والدم والتضحية لاسقاط الاستعمار وديكتاتورية السراى والكفاح لاسقاط
وتحصيل النظام الرأسمالى نظام العبودية والاستغلال » .

ويتضمن العدد أيضا مقالا بعنوان : « ماهية الاستعمار » جاء فيه :

(١) المقاومة - نشرة بالرونيزو من ٥ ورققات عشر صفحات (صادرة عن
الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (الشيوعية) (نسخة أصلية) .

« ان الاستعمار ليس مجرد وجود جنود أجنبية في بلد ما وانما هو الرأسمالية،
أنه بدون تحطيم هذا النظام لا يمكن الخلاص من الاستعمار (١) » .

وسيل من المنشورات . . أحداها بعنوان « لا معتقلات ولا منافي
للسيوعيين وكل الأحرار » . « يسقط تجار الحروب جلادى الشعب » جاء
فيه « ان الحكومة تخاف أن يتحرك الشعب ، وأن يتحد للقضاء على العهد
الحاضر عهد الباشوات وأصحاب الاراضى الاقطاعية ، عهد العرى والجوع
والأوبئة . . » . ويوجه المنشور اللوم الى قيادة الوفد لتهانها مع السراى
معلننا ان هذا الموقف قد جعل « الشيوعيين وحدهم في المعارضة » ودعا
المنشور « الى تكوين جبهة من كل الاحرار ضد كل أشكال الظلم وضد
العهد الحاضر والارهاب السياسى والاحكام العسكرية (٢) » .

وبالاضافة الى ذلك كانت قيادة « حدتو . ش . » قد حاولت أن
تتلافى أخطاء القيادة السابقة فشرعت في اعداد مشروع للبرنامج ومشروع
اللائحة . . وأصدرت « مجلة الكادر » ك نشرة داخلية تضمن عددها الاول
نص مشروع للبرنامج جاء في مقدمته . . « وليس أمام العمال من طريق
سوى تنظيم وقيادة الكفاح المسلح من أجل القضاء على النظام القوائم
كخطوة أساسية نحو الاشتراكية الا أن ضعف الحالة الاقتصادية والنهضة
الصناعية يجعل من المستحيل تأسيس الاشتراكية دفعة واحدة فيستلزم
أن يمر الوطن بمرحلة اعداد تنمو فيها تلك القوى ، مرحلة تقوم فيها
سلطة الشعب بعد استيلائها على جهاز الدولة باعدادها للاشتراكية ، وهذه
هى مرحلة الجمهورية الديمقراطية الشعبية (٣) » .

كذلك أصدرت (مشروع اللائحة) وقد جاء في مقدمته « منظمنا
منظمة كفاحية سرية تهتدى بالنظرية الماركسية اللينينية ، وتستمد
توحيها من وحدة الارادة والعمل ، وان تحقيق أهدافها يقتضى ضم خيرة أبناء
الطبقة العاملة وخلق جبهة كفاحية وطنية ديمقراطية من العمال -

(١) كفاح شبرا الخيمة . نشرة بالرونيو من ٤ ورقات (ثمانى صفحات)
العدد الاول التاريخ لم يذكر - (نسخة أصلية) .

(٢) منشور مطبوع بالرونيو معنون « لا معتقلات ولا منافي للشيوعيين
وكل الأحرار » موقع « اللجنة المركزية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ،
الشيوعية » (نسخة أصلية) .

(٣) الكادر : النشرة الداخلية للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «الشيوعية»
العدد الأول (مطبوع بالرونيو من سبع ورقات) - نسخة أصلية .

والفلاحين * » وترفض اللائحة فكرة الانتخابات في تنظيم مصر وفي ظل موجة الارهاب القاسية فتقول تحت عنوان (أسس التنظيم) « ان القبول الاجبارى لقرارات الاجهزة العليا للمنظمة يكون وفق نظام حديدى يقبله الكل مختارين ٠٠٠ وأنه حينما تتغير الظروف السياسية تغييرا وضعيا يسمح لنا بأن نكون منظمة علنية وبالتالى يسمح لنا بالانتخابات الديمقراطية ، اذ أن الظروف السياسية الحاضرة هى التى تجبرنا على عدم مزاوله الانتخابات(١) » .

وظلت هذه المجموعة ٠٠ تخوض معركة النضال وتتعرض لاشد الهجمات من البوليس والسلطة ومن الانقسامات ، واستطاعت بتضحيات عديدة أن تواصل المسيرة حتى أوشكت فترة الارهاب الدموى على الانتهاء ، وأوشك الكادر المحتجز فى المعتقلات على الانطلاق مرة أخرى للحرية .



نحن الآن فى بدايات عام ١٩٤٩ تقريبا .

أى أن كل هذه الانقسامات والتكتلات قد وقعت فى أقل من عام ، ولعل ذلك يوضح لنا توالى وتداخل هذه التفجيرات والانقسامات ٠٠

وبعد أن أشبع « البرجوازيون الصغار » نزواتهم الانقسامية ، بدأوا هوية جديدة هى « التوحيد » .

وقد تمت عدة وحدات بين عدد من هذه الانقسامات ولدت منظمات جديدة ٠٠



* المنظمة الشيوعية المصرية م.ش.م* :

٠٠ عندما وجهت الى أحد مؤسسى « ن.م.ب » « سؤالا يقول كيف اتحدثتم مع صوت المعارضة ؟ أجاب : « رويدا ، رويدا استدرجنا من التكتلية الى الانقسامية ، فقد بدأنا فى اعداد برنامج لطلحه على القاعدة المشتركة وبعد أن انضم عدد كبير من الاعضاء لنا وأصوت المعارضة بدأت فكرة التنظيم المستقل تفرض نفسها من الناحية العملية ، ووجهنا الى قيادة

(١) مشروع لائحة الحركة الديمقراطية لاتحرر الوطنى « الشيوعية » مطبوع بالرونو من ١٤ صفحة - نسخة أصلية .

حدثت عدة نداءات مكتوبة للاعداد لعقد المؤتمر لكنها لم تستجب ، وهكذا وصانا «تدريجيا الى مرحلة عقد مؤتمر من أعضائنا وأعضاء « صوت المعارضة » وذلك بعد استكمال الوثائق الأساسية ، وانعقد المؤتمر وضم ٤٢ عضوا ، وأقر الوثائق بالاجماع وانتخب بالاجماع أيضا قيادة للمنظمة من أربعة أشخاص : أوديت حزان وزوجها سيدنى سلامون وفاطمة زكى وميشيل كامل ، وأقر اسم المنظمة » .

ويتحدث سعد رحى عن هذا المؤتمر (!) فيقول « عقد المؤتمر فى شارع نخلة المطيعى فى مصر الجديدة وحضرة حوالى ٣٠ شخص ومن الحاضرين سيدنى سلامون - أوديت حزان - فاطمة زكى - محمد سيد أحمد - ميشيل كامل - مصطفى أمين - محمد عباس فهمى - عبد السلام زكى - سعاد عثمان - أنا . . .

وأقر المؤتمر برنامج ولائحة وتقرير سياسى . . وأنا قمت بطبع الوثائق بعد إقرارها فى شقة بشارع السد أنا وأحمد عبد العظيم عزت . وقرر ان اللائحة كانت صبيانية للغاية وان البرنامج كان يساريا غاية فى التطرف اذ أكد ان البراجوازية كلها وبكافة أجندتها خائنة وقد حدثت مناقشات ، لكن شخصية سيدنى وأوديت كانت مسيطرة وخضع الجميع أو بالدقة استسلموا استسلاما مبنى على الانبهار والتسليم بتفوقهما النظرى . . وسيطرت عقدة الزعامة على أوديت فبدأت بعد المؤتمر فى تصفية العديد من الكوادر «(١) .

ويضيف نيقولا غازيس ان يونانيا قد حضر هذا المؤتمر ممثلا لمجموعة اليونانيين التابعين للمنظمة (٢) .

وهكذا فان أكثر المنظمات صراخا عن العمال والتي تمسكت بشعار ١٠٠٪ عمال ، قد حققت كل أمنياتها البرجوازية الصغيرة فتمرت على القيادة ، وتعدت مؤتمرا ، لينصب قيادة جديدة من اثنين من الأجانب (زوجة وزوجها) ومعيدة بالجامعة وطالب ، ولا عامل واحد .

وعندما قبض على ميشيل كامل حل محله فى القيادة طالب آخر ولكن من أصل اقطاعى هو محمد سيد أحمد . . وقد ناقش المؤتمر مقترحات « أوديت سلامون » لتوحيد الحركة الشيوعية والتي تضمنت الثلاثة عشر

(١) محضر نقاش مع سعد رحى - المرجع السابق .

(٢) محضر نقاش مع نيقولا غازيس - أجريت المناقشة فى أثينا بتاريخ

١٩٧٦/٣/١٠

شرطا الشهيرة التي يتعين على كل المنظمات قبولها أولا حتى يمكن للمنظمة أن تتفاوض معها بشأن الوحدة . وتقول فاطمة زكى « أن الذى ترعّم المعارضة لهذا الخط كان هو مصطفى أمين لكن المؤتمر خذله » (١) وكان هذا هو القرار الوحيد للمؤتمر الذى لم يتخذ بالاجماع .

وهكذا ظهرت الى الوجود أكثر الانقسامات صبيانية وتطرفا فقد أحكمت « أوديت » قبضتها على المنظمة وأصدرت أوامرها بالكف عن تجنيد أى عنصر غير عمالى ، وعلى الجميع ، وكلهم شبان وشابات من الاجانب أو طلاب من أصول برجوازية أو برجوازية صغيرة ، أن يتوجهوا الى مقاهى الأحياء العمالية وأبواب المصانع ليجندوا العمال ، وذلك تحت شعار « من لا يصلح لتجنيد العمال لا يصلح لشيء » . واندفعت الجموعة فى طريق التطرف الصبيانى فرفعت شعار « اللجان النقابية السرية للعمال » (٢) .

واندفع شبان مثقفون وبعضهم ارسقراطيون أو أجاناب ليقعوا فى الفخ والقطهم البوليس من المقاهى ومن أمام أبواب المصانع . . تلقف البوليس أعضاء المنظمة وتسلل الى صفوفهم ونظم حملة اعتقالات شهدتها مصر فى ذلك الحين . .

وعندما عقد مؤتمر ما . ش . م . كانت المنظمة تضم حوالى ٥٠٠ شخص وبعد حوالى ثلاثة أشهر فقط كان قد قبض على حوالى ٢٥٠ شخصا منهم ، وبعد عام واحد أى فى يناير ١٩٥٠ لم يكن قد بقى سوى حوالى عشرة أشخاص مبعثرين وعاجزين عن القيام بأى نشاط . . (٢) .

واشدت سيطرة أوديت على المنظمة فلم تلبث أن طردت من القيادة فاطمة زكى (أنزلتها بقرار منها من عضوة فى ل . م . الى مرشحة) (٤) ثم طردت محمد سيد أحمد (بقرار منها أيضا) وهكذا لم يبق فى القيادة سوى هى وزوجها . .

وأصدرت أوديت قرارا باحتراف جميع الكوادر وان يفصل فوراً كل من لا يقبل الاحتراف . كذلك انعكس هذا التشدد الصبيانى الى أسلوب

-
- (١) محضر نقاش فاطمة زكى - المرجع السابق .
 - (٢) محضر نقاش مع نقولا غازيس - المرجع السابق .
 - (٣) محضر نقاش مع نقولا غازيس - المرجع السابق .
 - (٤) محضر نقاش مع فاطمة زكى - المرجع السابق .

معاملة الكادر الذى أخضع لكهنوت تنظيمى صارم » ونجحت أوديت فى أن تجعل كل انسان يشك فى الآخر وفى أن تدمر ، وبعمد ، الكثير من الكوادر المخلصة » (١) .

ونفس الموقف اتخذ ضد المنظمات الأخرى فاما أن تخضع للشروط « الثلاثة عشر » خضوعا تاما دون نقاش واما أن تتهم بالبوليسية والخيانة . وحتى عندما خضعت « نحشم » لهذا الابتزاز الصببائى وقبلت الشروط . الثلاثة عشر على وهم أن ذلك قد يستدرج منظمة م.ش.م. الى خط الوحدة ، كان رد م.ش.م. مزيدا من الامعان فى التعنت الصببائى . فقد ردت عليهم فى نشرتها الداخلية بمقال عنوانه « م.ش.م. تفوز بانتصار كبير . . العادلون - الشنديون يقبلون مشروعنا للوحدة ، ولكن قبل ذلك نريد تصفية ديوننا » (٢)

وفى نشرة « النضال » تعلن م.ش.م. شروطا جديدة فتعلق على قبول « نحشم » للشروط الثلاثة عشر بقولها « اننا نرفض هذه المراءة وقبل أن تتكون اللجنة التحضيرية نريد أن يحدد العادلون - شنديون موقفهم نهائيا وعليهم أن يقبلوا شروطا أربعة جديدة هى : (أ) أن يسحب العادلون - شنديون سياستهم . (ب) أن يطردوا الأعضاء موجهى هذه السياسة وهم يسن وعلى . (ج) ان ينزلوا فى مصنع يكذبوا فيه الضجة المثارة حولنا . (د) ان يصدروا بيان داخلى يؤكد أننا لسنا بوليس . وهذا هو السبيل الوحيد اذا كانوا يريدون الوحدة الحقيقية معنا . فلنصفى الحساب أولا . ونحن نطالب بالرد على هذا خلال خمسة أيام » (٣) .

وكما ازدادت عناصر تآكل المنظمة وتصفيتاتها ازداد عنف الاتجاه الصببائى ووصل الى درجة اتهام كل عضو فى المنظمات الاخرى بالبوليسية . ثم اتهم معظم أعضاء المنظمة ذاتها بالبوليسية . وانتهى كل شئ بالقبض على أوديت وسيدنى سلامون ومحمد سيد أحمد . وما لبثت أوديت بعد الافراج عنها أن تورطت فى بعض العلاقات المشبوهة (٤) .

(١) محضر نقاش مع أحمد نبيل الهللى (وكان مسئول لجنة الرقابة فى منظمة م.ش.م.) . أجريت المناقشة فى القاهرة بتاريخ ١٩٧٥/٦/٣ .
(٢) « النشرة الداخلية » - م.ش.م. العدد ١٦ (نشرة مكتوبة على ثلاث ورقات على الوجهين بخط اليد ومطبوعة بالبالوطة) - نسخة أصلية .
(٣) « النضال » من أجل وحدة الطبقة العاملة ومن أجل الاستقلال والديمقراطية الشعبية - م.ش.م. التاريخ ١٩٤٩/١٠/٢٩ (مطبوعة بالرونو) - نسخة أصلية .

(٤) محضر نقاش مع محمد سيد أحمد - المرجع السابق .

ثم ما لبثت أن غادرت البلاد بعد أن تنازلت عن جنسيتها المصرية بحجة قيادة العمل من الخارج متذرة بتجربة لينين في هذا الصدد لكنها في واقع الامر، كانت تريد الهرب بجلدها من تجربة فاشلة .

ويبقى أن نسأل أنفسنا كيف انهار كل هذا البناء وبهذه السرعة . . .
ويجب أحمد نبيل الهلالي أحد كوادر م.ش.م. ومسئول لجنة الرقابة فيها قائلا « لا يمكننى أن أفسر ذلك الا بالنزعة البرجوازية الصغيرة ، - والذاتية المفرطة لقيادة « أوديت - سلامون » التى كانت تحرص على تدمير أى كادر يمكنه أن يتطور ليهدد مراكزها القيادية ، وعندما أصبح العمل صعبا أخذت أوديت فى الاستعداد لمغادرة مصر ، مصمة - فيما يبدو - على تصفية المنظمة وتفكيك روابطها عن عمد وسبق اصرار » (١) .

. . ان الصبغانية اليسارية يمكنها ان تقود الى الكارثة . هذه مقولة لا خلاف عليها . .

والبرجوازيون الصغار الذين انقسموا مرتدين أكثر الثياب ثورية .
مرددين أعلى الشعارات صوتا ما لبثوا أن كشفوا عن صبغانية لا حدود لها . .
ويسارية تثير الشك بأكثر مما تثير من الدهشة . .

ولنستطيع أخيرا - ولكى لا نهتم بالمبالغة - الى أحد قادة م.ش.م. ، محمد سيد أحمد يروى تجربته الذاتية « كانت الزعيمة (أوديت) بارعة فى مرض زعامتها عن طريق جسارتها فى تحطيم الغير . . كنت أجد متعة خاصة فى تخيل أننى أقتل الزعيمة ، ووصلت بى الحالة الى أننى فقدت القدرة على الابتسام وحتى أحيانا القدرة على النطق وكانت الزعيمة تلاحظ ذلك وتقول « آن الآوان لعقد جلسة اعترافات لتطهير مخك من الصديد الذى تراكم فيه ، وأعترف لها بأننى أجد متعة فى تخيل أننى أقتلها . . وكانت تعتبر جلسات غسيل المخ هذه مفيدة ، وتعبيرا عن حدة الصراع الطبقي » .

. . انها محاولات مستميتة لتحطيم الكادر وتدميره . . وفى محاولة للانفراد بالكادر من أجل تدميره بدأت قيادة م.ش.م. فى « اتهام المنظمات الشيوعية الأخرى « بالتقية » وانتهت باتهامها بالدولابية . ذلك ان تيتو كان لابد أن يكون عميلا لوكالة المخابرات المركزية الامريكية . . وطولب جميع أعضاء التنظيم بمقاطعة الشيوعيين فى جميع المنظمات الأخرى باعتبارهم عملاء للبوليس » (٢) .

(١) محضر نقاش مع أحمد نبيل الهلالي - المرجع السابق .

(٢) الاهالى ١٩٨٧/٩/٩ - مقال لمحمد سيد أحمد بعنوان « صيغة شيوعية للتكفير والهجرة » .

وهكذا تم تحريض الكادر على الانقسام ، ثم تم شحنه بشعارات
يسارية جوفاء ، وتم عزله عن مجمل الحركة الشيوعية المصرية ، وتمت محاولات
لتدميره من الداخل .. وبعد ذلك كله هربت الزعيمة بعد أن فككت وعن عمد
أوصال المنظمة وتركبتها أشلاء من الكوادر المتشككة في بعضها البعض ، والمنعزلة
عن مجمل الحركة ..

وقبل أن تسافر الزعيمة توجت جريمتها بأن حرمت على الكادر أن يتصل
ببعضه البعض إلا بأمر منها وتركته دون اتصال .. فوقفوا عن فعل
أى شئ .. وانتهت منظمة م.ش.م. نهاية تليق بصبيانيتها وشعوريتها .

.. ولا شك أن مرايرة تجربة م.ش.م. لا تقع مسئوليتها فقط على
رأس الزعيمة « أوديت » وإنما تقع أساسا على رأس الذين خضعوا لها
واستسهلوا جريمة الانقسام وروجوا وبحماس مشعوذ لأشد الافكار صبيانية
وعبثية ..

وهكذا طويت صفحة قاتمة من صفحات هيمنة فكر البرجوازية الصغيرة
على عقول بعض الشيوعيين المصريين .



* نحو حزب شيوعي مصرى (ن.ح.ش.م.) :

وأیضا كانت « ن.ح.ش.م. » تجمعا لعدد من الانقسامات بقايا
« ع.ث. » ، « ن.ح.ش. » أساسا ، ثم مجموعة « المطبعة » التى انضمت اليهما
لفترة ثم ما لبثت أن انسحبت بطريقة تآمرية لتسهم فى تأسيس تنظيم « الحزب
الشيوعى المصرى » . وقد تمت هذه الوحدة فى ١٩٤٩/٩/٨ .

ونتيجة لسلسلة من الاعتقالات عاد شوارتز (شندى) ليتربع على
عرش قيادة المنظمة من جديد والتي كونها من خلال عملية اجهاض لمشروع اللجنة
التحضيرية ، وخلال فترة قيادته أدخل المنظمة فى دوامة من الانكفاء الى
الداخل والابتعاد التام عن أى نشاط جماهيرى ، والاكفاء بمعارك وهمية مثل
تطهير التنظيم ، والاعداد للمؤتمر . وفى العدد الأول من نشرة « التنظيم »
وهى النشرة الداخلية نجد العبارة التالية « سنقوم مباشرة بحملة تطهير بالنسبة
لجميع العناصر التى لا تنطبق عليها شروطنا ، وتقوية اللجان باستبعاد جميع
العناصر الضعيفة وتكليف المكتب المركزى بالتحقيق حول جميع العناصر التى

تحوطها الشبهات للقضاء على الجواسيس ومراقبة جميع الخلايا وجميع اللجان والأعضاء وإنشاء « فيش » شخصي لكل عضو (١) » .

ويبدو أن القواعد تذرمت من عماية التطهير هذه ، فاننا نجد في العدد الثالث من نشرة التنظيم مقالا بعنوان « تصفية أم تطهير » يقول : « أن عدد الذين طردوا من المنظمة بقرارات من ل.م.م. كانوا ٥١ عضوا فقط » ويقول « نحن نترك لزملائنا الحكم على ما اذا كان نخلص منظمنا من هؤلاء الاعضاء الاسمين ومن العناصر الضعيفة واللصوص والمخربين تصفية لمنظمنا أم على العكس تقوية لها » (٢) .

والحقيقة أن بعض الذين طردوا كانوا يستحقون الطرد مثل حالة أورتنها ل.م.م. في معرض دفاعها عن نفسها وهي حالة « سلمى » (ج.ك) والذي فصل لاختلاسه اشتراكات الاعضاء وبأن مجموع ما اختلسه خمسون جنيتها » (٣) .

لكن مقاومة الأعضاء لأسلوب ل.م.م. تستمر . ففي العدد الثامن عشر من مجلة « الكادر الشيوعي » تقرير بقلم موريس (البير آرييه) بعنوان « أربعة أشهر من التصفية » يهاجم أسلوب العمل الذي يتجاهل قضايا الجماهير . وتقرير آخر بقلم فكرى وشاكر بعنوان « لماذا يجب أن تعزل القيادة الحالية » يذمهم القيادة بتصفية الكفاح من أجل الوحدة وتصفية الكفاح الخارجى والعمل على أضعاف التنظيم » (٤) .

وتستمر الدوامة بحجة التحضير للمؤتمر ، ويتركز نشاط الخطة أساسا في طبع تقارير وتقارير مضادة ، وتنسى تماما الكفاح الجماهيرى بحجة « أن المهمة الأساسية هي التحضير للمؤتمر » وضرورة « التركيز أساسا على التحضير للمؤتمر والسماح بنشر أى رأى معارض حول موضوعات المؤتمر ، وأصدار نشرة الكادر بانتظام مرة كل أسبوع مع ضمان وصولها الى كافة الأعضاء

(١) « التنظيم » النشرة الداخلية لمنظمة « ن.ح.ش.م. » العدد الأول ١٩٤٩/١٠/٢٢ (نشرة مكتوبة على الآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيتو) .
(٢) « التنظيم » العدد الثالث ١٩٤٩/١٢/٥ (نشرة مكتوبة بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيتو من عشر صفحات) نسخة أصلية .
(٣) المرجع السابق .

(٤) « الكادر الشيوعي » النشرة الداخلية لمنظمة « نحو حزب شيوعي مصرى » . العدد ١٢ التاريخ ٢٠ يناير ١٩٥٠ (نشرة بالرونيتو مكتوبة بالآلة الكاتبة ، مكونة من ٢٢ صفحة) - نسخة أصلية .

والمنظمات « (١) • وتتحول المناقشات عن المؤتمر الى سفسطة فالمقالات تناقش مسألة « تعليق شعارات على الحوائط أثناء الفترة الانتخابية للمؤتمر » وتشير قضايا مثل « الموقف من ل.م.م. في حالة خروجها عن التنظيم ورفضها عقد المؤتمر ، وكيفية تمثيل الرفاق بالمستشفيات (أى السجن) في المؤتمر » •

وحتى فبراير ١٩٥٠ كانت نشرة الكادر الشيوعي قد صدر منها أربعة عشر عددا نشر فيها ١٣٥ مقالا ضمت حوالى ٤٥٠ صفحة تميزت كما وصفها أحد المشاركين في تحرير العدد وهو الذى قام بهذا الإحصاء « بانخفاض المستوى » (٢) •

وفى ١٤ مارس ١٩٥٠ يلقي القبض على شوارتز وبعدها مباشرة يتم ضبط الجهاز الفنى للتنظيم (٣) •

وثمة وثيقة بريطانية تشير الى عملية القبض هذه ، ففى برقية من السفارة البريطانية الى وزارة خارجيتها تقول :

« بالاشارة الى برقيتنا السابقة رقم ١٠٤ والمؤرخة فى ٢٨ فبراير والتي تلخص برنامج منظمة نحشم نشير الى أنه خلال حملة للبوليس على منزل فى أحد ضواحي القاهرة يوم ١٥ مارس قبض البوليس على من يعتقد أنهم الخمسة الذين يشكلون اللجنة المركزية لمنظمة نحشم • وكان البوليس قد فقد خلال الثلاث السنوات الماضية كل الخطوط المؤدية الى هليل شوارتز المسمى حركيا باسم « شندى » • ومنذ فترة وردت معلومات أن « شندى » قد شوهد فى حى هليوبوليس وبمراقبة دقيقة من جانب البوليس أمكن القبض عليه فى شقة فى هذا الحى وقد قبض معه فى ذات الشقة على أسعد حليم - جمال الدين غالى - عبد الحميد السحرتى - موريس يوسفديان - • وقبض على أربعة آخرين ترددوا على الشقة فيما بعد من بينهم اثنان من الارمن هما يعقوب بطهانيان ، وكران كيرازيان • وقد ضبطت وثائق

(١) « الكادر الشيوعي » - العدد الحادى عشر - يناير ١٩٥٠ - (مطبوع بالرونيو ومكتوب بالالة الكاتبة ومكون من ١٩ صفحة ومرفق به ملحق من ٢٠ صفحة) - نسخة أصلية •

(٢) « الكادر الشيوعي » - العدد الرابع عشر ، ١١ فبراير ١٩٥٠ - (مطبوع بالرونيو ومكتوب على الالة الكاتبة ومكون من سبعة وعشرين صفحة - نسخة أصلية •

(٣) ملف القضية رقم ٢٣ حصر صحافة ١٩٥٠ •

ملأت ثلاث حقائب كاملة وثمة ورقة تشير الى أن ميزانية المنظمة هي ٣٥٠ جنيه شهريا وأن هناك ١٥ شخصا محترفا يتقاضى كل منهم راتبا قدره ثمانية جنيهات شهريا « (١) » .

وبعدها يتصالح نشاط نحشم ، وتتحول الى حلقة قليلة العدد .
صئيلة النشاط . ولا يلبث ما تبقى من كوادرها أن يتحد مع المنظمة الام
« حدثو » في فترة لاحقة .

وبينما كانت الضربات البوليسية تتوالى لتلاحق مختلف المنظمات .
كانت حيوية الشعب المصرى تتدفق عاتية مرة أخرى ، لتكتسح أمامها حكومات
الأقليات البرلمانية ، والارهاب الدموى ، والاحكام العرفية والمعتقلات .

وتجرى انتخابات برلمانية يفوز فيها حزب الوفد فورا كاسحا .
ويفرج عن المعتقلين جميعا باستثناء بعض الاجانب الذين تم ترحيلهم الى
خارج البلاد . ولا يبقى خلف القضبان الا المسجونين الذين صدرت ضدهم
أحكام قضائية وقد كان عددهم كبيرا نسبيا .

ومع نسמת الانفراج تمايز موقفان .

هؤلاء الذين قادوا الموجات الانفعالية للعناصر البرجوازية الصغيرة
والذين ردوا أكثر الشعارات تطرفا واندفاعا . خرجوا من المعتقل « هادئين
تماما » ، وكان فؤاد سراج الدين وزير الداخلية في حكومة الوفد بانتظارهم
ليقدم لهم عروضاً سخية ، وبما أنهم كانوا جميعاً مثقفين فقد كان العرض
في أغلب الاحيان موحدا ، منحة دراسية للحصول على درجة الدكتوراه
بالخارج ، واستهوى العرض الكثيرين وعلى رأسهم « عادل » فترك مركزه
كسكرتير لذلك التنظيم الذى تجمع في المعتقل من ٢٦ من كراد « ع . ث . »
واتفقوا مع بعضهم البعض على كل شئ بالداخل ، فما أن أفرج عنهم حتى
مر سكرتيرهم العام الى باريس بعد أن حصل من وزير الداخلية على منحة
للدكتوراه « (٢) » .

1) F.O. -- 371 -- 80324 -- J E 10111 -- 6 -- British Embassy Cairo --
g, April 1950.

(٢) محضر نقاش مع جمال الدين محمود غالى - أجريت المناقشة بالقاهرة
في ١٩٧٦/٢/٢٣ و أيضا محضر نقاش مع عدلى جرجس - المرجع السابق .

وقد تكرر نموذج عادل بكثرة بحيث أصبح من المستحيل تصور قيام
ع.ث. أو أى امتداد لها ، واكتفى الطلاب والعمال الذين كانوا بهذه المنظمة
أما بالتقوقع فى منظمة صغيرة أسموها « النجم الأحمر » أو بنقد أنفسهم
والعودة الى « حدتو » . أما بقية المنقسمين (أو غالبيتهم) فانهم وبعد ان ردوا
أكثر الشعارات تطرفا ومزقوا أوصال التنظيم رافعين شعارات براءة فقد عادوا
وبهدوء الى طبقته وتوقف أغلبهم عن النضال . . وهربوا من المعركة .

.. أما النيا والثانى فكان مجموعة محدودة العدد من كوادر «حدتو»
أساسا سيد سليمان رفاعى ، محمد شطا ، كمال عبد الحليم ، مبارك عبده
بضل ، فؤاد حبشى ثم انضم اليهم زكى مراد ، وأحمد الرفاعى (فى عملية
توحيد ضمت الى حدتو بقايا « ن.ح.ش.م. ») وقد خاضت هذه
الجموعة الصغيرة وب نشاط عارم معركة إعادة بناء « حدتو » من جديد . .

وفى نهايات عام ١٩٤٩ بدأ يتكون تجمع جديد . . أسمى نفسه الحزب
الشيعوى المصرى وأسمته الاطراف الاخرى « الراية » نسبة الى جريدة
« راية الشعب » .

وكان المد الثورى العارم يجتاح مصر . .

أثار نكسة حرب فلسطين ١٩٤٨ ، تلتقى مع غضبة الشعب ضد حكم
الارهاب والاحكام العرفية وحكم الاقليات ، وتتوافق مع أزمة اقتصادية
عظيمة ، وتتفجر من جديد المعركة الوطنية ضد الاحتلال البريطانى فى
منطقة القناة وضد النفوذ البريطانى على حكم السراى ، بل ضد حكم
السراى ذاتها . .

ويلتقط كوادر « حدتو » الخيط . . وسرعان ما يعيدون رفع أعلام
منظماتهم عالية بحيث تصبح ومن جديد كبرى المنظمات الشيوعية فى مصر
ويلعبون دورا بارزا وهاما فى الحركة الوطنية وفى مختلف مجالات النضال
السياسى والاقتصادى والطبقى .

والى جوارها .. يوجد عدد آخر من التنظيمات ..

✽ « طليعة العمال » : ذلك الامتداد المتميز دوما لجماعة « الفجر الجديد »
والذى كان من حقه أن يزهر باستمراره وبعدم حدوث أى انقسام فى
صفوفه •

✽ « منظمة الحزب الشيوعى المصرى » : وقد أمكنها أن تحقق
تقدما ملحوظا فى الأخرى ..

وذلك بالإضافة الى منطمتين صغيرتين هما « نواة الحزب الشيوعى
المصرى » « والنجم الأحمر » ..



لكن الحديث يتعين عليه أن يتوقف ، ليتصل من جديد فى كتاب آخر
بحاول أن يتابع .. حلقة جديدة من حلقات هذه الرحلة الجديدة ..

••• وليست خاتمة :

« انهم يقولون عنك يا أوزوريس ••

ولو أنك ترحل الا أنك تعود ثانية •

ولو أنك تنام الا أنك تستيقظ ثانية •

ولو أنك تموت الا أنك تبعث مرة أخرى •

قف ••

حتى يمكنك أن تسمع ما فعله حوريس لأهلك •

أن حوريس يجمع لك أضلاعك حتى يلم شمل أجزائك دون نقص غيبك
يا أوزوريس •

انهض ••

• ان حوريس يحبك « •

« من نصوص الأهرام »

ملاحق

بيان مشترك

والمؤسسات الأهلية بالقطر المصري

والمؤسسات الأهلية بالقطر المصري

بيان الى العمال المصريين والشعب المصري عن موجة الارهاب التي اجتاحت البلاد ، احتجاج عمال سوريا ولبنان عن اعتقال الزميل (محمد أحمد يوسف اندرك) عضو المجلس العام للاتحاد العالمي للنقابات . والزملاء (محمود محمد العسكري) مدير ادارة مجلة الضمير . والزميل (طه سعد) سكرتير تحريرها .

الى اسيال والعاملات فى المصانع وفى المؤسسات وفى النقابات ...

الى كل مواطن مصرى يؤمن بحرية التفكير والكلام والاجتماع ...

موجه من الارهاب توجه اليوم ضد الشعب المصرى ويتجه هذا الارهاب خاصة نحو الطبقة العاملة المصرية ويستهدف هذا الارهاب القضاء على حق كل مصرى فى الحرية ... حقه فى المطالبة بحقوقه المغتصبة . ولا تقف موجة الارهاب هذه عند حد القبض والاعتقال والتهديد . بل يتجاوز هذا الى الاعتداء على القوانين . ولم تكف الحكومة بان القوانين التى وضعتها دون رأينا تعليقا القليل وتسلبنا الكثير . بل راحت تهدم هذه القوانين القائمة التى وضعتها متخفية سلطتها . لا قضاء ولا قوانين استطاعت أن توقف موجة الارهاب ان حياة كل مصرى وحريته اليوم فى خطر .

١ - القبض على مندوب العمال فى الاتحاد العالمى للنقابات :

بتاريخ ١٩٤٦/١/٢ ألقى القبض على الزميل محمد اندرك مندوب نقابات العمال المصرية وعضو المجلس العام بالاتحاد العالمى للنقابات بتهمة التحريض على كراهية الرأسمالية لمحض انه يدافع عن حقوق العمال وفى ١٩٤٦/١/٦ قرر القضاء المصرى العادل الافراج عن الزميل وبقيّة زملائه محمود محمد العسكري مدير ادارة الضمير والزميل طه سعد سكرتير تحريرها اذ أن الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة ليس بجريمة وقد عارضت النيابة فى أمر الافراج فتقرر استمرار حبسهم ومازالوا الزملاء فى سجنهم الى اليوم .

٢ - الاعتداء على القوانين :

(أ) وجهت شركة مياه القاهرة تهمة التحريض على الاضراب الى رئيس وأعضاء مجلس ادارة عمال الشركة وقد قرر القضاء تبرئتهم فاصدرت الشركة

فزارا بفصلهم من عملهم متحدية بذلك قرار القضاء وقانون الاعتراف بالنقابات
الذى ينص صراحة على تحريم فصل العمال لنشاطهم النقابى .

(ب) فصلت شركة أتوبيس القاهرة ٦٨ ثمانية وستون عاملا منهم
رئيس وسدس نقابة الشركة لشل ذشاطهم النقابى متحدية قانون النقابات
الذى يحرم فصل العمال لنشاطهم النقابى وقانون عقد العمل الفردى الذى
يحرم فصل العمال بالجملة (المادة ٢٧) .

(ج) حلت النقابة العامة لعمال النسيج الميكانيكى بشبرا الخيمة .
٣ - الاعتداء على حرية الاجتماعات القانونية :

١ - فى اليوم الاول والخامس من يناير سنة ١٩٤٦ صودر اجتماع
نقابات عمال بور سعيد لانهم أرادوا التمتع بالحق الذى قرره قانون الاعتراف
بالنقابات (المادة ٦) والذى ينص على حق العمال فى تأليف اتحادات مهنية .

(ب) صودر اجتماع لنقابات عمال الفيوم لنفس الغرض السابق فى
مايو سنة ١٩٤٥ .

(ج) صودر اجتماع مؤتمر نقابات عمال الشركات والمؤسسات الاهلية
فى ٣ يناير الحالى دون أى مبرر قانونى رغم مخالفة ذلك لنص الدستور
المصرى الذى يكفل حرية الاجتماع .

(د) صودر اجتماع نقابات عمال كفر الشيخ وتجاوزت المصادرة الى
محاصرة دور النقابات بالبوليس .

(هـ) صودرت اجتماعات بعض نقابات دمنهور لمجرد عقدهم للجمعية
العمومية السنوية العادية .

(و) صودرت اجتماعات اللجنة التحضيرية لنقابات العمال لنشاطهم
المعادى .

(ز) صودر اجتماع دعت اليه النقابات العمالية بالقاهرة للتشاور
فى المطالب القومية .

(ج) صودر اجتماع نقابة عمال شركة أتوبيس القاهرة لعقدهم الجمعية
العمومية السنوية .

(ط) انذرت نقابة عمال شركة فورد بالاسكندرية بحلها اذا لم ترجع عن تزعم الحركة النقابية في الاسكندرية .

٤ - احتلال مناطق العمال بفرق الجيش :

في ٥ ديسمبر سنة ١٩٤٥ احتلت فرق من الجيش منطقة شبرا الخيمة بمواقع الهاون والمتروليوزات والبنائق السريعة اربابا للعمال لطالباتهم بحقوقهم ولا زال هذا الاحتلال قائما الى الآن .

٥ - اضطهاد مندوبى العمال في الاتحاد العالمى في مصر وحدها دون بقية العالم :

١ - ما كاد مندوبى عمال مصر في الاتحاد العالمى يعودون من باريس حتى قررت شركة مطبعة مصر فصل الزميل محمد عبد الحليم أحد المندوبين لمجرد تمثيله للعمال المصريين في الاتحاد العالمى .

ب - اغتقل الزميل محمد يوسف أحمد المدرك رئيس وفد مندوبى عمال مصر في الاتحاد العالمى وعضو المجلس العام للاتحاد العالمى للتحقيقات لايقاف نشاط الزميل في سبيل مصلحة العمال وتنفيذه لقرارات الاتحاد العالمى للعمال . وفي الوقت الذى يحدث فيه هذا في مصر تكرم الحكومات الاخرى مندوبى عمالها في الاتحاد العالمى .

٦ - التفتيش والاعتقال والاعتداء على نساء العمال :

أ - فتش البوليس منازل مئات العمال ممن يبدون نشاطا نقابيا قانونيا!!

ب - زج بعشرات العمال في السجن بتهمة التحريض على الاضراب لاسيما عمال شبرا الخيمة .

ج - أباح البوليس لنفسه حق خرق حرمة المنازل واستباح لنفسه الاعتداء على نساء العمال فقد لقي القبض على عدد من نساء عمال شركة مياه القاهرة أثناء اضراب العمال واحتجازهن بمقر الشركة لارغام أزواجهن وأخواتهن من العمال على العودة الى العمل . وهذا أول حدث من نوعه في تاريخ عالم اليوم . ومن الأحداث المروعة أن يودى اعتداء البوليس على نساء العمال الى اجهاض أحدهن .

أيها الزملاء والزميلات ... أيها المواطنون :

إن هذه الاعتداءات الوحشية وهذا الاستهتار بالقانون ليس بقضية خاصة بالعمال وحدهم بل هي قضية الشعب المصرى بأجمعه . قضية حق كل منا فى الحرية والحيانة لأن السكوت على هذا الإرهاب لهو جريمة وطنية يرتكبها كل منا فى حق نفسه وفى حق وطنه وتشجيع للمعتدين على استمرار الاعتداء والمؤامرة الإرهابية ضد الشعب ومصالح أعداء الشعب المصرى المحليين والمستعمرين .

إننا نناشد كل عامل وكل عاملة بل كل مواطن مصرى أن يقف محتجا على هذه المؤامرة ، إننا نريد أن ننفذ سمعة مصر فى الخارج بوقف هذه الاعتداءات التى تتنافى الديمقراطية والتى بذل ملايين العمال دماءهم فى هذه الحرب دفاعا عنها .

إن واجبنا إبلاغ أنباء هذا الهجوم المنظم المباشر على الحقوق والحرىات على العمال وعلى الشعب الى دول العالم الديمقراطية ، الى الاتحاد العالمى لنقابات العمال ، الى الرأى العام العالمى .

إننا نطالب بتأمين الحريات الديمقراطية ، حرية القول والاجتماع ، حرية المطالبة برفع مستوى الأجور وخفض ساعات العمل والدفاع عن مصالح الشعب .

إننا نطالب باحترام القوانين وضمان تنفيذها .

إننا نطالب مؤتمر هيئة الأمم المتحدة المنعقد الآن أن يدفع الحكومة المصرية عن طريق السفارات والمفوضيات فى مصر الى تنفيذ وتطبيق نظام ديمقراطى يتفق وقرارات الهيئة التى أصبحت مصر عضوا فيها وعليها تنفيذ قراراتها .

إننا نطالب بمحو كل أثر للاعتداءات التى جاءت بهذا البيان .

إننا نطالب بشدة بالافراج عن الزميل محمد يوسف المدرك ، مندوب عمال مصر فى الاتحاد العالمى وزملائه وتأمين حقهم وحق كل نقابى فى بذل نشاطه فى خدمة طبقته ومقاومة الظلم الاقتصادى والوطنى الواقع على الشعب المصرى بأجمعه .

إننا نطالب الحكومة بتنفيذ قرارات الاتحاد العالمى للعمال وتطبيق الحقوق المقررة لكل عمال العالم على العمال المصريين إننا ننتهم الاستعمار

البريطاني بالتحرير والاشتراك في مؤامرة الارهاب ضد الشعب المصرى
ونطالبه بزوال جيوشه وكابوسه عن البلاد .

اننا نحتج على تضليل الصحافة المصرية للرأى العام وامتناعها عن نشر
احتجاجات العمال .

أيها الزملاء والزميلات . . أيها المواطنون :

اننا نجتاز امتحانا قاسيا ، اما أن نخرج منه بحريتنا وتأمين حقوقنا ،
أو لعبوديتنا واستغلالنا . . . فلنتخذ حول هذه المطالب .

عاش القضاء المصرى العادل . . .

عاشت الديمقراطية ، وليسقط الارهاب . . .

عاش الشعب المصرى المكافح فى سبيل حريته واستقلاله .

اللجنة التحضيرية

مؤتمر نقابات الشركات والمؤسسات

الأهلية

صورة الكتاب القدم من صاحب التوقيع الى دولة رئيس مجلس الوزراء

فى مصر :

دولة رئيس الوزراء بالملكة المصرية المعظم - القاهرة

كان لحادث اعتقال المناضلين النقابيين المصريين السيدين محمد يوسف
احمد المدرك ومحمود العسكرى وللتدابير الارهابية التى اتخذتها حكومتكم
ضد الحركات الديمقراطية الشعبية أثر سىء فى مختلف أوساط العمال فى سوريا
وقد استنكر جميع أحرار العرب هذه الاعمال الخائفة لاجسط المبادئ الديمقراطية

ان المناضل النقابى السيد محمد يوسف المدرك عضو المجلس العام
لاتحاد النقابات العالمى قد دافع عن استقلال مصر وحققها وحريتها أمام
ممثلى عمال العالم وتعاون مع وفود عمال البلاد العربية فى مؤتمر النقابات
العالمى فى سبيل قضايا البلاد العربية المشتركة كما أن السيد محمود العسكرى
مدير جريدة الضمير لسان حال العمال المصريين يعمل بنشاط واستمرار فى سبيل
خير الطبقة العاملة المصرية التى تؤلف جزءا كبيرا من الشعب المصرى الشقيق

ان اعتقال هذين المناضلين الجريئين لدفاعهما عن حقوق العمال
لديمقراطية المشروعة هو من الاساليب الفاشستية التي يجب ان تروى من وجه
الأرض بعد زوال الدول التي أوجبتها وهذا الاعتقال الذي لا مبرر له يسيء
الى سمعة مصر في البلاد العربية ويفقدها عطف وتأييد الرأي العام
الديمقراطي في العالم كما يضعف تضامن واتحاد الشعب المصري في هذه المرحلة
للهمة من مراحل نضاله الوطني ولا يخدم الا مصالح الاوساط الاستعمارية
الباغية .

ان عمال سوريا الذين يغارون على سمعة الشقيقة مصر لا يمكنهم اخفاء
استيائهم من هذا التدبير الارهابي الذي اتخذ بحق قائدين نقابيين عرفا
بالجرأة والاخلاص بالدفاع عن قضية بلادهم ومصالح شعبيهم - لذلك
وبصفتي عضوا في مجلس اتحاد النقابات العالمي أقدم لكوئلكم - هذا
الاحتجاج على هذه التدابير المنافية لمبادئ العدالة واللبسط قواعد الديمقراطية
طالباً الافراج عن السجينين المدرك والعسكري وعن جميع المعتقلين الديمقراطيين
في مصر .

وتفضلوا يا دولة الرئيس بقبول فائق الاحترام ،

ابراهيم بكري

رئيس وفد سوريا في مؤتمر العمال الدولي

عضو المجلس العام لاتحاد النقابات العالمي

الى رئيس الحكومة المصرية ورئيس مجلس النواب والصحف المصرية

البرقية التتالية

دولة محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية

سعادة رئيس مجلس النواب المصري

اعتقال المناضل النقابي محمد يوسف أحمد المدرك واخوانه العمال
تخبر بنا في قضية مصر الوطنية ويخدم الاستعمار الاجنبي . بصفتي مندوب
الشرقين الأدنى والوسط في اللجنة التنفيذية لاتحاد النقابات العالمي أحتج
على اعتقالهم وأطلب الافراج عنهم صونا لسمعة مصر واحتراما لأبسط مبادئ
الديمقراطية .

مصطفى العريس

عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد النقابات العالمي

رئيس اتحاد نقابات العمال في لبنان

حيثيات الحكم في قضية الشيوعية الكبرى « ١٩٤٦ »

وجهت النيابة الاتهام الى كل من :

- ١ - فتحي أحمد المغربى .
- ٢ - مصطفى كامل منيب .
- ٣ - أسعد حلیم
- ٤ - محمد أبو الحسن جاد الله الغنيمى .
- ٥ - أبو سيف يوسف أبو سيف .
- ٦ - نعمان سعد الدين عاشور .
- ٧ - صادق سعد .
- ٨ - أحمد رشدى صالح .
- ٩ - أحمد شكرى سالم .
- ١٠ - محمود فتحي الرملی .
- ١١ - أنور كامل .
- ١٢ - عمر رشدى .
- ١٣ - أنور الاسكندر عبد الملك .
- ١٤ - كمال محمد عبد الحليم .
- ١٥ - عبد اللطيف دهب حسنين .
- ١٦ - هنرى كورييل .
- ١٧ - سيد سليمان الرفاعى .
- ١٨ - شحاته هارون
- ١٩ - محمود صبحى زغلول .
- ٢٠ - حامد أحمد حمداى .

وحيث أن النيابة العمومية اتهمت المذكورين بأنهم خلال السنوات ١٩٤٤ و ١٩٤٥ و ١٩٤٦ بمحاظفة مصر .

أولا - المتهمون الاثنى عشر الأول حبذوا وروجوا علنا مذاهب ترمى الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالملكة المصرية بالقوة والارهاب وذلك على التفصيل الآتى :

١ - المتهمون الأول والثانى والثالث :

أ - المتهم الأول : ألف كتابا يحوى مجموعة أرجال وضع مقدمته المتهم الثانى وقد تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٦ فيه تمجيد للثورة

الشيوعية وإشادة بنتائجها وتحديدًا لمنهجها الثوري واستعراض لأغصان القوة والاعتداء والعنف التي تمت خلال تلك الثورة ودعوة للشعوب الى ترسم خطبا لنيل الذات التي أسفرت عنها .

ب - المتهم الثاني : ترجم كتب الزواج والأسرة والأمومة والعائلة والدين في ظل النظام الشيوعي وقدم لكل منها بمقدمة تتضمن تحبيذا لذلك النظام والثورة التي قام عليها في عام ١٩١٧ في صورة دفاع عنه وقد تم طبع هذه الكتب ونشرها على الجمهور خلال السنوات ١٩٤٤ و ١٩٤٥ و ١٩٤٦ .

ج - المتهمان الثاني أيضا والثالث : باعتبارهما ناشرين ومالكين لدار الفكر للنشر قاما بطبع ونشر الكتب المذكورة في التهمتين السابقتين على الجمهور .

٢ - المتهم الرابع :

ألف ونشر كتاب « الشيوعية في الاسلام » الذي تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال سنة ١٩٤٦ حبذا فيه الشيوعية ودعا لالغاء الملكية الفردية زاعما ان هذا نظام أفرد الاسلام وتساءل لم لا تكون الارض كلها ملكا لامة وتكون القوامه للحكومة ويكون الفلاحون جميعا مزارعين في الارض فيشتغل كل بحسب طاقته وينال كل حسب حاجته ولم لا تكون جميع موارد الثروة ملكا للناس أجمعين ما داموا يساهمون في تحصيل الارزاق واحداث الثروات مطالبين بأن تشاع مصادر الثروة والعتبار بين الجميع قائلا ان الثروة كبيرة ولكن العدل قليل وان الحل والمخرج من هذه الظلمات المتراكمة والمقاسد المتلاطمة لا يكون الا بانتهاج النهج الشيوعي وأن الجواب سهل ويسير تدل عليه كلمة واحدة هي الشيوعية .

كما ألف ونشر كتاب « دورنا في الكفاح الوطني » الذي تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٦ ، أظهر فيه اعجابه بالنظرية الماركسية وحبذا الشيوعية والكفاح في سبيلها قائلا انه مهما تعددت اشكاله وتبوعت مظاهره وأسمائه فهو محدد في الغاية وهدفه الانطلاق من القيود التي فرضتها الأنظمة الرجعية الأخرى سواء في الاقتصاد والسياسة هو الذي يدعو لتضارب القوى الاقتصادية والسياسية وله أكبر الاثر في خلق الصراع الدائم بين طبقتي العمال والفلاحين من جهة والبرجوازيين من جهة أخرى وان الانتصار محتوم في هذا الصراع الطبقي للطبقة الفنية طبقة العمال والفلاحين وهذا هو الشأن في جميع الثورات الاشتراكية وخص بالذكر ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ في روسيا ونعى على رجال الدين محاربة تلك الثورة وتوجيهتهم الرجعية في ذلك ومناهضتهم عشاق الحرية والمساواة .

ألف ونشر كتاب « حول الفلسفة الماركسية » الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور فى عام ١٩٤٥ ضمنه تحبيذا وترويجا للشيوعية بدعى أنه لا يمكن القول بأن الحريات الفردية فى مجتمع منقسم الى طبقتين وان الحريات بصفة عامة لا تكسب الا عن طريق كفاح الشعوب ضد مستغليها وأنه فى الواقع من الامر لا توجد الحرية الحقيقية بالنسبة للغالبية العظمى فى ظل النظام الرأسمالى القائم على استغلال الانسان لاختيه الانسان والفلسفة الماركسية بمنهجها العلمى تعد فلسفة حركة وعلى حد تقدير المتهم لها تعد الفلسفة الأولى والوحيدة للحركة العامة حركة العقل البشرى فى محاولة استجابته للواقع الحقيقى .

٤- المتهمون السادس والسابع والثامن :

١ - المتهم السادس : ألف مقالا بعنوان « ستالين فى الثورة الاشتراكية » نشر بالعدد الثالث عشر من السنة الاولى لمجلة الفجر الجديد بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٤٥ الذى طبع ووزع على الجمهور وقد حذب المتهم فى هذا المقال الشيوعية وكفاحها الثورى ودعا لها مشيدا بالثورة الروسية التى قام بها الشعب الروسى فى أكتوبر سنة ١٩١٧ وبالنشائج التى نجمت عنها هذه الثورة وقال انها أشرفت على أول حكومة للعمال والفلاحين على وجه الارض برئاسة لينين واعتبرها بدء لتاريخ الفقراء وقضاءا على استغلال الانسان لأخيه الانسان وانهما فى الواقع تحقيق لحم أجيال من النفوس الحرة التى ظلت تصرخ فى غياهب التاريخ البشرى السحيق تنتشد الحق وتأمل الخير وتروم للانسان حياة كريمة على الارض ويرجع ذلك حسب ادعائه الى نجاح الثورة فى روسيا حيث أشرف ليل الرأسمالية الطويل الحال ك على النهاية ثم قال « ها هو نهار الاشتراكية يبرز أخيرا والشمس تبرز من الشرق » .

ب - المتهم السابع : ألف مقالا بعنوان « ثورة أكتوبر مرحلة تحول فى تاريخ البشرية » وقد نشر هذا المقال بالعدد الثالث من السنة الاولى لمجلة الفجر الجديد بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ الذى طبع ووزع على الجمهور وقد حذب المتهم فى مقاله هذا الشيوعية وكفاحها الثورى عن طريق امتداح ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ قائلا أن طبقة العمال وطبقة الكادحين استولت فى هذه الثورة على الحكم السياسى فى روسيا وفتحت هذه الثورة لأول مرة فى التاريخ المجال أمام العمال لخلق مجتمع جديد لا تستولى طبقة طفيلية فيه على انتاج الكادحين بل ينتج الشعب بنفسه ويراقب الانتاج الاجتماعى ويشرف

عليه لان وسائل الانتاج ملك له لا لغيره وقد استطاع الحكم البروليتارى بتحطيمه الاستغلال والطغيان وازالة نظام الطبقات أن ينظم الانتاج المادى والادبى وأن يوفر التعليم والراحة والطمانينة للشعب ومن ثم فان ثورة أكتوبر تزنل تنصل اتصالا وثيقا بتاريخ البشرية فهى أعمق فى مغزاها من تصورات الرجعيين لانها تؤكد للشعوب أن الحرية ليست بعيدة المآل وتضرب للشعوب كما يقول المثل التاريخى فى المنهج العلمى الذى يجب أن يتبع للحصول على الحرية الاشتراكية أى الحرية الكاملة .

ج - المتهم الثامن : بصفته رئيسا لتحرير مجلة الفجر الجديد نشر بالعدد الثالث عشر من السنة الاولى الصادرة بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ المقالين سالفى الذكر .

٥ - المتهم التاسع :

ألف مقالا بعنوان « ماذا علمتنا الحرب » بالنشرة رقم ٥ من نشرات دار الابحاث العلمية التى تم نشرها وتوزيعها على الجمهور بغير تمييز خلال عام ١٩٤٥ ، ضمنها تمييزا وترويجا للشيوعية بأن قال ان نظرة العالم للشيوعية والاشتراكية تختلف الان اختلافا بينا عما كانت عليه قبل الحرب فالشيوعية الان هى قوة من القوى المنتصرة بل أنها فى طليعة القوى المنتصرة واتها ترمى الى ايجاد مجتمع ليس فيه مالك ولا مملوك .

٦ - المتهم العاشر :

ألف ونشر كتاب « أهداف الاشتراكية » الذى تم طبعه ونشره وتوزيعه خلال عام ١٩٤٥ حبذ فيه الشيوعية وكفاحها الثورى وروج لها قائلا أنه ليس شمة فرق بين الشيوعية والاشتراكية فالكلمتان مترادفتان وكلاهما يهدف لغرض واحد وفلسفتهما واحدة والخلاف الوحيد بين الاثنين حسب دعواه فى الوسيلة فهو يرى أن الاشتراكيين يقولون انهم يؤمنون بمبادئ انسانية فيجب أن يكونوا انسانيين والشيوعيين يقولون انهم أكثر انسانية لانهم يريدون وضع حد لآلام البشرية فى أسرع وقت وهم فى هذا كالطبيب الذى يقوم بعملية جراحية قد يتأذى منها المريض ولكنها تنقذ حياته وتسعده ما تبقى حيا والثورة حسبما يرى المؤلف ليست أكثر من عملية جراحية لمجتمع مريض ثم عقب على ذلك بقوله أنه أراد أن يقرب الى الازهان فكرة أولى عن أهداف الاشتراكية بسبب حرمانهم من ذاك زمنا طويلا نتيجة لتحكم السياسة الرجعية فى مصر تلك السياسة التى كانت تظن أنها تستطيع

حماية نفسها باخفاء الحقائق عن الناس حتى اضطرتها ظروف الحرب الى التخلي عن ذلك ثم أشار بروج الاعجاب الى رأى الاشتراكية فى أن الملكية الفردية تؤدى الى شطر المجتمع الواحد الى طبقات والى انقسام الناس الى ملاك وعبيد أو رأسماليين وعمال وقد خلق هذا فى المجتمع تناقضا وصراعا هو سر ما يشكو منه الناس من آلام ومشكلات ثم رأى أن الملكية الفردية تنتهى الى تركيز الثروات فى يد طبقة ضئيلة هى حفنة من أصحاب الارض والمصانع وحرمان طبقة كبيرة هى الشعب كله الذى لا يملك شيئا من وسائل الانتاج ولا يسعه لكى يعيش الا أن يبيع جهده بأرخص سعر للطبقة المائكة ونعى على المجتمع نظام الطبقات ونظام الملكية الفردية .

٧ - المتهم الحادى عشر :

ألف ونشر كتابا سماه « لا طبقات » ثم طبعه ونشره ووزعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٥ جرى فيه اثاره النفوس ومخاطبة الفقراء فى مواضع كثيرة منه بعبارة « أيها العبيد » داعيا الى الغاء نظام الطبقات والغاء الملكية الفردية وجعل وسائل الانتاج مملوكة للدولة .

٨ - المتهم الثانى عشر :

ألف ونشر كتابا أسماه « وطنيتنا » تم نشره وتوزيعه على الجمهور خلال شهر يولية سنة ١٩٤٦ حذ فيه وروج للشيوعية وكفاحها الثورى بأن عالج فى كتابه الوسائل الوطنية والحركات التحررية فى مختلف بلدان العالم وفى مصر على ضوء المذاهب الماركسية والشيوعية تسيرا الى قيام وترباط تام بين القضاء على نظام الطبقات والنظام الرأسمالى فى الدول وبين نجاح الحركات الاستقلالية ثم أوضح الدور الذى يجب على العمال القيام به فى الحركات التحررية ووجوب مراعاة واجبهما الاصلى فى الكفاح الطبقي العالمى ثم يستمر محبذا هذا الاسلوب فى مصر .

ثانيا - المتهمون الثالث والتاسع أيضا والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر كونوا اتفاقا جنائيا بأن اتحدوا على ارتكاب الجناية المنصوص عنها بالمادة ١٧٤ فقرة ثمانية عقوبات وعلى الاعمال المجهزة والمسهنة لارتكابها وذلك بأن اتفقوا على نشر المبادئ التى ترمى الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالملكة المصرية بالقوة والارهاب وذلك بأن عقنوا العزم على نشر هذه المبادئ فى مصر وأعدوا لذلك عدتهم ودونوا خلاصة تجاربهم فى سبيل تلك الدعوة فى تقارير عهدوا بها الى

أحدهم وهو المتهم الثالث أوضحوا فيها أسلوبهم في الكفاح ومبلغ الخلاص كل منهم في العمل على بث هذه الدعوة المحرمة .

ثالثا - المتهم السادس نشر هنرى كوربيل : في خلال الثلاث السنوات السابقة على خمسة ديسمبر ١٩٤٥ حبذ وروج علنا المبادئ التي ترمى الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة بأن أنشأ مكتبة واستخدمها الى ذلك الغرض واستورد واستعرض فيها للبيع للجمهور الكتب والمؤلفات والنشرات المبينة بمحاضر الضبط والاطلاع المرافقة للاوراق وهى تدعو الى مجتمع بلا طبقات تنزع فيها الملكية ورؤوس الاموال من أصحابها وتسوده عن طريق القوة والعنف وميكاتورية الطبقة العاملة طبقا للتعاليم الشيوعية القائمة على ذلك .

رابعا - المتهمون السادس عشر أيضا والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرون . كونوا اتفاقا جنائيا بأن اتحدوا على ارتكاب جناية تحبيذ وترويج المذاهب الشيوعية الثورية والاعمال المجهزة والمسهلة لارتكابها وهى مذاهب ترمى الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالملكة المصرية بالقوة والارهاب الامر المعاقب عليه بالمادة ٢/١٧٤ عقوبات وكونوا من أنفسهم جماعة تعمل على نشر تلك المبادئ المحرمة بوسائل النشر والاذاعة .

خامسا - المتهمين جميعا في التواريخ الجبينة آنفا بدائرة محافظة مصر اشتركوا مع مجرئين في اتفاق جنائى على تحبيذ وترويج المبادئ المغايرة للدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب وذلك بطريقتة النشر بأن اتحدت ارادتهم على ارتكاب الجناية المنصوص عنها في المادة ٢/١٧٤ عقوبات وعلى ارتكاب الاعمال المجهزة والمسهلة لارتكابها بتكوين المنظمات والهيئات المحرمة وتأليف الكتب والمقالات لخدمة هذه الدعوى الثورية على ما سبق بيانه وطلبت النيابة من حضرة قاضى الاحالة احالتهم على محكمة الجنايات لمحاكمتهم بالمواد ١٧١ و ١٧٤/ عقوبات وعلى ارتكاب الاعمال المجهزة والمسهلة لارتكابها بتكوين المنظمات والهيئات المحرمة وتأليف الكتب والمقالات لخدمة هذه الدعوى الثورية على ما سبق بيانه . وطلبت النيابة من حضرة قاضى الاحالة احالتهم على محكمة الجنايات لمحاكمتهم بالمواد ١٧١ و ٢/١٧٤ و ١٩٥ و ١٩٨ عقوبات للاثنى عشر الاول و ٢/ ٣٨ و ٢/١٧٤ و ١٩٦ عقوبات للثالث والتاسع والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر و ١٧١ و ٢/ ١٧٤ و ١٩٦ و ١٩٨ عقوبات للسادس عشر و ١/٤٨ و ٢ و ٢/ ١٧٤ و ٢/ ١٩٨ عقوبات للسادس عشر أيضا والثامن عشر والتاسع عشر

والعشرون وقد قرر حضرته في ١٩٤٨/٦/٦ إحالتهم على هذه المحكمة لحاكتهم بالمواد المذكورة .

وحيث أنه قد سمعت الدعوى تفصيلا كما هو مبين بمحاضر جلسات ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٥ ثم تحدد للنطق بالحكم جلسة اليوم .

ومن حيث أن المتهمين فتحي أحمد المغربي ومصطفى كامل منيب وأسد حليم وأبو سيف يوسف - وصادق سعد وكمال محمد عبد الحليم وعبد اللطيف حسنين وهنرى كورييل والسيد سليمان الرفاعي وحامد أحمد حمدان قد تخلفوا عن حضور الجلسة رغم إعلانهم فيتعين الحكم في غيبتهم عملا بنص المادة ٢٨٦ من قانون الاجراءات الجنائية .

وحيث ان وقائع الدعوى حسبما استظهرته المحكمة بالاطلاع على الاوراق وما اشتملت عليه من تقارير ونشرات ومذكرات وكتب ومقالات صحفية وعلى التحقيقات التي تمت في القضية ومن أقوال الشهود بالجلسة ومرافعة النيابة والدفاع اتحصل في أنه تنامي الى فرع مكافحة الشيوعية بمكتب البوليس السياسى بمحافظة القاهرة ان أشخاصا من بيئات مختلفة يقومون بنشاط شيوعى في البلاد ويروجون لمذهب ترمى الى تغيير مبادئ الدستور الاساسية والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب فأخذ رجال المكتب السياسى يراقبون نشاط هؤلاء الأشخاص والاماكن التي يرتادونها والجماعات التي ينتمون اليها ومن يتصلون بهم من طلبة وعمال وصحفيين وحدث في يوم ٢٠/١٠/١٩٤٦ ان ضبط رجال الشرطة بعض النشرات باسم الجبهة الاشتراكية يوزعها شخص اسمه على أحمد الصيفى بدائرة باب الشعرية وتتضمن هذه النشرات دعوة الناس للانضمام الى الجبهة الاشتراكية لان هذه الهيئة تعمل على رفع الظلم ومحاربة الاستعمار وإيقاظ الفلاح ومكافحة الفقر والجهل وان هذه الجبهة تنهز بالارهاب وتستعذب الآلام وترحب بالسجون ولا تخشى المسانق في سبيل عالم جديد واقتيد على أحمد الصيفى الى النيابة لسؤاله فاعترف بانه كان يوزع هذه المنشورات على الجمهور وانه تسلمها من محمود فتحي الرملى (المتهم العاشر) منشئ هيئة الجبهة الاشتراكية وان غاية الهيئة المذكورة بحاربة الاستعمار وتحقيق العدالة الاجتماعية عن طريق البرلمان وانه ليس لهذه الجبهة وسائل أخرى لتحقيق أغراضها . ثم أمرت النيابة باجراء التحقيق مع المتهم العاشر وتفتيش منزله وقد قرر هذا المتهم ان النشرات التي ضبطت لم تخرج عن كونها استمارات للدعوة الى الاشتراك في الجبهة الاشتراكية وان برنامج هذه الجبهة منشور في صدر الاستمارة وان ما ورد بهذه النشرات لا يخرج عن كونه دعوة الى تحقيق أهداف الجبهة المشروعة بالاساليب

الديمقراطية وان ترشيحه للانتخابات في سنة ١٩٤٤ كان تطبيقا عمليا لهذه الاساليب الديمقراطية وان ما ورد في هذه النشرات من الترحيب بانسجرت ومواجهة المشانق لا يخرج عن كونه احتجاجا على الحملة الارهابية التي يتعرض لها المتهم وزملائه من رجال البوليس ثم انه لا يدعو الى استعمال القوة أو العنف في الدعاية لاغراض الجماعة . وقد ظهر أثناء التحقيقات ان المتهم المذكور محمود فتحي الرملي ألف ونشر كتابا سماه (أهداف الاشتراكية) وقد تم طبعه ونشره وتوزيعه في خلال عام ١٩٤٥ تحدث فيه عن الشيوعية والاشتراكية وذهب الى انه لا فرق بين المذهبين وانهما يهدفان لغرض واحد وأن الخلاف بينهما في الوسيلة اذ يرى ان الاشتراكيين يقولون انهم يؤمنون بمبادئ انسانية فيجب أن يكونوا انسانيين والشيوعيين يقولون انهم أكثر انسانية لانهم يريدون وضع حد للام البشرية في أسرع وقت وهم في هذا كالطبيب الذي يقوم بعملية جراحية قد يتأذى منها المريض ولكنها تنقذ حياته وتسعده ما بقي حيا . والثورة في نظر الشيوعيين ليست أكثر من عملية جراحية بمجتمع مريض ونعى المتهم على المجتمع الحاضر نظام الطبقات ونظام الملكية الفردية . وقد رأت النيابة فيما ورد في هذا الكتاب الذي ألفه المتهم العاشر وتم طبعه ونشره وتوزيعه تحديدا وترويجا للمذهب الشيوعي والكفاح الثوري لتحقيق أهدافها عن طريق القوة فأسندت اليه التهمة الواردة في قرار الاتهام . وقد أنكر المتهم ما نسب اليه وقرر أنه يدعو الى المبادئ الاشتراكية بالطرق السلمية ولا يرمى الى تغيير المبادئ الاشتراكية للدستور أو للهيئة الاجتماعية بالقوة أو الثورة وان كتابه « أهداف اشتراكية » عبارة عن بحث علمي وتحليل ثقافي لمبادئ الشيوعية والاشتراكية ولا ينطوى على تحريض للمبادئ الهدامة . ثم اتجهت أنظار رجال البوليس السياسى الى مؤسسة تسمى (دار الفجر) كانت تصدر بعض المجلات والنشرات والكتب التي تروح للمذاهب التي ترمى الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية وتبين ان موطئا بدار الفجر اسمه فتحي المغربي (المتهم الاول) ألف كتابا يحوى مجموعة ازجال وقد تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٦ وينطوى على تمجيد لثورة الشيوعية واشادة بنتائجها ودعوة للشعوب التي ترسم خطاها لنيل النتائج التي حققتها . وقد وضع مقدمة هذا الكتاب مصطفى كامل منيب المتهم الثانى اتضح انه مدير « لدار الفجر والنشر » وقد اعترف المتهم الاول بانه مؤلف الكتاب المذكور وان المتهم الثانى قرطه وتولت الانفاق على طبعه مؤسسة « دار الفجر » وانكر أنه يقصد من كتابه أى شئ يرمى الى تغيير مبادئ الدستور وانه تكلم في ازجاله عن روسيا كما تكلم عن إنجلترا وكانت روسيا من حلفائها أثناء الحرب وانه لا يعرف معنى الشيوعية ولم يدرسها وانه لا يقصد من ازجاله التوسل بالقوة أو الثورة لتغيير الوضع الراهن . ثم أخذ التحقيق يسير في مجراه حينما واصل رجال مكتب مكافحة الشيوعية للتحرى عن الاشخاص المشتبه في

قيامهم بنشاط شيوعي أو حركات ترمي الى تغيير مبادئ الدستور الاساسية والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية وكان ان تقدمت وزارة الداخلية ببلاغ مؤرخ ١٠/٧/١٩٤٧ الى النائب العام مرفق به قائمة باسماء ٦٦ شخصا ذلت تحريات البوليس على انهم يقومون بالحركات السابق الاشارة اليها ومن بين هؤلاء الاشخاص المتهمون العشرون المقدمون في هذه الدعوى فاصدر النائب العام أمرا بتفتيش منازل هؤلاء الاشخاص ومقار أعمالهم ومراكز الهيئات التي ينتمون اليها وهي جماعة « دار الابحاث العلمية » ولجنة نشر الثقافة الحديثة واتحاد خريجي الجامعة والجامعة الشعبية الاهلية وأسرة تحرير مجلة الفجر الجديد ودار القرن العشرين ورابطة فتيات الجامعة والمعاهد ومجلة أم درمان ومركز الثقافة الشعبية ومؤتمر نقابات عمال القطر المصري ونادى الشرقية وقد اسفر التفتيش الذي تولاه رجال النيابة ورجال الضبطية القضائية عن ضبط مجموعة كبيرة من الكتب بينها بعض المؤلفات والنشرات والابحاث الخاصة بالنظم الاشتراكية والشيوعية وكان من بين المؤلفات المضبوطة هذا الكتاب « أنا العامل » من وضع المتهم الاول وكتاب « أهداف الاشتراكية » المنسوب الى المتهم العاشر والسابق الاشارة اليهما ما يلي :

أولا : تراجم كتب من الزواج والاسرة والامومة والعائلة والدين في ظل النظام الشيوعي قام « المتهم الثاني مصطفى كامل منيب بترجمتها وقدم كل منها بقدمة رأت فيها النيابة تحبيذاً لذلك النظام والثورة التي قام عليها في عام ١٩١٧ وقد تم طبع هذه الكتب ونشرت على الجمهور خلال السنوات ١٩٤٤ و ١٩٤٥ و ١٩٤٦ وقد اعترف المتهم بعمل هذه التراجم والتقديم لها وطبعها ونشرها بدار الفجر وقرر ان هدفه من ذلك هو استكمال النقص في الثقافة العامة في مصر لان هذه النواحي لم يكتب عنها من قبل وانه نقل هذه الكتب لكي يقف كل انسان عليها وانه أن يكون رأيه كيفما شاء وانه لايدعو ولايحيد الدعوة الى تغيير النظم الاساسية للدولة بالقوة أو العنف وانه يملك نحو ثلاثة آلاف كتاب تحوى البحوث في مختلف النواحي في العلم والادب ومن بينها الكتب الخاصة بالنظام الشيوعي في روسيا وان اهتمامه بهذه الناحية لا يتجاوز اهتمامه بالنواحي الاخرى في البلاد المختلفة وقد وجهت النيابة العامة الى المتهم الثالث أسعد حلبي بالاشارة مع المتهم الثاني تهمة طبع ونشر هذه التراجم وكذلك طبع ونشر مجموعة الازجال المنسوبة الى المتهم الاول باعتبارها ناشرين ومالكين لدار الفجر والنشر .

ثانيا - كتاب « الشيوعية في الاسلام » الذي تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال سنة ١٩٤٦ وكذلك كتاب « دورنا في الكفاح الوطني » الذي تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٦ وقد الفهما المتهم الرابع محمد أبو الحسن

جاد الله ورأت النيابة في مضمون الكتاب الاول دعوة الى تطبيق النظام الشيوعى فى مصر تحبيذا له اذ عقد المؤلف مقارنة بين هذا المذهب وبين المبادئ الشرعية الاسلامية وقال ان النظام الشيوعى اقهر الاسلام وتسائل لم لا تكون الارض كلها ملكا للامة وتكون القوامه للحكومة ويكون الفلاحون جميعا مزارعين فى الارض فيشتغل كل حسب طاقتة ويبذل كل حسب حاجته • وورد فى الكتاب الثانى ان الماركسية والشيوعية مهما تعددت اشكالها وتنوعت مظاهرها واسماؤها نعى متحدة فى الغاية وهدفها الانطلاق من القيود التى فرضتها الانظمة الرجعية البالية • وقد اتخذت النيابة من هذه الأقوال التى سجلها المتهم الرابع فى كتابه مادة لاتهامه بالترويج للمذهب الشيوعى والدعوة الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الاجتماعية بالقوة • وأنكر المتهم هذه التهمة وقرر أنه لم يتخط فى وضعه لهذه الكتب حدود البحث العلمى وأضاف بالجلسة أنه ألفهما أيام كان طالبا بالازهر وكان المسامه بموضوع الكتابين محدودا وأنه لم يدرك حقيقة الشيوعية فى ذات الوقت ••

ثالثا - كتاب « حول الفلسفة الماركسية » وقد ألفه ونشره المتهم الخامس ابو سيف يوسف ابو سيف وتم طبعه وتوزيعه على الجمهور فى عام ١٩٤٥ وقالت النيابة فى تقرير الاتهام أن هذا الكتاب يتضمن تحبيذا وترويجا للشيوعية لما ورد به من انه لا يمكن القول بالحريات الفردية فى مجتمع منقسم الى طبقتين وان الحريات بصفة عامة لا تكتسب الا عن طريق كفاح الشعوب ضد مستغليها وانه فى الواقع من الامر لا توجد الحرية الحقيقية بالنسبة للغالبية العظمى فى ظل النظام الرأسمالى القائم على استغلال الانسان لاختيه الانسان • وقد سئل المتهم فأنكر ما أسند اليه وقرر أن الكتاب المذكور يرجع تاريخه الى سنة ١٩٤١ حيث كان طالبا بكلية الاداب وكان يدرس المذاهب الاجتماعية المختلفة وان أستاذ علم الاجتماع بالكلية كان قد كلفه بعمل بحث عن مادة التاريخ خاصا بكارل ماركس كما كلف بهذا البحث جميع طلاب السنة الثانية بالكلية وأشار عليهم الاستاذ بقراءة مراجع عن مذهب كارل ماركس ومن ثم فهو لم يقصد من تأليف كتابه ونشره سوى مجرد البحث العلمى •

رابعا - نسخة من العدد الثالث عشر من السنة الاولى لمجلة الفجر الجديد بتاريخ ١١ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وقد عثر فيها على مقال للمتهم السادس نعمان سعد الدين عاشور بعنوان ستالين فى الثورة الاشتراكية نشر بالعدد المذكور ووزع على الجمهور وجاء به (أشرقت أول حكومة للعمال والفلاحين على وجه الارض برئاسة لينين وهى بدء التاريخ وقضاء نهائى على استغلال الانسان وتحقيق لنظام أجيال من النفوس الحرة التى ظلت تصرخ فى غياهب التاريخ

البشرى المسيح ٠٠ الى أن قال ها هو نهار الاشتراكية يبرز أخيرا والشمس تبرز من الشرق ٠٠ ورأت النيابة في ذلك المقال تحبيذا لذهب الشيوعية وكفاحها الثورى فوجهت التهمة الواردة في قرار الاتهام الى صاحب المقال المذكور (المتهم السادس) الذى أقر بكتابه وأنكر أنه يقصد بذلك الدعوى أو الترويج للشيوعية عن طريق القوة أو الثورة والعنف .

خامسا - نسخة من العدد الثالث عشر من السنة الاولى لمجلة الفجر الجديد بها مقال من تأليف المتهم السابع صادق سعد بعنوان « ثورة أكتوبر مرحلة تحول في تاريخ البشرية » وقد نشر هذا المقال بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وجاء به ان طبقة العمال وطبقة الكادحين استولت في ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ على الحكم السياسى في روسيا وأصبحت هذه الثورة لأول مرة في التاريخ للعمال أمام العمال وخلق مجتمع جديد لا تستولى طبقة واحدة فيه على عرق الكادحين بل ينتج للشعب بنفسه ويراقب الانتاج الاجتماعى ويشرف عليه لان وسائل الانتاج ملك له لا لغيره وقد استطاع الحكم البروليتارى بتخطيطه الاستغلال والطغيان وإزالة نظام الطبقات ان ينظم الانتاج المادى والادبى وان يوفر الراحة والتعليم للشعب ورأت النيابة في محتويات هذا المقال دعوة للشيوعية وتحبيذا لمبادئها فوجهت اليه التهمة الواردة في قرار الاتهام وقد أقر بكتابه المقال المشار اليه ولكنه أذكر أنه يروج للشيوعية أو تحبيذ مبادئها أو يرمى الى تغيير النظام الاساسى للدولة أو مبادئ الدستور بالقوة والعنف .

وقد وجهت النيابة العامة للمتهم الثامن أحمد رشدى صالح بصفته رئيسا لتحرير مجلة الفجر الجديد تهمة نشر المقالين السالفين في العدد الصادر في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ .

سادسا - نشرة صدرت من دار الأبحاث العلمية بعنوان « ماذا علمتنا الحرب » من تأليف المتهم التاسع أحمد شكرى سالم وقد تم نشرها وتوزيعها على الجمهور خلال عام ١٩٤٥ وقد ورد بهذه النشرة أن نظرة العالم للشيوعية والاشتراكية تختلف الآن اختلافا بينا عما كانت عليه قبل الحرب فالشيوعية الآن هي قوة من القوى المنتصرة وانها ترمى الى ايجاد مجتمع ليس فيه مالكة ولا مملوك وقد نسبت الى المتهم المذكور على أساس ما تضمنته هذه النشرة تهمة الترويج للمذاهب الهدامة والدعوة الى تغيير المبادئ الاساسية للنظم الاجتماعية بالقوة وقد نفى المتهم انه يحبذ المبادئ الشيوعية وانه لا يمكن الاستنتاج من مقاله انه يروج للمبادئ الهدامة .

سابعا - كتاب أهداف الاشتراكية وقد تم طبعه ونشره وتوزيعه في خلال عام ١٩٤٥ وهو من تأليف المتهم العاشر محمود فتحى الرملى كما سبق بيانه .

ثامنا - كتاب « لا طبقات » من تأليف المتهم الحادى عشر أسور كامل وقد جاء بهذا الكتاب الذى تم نشره وطبعه وتوزيعه على الجمهور خلال عام ١٩٤٥ دعوة الى الغاء نظام الطبقات والغاء الملكية الفردية وجعل وسائل الانتاج مملوكة للدولة وترى النيابة فيما ورد بهذا الكتاب اثارة للنفوس فقد خاطب المتهم الفقراء فى مواضع كثيرة من مؤلفة بعبارة ايها العبيد . وقد اعترف المتهم بتأليف الكتاب المذكور ونشره وقرر أن الذى يقصده من ذلك هو اعطاء فكرة للرأى العام عن مشاكل المجتمع المصرى كالفقر والمرض والجهل والبغاء لانها تتصل جميعا بسوء توزيع الثروات وانه ليس فى محتويات كتابة ما يتعارض مع قوانين الدولة وانه اشتراكى لا شيوعى .

تاسعا - كتاب اسمه « وطنيتنا » من تأليف المتهم الثانى عشر عمر رشدى وقد تم طبعه وتوزيعه على الجمهور خلال شهر يوليو سنة ١٩٤٦ وعالج المؤلف فى هذا الكتاب آراء بعض الكتاب الاجانب والمسائل الوطنية والحركات التحريرية فى مختلف بلدان العالم وفى مصر على ضوء المذاهب الماركسية والشيوعية مشيرا الى قيام ترابط تام بين القضاء على نظام الطبقات والنظام الراسمالى فى الدول وبين نجاح الحركات الاستقلالية والدور الذى يجب على العمال القيام به فى الحركات التحريرية ورأت النيابة فى هذا الكتاب تحجيذا وترويجا للشيوعية وكفاحها الثورى وقد اقر المتهم بانه وضع هذا الكتاب وانه اشتراكى وان وسيلته فى تحقيق اهداف الاشتراكية هى وسيلة سلمية بعيدة عن العنف والقوة . ولم يكن يهدف من وضع الكتاب سوى نقل النظريات الاشتراكية وما يراه واضعو هذه النظريات فى تطبيق مبادئها وليس ما يراه هو (أى المتهم) وانه لم يخرج عن دور الملخص والمترجم الامين لهذه النظريات .

وبتاريخ ١٩٤٦/١٢/٥ بينما كان الكونستابل سيد مصطفى سيد بمر مصادفة بصحبة البوليس الملكى نسيم صليب بشوارع سليمان بالناصرة رأى المتهمين هنرى كورريل (السادس عشر) والسيد سليمان الرفاعى (السابع عشر) وشحاتة هارون (الثامن عشر) ومحمود صبحى زغلول (التاسع عشر) وحامد أحمد حمدان (العشرين) يجلسون حول مائدة فى مقهى (بج بن) ويتهايمسون فاشتبه فى امرهم وقبض عليهم واقتادهم الى نقطة بوليس كورسيكا حيث بوشر التحقيق معهم وقد أسفر التحقيق عن اتهامهم بأنهم يزاولون نشاطا شيوعيا نظرا لوجود هنرى كورريل معهم الذى حامت حوله شبهات سابقة بانه يتزعم الحركة الشيوعية فى مصر وقد استخلصت النيابة من اجتماع هؤلاء الاشخاص بهنرى كورريل فى البار وتحدثهم معه ووجود بعض الكتب والنشرات فى منازلهم عند تفقيشها تتناول بالبحث المبادئ الشيوعية وامتلاك هنرى كورريل مكتبة تجارية تحتوى على مجموعة من المؤلفات والكتب الشيوعية يعرضها للبيع

للجمهور والعثور على أوراق تحوى بعض الرموز والاسماء الغير مفهومة ومذكرات عن وجوب مساهمة الطبقة العاملة في الحركات الوطنية ووجوب بناء النظرية الماركسية وتكوين اداة سرية وكادر شيوعى ودروس شيوعية ومن خريطة عثر عليها بمنزل المتهم محمود صبحى زغلول تنطوى على رسم لبعض المبادئ العامة وإشارة الى منشورات تلصق بها أوراق أخرى وبحث في حالة الاتحاد النسوفيتى ومزايا علاقته بالشعوب في الشرق الاوسط استخلصت النيابة من هذه الوثائق عناصر مادية في نظرها لتوجيه تهمة تكوين الاتفاق الجنائى على ارتكاب جريمة تحبيذ وترويج المذاهب الشيوعية والثورية الى هؤلاء المتهمين الخمسة (١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠) كما وجهت الى المتهم السادس عشر هنرى كوربيل تهمة التحبيذ والترويج علنا للمبادئ الهدامة التى ترمى الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الاساسيه للهيئة الاجتماعيه بالقوة تأسيسا على واقعة انشائه مكتبة تجارية عرض فيها للجمهور الكتب والمؤلفات والنشرات المبينة بمحاضر الضبط وهى تدعو الى مجتمع بلا طبقات تنفزع فيه الملكية الفردية ورؤوس الاموال من أصحابها وتسود ، ديكتاتورية الطبقة العاملة طبقا للتعاليم الشيوعية القائمه وقد انكر المتهمون جميعا تهمة الاتفاق الجنائى المسندة ودفع المتهمون الحاضرون بالجلسة ببطلان القبض والتفتيش الذى أجراه الكونسيتابل ضدهم وما ترتب على ذلك من أدلة قبلهم لاتهم كانوا يجلسون بالمقهى « بج بن » جلسة عادية دون تأمر أو اتفاق سابق ولم يصدر عنهم ما يدعو الى اتخاذ هذه الاجراءات ضدهم وأنكر المتهم هنرى كوربيل في التحقيقات تهمة التحبيذ أو الترويج للشيوعية والاتفاق الجنائى المنسوبين اليه وقرر أنه صاحب مكتبة تجارية وأنه يقوم بعمل تجارى ولا يروج للشيوعية

وفي ١٤/١١/١٩٤٦ ضبط المتهم أسعد حليم (الثالث) بمحطة حلوان ومعه بضعة تقارير تتضمن مراحل التحقيق الذى بوشر مع المتهمين أحمد شكرى سالم (التاسع) وأنور اسكندر عبد الملك (الثالث عشر) وكمال محمد عبد الحليم (الرابع عشر) وعبد اللطيف دهب حسنين (الخامس عشر) وكيفية معاملتهم في السجن وقرر أسعد حليم في التحقيقات أن هذه التقارير كتبها المتهمون المشار اليهم وأنكر هؤلاء صدورها منهم وقد أجريت مضاهاة خط المتهمين بالخط الذى كتبت به هذه التقارير في طريق القسم المختص بمصلحة الطب الشرعى فثبت أن احدهما كتب بخط المتهم أنور اسكندر عبد الملك وأما باقى التقارير فلم يثبت أنها كتبت بخط أى من المتهمين الباقين وقد استخلصت النيابة من واقعة ضبط هذه التقارير مع المتهم أسعد حليم وما اشتملت عليه من معلومات وملاحظات عن التحقيقات التى تجريها النيابة مع باقى المتهمين في هذه الدعوى ومن تقارير البوليس السياسى عن نشاطهم دليلا على وجود رابطة بينهم وتداخلهم في مؤسسات ومنظمات واحدة تدعو

الى تحبيذ وترويج المبادئ الشيوعية الامر الذى يؤيد فى نظرها قيام جريمة الاتفاق الجنائى المسندة اليهم فى قرار الاتهام . وقد أنكر المتهمون هذه الواقعة ودفع الحاضر عن أسعد حليم ببطلان القبض عليه وتفتيشه فى محطة حلوان ومع اعتراف المتهم المذكور بوجود هذه التقارير فى حوزته فانه يقرر - انه بصفتة صحفيا أراد أن يجرى تحقيقا عن المتهمين وعن طريقه معاملتهم فى السجن فجمع معهم هذه المذكرات أو التقارير للاستئناس بها فى تحقيقه الصحفى .

وحيث أن النيابة العامة ختمت قرار الاتهام بتوجيه اشتراك المتهمين جميعا مع مجهولين فى اتفاق جنائى على تحبيذ وترويج المبادئ المغايرة للدستور والنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب وذلك بطريق النشرات واستندت فى ذلك الى القول بأنه ثبت بالنسبة للمتهمين جميعا انهم يتصلون ببعضهم وانهم يسعون لهدف واحد وتجمعهم رابطة ثقافية واحدة ودلت على ذلك بما ورد بالتقارير الصادرة من البوليس السياسى والتي تشير الى اتفاق هؤلاء جميعا على نشر المذاهب الشيوعية وتدخلهم فى مؤسساته ومنظمات واحدة .

وحيث أن سلطة الاتهام قدمت المتهمين للمحكمة على أساس ما جاء بأقوال الشهود فى التحقيقات وبالجلسة وما قدمته من كتب ومقالات منسوبة الى هؤلاء المتهمين بانهم ألفوها وعرضوها للبيع ونشروا بعضها فى مجلة الفجر الجديد وأن هذه الكتب والمقالات والفقرات التى أوردتها فى تقرير الاتهام وفى ملحوظاتها فى قائمة الشهود واستخلصت منها حسب تقديرها أن المتهمين يروجون للمذهب الشيوعى بطريق القوة والارهاب .

فقد شهد اللواء أحمد حمدى وكان يشغل وظيفة مفتش الضبط بفرع ب بحكمدرارية بوليس القاهرة ان المتهم السادس عشر هنرى كورييل هو الرأس المحرك لكل الحركات الشيوعية فى مصر وأنه يروج للشيوعية عن طريق مكتبته التى تبيع الكتب الشيوعية بميدان مصطفى كامل وعن اتصالاته بزملائه سواء بالمكتبة أو تليفونيا أو خارج المكتبة وبسؤاله عما اذا كان هناك علاقة بين هنرى كورييل وباقى المتهمين فى القضية الحالية أجاب بأنه يعتقد بوجود هذه العلاقة لان كورييل متصل بلجنة نشر الثقافة الحديثة ودار الابحاث العلمية واتحاد خريجي الجامعة ولجنة أم درمان والمتهمون أعضاء فى هذه اللجان وأضاف الشاهد بأن جميع المتهمين متصلين ببعضهم ببعض ويساهمون بنشاطهم فى منظمات ومؤسسات متصلة وتجمعهم رابطة الهدف الاتفاق على نشر المذهب الشيوعى بمصر .

وشهد الكونستابل سيد مصطفى السيد أنه كان يمر يوم ٥ من ديسمبر ١٩٤٦ حوالي الساعة ٤٤٥ بشارع سليمان باشا بدائرة قسم عابدين حيث وجد المتهم السادس عشر هنري كورييل مع المتهمين سليمان الرفاعي «السابع عشر» وشحاتة هارون (الثامن عشر) ومحمود صبحى زغلول (التاسع عشر) وحامد أحمد حمداى (العشرين) يجلسون حول مائدة فى مقهى « بيج بن » على شرفة فى مدخل المقهى وكان كورييل ممسكا بورقة أمامه على المائدة يتحدث مع رفاقه وكان يشرح مشيرا الى تلك الورقة وقد لفت نظر الكونستابل أن أحد هؤلاء الأشخاص وهو سودانى وتبين فيما بعد أنه المتهم العشرين حامد أحمد حمداى كان يلبس زيبا ملغتا للنظر « قميصا أخضر » (فاشتبه فى أمرهم لكثرة الحوادث المثيرة التى وقعت - ولما هم بالقبض عليهم فر هارون (الثامن عشر) متجها الى ميدان سليمان باشا . فأرسل خلفه البوليس المالكى نسيم صليب الذى تمكن من استحضاره ثم اقتاد الجميع الى نقطة بوليس كوتسكا حيث أبلغ الامر للضابط حسين محمد حسين فقام بتفتيش هؤلاء المتهمين ووجد معهم بعض الاوراق كما أنه ضبط مع كورييل المنشور المنون « نظرة الى السياسة الداخلية » وقد أكد الشاهد أنه لم يكن يعرف أحد من هؤلاء المتهمين قبل القبض عليهم ولم يكن لديه معلومات عنهم أو عن نشاطهم وأنه لاحظ أنهم يشتركون فى حديث واحد مما يدل على أنهم فى جلسة واحدة مع بعضهم ويسأل الشاهد عن الورقة التى كانت موجودة على المنضدة أمام المتهمين قرر بأنها اختفت وقت الضبط ولا يعلم أين ذهبت ووصفها قائلاً أنها عبارة عن ورقة صغيرة مربعة تشبه صندوق السجائر وأنه لم يتحقق ان كانت عليها كتابة أم لا وأنه وقت أن داهم المتهمين كان كل همهم أن يضبطهم فلم يلاحظ أين اختفت هذه الورقة ولم يسمع الحديث الذى كان دائرا بين المتهمين .

وشهد البوليس المالكى نسيم صليب عبد الملاك فى التحقيقات بأنه بينما كان يمر مع الكونستابل سيد مصطفى أمام مقهى « بيج بن » بشارع سليمان باشا لاحظ وجود خمسة أشخاص جالسين حول مائدة فاشتبه فيهم لانهم كانوا يتحدثون بصوت خافت غداهما هؤلاء الأشخاص اذ دخل الكونستابل من الباب الأيمن والشاهد من الباب الأيسر وقد حاول أحد المتهمين (الاستاذ شحاتة هارون) الهرب فتبعه الشاهد بناء على تعليمات الكونستابل واستحضره دينما تولى الكونستابل القبض على الباقيين ثم اقتاد الجميع الى نقطة كوتسكا .

وشهد الضابط حسين محمد حسين أنه بينما كان يباشر عمله فى نقطة كوتسكا مساء يوم ٥ ديسمبر ١٩٤٦ اذ حضر له الكونستابل سيد مصطفى

والبوليس الملكى نسيم صليب وخمسة أشخاص وعلم منهما انهما ضبطا المتهمين الخمسة بمقهى بيج بن بشارع سليمان باشا رقم ١٨ بنزع الاشتباه وان الذى اثار هذه الشبهة هو أن أحدهم وهو كورييل كان يشرح لباقي المتهمين وهم ينصتون اليه ولما رأوا الكونستابل توقفوا عن الحديث وظنوا اليه بحالة تلفت النظر وقرر الشاهد بأنه أجرى تفتيش المتهمين وضبط معهم بعض الاوراق المبنية بالمحضر منها منشور وجده مع كورييل وعنوانه « نظرة الى السياسة الداخلية » ولما حاول سؤال المتهمين امتنعوا عن الاجابة بذا على مشورة هنرى كورييل وشحاتة هارون .

وشهد ثبو باباسانس عامل مقهى « بيج بن » فى الذخقيقات أنه رأى المتهمين الخمسة (من السادس عشر الى العشرين) جالسين بالمقهى على منضدة واحدة وأن الكونستابل قد ضبطهم وهم على هذه الصورة وفادهم الى مخفر البوليس .

وعلاوة على ما جاء بأقوال هؤلاء الشهود فقد استندت سلطة الاتهام الى الادلة المستمدة من الكتب والمقالات المسندة الى كل منهم وحددت على الوجه الاتى الفقرات التى اعتبرت بها تحبيذا وترويجا لمذاهب ترمى الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الاساسية لاهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب .

١ - بالنسبة للمتهم الاول فتحى أحمد الغربى :

وفد ورد بكتابه « أنا العامل » الذى ألفه والذى يحوى مجموعة أرجال ما نصه فى صحيفة رقم ١٥ :

« فانت سنين وأجيال قضيتها فى استعباد
ما تفوق ماتصحنى النوم حارب فى الاستبداد
ليه اتخلفنا لنمدهم ونجوع
ونعيش فى ذل الخذل وعياننا نتصاع

وفى صحيفة ١٧ :

لحد امتى حنقى لعبنة فى ايديهم
سنين فانت ودائسنا برجليهم
بكورة لابعد نكسدهم ونعبيهم
وفى صحيفة ٣٣ بعنوان « روسيا » ترجمة حرفية لقصة شعب تحرر من قيود العبودية فى الوقت الذى كان عندهم راجل أمين :

فى الوقت ده كان عندهم راجل أمين
وأمين على مبدأ نضاله فى الحياة

نادى باسمها مبداً في الوجود
هو النظام الاشتراكي في البلاد
أحسن نظام سجل تاريخه للخلود
ويخلي كل رأسمالي كالجماد

وفي صحيفة ٣٤ :

وعن تاريخ روسيا يبيان لنا شعبها
أحسن شعوب الدنيا في الروح والكفاح
علشان كده مبادئها سامية نجبها
والدنيا تعرف انها أم الصلاح
سبعة نوفمبر شعب روسيا هاج وماج
وجاءت قوة فوق عزيمة واندفاع
والثورة قامت دغرى عملت ارتجاج
وصل خبرها للهم حالاً وشاع
تبص وتلقى يومها قصر الكرملين
سلخانة فيها النزاع والموت بالرصاص
والشعب كله متبع خطية لينين
ويسددوا داخل على البلاد دخلت حماس
وسنالين هو ولينين لهم آثار
في قلب روسيا ولا فيش هناك شقاق
الاشتراكية عدالة نظامها مش خفى
لها ناس بيكفى للشعوب المظلومين
افكارها تقيدها دروس ومنها نستقى
كل المبادئ لاجل يبقوا منتمين

٢ - بالنسبة للمتهم الثاني مصطفى كامل منيب :

اولا : أنه وضع مقدمة كتاب أنا العامل « الذي ألفه المتهم الأول .

ثانيا : ترجم كتب « الزواج والاسرة في الاتحاد السوفييتي » و « الزواج والأمومة والعائلة في التشريع السوفييتي » و « الدين في الاتحاد السوفييتي » وهي الكتب التي صدرت عن دار الفجر للنشر - التي يملكها مع المتهم الثالث وقد تم طبعها وتوزيعها على الجمهور وقدم لكل منها بمقدمة لتضمن تحبيذاً لذلك النظام وقد جاء في مقدمة الكتاب الاول في الصفحة ٧ ما نصه

« وقد أصبح باديا للعيان ولكل الشعوب أن التعليم والثقافة في الاتحاد السوفييتي أرقى وأعظم منها في أي بلد آخر وحسبنا دليلاً على ذلك القضاء

على الأمية هناك قضاء مبرما ونشوء ثقافة جديدة رائعة لم توجد في غير الاتحاد السوفييتي وهي الثقافة الاشتراكية » .

وقال في صحيفة رقم ٩ ما نصه :

« لقد كان من أبرز نتائج ثورة أكتوبر التغيير الهائل الذي طرأ على الحياة الأسرية بالاتحاد السوفييتي وعلى مركز المرأة في المجتمع الجديد إذ تطورت أحوال الأسرة وأصبحت الأسرة نواة سليمة قوية .

وقال في صحيفة رقم ١٠ ما نصه :

« ويأتى في صدر الافتراءات التي كانت تختلق على الاتحاد السوفييتي قولهم بأن الناس هناك ينزبون أطفالهم ويتخلون عنهم كلية للحكومة وأنه لما كانت الحكومة الشيوعية عاجزة سيئة فقد كان مصير الاولاد دائما هو الهيام على وجوههم في الطرقات والخلاء والواقع أن هذا الادعاء لاينطوى على ذرة من الحقيقة » .

وقال في صحيفة رقم ١١ ما نصه :

« ان هذا النظام قد انطلق يعالج المشكلة باخلاص واقتدار . » .

وقال في صحيفة رقم ١٥ ما نصه :

« اذا كان هناك نفر من الناس قد جبلت نفوسهم على الذل والاستبعاد ولا يرون غير الاستغلال - فليختصروا الطريق وليقولوا صراحة نحن نكره حرية المرأة ونحن نبغض النظام السوفيتي لانه يوفر الحرية للمرأة » .

وجاء في صحيفة ٧ من مقدمة كتاب « الدين في الاتحاد السوفيتي » وما نصه :

« أفترانا نعجب بعد ذلك اذا كان العالم قد شهد في السبعة والعشرين سنة الاخيرة فيضا من الابطايل والاكاذيب قد اخذلقه الرجعيون عن حقيقة الأحوال في الاتحاد السوفييتي وعن النظام الجديد الذي انبثق عن ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ .

وقال في صحيفة رقم ١٢ :

« ومن الاتهامات التي يختلفها بعض الحكام لخواوة التطور والتجديد زعمهم أن الشيوعية تحارب الدين وأن الشيوعيين يحرقون الأديان ويعملون

على نقبضها وانهم يسومون المتدينين العذاب والهلاك وقد لا يكون هناك اتهام أوقع من هذا الاتهام بل نحن لا يمكننا أن نتصور افتراء يمعن في المغالطة مثل هذا الافتراء العجيب إذ لم يحدث مطلقاً أن حارب الشيوعيين الأديان مجرد كونها أدياناً بل ليس من أصول الشيوعية مطلقاً محاربة الدين .

ثالثاً : باعتباره ناشراً ومالكاً لدار الفجر للنشر قام بطبع ونشر الكتب المذكورة .

٣ - وبالنسبة للمتهم الثالث أسعد حليم :

أولاً - باعتباره ناشراً ومالكاً لدار الفجر للنشر قام بنشر وطبع الكتب السابقة ببيانها .

ثانياً - فيما يتعلق بتهمة الاتفاق الجنائي بينه وبين المتهمين التاسع والثالث عشر والخامس عشر فقد ضبط معه أربعة تقارير كتبها كل من المتهمين التاسع أحمد شكرى سالم والثالث عشر أنور أسكندر عبد الملك والرابع عشر كمال محمد عبد الحليم والخامس عشر عبد اللطيف دهب حسائين عن المدة التي قضاها بالحبس الاختيائي وفيها اشارات صريحة الى ميولهم الشيوعية واعتناقهم لها وتحليل لما قام به أفرادهم خلال حبسهم وموقف منظماتهم وأحوالها ووجوب التماس العبرة مما مر عليهم في نضالهم المستقبل وانهم بوصف كونهم شيوعيين يتعين في دعوتهم اتخاذ الحذر والاستفادة من كل خطأ مر بهم .

ووجدت معه أيضاً مذكرة من سبع عشرة صحيفة فيها اشارة الى حاجة مصر الملحة الى تأليف حزب شيوعي .

٤ - بالنسبة للمتهم الرابع محمد أبو الحسن جاد الله الغنيمي :

أولاً : ألف ونشر كتاب « الشيوعية في الاسلام » وقد جاء بالصحيفة رقم ٥ ما نصه : « لماذا لا تكون الأرض كلها ملكاً للامة وتكون الحكومة قيمة عليها ويكون الفلاحون جميعاً مزارعين فيها فيشتغل كل حسب طاقته ثم يأخذ كل بحسب حاجته . ولماذا لا تكون المصانع والمعامل وجميع موارد الثروة ملكاً للجميع فما دمننا مشتركين في تحصيل الارزاق واحداث الثروات فالواجب يقضى باقتسامها من كل والى كل . ولماذا لا تشاع الابنية والدور بين الناس وما دمننا مشتركين في بنائها واقامة جدرانها وتشبيدها

حجراتها من كل والى كل مثل الماء والهواء والشمس مشاعة بين الجميع من كل والى كل » .

وقال في صحيفة ٦ :

« سيقول السفهاء من الناس أن الأرض قليلة لا تكفى حاجة البشر » الى أن قال ملا حجة بقلة الانتاج فالانتاج كثير والثروة كثيرة ولكن البذل قليل والنظام والافراد في جور وخطر وإذا سلمنا بهذه المظالم وسلمنا بفساد هذا المجتمع فما هو الحل وما هو المخرج من هذه الظلمات المتراكمة والمفاسد المتلاطمة والجواب عن ذلك سهل وبسيط فتش عنه تبحث عنه نقب عنه سوف تجده في كلمة واحدة هي الشيوعية » .

وقال في صحيفة ٨ :

« وليست الشيوعية فوضى واضطراب وجنون وإباحية كما يريد البرجوازيون تشويه الحقائق والباس الحق ثوب الضلال » .

وقال في صحيفة ١٠ :

« وقد نسوا، وتناسوا انهم عائلة على المجتمع وجراثومة فساد تنخر في عظم الحياة بعيدين عن روح الاسلام وأوامره ونواهيه الذى ينادى بالنداء الذى أدت به الشيوعية من يعمل يأكل ومن لا يعمل يموت فسحقا لهم وترحا وبعدا لهم كما بعدت ثمود » .

وقال في صحيفة ١٢ :

« واذا فالشيوعية طبقت في الاسلام فترة من الزمن كان الظرف الاقتصادي يتطلب هذا النظام وليست المشكلة اليوم مشكلة نظام طبقي فقط ولكن المشكلة التى تهم كل باحث ومفكر أن يمنع الاسلام أهله من أن يعيحوا بناء المجتمع على أسس الشيوعية الاولى وهل يمانع الاسلام في تطبيق هذا النظام مرة ثانية واجواب طبعاً لا يمانع ولا مانع وانى اذ أضع هذه الحقيقة لا أعرف ما هي ولا ما الذى يترتب عليه من نقد واوم وتعنيف » .

ثالثاً : ألف أيضاً ونشر « دورنا في الكفاح الوطنى » وقد جاء بالصحيفة الاولى ما نصه :

« ليشهد العالم ويسجل التاريخ لونا آخر من ألوان الحياة بدخول الأمم جمعاء في الأقطار المتقدمة والمتأخرة القوية والضعيفة في مرحلة أخرى من مراحل النضال والكفاح نضال مهما اختلفت مظاهره وتنوعت أشكاله وتعددت أسماؤه فإنه متحد في الغاية متفق في النهاية لانفاقه في الهدف وهو تحرير الانسانية من آلام العوز ومخاوف المرض ومصائب الجهل والانطلاق من القيود التي فرضتها الانظمة الرجعية البالية » .

وقال أيضا في صحيفة ٢ :

« ولا يوجد شيء يعيق الانسانية عن بلوغ هدفها والوصول الى غايتها مثل الاستغلال وهو في مظهره الوقوف في طريق الطبقات الشعبية ومنها من أن تمارس حقها اللائق بكدها وتنعم بحياة سياسية واقتصادية تساوى ما تبذله من عرق ودماء » .

وقال أيضا في صحيفة ٢ :

« فنضال هذه البلاد اذن نضال ضد الاستعمار ولكنه نضال ضد بقايا الاقطاع والاشكال الاجتماعية الرجعية الاخرى سواء أكانت في الاقتصاد أو السياسة » الى أن قال « ولقد يدرك القارئ من هذه الكلمة الموجزة صدق النظرية الماركسية وعمقها تلك التي ترى العالم وحدة متماسكة تتأثر كل بقعة منها بعدت أو قربت بالاحداث والحركات التي تقع في أى جزء من أجزاء العالم » .

وقال أيضا في صحيفة ٣ :

« وقد كان لتضارب القوى الاقتصادية والسياسية أكبر الاثر في خلق هذا الصراع الذي تشهده الانسانية اليوم بين معسكرات العالم المتبادلة » .

وقال في صحيفة ٦ :

« فلا غرو اذا وجدنا الصراع الطبقي بين القوتين يكاد يؤدي بأحدهما ولن يكون البقاء الا للقوة الفتية النامية ومن هنا تجد الجماعات الشعبية تتكفل في اتصالات قومية لتصل الى الحكم عن طريق الحياة الديمقراطية وسبل التشريع » .

وقال في صحيفة ٣٥ :

أما في ثورة أكتوبر الاشتراكية فقد حاربت الكنيسة الثورة والثوار ولعنهم « الى أن قال : فهل يحق لنا بعد ذلك أن نقول أن الاشتراكية عدوة للاديان أم الاجدر بنا أن نعرف أن كبار رجال الدين كانوا يهاجمون جموع العمال والفلاحين وهم الذين يصبون اللعنات على كفاح من أجل خيرهم وحريتهم » .

٥ - بالنسبة للمتهم الخامس أبو سيف يوسف أبو سيف :

ألف ونشر كتاب « حول الفلسفة الماركسية ردا على العقاد وقد جاء بالصحيفة ٣٧ ما يأتي :

« التاريخ اذن يعلمنا أنه لا وجود للحريات الفردية طالما انقسم المجتمع الى طبقة تستغل وغالبية تخضع وتشتقى وأن هذه الحريات ان كان قد اكتسب بعضها فلم يكن ذلك الا عن طريق كتماع الشعوب ضد مستغليها » الى أن قال « اننا نعلم حق العلم انه في ظل النظام الرأسمالي القائم على استغلال الانسان لأخيه الانسان لا يمكن أن توجد حرية حقيقية بالنسبة للغالبية العظمى وذلك لسببين الاول هو أن الحريات في المجتمع البرجوازي حريات ورقية وهى تفسر في هذا المجتمع لصالح طبقة معينة دون الطبقة الكادحة ٠ »

وقال في صحيفة ٥٣ و ٥٤ بعنوان الماركسية في التطبيق ما نصه :

« وقد زعم العقاد ان قادة الاتحاد السوفييتى الماركسيين قد آمنوا ببعض مبادئ ماركسية ثم عدلوا عنها عندما فشلوا في تطبيقها فسادوا وأقروا حق التملك والتوريث والفروق في المعاش واعلان العصبة القومية ولكن العقاد للأسف يستغل ثقة قارئه به عندما يتحدث عن العشرين سنة من التجارب الفاشلة ولكن يحق لنا أن نسأله بجورنا أية تجارب فاشلة ٠ ان القارئ يد. تنتج من كلامه أن الماركسية تنكر حق الملكية الخاصة وأنها ترمى الى محو كل شكل من أشكالها والواقع أن هذا غير صحيح بالمرة فقد كان انجلز يعترف منذ البداية أن الملكية الخاصة هي الدافع الى الابتكار والاجادة ولكنه في الوقت نفسه ينكر أن يكون هذا الحق الطبيعي في التملك وسيلة لان يستغل الانسان انسانا آخر ولقد لاحظ انجلز أيضا أن تسعة أعشار المجتمع الذى نعيش فيه محرومين من الملكية الخاصة وبالتالي كان العشر الباقي يمارس هذا الحق ممارسة سيئة تحول بين التسعة أعشار وبين الارتفاع الى مستوى لائق يبشر به وقد طبق هذا الجدل الماركسى في الاتحاد السوفييتى بكيفية تتفق مع ظروف المجتمع الداخلية والخارجية هناك الى أن قال « وفي الاتحاد السوفييتى يتقاضى العامل أجره بحسب عظم المسؤولية الملقاة عليه وتبعاً لكيف وكما العمل الذى يؤديه ٠٠ » .

وقال في صحيفة ٥٥ :

« فالماركسية اذن لم تنكر هذا الحق المقدس في التملك ولكنها تنكر أن يؤدي الى استغلال الانسان للانسان ٠ »

ان الماركسية بمنهجها العلمى الديالكتيكي تعدد كما لاحظ بحث زيبية موبيليا فلسفة حركة بل لعل الافضل أن يقال أنها الفلسفة الاولى والوحيدة للحركة العمالة حركة العقل البشرى فى محاولته أن يتوافق مع الدافع الحقيقى وتوافقا وثيقا .

٦ - بالنسبة لثمنهم السادس نعمان سعد الدين عاشور :

ألف مقالا نشر بمجلة الفجر الجديد (العدد ١٣ السنة الاولى) بعنوان « ستالين فى الثورة الاشتراكية » وقد جاء بالصحيفة ١٨ ما نصه :

« كانت شمس أكتوبر قد أشرقت على أول حكومة للعمال والفلاحين على وجه الارض برئاسة لينين وهكذا بدأ تاريخ الفقراء من هذا اليوم وما بعده وقضى نهائيا فى سدس الكرة الارضية على استغلال الانسان وتحقق فى النهاية حلم أجيال من النفوس الحرة ظلت تصرخ فى غياهب التاريخ البشرى السحيق تنشد الحق وتأمل الخير وتروم للانسان حياة كريمة على الارض بنجاح الثورة البروليتارية الاشتراكية ودخلت الانسانية فى عصر جديد أشرف ليل الرأسمالية الطويل الحالك على النهاية وها هو نهار الاشتراكية يبرز أخيرا والشمس تبعد من الشرق .

٧ - بالنسبة لثمنهم السابع صادق سعد :

جاء فى مقاله المنشور للفجر الجديد فى العدد الثالث عشر من السنة الأولى بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور تحت عنوان « ثورة أكتوبر مرحلة تحول فى تاريخ البشرية » .

« ان طبقة العمال وطبقة الكادحين استولت فى هذه الثورة على الحكم السياسى فى روسيا وقد أفسحت هذه الثورة لأول مرة فى التاريخ المجال أمام العمال بخلق مجتمع جديد لا تستولى طبقة طفيلية فيه على عرق الكادحين بل ينتج الشعب بنفسه ويراقب الانتاج الاجتماعى ويشرف عليه لان وسائل الانتاج ملكا له لا لغره وقد استطاع الحكم البروليتارى بتخطيطه الاستراتيجى والطغيان وازالة نظام الطبقات أن ينظم الانتاج المادى والادبى وأن يوفر التعليم والراحة والطمأنينة للشعوب .

« ومن ثم فان ثورة أكتوبر تتصل اتصالا وثيقا بتاريخ البشرية فهى المحقق فى مغزاها من تصورات الرجعيين لانها تؤكد للشعوب أن الحرية ليست بعيدة المنال وتصرب للشعوب المثل التاريخى فى المنهج العلمى الذى يجب أن يتبع للحصول على الحرية الاشتراكية أى الحرية الكاملة » .

٨ - بالنسبة للمتهم الثامن أحمد رشدى صالح :

نشر المقالين الصادرين من المتهمين نعمان سعد الدين عاشور وصائق سعد بمجلة « الفجر الجديد » وهو رئيس تحريرها .

٩ - بالنسبة للمتهم التاسع أحمد شكرى سالم :

أولا - بالنسبة للتهمة الأولى : جاء بالمقال الذى نشره بعنوان « ماذا علمتنا هذه الحرب صحيفة ٢٢٢ بالنشرة الخامسة من البحوث الاجتماعية والسياسية والعلمية التى أصدرتها دار الابحاث العلمية والتقى تم طبعها وتوزيعها على الجمهور سنة ١٩٤٥ ما يأتى :

« لقد أظهرت لنا هذه الحرب الاتحاد السوفيتى بشكله الحقيقى كقوة شعبية الى أن قال كقوى ترمى الى ايجاد عائلة من بنى الانسان يعيشون على قدم المساواة فى عالم حر ليس فيه مالك ولا مملوك فنظرة العالم الى الاشتراكية والشيوعية الان هى قوة من القوى المنتصرة بل تقف فى طليعة القوى المنتصرة .

ثانيا بالنسبة للتهمة الخاصة بالاتفاق الجنائى : حرر هذا المتهم مذكرة عن الظروف التى مرت به عن اعتقاله على ذمة هذه القضية ومراحل التحقيق معه وحرر صورة بقدر ما دعت ذاكته وسلم هذه الأوراق الى المتهم الثالث أسعد حليم وقد ثبت نسبة هذه الأوراق اليه من مضاهاة البيانات الواردة بها على ما تم معه من تحقيق فقد ثبت بالأوراق أن كاتبها معيد بكلية العلوم وأن حضرة وكيل النيابة الذى قام بالتفتيش لم يعثر على شئ وأنه لم يقبض عليه عقب التفتيش مباشرة وثبت فى محضر استجوابه الساعة السادسة والنصف صباحا أن حضرة وكيل النيابة أرسل ضابطا لاستدعائه ثم استجوبه وألقى القبض عليه وثبت بالأوراق النسوبة لاحمد شكرى سالم أيضا أنه بقى بالسجن مدة عشرة أيام بعد القبض عليه ثم استدعته النيابة وحقق معه حضرة الاستاذ أحمد موافى وكيل النيابة وتبين فعلا أن أحمد شكرى سالم حقق معه الاستاذ أحمد موافى وكيل النيابة فى يوم ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٦ وكان قد قبض عليه فى ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ وقد ثبت أيضا بالتقارير النسوبة لاحمد شكرى سالم جميع الاسئلة الموجهة اليه بالتحقيق وتبين أنها صورة طبق الاصل مع اختلاف طفيف مرده ما قد يكون قد استعصى على ذاكرته .

١٠ - بالنسبة للمتهم العاشر محمود فتحى الرملى :

جاء بكتّاب « هدف الاشتراكية » الذى ألفه محمود فتحى الرملى « وتم طبعه وتوزيعه على الجمهور بالصحيفة ٢ منا يأتى :

« ليس هناك مبدآن اذن اشتراكية وشيوعية ولم يست الأولى كما تظن الناس تحقيقا للثانية كلا فكلاهما له أهداف واحدة وفلسفة واحدة هى التى نستعرضها فيما يلى بايجاز ولكن الخلاف الوحيد بين الاثنين فى الوسيلة فالاشتراكيون يقولون اننا نؤمن بمبادئ انسانية فيجب أن نكون انسانين فى طريقة تنفيذها والشيوعيين يقولون أكثر انسانية لانهم يريدون أن يضعوا حداً للآلام البشر فى أسرع وقت وانهم فى هذا كالطبيب الذى يقوم بعملية جراحية قد يتعب منها المريض ربع ساعة ولكنها تنقذ حياته وتسعده وتريحه مدى الحياة وليست الثورة أكثر من عملية جراحية لا بد منها لمجتمع مريض .

وجاء بصحيفة ٤ :

« ومن هنا يرى الاشتراكيون أن ظهور الملكية الفردية قد شطرت المجتمع الواحد الى طبقات وان انقسام الناس الى ملاك وعبيد أو رأسماليين وعمال قد خلق فى المجتمع تناقضاً وصراعاً » .

الى أن قال فى صحيفة ٨ :

فليس ثمة طريق للإصلاح اذا سرى الغاء الملكية الفردية لتلغى وجود الطبقات فى المجتمع .

وقال فى صحيفة ١٦ :

والتطور يجرف كل هؤلاء أمامه ويكتسحها اكتساحاً فى سبيل أن يفرض نفسه والويل للغبي الاحق الذى يخيل اليه أن يوقف عملية التطور أو يؤخر دورانها حقيقة واحدة .

١١ - وبالنسبة للمتهم الحادى عشر أنور كابل :

فقد صدر كتّابه « لا طبقات » الذى تم طبعه وتوزيعه على الجمهور بالعبارة الآتية « أيتها الزميل اقرأ هذه الرسالة على أكبر عدد ممكن من أصدقائك ولا تنس أن ترسلها الى الأقاليم » .

« ما السر في تمتع الاقلية الضئيلة بخيرات الارض وما تحتها وما فوقها وحرمان الاغلبية الساحقة من هذه الخيرات كلها ، السر في هذا هو نظام الطبقات والسر في هذا هو التوزيع الطبقي لوسائل الانتاج » .

وقال أيضا : « أعراض ثلاثة لمشكلة واحدة تستمد بحورها من هذا النظام الاقتصادي البائد القائم على تقسيم المجتمع الى طبقات مستغلة ووضعت بالقوة أيديها الجشعة على وسائل الانتاج وطبقات مستغلة يحرمها المستغلون من كل شيء الا من قوة العمل الكامنة في سواعدهم أو في كماعتهم الذهنية » .

وجاء في صحيفة ١٩ ما نصه :

« نحن صوت الجماهير صوتها الصاعق الحار ينادى بتحقيق الاشتراكية بتحقيق الملكية العامة لوسائل الانتاج وتطبيق قانونها العادل من كل حسب قوته ولكل عمله أما تلك الطفيليات التي لا تعمل شيئا فهؤلاء لا يأكلون » .

١٢ - بالنسبة للمتهم الثاني عشر عمر رشدي :

فقد ورد بكتابه « وطنيتنا » الذي تم طبعه وتوزيعه على الجمهور في الصحيفة السادسة اقتباس من عبارات كارل ماركس ما يأتي :

« بقدر ما يوضع حد لاستغلال الفرد بواسطة فرد آخر بقدر ما ينتهي أيضا استغلال شعب لشعب آخر وبمقدار ما تزول الخلافات بين الطبقات في الأمة بمقدار ما تتلاشى عداوة أمة بأخرى » .

وورد في الصحيفة الثانية :

« فاذنتهى عهد المنافسة الحرة وبدأت الرأسمالية الاحتكارية تأخذ سبلها معتمدة على الامبريالية التي هيأت لها وسائل استغلال مئات الملايين من سكان المستعمرات ومن هنا نشأت الوحدة بين التحرر الوطني والتحرير الطبقي وأصبح لاطبقة العاملة في الأمة الغاصبة والشعب المستعبد في الأمة المغلوبة على أمرها عدو مشترك واحد هو الامبريالية والرأسمالية والاحتكارية » .

ثم رتب المؤلف على ما أوردناه في البند السابق نتيجة يجب اتباعها في كل الحركات القومية موداعها أن تراعى طبقة البروليتاريا في

مساهمتها في الحركات التحريرية الوطنية واجبها الاصلى في النزاع الطبقي العالمى فقال في الصحيفة الثالثة والرابعة من كتابة دون شك يجب على البروليتاريا أن تقاوم الاستعباد القومى فمسائل القمع الذى يلجأ اليها الاجانب تضر مصالحها أكثر مما تضر مصالح البرجوازية وتؤخر تقدمها الفكرى رغم ان انغارها في هذا الكفاح القومى يصدر عن كفاها الطبقي ويتيح للبرجوازية اللئيمة أن تردد أناشيد المصالح المشتركة بين أبناء الشعب الواحد ويتحتم عليه الحذر تلبية سياسة البرجوازية الخبيثة التى ترى من مصلحتها اثاره النزاع القومى واطالته وزيادة اشتعاله ثم اقتبس من البيان الشيوعى العبارة الآتية : « يتميز الشيوعيون عن غيرهم من أحزاب العمال الاخرى بهذا فقط :

- أولا : يبينون ويبرزون المارك القوميه بين البروليتاريا في مختلف البلدان والمصالح المشتركة للبروليتاريا جميعا مستقلة عن أية قومية .
- ثانيا : يمثلون دائما في كل مكان مصالح الحركة ككتلة واحدة في مختلف مراحل التقدم التى يمر بها كفاح الطبقة العاملة ضد البرجوازية .

ثم عالج المسألة الوطنية المصرية والسابق شرحها فقال انها تتناقض مع الامبريالية لانها لا تعيش الا على الاستغلال والاستعمار وتتفق مع الشيوعية التى تسعى الى القضاء على الاثنين معا ومن هنا يجب محاربة النزعات الوطنية الخاطئة أو النزعات الاستعمارية المريبة حتى يدرك ان من يسمون أنفسهم اشتراكيين تتعارض توجهاتهم مع قضية البروليتاريا العالمية . ثم ختم كتابه بالعبارات الآتية :

« ما أبلغ ستالين حين يقول أن مصير الحركات القومية التى هى أصلها حركات بورجوازية مرتبط ارتباطا طبيعيا بمصير البرجوازية ولا يستطيع زوال الحركات القومية نهائيا الا بزوال البرجوازية فالسلام الدائم لا يمكن اقامته الا في ظل الاشتراكية » .

١٣ - بالنسبة للمتهم الثالث عشر أنور اسكندر عبد الملك :

حرر هذا المتهم مذكرة عن المدة التى قضاها في الحبس الاحتياطى على ذمة هذه القضية وقد صدرها بالغرض من تحريرها وهو الاستفادة الرفاق فيما سوف يلاقون في المستقبل من اضطهاد وهى واضحة الدلالة على ميوله الشيوعية واشتغاله بترتيبها فقد ذكر أنه مع زملائه في السجن كانوا يعملون على تقوية روحهم المعنوية بالقضاء الاناشيد الشيوعية بصوت خافت ثم فحص موقف زملائه

الشيوعيين جميعاً بالسجن فنعى على بعضهم تعود الهمة ووصف غيرهم بأنهم فاشيين وأساد بالباقيين قائلاً أن لديهم روحاً ثورية كفاحية عالية ثم استخرج العبر مما مر من تجربة داعياً الرفاق إلى الاستفادة منها في المستقبل ولخص عمله كشيوعي بما قاله لينين « أعمال الشيوعية عبارة عن دراسة ودعاية وتهيج وتنظيم » .

وقد سلم تقريره هذا إلى زميله المتهم الثالث أسعد حليم مع بقية زملائه الآخرين الذين دونوا مثل هذه التقارير . وقد أنكر أنور أسكندر عبد الملك صدور التقرير منه إلا أن البيانات الواردة به تقطع أنه هو الذى حرره فقد ثبت بالتقرير أن التفتيش الذى أجرى معه قام به أحد حضرات الضباط وأنه بعد أن فتشته نقله إلى سجن الأزبكية ثم بعد ذلك نقل إلى سجن الاستئناف واستجوبه حضرة وكيل النيابة أحمد مختار قطب ثم حقق معه حضرة وكيل النيابة الأستاذ أحمد موافى على مرحلتين وهذا ما وقع فعلاً بالنسبة لأنور أسكندر عبد الملك وثبت أنه المتهم الوحيد الذى استجوبه حضرة وكيل النيابة أحمد مختار قطب وحقق معه الأستاذ أحمد موافى .

وعلاوة على ما تقدم فقد استكتب أنور أسكندر عبد الملك بمعرفة حضرة الطبيب الشرعى بعض عبارات التقرير فتبين كنتيجة للمضاهاة أن التقرير بخطه وبالإضافة إلى ما تقدم فقد ضبط مع أنور أسكندر عبد الملك بداخل شنطة يحملها تقرير باللغة العربية بالآلة الكاتبة مؤرخ ١٩٤٦/١١/٣٠ عنوانه : « تقرير اللجنة المركزية لمؤتمر الكادر الخامس » وهذا التقرير يعلق على الحركة الشيوعية في الشرق الأوسط والحركة الشيوعية بصفة خاصة في مصر وموقف المنظمات المختلفة وطرق التنسيق بينها ومدى توصل الشيوعيين المضربين في الحركات الوطنية وضبط معه أيضاً تقرير باللغة الانجليزية من خمس عشرة ورقة فيه بحث في الحركات الشيوعية .

١٤ - بالنسبة للمتهم الرابع عشر كمال محمد عبد الحليم :

حرر هذا المتهم مذكرة بخطه عن المدة التى قضاها بالحبس الاحتياطي على ذمة هذه القضية وقد ضمن هذا التقرير ملاحظاته على ما مر به خلال مرحلة التحقيق ووصف زملائه في الحبس الاحتياطي ناعياً على بعضهم أنهم مع كونهم من الشيوعيين القدماء فإنهم يتصرفون تصرفات لا تتفق مع ميولهم وسياق هذه المذكرة يدل على أن صاحبها يعتنق المذهب الشيوعي ويدعو له وقد ضمنها كمال محمد عبد الحليم من طريق دلالة الوقائع التى تضمنها ما يدل على شخصه فقد وضع بها أن كاتبها طالب بكلية الحقوق وأنه فتش بمعرفة البوليس

وان من بين الكتب المضبوطة عنده كتاب (روح الاشتراكية) لغوستاف لوبون وهذه الوقائع كلها تتفق مع ما حدث لكمال محمد عبد الحليم وثابت بالذاكرة أن كاتبها دافع عن نفسه بالنسبة للكتب الشيوعية وحيازته لها بأنه فعل ذلك بحكم دراسته القانونية بكلية الحقوق وتبين فعلا أن كمال محمد عبد الحليم التزم هذا الدفاع في التحقيق الذي أجرى معه وأثبت كاتب المذكرة أنه قد أثار اشكال بالنسبة له في التحقيق خاصا بترجمة كلمة معينة وأنه تنصل من هذه الترجمة وطالب بمضاهاة الخط وقد وقع هذا فعلا مع كمال محمد عبد الحليم .

١٥ - بالنسبة لمتهم الخامس عشر عبد اللطيف دهب حسنين :

حرر تقريراً من ستة ورقات عن المدة التي قضاها بالحبس الاحتياطي وفيه شرح كيفية القبض عليه وكيف فُتس منزله وعالج موقف زملائه الذين كانوا بالحبس الاحتياطي معه ونعى على بعضهم الاحتلال وأشاد بارتفاع الروح المعنوية عند الآخرين وقد سلم هذا التقرير إلى زميله أسعد حليم وقد ثبت نسبة هذا التقرير إلى عبد اللطيف دهب حسنين من دلالة الوقائع الثابتة بالمذكرة على شخصيته فقد ثبت من هذه المذكرة أن كاتبها قد ضبط عنده كتاب « الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية » وأن حضرة وكيل النيابة الذي استجوبه هو الذي استجوب رمسيس يونان وأن رمسيس يونان أجاب أنه بعد عن السياسة من زمن بعيد ويعمل بالفن فقط وأنه سجن بسجن الاستئناف وأن حضرة وكيل النيابة الذي حقق معه سأل عن مقالات كتبت في أم درمان وعن عمله في السودان ووضع الهيئات السودانية وعضويته في دار الأبحاث ولجنة نشر الثقافة وعلاقته بهنرى كورييل وقد ثبت أن هذه الوقائع كله حدثت مع عبد اللطيف دهب حسنين وبالإضافة إلى ما تقدم فقد صوحي التقرير الصادر من عبد اللطيف دهب حسنين مع الطلب الذي تقدم به المذكور بخطه إلى حضرة صاحب السعادة « وكيل وزارة الداخلية » لفتح مكتبة أم درمان فتبين لحضرة الطبيب الشرعي أن خط الطلب الذي كتبه عبد اللطيف دهب حسنين يتفق مع خط التقرير المنسوب إليه عن المدة التي قضاها في السجن .

١٦ - بالنسبة لمتهم السادس عشر هنرى كورييل :

ما ذكرته النيابة من أنه ثبت أن هذا المتهم يدير مكتبة وقد استخدمها لطبع الكتب الشيوعية وقد أرفقت الأوراق محاضر بالاطلاع على مضمون الكتب وثبت أيضاً أنه ساهم في العمل في مجلة « حرية الشعوب » وقد خصصت هذه

جانبا من نشاطها للعمال ومنحتهم امتيازاً عند اشتراكهم فيها بتخفيض هذا الاشتراك الى نصف القيمة وكانت بعض مقالاتها تشير الى نظام جديد تم تحده وفي احدى المرات وفي مجال دفاعها عن طبقة العمال وصفت طبقة الخادمين بأنهم أسياد المخدمين وحدث أن ضبط هنرى كوريبيل في ليلة ٥ ديسمبر ١٩٤٦ مع السيد سليفان رفاعى (السابع عشر) وشحاته هارون (الثامن عشر) ومحمد صبحى زغلول (التاسع عشر) وحامد حمداى (العشرين) وهم باحدى الحانات يتدارسون ولما فتش زملائهم تبين أنهم يحوزون أوراقا تدل دلالة واضحة على ميولهم الشيوعية واشتغالهم بترويجها .

١٧ - بالنسبة للمتهم السابع عشر والسيد سليمان الرفاعى :

ضبط هذا المتهم مع هنرى كوريبيل وشحاته هارون وصبحى زغلول وحامد أحمد حمداى بحانة « بج بن » يتدارسون وتبين أن هذا اتهم له نشاط شيوعى من ديسمبر ١٩٤٥ وأنه حال عمله بالجيش شكت ادارة المخابرات انحرابية أنه يعمل على ترويج المذهب الشيوعى وقد ضبط في منزل أحد زملائه المشتبه في أمرهم وضبطت في هذا المنزل أيضا كتب وأوراق تبحث في الشيوعية وأوراق تدل على وجود منظمات شيوعية ونسخة من مجلة أسمها « الواقع » وهى مجلة سرية تدعو للشيوعية .

وقال هذا المتهم عند استجوابه بمعرفة النيابة لما ضبط مع هنرى كوريبيل والآخرين أن علاقته بهنرى كوريبيل مردما رغبته في التزود بمعلومات عن المذاهب الشيوعية وأنه قصد مكتبته « مكتبة الميدان » واشترى منها كتابين لهذا الغرض وكان فوق ذلك يلتمس من هنرى كوريبيل ليوجد له عملا .

١٨ - بالنسبة للمتهم الثامن عشر شحاته هارون :

ضبط هذا المتهم مع هنرى كوريبيل في حانة « بج بن » كما وضحنا آنف وقد أسفر التفتيش في منزل شحاته هارون عن ضبط أوراق بها بعض رموز وأسماء غير مفهومة ومذكرات عن وجوب مساهمة الطبقة العاملة في الحركات الوطنية وجوب نقاء النظرية الماركسية والنظرية الثورية نظرية الطبقة العاملة ويكون هذا بتكوين أداة سرية والعمل على تكوين كادر شيوعى ودروس شيوعية يظهر أنها تلقى في مكان معين وكتب تبحث في الشيوعية .

١٩ - بالنسبة للمتهم التاسع عشر محمود صبحى زغلول :

ضبط هذا المتهم مع هنرى كوريبيل بحانة « بج بن » على النحو السابق ذكره وقد أسفر التفتيش منزله عن حيازته كتب شيوعية وأوراق تشير الى

عنايته بترويج المذهب الشيوعي وقد وجدت معه أوراق بها رسم لبعض الميادين العائمة وإشارة إلى منشورات تلتصق بها أوراق تتضمن بيانات غامضة عن الأمان والغريب والحضور والتنظيم وبحث حالة الاتحاد السوفيتي ومزايا علاقته بالشعب في الشرق الأوسط .

٢٠ - بالنسبة للمتهم العشرين حامد أحمد حمادى :

ضبط مع هنرى كوريبيل ومحمد صبحى زغلول والسيد سليمان رفاعى وشحاتة هارون فى حانة « بيج بن » على نحو ما وضحنا وقد ضبطت معه أوراق تشير إلى ميوله الشيوعية وإلى عمله على الترويج لها من محاضرات جلسات إلى بحث مقالات وبحث طريقة نشرها بالمجلة السرية .

وحيث أنه علاوة على ما تقدم بيانه فإن النيابة العمومية تتهم المتهمين جميعا بأنهم يتصاون ببعضهم وأنهم يسعون لهدف واحد وتجمعهم رابطة اتفاق واحدة وتستخلص ذلك مما ورد بالتقارير التى ضبطت مع أسعد حليم من ذكر المنظمات واتحاد أشخاصها واستعراض لأسماء المتهمين واحدا واحدا وذكر أوجه النظر والملاحظات بالنسبة لهم وما يمكن أن ينتظر من كل واحد منهم فى هذا الكناح كما نستخلصه أيضا من تقارير البوليس السياسى التى تشير إلى اتفاق هؤلاء الأشخاص جميعا على نشر المذاهب الشيوعية وقد دلت التحقيقات على وجود هذه الرابطة بينهم من أقوالهم وتدخلهم فى مؤسسات ومنظمات واحدة . وحيث أن ممثل النيابة العمومية قد أوضح فى مرافعته أن وصف الجريمة المعاقب عليها بالمادة ٢/١٧٤ ع لا يقتصر على من يحبذ بنفسه استعمال القوة لتغيير نظم الهيئة الاجتماعية الأساسية أو مبادئ الدستور الأساسية بل يتناول كذلك من ينشر أو يحبذ المذاهب التى ترمى إلى تغيير هذه المبادئ أو هذه النظم بالقوة ولو لم يفصح بنفسه باستعمالها وأن المقصود هو مكافحة الدعايات الهدامة لا محاربة البحث العلمى الخالى من الأيحاء والترويج وأضاف أن الكتب فى ذاتها تعتبر دليلا على ميل الشخص وهوايته وأنه لا يكفى لإثبات المتهم فى هذه الحالة القول بأنه لم يشتر باستعمال القوة أو أنه كان يحارب الملك والفساد ما دام المذهب الذى يحبذه يقوم على أساس التذرع بالقوة والارهاب وما دام القانون قد فرق بين مبادئ الدستور والنظم الأساسية للهيئة الاجتماعية كالملكية الفردية ونظام الطبقات وغيره والدعوة لإلغائها محرمة فى العهد الحاضر كما كانت محرمة فى الماضى .

وحيث أن المتهم التاسع أحمد شكرى سالم قد دفع بعدم جواز نظر الدعوى لسابقة الفصل فيها إذ سبق أن حوكم بتهمة الانضمام إلى منظمة

شيوعية والترويج للمبادئ الشيوعية في القضية رقم ٣٦ الرمل ١٩٤٩ لـ ٩٠/ ٤٩ عسكرية عليا وحكم عليه في ١٩٤٩ بالسجن لمدة سبع سنوات عن تهمة الانضمام لمنظمة شيوعية .

وحيث أن الحاضر عن المتهم الثالث أسعد حليم في التحقيقات قد دفع ببطلان القبض عليه والتفتيش في محطة حلوان وقد تمسك الدفاع عن المتهم الثالث عشر أنور اسكندر عبد الملك بهذا الدفع لما له من مصلحة فيه واستند الى أن المخبر عبد العليم على النجار الذي أجرى ضبطاً أسعد حليم اتخذ هذا الاجراء دون مبرر ودون شبهة اذا لم يكن هذا المتهم في حالة تلبس أو في إحدى الحالات التي يبيح فيها القانون مثل هذا الاجراء وأنه يترتب على بطلان هذا القبض والتفتيش ببطلان ما يترتب عليه من اجراءات .

ومن حيث أن المتهم الرابع محمد أبو الحسن جاد الله الغنيمي قد دفع أيضاً ببطلان التفتيش والتحقيقات الأولى ذلك لانه لم يكن موضوع أى اتهام . ومن حيث أن المتهمين من السادس عشر الى العشرين قد دفعوا أيضاً ببطلان القبض عليهم بمقهى « بج بن » وببطلان أمر التفتيش اللاحق لانهم لم يكونوا في حالة تلبس ولا في أى حالة من الحالات التي يجيز فيها القانون مثل هذا الاجراء .

ومن حيث أن جميع المتهمين قد أنكروا تهمة الاتفاق الجنائى سواء كان في نطاق واسع أو في نطاق ضيق أنكروا وجود أية صلة أو علاقة بينهم وأنه لا دليل على وجود مثل هذه الصلة ولا على اتحاد ارادتهم وان أركان جريمة الاتفاق الجنائى غير متوفرة وأما بالنسبة لـ ١٢ المتهمين من السادس عشر الى العشرين الذين ضبطوا بمقهى « بج بن » فان مجرد وجودهم جالسين في هذا المقهى لا يعتبر دليلاً على قيام اتفاق جنائى بينهم خصوصاً وأنه لم يثبت وجود صلة سابقة على واقعة الضبط وان هذه المقابلة قد تكون لغرض صحفى أو غير ذلك من الأسباب المشروعة ولم يعثر معهم على أية ورشة تثبت قيام الصلة بين هؤلاء المتهمين الخمسة أو بينهم وبين أية منظمة ولا تتوفر جريمة الاتفاق الجنائى الا اذا كان لها قوام زمنى وتنظيمى .

وحيث أنه عن موضوع الكتاب والمقالات المضبوطة وتهمة الترويج لـ ١٢ مذاهب ترمى الى تغيير النظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب فيخلص دفاع المتهمين في شرح الظروف التي وضعوا فيها هذه المؤلفات على اثر الحرب وفتن ان كانت روسيا حليفة الديموقراطيات وقد خرجت منتصرة من هذه الحرب الاخيرة بعد دفاع باسل فكان الجميع يشهدون بفضلها فمثل هذه

الكتب كانت معروضة في كل مكان ولا عقاب على حيازتها • وأما عن مؤلفاتهم فقد قصدوا منها مجرد البحث العلمي والتاريخي لا الترويج فأكد المتهم الرابع أن كتابه عبارة عن بحث ديني إذ سرد المؤاخاة الإسلامية وما اتخذته الرسول من نظام اقتصادي وأن الدين الإسلامي الحنيف فيه من النظريات السياسية والاقتصادية ما يسمح بالتطور ومن هذه الناحية فهو بحث ديني وعلمي ولا بد من النظر إلى جميع مؤلفات المتهم وأبحاثه وهو عالم بكلية أصول الدين وواضع كتب ومؤلفات عديدة لا مكان لتقدير ثقافته وتحديد غرضه •

وأشار الحاضر عن المتهم السادس نعمان سعد الدين عاشور إلى أن موكله حائز على ليسانس الآداب - ويشغل وظيفة رئيس قسم السينما والإعلان بوزارة الشؤون الاجتماعية فهو أديب لا سياسي ويقوم بتحرير الصحيفة الأدبية في عدة جرائد ومجلات كما أن مجلة الإذاعة ومجلة التحرير ينشران له قصص وتراجيم • أما الكتاب المسند إليه في القضية الحالية فما هو إلا ترجمة لستالين وهذا الكتاب عرض تاريخي بأسلوب أدبي وشعري ولم يجاوز حدود روسيا إذ حدد ذلك بعبارة « في سدس الكرة الأرضية » •

وقدم الدفاع عدة نشرات في موضوعات مماثلة نشرت في الجرائد السيارة ونشرات السفارات الأجنبية وغيرها •

وذكر الدفاع عن المتهم الثامن كيف أن القضية الحالية نشأت في وقت أرباب وضعت فيه تقارير زائفة قصد بها إرضاء الحاكم وتعطلات الصحف وصودرت عدة مجلات لحملتها على الحكومة القائمة في ذلك الوقت وهي وزارة اسماعيل صدقي التي أصدرت في هذه الظروف المرسوم بقانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٤٦ وأشار إلى الاستجواب الذي وجه للحكومة بمجلس الشيوخ والحملة الشعواء التي أثارها ضدها المعارضة وذكر بأن المتهم أحمد رشدي صالح نشر بمجلة « الفجر الجديد » ثلاث وعشرين مقالا في محاربة الوزارة والمطالبة بحكومة ديمقراطية فكان أول داعية للتمسك بأسس الدستور كما أنه ألف عدة كتب وطنية وثقافية أما المقالين موضوع الاتهام فهي تقرير لأواقع وبحث علمي عن ثورة روسيا كما أنه سبق أن كتب عن ثورة إنجلترا وفرنسا وغيرها من البلدان فليس في ذلك أي ترويج أو تحييد •

وذكر الدفاع عن المتهم الثاني عشر محمود فتحي الرملي أن كتابه موضوع هذه القضية ما هو إلا سرد نظرية علمية بحثة وأن له أبحاث ونشرات عديدة فيجب التفرقة بين عمله الثقافي وعمله السياسي وهو كرجل سياسي قد روج علانية لبدأ الاشتراكية وأوضح أغراضها في نشرة وزعها على الشعب

بمناسبة ترشيحه للانتخابات على هذا المبدأ الذى روج له وبين صراحة ما يسعى إليه بالطرق السلمية المشروعة .

وذكر الدفاع عن المتهم الحادى عشر أنر كامل أنه ليس فى كتابه أية عبارة يمكن اعتبارها ترويج للمذهب الشيعى بل أن للمتهم كتاب آخر انتقد فيه الشيوعية صراحة ونعتها « بأفيون الشعوب » وأوضح ثقافة المتهم وسعة اطلاعه وهو يشغل وظيفة رئيس مكتب العمل بشركة السكر بنجج حمادى وقد أرسلت الشركة للمحكمة برقية تشيد فيها باستقامته وجده فى العمل .

وذكر الدفاع عن المتهم الثانى عشر عمر رشدى أن كتابه عبارة عن بحث علمى بحث وأنه لا يحل للافتراض أن الشيوعية لا بد أن تلازمها القوة فالشيوعية نظام اقتصادى فى حين أن البلشفية هى النظام السياسى الذى يرمى الى استعمال العنف .

وذكر الدفاع عن المتهم الثالث عشر أنور اسكندر عبد الملك أن هذا المتهم قد فرجى بتفتيش مكتبه بالبنك الذى كان يشغل فيه ومنزله بمعرفة النيابة دون أن يعثر على شيء ما . أما المذكرة المسندة اليه والأتى ينكرها المتهم ففضلا عن أنها ضبطت فى تفتيش باطل فهى لا تعتبر دليلا على قيام اتفاق جنائى خصوصا وأن الشخص الذى وجدت معه لم ينسبها لهذا المتهم وذكر صراحة بأنه باعتباره صحفيا قد قصد من هذه التقارير اجراء تحقيق صحفى عن المتهمين وعن طريقة معاملتهم فى السجن .

وذكر الدفاع عن المتهم الثامن عشر الاستاذ شحاته هارون المحامى أن ما ضبطت عنده من كتب ومجلات أغلبها باللغة الفرنسية لا يعتبر دليلا على اتجاه معين وأن البحث العلمى يقتضى الاخذ بكل الثقافات فمكتبته تجمع ألف وخمسمائة مؤلفا وقد أصر على أن المذكرات التى ضبطت عنده ليست بخطه وقد تأيد ذلك بتقرير الخبير وأما عن علاقته مع كورييل فلا تعدو علاقة المحامى بموكله وليس فى مقابلاته العرضية له بمقهى « بج بن » المجاور لمنزله ما يدل على قيام أى اتفاق جنائى بينهما .

وذكر المحامى عن المتهم التاسع عشر محمود صبحى زغلول أنه لا دليل على الاتفاق الجنائى ولا صلة بينه وبين المتهمين الذين ضبطوا بالمقهى وأن الكتب المضبوطة عنده معروضة فى كل مكان ولا عتاب على حيازتها .

وطلب جميع المتهمين الحكم ببرائتهم مشيرين الى أن كل منهم قد أصبح رب عائلة ويشغل منصبا هاما وأنه لم يبدر من أحد منهم خلال العشر سنين الماضية أى نشاط ضار أو تحبيذا أو ترويح للمبادئ الهدامة .

وحيث أنه للحكم على التهم المسندة للمتهمين من حيث ثبوتها أو عدم ثبوتها ترى المحكمة لزما عليها بادی ذی بدء أن ترجع النظر الى الوقت الذى نشر فيه المتهمين كتبهم ومقالاتهم المقدمون على أساسها للمحاكمة وأن تستعرض الاحداث التى كانت جارية فى ذلك الوقت والملابسات التى حدث بهم الى نشر ما نشره فقد كان على رأس الحولة ملك أخذ الملك على أنه سلطات غير محدودة يتصرف فيها كيف يشاء تحقيقا لمآربه الخاصة وأما المستور فقد اتخذته الأحزاب وسيلة للوصول الى كراسى الحكم وخدمة الانتصار والحاسيب وضاع الصالح العام بين الفريقين أى الملك والأحزاب وجمع الملك السابق هواه فأخذ ينزل فى مهاوى الفساد خطوة بعد خطوة وأمكن لبطانة السوء أن تلتف حوله فصارت تزين له سبل الغواية حتى تمكنت منه نزعة الاستبداد وانطلق يوغل فى طريق الموبقات لا يقيم وزنا لای اعتبارا وجعل هو وحاشيته من ورائها شتى الحكومات يظهر أمام الناس فى صورة ظاهرها الاتوع وحب الخير وباطنها اقتناص الفرص واستغلال النفوذ واقتناء الاموال من غير طريقها الحلال والعبث بكل المقومات وتجاذب الطرفان نصوص الدستور وأساء تأويلها وتطبيقها حتى عمت الفوضى وجعلت الأحزاب تتداول الحكم الذى أصبح فى يد الأحزاب وسيلة الى غاية وصار الحزب الحاكم يحرص على كراسيه ويعض عليها بالنواجذ ويضجى فى سبيل الاحتفاظ بها بكل مرتضى وغال وكان الملك السابق قد عرف سر الأحزاب ولأس مواطن الضعف فيها فجعل يضرب بعضها ببعض ويعبث بكراماتها واحدا فى اثر واحد حتى دانت له جميعا وجعلت تتنافس فى التقرب اليه وإظهار الولاء له وهانت على نفسها فسهل على الملك أمر الاستهانة بها وفى هذا المضمار انطلقت الحكومات سعيا وراء مرضاة الملك ودرعت فى ابتذال أسباب هذا الرضاء نابذة أصول الدين والخلق والدستور والقوانين وكان من فرط هول هذا الفساد أن بعث اليأس والقنوط فى الكثرة العظمى من مواطنى هذا البلد الأمين ولولا رعاية من الله لأحاطت به شرور هذا العهد البغيض وجثمت عليه عشرات السنين وفى هذا الجو الخانق انفجر مرجل الكتاب والمصلحين وصار كل منهم يدلى بما عنده من آراء أو ما نقله عن غيره من الكتاب الأجانب فى النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على أن ذلك أغضب الملك الطاغية وبوليسه السياسى فلاحقتهم الحكومات وضيقت عليهم الخناق ونكلت بالكثيرين منهم من غير تفريق بين من يبغي إصلاحا لهذا البلد اعازا لشأئه أو من يقصد منهم الصيد فى الماء العكر بنشر الفوضى وسيادة المبادئ الهدامة بالطريق الثورى . وفى هذا المعمان أدلى كل من المتهمين

بدلوه في عذا الولاء ونشروا ما نشروا من آراء متأثرين بهذه البيئة التي بصروا فيها متبرمين من هذا الفساد الذي نشر لواءه خفسا في البلاد يكون لهذا الفساد علاجاً ناجحاً وأخذتهم حماسة الشباب المتأججة في صدورهم الى تصور أن ما نشروه أو نقلوه عن الكتب الاجنبية عن الاشتراكية والماركسية ما قد يكون في بعض نواحيه مستحقاً للدراسة أو البحث من الناحية العملية لعل الامور تنصلح وتستقر في وضع كريم من النظم الديمقراطية التي نص عليها الدستور نفسه وقد أنتجت هذه الآراء نتائجها فقامت الثورة وقضت على هذا الفساد المستشري وحطمت النظم البالية العتيقة فالغت الاقطاع ووزعت الاراضي على صغار الفلاحين وألغت الألقاب وقربت بين الطبقات وأخذت في تصنييع البلاد بخطى حقيقية وأشعرت العامل والفلاح بأنهما على قدم المساواة مع غيرهم من المواطنين كما أجلت المستعمر عن أرض الوطن وبذلك تكون هذه الثورة المباركة قد حققت ما كان يصبو اليه المهتمون وغيرهم من المفكرين من اصلاح وما كانوا يرددونه من آراء .

هذا ما كانت عليه مصر وقت أن نشر المتهمون كتبهم ومفالاتهم التي يجاسيون عنها اليوم بعد أن حققت الثورة ما حققته من اصلاح شامل في كافة مرافق الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهناك عامل آخر خطير لا يقل عن عامل الفساد الذي كان يسود مصر في ذلك العصر البائد مما حدا بالمتهمين الى كتابة ماكتبوه ونشر ما نشروه وهو انتهاء الحرب العالمية الثانية بنصر الحلفاء على قوات هتلر وما بذلته روسيا من مجهود حربي ضخم كان له اثر فعال في كسب الحرب فأخذ الكتاب في مختلف الدول وفي مصر نفسها بالاشادة بروسيا وبرجالها وبمنظلمها وأسرفوا في المديح وغالوا فيه فظن المتهمون أن هذا النوع من الكتابات مباح وأنه لا غبار عليه من ناحية القانون

وقد كان لهم من الكتاب الحكوميين وبعض رجال البرلمان أسوة فنسجوا على منوالهم ونافسوهم في هذا المضمار ومن أمثلة ما كان ينشر في الوقت ما نشر في مجلة الشئون الاجتماعية في العدد الثاني عشر من المدة السادسة سنة ١٩٤٥ وهي المجلة التي تنشرها وزارة الشئون الاجتماعية مثال عن الاصلاح الزراعي في روسيا فذكر الكاتب ما يأتي :

« نحمد الله أن أصبح لنا من النضج في التفكير ومن الشعور بالذاتية القومية ما يسمح لنا بمعالجة الموضوعات التي تتصل بالاتحاد السوفيتي على صفحات مجلاتنا وجرائدنا وكانت من قبل من الموضوعات الشائكة التي يتحرج الكتاب من الكتابة فيها أو الاشارة اليها ورأى في عذا أن من حق المصريين وقد شعروا أنهم يتقدمون نحو الاصلاح بخطوات واسعة أن يطالعوا

على ما تم في الأمم الأخرى في سبيل اصلاحها • واستطرد الكاتب بعد أن وصف حالة روسيا من الناحية الزراعية والصناعية قبل الثورة الروسية فقال « تلك صورة عامة للحالة التي كانت عليها روسيا في الفترة التي سبقت الإصلاح ومنها ترى أن الطريق إلى الإصلاح في روسيا لم يكن مهيأً معبداً كما يظن البعض بل أن العقبات والصعوبات التي اعترضته كانت من الخطورة بحيث لو ألقينا نظرة عاجلة بعد ذلك على تاريخ الإصلاح الروسي لما استطعنا أن نكتنم شعور الإعجاب بهذا الشعب الذي تبوأ مكانه بين الدول العظمى بين غمضة عين وانتباهتها وتاريخ روسيا في هذه الناحية نموذج طيب للنهضات الاجتماعية الناجحة التي ترتفع بالأمم من الحضيض إلى أعلا عِلين وهذا حافظ طيب للامم الصغيرة لتنهض • بدأت الحكومة السوفيتية بأن قامت بتوزيع الأرض توزيعاً عادلاً فأعطت الفلاحين الذين لم يكونوا يملكون شيئاً فيما مضى نصيبهم في الأراضي وقضت بذلك على التفرقة الهائلة التي كانت قائمة بين كبار الملاك والفلاحين •

وعرب الدكتور راشد البراوي وهو الآن مدير البنك الصناعي كتاب «لينين» « الاستعمار أعلا مراحل الرأسمالية » وقد جاء في هذا الكتاب في الصفحة السادسة ما يأتي « هكذا نرى كيف تحولت الرأسمالية الصناعية منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى رأسمالية احتكارية مدت شباكها إلى مختلف أرجاء العالم فكان ذلك التوسع الاستعماري الضخم ومن هنا حق لمؤلفه لينين أن يتحدث عن الاستعمار بأنه أعلا مراحل الرأسمالية أو التطور المنطقي لنمو الرأسمالية والواقع أن الامبريالية ان هي الا رأسمالية احتكارية هذه الطبقة التي لمسها ماركس وانجلز في أواخر أيامها والتي درسها لينين دراسة وأفية مستفيضة تكشف الغطاء عن حقيقة الرأسمالية في مرحلتها الأخيرة وتلقى الضوء على جوهر الاستعمار وحقيقته واذ تعرف الشعوب المستعمرة هذه الحقيقة فانها تدرك الوسائل التي يتعين عليها اتباعها حتى تتخلص من يد الاستعمار » •

وقد أفاد كثير من الكتاب والنواب والعلماء والشعراء في اطراء روسيا وزعمائها سواء قبل الثورة أو بعدها فوقف الأستاذ محمد خطاب في مجلس الشيوخ ينادي بضرورة تحديد الملكية الزراعية وألا يزيد ما يمتلكه أي فرد عن خمسين فداناً ونشر في الصحف والمجلات آراءه فتكلم عن الاقطاع وزواله وتطور الرأسمالية إلى أن قال : « وظلت المعركة ناشبة بين العمال وأصحاب الأعمال إلى أن أفلحت في كل البلدان المتقدمة عن انهيار العمال وتقدير حقوق إنسانية كاملة لهم أما في مصر فقد كانت بمعنى عن هذه الحركات الاجتماعية الإنسانية وأسدل حكامها على اختلاف أجناسهم ستاراً قوالياً

بين المصريين وبين هذا التقصم الذى عم العالم بالتطور حيننا وبالثورة حيننا آخر (تراجع الجمهورية عدد ٢٩ يناير سنة ١٩٥٤ - ونشر الدكتور طه حسين مقالة بعنوان ستالين بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٥٣/٣/٧ مجد فيها ستالين وقادته وسياسته كما مجد زعماء الشيوعية - ونشرت مجلة روز اليوسف حديثا للفريق عزيز المصرى بتاريخ ١١ يناير سنة ١٩٥٤ تحت عنوان العمل والشرف يواجهانك فى روسيا - المأكولات متوفرة والسجون تحولت الى مطاعم - وطريقة الحكم لا هى ارامية ولا ديمقراطية - بل انسانية - ونشرت أخبار اليوم عدد ٩ يناير سنة ١٩٥٤ حديثا للفريق عزيز المصرى تحت عنوان فى روسيا صحافة ممتازة ونشرت الجمهورية بعدد ٥ يناير سنة ١٩٥٤ حديثا أيضا لعزيز المصرى تحت عنوان روسيا بلد محب للسلام وتؤيد القضايا الوطنية ونشرت جريدة الجمهور المصرى عدد ٨ فبراير سنة ١٩٥٤ مقالاً تحت عنوان (صف العالم تتحدث عن الرجل) وهذا المقال كله تمجيد لا يميز ونشرت صوراً له أثناء طفولته وكهولته والمنزل الذى ولد فيه وغير ذلك من عشرات المقالات والأبحاث التى نشرها الكتاب فى مختلف الصحف عن ستالين وتطور النظام السوفيتى ونظرية تروفسكى يضاف الى ذلك نشرات ادعائية المختلفة التى تنشرها سفارات الدول التى تدين بالذهب الشيوعى - فى مصر من ذلك نشرة الانباء التى تصدرها سفارة اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والنشرة الاخبارية لمفوضية الجمهورية الشعبية البوونونية وهى تحوى دعايات كثيرة عما وصلت اليه تلك البلاد من تقدم ورقى فى مختلف النواحي وجميعها تصدر باللغة العربية .

وحيث أنه بمقارنة ما نشره المتهمون ويحاكمون من أجله من أجله بما نشره غيرهم من الكتاب والتى أوردت المحكمة بعض كتاباتهم على سبيل المثال لا تجد فارقاً بين أسلوبهم وأسلوب هؤلاء الكتاب ولا فرغاً فى المعانى التى أبرروها أو - الأبحاث التى طرقوها وهى لا تتعدى السرد التاريخى أو البحث العلمى وما وصلت اليه تلك البلاد من التقدم ومما يؤيد هذا النظر الاستجواب الذى وجه فى مجلس الشيوخ الى المرحوم اسماعيل صدقى رئيس الوزارة حينذاك فى ١٦ يوليو سنة ١٩٤٦ عن تعطيل الصحف فذكر المرحوم محمد صبرى أبو علم ما نشرته مجلة الشئون الاجتماعية وهى مجلة تصدرها الحكومة عن الشيوعية وهى تحض على البلشفية (عدد ديسمبر سنة ١٩٤٥) وما نشرته جريدة الاجيبشيان جازت بعدها الصادر فى ٢٢ يناير سنة ١٩٤٦ والذى جاء فيه ان السؤال الجرى هو الى متى ستتجاهل مصر أن ما يقرب من ثلاثة أرباع سكانها يعملون من شروق الشمس الى غروبها لصلحة أفراد غلائل وقد قال المرحوم اسماعيل صدقى بأنه قد يكون فى روسيا أنظمة طبية ورد الاستاذ محمد حسن العشماوى وزير المعارف حينذاك بأن ما نشرته

مجلة الشئون الاجتماعية هو بصدد شرح ظاهرة اقتصادية في روسيا وهذا الذى ذكره رئيس الوزراء والذى ذكره وزير المعارف هم ما ردهه المتهمون في كتاباتهم بأنه قد يوجد في روسيا بعض أنظمة طيبة تستأهل الدراسة والبحث والتحصيص . .

وحيث أن للحكم على المتهمين باعتبارهم شيوعيين يدعون بطريق الثورة والعنف الى ترويج وتحييد المبادئ الشيوعية يتعين دراسة كتاباتهم مجموعة مكملة لبعضها لا أن تجتزأ بعض فقرات من هذه الكتب أو المقالات وهذه الدراسة الشاملة يتبين على ضوءها مراميهم وميولهم ومقاصدهم وعما اذا كانوا يدعون الى الشيوعية حقيقة أو أنهم كانوا يبالغون الاصلاح الدستوري وترسم خطة الامم التى سيقفنا في تدعيم مبدأى (تحقيق) الديمقراطية وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الطبقات وهو ما حققته الثورة فعلا .

وحيث أن المتهم التاسع أحمد شكرى سالم دفع بعضهم جواز نظر الدعوى لسابقة الفصل فيها وأسس دفعه على أنه سبق الحكم عليه في الجنائية ٥٨٣٩ ٥ اويلى سنة ١٩٤٨ - ٨٨ عسكرية عليا سنة ١٩٤٨ في تهمة الانضمام الى عضوية منظمة شيوعية والترويج للشيوعية بموجب المواد ٩٨ و ٩٨ ب و ٩٨ هـ والمادة ٢/١٤٧ من قانون العقوبات وقد قضت المحكمة العسكرية العليا على المتهم المذكور بالسجن لمدة سبع سنوات وبغرامة قدرها مائة جنيه وصدق على الحكم وأنه ما زال موجودا بسجن مصر لتنفيذ هذه العقوبة .

وحيث أنه تبين من الاطلاع على الاوراق والقضايا المنضمة أنه قبض على المتهم في المذكور في ١١ يوليو سنة ١٩٤٦ ثم أقيمت ضده الدعوى العمومية في الجنائية رقم ١٩٤٩ سنة ١٩٤٦ وهى الجنائية الحالية بتهمة الترويج للشيوعية وطالبت النيابة عقابه بمقتضى المادة ٢/١٧٤ عقوبات ثم قبض على المتهم بعد ذلك في سبتمبر سنة ١٩٤٨ وأقيمت هذه الدعوى العمومية في الجنائية رقم ٥٨٣٩ اويلى سنة ١٩٤٨ ووجهت اليه تهمة الانضمام الى منظمة شيوعية والترويج للشيوعية .

وطالبت النيابة بعقابه بمقتضى المواد ٩٨ و ٩٨ ب و ٩٨ هـ و ٢/١٧٤ من قانون العقوبات .

ثم قبض على المتهم المذكور أيضا مرة ثالثة في أبريل عام ١٩٤٩ وأقيمت ضده الدعوى العمومية في الجنائية رقم ٢٦ الرمل سنة ١٩٤٩ - ١٩٠ عسكرية عليا سنة ١٩٤٦ ووجهت اليه كذلك تهمة الانضمام الى منظمة شيوعية والترويج للشيوعية .

وبتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٤٩ نظرت الجناية ٥٨٣٩ - ٨٨ عسكرية عليا سنة ١٩٤٨ أمام المحكمة العسكرية العليا وقضت حضوريا على المتهم بالسجن لمدة سبع سنوات وبغرامة قدرها مائة جنيهه وصدق على الحكم وما زال المتهم موجودا بسجن مصر لتنفيذ هذه العقوبة .

وبتاريخ أغسطس سنة ١٩٤٩ عرضت القضية ٣٦ الرمل سنة ١٩٤٩ - ١١٠ عسكرية عليا سنة ١٩٤٩ أمام المحكمة العسكرية العليا ورفع المتهم بعدم جواز نظر الدعوى لسابقة الفصل فيها وحيث أنه وقد تبين أن التهمة الموجهة الى المتهم التاسع في الجناية سابقة على التهمة التي حوكم من أجلها في الجناية ٥٨٣٩ واولى سنة ١٩٤٨ - ٨٨ عسكرية عليا سنة ١٩٤٨ ولما كان الموضوع واحدا وأن الجريمتين قد ارتكبتا لغرض واحد ومرتبطتين ارتباطا لا يقبل التجزئة فكان من المتعين ضم التهمة المنسوبة الى المتهم في الجناية الحالية للجناية التي حوكم من أجلها والاكتفاء بالعقوبة المقررة لأشد تلك الجرائم وهي العقوبة التي صدرت ضده وذلك تطبيقا لنص المادة ٢/٣٢ من قانون العقوبات .

وحيث أن رفع الدعوى الحالية مستقلة عن الجريمتين الاخرتين اللتين حرّم المتهم من أجلهما مع كونها سابقة عليهما ومرتبطة بهما ارتباطا لا يقبل التجزئة وقد قضى بعقوبة الجريمة الأشد فان الحكم الصادر منهما يمنع من العودة الى محاكمة المتهم عن التهمة الحالية وفقا للمادة ٢/٣٢ عقوبات ومن ثم يكون الدفع في محله فيتعين قبوله والحكم بعدم جواز نظر الدعوى بالنسبة لهذا المتهم لسابقة الفصل فيهما بالنسبة لتهمة الترويج والتجسس وأما بالنسبة لتهمة الاتفاق الجنائي فحكمه فيها حكم باقى المتهمين كما سيلي بيانه في التطبيق القانوني .

وحيث أنه بالنسبة للمتهم الأول فقد أنكر في التحقيقات أنه شيوعي أو يروج للشيوعية وقرر أنه كان عاملا بمصانع النسيج ثم اشتغل بعد ذلك مراسلا لعدة صحف ثم موظفا بنقابة السينمائيين واعترف بأنه ألف كتاب « أنا العامل » وقال أنه كتب عن روسيا كما كتب عن إنجلترا في نفس الكتاب وأن ما كتبه ملخص عما قرأه في الصحف المصرية وقال ان روسيا كانت مع الحلفاء وانتصرت وان جميع الكتاب كانوا ينظرون اليها باعجاب ونفى التهمة الموجهة اليه .

وحيث أن المتهم الثانى اعترف في التحقيقات بأنه نشر هذا الكتاب وكتب مقدمته وأن موضوع الكتاب هو نوع من الادب العمالي كتب بيد عامل وأنه ليس في الكتاب ما يؤخذ عليه من الناحية القانونية وأن الغرض منه

ألسفات نظر الحكومة الى تنفيذ قوانين العمال بدقة واعطاء العمال حقوقهم المخصوص عليها فيها • وجاء هذا الدفاع أيضا في أقوال المتهم الثالث في التحقيقات - وأما فيما يتعلق بكتب الزواج والاسرة في الاتحاد السوفيتي والزواج والامومة والعائلة في التشريع السوفيتي وهي الكتب التي صدرت عن دار الفجر للنشر التي كان يملكها المتهمان الثاني والثالث •

فقد ذكر المتهم الثاني في دفاعه بأن هذه الكتب هي كتب علمية وقانونية وأنه لم يكن يقصد من نشرها الدعوة لبدأ اجتماعي معين وهو القوائم في الاتحاد السوفيتي بل كان قصده ايقاف الرأي العام من الناحية العامة على الحقيقة وهي أن الزواج والامومة في الاتحاد السوفيتي مثلها مثل الزواج والامومة في أى دولة أخرى متحضرة وقد ردد المتهم الثالث هذا الدفاع أيضا في التحقيقات •

وحيث أنه بالنسبة للمتهم الرابع فقد كان وقت أن ألف كتابه « الشيوعية في الاسلام » طالبا بكلية اللغة العربية وأصول الدين بالازهر وهو الان مدرسا للغة العربية وآدابها بمدارس الليسيه وقدم للمحكمة مؤلفاته في اللغة والنحو والمطالعة والادب وقدم تقريرا من مفتش وزارة التربية والتعليم بأنه ممتاز في كتاباته وأنه يقوم بعمله على أحسن وجه وقد نفى المتهم بأنه كان يروج للشيوعية بل أبان في كتابه المؤاخاة والشورى في الاسلام وأن الدين الاسلامي دين غير جامد يصلح لكل عصر وأن تعاليمه السهجة تدعو الى المساواة والبر بالمعوزين والفقراء وأنه عندما ألف هذا الكتاب لم يكن يعلم ما هي الشيوعية - وأما كتابه الثاني « دورنا في الكفاح الوطني » فان ما حواه لا يدل بأى وجه على أنه يحبذ للشيوعية بل توجيه للنضال في سبيل حرية البلاد وتحرير الانسانية من آلام العوز ومخاوف المرض ومصائب الجهل والانطلاق من القنود التي فرضتها الانظمة الرجعية البالية - وهذه هي نفس الانفاذ التي عبر بها المتهم عن آرائه وعن غرضه وقد شهد لصالحه الدكتور مظهر سعيد الاستاذ بكلية أصول الدين وقسم التخصص بالازهر وقال أنه يعرف هذا المتهم معرفة تامة وأنه بعيد عن الشيوعية بل أنه كان يحارب المبادئ الهدامة وقال أنه اطلع على كتاب الشيوعية في الاسلام وأنه لمس منه أنه مجرد مقارنة علمية لا أكثر ولا أقل •

وأنكر المتهم الخامس في التحقيقات ما نسب اليه وأجاب عن الكتب التي ضبطت بمنزله أنه يرجع تاريخ حيازتها الى وقت أن كان طالبا بكلية الآداب سنة ١٩٤١ وأنه كان يدرس المذاهب الاجتماعية المختلفة فكلفه أستاذ علم الاجتماع هو وغيره من الطلاب بعمل بحث عن كارل ماركس وقد أشار

عليهم الاستاذ بالمراجع وهى بعض الكتب التى ضبطت عنده وقال بأنه لم يقيم بأى نشاط شيوعى وأنه على العكس من ذلك كان يدافع عن الدستور فى المقالات التى كان ينشرها فى مجلة الفجر الجديد ثم قال أنه كان يشغل مدرسا بالمدرسة الثانوية بالمحلة الكبرى ثم محررا بمجلة الراديو المصرى بمحطة الاذاعة لمدة سنة ونصف . وقبالت أنه ألف كتابه حول الفلسفة الماركسية ردا على الاستاذ العقاد وادعائه أنه أكبر عالم وأكبر فيلسوف وقد رأى أنه ينشر آراء عن الفلسفة الماركسية لا يمكن أن يقبلها بأى حال من اطلع على كتاباته وقال ان الاستاذ العقاد فى كتابه « فى بيتى » قال ان كارل ماركس كان فيلسوفا آليا فى حين أن جميع مؤرخى الفلسفة يتفقون على أن فلسفة ماركس فلسفة دياكتيكية وليست آلية ولذا رأى أن يرد عليه فى الموضوع ومن هذا يتبين أن هذه الكتابات ما هى الا آراء علمية .

وحيث أنه بالنسبة للمتهم السادس فقال أنه لا يروج للشيوعية وأنه يدعو الى الديمقراطية وأنه لم يقصد بمقالاته فى الصحف وفى مجلة الفجر الجديد سوى سرد تاريخى للثورة الروسية - وقال أنه كتب فى جملة مواضع فى مختلف الصحف وأذاع جملة اذاعات فى محطة الاذاعة قدم ما يدل على أنه أذاع بتاريخ ١٨/٨/١٩٥١ بحث عن عبد الله النديم والثورة العرابية وبتاريخ ٥/١١/١٩٥١ عن جان جاك روسو بتاريخ ١٨/٢/١٩٥٢ عن رفاعة الطهطاوى وبتاريخ ٢٧/١١/١٩٥١ عن الجبرتى وبتاريخ ١٤/١/١٩٥٣ عن قيصير وكليوباترا وبتاريخ ١١/٣/١٩٥٣ عن تلميذ الشيطان وبتاريخ ٦/١٠/١٩٥٣ عن نفريا وأنه كان يكتب فى الصحف عن مختلف الموضوعات وقدم مجلة التحرير عدد ٢١ أكتوبر ١٩٥٣ وبه مقالا من تأليفه تحت عنوان «رداء الحرية» اديب واستعمار وثورة وهو عن الثورة العرابية وعبد الله النديم .

وقال الدفاع عن المتهم المذكور بأنه اديب وليس سياسى وأنه تخرج بكلية الاداب ثم التحق بوزارة الشئون الاجتماعية حتى وصل الى وظيفه رئيس قسم السمينها والاذاعة بالوزارة المذكورة وكان يعمل سكرتيرا صحفيا لكل من الوزراء زهير جرانه وفؤاد جلال والحكتور عباس عمار والصاغ كمال الدين حسين وقت أن كانوا وزراء لوزارة الشئون الاجتماعية وان هؤلاء الوزراء لو كانوا قد استشعروا فيه اى نزعة شيوعية لما منحوه ثقتهم واثنوه على اسرارهم وهو فوق ذلك يقوم بتحرير الصفحة الادبية بجريدة الجمهورية كما يكتب فى مجلة التحرير .

وانكر المتهم الثامن ما نسب اليه وقال الدفاع عنه ان سر اتهامه انه كان يهاجم المرحوم اسماعيل صدقى ويهاجم سياسته فى جريدته كما كانت تهاجمه

معظم الصحف الاخرى وانه قبض عليه مع الصحفيين من بينهم محمد زكى عبد القادر وسلامة موسى ومحمد مندور وأن المقال الاول الذى نشره كان عنوانه « نريد حكومة ديموقراطية » وكان حملة شديدة ضد الحكومة والحكم وانتهى الى أن الحكومة حجرة عثرة فى سبيل التحرير وفى سبيل التعاون مع الشعوب العربية وأنه كان يدعو الى التمسك بأصول الدستور والمقال الثانى « هذه الوزارة يجب أن تستقيل » وهو منشور بتاريخ ١٩٤٦/١/٣٠ قال فيه أن الحكومة فشلت وليس أمامها الا أن تستقيل وعلى الأمة أن تقاوم الاستعمار والمقال الثالث كان هجوما على الصحافة التى كانت تآزر المرحوم اسماعيل صدقى وأنه كتب ٢٣ مقالة فى مختلف الموضوعات عن الثورة المصرية سنة ١٩١٩ وعن الثورة الروسية سنة ١٩١٧ على سبيل العرض التاريخى والبحث العلمى كما كتب عن الثورة الفرنسية والثورة الانجليزية ومن هذا يبين أنه لم يكن متجهها فى كتاباته اتجاها معينا (بالذات) نحو الترويج للشيوعية بالذات .

وحيث أن المتهم العاشر وهو صحفى قد نشر عدد من الكتب فى مختلف المواضيع وأنه رشح نفسه فى الانتخابات فى ديسمبر ١٩٤٥ على أساس انبىاء الاشتراكية ووزع منشورات بها برنامجه وهو يتحصل فى تحديد الملكية وضمان الحريات العامة والعناية بالطبقات الفقيرة والعاملة والغاء الرتب واللقاب ومجانبة التعليم والغاء البوليس السياسى وهذا هو اتجاه المتهم السياسى وقد أوضحه فى برنامجه ولا يمكن أن يقال بأن هذا البرنامج هو برنامج شيوعى أو أنه يحذ الشيوعية أو يروج لها وله نشاط آخر ثقافى فقد ألف بعض الكتب منها كتاب « أهداف الاشتراكية » وهو جزء من سلسلة العمل الثقافى الذى كان يقوم به وقد دأب هذا المتهم على معارضة المرحوم اسماعيل صدقى ومهاجمة سياسته فوضعه فى القائمة السوداء .

وحيث أن المتهم الحادى عشر أنور كامل أنكر أنه كان شيوعيا وإن غرضه كان الإصلاح والقضاء على الفساد وأنه قد ألف جمعية باسم « الخبز والحرية » واتهم بأنه بشارى وقدم الى محكمة الجنايات ففضى ببرائته ومما يقطع سانه ليس له نشاط شيوعى أنه ألف كتاب (أفيون الشعوب) بعد كتاب (لا طبقات) موضوع الاتهام فى هذه القضية وقد حمل فى هذا الكتاب على الشيوعية والا لما وكل له هذا العمل الذى يعمل به والذى يتصل اتصالا مباشرا بالعمال حيث يوجد المجال لترويج ما يحلو له من الافكار والمبادئ .

وحيث أنه بالنسبة للمتهم الثانى عشر فان موضوع الاتهام بالنسبة له ينحصر خلاف تهمة الاتفاق الجنائى فيما نشره فى كتيب « وطنيتنا » وهذا

الكتيب يعالج المسائل الوطنية والحركات التحريرية في مختلف بلدان العالم على ضوء المذهب الماركسي من الناحية العلمية والسرد التاريخي وأن هذا الكتاب لا يعبر عن آرائه وإنما يعالج وجهة نظر الماركسية من الناحية العلمية في جملة مسائل فقد جاء به « يتساءل ستالين في مقال بعنوان « الماركسية والمسألة الوطنية » ويشير وينتقز في مستهل كتابه الماركسية والمسألة الوطنية : « ويقول ماركس في الجزء الأول من كتاب أعمال مختارة ويقول مادحا أستاذ الاقتصاد السابق بجامعة بودابست في كتاب « نظامان » الاقتصاد الاشتراكي والاقتصاد الرأسمالي » فالكتيب قطعاً عرض لوجهة نظر الماركسية في المسألة الوطنية والحركات التحريرية وليس في الكتاب تحبيذاً أو ترديداً للشيوعية بطريق العنف .

المتهم الثالث عشر وجه إليه الاتهام على أنه عضو في دار الأبحاث وأن هذه الجماعة كانت تبحث في كافة العلوم المختلفة ومنها الشؤون الوطنية والسياسية وقد حصل على شهادة من جامعة لندن وعلى ليسانس الآداب من جامعة الجيزة وهو يشترك الآن في تحرير مجلة « الاكتواليتيه » ويلقى دروساً في اللغة الفرنسية والفلسفة وأن النيابة تؤيد اتهامها على أساس أنه كتب تقريراً وهو في الحبس الاحتياطي يسرد فيه هذه المرحلة من الحبس وحالته وغد ضبط هذا التقرير وتقارير أخرى لبعض المتهمين مع المتهم الثالث أسعد حليم وقد قرر هذا الأخير أن هذه التقارير عملت لتحقيق صحفى - ومع التسليم بأن هذه التقارير فيها نقد وتعريض للحكومة التي كانت قائمة وقت الحادث فإنه لا يمكن أن يكون مدعى اتهام في تهمة اتفاق جنائي لأنها مجرد دعوة لم تصل إلى من وجهت إليه فالاتفاق الجنائي يعتبر في هذه الحالة من الناحية القانونية غير موجود كما أن هذه التقارير خالية من الدلائل المثبتة لتوافر أركان الجريمة المنصوص عنها في المادة ٣/١٧٤ عقوبات وقد رفع هذا المتهم دعوى أمام محكمة الفاضى الإدارى برقم ٦/١٨٤٥ ق ضد وزير الداخلية لمنع من السفر للخارج وحجز جواز سفره وقد قضت المحكمة بتأجيل ١٩٥٢/١٢/٣٠ . بالنسبة لقرار الامتناع عن إعطائه جواز السفر وذاك في أسباب حكمها أنه لو صح أن يكون لاتهامه في إحدى القضايا الشيوعية شيء من الجدية لما ترددت السلطات في ملاحقته وتعقبه بالقصاص وسلبت ذلك الاستقرار والطمأنينة في عمله والمجلة والحال بخلاف ذلك . وحيث أنها بالنسبة للمتهم الثامن عشر فإن اتهامه موجه إليه على أساس :

أولاً - أنه ضابط في ر « بج بن » مع المتهمين السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والعشرين وأن هذا يكون على حسب وصف النيابة اتفاقاً جنائياً على ارتكاب الجناية المنصوص عليها في المادة ٢/١٧٤ عقوبات .

ثانيا - أنه ضبط في منزله بعض الكتب الشيوعية وقد أنكر المتهم ما وجه اليه من اتهام وقال انه كان مجتمعا في البار حقيقة مع المتهم السادس عشر لانه محاميه وكان يوكله في بعض القضايا وأما بالنسبة للكتب المضبوطة فانها كتب أجنبية باللغة الفرنسية تبحث في الاشتراكية وغيرها من الناحية العلمية وان بمكتبته ما ينيف على الالف وخمسمائة مجلد في مختلف العلوم والمواضيع فلم تقتصر حيازته لهذا العدد الضخم من الكتب في العلوم والفنون والاداب والقانون على الكتب الماركسية وان هذا لدليل على صحة دفاعه وان نشاطه لم يكن موجها لتحبيز الشيوعية والترويج لها ومع ذلك فان مجرد حيازة الكتب الشيوعية في منزله أو مكتبه الخاصة لا جريمة فيه ولا عقاب عليه طبقا للقانون القائم وقت الحادث .

وحيث أن الدليل القائم ضد المتهم التاسع عشر لا يخرج عن الدليل القائم ضد المتهم الثامن عشر وهو ضبطه في بار « بيج بن » مع المتهمين السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والعشرين ثم ضبط كتب شيوعية في منزله وما يقال بالنسبة لهذا المتهم من حيث الثبوت هو ما قيل بالنسبة للمتهم الثامن عشر بأنه لا دليل على أن اجتماع البار كان الغرض منه ارتكاب الجريمة المنصوص عليها في المادة ٢/١٧٤ عقوبات وان ضبط الكتب الشيوعية في منزله ليس ممنوعا طبقا للقانون القائم وقت الحادث .

وحيث أنه بالنسبة للمتهم السابع وهو لم يحضر جلسة المحاكمة فانه منسوب اليه أنه ألف مقالا بعنوان « ثورة أكتوبر مرحلة تحول في تاريخ البشرية » وقد نشر في مجلة الفجر الجديد في سنة ١٩٤٥ .

وقالت النيابة أن هذا المقال تحبيزا للشيوعية وكفاحها الثورى مع انه يبين من الاطلاع على هذا المقال بأنه سرد تاريخى لمجريات الحوادث في روسيا وما تمخضت عنه ثورتها من تولى الطبقة العاملة للحكم وليس في هذا المقال ما يوحي بأنه يحرض على نشر الشيوعية في مصر بالعنف وقد انكر هذا المتهم في التحقيقات بأنه يروج للشيوعية وقال أنه يدعو الى تحسين حاله انطبقات الشعب الفقيرة .

وحيث أنه بالنسبة للمتهم الرابع عشر فان دليل اتهامه المقدم به هو أنه قد نشر الدعوى الشيوعية في تقرير كتبه أثناء وجوده بالسجن وقت أن كان محبوسا احتياطيا وأنه دون في تقريره هذا خلاصة تجاربه في سبيل تلك الدعوى وقد أنكر المتهم المذكور أنه يروج للشيوعية ومجرد كتابة متهم تقريراً وهو في السجن دون به بعض ملاحظاته عن الحالة السياسية وقت

وجوده بالسجن لا يمكن أن يعتبر في حد ذاته اشتراكا منه على اتمان جنائي
لارتكاب الجناية المنصوص عليها في المادة ٢/١٧٤ ع .

وحيث أن الدليل المقدم به المتهم الخامس عشر وهو نفس الدليل الذي
قدم به المتهم الرابع عشر وهو كتابة تقرير أثناء وجوده بالسجن وما قيل
في صدد الثبوت القانوني بالنسبة للمتهم الرابع عشر هو نفس ما يقال
عن المتهم الخامس عشر .

وحيث أنه بالنسبة للمتهمين السابع عشر والعشرين فإن الدليل المقدم
ضدهما هو وجودهما في بار « بج بن » مع المتهمين السادس عشر والثامن
عشر والتاسع عشر وقد أوضحت المحكمة قيمة هذا الدليل وناقشته عند الكلام
عن المتهمين المذكورين .

وحيث أنه يبين من ذلك أن ما نشره المتهمون أو كتبوه في كتبهم ومقالاتهم
السالف الإشارة إليها لا يعدو أن يكون سردا لتاريخيا لثورة روسيا أو
بحثا علميا عن آراء ماركس وانجلز في الاشتراكية والشيوعية أو مقارنة
فلسفية بين الاسلام وبين هذه المذاهب وأن هذه الأبحاث في جواهرها ومجموعها
الغرض منها اصلاح حال الطبقات العاملة واخراج المستعمر من
البلاد واعادة تكوين الدولة على أساس من مبادئ الحرية ولعدل والمساواة
وهو ما قامت الثورة من أجله وحقت كثيرا من هذا الاهداف .

وحيث أن المتهمين جميعا مقدمون بالمادة ٢/١٧٤ من قانون العقوبات
وعى التي تنص على أنه يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز خمس سنين وبغرامة
لا تقل عن خمسين جنيهها ولا تزيد عن خمسمائة جنيه من ارتكب باحدى
الطرق المنصوص عليها في المادة ١٧١ فعلا من الأفعال الآتية : تحبيذ
أو ترويج المذاهب التي ترمى الى تنفيذ مبادئ الدستور الأساسية والنظم
الأساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة أو بالارهاب أو بأية وسيلة أخرى غير
مشروعة .

وهذه المادة تعاقب على حالتين الاولى للتحبيذ أو الترويج لتغيير
مبادئ الدستور الأساسية والثانية تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية ،
والتحبيذ وهو الاستحسان بغية الإيحاء والدعاية وهو ضرب من التحريض
فلا يكفي لتوفر فعل التحبيذ مجرد الدفاع أو التعليق أو مجرد الموافقة على
نقطة فقط أو نطق من البرنامج أو المذهب ولا اظهار العطف على ناحية من
النواحي ما لم يكن مصحوبا بالاستحسان المنطوى على الإيحاء والتحريض

والترويج وإنما هو كل دعوة أو تلقين لذهب أو برنامج ويشترط للعقاب في كلا الحالتين أن يكون التحبيذ أو الترويج بطريق العنف أى بالقوة أو الارهاب أو بأية وسيلة أخرى غير مشروعة ويماد ذلك أن من يدعو الى تغيير مبادئ الدستور الأساسية أو النظم الاجتماعية دون عنف أى بالوسائل السلمية لا عقاب عليه بمقتضى هذه المادة ولذلك لاحظ المشرع هذا النص فاستن تشريعا جديدا لاحقا للمادة ٢/١٧٤ ففى ٤ أغسطس سنة ١٩٤٦ صدر المرسوم بقانون ١١٧ سنة ١٩٤٦ بإضافة المواد ٩٨ و ٩٨ ب و ٩٨ ج و ٩٨ د و ٩٨ هـ بعد المادة ٩٨ من قانون العقوبات وقد نصت المادة ٩٨ ب على العقاب متى كان استعمال القوة أو الارهاب أو بأية وسيلة أخرى غير مشروعة ملحوظا فى ذلك أى فى تغيير مبادئ الدستور أو النظم الاجتماعية الأساسية ويعتبر العنف ملحوظا اذا كان يمكن أن يخفى على المتهم أن تحقيق هذه الاغراض يستحيل أن تحصل بطريقة خالية من العنف بالنظر الى المقاومة التى لا بد أن تجدها النظم الأساسية أو الاقتصادية فى وجه كل محاولة لقلبها وهذا يختلف تماما عن نص المادة ٢/١٧٤ عقوبات فالانسان يختلفان تمام الاختلاف فنص المادة ٢/١٧٤ عقوبات يشترط أن يكون التحبيذ أو الترويج بطريق القوة أو الارهاب أو أى طريق آخر غير مشروع كالحض على القوة أو الانقلاب المسلح لتنفيذ الدعوة الى تغيير نظم الدستور أو الهيئة الاجتماعية الأساسية فلا يكفى لوجود الجريمة واستحقاق العقاب مجرد تحبيذ النظام الشيوعى وما حققته الثورة الروسية من اصلاح دون أن يكون ذلك مصحوبا بالدعوة الى استعمال القوة .

وأما نص المادة ٩٨ ب فلا يشترط استعمال القوة أو العنف فى الترويج أو التحبيذ بل يكفى أن يكون استعمال القوة ملحوظا فى ذلك بمعنى أن من يدعو الى الشيوعية وتحبيذ الثورة الروسية يكون مستحقا للعقوبة ولو لم ينصح هو بنفسه باستعمال القوة لأن تحبيذ الشيوعية يتضمن فى ذاته ملحوظية أن هذا المذهب كما حصل فى روسيا لا يمكن أن يتم الا بطريق الثورة - ومن ثم يكون اعجاب المتهمين بالنظام الشيوعى وحتى تحبيذهم لهذا النظام والثورة الروسية دون أن يشيروا الى تتبع خطى هذا النظام وفرضه بطريق العنف لا جريمة فيه ولا عقاب عليه فى حكم المادة ٢/١٧٤ عقوبات

وحيث أن ما جاء بكتابات المتهمين قد خلا من أية اشارة يفهم معها التجاؤهم الى القوة أو الارهاب أو أية وسيلة أخرى غير مشروعة لفرض اراثهم الامر الواجب توفره للعقاب على الجريمة المرفوعة بها الدعوى وأن العبارات الغامضة التى جاء فيها لفظ الثورة الروسية فى بعض الكتابات لا يعنى توصل المتهمين بالقوة . وحتى العبارات التى جاء فيها لفظ الثورة

الروسية لا يعنى توسل المتهمين بالقوة فى تحبيذ الشيوعية بل هو مجرد سرد تاريخى وبحث علمى لا أكثر ولا أقل اسوة بالابحاث والموضوعات الاخرى التى كتبوا فيها والبعيدة كل البعد عن الشيوعية •

وحيث انه بالنسبة للكتب والمطبوعات التى ضبطت بمنازل المتهمين أو مكاتبهم الخاصة فان اقتناء مثل هذه الكتب والاطلاع عليها مهما بلغ الامر من تطرفها لا يعاقب عليه القاتنون المطبق ومما يؤيد عدم كفاية الحيازة فى اثبات عنصر الترويج أو التحبيذ أن الحكومة لاحظت عدم كفاية القانون التائم فى سد هذا النقص فعالجته بتشريع لاحق حديث روعى فيه أن مجرد حيازة أو احرار مكاتبات أو مطبوعات أو نشرات يتضمن تحبيذاً أو ترويجاً للشيوعية جريمة معاقباً عليها ومن ثم فالقانون القائم وقت الحادث لا يعاقب على مجرد احرار مثل هذه الاوراق •

وحيث أنه بالنسبة للكتب التى ضبطت بمكتبة المتهم السادس عشر هنرى كوربيل فان بعض هذه الكتب وهى التى كتبها ونشرها باقى المتهمين فقد وضع مما سبق بيانه أنها لا تحبذ المذهب الشيوعى أو تروج له بطريق العنف فيكون عرضها بالمكتبة لا جريمة فيه ولا عقاب عليه وأما بالنسبة للكتب الأجنبية الاخرى فهى بلغات أجنبية غير معروفة للغالبية العظمى من الشعب وقد أوضحت المحكمة الظروف التى كانت سائدة وقت الحادث وتراخى السلطات فى الاعتراض على عرض مثل هذه الكتب للبيع بسبب انضمام روسيا للحلفاء ومساهمتها فى كسب الحرب العالمية الثانية واحراز النصر مما حدا بالكتاب العالمين الى الاشادة بروسيا ورجالها وهذه الكتب لا تتعرض لمصر ولا تدعو الى تغيير نظمها الدستورية أو الاجتماعية الاساسية كما هو ظاهر من عناوينها بل هى تبحث فى الاشتراكية والماركسية من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو العلمية هذا من جهة ومن جهة أخرى فان هذه الكتب لم تعرض على المحكمة حتى تبين مدى تطرفها أو خروجها على المألوف ومهما قيل عن هنرى كوربيل أو كما وصفته النيابة بأنه على رأس الحركة الشيوعية فى مصر وقد يكون هو كذلك غير أن الدليل القائم ضده فى هذه الدعوى بالذات لا يعمد أن يكون شبهات عن ميوله الشيوعية والتشريع الذى كان قائماً وقت الحادث لا يعاقب على ذلك وقد لاحظت الحكومة هذا النقص فعدلته بالتشريعات اللاحقة لمعالجة مثل هذه الحالة للقضاء على المبادئ الهدامة بالحزم الواجب •

وحيث أنه متى انهار الاتهام المؤسس على المادة ٢/١٧٤ من قانون العقوبات بالنسبة لجميع المتهمين انهارت تبهم الاتفاق الجنائى المؤسسة على هذه المادة والمنسوبة الى المتهمين الثالث والتاسع والثالث عشر والرابع

عشر والخامس عشر ثم الاتفاق المنسوب الى المتهمين السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ثم الاتفاق المسند الى جميع المتهمين باشتراكهم مع مجهولين على تحبيذ وترويج المبادئ المفارقة للدستور والنظم الاساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والارهاب .

وحيث أنه زيادة عما تقدم فانه يشترط في الاتفاق الجنائي أن يكون الاتفاق بين شخصين فاكثر وهو انعقاد العزيمة أو اجتماع الإرادة بين شخصين أو أكثر ولا يتوفر هذا الاتفاق بمجرد توارد الخواطر بين عدة أشخاص أى اتجاه ارادة كل منهم مستقلة عن ارادة الآخر الى غرض واحد وكذلك لا يتوفر الاتفاق بمجرد دعوة أحد من الاشخاص آخرين لعقد اتفاق دون أن تنتج هذه الدعوة هذا الاتفاق وبذلك لا يدخل في حكم المادة ٤٨ ع اتحاد الارادات الذى يحدث بمجرد الصدفة ووقتيا فقط فيكون محله المادة ٤٠/٢ ع .

وجريمة الاتفاق الجنائي من الجرائم العمدية فلا تتوفر الا بتوفر القصد الجنائي ، والقصد الجنائي في هذه الجريمة هو أن يشترك المجرم في اتفاق وهو عالم بالقصد منه أى وهو عالم بأنه يرمى الى ارتكاب جنائية أو جنحة أو الى التسهيل لارتكابها ولم تقدم النيابة الدليل على توفر أركان تهم الاتفاق الجنائي المنسوبة الى المتهمين إذ أن مجرد اجتماع خمسة منهم في بار اجتماعا عاديا لا يمكن أن يؤدي بأية حال الى أن ارادة كل منهم قد اجتمعت على ارتكاب جنائية تحبيذ وترويج المذاهب التي ترمى الى تغيير مبادئ الدستور والنظم الاجتماعية الاساسية بالقوة وكذلك ضبط التهم الثالث في الطريق العام ومعه تقاضير عن حالة المتهمين التاسع والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر أثناء وجودهم بالسجن لا يمكن أن يكون جريمة الاتفاق الجنائي بينهم لعدم ثبوت الركن الاساسي للجريمة وهو اجتماع ارادة كل منهم مع ارادة الآخرين على ارتكاب الجريمة السالفة الذكر وكذلك علم كل منهم بأن الغرض من الاتفاق هو ارتكاب الجنائية المشار اليها بالنسبة للاتفاق العام المنسوب الى جميع المتهمين فان هذا الاتفاق لا دليل على قيامه لان كثيرا من المتهمين لا يعرف بعضهم البعض الاخر كما جاء في أقوالهم في التحقيقات وفي الجلسة ولم تثبت النيابة عكس ذلك ولا يتصور وجود اتفاق جنائي بين أشخاص لا تربطهم رابطة المعرفة ومجرد اتجاه ارادة كل منهم مستقلة عن غيره من المتهمين الى الترويج للشيعوية لا يكون جريمة الاتفاق الجنائي كما سبق بيانه . ومتى وضع أن أركان جرائم الاتفاق الجنائي المسندة الى المتهمين غير متوفرة لا ترى المحكمة محلا للخوض فيما أثاره المتهمون من دفع ببطلان ضبط وتفتيش المتهمين في « بج بن » وضبط

المتهم اثالث أسعد حلیم بالطریق العام ومعه التقارير المضبوطة • وضبط
الكذب انشيعية في منازلهم •

وحيث أن المتهمين لا شك يستفيدون من قيام الثورة والاحداث التي
اتلاحت بعدها من الغاء الدستور الذى كان قائما وهم متهمون بتحريض تغيير
مبادئه الاساسية وكان من أهم أسسه النظام الملكى ونظام توارث العرش
وقد حل محله النظام الجمهورى ويستفيدون من الانقلاب الذى حدث فى
النظم الاساسية للنظام الاجتماعى من الغاء الاقطاع وتحديد الملكية وانصاف
الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين واتاحة الفرص لهم للعيش عيشة انسانية
وهذه الاصلاحات التى حققتها الثورة كانت من أهداف المتهمين ومن المواضيع
اللى كتبوا فيها ولعله مما يقنع المحكمة بأن المتهمين لم يكونوا شيوعيين
انهم من وقت اتهامهم فى هذه الجناية حتى الآن أى منذ عشر سنوات لم
يزاولوا أى نشاط شيوعى ولم يوجه اليهم أى اتهام من هذا القبيل ومعظمهم
الآن يشغلون مراكز هامة فى الدولة أو الحماية أو المعاهد العليا أو المؤسسات
التجارية والصناعية وهم محل ثقة رؤسائهم وأصبحوا مواطنين صالحين •

وحيث أنه من كل ما تقدم يكون ما نسب الى المتهمين غير ثابت ثبوتا
قاطعا كافيا يتعين برائتهم عملا بالمواد ١/٣٠٤ ، و م ٣٨٠ من قانون الاجراءات
الجنائية •

لهذه الأسباب

وبعد الاطلاع على المادتين ١/٣٠٤ و ٣٨١ من قانون الاجراءات
الجنائية بالنسبة لجميع المتهمين والمادة ٣٨٦ من نفس القانون بالنسبة
للمتهمين الأول والثانى والثالث والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر
والعشرين حكمت المحكمة حضوريا بالنسبة للمتهمين الرابع والسادس والثامن
والتاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر والثامن عشر والتاسع
عشر وفى غيبة بقية المتهمين ببراءة جميع المتهمين •••

المراجع

مراجع عربية :

- أبو الحسن الغنيمي - الشيوعية في الاسلام .
- أحمد حسين - ايماني
- أحمد حمروش - قصة ثورة ٢٣ يوليو .
- أحمد صادق سعد - صفحات من اليسار المصرى .
- أحمد رشدى صالح - كرومر في مصر .
- أحمد رشدى صالح - مسألة السودان .
- أحمد محمد غنيم وآخر - اليهود والحركة الصهيونية في مصر .
- اسحق موسى الحسينى (دكتور) - الاخوان المسلمون ، كبرى الحركات الاسلاميه الحديثه .
- انور عبد الملك - مصر مجتمع جديد بين يديه العسكريون . (مترجم)
- انور كامل - أفيون الشعب .
- ايغور بيليايف (دكتور) وآخر - مصر في عهد عبد الناصر (مترجم) .
- بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية (١٩٤٧) .
- جلال الدين الحمامصي - معركة نزاهة الحكم .
- جمال الدين محمد سعيد (دكتور) - التطور الاقتصادى في مصر منذ الكساد العالمى .
- جمال سليم - قراءة جديدة لحادث ٤ فبراير .
- حافظ عفيفى (باشا) - على هامش السياسة المصرية .
- حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية .
- حسين فهمى مصطفى - حركة التحرير في العالم .
- حكمت كامل آدم - الناس والدنيا (رواية) .
- دافيد لاندز - بنوك وباشوات (مترجم) .
- راشد البراوى وآخر - التطور الاقتصادى في مصر الحديثه .
- رفعت السعيد (دكتور) - تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ - ١٩٢٥ .
- رفعت السعيد (دكتور) - اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ .
- رفعت السعيد (دكتور) - اليسار المصرى والقضية الفلسطينية .
- رفعت السعيد (دكتور) - الصحافة اليسارية في مصر ١٩٢٥ - ١٩٤٨ .
- رفعت السعيد (دكتور) - عصام الدين حنفى ناصف .

- رمسيس يونان - غاية الرسام العصرى .
- رؤوف عباس (دكتور) - الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ - ١٩٥٢
- رؤوف عباس (دكتور) - جماعة النهضة القومية .
- سلامة موسى - حرية العقل في مصر .
- سمير غريب - السيريلية في مصر .
- سيد مرعى - الاصلاح الزراعى ومشكلة السكان في القطر المصرى .
- شهدى عطية الشافعى - تطور الحركة الوطنية المصرية .
- شهدى عطية الشافعى ، ومحمد عبد المعنود الجبيلى - أهدافنا الوطنية
- صلاح نصر (يوزباشى) ، كمال الدين الحناوى (يوزباشى) - الشرق الأوسط في مهب الريح .

- طارق البشرى - الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢
- عاصم السوسق (دكتور) - كبار ملاك الاراضى الزراعية ودورهم في المجتمع المصرى .
- عبد الحميد عفيفى مطر - التعليم والمتعلمون في مصر .
- عبد الحميد المشهدى - صحيفة سوابق .
- عبد العظيم رمضان (دكتور) - تطور الحركة الوطنية في مصر .
- عبد المنعم الغزالى - ٢١ فبراير ١٩٤٦ .
- عبد المنعم الغزالى - تاريخ الحركة النقابية المصرية .
- عبد المنعم فوزى - مذكرات في تطور مصر الاقتصادية والمالى في العصر الحديث .

- عبد الحليم اليباس نصير - عهد الاستقلال .
- عبد الوهاب بكر (دكتور) - أضواء على النشاط الشيوعى في مصر ١٩٢١ - ١٩٥٠ .
- عصام الدين حنفى ناصف - عاصفة فوق مصر (رواية) .
- على ابراهيم عبده (دكتور) - ، خيرية قاسمية - يهود البلاد العربية .

- على رفاعة الانصارى - في طريق الحرية .
- فتحى المغربى - أنا العامل (ديوان) .
- فؤاد المرسى خاطر (دكتور) - العلاقات المصرية - السوفيتية ١٩٤٣ - ١٩٥٦ .

- فوزى جرجس - دراسات في تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى
- قسطنكى اليباس عطارة - تاريخ تكوين الصحف المصرية .
- قلينى فهمى (باشا) - آراء وفكرات في السياسة والاقتصاد والاجتماع .

- مرافعات الرئيس أحمد حسين في عهد حكومة الوفد - من كفاح مصر الفتاة .
- مريت بطرس غالى - سياسة الغد .
- مريت بطرس غالى - الاصلاح الزراعى - الملكية ، الاجار ، العمل .
- مشاكل العمال في مصر - بحث مقدم من جماعة الخبز والجيرة .
- محمد أنيس (دكتور) - ٤ فبراير في تاريخ مصر السياسى .
- محمد حسن أحمد (اسم سرى) - الاخوان المسلمون في الميزان .
- محمد زكى عبد القادر - اقدم على الطريق .
- محمد زكى عمر - ربع قرن في مفاوضات .
- محمد على علوبة - مبادئ في السياسة المصرية .
- محمد عوده - سبعة باشوات وصور أخرى .
- محمود حسين - الصراع الطبقي في مصر من ١٩٤٥ - ١٩٧٠ .
- محمود عزمى - الأيام المائة - على هامش التاريخ المصرى الحديث .
- محمود على السيد (دكتور) - النهضة الصحية الروسية .
- محمود كامل المحامى - مصر الغد تحت حكم الشباب .
- مصطفى محمود فهمى المحامى - الحالة الاجتماعية في مصر .
- مصطفى مؤمن - صوت مصر .
- مورو بيرجر - البيروقراطية والمجتمع في مصر الحديثة (مترجم) .
- فوزى جرجس - دراسات في تاريخ مصر السياسى منذ العصر المملوكى .
- يس مصطفى ، محمد فتحى - النصيحة إلى عمال مصر .
- يوسف نحاس (دكتور) - القطن في خمسين عاما .

- مخطوطات ، واوراق قضائية ، ونشرات وتقارير سرية ، ووثائق مختلفة :

أ - مخطوطات :

- أبو سيف يوسف ، الطليعة الشعبية للتححر - بخط اليد .
- أحمد صادق سعد ، على سبيل المراجعة - يخط اليد .
- مارسيل اسراييل (تشيريزى) - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - بالآلة الكاتبة الفرنسية - تقرير .
- مارسيل اسراييل (تشيريزى) ، رسالة الى المؤلف تتضمن ردا على أسئلة وجهها له - بخط اليد .
- مارسيل اسراييل (تشيريزى) ، رسالة الى المؤلف يعلق فيها على الطبعة الأولى من هذا الكتاب .
- مصطفى هيكل (دكتور) - حول منظمة القلعة الشيوعية - (بخط

- (السيد) - رداً على أسئلة للمؤلف .
- نيقولا بياريجوتى - لمحة مختصرة عن نشاط الحركة الشيوعية اليونانية
- بمصر - بالآلة الكاتبة الفرنسية - بناء على طلب المؤلف .

ب - أوراق قضائية :

- قرار اتهام النيابة العمومية في قضية الجناية رقم ٨٧٦ السيدة زينب لعام ١٩٣٩ .
- محضر تحقيق النيابة العمومية في قضية الشيوعية الكبرى (١٩٤٦)
- حيثيات الحكم الصادر من محكمة جنايات مصر في قضية الشيوعية الكبرى لعام ١٩٤٦ .
- ملف قضية الاشتراكية المتهم فيها أنور كامل وأعضاء جماعة الخبز وانحرية .
- ملف قضية الشيوعية بمدينة المنصورة المتهم فيها ماهر قنديل وآخرون - عام ١٩٤٩ .
- ملف القضية ٢٧ حصر صحافة لعام ١٩٥٠ المتهم فيها هليل شوارتز وآخرون .
- مذكرة مرفوعة من يوسف درويش الى دولة الحاكم العسكري العام (١٩٤٩) بالتظلم من أمر اعتقاله .
- مذكرة مرفوعة من مجموعة من أصدقاء يوسف درويش الى الرئيس جمال عبد الناصر تظلماً من صدور أمر باعتقاله (١٩٥٦) .

ج - نشرات وتقارير وبيانات سرية :

- اذشارة - نشرة صادرة عن منظمة أيسكرا (مجموعة) .
- انطباعات أولية عن الوضع السياسى الحالى في مصر - التكتل الثورى - باللغة الايطالية .
- بحث عن وضع الحركة الشيوعية المصرية وطريقة توحيدها - حدثو الشيوعية .
- بيانات ونشرات الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - حدثو (الأرشيف الكامل) .
- بيانات ونشرات منظمة العمالية الثورية - ع.ث (مجموعة) .
- بيانات ونشرات منظمة نحو حزب شيوعى - ن.ح.ش (مجموعة)
- بيانات ونشرات منظمة نحو حزب شيوعى مصرى - ن.ح.ش.م (مجموعة) .
- بيانات ونشرات المنظمة الشيوعية المصرية - م.ش.م (مجموعة) .

د - أوراق قانونية وتقارير حكومية :

- مجلس النواب - مضابط الجلسات من سنة ١٩٣٣ حتى ١٩٣٧ •
- مجلس الشيوخ مضابط جلسات دور الانعقاد الخامس عشر والسادس عشر والثاني والعشرين •
- المرسوم بقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٣٦ والخاص بإنشاء مجلس أعلى للإصلاح الاجتماعي •
- المذكرة الإيضاحية للمرسوم بقانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ الخاص بالإصلاح الزراعي •
- بحث في مجالس الجيش وهيئة أركانها - رئاسة الجمهورية - ملفات الحكومة •
- محفوظات مركز تاريخ مصر الحديث - وثائق قصر عابدين •
- وثائق وزارة الداخلية المصرية - إدارة الضبط فرع ب •
- تقرير عن حالة الأمن العام بالملكة المصرية ٤٨ - ١٩٤٩ وزارة الداخلية - إدارة عموم الأمن العام •
- تقرير لجنة التحقيق الوزارية في الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم في عهد الوزارة النحاسية الأخيرة •
- تقويم النقابات والاتحادات العمالية في جمهورية مصر - وزارة انشئون الاجتماعية •

هـ - محفوظات :

- الأرشيف العام لوزارة الخارجية البريطانية - المتحف البريطاني - لندن •
- أرشيف وزارة الخارجية الأمريكية •
- أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية •
- أرشيف الحزب الشيوعي الإيطالي •
- أرشيف جماعة أصدقاء هنري كوريل (باريس) •

و - وثائق أخرى :

- قانون الوفد المصري •
- مجموعة وثائق وبيانات عن الحركة العمالية ١٩٤٦ - ١٩٤٧ •
- عريضة مرفوعة الى جلالة القائد الاعلى للجيش من الاتحاد العام لاصولات وضباط الصف بالجيش المصري •
- Art et Liberté (عددان مطبوعان بالرونيو)
- VIVE l'art Degnere (منشور مطبوع بالرونيو)

صحف ودوريات :

- الأهرام ١٩٣٥ - ١٩٥٠
- الأمالي ١٩٨٥ - ١٩٨٦
- البلاد (لندن) ١٩٨٦
- البلاغ ١٩٣٧
- البنك الأهلي المصرى - النشرة الاقتصادية - ١٩٤٧
- انتظور ١٩٤٠ - ١٩٤١
- الجهاد ١٩٣٦
- الجماهير
- أخبار اليوم ١٩٤٧
- آخر ساعة ١٩٣٦
- السياسة ١٩٣٦
- السياسة الحولية ١٩٧٠
- الصرخة ١٩٣٣
- انضمام
- الطليعة ١٩٧٥
- الطريق (بيروت) ١٩٤٨
- الفجر الجديد
- الفلاح المصرى ١٩٣٨
- الفنون ١٩٧١
- الكاتب ١٩٧١
- الاطائف المصورة ١٩٢٧
- أم درمان
- المصرى ١٩٣٧

- المنصور ١٩٣٦
- المقطم ١٩٣٢
- المؤتمر ١٩٤٦
- الوفد المصري ١٩٤١
- الميقاتة العربية ١٩٨٧
- بحوث علمية - نشرة دار الأبحاث العلمية - ١٩٤٥
- حرية الشعوب
- روزا اليوسف ١٩٧٢
- قصر القطن ١٩٣٨ - ١٩٣٩
- ريفولوسيوني فوستوك (الشرق الثوري) - ١٩٣٢ (باللغة الروسية)
- The Labour monthly (1927-29)
- The Communist international (1939)
- International Press correspondence (1928)
- L'Egypte Contemporaine (1931).
- L'Égyptienne (1931)

- Abdel-Razek Hassan - Some U.A.R Economic Features.
- AFAF LUFFI ALSAYYID -- Egypt and Cromer
- ALBERT HOURANI - Arabic thought in the Libral age
- Alexandrian - Georges Henien.
- Boris Ponomaryov - Some Problems of the revolutionery movement.
- Department de La statique general (1944)
- DOREEN WARRLNER - Land réform and development in the Middle East.
- GABRIEL BAER -- A history of Land-owner ship in modern Egypt.
- G.E. Von GRUNEBEUM -- Modern Islam.
- GILLES PERRAULT -- UN Homme a Part.
- G. Kirk -- The Middle East in the war 1939-1945.
- HENRY HABIB AYROUT -- The Egyptian Peasant.
- IVOR SPECTOR -- The Soviet Union and the Muslim World, 1917-1958
- JEAN Lacouture -- NASSER.
- JEAN & Simone Lacouture -- Egypt in transition.
- JEAN-PIERRE THIEIC - La Journée de la 21 Fevrier 1946.
- KEITH WHEELOCK -- Nasser's New Egypt.
- KILLERN (LORD) - The Killern Diaries.
- M.S. AGWANI -- Communism in the Arab East.
- P.J. VATIKIOTIS -- The Egyptian army in Politics.
- P.M. HOLT -- Political and Social Change in modern Egypt.
- RASHID AL BARAWY (Dr.) -- Economic Development in The U.A.R.
- RICHARD MITCHELL -- The Society of The Mouslem Brothers.
- U.S. CONGRESS HOUSE -- Committee of Foreign **affaire** -- Report of Sub Committee No 5 (1949)
- WALTER LAQUER -- Communism in the Middle East.

- ابراهيم المناسترلى
- أحمد صادق سعد
- أحمد نبيل الهلالى
- ادوارد ليفى
- أسعد حليم
- البير آرينيه
- أنور كامل
- ايلي ميزان
- بول جاكو دى كومب
- جمال غالى
- حسين كمال الدين (دكتور)
- حلمى ينس
- خالد محيى الدين
- دينا فورتي
- راؤول كورييل
- ريمون أجيون
- زكى مراد
- سعد رحى
- سعيد خيال
- سيد سليمان رفاعى
- شحاتة النشار
- شحاتة هارون سلفيرة
- عبد الفتاح الشرقاوى •

- عبد الفتاح القاضى (دكتور)
- عبده دهب حسنين
- عبد المجيد نعمان
- عبد المنعم الغزالى
- عدلى جرجس موسى
- فاطمة زكى
- فتحى الرملى
- فؤاد حبشى
- فؤاد عبد الحليم
- فوزى جرجس
- لطيفه الزيات (دكتورة)
- مارسيل ميسيكوا
- مبارك عبده فضل
- محمد سيد أحمد
- محمد شطا
- محمد يوسف الجندي
- محمود حمدي عبد الجواد
- مصطفى طييه
- مصطفى ميكل (دكتور)
- نقولا غازيس
- هنرى كورييل
- يوسف حزان
- يوسف درويش *

فهرس الكتاب الأول

مقدمة المجلد الثالث

• مقدمة الطبعة الأولى •

١ - لماذا •• ثلاث مرات ؟

* لماذا تصاعدت موجة الحركة الشيوعية ؟

* لماذا تواجد الأجانب واليهود بكثرة في صفوفها ؟

* لماذا نشأت الحركة الشيوعية منقسمة ؟

٢ - مع الجماهير :

* الأندية والروابط والتجمعات الثقافية •

* الصحافة والنشر •

* الجيش •

* العمال •

* الفلاحين •

* الطلاب •

* العمل الجبهوى •

٣ - في غمار العمل السرى :

* انتجعات الأولى •

* الوحدة •

* الانقسام •

٤ - وليست خاتمة ••

- ملحق

- المراجع •

Figure 1 is a schematic diagram of the experimental setup. It shows a subject sitting at a table, viewing a video screen. A camera is positioned above the screen. A light source is positioned to the left of the screen. A scale bar is shown below the screen. The diagram is labeled with 'Subject', 'Video Screen', 'Camera', 'Light Source', and 'Scale Bar'.

1. *Chrysomelids* (1000 spp.)

1. *Chlorophyll a* and *Chlorophyll b* were determined by the method of Arar and Collins (1971) using a Shimadzu 1010 spectrophotometer.

100

100

Condition	Control (n=10)	MCI (n=10)	AD (n=10)
A	100	95	85
B	95	90	80
C	90	85	75
D	85	75	65

the 1990s, the number of people in the world who are under 15 years of age is expected to increase by 1.5 billion (United Nations, 1994). The United Nations (1994) also predicts that the number of people in the world who are 65 years of age and older will increase by 1.5 billion. The United Nations (1994) also predicts that the number of people in the world who are 65 years of age and older will increase by 1.5 billion.

1. *Chlorophyll a* (Chl *a*)

1. *Chlorophyll a* and *Chlorophyll b* were determined by the method of Arar and Collins (1971) using a Shimadzu 1601 UV-Visible Spectrophotometer.

• • •

100

د. رفعت السعيد

اليسار المصري والقضية الفلسطينية

تعليق خالد مجيب الدين

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عن

دار الفارابي - بيروت

سبتمبر ١٩٧٤

الإهداء

الى زوجتى مرة ثانية

فهى تستحق أكثر

رفعت السعيد

الاهداء

الى زوجتى مرة ثانية

فهى تستحق أكثر

رفعت السعيد

لم أزل أذكر ذلك اليوم ..

كنا لم نزل بعد شبانا صغارا ، أو بالدقة أطفالا كبارا ، وعام ١٩٤٨
يأتى بأحداثه المتلاحقة الجسيمة ، ومجموعتنا الطلابية التى أصبحت بحيويتها
ونشاطها وتميزها عن كل من عداها ملء السمع والبصر ، كانت تجابه
تطورات الموقف بحماس يفوق الحد ..

كنا نقاوم الاستعمار والحكم الرجعى والدعاوى العنصرية معا ، وكنا
نلهب حماس جماهير الطلاب والشعب فى مدينتنا الصغيرة بحماسنا الدافئ
ضد الاستعمار والسراى والحكم العميل للاستعمار .

وكنا نقاوم العنصرية ، ونحمى معبد اليهود القريب من مدرستنا
من هجمات الاخوان المسلمين ، وتشابكت أيدي مئات من الطلاب
رفاقنا وأصدقائنا لنحيط بمحل حلوانى يهودى مواجه للمدرسة حاول أعضاء
الاخوان المسلمين ومصر الفتاة تكميره .

كانوا يهتفون « فلسطين الجريحة نفتديك » وكنا نهتف « الجلاء
التام عن مصر وفلسطين » كانوا يصيحون « الى فلسطين لنطرد اليهود »
وكنا نهتف « الى القناة لنطرد الانجليز .. لنحرر مصر وفلسطين من
الاستعمار » ..

كانت دغلاوهم عنصرية ، وكانت منطلقاتنا وطنية ، وتصادمنا
وتضاربنا ، واختلت توازنات القوى كثيرا ، وفى مرات عديدة كانوا يخرجون
بالألوف يصيحون صيحاتهم ، وكانت شعاراتنا تضيق وسط زحام الحناجر ..

و ذات يوم جاءت « الجماهير » المجلة العلنية للتنظيم ، وقمنا بتوزيعها
كالعادة ، وكانت مئات الايدي لا تزال تتلفنها ، وفى « الجماهير » استلقت

نظري عبارة ، ربما لانها كانت ذات طابع دراسي ، وربما لانها لخصت كل صعوبة الموقف .. « ليشهد التاريخ ولتشهد الشعوب العربية ، اننا الوحيدون في مصر الذين نقف باخلاص من أجل تحريرها من ربطة الاستعمار ، ومن أجل حياة سعيدة ، حرة ، ديمقراطية » ..

وأحسست يومها برغم صغر سني أن المسألة أكبر من مصادمات طلابية في مدرسة ثانوية ، وان تنظيمنا مقبل على خوض محنة ، يقاتلها بارادته الحرة مبتغيا قول الحقيقة وصون مصالح الشعب ، حتى ولو كذت الرجعية قد استطاعت جذب تيار كبير من الجماهير تحت شعاراتها ، وتعلمت يومها أنه قد يتحتم على السياسي أن يتشبث بقشة موقف صحيح قد تدفعه بعيدا عن التيار ، ولكنها تنجيه في نهاية الأمر ..

كان الدرس صعبا وقاسيا وانتهى بي وبالكثيرين غيري الى المعتقلات ونحن لم نزل بعد دون السادسة عشر .



وبعد أكثر من ربع قرن ، ظل فيها موضوع القضية الفلسطينية مطروحا وباستمرار على مائدة السياسة العربية ، وظل خاضعا أيضا لكثير من العمل والنقاش ، وامتزجت فيه وحوله الصراعات بشتى أنواعها ابتداء من الشعارات الحماسية الى دماء الشهداء ، وتراوحت المواقف وتصاعدت واشتدبت مع بعضها اختلافات أو اتفاقا .

وبعد مسيرة طويلة ، بذل البعض فيها دماءهم واكتفى البعض ببذل كلماتهم بدأت الامور تتضح وبدا الحق بيننا ، والباطل بينا ..

ومع ذلك كله ، فلم يزل موقف اليسار العربي والمصري على وجه الخصوص محضا لتشويهات متعددة ، فالرجعية التي دبرت الجرم ، وشاركت في المؤامرة ، واعتلت موجة المتاجرة بالكلمات والحقوق معا ، لا زالت وحتى الآن تمارس نفس التجارة .

واليوم ، ونحن مقبلون على تطورات هامة ، والفلسطينيون يقفزون يقصيتهم التي طالما أهملت وأغفلت .. الى سطح الاحداث ، اليوم ومستقبل فلسطين يوشك أن يتحدد اعتقد أنه من الضروري أن نعيد فتح الصفحات القديمة ، لنحاسب .. وليقدم كل منا كتابه ولنر من منا سيؤتي كتابه بيومنه .

الآن .. الوقت مناسب تماما ، بالامس لم تكن الامور قد نضجت بعد ،
وفي الغد سيكون الوقت قد فات ..

الآن ، يتعين علينا أن نقدم حسابنا لشعبنا وأمتنا ، ومن ثم فقد كان
من الضروري في اعتقادي بذل جهد خاص في استخراج وثائق اليسار
المصرى الخاصة بالقضية الفلسطينية ونشرها على الملأ ...



ولقد تعددت أن أقدم النصوص الكاملة للوثائق ..

فلسنا في مجال يسمح بالاجتزاء ، أو التشكك في الاجتزاء ، نحن نقدم
كل ما أتت أيدينا ، ولسنا ممن يقولون كلمة فيندمون عليها ، أو يوارونها
بعد زمن طال أم قصر ،

ولسنا ممن يخافون شيئا فيخفون أشيئا ، بل نحن نقدم هذه المجموعة
الكاملة من الوثائق ونحتكم بها الى « الضمير العربى » منتظرين حكمة ،
مؤلين - فقط - أن توضع هذه الوثائق عند دراستها ، وهذا حقنا ، وحق
البحث الصحيح فى اطارها الزمنى والتاريخى .

ولهذا فقد كتبت دراسة تمهيدية تستهدف فقط توضيح الخلفية التى
تحركت الاحداث حولها وفى اطارها ، ولقد تعددت أن أجزها ، والا أتعرض
فيها للوثائق حتى لا يتصور البعض أن قراءتها قد تغنى عن دراسة
الوثائق ذاتها ، فهى مجرد تهيئة للمسرح واعداد للذهن كى يبدأ شريط ..
الوثائق ..

والوثائق أنواع .. مقالات ظهرت فى صحف اليسار ، ودراسات أعدها ،
وتقارير داخلية ، ومنشورات ، وبيانات ، ورسائل ، ولقد حاولت جهدى أن
أستكملها وبذلت فى ذلك جهدا لا أود الاماضة فيه ، فهو واجبى كباحث ،
وهو واجبى كسياسى ، لكننى فقط أود أن أقول ان ما جمعته هو أقصى
ما استطعت ، وأن هناك بغير شك وثائق أخرى عديدة أمل أن يستطيع غيرى
التوصل اليها .. ونشرها .

ولقد كانت هناك بدائل عديدة لترتيب هذه الوثائق ، لكننى أثرت
فى نهاية الامر أن أرتبها - قدر الامكان - وفق الترتيب الزمنى لصدورها
وهى تشمل فترة تمتد من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٥٦ .

وليس من الضروري أن تكون كل وثيقة من هذه الوثائق قد مثلت
يقب صدورها - وبشكل تام - موقف اليسار المصرى كله ، فلا شك أن بعضا
من هذه الوثائق قد أثار - وقت صدوره وبعده - جدلا ونقاشا بل واختلافا ،
بل أن بعضها قد عبر - وفقط - عن وجهة نظر كاتبه ، ولكنه وفي نهاية
الأمر كان يمثل أحد الآراء التى تفاعلت على أرضية اليسار فأسهمت فى
تكوين الصورة العامة لموقفه .

وعلى أية حال ، فإنه يمكن القول - وباطمئنان - أن هذه الوثائق
تمثل فى مجملها وبشكل عام ، الاتجاهات التى كانت سائدة فى صفوف
اليسار المصرى حول القضية الفلسطينية .

ونذكر من الوثائق أيضا عددا من محاضرات النقاش أجريتها مع عدد
من الأفراد الذين عاشوا غمرة أحداث صراعات اليسار المصرى ضد الصهيونية
ونشاطها المحموم فى مصر ، معبرين بذلك عن إخلاص غير محدود لبادئهم
ولمصر .

ولا بد لهذه « المحاضر » أن تحتوى على ذكريات بعضها غير مرتب ،
وبعضها قد يكون غير دقيق تماما - بحكم الفترة التى مضت عليها - لكنها
فى مجملها يمكن الاعتماد عليها كوثائق تاريخية ذات دلالات هامة ، ويمكن
- فى الأساس - أن تعطى صورة أشبه ما تكون باللوحات الفوتوغرافية التى
تصاحب الوثائق كوسائل إيضاح أو كمحاولة لتوضيح الخلفيات التى
صدرت الوثائق فى إطارها .

وقد اعتقدت أيضا أنه من المفيد أن نلقى على هذه الوثائق نظرة
معاصرة ، بهدف رؤيتها بعين الحاضر . ومحاولة تقييمها على ضوء تجارب
وأحداث ربع القرن الذى مضى ، ذلك أن المقياس الحقيقى للموقف السياسى
الصحيح هو قدرته على أن يكتسب بعض السنين مزيدا من الثبات والجدة .

ومن ثم فقد كان التعليق على هذه الوثائق ضروريا ، فهو فى اعتقادى
يمثل نوعا من فتح نوافذ الحاضر على بهو قديم فلا يزيده الضوء المعاصر
الاجدة وتألقا .



لكننى لا أستطيع أن أخفى سببا آخر لاهتمامى بهذه الدراسة ، فالقارىء
يعلم اننى ومنذ مدة قد أنجزت جزأين من دراستى عن تاريخ الحركة

الشيوعية في مصر* . واتنى ، أو من المفترض اننى بصدر اعداد الجزء الثالث وهو ذلك الذى يتناول بالدراسة تاريخ الحركة اليسارية في مصر طوال فترة الأربعينيات . .

ولقد خضت خضم هذا البحث الملى بالصعوبات ، ومن خطوطه المشابكة التقطت في البداية خيط دراسة مستقلة عن « الصحافة اليسارية » .

ثم هذه الدراسة عن « اليسار المصرى والقضية الفلسطينية » .

واذا كانت « الصحافة » أحد المحاور الاساسية للاعلام والفكر والصراع الايديولوجي لليسار المصرى في الاربعينات فان « القضية الفلسطينية » كانت أحد أنضايها الهامة في كفاحه وعمله وفكره في هذه المرحلة أيضا . . وهكذا أكون بهاتين الدراستين قد أوفيت جزءا من الدين ، وتخففت من بعض العبء، وتهيأت بالفعل لانجاز الواجب الصعب الذى ينتظرنى . .

ذلك عهدى أمام نفسى وأمام القارىء . .

القاهرة مايو ١٩٧٤

•• ولبس من الممكن أن نتعرف على أبعاد وحقائق موقف اليسار المصرى تجاه القضية الفلسطينية ، بغير أن نعود بضعة خطوات الى الوراء ، نعود الى تلك السنوات التى تبلورت فيها وبسرعة مذهلة شخصية الفكر المصرى الحديث ، والتى وقفت فيها مصر « لبرمة قصيرة » تقلفت •• وتفتش فى أعماقها •• وتطلع الى خارج حدودها عبر المتوسط شمالا نحو أوروبا • ثم عبر البحر الاحمر شرقا نحو مكة • ثم عبر الجبال والصحراوات جنوبا نحو السودان • ثم •• وفجأة ، وكعادة مصر جمعت أطراف ثوبها ودون أن تعلن اختيارا محددا ، انطلقت فى الطريق الذى أرادت •• وكان طريقا مصريا صرفا • أقول •• ليس من الممكن أن نتعرف على الصورة الحقيقية لموقف اليسار تجاه فكرة العروبة بغير أن نعود الى الفترة التى شهدت مولد القرن العشرين على أرض مصر ••

ففى هذه السنوات وبينما كانت أفكار العروبة تتبلور سريعا فى المنطقة التى اصطلح المصريون على تسميتها بالشام (سوريا - لبنان - فلسطين) وفى أماكن عربية أخرى ، كان العمل الوطنى المصرى يدور حول محاور مختلفة تماما •

ذلك أنه بينما كان رواد فكرة العروبة فى ذلك الحين يدفعون فكرتهم للصراع ضد ما اسموه بالانحرافات المحلّة المناهضة للعروبة ، فان الصراع المصرى كان يجرى أساسا بين فكرتين « الاسلامية » و « المصرية » ولم تكن فكرة العروبة واردة أصلا •

وربما كانت الاسباب التى ادت الى ذلك عديدة ، وربما احتاجت الى دراسة مستقلة لكننا سنحاول هنا ان نعبر عليها سريعا ••

✽ فمصر بكيانها الكبير وتعداد سكانها وحضارتها القديمة كانت تستشعر القدرة على الحركة الذاتية المستقلة •• وكانت تبجو وكأنها لا يبتئصها شئ سوى طرد المحتلين لكى تصبح شيئا هاما فى ذلك العالم •

✽ ومصر التى تقف باقدامها فى قلب افريقيا وتطل بشواطئها على البحر الابيض المتوسط وتلمس جوانب البحر الاحمر وتتحكم فى عديد من اُضْرق الهامة ، تستشعر ويستشعر مثقفوها - وربما حتى الان - لذة الحديث عن الحضارات الفرعونية ، الاغريقية ، الرومانية ، فمصر برغم كل شئ اغريقية - اسبوعية - فوق هذا كله ترفرت فى سماء فكرها حضارات البحر

الابيض المتوسط العريقة • • ويقدم د • جمال حمدان تصوره لتأثير موقع مصر الجغرافى والحضارى على تكوينها الفكرى فيقول « اننا ازاء حالة نادرة من الاقاليم والبلاد من حيث السمات التى تشترك فيها مصر مع هذه البلاد أو تلك ولكن مجموعة الملامح ككل تجعل منها مخلوقا فريدا فذا حقيقة مبنى بطريقة ما تكاد تنتمى الى كل مكان دون أن تكون هناك تماما ، فهى بالجغرافيا تقع فى افريقيا ، ولكنها تمت أيضا الى آسيا بالتاريخ • • هى فى الصحراء وليست منها ، فرعونية بالجد ولكنها عربية بالاب ، ثم أنشأ جسمها النهري قوة بر ، ولكنها بسواحلها قوة بحر • وتضع بذلك قدما فى الارض وقدماء فى الماء • وهى بجسمها النحيل تبدو مخلوقا أقل من قوى • ولكنها برسالتها التاريخية الطموح تحمل رأسا أكثر من ضخ • وهى تشك بعد هذا كله أن تكون مركزا مشتركا لثلاث دوائر مختلفة بحيث صارت مجمعا لعوالم شتى ، فهى قلب العالم العربى وواسطة العالم الاسلامى وحجر الزاوية فى العالم الافريقى » (١) .

ألا تكفى مثل هذه الكامات كى توضح الى أى حد يتوله المثقف المصرى حب مصر • وفى البحث عن مميزاتها وعبقريتها بحيث تبدو فى نظره كما يقول د • حمدان « فلذة جغرافية لا تتكرر فى أى ركن من أركان العالم » وبحيث تصبح « ملكة الحد الاوسط » و « سيدة الحول الوسطى » كما يقول ايضا • (٢)

✽ ومصر بحبها العميق لنهر النيل واحترامها بل وتقديسها له ، تطلعت عبر قرون طويلة جنوبا تأمل فى وحدة هذا المجرى العظيم ومن ثم برز شعار « وحدة وادى النيل » •

✽ وأسباب أخرى عديدة دفعت طموح البرجوازية المصرية الناشئة الى التطلع جنوبا وجعلت من وحدة وادى النيل شعارا لكل حزب سياسى بينما كان زعيم مصرى كسعد زغلول وهو بعد يسعى للاعتراف باستقلال وطنه فى مناسبات مؤتمر باريس بعد الحرب العالمية الاولى يرفض مبدأ الجلوس مع الزعماء العرب معلنا واحدة من عباراته الشهيرة •

« صفر + صفر = صفر » •

-
- (١) د • جمال حمدان - شخصية مصر - دراسة فى عبقرية المكان - سلسلة كتاب الهلال العدد ١٩٦ يوليو ١٩٦٧ • ص ١٣ •
(٢) ارجع السابق ص ١٤ •

✳️ والاسلامية وجدت أيضا ما يبررها ، فالسلطنة العثمانية خفت قبضتها كثيرا من حول أعناق الشعب المصرى . وجاء الاحتلال الانجليزى ليثير مشاعر اسلامية ووطنية معا .

والأزهر يتحول ليصبح قلعة دينية بل ووطنية هائلة التأثير .

وشيوخ المسلمين المصريين خاضوا مع شعبهم معارك التحرير وتمردات الغضب ضد الاحتلال وضد الظلم ..

وتتعلق آمال البعض بوحدة اسلامية كبرى تقهر كل ماعداها . ونطمح « مصر » كى تلعب دورا فى هذه الوحدة .

ويقبلور ذلك كله صراعا بين تيارين يتواجدان فى أكثر الاحزاب المصرية وطنية وراديكالية .. هو « الحزب الوطنى » ذلك الحزب الذى كان برغم ضعفه وأخطاء قادته مدرسة للوطنية الحقبة .

فمصطفى كامل زعيم الحزب الذى « ناور » طويلا مع السلطان العثمانى الماكر محاولا أن يكسب شيئا لوطنه ، يفقد الامل فى أى شىء يمكن أن يعطيه السلطان الضعيف فيقف فى ٢٢ أكتوبر ١٩٠٧ فى آلاف من جماهير حزبه التى نفضت عنها كل الآمال « العثمانية » ووقفت تهتف « تحيا مصر » .. يقف الزعيم ليصوغ مرارات هذه المناورة التى لم تأت له بشىء سوى وسام يعطيه لقب « باشا » .. وقف يصوغ ذلك كله فى كلمات تحولت الى أنغام عاصفة فى قلوب الشباب المصرى المحيط به « بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى ، لك حياتى ووجودى ، لك دى ونفسى ، لك عقلى ولسانى ، لك لبى وجنانى ، فأنت أنت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر » .

ويمضى مصطفى كامل فى خطابه قائلا « رمانا الطاعنون بأننا نريد أن نخرج الانجليز من مصر لنعطيهما لتركيا ، وما هذه التهمة الا تصريح بأن معرفتنا لحقوق الامم وواجباتها لم ترشحنا الا أن نكون عبيدا أرقاء . فليعلم أعداء مصر اننا نطلب لها الاستقلال ، ونطلب لها ذلك الاستقلال بأعلى أصواتنا وعلى مسمع من أمم الارض كلها واننا اذا أخلصنا الود لأمة أو لدولة فاندما نعمل كغيرنا ونتبع ناموس الطبيعة بأن من اتفقت مصالحهم بتجمعون ويتناصرون ، أننا نعلن للملأ كله أن الحزب الوطنى مستقل عن كل الدول والحكومات والملوك والأمراء » (٢) .

(٣) على فهمى كامل . سيرة مصطفى كامل . ج ١ . ص ٣٧٨ .

لكن تيارا آخر داخل صفوف نفس الحزب كان يتواجد بزعامة الشيخ عبد العزيز جاويش الذى كان ينادى « لا وطنية فى الاسلام » وكان يتمسك بشعار « الجامعة الاسلامية » وهو شعار ينادى بحق الامة المصرية فى الحرية والسنور والجلاء فى ظل وحدة العالم الاسلامى مثلة فى الدولة العثمانية التى بتعين الحفاظ على وحدتها ومقاومة تمزيقها . فان تمزيقها ضياع للوطن كله . (٤)

والحقيقة ان الاتجاه الاسلامى قد وجد صدى لبعض الوقت فى نيس الشباب المصرى الامر الذى « أكتسب الحزب الوطنى بعض الجماهيرية الذى مكتبته فى بعض الوقت من أن يملأ شوارع القاهرة بمظاهرات صاحبة ، لكنه - وفى الوقت نفسه - قد أئقده تأييد عناصر كثيرة » (٥) .

وبعد وفاة مصطفى كامل تولى محمد فريد زعامة الحزب وزعامة السيار المناهض « للاسلامية » وأخذ يقاوم آراء جاويش كاتباً فى مذكراته « ان حب الشيخ جاويش للدولة العثمانية أدى به الى نسيان مصر ومصالحها . عاصيح يقول أن مصر للمسلمين لا للمصريين ، وقد وصلت الحالة بالشيخ جاويش الى أن ينصحنى بعدم حمل الدبوس الذى عملناه فى جنييف والمكتوب عليه « مصر للمصريين » والذى قررنا أن يكون شعار المصريون المخلصين ، وسأل أن منظره فى صدرى وصدر اخوانى يغيظ العثمانيون كما يغيظهم محافظتى على قومية مصر » (٦) .

وفى موضع آخر من المذكرات يقول محمد فريد « أن جاويش لم يرل يحارب فكرة الوطنية فى الاسلام وقد قال أخيراً فى برلين لاحمد بك أن يقلع عن فكرة الوطنية أو الجنسية المصرية قائلاً انه لا وطنية فى الاسلام » (٧)

ولسنا نستطيع أن ننقل من هذه النقطة - وهى بطبيعتها نقطة تميدية - بغير أن نشير الى أثر المفكرين والمهاجرين الشوام الذين وفدوا الى مصر بأعداد كبيرة بعد الاحتلال الانجليزى وهربا من الاضطهاد العثمانى فى الوقت المصرى العام من فكرة العروبة .

(٤) أنور الجندى . عبد العزيز جاويش . ص ٨٣ .

5) J. A. Ahmed - The intellectual Origins of Egyptian Nationalism. Oxford. 1960 — P.78.

(٦) محمد صديق - مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية . ص ٢٨٩ .

(٧) المرجع السابق ص ٣١٨ .

فهؤلاء المفكرين بغض النظر عن اختلاف مواقعهم الفكرية والطبقية ، وبغض النظر عن تمسك عدد لا بأس منهم بأفكار تقدمية بل واشتراكية في بعض الاحيان ، فان الكثيرين منهم قد تشبثوا بموقفين أساسيين ميزا حركة المفكرين الشوام في مصر . .

ـ العلمانية ورفض الفكر الدينى الامر الذى أثار عليهم حفيظة كثير من المصريين المسلمين الذين وجدوا في ذلك تحديا للدين قادما من مفكرين غالبيتهم من المسيحيين . وكان من الطبعي أن تتوارد تفسيرات شتى لهذا الموقف الجاف والعنيف الذى اتخذه مفكرو الشام من الأديان عموما فيقول جمال أحمد انهم « اتزعموا اتجاهها علمانيا يتصور أن الدين يعيق العرب عن النهوض الى مستوى الحضارة الغربية ، وأن السبيل الوحيد للتقدم هو تخليص المجتمع من نفوذ الدين » (٨) .

ويقول د . كامل عسلى « ان الارساليات البروتستانتية والكنيسة المارونية التى مارست نفوذا كبيرا في لبنان قد خلقت جوا من الارهاب كي تحكم قبضتها على أتباعها وقد أدى هذا بالمفكرين اللبنانيين الى أن يشنوا هجمات عنيفة على التعصب والطائفية » (٩) .

أما العقاد فيشير الى نفس السبب تقريبا فيقول ان رجال الدين المسيحي في منطقة الشام « ربما كانوا أقوى الطوائف الدينية في العالم وأوسع رعاة الكنائس اشرافا على حياة أتباعهم . فقد جمعوا بين الزعامة في الدين والزعامة في السياسة والزعامة في العلم . وناهيك بها من سطوة هائلة تغرى بالتحدى وتغرى بالمناجزة » (١٠) .

وأيا كان السبب فان هذه التوجهات « العلمانية » بالرغم من تقديرنا لها، قد أنت في ونت ربما كان غير مناسب وعلى أيدي لم تكن مناسبة على الاطلاق . . . مفكرين شوام . . . ومسيحيين الامر الذى ادى الى تشكك المسلمين المصريين في هذه الدعوة . .

9) Jamal Ahmed. Ibid. P. 41.

(٩) كامل عسلى . الاتجاهات التقدمية في الفكر العربى الحديث - رسالة دكتوراه غير منشورة . ص ٢٦٣ من النص الانجليزى المودع بجامعة برلين .

أما الموقف الثانى فقد كان أكثر خطرا وأكثر مدعاة لعزلة هؤلاء المفكرين ونسور المصريين منهم وهو أنهم فى حمأة معاداة « العثمانية » التقوا مع المحتلين الانجليز . . بعضهم محتفظا « بتقدميته ! » والبعض الآخر محتفظا فقط « ببعليانيته » مرتدنيا نهائيا فى أحضان الانجليز . .

فاذا أخذنا مفكرا بتقدميا مثل « شبلى شميل » نجده يقول « ان مصر تحت سيطرة الانجليز انتظم ربيها واتسعت زراعتها وأثرى فلاحها ، وصارت حياته ذات قيمة . . . وبلغت الحرية فيها مبلغا تفتحت له أبواب السجون » (١١) .

وعندما هبت مصر كلها ترفض مد امتياز قناة السويس تحديا للانجليز عارض شميل هذا الموقف صراحة قائلا « حقوق الامم هى فوق حقوق كل فرد مهما تعاضم ، وحقوق العالم أجمع فوق حقوق كل مملكة » (١٢)

ويحقيق المصريون عليه ويكتب له أحدهم « اليوم الوحيد الذى فازت الأمة فيه على الحكومة قمت يا حضرة العالم والفيلسوف تنتقد عملنا ندعنا فى جهلنا ودع علمك لبلادك » (١٣) .

أما « ولى الدين يكن » فقد كتب كتابا رائعا مليئا بالدعوى التقدمية هو كتاب « المعلوم والمجهول » لكنه صدر صفحاته بصورة عدو مصر الاول لورد كرومر وصفا اياه بأنه « مصلح مصر » .

ويصدم المصريون . ويشعر الرجل بهول الصدمة فيكتب فى مقدمته الجزء الثانى من نفس الكتاب « نظر أناس فى الجزء الاول من المعلوم والمجهول فرأوا صورة اللورد كرومر وقد كتبت تحيتها « مصلح مصر » مألّقوا بالكتاب جانبيا وأطبقوا جفونهم وولوا عنه هارين » (١٤) .

(١١) شبلى شميل - مقال نظرة هامة فى مسألة عامة - الجزء الثانى من مجموعة أعماله . ص ٢٠٧ .

(١٢) شبلى شميل - مقال العالم بعد ٦٠ سنة - المرجع السابق ص ٢٩٣ .

(١٣) شبلى شميل - مقال حرية الطباعة - المرجع السابق ص ٣٣٢ .

(١٤) ولى الدين يكن - المعلوم والمجهول - الجزء الثانى . مطبعة المعارف عام ١٩١٩ . ص ٢ .

ولسنا نريد أن نفيض في الحديث عن هذا الموقف إذ يكفي أنه قد
عزل هؤلاء المفكرين ووضع كل ما رددوه من أفكار موضع الشك والريبة ..
ويشعر شبلى شميل نفسه بذلك فيصوغ نقده الذاتى لهذا الموقف
شعرا :

نيا وطنى ما خاننى فيك خائن
من الحب لو انى رضيت به ندا
أريدك فى عز ولكننى أرى
على غير ما أرى ، أرى العز قد ندا
فان جرت فى حكمى فما أنا جائر
وما أنا الا باحث لم يجد بدا (١٥)

واذا أردنا ختاماً لهذه الفقرة أن نصور موقف الوطنية المصرية من
دفاع « بعض » المفكرين الشوام عن الاحتلال الانجليزى .. فلنأخذ مثلاً
واحداً لعله يكفي .. ولنتأمل هذه العبارات التى هاجمت بها إحدى صحف
الحزب الوطنى جريدة « المقطم » والعنوان « لا كرامة لمأجور ، فليخرس
المقطم » ثم يمتضى الهجوم « ما بال أولئك الغرباء عن جميع الأوطان كلما
رفع وطنى صميم صوته فى شأن من شئون وطنه صاحوا بأنكر الاصوات
ناقمين ؟ وما حكمه طاعنين ؟ وسخروا منه حاقدين ؟

عرفت الأمة هؤلاء الأعداء لا يهنا لهم عيش الا اذا ضاع لها حق ..
وعرفت صحيفتهم الصفراء بوقفاً للاحتلال يصوت فيها فيتردد صداه ، وآلة
يديرها مستدير .. ألا فليخرس المقطم فانه أحقر عند الأمة من أن تلقى له
بالاً أو تقيم لحاقته وتضليله وزناً » (١٦) .

ولكى نكون منصفين فان كثيراً من المفكرين الشوام قد تركوا - برغم
كل شيء - أثراً ايجابياً هالماً فى تطور الفكر المصرى ، ولكى نكون منصفين
أيضاً فأننا يجب أن نقول ان الاستعمار الانجليزى قد سعى دوماً بالوقعية
بين المثقفين المصريين والمفكرين الشوام لاعبا طورا على قصة « الدين » وطورا
آخر على كونهم « شواما » .. وقد وقع فى أحبولة هذه المؤامرة الكثيرون من
الطرفين على السواء .

(١٥) شبلى شميل - المرجع السابق مقال انحطاط الشرق الادبى والعقل
ص ١٩٤

(١٦) أنور الجندى - المرجع السابق ص ١٠٥ .

وعلى أية حال فإن ما يعنينا هنا هو أن الفكر المصرى الحديث قد صدم في مرحلة تكوينه الأولى في بدايات القرن العشرين بالتحدى لوطنيته ولصراعه ضد الانجيز قادما من أنالس ينادون « بالعروبة » ٠٠ ولابد لذلك كله من أن يترك أثرا انعزاليا على « المثقف المصرى » ٠٠ ويتضاعف هذا الاثر عندما ينح في فترة التكوين الحقيقية ، بحيث يبدو الامر - في نظر البعض - وكأنه لم يكن محض مصادفة .



وإذا جاز لنا أن نلجأ الى التبسيط في تحديد ردود الافعال فإن « الاسلامية » والتمسك بها هي رد فعل طبيعي لمهاجمة الدين ومن جانب عناصر مسيحية تجعل من عدم الدولة العثمانية هدفا أساسيا لها . كذلك فإن التمسك بال« مصرية » يمكن أن يكون رد فعل طبيعي أيضا للجوء عدد كبير من المفكرين الشوام النشادين « بالعروبة » الى تأييد الانجليز طعنا في العثمانيين ٠٠ لكن الأمور لم تكن - مطلقا - بمثل هذا التبسيط ، ذلك أن للمناداة بالمصرية أو بالاسلامية ، جذورا امتدت عميقا في تربة مصر ووجدانها ، وكان أنتصار شعار « مصر للمصريين » على كل ما عداه تعبيرا واقعيا تماما عن حركة التاريخ المصرى الحديث بحيث يمكن للباحث أن يجزم بأنه لم يكن من الممكن أن تسلك مصر طريقا آخر ، وبهما كانت الافعال وردود الافعال .

ويعود فنستقرى كل ما أوردناه من أسباب نأت بمصر لفترة من الزمن عن فكرة العروبة ومكنت حكامها من أن يخوضوا بها غمار حياة منعزلة الى حد كبير عن التيار العربى . بحيث لم تكن « العروبة » ترد الا عرضا ودون أن تترك أية مؤثرات جادة على الوجدان المصرى عموما .

ورسوخ « الاقطاع » هذا الموقف بتطلعاته جنوبا حيث السودان المطمح السهل المنال - أو هكذا خيل اليهم - والذي « لو تركته مصر فانه لن يترك مصر » كما قال الامير عمر طوسون ، والذي يتضمن امتدادا طبيعيا وهائلا للرتعة الزراعية ولوادى النيل ٠٠ ولجرى النيل ذلته ٠٠

ورسخه الاستعمار محاولا أن يعزل مصر عن التيار العربى ٠٠ خوفا من أن تصبح مصر العربية « كيفا » جديدا يقلب موازين القوى في المنطقة .

ورسخته مختلف الاحزاب الوطنية المصرية التى ربطت فهمها للوطنية بشعار « مصر للمصريين » متأثرة في ذلك بتنامي الدور الاستغلالى لعسك من الرأسماليين وكبار الملاك الشوام الذين اغتصموا فرصة « الامتيازات

الأجنبية» وفرصة كونهم رعية فرنسية أو انجليزية أو غيرها وعاشوا ينجييون مصر مع غيرهم من الناهيين الاجانب ، فكان المطالب الداوى الذى يهز أوتار قلب كل مصرى يرى أجنبى (بمعنى غير مصرى سواء كان أوريبيا أو عربيا) يتمتع بامتيازات تكبل حركة مصر وتضمها بالمهانة ٠٠ هو مطلب « مصر للمصريين » وتوارى شعار « الاسلامية » أما شعار « العروبة » فإنه يمكن القول بأن ظل لفترة طويلة وكأنه لم يخطر لاحد على بال .



وبدون أية محاولة للتحيز يمكن القول بأن القوة السياسية المصرية الوحيدة التى التقت خط العروبة وتمسكت به أملا لتضامن كفاحى ضد الاستعمار والصهيونية كانت قوى اليسار المصرى .

وبادىء ذى بدء فان اليسار المصرى كان قد اتخذ موقفا أكثر صحة من فكرة « وحدة وادى النيل » ورفع بديلا عنها شعار « الكفاح المشترك ضد الاستعمار وحق تقرير المصير للشعب السودانى » (١٧) .

وبالمقابل فان الحزب الشيوعى المصرى الذى تأسس فى أغسطس ١٩٢١ قد بدأ فى التعرف على واجباته « العربية » سريعا . وبدأت شعارات وحدة الشعوب العربية فى الكفاح ضد الاستعمار تتردد فى كثير من بياناته ٠٠

وعندما تأسست « عصبة النضال ضد الامبريالية » League Against Imperialism فى بروكسل لعب الشيوعيون المصريون دورا نشيطا فى دعم أفكارها على نطاق الوطن العربى كله محاولين تأسيس شعبة لها فى مصر تضم ممثلى مختلف القوى الوطنية ، ثم شعب مماثلة فى مختلف البلدان العربية على أساس أن تتكون منها قيادة مركزية عربية يمكن أن تسمى « عصبة تحرير البلدان العربية » .

(١٧) نشر النص الكامل للبرنامج الحزب الشيوعى المصرى لعام ١٩٣١ فى :

Ivor Spector — The Soviet and the Muslim World 1917 - 1958, University of Washington, Press Seattle, 1959 — P. 141-156.

والبرنامج معنون « برنامج عمل للحزب الشيوعى المصرى — النضال من أجل حل ثورى للازمة » . وينص البرنامج على : « الاستقلال الاقتصادى والسياسى التام وغير المشروط لمصر والسودان — مع الضمان الكامل لحق السودان فى تقرير مصيره » .

وتتحدث وثائق وزارة الخارجية البريطانية المودعة الان في المتحف البريطاني عن هذه المحاولة وتقول « أنه قد تم الاتصال بالفعل بعدد من الشخصيات المصرية لتكوين فرع للعصبة بالقاهرة . وان هناك اقتراحا بعقد مؤتمر عربى للنضال ضد الامبريالية بالقاهرة وذلك بهدف تعزيز النضال العربى المشترك . »

وتقول الوثيقة ان « اتصالا تم بعدد من الشخصيات المصرية ليبحث مسألة عقد هذا المؤتمر معها ومن بين هذه الشخصيات عضو في البرلمان المصرى . وسوف يدعى الى هذا المؤتمر أيضا مندوبون من الصين وأندونيسيا وإنجلترا والهند . » (١٨)

ولا بد من أن نلاحظ أن الحزب الشيوعى المصرى قد واكب بموقفه هذا الموقف العام الذى اتخذته الحركة الشيوعية العالمية والذى كان ينسجم تماما - وإلى فترة من الوقت - مع الدعوة للوحدة العربية .

بل ان بياننا صادرا عن « العصبة المناهضة للامبريالية » نشرته بالنشرة الرسمية للدولية " International Press Correspondence " تحت عنوان « النضال من أجل حرية الشعب العربى » (١٩) (ونلاحظ أنها المرة الاولى التى تستخدم فيها نشرة شيوعية تعبير « الشعب العربى ») ويقول البيان « لقد أوضحت أحداث فلسطين الأخيرة حقيقة أن القضية الوطنية العربية تشكل في الوقت الراهن أحد القضايا الهامة في السياسة العالمية . والعرب يدافعون كل الحق في القضاء على تقسيم وطنهم وأن يكونوا دولة موحدة ، قوية ، مستقلة ، وحررة تماما ، دولة عربية عظمى - يحدد شكلها ومستقبلها ليس بواسطة الامبرياليين الاجانب ، وانما وفقا لمصالح وإرادة الجماهير العربية الكاسحة ، فلاحين وعمالا وبدوا . »

وتمضى هذه الوثيقة البالغة الأهمية قائلة : ان العصبة المناهضة للامبريالية وقد تابعت باهتمام المظاهرات الرائعة التى تفجرت يوم ٢

(١٨) وثيقة معنونة « وثائق وزارة الخارجية - مكتب السجلات العامة - سرى للغاية - لا يجوز تداوله ولا تصويره الا بأذن خاص » . ومرقمة كما يلى :

F O. 377 - Egypt and Sudan - File No. 101 - Date : 26-7-1927.

(١٩) International Press Correspondence — English Edition (Unpublished Manuscripts — Please Reprint) — Vol. 9. No. 64-15 th November 1929. P. 1371.

نوفمبر في فلسطين كتعبير عن النمو الهائل للحركة الوطنية في البلدان العربية جميعها لترسل بأحر تحياتها الى المناضلين دفاعا عن حقوق الامة العربية (نلاحظ أيضا أنها المرة الاولى التي تستعمل فيها وثيقة شيوعية تعبیر الأمة العربية) •

ثمّ تمضى هذه الوثيقة لتدعو العرب في كل مدينة وقرية الى تكوين لجان قاعدية لمناخضة الاستعمار على أساس برنامج وطني ، وبحيث تنتخب هذه اللجان ممثلها للجنة أعلى حتى تتكون لها قيادة ثورية في كل بلد عربي ثم « على هذه اللجان أن تنتخب المجلس الوطني العربي » (All Arab National Council) ومثل هذا التنظيم يبنى على أساس تعبئة كل القوى الشعبية في مجرى التحرر الوطني ، ليخوض كفاحا لن ينتهي الا بالنصر الحقيقي •

ويختتم النداء بالشعارات التالية :

عاش النضال التحرري للشعب العربي •• فليسقط الامبرياليون ، وليسقط انقسام البلدان العربية •• ولتحيا الدولة الفيدرالية العربية الموحدة الحرة ••

وثمة وثيقة أخرى لعل عنوانها بذاته يوحي بأهميتها « مهمات الشيوعيين في الحركة القومية العربية » (٢٠) والوثيقة صادرة عن كونفرانس ممثلي الحزب الشيوعي في سوريا والحزب الشيوعي في فلسطين • وتبدأ بالعبارة التالية « نظراً للاهمية المتزايدة للحركة الثورية في البلدان العربية يبدو لنا من الضروري اعطاء تقييم للوضع في هذه البلدان من وجهة النظر الشيوعية ••• » •

•• « ان احدى المهمات الجوهرية في نضال التحرر الثوري ضد الامبريالية على امتداد منطقة الشرق الادنى هي حل المسألة القومية العربية » •• « ان طموح الجماهير الشعبية العربية الى الوحدة القومية ضمن حدود دولة اتمام ، ليس حسب تعليمات الامبريالية ، بل على أساس القرار النابع من هذه الجماهير ذاتها ، والمتخذ بحرية ، والمرتبط بلا فكاك بطموحها للتخلص من نير الامبريالية ••• ان الجماهير الشعبية العربية تشعر بأنه يتوجب

(٢٠) المراسلات الصحفية الاممية - العدد الاول ٤ يناير ١٩٣٣ (الطبعة الانجليزية) ص ٨ •

حايها . من أجل انتقاء نير الامبريالية ، أن توحد جهودها في ما هو مشترك بينها من وحدة اللغة والشروط التاريخية واضعة نصب عينيها عدوها المشترك ان نلاحم هذه الجماهير في النضال الثورى ضد الامبريالية واتساع نضالها هذا . يظهران أنه تتوفر لدى الشعوب العربية كل الشروط التى لا غنى عنها من أجل ازالة النير الامبريالى ، والحصول على الاستقلال الوطنى وخلق دول عربية تتمكن بعد ذلك ، على أساس قرار متخذ بحرية أن تتوحد على أسس نيجريالية » .

وأيضاً « ان هيمنة الطبقة العاملة لا يمكن أن تتحقق بدون نضال ثوري لتقاريا الصلب من أجل الاستقلال الوطنى وحريتهم القومية ، ومن واجب الشيوعيين خوض النضال من أجل استقلالهم الوطنى ووحدةهم القومية ليس فقط ضمن الحدود الضيقة والمصطنعة التى خلقتها الامبريالية ومصالح الاسر المالكة في كل بلد عربى ، بل أيضاً على النطاق العربى من أجل الوحدة لقومية للشرق كله ، ان الحركة الثورية المضادة للامبريالية يجب أن تجد ثورتها وتكتسب اتساعاً ثورياً حقيقياً ، وتصبح مركز جذب لاوسع الجماهير بتصفية الحدود المصطنعة . لا يمكن أن يحدث انفجار في الحركة الثورية المضادة للامبريالية في مصر وفلسطين أو أى بلد عربى آخر بشكل منعزل دون دعم البلدان العربية الأخرى . ان الاحزاب الشيوعية مدعوة لتصبح منظمة للنضال من أجل التحرر الوطنى ومن أجل الثورة المعادية للامبريالية على النطاق العربى » .

ثم تحدد الوثيقة عدداً من التوجيهات أولها « تطوير حملة واسعة جماهيرية قائمة على أهداف ومهام حركة الانعتاق القومى المضاد للامبريالية ، مع التفریق بينها وبين المهمات الانية لحركة العمال والفلاحين في البلدان المعنية . في خوض النضال من أجل قلب نير الامبريالية . في كل بلد يجب ربط هذا الشعور بالنضال من أجل تقرير المصير الوطنى الحر للشعوب العربية وفي هذا المضمار يقوم الشيوعيون بالدعوة من أجل الوحدة القومية المتخذة تشكل اتحاد عمالى - فلاحى على النطاق العربى » .

ولست أعنقد اننى بحاجة الى مزيد من التعليق على هذه الوثائق البالغة الاهمية فلعلها بموقفها الواضح والجلي - تسجل سبقاً حقيقياً لتيسار العربى على كل الاحزاب . . القومية والبرجوازية الصغيرة ، التى تتجاهل التاريخ وتتناساه ، بل وتستغل تناسينا نحن للتاريخ لتحاول أن تزعم لنفسها سبقاً في هذا الميدان . .

فها هو موقف اليسار العربى ككل ، مسجلا فى وثيقة رسمية ، محددة التاريخ (١٥ نوفمبر ١٩٢٩) ٠٠ وها هى مواقفه تجاه الوحدة العربية ٠٠ وتجاه قيام الدولة العربية الواحدة ٠٠

وينزعج الاستعمار من هذا الموقف أيما انزعاج وتتوالى الضربات على الحزب الشيوعى المصرى لتجهض أول محاولة لخلق مؤتمر شعبى عربى مناهض للادبريائية ٠٠ كتعبير عن وحدة النضال العربى ضد الاستعمار ٠٠ وينجح الاستعمار والرجعية هذه المرة أيضا فى عرقلة عقد المؤتمر ٠

وبرغم الضربات والصعوبات تستمر مظاهر التوجه العربى من جانب الحزب الشيوعى المصرى فى العشرينات والامثلة عديدة ٠

ولنأخذ - كمثال - الموقف من القضية الفلسطينية ٠٠ وينبغى ان نوكد هنا انه فى ذلك الحين كانت البرجوازية المصرية والاقطاع المصرى لا يبديان اى اهتمام بهذه القضية ، وكانت المنظمات الصهيونية ترحب سافرة على الارض المصرية داعية لاقامة وطن قومى على ارض فلسطين محتمية تارة بالاحتلال الانجليزى المهيمن تماما على مفايح السلطة وتارة أخرى بالدور الذى كان يلعبه أثرياء اليهود فى الاقتصاد المصرى بحيث تحول الكثيرون من الرأسماليين المصريين والحكام المصريين الى شركاء لهم فى مشاريعهم ٠٠ وفى ظل هذا التغاضى عن النشاط الصهيونى بل وتشجيعه أحيانا كان اليسار المصرى هو وحده الذى امتلك عن جدارة شرف مقاومة الصهيونية ورفضها والدفاع عن حقوق الشعب الفلسطينى ٠٠ ولنأخذ مثلا من أمثلة عديدة ٠٠ مقال فى جريدة « الحساب » الجريدة العنابية التى كان الحزب الشيوعى المصرى يصدرها عام ١٩٢٥ ٠٠ والمقال بعنوان « بلفور يزور ضحيته ٠ فلسطين تقابله بالأضراب العام » ويقول كاتبه « احتفل الصهيونيون فى فلسطين بتأسيس جامعتهم العبرية يوم أول إبريل الجارى فدعوا لحضور احتفالهم ذلك » نخبة رجالهم وجميع الذين يعطفون على قضيتهم ويساعدونهم فى عملهم الاستعمارى ٠ وكان فى مقدمة المدعويين للورد بلفور صاحب التصريح المشهور الذى أصدره باسم الحكومة الانجليزية ٠٠ وأئذى بموجبه أعطت انجلترا فلسطين لليهود الصهيونيين رغم ارادة سكانها وضد كل شرع وعرف وقانون ٠

وقد لى بلفور الدعوة فقابلته السكان فى كل مكان حل فيه بجميع الوسائل التى تعبر عن سخطهم وغضبهم واشتموا زهم من زيارته التى تشبه زيارة القاتل لآل القتيل والمعتدى لضحيته ٠

فقد أعلن أهل فلسطين الاضراب العام بمناسبة وصول بلفور الى بلادهم فأغلقت المتاجر والمصانع والورش وحوانيت البقالة ووقفت السيارات وعربات الركوب وعربات النقل وامتنع التلامذة عن حضور دروسهم والذهاب الى مدارسهم ٠٠ ووضع أهل فلسطين شارات الحداد على دورهم ومتاجرهم ٠ « وانا لنحيي هذه الفهضة البديعة في فلسطين ، ونأمل أن يواظب الفلسطينيون الكرام على أمجادهم وجهادهم في سبيل استقلال بلادهم وهم كمظلومين مرهقين عليهم أن يضعوا أيديهم في أيدي كل طبقة من طبقات العمال في أي بلد من البلدان فالطبقة العاملة مظلومة في كل مكان ، وكل مظلوم للمظلوم نسيب » (٢٢) ٠

ولم يكن هذا هو موقف الشيوعيين المصريين وحدهم ، بل لعله كان امتدادا لموقف أصيل هو موقف الشيوعيين الفلسطينيين والاممية الثالثة ككل ٠٠

فالاجتماع التوحيدي « التأسيسي » الذي انبثق عنه الحزب الشيوعي الفلسطيني أكد في الوثيقة الاساسية الصادرة عنه الدانة الحركة الصهيونية بوصفها « حركة تتجسد فيها تطلعات البرجوازية اليهودية » وباعتبارها تفق من الناحية السياسية « في جبهة واحدة مع الاستعمار حيث ربطت مصيرها في فلسطين بمصير المحتلين الامبرياليين » ودعا الاجتماع الى ضرورة النضال ضد الحركة الصهيونية « بصفتها رسول الاستعمار البريطاني » ودعا الى مقاومتها « بواسطة العمل الاعلامي بين العمال اليهود ، والى توجيه النضال بشكل خاص ضد الصهيونية البروليتارية » (٢٣) ٠

وكان تحليل الحزب الشيوعي الفلسطيني يستند الى مقولة أن الصهيونية الممثلة لمصالح البرجوازية اليهودية تقوم بدعوة العمال اليهود الى التخلي عن النضال الطبقي في أماكن تواجدهم ، والهجرة الى فلسطين « لبناء المستقل الافضل في أرض الميعاد » وبذلك تحولت البرجوازية اليهودية الصهيونية « الى قوة رجعية مضاعفة وذلك لكونها حليفة لحكومات بولندا ورومانيا (الرجعية) حيث تسكن أعداد كبيرة من اليهود ٠٠ وعدوا لحركة الجماهير الكادحة في فلسطين » (٢٤)

(٢٢) الحساب ١٠/٤/١٩٢٥ ٠

(٢٣) ماثي فلنر - خمسون عاما من نضال حزبنا الشيوعي - منشورت

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسرائيلي (رالكاح) - (١٩٧٠) ص ٣٥
24) International Press Correspondence - English Edition. No 65-20

Aug-1925 P. 629

٠٠ وفي مقال آخر نقرأ رأيا هاما يقول : لقد تمكنت الحركة الصهيونية عن طريق نشاطها الاستيطاني الاستعماري في فلسطين من تحويل المهاجرين اليهود ٠٠ « الذين هم في الغالب من العمال الى قوات بوليسية تستعملها المنظمة الصهيونية ضد الفلاحين العرب » (٢٥)

لكن الحزب الشيوعي الفلسطيني كان واضحا تماما في التأكيد على أنه ليس كل يهودي صهيوني ، بل أنه كان يستند الى نضال العناصر اليهودية التقدمية والمعادية للصهيونية ولنقرأ ٠٠ « ليس كل العمال اليهود صهيونيين ، كما أنه ليس كل العمال العرب يناصرون اللجنة التنفيذية العربية في مبدئها ، اذا يوجد كثير من العمال اليهود لا يصادقون على أعمال الصهيونيين وعلى تنفيذ مآربهم في هذه البلاد وفي البلدان الاخرى ، ٠٠ ومن الضروري لكل عامل راشد مدرك لمعنى طبقته أن لا يتحد مع الصهيونيين ، مهما كانت قوميته يهوديا كان أم عربيا ، لان الاتحاد مع الصهيونية هو مظهر من مظاهر الاتحاد مع البرجوازيين أى أعداء الطبقة العاملة بأسرها ، وينجم هذا الضرر العظيم أيضا فيما اذا اتحد العامل العربي مع الاقطاعيين والملاكين والمتمولين العرب أيضا » (٢٦)

٠٠ وبمناسبة زيارة اللورد بلفور وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين (فرع الاممية الشيوعية) منشورا بعنوان « ضد الاحتلال الانجليزي - الصهيوني لفلسطين » جاء فيه « ان الجماهير العاملة اليهودية تعلم أن الخلاص الوحيد بالنسبة لها ولجميع الجماهير العاملة الاخرى يكمن في التحرير الذاتي ، الذي لا يمكن أن يتحقق الا بالثورة البروليتارية ٠٠ التي ستكسر القيود الرأسمالية وتحطم الحكم الامبريالي ٠٠ وتقيم وحدة أخوية مع جميع الجماهير المسحوقة ٠٠ ويتوجه الحزب الشيوعي في فلسطين الى جميع العمال اليهود قائلا : حذار من المغامرة الانجليزية - الصهيونية الجديدة ، لا تكونوا أدوات عمياء في أيدي السوفييتيين ، لا تشتركوا في الاحتفالات الخاصة باللورد الامبريالي ، لا تشتركوا في المظاهرات الصهيونية » ثم يتوجه البيان الى « العمال والفلاحين والمواطنين الشرفاء » فيحذرهم من المحرضين

(٢٥) المراسلات الصحفية الاممية - الطبعة الانجليزية - مقال بقلم ج. ب - بعنوان « الارهاب الصهيوني في فلسطين - العدد ٥ - ١٥ يناير ١٩٢٥ - ص ٤٤ نقلا عن د. ماهر الشريف - الشيوعية والمسألة القومية في فلسطين - مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي (١٩٨٦) - ص ٢٠ (٢٦) حيفا - العدد ١٨ - ٢١ آيار (مايو) ١٩٢٥ - ص ١٤٤ مقال بعنوان « حول مسألة التفاهم والاتحاد بين العمال » .

على ترك العدو الامبريالى وتنظيم المذابح ضد الجماهير اليهودية . » لا نسمحوا لأنفسكم أن تضللوا بالاثارة الشوفينية العمياء . تظاهروا من أجل وحدة الجماهير العاملة العربية - اليهودية العريضة . ينبغي على العمال اليهود والعرب أن يسيروا ليس مع البرجوازيين الصهاينة ضد الجماهير الفقيرة ، وليس مع الاقطاعيين المتزمتين ، ولكن بوحدة أخوية ، يدا بيد ، في ضال مشترك ضد أعداء طبقتهم تحت راية الحزب الشيوعى » .

وأخيرا . » تسقط الامبريالية ، ليسقط وعد بلفور - ليسقط الاقطاعيون المتزمتون - ليسقط المغامرون الصهاينة - عاشت البروليتاريا الموحدة في فلسطين - عاش الاتحاد المستقل الحر للعمال والفلاحين لجميع الاقطار العربية - عاشت الثورة البروليتارية بقيادة الاممية الشيوعية - عاش الحزب الشيوعى فى فلسطين » (٢٧) .

وبالاضافة الى ذلك « فان الاممية قد أسهمت اسهاما كبيرا فى تكوين العديد من الكوادر الشيوعية العربية . واقتبال العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين العرب على الانخراط تدريجيا فى صفوف الاحزاب الشيوعية ، من خلال النضال الوطنى والاجتماعى اليومى » ووضوح سياسة هذه الاحزاب وخطتها الوطنية والاستقلالية » (٢٨)



فاذا انتقلنا الى الثلاثينات نجد الشيوعيين المصريين يواصلون المسير بنفسها تمسكا بالتوجه العربى واهتماما به .

ونطالع فى برنامج الحزب الصادر عام ١٩٣١ وفى البند الثانى منه النص التالى : « النضال من أجل تحرير كل الشعوب العربية من القهر الاستعمارى ، ومن أجل وحدة عربية شاملة تنظم فيها كل الشعوب العربية الحرة » .

وأكد أوقن أنها المرة الاولى التى يتضمن فيها برنامج سياسى لى حزب مصرى نصا بمثل هذا الوضوح وهذا التحديد حول قضية الوحدة العربية .

(٢٧) د . ماهر الشريف - المرجع السابق - ص ١٣٩ .
(٢٨) محمود الاطرش - رسالة بخط اليد مؤرخة فى ٢٧ - ٧ ١٩٦٩ .
أرسلها الى (المؤلف) بناء على طلب سابق والرسالة بعنوان « دور الاممية الثالثة فى تطور الوعى الوطنى والاجتماعى لدى الطبقة العاملة والشعب العربية » ص ٩ من المخطوط .

وفي الثلاثينات أيضا بدأ اليسار المصرى فى إقامة علاقات - ذات مغزى - مع الشيوعيين والقوى التقدمية العربية وبدأت صحفه تهتم بأبلغ الاهتمام بأخبار البلدان العربية وتطورات الامور وبدأ كتابه ينشرون عديدا من المقالات فى عدد من الصحف العراقية والسورية واللبنانية ٠٠ وهكذا نجد ضمن ملفات قضية الشيوعية التى أتهم فيها عصام الدين حفى ناصف فى ١٩٣١ مخطوطات لمقالات نشرها عصام فى مجلة « الحديث » اللبنانية وعندما سئل عن سر اهتمامه بالكتابة فى هذه المجلة قال انها مجلة تجديدية ، ثم أصول لمقالات نشرت فى « الاخاء الوطنى » العراقية و « القبس » البيروتية ، و « ألف باء » السورية ٠٠ الخ .

وعلى صفحات « الاخاء الوطنى » العراقية نطالع وعلى امتداد عدة سنوات تالية العديد من مقالات عصام الدين ناصف ، وتقدمه « الاخاء الوطنى » للقراء العراقيين قاتلة « ان عصام الدين ناصف شاب مصرى أشرب النزعة الحرة والتفكير الجرىء وسلك فى خدمة قومه مسلكا قومييا بنشر الافكار الجريئة بين ظهرائهم وبث الثقافة القومية التى تستند الى المبادئ العلمية والدراسات الاجتماعية العميقة » (٢٩) .

وفى صفوف عدد من الاحزاب الشيوعية العربية وخاصة الحزبين اللبناى والفلسطينى عملت الكوادر المصرية التى طردت من مصر أو جردت من جنسيتها انتظارا لفرصة سانحة كي تالود من جديد لتتأصل على أرض مصر ٠٠

والنماذج عديدة نكتفى منها بمحمد دويدار الذى خاض طريق الاهوال بحثا عن مسلك يعود به الى أرض الوطن بعد أن جرد من جنسيته ، وفى طريقه عبر تركيا الى سوريا ثم الى لبنان قدم نفسه الى قيادة الحزب هناك حيث عمل مسؤولا للأجهزة الفنية لفترة من الزمن حتى قبض عليه وحكم عليه بالسجن وأبعد من البلاد فاتجه الى فلسطين حيث شارك بدور نشيط فى أحداث ثورة ١٩٣٦ وبقي هناك أيضا عاملا فى صفوف الحزب الشيوعى الفلسطينى الى أن وجد فرصة سانحة عاد بها الى أحضان وطنه ٠ (٣٠) .

وبالمقابل قدمت الى مصر كوادر شيوعية عربية تسهم فى محاولات البناء الحزبى الصعبة بل والشديدة الصعوبة فى فترة الثلاثينات ٠٠ فاذا ماعدنا الى الوثائق السرية بوزارة الخارجية البريطانية والتى سمح بعرضها مؤخرا

(٢٩) الاخاء الوطنى ٤ - ٣ ١٩٣٤ .

(٣٠) لمزيد من التفاصيل راجع محضرى النقاش معه فى د . رفعت السعيد - اليسار المصرى - المرجع السابق . ص ٢٢٩ .

في المتحف البريطاني نجد وثيقة بعنوان « التقرير السنوى المرفوع من السفارة البريطانية الى وزارة الخارجية البريطانية عن عام ١٩٣٣ » وفي هذا التقرير فقرة معنونة « تقرير عن الشيوعية في مصر عام ١٩٣٣ ٠٠ » .
وتشير هذه الفقرة الى وجود كوادر شيوعية من البلاد العربية تعمل في صفوف العمال المصريين من بينها شيوعى سورى اسمه سالم يوسف واسمه الحقيقى محمد ومهيب المالك .
وثمة وثيقة أخرى عبارة عن ملاحظات مختصرة أوردها الرفيق سببانو* في أحد تقاريره وتشير الى سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى قنقلة « أنه العجوز ابراهيم - من الزقازيق - رفيق طيب ، ونشيط جدا متأثر بالرفاق السوريين » .



فاذا طوينا صفحة الثلاثينات تأتى الاربعينات ومعها الموجة العارمة من النشاط اليسارى الجارف في مصر ٠٠

ومنذ اللحظات الاولى كان اليساريون المصريون حريصين على الاهتمام بالاتوجه العربى وتنميتها في وجدان الشعب المصرى كله ٠٠ وفي وضع مفاهيم صحيحة لهذا التوجه ٠٠

واذا ما حاولنا أن نقلب وبسرعة صفحات المجلات اليسارية في مطبع الاربعينات فاننا نلاحظ اهتماما عارما بالقضايا العربية وبضرورة توحيد كل الشعوب العربية في معركتها ضد الاستعمار وبضرورة توحيد كل القوى الثورية العربية في المعركة الموحدة ضد الرجعية العربية ٠٠

والأمثلة عديدة بغير حصر ٠٠ وإيرادها يستغرق مجلدات كاملة وليس مجرد دراسة موجزة ٠٠ وهكذا لا يبقى أمامنا سوى الاكتفاء بإيراد بعض الأمثلة مؤكدين أنها مجرد نماذج من طوفان جارف من الاهتمام بالقضايا العربية والمصير العربى الواحد .

* ولنبدأ بالجامعة العربية التى استقبلتها الصحف اليسارية « كخطوة ايجابية ، وحدث دولى له مغزاه وأثاره ، فبهذه الخطوة تآجىع الدول العربية وتتكتل في تعاقده وثيق تصوغه وحدة شعوبها

(*) الرفيق سببانو أحد قادة الحزب الشيوعى الايطالى وقد وفد الى مصر حوالى عام ١٩٣٦ حيث أقام كلاجئ سياسى لعدة سنوات وهذه الملاحظات عبارة عن مذكرات مختصرة رفعها سببانو الى قيادة الحزب الشيوعى الايطالى عن النشاط الشيوعى في مصر في ذلك الحين . وهى مودعة في أرشيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى .

في مصالحها الأساسية ومثلها العليا .. والاثر البارز لجامعة الدول العربية هو أنها ستجرد القضايا الوطنية للشعوب العربية من الصيغة التي غلبت عليها إلى الآن .. صيغة التفكك والتجزؤ » .

ويمضي المقال المنشور في مجلة « الفجر الجديد » ليؤكد أن أول واجبات الجامعة العربية هو حل القضية الفلسطينية « وفلسطين هي التي ستمسجل دون ريب أول انحصار للجامعة العربية بتحريرها من الصهيونية الاستعمارية التي ترمى إلى استغلال شعبها العربي واستعباده . وحينذاك سيخلد للعرب في تاريخ التقدم الانساني فضل القضاء على ركن قوى من أركان الاستغلال الاستعماري في العالم » .

ويطالب الكتاب المهينين على الجامعة العربية بأن « يشعروا الشعوب العربية بأن سياسة الجامعة إنما تجرى لصالح الجميع .. لصالح الشعوب ، لا لمنفعة فئات ضئيلة منها لا يعنينا إلا الاستغلال والاثراء » (٣٢) .

لكن نفس المجلة تهاجم الجامعة العربية لانها تتجاهل قضية سوريا ولبنان وتنعى على الجامعة أنها « اتحاد دول .. أي اتحاد طبقات حاكمة وليست اتحاد شعوب » (٣٣) .

وفي مقال بعنوان « مستقبل العلاقات الاقتصادية في الجامعة العربية » تقول الفجر الجديد « ولكن جامعة الدول العربية .. جامعة دول - كما سميت بحق - وقد تغاضت عن مطالب الشعوب العربية الاقتصادية وأغفلت تغفل الرأسمال الاجنبي في حياتها الاقتصادية ولم تبال بأن الاستعمار يخنق الآن الطبقات الشعبية العربية . لماذا ؟ لان هذه الجامعة جامعة دول وليست جامعة شعوب ، فهي تمثل الطبقات الحاكمة دون غيرها .. وبهذا يتضح ان حل المسائل الاقتصادية للشعوب العربية معقود بتحرر هذه الشعوب من الاستعمار تحررا لا يقتضى عن طريق الزعماء والسياسة الرسميين ، بل عن طريق الكفاح الشعبى نفسه » (٣٤)

وتؤكد « الفجر الجديد » في موضع آخر « ان شعوب الشرق الطامحة الى الحرية لا تنتظر شيئا من الجامعة العربية الا اذا أصبحت جامعة للشعوب

(٣٢) الفجر الجديد ١٦ - ٥ - ١٩٤٥ .

(٣٣) الفجر الجديد ١ - ٧ - ١٩٤٥ .

(٣٤) الفجر الجديد ١٦ - ٩ - ١٩٤٥ .

العربية تمثل فيها شعوب الشرق العربي تمثيلا صحيحا فتعمل على توثيق العلاقات بينها والتضامن ضد الاستعمار» (٣٥) .

وتلوم « الفجر الجديد » مجلس الجامعة لانه بتكوينه الحالي يقف حائزا بين الشعوب العربية وبين التحرر . ان مجلس الجامعة غير جاد في محاربة الاستعمار ومقترح في محاربة عميلة وصناعة الاستعمار الا وهي الصهيونية» (٣٦) واذا كان اليسار المصرى قد نعى على جامعة الدول العربية أنها جامعة دول ولا تضع وزنا للشعوب فقد ركز كثيرا من جهده من أجل ايفاظ روح التضامن والناخى بين الشعوب العربية .

ولعل انكثريين لا يعرفون أن اليسار المصرى كان صاحب فكرة تأسيس اتحاد للعمال العرب .

فعندما انتهت أعمال مؤتمر نقابات العمال العالمى الذى عقد ببوايوس فى سبتمبر ١٩٤٥ وجهت « لجنة العمال للتحرير القومى - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » وهى منبر يسارى عمالى الدعوة للموفود العربية فى المؤتمر للمرور بالقاهرة حيث استقبلت من جانب الجماهير العمالية استقبالا حافلا . وفى حفل الاستقبال الذى نظمته نقابات العمال بالاسكندرية تكررت النداءات والخطب مطالبة « بوجود تأليف اتحاد عام لعمال الشرق العربى » (٣٧) وسرعان ما تبنت « الضمير » وهى مجلة يسارية عمالية هذا المطلب كواحد من اشعارات الهامة التى رفعها اليسار المصرى فى ذلك الحين .

وعلى صفحات « الضمير » يمكننا أن نطالع مقالات عديدة لعدد من النقابيين العرب ابراهيم بكري (سوريا) مصطفى العريس (لبنان) مخاض عمرو وبولس فرح (فلسطين) .

والى جانب المناضلين العرب وقف اليسار المصرى مدافعا وحاشدا كل قواه وقوى شعب مصر استنكارا لحملات الاضطهاد ضدهم .

ومرة أخرى نحن مجبرون على اختيار مثال واحد .

فعندما نظمت الحملة الارهابية ضد الشيوعيين العراقيين عام ١٩٤٧ ، وقفت مجلة « الجماهير » وكانت المنبر العلنى لمنظمة « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى - حدتو » بكل قواها استنكارا لهذا الارهاب . وتبدأ الحملة

(٣٥) الفجر الجديد ١ - ١٠ - ١٩٤٥ .

(٣٦) الفجر الجديد ١٦ - ١٢ - ١٩٤٥ .

(٣٧) الضمير ٧ - ١١ - ١٩٤٥ .

بمقال كتبه حمدي (الاسم المستعار لشهدى عطية الشافعي) بعنوان « حملة صليبية في العراق » تحدث فيها عن حملة الارهاب التي شنها النظام الرجعي بالعراق ضد كل القوى الوطنية هناك » .. وكان نصيب الشيوعيين العراقيين من الارهاب كبيرا ، فقد شنت ضدهم حربا واسعة شاملة وانتهى الاطاف بالقبض على « يوسف سليمان » سكرتير الحزب الشيوعي .. انها حملة صليبية خاسرة جربها هتلر وهوسوليني فكان مصيرها الهزيمة الساحقة .. وكان النصر للشعوب » (٢٨) .

وعندما حكم بالاعدام على الرفيق فهد ورفاقه شنت « الجماهير » حملة عنيفة وتخرج بافتتاحية عنوانها « ينصبون المشانق للوطنيين » جاء فيها « حكم رهيب .. لم يسبق قط لحكمة في الشرق العربي أن أصدرته . حكم بالاعدام على ثلاثة من العراقيين وبالسجن مدى خمسة عشر عاما وبأحكام أخرى مختلفة على آخرين .. بتهمة الشيوعية اعدام ؟ سجن خمسة عشر عاما ؟ أى جريمة ارتكبتها القوم ... » .

وتحذر « الجماهير » القوى الوطنية في العراق فاذا « كانت هذه الضربة المسمومة تصوب اليوم الى أشد المعارضين صلابة بحجة أنهم شيوعيون فلن تلبث الضربة أن توجه في الغد الى كافة أحزاب المعارضة العراقية ... اننا نهيب بالضيم المصرى والمعارضة المصرية والمنظمات الشعبية المصرية والجامعة العربية والحكومة المصرية أن ترفع صوت الاستنكار يصك أذان المستبدين والظغاة .. »

انها ليست مسألة العراق ، وانما هي مسألة الشرق العربى ومكانته أمام الشعوب الاخرى مسألة الحريات المقدسة . فليدو صوت الشعوب العربية صارخا : الغوا حكم الاعدام .. انقذوا هذه الرقاب .. امنعوا اقتراف الجريمة » (٢٩) .

وفي الصفحة نفسها كاركاتير يصور الرجعية العراقية والاستعمار البريطانى ينصبون مشنقة ويقولون « لكل دوره .. ولنبدأ بالشيوعيين » .

وفي نفس العدد صفحة كاملة عنوانها « يا أيها الوطنيون في مصر والشرق العربى . أوقفوا هجوم الاستعمار . طالبوا بزوال المشانق من العراق أوقفوا الاستبداد عن جماهير شعبنا » وبدائية الموضوع فقرة تقول ان الشرق

(٢٨) الجماهير ٩ - ٦ - ١٩٤٧

(٣١) الجماهير ٣٠ - ٦ - ١٩٤٧ .

الأوسط قد تحول بفضل سيطرة الحكومات الرجعية الى معسكر اعتقال ..
ثم تنتقل « الجماهير » الى دراسة الوضع في العراق وكيف تسلطت حكومة
نوري السعيد على الحكم لتتقود البلاد الى أحضان الاستعمار .. ثم تتحدث
عن أحكام الاعدام على الشيوعيين فتقول « اننا لنحس في مصر معنى
شنق الوطنيين ، فما يزال في ذاكرة شعبنا حادثة دنشواي . ولا أحسب أن
جماهير شعبنا تغض العين عن دنشواي العراق » (٤٠) .

وفي العدد نفسه أيضا قصيدة « العدالة والمواثيق » لمحمود توفيق ..
وفي عدد لاحق قصيدة كمال عبد الحليم « وتعدلون فيأتي عدلكم عجباً » (٤١)
والتي أهداها كاتبها الى الرفيق فهد وزملائه .

وفي أعداد تالية تواصل « الجماهير » حملتها . وعندما يمر الامر
عبد الاله الوصي على عرش العراق ونوري السعيد بمصر وكانا في طريقهما لانجلترا
تستقبلهما « الجماهير » بمقال عنوانه « ماذا يدبرون للعراق ؟ ينصبون
المشائق - يعلنون الاحكام العرفية - ومفاوضات على غرار صدقي - بيفن » (٤٢)

واذا تحدثنا عن التوجه العربي والاهتمام بقضايا الوحدة العربية
وانتضامن العربي فان القضية المحورية في ذلك كله كانت في نظر اليسار
المصرى هي قضية فلسطين .

ومرة أخرى نود أن نؤكد أن زمنا طويلا - حتى في الاربعينات - قد
مضى واليسار يقف وحده تقريبا مدافعا - بصدق ومن منطلقات صحيحة
- عن الحق العربي في فلسطين وأنه وحتى - في الاربعينات - كانت الرجعية
المصرية الحاكمة تتعاطف مع الصهيونية وتحميها من هجمات اليسار المصري
عليها .. لكننا لا نريد أن نمسح الأحداث فان في الوثائق - التي هي
دعامة هذا الكتاب - ما يكفي لتأكيد ذلك .



لكننا برغم كل ما سبق ، لا نستطيع أن ننقل الى تأمل « الوثائق »
والتي تتضمن استعراضا للموقف المتكامل لليسار المصري ازاء القضية
الفلسطينية ، بغیر أن نلقى بقعة صغيرة من الضوء على بعض الحقائق
الهامة .. نعتقد أنها لازمة وضرورية لوضع مواقف القوى السياسية
في اطارها العام .

(٤٠) المرجع السابق .

(٤١) الجماهير ٢٤ - ٧ - ١٩٤٧ .

(٤٢) الجماهير ٢١ - ٧ - ١٩٤٧ .

ولنبدأ بالطائفة اليهودية ، التي ظلت لفترة طويلة قليلة العدد - ٧٠٠٠ نسمة - (٤٣) ثم تزايد عددها فجأة بعد الاحتلال الانجليزى لمصر ليصل الى ٢٥٠٠٠ نسمة (٤٤) ، ومع ترسيخ « الامتيازات الاجنبية » التي منحت للمستثمرين الاجانب حقوقا قانونية واقتصادية غير محدودة تزايدوا أيضا . ثم تزايدوا مرة أخرى عند اندلاع الحرب العالمية الاولى ، فمع احساس الدولة العثمانية بخطر النشيط الصهيونى فى فلسطين والشام عموما « أصدر الرالى العثمانى أحمد جمال باشا فى يناير عام ١٩١٥ - أمرا بتحريم نشاط العناصر الهدامة التى تسعى لانشاء حكومة صهيونية فى أرض فلسطين واتخذ جمال باشا سلسلة من الاجراءات العنيفة انتهت بهجرة العديد من اليهود الى مصر » (٤٥) .

وثمة احصاء عن تطور حجم الطائفة اليهودية فى مصر يورد الارقام التالية :

عدد أفراد الطائفة الاسرائيلية فى مصر (٤٦)

السنة	العدد
١٨٣٥	٥٠٠٠
١٨٩٧	٢٥٢٠٠
١٩٤٧	٦٤٨٤

وثمة احصاء ورد فى أحد وثائق السفارة الامريكية يقول ان عدد اليهود فى مصر (عام ١٩٤٧) يتراوح ما بين ٧٥٠٠٠ و ٨٠٠٠٠ أى حوالى ٤ أو ٥٪ من مجموع السكان ، ويقيم ٤٥٪ أو ٥٠٪ منهم فى القاهرة وحوالى ٣٥٪ أو ٤٠٪ بالاسكندرية (٤٧) .

43) A.B. Clot Bey — Aperçu General sur l'Egypte — Paris, 1840 — Vol, 1, P. 243.

44) P.M. Holt-Political-Social change in Modern Egypte — Oxford — 1968, P. 198.

(٤٥) أحمد محمد غنيم ، وأحمد أبو كف - اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ١٨٩٧ - ١٩٤٧ كتاب الهلال . يونيو ١٩٦٩ ص ٢١ .

(٤٦) د. على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية - يهود البلاد العربية - منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث - دراسات فلسطينية - ٨ يونيو (حزيران) ١٩٧١ - ص ١٥٩ .

47) 319/431992 — 12/22/47.

لكن العبرة ليست بالارقام ، وانما بثقل وحجم النشاط السياسى والاجتماعى ، ذلك أنه فى غيبة الشعور بالعروبة لدى حكام مصر استطاعت القوى الصهيونية أن تمارس نشاطا واسعا دونما عائق أو رقيب .

وفى ١٩٠٨ تأسست فى الاسكندرية جمعية « بنى صهيون » والتي أعلنت تأييدها لبرنامج المؤتمر الصهيونى الاول الذى عقد فى بال فى ١٨٩٧ . وفى الاسكندرية أيضا تأسست جمعية أخرى أسماها « زئير صهيون » (٤٨) بل أن الصهيونيين فى الاسكندرية قد قاموا بحملة علنية بعد الحرب العالمية الاولى لجمع أموال لشراء أرض فى فلسطين لحساب الحركة الصهيونية وقد جمعوا مبلغا قدره ١٣ ألف جنيه (٤٩) .

بل لقد وجد الصهيونيون الجراة لاصدار صحف صهيونية صرفه تدعو للمبادئ الصهيونية مثل « الرسول الصهيونى » و « المنبر اليهودى » . الخ .

وهناك أيضا جريدة « ليبيرتيه » التى أصدرها عام ١٩٢١ . « ليون كاسترو » وهو شخصية محيرة ، فقد كان صديقا لسعد زغلول . واعتبر نفسه وفديا ، وأسهمت جريدة « ليبيرتيه » فى الدعوة للوفد الى حد أن البعض تحدث عنها قائلا « صاحبها يدعى المسيو ليون كاسترو ، وقد نهض بسياسة زغلول ، ويقال أن لها من الوفد معونة » .

غير أن الكاتب نفسه يضى قائلا « اقتضرت هذه الجريدة على معالجة المسائل التى تمس اسرائيل ، على أن شيئا من جموح قلم أحد المحررين أو غضبه أثارها تعريض اللورد توكليف بالصهيونية أثناء مروره بأورشليم أظهرت طرف الاذن السامية » (٥٠)

لكن الثقل الاساسى للطائفة أتى فى نموها الاقتصادى ومن سيطرتها على أعصاب حساسة فى الاقتصاد المصرى . « ومع مضى الزمن بدأ تواجد اليهود يتزايد خلال عمليات تطوير البنوك والتجارة وفى صناعات معينة وخاصة صناعة السكر والقطن والفحم والسكك الحديدية » (٥١) فقد قيل أن ٩٨٪ من العاملين فى البورصة المصرية كانوا من اليهود (٥٢)

(٤٨) أحمد محمد غنيم ، وأحمد أبو كف المرجع السابق ص ٢٠

(٤٩) د . على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية ، المرجع السابق ، ص ١٧٩

(٥٠) المرجع السابق ص ١٣٠ .

51 Murray Harris -- Egypt under Egyptians -- London -- 1925 -- P. 163

(٥٢) د . على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية ، المرجع السابق ص ٦٢ .

وقيل أيضا « أنه في عام ١٩٤٢ كان الرأسماليون اليهود يشاركون في إدارة وتوجيه ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨ شركات هي كل الشركات الموجودة في مصر آنذاك ، وفي ميدان النشاط المالي ساهم اليهود في انشاء وتوجيه البنوك وشركات التأمين وأهمها البنك العقاري المصري ، البنك الاهلي المصري ، البنك البلجيكي ، البنك التجاري المصري ، شركة الاسكندرية للتأمين وشركة التأمين الاهلية المصرية » (٥٣) .

بل ان البعض يؤكد أن نفوذا كبيرا قد مارسه كبار الرأسماليين اليهود داخل بنك مصر نفسه (٥٤) .

« وفي مجال الاستغلال الزراعي أنشأ يهود مصر عددا من شركات الاراضى الزراعية التى تعمل على امتلاك الاراضى واستغلالها والمضاربة فيها ، وتمويل المشاريع العقارية والصناعية ومنها شركة البحيرة المساهمة ، وشركة وادى كوم أمبو ، وشركة اراضى الدلتا (أسسها موصيرى عام ١٩١١ وكانت تملك صاحبة المعادى) وشركة لتجفيف الاراضى كانت قد أسستها عائلة سموحة عام ١٩٣٠ » (٥٥) ، كذلك كانت الاسر اليهودية الغنية مثل أسر قطاوى وهرارى ورولو وموصيرى وسوارس تلعب دورا هاما في النشاط الزراعي والعقارى (٥٦) .

ولقد تعددت أن أورد هذه المعلومات لسبب بسيط ، وهو ان كبار الرأسماليين اليهود كانوا هم أنفسهم - في أغلب الاحيان - كبار الصهيونيين ، وان عوامل التغاضى عن النشاط الصهيونى الذى اتسع نطاقه في الاربعينات في مصر لم تكن ناجمة فقط عن فقدان الاحساس العربى لدى حكام مصر من بورجوازيين وكبار ملاك ، ولم تكن فقط بسبب سيطرة الانجليز على أجهزة الامن المصرية ، وانما أيضا - وهذا هام جدا - لانه كان هناك تلاحم عضوى وتشابك في المصالح الاقتصادية بين الفئات العليا من البرجوازيين ، وقد أدى هذا التشابك الوثيق في المصالح الاقتصادية الى حماية كثير من العناصر الصهيونية حتى بعد أن تاجرت الرجعية بشعارات العداء للصهيونية .

لقد أدى التشابك في المصالح الاقتصادية والاجتماعية ، الى تحالف غريب أدى بدوره الى نتائج أغرب .

(٥٣) المرجع السابق ص ١٦٥ .

(٥٤) راجع محضر النقاش مع البير آرييه .

(٥٥) د . على ابراهيم عبده ، خيرية قاسمية - المرجع السابق ص ١٦٦
56) Gabriel Bear — A history of landownership in modern Egypt, 1800-1950
(London — 1962) — P. 30

فقد تأسس في مصر وعلنا وفي الأربعينات « الاتحاد الصهيوني بمصر »
وهو منظمة صهيونية سافرة لم تخف وجهها وكان مقرها معروفا للجميع .
أما نوعية هذه المنظمة وطبيعة نشاطها وأهدافها فاننا سنلجأ للتعرف عليها
بن واقع وثيقة هامة هي « لائحة » هذا التنظيم .

وتقول : ان لائحة « الاتحاد الصهيوني بمصر » يتكون من تجمع
لصهيونيين المقيمين على أرض مصر . وهو يمثل الفرع المصري في المنظمة
الصهيونية العالمية « وتمضى مادة ١ من اللائحة قائلا « ويسعى الاتحاد لتوحيد
حيود الصهيونيين الموجودين بمصر بهدف تحقيق الافكار الصهيونية وتأكيد
برنامج « بازل » والقرارات التي يتخذها المؤتمر الصهيوني والقيادة التي
يختارها هذا المؤتمر » .

. أما المادة الثانية فتقول « يتكون الاتحاد الصهيوني بمصر من
ثلاثة فروع :

- فرع القاهرة .
- فرع الاسكندرية .
- فرع بورسعيد .

ومن غير ما من الفروع التي سوف تنشأ في المدن الاخرى بمصر « (٥٧)
أما المادة ٢٢ فتتص على أن الاتحاد الصهيوني بمصر « يختار مندوبيه
الى المؤتمر الصهيوني العالمى » .

ولعل من حق اليهود المصريين علينا أن نذكر لهم انهم لم يكونوا جميعا
يؤبدون خطط الصهيونية - على الاقل بالنسبة لتهجير الشباب اليهود الى
فلسطين .

وتحت جنا عدد وثائق تؤيد ذلك .

فخمة رسالة من ربنيه بك قطاوى رئيس الجالية اليهودية بمصر موجهة
الى « ليون كاسترو رئيس اللجنة المركزية للاتحاد الصهيوني بمصر » وتحذر
هذه الرسالة من خطر الممارسات الصهيونية في مصر « بما يؤدى الى تشكيك
الشباب اليهود في ولائهم للبلاد الذى نشأوا فيه والذى عاملهم بترحاب » .
وقال « ان مثل هذه الممارسات والتي يتحمل الاتحاد الصهيوني مسئوليتها
نؤدى الى استفزاز الرأى العام المصرى » (٥٨) "

(٥٧) وثيقة باللغة الفرنسية مكتوبة بالالة الكاتب، ومطبوعة بالرونو
ومعنونة :

Statuts de la Fédération Sioniste d'Egypte

(٥٨) رسالة بالالة الكاتبة الفرنسية مؤرخة ١ يناير ١٩٤٥ موقعة « رئيس
الجالية - ربنيه بك قطاوى » مودع صورة منها بالارشيف العام بالمتحف
البريطانى تحت رقم
F.O — 371 — 45404

وثمة رسالة أخرى وجهها رينيه بك قطاوى رئيس الجالية اليهودية الى ليون كاسترو ولكنه وجهها اليه هذه المرة بصفته « ممثل الوكالة اليهودية بفلسطين فى القاهرة » .

وهذه الرسالة تنتقد بشدة عملية تهجير « الشباب اليهود من الجنسین وتقول ان الحاخام الاكبر لليهود فى مصر قد تلقى عدة شكاوى من عديد من الاسر بسبب الدعايات التى تدعو أبناءهم من الجنسین للهجرة الى أرض الميعاد وترك عائلاتهم .. وتقول الرسالة :

« ان جاليتنا تعتبر أن مثل هذه الدعايات تضر بالعلاقات الاسرية وتهدد استقرار الاسر تهديدا خطيرا » .

وتمضى الرسالة « اننا كيهود ، وكمواطنين فى بلد ديمقراطى نعتقد أن لكل يهودى ، امل الحرية فى اعتناق ما يشاء من أفكار ، ولكننا كمسؤولين عن اندناع عن مصالح الجالية اليهودية بمصر فان مجلسنا لا يمكنه أن يقبل بالأنشطة اليهودية الجماعية التى تضر باستقرار الجالية ، أو التى تضر بغالبية المجتمع المصرى التى تعتبر الجالية اليهودية نفسها جزء منه » (٥٩) .

وثمة وثيقة شائعة هى برقية من السفارة الامريكية بالقاهرة مودعة بأرشفيف وزارة الخارجية الامريكية تقول :

« قام عدد من كبار أعضاء الجالية اليهودية فى بورسعيد بزيارة محافظ القنال سعادة فؤاد شيرين باشا فى ٣١ مايو ١٩٤٨ وسلموه وثيقة تؤكد ولاء كافة أعضاء الجالية اليهودية فى بورسعيد وتؤكد معارضتهم لقيام دولة اسرائيل وتؤكد الوثيقة أنهم قد عوملوا على الدوام معاملة طيبة من جانب السلطات المحلية المصرية وانهم لا ينتمون الى أى وطن آخر غير مصر وشهد وقعت هذه الوثيقة من كل من : (٦٠)

(٥٩) رسالة بالالة الكاتبة الفرنسية مؤرخة فى ١١ أكتوبر ١٩٤٤ موقعة « رئيس الجالية - رينيه بك قطاوى - وبرغم أنها ليست موجهة الى شخص محدد بالاسم الا أن صورة الرسالة المودعة بالمتحف البريطانية مؤشر عليها بالحبر « رسالة الى ليون كاسترو » والرسالة مودعة تحت رقم F.O — 371 — 45404 (ذات الرقم السابق) .

(٦٠) الوثيقة مودعة بأرشفيف وزارة الخارجية الامريكية تحت رقم 319 — 468587 — 6/6/4٤

• - دافيد حزان - مدير الشركة الفرعونية •

- سالون سوريانو - موظف بشركة قنساء السويس (وقد ورد اسم سالون سوريانو في تقرير « سبانو » عن الحركة الشيوعية المصرية المحفوظ بأرشيف الحزب الشيوعي الايطالي ويؤكد سبانو أن سالون سوريانو وشقيقه انوار سوريانو كانا شيوعيين* وثمة اشارة أخرى في محضر نقاش مع ايلي ميزان يقول فيها ان ادوارد سوريانو كان شيوعيا وقد تعاون مع الحزب الشيوعي الفرنسي في اصدار كتاب بعنوان الادب والاستعمار) **•

- - حزاقل باروخ - تاجر والوكيل المحلي لافلام كوداك •
- - بيهور شيمون •
- - انو بيندرلى - شريك في محل سيمون آرت •
- - جاك كانوب - مدير مبيعات شركة سوكانى فاكوم •
- - ايزاك مصرى - تاجر •
- - أهارون جوروفتش - صاحب مطبعة •
- - فيتا جولدمان - تاجر •

ولكن ، وعنما تقدم الشيوعيون اليهود للصراع ضد النشاط الصهيونى ، كانت أجهزة الامن تقف الى جانب الصهيونيين وتحميمهم •• وتنشر جريدة « صوت الامة » (الجريدة الوفدية المعارضة) في محاولة يائسة لاستثارة الشعور القومى لدى حكام مصر خبر المعركة التى نشبت في نادى « مكابى الظاهر » وكيف تجمهر الشيوعيون اليهود واقتحموا النسادى الذى أغلقت أبوابه بتعاون وثيق بين الصهيونيين والبوليس المصرى ، وهتف 'لشيوعيون' تسقط الصهيونية « » يحيا الشعب المصرى « وتمضى « صوت الامة » لتروى واقعة خطيرة فتقول « ولقد بلغت القحة بأحد الصهيونيين وهو البرت خاتشويل الى حد الاعلان أمام رجال البوليس المصرى بأنه صهيونى لحما ودما وأنه ينتمى الى عصابة شتيرن ، وأنه سيمضى في طريقه ولن تستطيع قوة أن تحد من عمله « (٦١) •

•*• لمزيد من التفاصيل راجع د• رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - (المجلد الاول) ١٩٠٠ - ١٩٤٠ - دار الامل - القاهرة (١٨٧) - ص ٥١٧ •

•*• لمزيد من التفاصيل - المرجع السابق ص ٦٦٧ •

(٦١) صوت الامة ٢٦ - ٤ - ١٩٤٧ •

ولم تحرك الحكومة ساكننا ..

ويعود الشيوعيون الى التحذير مرة أخرى ، ولا يكتفون بالكتابة في مجلاتهم ، إنما ومن خلال تحالف محدود مع بعض العناصر الوفدية يكتب أحد كوادرهم سلسلة من المقالات المثيرة بعنوان « أوكار الصهيونية في مصر » (٦٢) .

ولم تحرك الرجعية المصرية الحاكمة ساكننا ..

ويقبض البوليس المصرى وبالمصادفة البحتة « في أكتوبر ١٩٤٦ على ثلاثة أشخاص حاولوا شراء ستمائة مسدس من أمين أحد مخازن الاسلحة الحكومية وكان هؤلاء الثلاثة ينوون تهريبها الى الحركة الصهيونية في فلسطين » (٦٣) .

بل أن الامر قد وصل الى حد أن القطن المصرى كان يصدر الى اسرائيل بعد أن قامت كدولة وبعد أن خاض الجيش المصرى معارك القتال الدامى ضدها ..

وكان ذلك بالتحديد فى أوائل عام ١٩٥٠ ..

وقد كشفت هذه الواقعة - عرضا - دون أن يهتم بها أحد لا قبل أن تكشف ولا بعد أن كشفت وكأن الامر طبيعيا تماما .

والواقعة تبدأ عندما اتهمت جريدة « آخر لحظة » حكومة الوفد بأنها تقرض رقابة على التليفونات ونفى وزير الداخلية فؤاد سراج الدين ذلك ، بل ورفع دعوى على رئيس تحرير آخر لحظة .. واستحضر رئيس التحرير عديدا من المسؤولين السابقين كلهم يؤكد قصة الرقابة على التليفونات وكان زكى عبد المتعال باشا واحدا منهم ، فأكد أنه عندما كان وزيرا للمالية عرضت عليه فى فبراير ١٩٥٠ تسجيلات لمكالمة تليفونية لشخص أجنبى ، قامت بتسجيلها « مراقبة التليفونات » .

(٦٢) صوت الامة ٢٥ - ٤ - ١٩٤٧ (وقد نشرت المقالات دون توقيع لكن الباحث الفلسطينى عبد القادر ريس أورد فى دراسة أعدها عن الرابطة الاسرائيلية المناهضة للصهيونية فى مصر أن كاتب هذه المقالات هو المحامى مصطفى كامل منيب) .

(٦٣) صوت الامة - ١٩ - ١٠ - ١٩٤٦ .

وسأله الدفاع « ما الذى كشفت عنه المحادثة التليفونية التى رفعت اليك ؟ » .

وأجاب الرجل ببساطة شديدة « الحديث الذى رفع الى كان عن صفقة النطن الذى للشركة التى يمثلها ذلك الشخص الاجنبى وهل من الافضل تصديرها من مصر الى فرنسا ومنها الى تل أبيب ، أو تصدر من مصر الى ايطاليا ومنها الى تل أبيب » (٦٤)

والغريب فى الامر . . ان هذا الحديث العابر لم يلفت انتباه أحد .

ولم يحرك حكام مصر ساكنا . . كانت كل حركتهم موجهة ضد اليسار وحده ، بل ولحماية النشاط الصهيونى من هجماته ولسوف نرى فى « وثائق » هذا الكتاب الكثير الكثير من حملات الحكومات الرجعية ضد أى تحرك يسارى يدين الصهيونية أو يفضح نشاطها .



وفى ٢ نوفمبر ١٩٤٥ برزت ظاهرة جديدة على مسرح العمل السياسى المصرى ربما كانت الاولى من نوعها فى التاريخ المصرى الحديث ، وهى محاولة بعض الاحزاب السياسية (الاخوان المسلمين ، ومصر الفتاة بالتحديد) تحويل الصراع ضد الصهيونية والكفاح لتأييد حقوق شعب فلسطين ، الى عمل عنصرى موجه ضد اليهود كيهود .

وفى ذكرى وعد بلفور ١٩٤٥ ، حاول المتظاهرون المنتمون الى هذين الحزبين القيام بعملية تخريب ضد المحلات والمنشآت المملوكة لليهود . .

وكان ذلك تطورا خطيرا لاساليب التناول السياسى للقضية الفلسطينية أو للقضايا العربية عموما .

وحتى بعض الصحف الوفدية تورطت هى أيضا فى الخلط بين الهجوم على الصهيونية وهو أمر مفترض وبين الهجوم على اليهود كيهود . .

(٦٤) من كتاب أصدره عام ١٩٥٢ حزب الاحرار الدستوريين ، وكتب مقدمته ابراهيم دسوقي أباطة باشا . والكتاب بعنوان « على هامش قضايا الغدر . نعلم من هنا » . ص ١٢٨ .

وتشير برقية من السفارة الامريكية الى وزارة خارجيتها الى هذه الواقعة
قائلة « البلاغ وهى الجريدة الوفدية المسائية ، وكذلك الزمان وهى جريدة
جديدة موالية للقصر نشرتا مقالات وافتتاحيات اتهاجم اليهود . وقد شاركت
جريدتا الاخوان والمصرى فى هذه الحملة . » (١٥)

وبصلاية وشجاعة جابه اليسار المصرى هذه الدعاوى العنصرية ، ليس
نفط تمسكا بالجانب المبدئى من سياسته وهو رفض العنصرية بكل أشكالها ،
ولا تمسكا بالثقاليد العريقة لشعب مصر ، وانما أيضا استشعارا لخطورة
هذه الدعاوى على موقف يهود مصر أنفسهم ، ذلك أن هذه الحملات العنصرية ،
كانت متفكة اتفقا زمنيا غريبا بل ومريضا مع تزايد النشاط الصهيونى
لحدث شباب اليهود المصريين على الهجرة لفلسطين . .

وكان اليسار المصرى يدرك أن العنصرية لا تجر وراءها سوى العنصرية
وأن موقفا عنصريا من طرف سوف يجردنا موقفا مائلا من الطرف الاخر .

وفتح اليسار المصرى ميدان معركة جديدة . . فأدان هذه المواقف العنصرية
مؤكدًا أن الصهيونية « قد استفادت من توجيه حركتنا فى ٢ نوفمبر وجهة
خاطئة ، اذ حصلت على دليل قوى ضد الشعوب العربية . انها لا تحترم
الاقلية اليهودية وأنه لا منجى لليهود الا اذا تجمعوا فى بلد واحد » (٦٦) .

وكانت الخطوة التالية التى لجأ اليها اليسار فى مجابهة الدعاوى
العنصرية ، هى تأسيس « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » وذلك
لاقناع جماهير الشعب المصرى بخطأ الدعايات الفاشية ولتعميق الفرق الواضح
بين من هو يهودى ومن هو صهيونى . . كذلك استهدفت الرابطة استقطاب
تيسار يهودى يرفض الهجرة ويتشبث بالبقاء فى مصر . .

ويكفى أن نقول أنه برغم كل النشاط الصهيونى الذى تركز - لاسباب
عديدة - على مصر وخاصة فى فترة الحرب العالمية الثانية فقد نجح اليسار
المصرى مستندا الى تراث وثقاليد مصر فى افشال محاولات تهجير الشبان اليهود
من مصر الى فلسطين .

(٦٦) الفجر الجديد - العدد رقم ١٣ - وقد صدر بغير تاريخ . لكن المؤكد
أنه العدد التالى مباشرة لاحداث ٢ نوفمبر ١٩٤٥

وبرغم هذا النشاط الصهيونى المتزايد ، والذى قوبل بتساهل مريب من السلطة الرجعية والتي اتخذت موقف « السكوت دليل الرضى » . وبرغم الحملات العنصرية التى نظمها أعضاء الاخوان المسلمين ومصر الفتاة التى استهدفت « تطفيش » يهود مصر واقناعهم بصحة الدعاوى الصهيونية فانه حتى عام ١٩٤٨ لم يهاجر الى فلسطين من مصر الا « عدد ضئيل » (٦٧)

ورفقا لرواية أخرى تحاول أن تعطى رقما دقيقا بلغ عدد المهاجرين ١٨٤٥ شخصا فقط (٦٨) .

وحتى عندما تمت هجرات جماعية من يهود مصر فان معظمهم لم يتجه الى اسرائيل ونعود مرة أخرى الى الارقام « فى أغسطس ١٩٤٩ أعلنت الحكومة المصرية رفع القيود على السفر ، وكانت قد فرضتها مع الاحكام العرفية فى مايو ١٩٤٨ ، وقيل أنه قد ترك مصر فيما بين أغسطس ١٩٤٩ ونوفمبر ١٩٤٩ - ٢٠٠٠ يهودى ، وصل منهم الى اسرائيل ٧٢٦٨ فقط » (٦٩)

وهكذا يمكن القول بأن نشاط اليسار المصرى تجاه القضية الفلسطينية فى ذلك الحين كان يدور حول المحاور الثلاث الاتية :

✽ الكفاح ضد الصهيونية وفضحها ومحاولة عزلها عن جماهير اليهود المصريين .

✽ الكفاح ضد الرجعية وفضح تحالفها مع الصهيونية ، وفضح تبعيتها الكاملة للاستعمار ومخططاته ، لدى بحث أى حل للقضية الفلسطينية

✽ الكفاح ضد الدعاوى العنصرية ، وكشف وجهها الاستعماري والرجعي باعتبارها خير مشجع على انجاح مخططات الصهيونية

وثقة أمريكية تؤكد « ان أكثر الهيئات المصرية نشاطا فى الدفاع عن عرب فلسطين هى الهيئات الديمقراطية (التى يقودها الشيوعيون) ومنها مجلة أم درمان (عبده دهب . محمد أمين حسين) ، مجلة الفجر الجديد (أحمد رشدى صالح - أبو سيف يوسف) ، رابطة فتيات الجامعات (لطيفة

(٦٧) راجع محضر النقاش مع البير آرييه .

(٦٨) د . على ابراهيم عبده ، وخيرية قاسمية - المرجع السابق ص ١١١

(٦٩) المرجع السابق ص ١٨٤ .

الزيات) لجنة نشر الثقافة الحديثة (سعيد خيال) ، دار الابحاث العلمية
(شهدى عطية) (٧٠)



وبغض النظر عن أن اليسار المصرى قد ثابر منذ البداية على المطالبة
باستقلال فلسطين وانسحاب قوات الانتداب البريطانى منها واقامة « دولة
موحدة ديمقراطية مزدوجة القومية فيها » .

وبرغم أنه حذر ، وحذر في عشرات من بياناته ومنشوراته من أن الدعاوى
العنصرية التى تروج لها الصهيونية من جانب ، والرجعية العربية من جانب
آخر لن تؤدى الا الى افشال فكرة « الدولة الواحدة » ، والا الى بث روح
عداوة بين العرب واليهود في فلسطين يصبح من المستحيل معها اقامة هذه
« الدولة الواحدة » .

وبرغم تحذيراته هذه ، وبرغم اعلانه المتكرر أن الدعاوى العنصرية
ليست خطأ مبدئيا فحسب ، وانما هي جريمة سياسية يروج لها الاستعمار .

• • « ان استقلال فلسطين يستلزم جهادا متصلا من سكان فلسطين
واتحاد صفوفهم ، وتخلصهم من النفوذ الصهيونى أداة الاستعمار من جانب ،
والرجعية العربية ذنب الاستعمار من جانب آخر • • ان قضية فلسطين تتلخص
في كلمتين كفاح من أجل الجلاء والديمقراطية » (٧١)

• • « ان حل مشكلة فلسطين يتلخص في شئ واحد • • هو جلاء الجنود
البريطانيين عن فلسطين هو قيام فلسطين الحرة الديمقراطية التى تستطيع
في ظلها جماهير العرب واليهود أن تحل مشاكلها • • وأن تعيش في سلام
ووثام لصالح الملايين ، لا لصالح حفنة من الاحتكاريين » (٧٢)

• • • « ان زعماء العرب وزعماء اليهود قد رفضوا التعاون ، ورفضوا
اقتراح غروميكو الذى تقدم به منذ ١٤ مايو الماضى والذى يرمى الى انشاء
دولة موحدة ثنائية مسئلة • • هناك لم يكن بد أمام الديمقراطيين ومحبي
الشعوب ، وأعداء الاستعمار الا أن يقبلوا حل التقسيم كأساس لأعلان استقلال

فلسطين ، وقد اعترف غروميكو نفسه بأنه حل ردى ، ولكنه الحل الوحيد الذى يؤدي الى انتهاء الانتداب و اعلان استقلال فلسطين . . ويخرج أحمد حسين ليقول : ان ما يطرب له كل أوروبى وأميركى أن تنتزع فلسطين من يد العرب والمسلمين لتعطى الى اليهود . . كلا أيها الفاشى أننا لا نريد انتزاع فلسطين من يد العرب والمسلمين لنعطيهما لليهود ، أننا نريد انتزاعها من يد الاستعمار لنعطيهما للعرب واليهود دولة مستقلة ديمقراطية ، ويجب أن يعلم أحمد حسين وأمثاله أننا لا نوافق على مشروع التقسيم الا مضطرين وكأساس لاستقلال فلسطين ، وأماننا بعد ذلك كفاح ، وكفاح طويل لتقريب بين وجهات نظر الدولتين العربية واليهودية المستقلتين ، وتوحيدهما في دولة واحدة مستقلة ديمقراطية « (٧٢) » .

ولكن الامر لم يكن مجرد موافقة على قرار التقسيم من منطلق سياسى وقومى وباعباره « حلا رديئا » لكنه الحل الوحيد المتاح .

فان للموضوع ملابسات عديدة أخرى يتعين أن نضعها أمام أعيننا ونحى نعيد دراسة الامر في محاولة لتقييم موقف اليسار المصرى تجاه هذه القضية

فالجامعة العربية ممثلة الرجعية العربية في ذلك الحين لم تكن ضد التقسيم « فقد أعلنت موافقتها على مشروع موريسون (وينص على أن تكون منطقة عربية تشغل ٢٨٪ من مساحة فلسطين ، ومنطقة يهودية تشغل ١٧٪ والباقى يبقى تحت ادارة بريطانية مباشرة) » .

هم اذن وافقوا على التقسيم مشترطين بقاء قوات الاحتلال . .

والذين قبلوا « مشروع موريسون » صمها على الحرب رفضا لمشروع أفضل منه هو مشروع التقسيم الذى أقرته الأمم المتحدة . .

لكن من هم هؤلاء الذين قرروا الحرب .

هنا يتعين على أى سياسى أن يزن الامور بميزان دقيق ، أية حرب هذه التى يخوضها الملك فاروق والملك عبد الله والأمير عبد الله . . ضد من ؟ ومع من ؟ ولصالح من ؟ . .

وتتساءل مجلة « الجماهير » « وقرأ الشعب عن سفر جيشنا الى العربى

فتساءل عجباً ! أذهب جيشنا المصرى الى العربىش دون أن يمر على فايد وقتال
السويس ألم ير فى طريقه جنوداً بريطانية تحتل أراضيها المقدسة » (٧٤)

والحرب ليست عبثاً بالكلمات والسياسة ، انها مصائر شعوب وأقدار
بشر ، ومستهزئة أمة ، ومن هنا فقد كان على كل القوى السياسية أن تزن
الأمور بميزان الجد ، وأن تعرف الى أين تساق قواتنا المسلحة ، وضد من ؟
ولحساب من ؟ وهل هى مستعدة لمعركة أم انها تساق لمذبحة ؟ وعلى كل قوة
سياسية أن تزن هذه الامور بميزان يتسم بالشجاعة والامانة ، وألا تنساق
خلف شعارات براقة ليس من ورائها سوى .. الهزيمة ..

ولكى لا أطيل - وإذا جاز لى أن أستعير كلمات من على أمين - فسوف
أزرد روايته عن حرب فلسطين وملايماتها وكيف أقحم الجيش المصرى فيها ..
وعلى غير استعداد ، وكيف أن الامر كله كان هزلاً .. لا جداً ..

.. « فى عام ١٩٤٨ طار الامير عبد الله الوصى على العراق الى القاهرة ،
وقابل الملك السابق فاروق . وقال ان جيوش العراق والاردن ستزحف على
فلسطين يوم جلاء الانجليز عنها وهى قادرة على الاستيلاء على كل شبر
من أرض فلسطين ، ومع ذلك فانه يهيمهم العراق أن يحطم أعصاب الصهيونية ،
ولذلك فهو يطلب من الجيش المصرى أن يقوم بمظاهرة عسكرية على حدود جنوب
فلسطين .. واعترض يومها رئيس الوزراء النقراشى باشا وقال أنه يعارض
ارسال الجيش المصرى خارج الحدود ، لان الجيش البريطانى لا يزال يحتل
قناة السويس ، وإذا خرج الجيش المصرى من وراء الحدود سيصبح تحت
رحمة مدافع الانجليز ، وقال النقراشى باشا أن الجيش المصرى غير مدرب
لهذه الحرب ، وأن أسلحته قديمة جداً ، ومعلومات مصر أن أسلحة العصابات
الاسرائيلية سرقت من مخازن الجيش البريطانى ، وهى أسلحة حديثة جداً
وأكد الامير عبد الله لفاروق أن الجيش المصرى لن يدخل حرباً ، وانما
سيقوم بمظاهرة ، وأصدر فاروق بصفته القائد الاعلى للجيش المصرى أمره
بتحرك الجيش المصرى . واستقال رئيس الوزراء ! والتف حوله الوسطاء وطلبوا
بأنه أن يسحب استقالته ، لان هذه الاستقالة ستحطم روح الجنود المعنوية
ثم انهم لن يحاربوا ، انها مجرد مظاهرة وتم الاتفاق على أن يسحب
النقراشى استقالته ثم قدمها بعد انتهاء المظاهرة . وسارت المظاهرة نحو
حدود اسرائيل (٧٥)

(٧٤) الجاهيز ١٩ - ١٠ - ١٩٤٧

(٧٥) مقال « على أمين يكتب الفباء السياسة المصرية » الاهرام ١٢ - ٤

١٩٧٤ .

وأكتفى بذلك بغير تعليق ..

كذلك فإن على أى حزب سياسى ان يزن الامور من كافة وجوها ..
وهؤلاء الذين يسيرون الجيش « غير المستعد » و « غير المسلح » و « غير المدرب »
لمعركة ضد الصهيونية ، هم انفسهم الذين يحمون الصهيونية ونشاطها
واجهزتها ومؤامراتها على ارض مصر ! هم الذين يقيون علاقات الصداقة
الحميمة والروابط الاقتصادية الوثيقة مع شيكورييل واوفاديا سالم وغيرهما من
« قطاب الصهيونية » ؟

فكيف يستقيم الامر ..

وهؤلاء الذين يدعون للحرب ، هم عملاء سافرون للاستعمار ، ذلك أمر
لم يختلف عليه اثنان .. فكيف إذن يستقيم الامر ..

وهؤلاء الحكام ، كانوا يستعدون للحرب بأقل القليل من الجهد ، لكن
الجهد الاساسى كان مركزا ومبيتا لاستغلال آثار اشتعال الحرب في ضرب الحركة
الوطنية كلها .. وفتح المعتقلات والسجون لتضم آلاما من الشباب المصرى
الناهض للاستعمار الذى كان متواجدا بنفوذه ورجاله في كل قرار يتخذه هؤلاء
الحكام .

.. هكذا يمكننا أن نفهم معنى تلك الكلمات ذات الطابع الدرامى
« ليشهد التاريخ .. ولتشهد الشعوب العربية ، اننا الوحيدون في مصر
الذين نقف باخلاص من أجل تحريرها من ربة الاستعمار ، ومن أجل حياة
سعيدة ، حرة ، ديمقراطية » (٧٦)

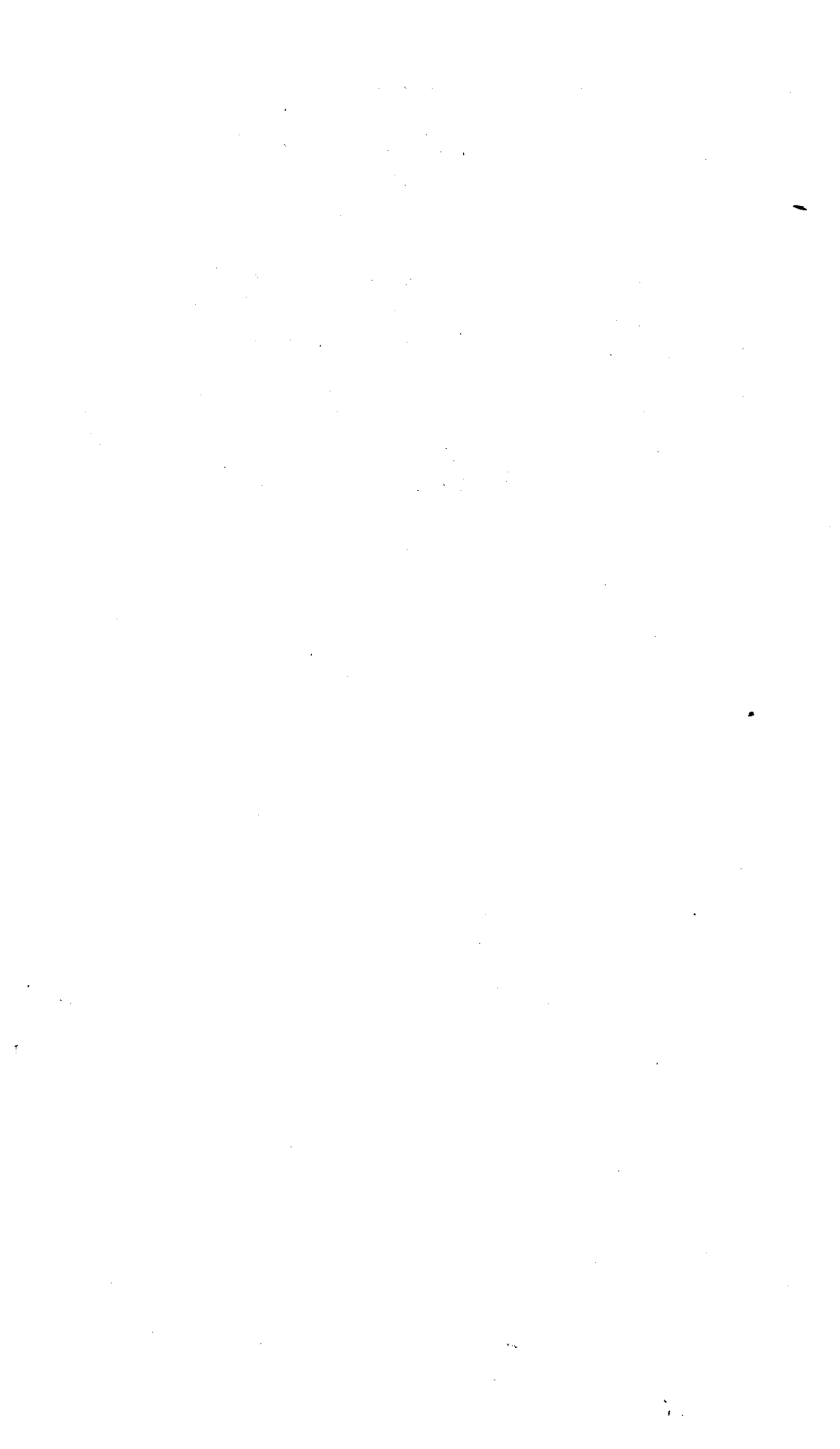


وبهذا أكتفى ..

فلست أريد بأى حال من الاحوال أن تكون هذه الدراسة التمهيدية بديلا
عن الوثائق ، ولقد تعمدت اختصارها ، وتعمدت تجنب الاشارة لما تلتحوى
وثائق من معلومات وحقائق .

ولست أريد بأى حال - أن أفرض على القارىء انطباعاً معيناً ، ففى اعتقادى أن مجرد قراءة الوثائق تكفى وتزيد ..

وهى توضح كيف أن الرجعية المصرية قد ارتكبت الجرم ومهدت له ، ثم « رمقنا بدائها وانسلت » ، وهى على أية حال كفيلة بمجرد نشرها بأن تنقل موقف « اليسار المصرى » من القضية الفلسطينية من منطلق الدفاع الى منطلق الهجوم .. وأن تؤكد بالفعل وليس بالقول فقط صدق تلك العبارة ، التى تعمدت الإشارة اليها أكثر من مرة « ليشهد التاريخ ولتشهد الشعوب العربية ، انفسا الوحيدون فى مصر الذين نقف باخلاص من أجل تحريرها من ربة الاستعمار ، ومن أجل حياة سعيدة حرة ، ديمقراطية » .



وثائق

الفجر الجديد



بعد أن نشبت الحرب العالمية الثانية وجد مؤسسوا اتحاد أنصار السلام (بول جاكوب دى كومب وزملاؤه) انه لا مجال للعمل تحت هذا الشعار وهكذا أسسوا جماعة جديدة أسموها « مجموعة الدراسات » .

وخلف « مجموعة الدراسات » التى كانت تستهدف اعداد دراسات عن مصر وتعريف الاجانب بتاريخ وحضارة شعب مصر ، وتمكين أعضائها أنفسهم من التعرف على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى مصر . ٥٠ خلف هذه المجموعة كانت هناك مجموعة ماركسية سرية (بغير اسم) وكان يعمل ضمن هذه المجموعة ثلاثة أشخاص يمكن اعتبارهم المعبر بين هذه المجموعة الاجنبية وبين بعض قطاعات المثقفين المصريين ذوى الثقافة الأجنبية ، هؤلاء الثلاثة (صادق سعد - ريمون دويك - يوسف درويش) كانوا يمثلون قطاعا وسطا فى المجتمع المصرى بين الجاليات الاجنبية وبين المثقفين المصريين ذوى الثقافة الأجنبية وكانت معرفتهم باللغة العربية وقربهم من المجتمع المصرى عامة قد جعلت منهم كنزا فى نظر « بول جاكوب دى كومب » الذى ظل لفترة طويلة يعاني من وطأة العزلة بسبب اللغة ، وبسبب الديانة وبسبب الاصل والاسم الاجنبيين وبسبب التباعد القائم عن مشكلات ووجدان المجتمع المصرى .

وهكذا طلب « بول جاكوب » الى هؤلاء الثلاثة أن ينفصلوا عن مجموعته الأجنبية وأن يحاولوا السعى وسط المصريين لتأسيس منظمة ماركسية . ٥٠

وانطلق هؤلاء الثلاثة مسلحين بتعليمات « بول جاكوب » التى توصى بالحذر والحذر الشديد . وبقي الثلاثة ، ثلاثة كما هم ، وأخيرا أضافوا اليهم وأبعسا هو « أحمد رشدى صالح » .

وباسمه حصلوا على ترخيص لمجلة « الفجر الجديد » . ٥٠ وحاولوا أن يجعلوا منها منبرا يساريا تتجمع حوله عناصر من الشباب المثقف ويتمكنوا من خلاله من دراسة مشاكل المجتمع المصرى المختلفة .

أما « يوسف درويش » فقد كلف بالعمل وسط العمال باعتباره محاميا
عماليا • وأثمرت جهوده فيما بعد عن تكوين « لجنة العمال للتحرر القومى »
التي أصدرت مجلة « الضمير » •

ومجلة « الفجر الجديد » لم تكن مجرد لسان حال لجماعة يسارية لكنها
كانت في ذاتها نواة لتنظيم ماركسى تميز في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية
بأسماء عدة فيما بعد منها « الديمقراطية الشعبية - د.ش » و « طليعة العمال
- ط.ع » ثم « حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى » •

ويمكن القول بأن هذه الوثائق سواء منها التي نشرت في مجلة « الفجر
الجديد » أو مجلة « الضمير » تمثل وجهة نظر هذه الجماعة في حدود هذه المرحلة
الزمنية أى (١٩٤٥ - ١٩٤٦) •

كفاح فلسطين الوطنى الديموقراطى *

يتجه كفاح فلسطين الوطنى الديموقراطى الى الحصول على الاستقلال ، والتخلص من الطغيان الصهيونى ، واقامة الديمقراطية السلمية فيها ، وتهب على فلسطين الان ريح وطنية قوية لا نطن أنها عرفت مثلها من قبل ، فمن أهم خصائص الحركة الفلسطينية فى الوقت الحاضر انها نجحت فى ايقاظ جميع طبقات الشعب العربى واستطاعت أن تستعين بقواه فى الكفاح فى سبيل تحرير فلسطين ولا شك أن أنشط طبقة من هذه الطبقات وأكثرها أهمية فى الكفاح الوطنى فى فلسطين ، هى طبقة العمال العرب ، فهى تعرف تمام المعرفة أن مستوى معيشتها لا يمكن أن يتحسن الا اذا حكمت البلاد حكما وطنيا غير خاضع للرأسمال الاجنبى أو الصهيونى . وهى تعرف تمام المعرفة أيضا أن لها - كما لجميع الطبقات الشعبية الفلسطينية - حقوقا سياسية ديمقراطية لن تحصل عليها الا اذا حكمت البلاد حكما وطنيا غير خاضع للرأسمال الاجنبى أو الصهيونى . فتصدر جمعية العمال العربية بيانا حول أزمة البلدية ، تطالب فيه بانتخابات ديمقراطية للبلدية ، وتستقبل الطبقة العمالية وفدها - الذى اشترك فى مؤتمر النقابات الدولى بلندن - استقبالا وطنيا رائعا جعل جريدة الدفاع تقول بهذه المناسبة :

« وقد تبين أن الحركة العمالية العربية لم تعد حركة محلية لا قيمة لها ولا وزن ، وانما غدت جزءا لا يتجزأ من نضال البلاد فى سبيل استقلالها وكيانها » .

وتطالب الحركة الوطنية فى فلسطين - بحق تنظيم النقابات العمالية ، وافتح مدارس جديدة كثيرة ، لا سيما فى القرى ، وبناء المستشفيات والملاجئ ، وبفرض الضرائب التصاعدية بحيث لا يرهق العمال والفلاحون وصغار الموظفين . والحركة الوطنية الفلسطينية لا تطالب بهذه المطالب المادية لتحسين

حالة الشعب فحسب بل تطالب بالدرجة الاولى بحكم ديمقراطى تمثيلى.فالهيات التمثيلية الوحيدة الموجودة الان فى فلسطين هى البلديات ومع ذلك فقد مر على بلدية حيفا - مثلا - ١١ عاما دون أن يعاد انتخاب أعضائها ، وكذلك بلدية الناصرة فقد بقيت ٨ سنوات « لم تسع فى خلالها الحكومة - لاعادة تأليف المجلس البلدى بواسطة الانتخابات الشعبية » وأما مسألة بلدية القدس التى حاولت السلطات أن تعين أعضائها تعيينا - فلا تزال حية فى الازهان ، ذا كله قد جعل الفلسطينيين المخلصين يطالبون بايجاد مجلس نيابى * وعذه « عصبنة التحرر الوطنى فى فلسطين » تقول انها « تضع أمام الشعب العربى الان ، هدف السعى لايجاد مجلس نيابى فى البلاد يمثل الشعب تمثيلا ديمقراطيا ويمكن جميع السكان من الاشتراك فى ادارة شؤونه كخطوة تقربه كذا فأكثر من هدفه النهائى : الاستقلال والسيادة الوطنية » .

وأما الذى يشجع هذه الحركة الوطنية المباركة فهو الاتجاه الامى العام ، اتجاه الشعوب الى الاستزادة من الحريات الديمقراطية ، تعلق جريدة «فلسطين على انحرار النازية الالمانية بقولها :

« ومن الدكتاتوريات المستترة ، تحكم الدول القوية بالدول الصغيرة ، وتقيد حرية التفكير والتعبير ، ونظم توزيع الثروة فى أشكالها الحاضرة » . بينما تكتب جريدة الدفاع ٠٠ « نريد تجارة حرة واجتماعات حرة ، ورأيا عاما حرا ، نريد أن تستأنف الحكومة عملها جريا على سياسة الكتاب الابيض نريد أن تحول ميزانية الحكومة الضخمة الى تنفيذ مشروعاتها الانشائى ليعم الرخاء ويستتب الامن وتوفى للجميع أولى ضروريات الحياة الشريفة » .

ومن أول ما تصطم به الحركة الوطنية العربية - الصهيونية ، « فالصهيونية حركة استعمارية ليست فى الواقع سوى شكل قديم جديد لتصدير الرأسمال والاستيلاء على الاسواق واحتكار أكثر ما يمكن من منابع انوار الاولى لحساب الشركات الاستعمارية الضخمة والصهيونية بطبيعتها التى أشرنا اليها معارضة لحركة العرب وللديمقراطية ، وهذا مؤسسها هرتزل يقول فى « الدولة اليهودية » « ان الامم الان لا تستاهل أن تحكم حكم ديمقراطيا غير محدود ، وان استعدادها هذا سيقبل أكثر فأكثر فى المستقبل » والصهيونية تستثمر ١٠٥ ملايين من الجنيهات فى فلسطين لحساب أمثال « شركة البوتاس » و « شركة الكهرباء » وروتشلد وغيرها من المؤسسات الرأسمالية التى تعتصر الشعب الفلسطينى كلها استطاعت الى ذلك سبيلا ٠٠ والصهيونية تجد سندا قانونيا فى تصريح بلفور وغيره من الرسميين البريطانيين

ويربطها هذا بالانتداب ويكون سببا من الاسباب التي تحمل بها على الحركة الوطنية في فلسطين .

ولذا يقاومها العرب ٠٠ غير أن كفاحهم المجيد ضد الصهيونية ، لا يعنى كفاح اليهود اطلاقا . فتكتب مجلة « الاتحاد » النقابية :

« ان الصهيونية لم تكن في يوم من الايام لتدافع عن اليهود أو لتحارب أعداءهم انما كانت في الواقع الصحيح الصريح تستغل آلامهم وتستفيد من مأسيتهم ومصائبهم لتستعمر فلسطين ولتستغل مواردها » والحقيقة أن هذا الموقف قد بدأ يؤثر في يهود فلسطين أنفسهم فبدأ يفهم بعضهم أن مصيرهم مرتبط بدرجة اشتراكهم في الحركة الوطنية التحررية - مع العرب وضد الصهيونية ، وقد نشرت الصحافة الفلسطينية منذ مدة قصيرة احتجاجا لليهود الشرقيين في فلسطين يرفضون فيه الحركة الصهيونية ويطالبون بايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، كما نشرت تلك الصحافة أيضا احتجاج العمال اليهود الذين يعملون في شركة « يورشليم كوهين للبحال » على طرد عمال عرب من تلك المؤسسة لا بسبب الالكونهم عربا ٠٠٠

فالصهيونية تتصدع ، ويتمسك الشعب الفلسطيني بمطالبه التحريرية الديمقراطية وهل يمكن أن يقف حائل دون تحقيق مطلب ذلك الشعب الباسل ؟»

وطني

نداء *

لا يكاد يصل هذا العدد الى أيدي القراء الا وتكون الاستعدادات قد اتخذت للاحتجاج على تصريح بلفور المشؤوم الصادر في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

وانا اذ نستنكر وعد بلفور ، ونسجل الأعياب الاستعماري الطاغية ، نلاحظ مستبشرين تزايد وعي الشعوب العربية بأهداف الصهيونية وعقيدتها ، ففى ليست دعوة دينية فى شىء . الصهيونية حركة عنصرية . . وانها باعترائها على الشعب الفلسطينى العربى ، لا تمحو الاعتداء الواقع على اليهود . وانها بتعاونها مع الاستعماريين البريطانى والاميركى ، لا تحل قضية اليهود وانما هى تدعم بطش الرأسمالية بالشعوب أيا كانت .

انا نحى الشعب العربى المناضل فى كفاحه التحريرى ونكرر استنكارنا للصهيونية الأثمة المعتدية عنحىي الاحرار المقاومين للاستعمار أيا كان لونه والاستغلال فى أى شكل وجد . . »

مصرى

حوادث ٢ نوفمبر * جهاد **

نؤمن بأن مكافحة الصهيونية عمل وطني مجيد يجب أن نقوم به في حزم وذكورة . فالصهيونية حركة استعمارية رأسمالية يستخدمها الاستعماران الاميركي والبريطاني الآن لتثبيت دعائمها في بلادنا العربية . . . ولكننا نؤمن بالمثل أن عدونا الاول هو الاستعمار البريطاني فيجب أن لا نتحول لحظة واحدة عن مناهضته ومقاومته .

وان أى تميع في حركتنا الوطنية أو أى تحول فيها انما ينيل الاستعمار مكسبا ضد قضيتنا الوطنية .

وليس من شك في أن الاستعمار لا يرغب في مساومة الصهيونية رغبة أدبسة فاذا هو أراد أن يتحول حركتنا الوطنية الى مناهضة الصهيونية فلانه يسعى الى صرفنا عن مكافحته في وقت ضعف فيه أشد الضعف بفضل التيارات الشعبية المعارضة له في أوروبا والحركات الوطنية في غيرها . . . لقد راوغنا الاستعمار كلها ضغطنا عليه ولقد اختلق المعاذير وانتحل الاسباب . ولكنه لم يعد يتخذ موقفا ما بالنسبة لاحتجاجاتنا على تصريح (بلفور) الذي خلقه هو .

هذا من ناحية - ومن ناحية أخرى جاءت تصرفات الحكومة الحالية منسجمة مع رغبة الاستعمار في تحويل حركتنا الوطنية . ولعل سببا هاما دعاها الى ذلك - أن الحركة الوطنية تهدف الى تدعيم الديمقراطية واجراء انتخابات حرة جديدة . . . فهي لهذا السبب ولارتكازها على الفئات الرأسمالية متداخلة المصالح مع الاستعمار . . . تفزع من حركتنا الوطنية

* الفجر الجديد العدد ١٣ بدون تاريخ .
** جهاد هو الاسم المستعار لاحمد رشدي صالح .

وتحاول أن تكبتها بالقوة كلما بدت ظواهرها الجادة . . . أو بغير القوة
من وسائل أخرى .

وليس من شك أيضا أن الرجعية المصرية قد أفزعته هذه الحركة التي
تقوم اليوم على أسس شعبية أنضج بكثير من أسسها السابقة . تريد الحصول
على حقوق وحريات لا توافق مصالح الرجعيين . . . فلا غرو أن انسجمت
رغبة الرجعية المصرية مع رغبة الاستعمار والحكومة القائمة في تحويل
حركتنا الوطنية .

وهناك « العناصر الفاشية » التي أخذت تتحرك في نشاط واضح في
الذرة الأخيرة - تريد أن تستغل حالة القلق التي تسود الجماهير الشعبية
مقصوها تحت قيادتها . . . وهذه العناصر التي خدمت الاستعمار الفاشي
- أربح استثمار بالامس - تتحرك اليوم في انسجام مع ما يريده الاستثمار
. . . وهي تخدمه بحركاتها وسياستها قصدت الى ذلك عن وعى أو اتجهت
ليه بغير وعى . . .

هذه التيارات جميعا التقت عند هدف مشترك : تحويل حركتنا الوطنية
عن مجراها الحالي ضد الاستعمار البريطاني - والاستبداد الرجعي . . .
الى حركة عنصرية . . . ولقد كانت قيادة اضرابات ٢ نوفمبر في يد هذه
الفئات الرجعية ولذا فهي لم تفد الطبقات الشعبية شيئا - وأفادت الاستثمار
كثيرا - وثبتت أقدام الحكومة أكثر من ذي قبل ، فراحت تضيق الحريات
وتكبت الحركة الوطنية وتمنع سيرها . وأفادت الرجعية المصرية - ولو مؤقتا -

ولكن بقي الجانب الأكبر من الذين اشتركوا ووجهوا الاضرابات .
هذا الجانب هو الجماهير الشعبية التي يدل تصرف أجزاء منها ضد التجار
على حقائق دامغة : أنها لا تؤمن بالعنصرية البغيضة فهي قد عاملت التاجر
المسلم والمسيحي واليهودي بوصف أنه تاجر فحسب ، ويدل هذا على أنها جائعة
عارية . أحقدما على هذه الفئة الجشعة سنوات سوداء قضتها بين السوق
والدواء . والاسعار الفاحشة . . .

وهي بعد هذا كله قد غيرت من مضمون قوتها التي لو وجهت توجيهها
صائبا قوميا لاستفادت منه حركتنا التحريرية أفضل استفادة .

لقد تفاهمت الفئات الاولى أن تحول حركة شعبنا تحولا معرقلا
مضيقا - ونجحت فيما أرادت لان الحقوق الديمقراطية المنوحة ضيقة ضعيفة

ولان « الفاشيين » أحرار حلفاء يعملون ما يريدون ويشجعون عليه • ولان العناصر الديمقراطية المخلصة مقيدة مكبلة ، ترصد لمحاربتها الميزانيات الضخمة وتعد عليها الكلمات والحركات • نجحت لان الطبقات الشعبية يائسة منكودة أشقنتها سنو الحرب وأنواع المضاربة والاستغلال ••

ولقد استفادت الصهيونية من توجيه حركتنا في ٢ نوفمبر وجهة خاطئة اذ حصلت على دليل قوى ضد الشعوب العربية • انها لا تحترم الاقلية اليهودية وأنه لا منجى لليهود الا اذا تجمعوا في بلد واحد •

نجحت هذه الفئات جميعا : ولكن أى نجاح •• مئات الالاف من المصريين المخلصين الراغبين في القيام بعمل وطنى عميق • يوجهون وجهة عنصرية •• يحارون من مناهضة الاستعمار ••• نعم أى نجاح ؟ الحكومة الرجعية قائمة تبطش وتحكم •• الجماهير الشعبية قد زاد شكها في القيادة التى وجهتها وما تزال • وهذا آخر دليل لديها على ضلال هذه القيادة •

انه نجاح لا يعنى الا هزيمة نكراء لحركتنا التحريرية ••• ولا يخلق الا عراقيل وعقبات في طريقنا ••• ولقد وضح الان أن العلاج الحاسم هو أن تنطلق حرياتنا السياسية فيمارسها الجميع وأن ترفع القيود عن الديمقراطيين الأحرار فيوصلون الى شعبنا المحتاج اليهم أشد الحاجة • وأن تنظم الطبقة العاملة فهى متى نظمت تكون الضمان الوحيد ضد الحركات الفاشية والرجعية •

وان اجراء انتخابات حرة شرط مبدئى في سير حركتنا • وهى التى تطالب بأن تظل في سيرها تهذف الى محق الاستعمار وتدعيم الديمقراطية •

جهاد

قراء الفجر يعلقون

على حوادث ٢ نوفمبر

ميشيل اسكندر

دلت الحركات الشعبية التي حدثت يوم ٢ نوفمبر على ما يلي :

١ - أن الكثيرين ما يزالون يخلطون بين الصهيونية الاستعمارية واليهودية

٢ - ظهرت وحدة الشرق العربى ازاء الخطر الاستعمارى أيا كان نوعه .

محمد حسن عواض

« أكتب هذه الكلمة والقلم لا يطاوعنى من هول الجرم الذى ارتكبه الفاشية التى أرادت أن تستغل الحركة الشعبية مطية لبلوغ أغراضها » بهد بدأت الرسالة الثانية واستمر كاتبها يعدد معالم الحركة ملقيا تبعه ما حصل على العناصر الفاشية وحدها ومعانسا تبرا الشعب المصرى من الاعتداءات .

ابراهيم فؤاد

يرى أن هذه الحركات فجر جديد لانتفاض الجماهير اليائسة المظلومة ضد مستغليها ولقد كانت هذه الرسالة احدى الكلمات التى وصلتنا عن حوادث ٢ نوفمبر وكانت فى مستوى آخر غير سابقتيها من حيث الاندفاع والحماس لقد رأى الكاتب فى الحوادث والاعتداءات جانبها الثورى لا غير وحرى بنا جميعا أن نراها من كل وجوها خاصة توجيهها الخاطىء وقيادتها الضاللة .

✽ الفجر الجديد العدد ١٣ - بدون تاريخ

ريد الفجر الجديد ليست الصهيونية حركة تقدمية

علق الاديب أ.م. بالاسكندرية على المقال المنشور في العدد الحادى عشر تحت عنوان « احتضار الصهيونية » بتأكيده أن الصهيونية هى حركة اليهود القومية ولذلك فان « كانت هذه الحركة يستغلها رأسماليون فهذا شئ آخر لا يسمح لنا ان نحكم على الحركة القومية بالاعدام » ثم اكد ايضا ان « الصهيونية ينبوع خير للعرب » وقال عن ازدياد حركة الاضراب بفلسطين انه « يحسن ان تعلموا ان اغلب هذه الاضرابات نظم بمعرفة وقيادة الهستادروت التى هى . . الرابطة الفلسطينية للعمل التى انخرط فى سلكها العرب الذين يتعاونون مع العمال اليهود الصهيونيين » ، ثم نفى أ.م. أن الهستادروت تقبل مبدأ تعاون الطبقات ، وانتهى من هذا كله الى انه « يجب ان تحت الشعوب العربية على مؤازرة الشعب اليهودى فى تشييد حياته القومية فى فلسطين من جديد ليكون امة محبة للسلام تتعاون مع سائر البلاد فى اقامة السلم والخير فى العالم كله » .

ونحن نأسف اسفا عميقا على ان الدعاية الصهيونية المغرضة استطاعت ان تخدع الاديب أ.م. الى تلك الدرجة الظاهرة فى خطابه فاما ان الحركة الصهيونية حركة قومية لليهود ، فهذا يحتاج الى اثبات ان اليهود امة وهو بعيد عن الحقيقة كل البعد لافتقار اليهود الى « وحدة المنطقة واللغة والروابط الاقتصادية » (راجع ستالين : المسألة الوطنية) . واما ان الصهيونية بريئة من اعمال الرأسماليين والاستعمار فهذا بعيد عن الحقيقة كل البعد ايضا ، اذ ان الصهيونية قامت على اكتاف الرأسماليين (وجه تصريح بلفور الى لورد روتشيلد الرأسمالى الكبير) . واما ان الصهيونية نهضت بالعرب فهذا يشبه كثيرا قول الاستعمار بأنه رقى مصر لأنه أتى الينا ببنوكه وسياراته وعلم مقالينا ببناء العمارات الضخمة والطرق المعبدة ولكن فقر الفلاحين العرب بفلسطين وضغط الديون عليهم وتفشى الأمراض بينهم وبين العمال العرب وقلة التعليم الحر أمور تظهر للعين المجردة (راجع « تقرير سمبسون » و « التعليم فى فلسطين » و « فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية » الخ) . واما ان الهستادروت تتعاون مع الرأسماليين فيكفى أن يعرف الاديب أ.م. ان الهستادروت بدأت تشتري أخيرا المنشآت الرأسمالية الكبرى فى فلسطين (منها مثلا شركة « شيمين » التابعة لشركة « يونيلفر » الاحتكارية الانكليزية التى يديرها رئيس « جمعية الصداقة الانكليزية الالمانية ») .

✽ الفجر الجديد العدد ١٣ (بدون تاريخ) وتتضمن تعليقا على مقال نشرته الفجر الجديد فى العدد ١١ بعنوان « احتضار الصهيونية » والعدد غير موجود بالمجموعات المتاحة ومن بينها المجموعة الموجودة بدار الكتب والوثائق القومية . وذلك بسبب مصادرة البوليس له . (المؤلف)

بريد الفجر الجديد *

من أهم الرسائل التي وصلتنا أخيرا كلمة للأستاذ « عادل أحمد ثابت » نفى فيها ما يقال من أن اضرابات ٢ نوفمبر كانت تحمل في جانبها الاعتدائي أصبح الاستعمار والفاشية وقال (لا شك في أن الحركة كانت قومية عربية بحتة قامت بها عناصر قومية عربية بحتة) - ووصفها بأنها (كانت على أروع ما يمكن من النظام) - ويهمننا قبل أن نعرض لآرائه أن نلاحظ أن المصريين المخلصين يوافقونه على أن من واجبنا الوطني أن نعتمد قضية الشعب الفلسطيني وكفاحه ضد الاستعمار والصهيونية سواء بسواء ، وننطق معه في وجوب مقاومة هذا الاستعمار والصهيونية ، كيفما كان لونهما - هجرة كان - أم تحقق رؤوس أموال - أم استعباد للشعب الفلسطيني .

ولكن هناك فرق بين تأييد الشعب المصري لحركة الفلسطينيين التحريرية وبين الاعتداءات التي حدثت يوم ٢ نوفمبر والتي اجمع المخلصون على أنها أريد بها أن تشوه جلال تعاضيدنا لقضية فلسطين . وأما أن الحركة كانت منظمة بشكل رائع فهذا ما لا نوافق الأستاذ عليه - ودليلنا الواضح أن الاعتداءات التي حدثت لم تكن في مقصود الجماهير الشعبية التي اشتركت في الاضراب كما أنها كانت علامة على آفلات الزمام من يد الذين كانوا يخلصون في توجيه هذا الاضراب .

وإذا كانت بعض الاقلام الحرة قد نيهت إلى محاولة الاستعمار أن يشوه حركتنا الشعبية في ٢ نوفمبر وأن يصرفنا عن كفاحنا الوطني ضده - فهي

تعرف تماما أن عدونا الاول هو الاستعمار ، عدونا نحن ، وعدو فلسطين - وان الصهيونية ذاتها شكل من اشكال هذا الاستعمار .

ولا نزن الأستاذ يغييب عن دقيق ملاحظته الفرق بين النشاط الذى أبدى فى الاحتجاج على الصهيونية وبين الخمود الذى يعم حركتنا الوطنية الآن - كما انه لابد اذكر ان اعتداءات مماثلة لما وقع فى مصر وقعت فى ليبيا وحاولت بعض العناصر ان توقعها فى لبنان وغيرها من الشرق العربى الراض تحت ضغط الاستعمار البريطانى خاصة ٥٥ واخيرا نختتم كلمتنا بما قاله الزميل نفسه فى خطابه من ان (مقاومة الاستعمار والصهيونية يعتبر نجاحا لقضية الديمقراطية والحرية ليس فى الشرق الاوسط فحسب بل فى العالم أجمع) .

يقاومون الهجرة الى فلسطين*

نشر هذا المقال التالى بجريدة الانحد
الغراء -

ولقد رأت لجنة التحرير ان تنقل فقرات
منه لقراء الفجر الجديد ودحضاً لما قد يكون
شائعا بين بعض الاحرار فى مصر والبلاد
العربية من ان موقف الاحرار من الهجرة
يجب ان يكون مختلفاً عن موقفهم من
المسيونية ذاتها .

ويجدر بنا ان نتذكر قرار الحزب
الشيوعى الفلسطينى الاخير بمعارضة انشاء
وطن قومى لليهود فى فلسطين ذلك القرار
الذى ووفق عليه بالاجماع .

مما لا شك فيه ان تعاليم النازية قد تركت أثرها ، الا ان شعوب
أوروبا اليوم ، وعلى وجه الخصوص أقطارها الشرقية ، أخذت تنشئ لها نظاماً
ديمقراطية شعبية تهدف الى القضاء على جميع أنواع الاضطهاد والتعذيب .

ان الانباء التى تردنا عن انتعاش الديمقراطية فى تلك الاقطار والتغيرات
الاقتصادية الديمقراطية التى تقود الى ازدياد الحريات العامة والطائفية ،
هذه الانباء توضح أمام اليهود المسبيل لتأمين مستقبل عادل لهم فى أوروبا .

ومن الامور الحيوية الهامة بالنسبة الى اليهود ، ان يوقفوا جهودهم
ونشاطهم اليوم على مساعدة النظم الديمقراطية المناهضة للفاشية التى تنشأ
اليوم فى أوروبا . بحيث تؤمن لهم هذه الديمقراطية العيش بسلام ومساواة
عادلة فى أوطانهم الأصلية .

* الفجر الجديد ٦ ديسمبر ١٩٤٥ .

بيد أنه لا يزال حتى الآن ثمانون ألف لاجئ يهودي يقيمون في المعسكرات ، ولم يجدوا بعد الطريق الذي يوصلهم الى أوطانهم الأصلية •

ولم تعط أرقام حتى الآن عن مصادر هجرة هؤلاء اللاجئين وأوطانهم الأصلية ، ولكن من المعلوم أن أكثرهم ألمان ونمساويون وبعضهم بولنديون ، وآخرون من دول البلقان ، ومن شرق أوروبا •

والحقيقة : ان السلطات المسؤولة عن هؤلاء اللاجئين (وهى سلطات بريطانية وأميركية) لم تكن بهؤلاء اللاجئين الاعتراف الكافي ولم تعر قضيتهم الخاصة اهتمامها المطلوب ولم تتخذ إجراءات سريعة لتأمين عودتهم الى أوطانهم الأصلية فان هذه السلطات تعاملهم حتى الآن معاملة تخلو من العطف ومن بعد النظر •

وهناك حوادث طرد فيها اليهود من خدمة السلطات العسكرية البريطانية في المانيا ووضع مكانهم نازيون •

مثل هذه الحوادث تعيد الثقة للنازيين بأنفسهم وتشجع على مواصلة دعايتهم العنصرية المعروفة ، ومثل هذه المعاملة لا تقود الى حل مشكلة هؤلاء اللاجئين •

والحكومات الجديدة التى نشأت فى الاقطار التى جاء منها هؤلاء اليهود اللاجئين انشغلت بتنظيم اقطارها وتنفيذ مشاريع البناء والتعمير ، حتى انها لم تستطع بذل الجهد الكافى لاقناع هؤلاء اللاجئين بضرورة العودة الى أوطانهم •

ومن الناحية الثانية نشطت الدعاية الصهيونية بين اللاجئين ويدعى الصهيوينيون الآن ان حوالى ستمائة ألف يهودى منهم يريدون الهجرة الى فلسطين •

ان هدفنا الأساسى نحو قضية هؤلاء اللاجئين ان يؤيدوا بكل قواهم الديمقراطية الحقيقية التى بدأت تنشأ فى أوروبا الوسطى والشرقية ، وهكذا يصبح فى مقدورهم أن يتفهموا امكانيات عيشهم الواسعة فى ظلال هذه الديمقراطية الجديدة ، ومن ثم يعودون الى أوطانهم فلا تعود هناك مشكلة •

أما الصهيوينيون ، برفضهم رؤية هذا الامكانيات الواسعة بتوجيههم كل الانتظار نحو فلسطين ، يؤيدون عمليا جميع القوى التى تناهض النظم الديمقراطية الجديدة والتى تعرقل انشاء هذه النظم والتى تريد الرجوع بأوروبا الى عهد العبودية والعنصرية •

أما واجبنا السريع تجاه هذه المشكلة فهو أن نؤمن المساعدة وامكانيات العودة لليهود اللاجئين الذين هم اليوم في حالة صحية وعقلية لا تسمح لهم بتقرير مصير مستقبلهم .

وبينما تجرى المساعدات التي أشرنا إليها ونؤمن امكانيات العودة ، من الواجب ان ينظم نقل قسم من هؤلاء اللاجئين الى الاقطار المستعدة لقبولهم . وبهذا نضع حلا لمشكلة هؤلاء اليهود الذين لا يريدون بحال من الأحوال العودة الى أوطانهم الأصلية .

وقد يفضل بعضهم فلسطين على غيرها من الاقطار ، ربما لان لهم اقارب هناك ، أو لانهم يعتقدون ان عيشهم بين بنى جنسهم سيكون أكثر أمنا .

أو قد يكونون من الصهيونيين السياسيين الذين يرون في فلسطين تحدياً لإيمانهم السياسية .

هذا هو القسم تعتمد عليه الدعاية الصهيونية في طلبها فتح أبواب فلسطين على مصراعها للهجرة اليهودية وفي تقرير مستقبل فلسطين ومستقبل اليهود كما تشاء وتهوى .

وهكذا يظهر بوضوح ، من متابعة ملاحظاتي السابقة . ان قضية اللاجئين اليهود تنفصل تمام الانفصال عن قضية فلسطين ومستقبلها .

واصرار الصهيونيين على ان حل قضية اللاجئين اليهود لا يمكن ان يكون الا بحل قضية فلسطين كما تريد الصهيونية وتهوى . لن يكون من أثره الا الامر الا ان لا تحل اية قضية من هاتين القضيتين .

أما قضية الهجرة الى فلسطين فلا يمكن ان تحل الا على اساس ديمقراطي أي ان يتفاهم على حلها سكان فلسطين أنفسهم .

وأما قضية فلسطين : حاضرها ومستقبلها وهي القضية الاوسع من قضية متصلة تمام الاتصال بمستقبل الشرق الاوسط كله . ومن الواجب ان تحلها الامم المتحدة مجتمعة اما ان يفرض حل هذه القضية الآن فرضاً بطائفة شهادات لمائة الف مهاجر جديد الى فلسطين فلن يكون من أثره الا عرقلة المساعي التي تبذل لاعادة اللاجئين اليهود الى أوطانهم الأصلية .

ان الطريق لحل هذه القضايا كما يظهر يكون على اساس الخطوط العريضة التالية :

١ - تسليم المسؤولية في معاملة هؤلاء اليهود اللاجئين - وهي الآن

بيد السلطات البريطانية والأميركية - الى سلطات مدنية خاصة تشمل ممثلين
عن منظمات اليهود في بريطانيا وغيره امن الاقطار الديمقراطية .

ومن الواجب مد هذه السلطات المدنية بالاعانات المالية - وقد يكون
ذلك من مؤسسة الانعاش والتعمير للامم المتحدة (أونروا) - حتى تستطيع تأمين
العيش لهؤلاء اللاجئين . وأن تقدم لهم في الوقت نفسه الثقافة والتدريب الذين
يساعدانهم على العودة الى أوطانهم الأصلية .

٢ - أن يسمح للرعايا البريطانيين الذين لهم أقارب بين هؤلاء اللاجئين
أن يدعوا اقاربهم الى بريطانيا . ويقيموا فيها حتى تنظم أمور عودتهم الى
أوطانهم الأصلية .

٣ - في خلال هذه المرحلة - أي قبل عودتهم الى أوطانهم - يكون من
أهم الواجبات على السلطات المدنية تثقيف هؤلاء اليهود بضرورة عودتهم الى
أوطانهم الأصلية وأنا على تمام الثقة بأن هؤلاء اليهود اللاجئين حين يحاطون
بحقائق الأحوال في أوطانهم الأصلية سوف يعودون حالا .

٤ - وبعد ذلك اذا بقي من لا يرغب في العودة الى وطنه الأصلي . من
الواجب تأمين الملجأ له في الاقطار الديمقراطية المتعددة .

وبعد ذلك - وبعد ذاك فقط - اذا بقي من يرغب في الهجرة الى فلسطين
يجب ألا يسمح له بالهجرة الا بعد أخذ موافقة سكان فلسطين موافقة ديمقراطية
غير اجبارية .

٥ - من واجب الحكومة البريطانية ان تقوم بالاجراءات الديمقراطية
اللازمة لخلق تفاهم بين العرب واليهود في فلسطين وذلك بالتشاور مع سكان
فلسطين، تشاوراً ديمقراطياً صرفاً . وبالتعاون مع جميع الامم المتحدة يكون من
واجب بريطانيا ان تضع الخطة لمستقبل فلسطين . خطة تقودها الى حريتها
ورخائها .

الجامعة العربية في دورتها الحاضرة • على الكسائب ••

جاء في رد مجلس جامعة الدول العربية على بيان مستر ديفن ، ان الجامعة العربية (واثقة ان الحق لا يتجزأ وان المبادئ الديمقراطية التي عليها نظم الامم المتحدة اذى تشترك فيه الدول العربية لا يدع مجالاً لأى شك في حسن عرب فلسطين في توجيه حرياتهم الوجهة التي يريدونها وهى استقلال فلسطين الذى ينتظر العرب تحقيقه بأسرع ما يمكن) • هكذا يبدو الحل الوحيد اخر الامر للجامعة العربية - ولقد كنا نرجو ان تظهر الجامعة في صراحة وعزم مسؤولية الانتداب في ازمة فلسطين الحاضرة ، وأن تطالب في قوة بمنح الشعب الفلسطيني حرياته التي تتمشى مع كفاحه المجرد وتلاءم مع مقرارات المؤتمرات الدولية •

ثم ان من يقرأ رد الجامعة يدهش لذلك الروح الرخو المستخذى الذى يسود ذلك الرد ، ويعجب كيف يمكن لمجلس الجامعة ان يرد بهذه اللهجة الفاترة على خطاب الوزير البريطانى الذى أعلن في بيانه استنجد بريطانيا الاستعمارية بأمريكا الاستعمارية « لحل » المشكلة الفلسطينية • حلها على أى اساس ؟

الغاء الكتاب الابيض الذى قبله العرب سنة ١٩٣٩ مترددين •• والسماح لتزيد من الصهيونيين بدخول القطر العربى المنكوب وتأليف لجنة بريطانية امريكية « محايدة » للتحقيق في مسألة رغبة اليهود المضطهدين في النزوح الى فلسطين أو البقاء في أوطانهم التي أخرجوا منها •

• الفجر الجديد ١٦ • ديسمبر ١٩٤٥ •
• على الكاتب هو الاسم المستعار للدكتور على الراعى •

ويجدر بنا أن ننبيه الى أهمية « استدعاء » أمريكا للمعاونة في حل القضية الفلسطينية في هذه الفترة وبالأذات من تاريخ العالم

ذلك ان الصحف تتحدث في هذه الايام عن وجود اكتلات من الدول تنضم الى أى واحد من المعسكرين الذين تفترض وجودهما أى « المعسكر السلافي » و « المعسكر الانجلو سكسونى » وتتحدث عن رغبة ساسة الدول العربية في الاتحاد ازاء المطامع الاستعمارية التى تتهدد الشرق العربى ، والتى تقول تلك الصحف انها تتمثل في « التدخل » السوفيتى في ثورة أذربيجان ...

وتتخذ هذه الرغبة لدى ساسة الدول العربية شكل محاولات لضم تركيا الى ميثاق سعد أباد ، وتحدث في تركيا مظاهرات ظاهرة الافتعال ضد الشيوعية توصف رسميا « بأنها انفجار في الشعور العام » ويعود مشروع سوريا الكبرى الى الظهور ، فيقول الامير عبد الله بوجود العمل على تحقيقه للدفاع عن مصالح العرب ، ويسمح لرئيس جماعة مصر الفتاة الفاشية بالسفر الى فلسطين للدعوة لهذا المشروع .

وهنا تظهر - كما قلنا - أهمية « استدعاء » أمريكا للمعاونة في حل قضية فلسطين فأمريكا الاستعمارية تأتى لتظاهر بريطانيا الاستعمارية في الشرق الاوسط ضد خطر المعسكر السلافي التى تفترض وجوده .

وبريطانيا تكتل القوى الرجعية في الشرق العربى ليكون ناطقا صحيا اخر حول النفوذ السوفيتى . ويأخذ هذا التكتيل أحد اشكاله في جامعة الدول العربية ...

جاء في ختام رد مجلس الجامعة على بيان بيفن « وان مجلس الجامعة يغتنم الفرصة ليؤكد لسعادتكم رغبته في ان ييسود العلاقات العربية والبريطانية دائما حسن التفاهم وان يكون تناول المشاكل وحلها على ضوء المبادئ السامية الانسانية التى لا بد من قيامها في الدنيا كلها للتغلب على ويلات العصر الحاضر . » فما هى هذه المبادئ ؟ ان الاغفال هنا مقصود ، فلا يمكن أن يقول مجلس الجامعة ان هذه المبادئ هى تخلص الشعوب العربية من الاستعمار ، لان المجلس يريد أن « يتفاهم » مع الاستعمار .

ولا يمكن ان يقول ان هذه المبادئ هى تحرير الشعوب العربية من الاستغلال الداخلى لأن المجلس يمثل حكومات ولا يمثل شعوبا - بل ان المجلس بتكوينه الحالى يقف حائلا بين الشعوب العربية وبين التحرر ، وتستعمل في ذلك اساليب وفنون من الكبت والاضطهاد تقربها كثيرا من الفاشية التى تراها

في الصهيونية ولا تراها في نفسها ٠٠ ان مجلس جامعة الدول العربية غير جاد في محاربة الاستعمار كله ، ومتراح في محاربة عميلته وصنيعته ألا وهي الصهيونية هذه حقيقة بالغة تصدمنا صدمة في كل تصرفاته ٠ فمساعدة أمين الجامعة يطير الى لندن ليقابل مستر بيفن ثم يقول للصحفيين « لقد اجتمعت مع المستر بيفن مدة طويلة وأنا واثق بأنه سيرشدنا بنصائحه القيمة وارشاداته السامية في كل المصاعب التي نعرضنا » ٠ ويقول أيضا « اننا نختظر العدل والانصاف من بريطاننا » أى من الاستعمار البريطاني ٠٠ !

وهذه وكالة الانباء العربية التي نصبت من نفسها بوقا للدعاية « للغرب » تقوم بدور خطير هو تحذير الوعي العربى العام بما تنقله من أخبار وردية متفائلة عن انحياز الانجليز الى العرب « وتحول الامريكيين عن مناصرة الصهيونية ، في الوقت الذى تحبس فيه اخبار النشاط الصهيونى في أمريكا - مثلا - وهو النشاط الذى يستعمل المحاضرات « العلمية » والنشرات والراديو والسينما لنشر أكاذيب الصهيونية بين الامريكيين ٠٠٠ وفي الوقت الذى تضاعف فيه نشاط مكتب الدعاية العربى فى وشنجتون ٠٠ وهو يقتصر على اصدار نشرات متقطعة ٠

ان الصهيونية لا يكافحها مجلس من حكومات عربية متهادنة مع الاستعمار ، أو غير جادة فى محاربته بل يحاربها نشر الوعي فى الشعوب العربية وذلك بتعميق الديمقراطية فيها واطلاق حرية الصحافة والرأى والاجتماع والخطابة ٠

أما « مقاطعة البضائع الصهيونية » فتستحق فعلا تلك السخرية المرة التى واجه بها الصهيونيون متحدثين عن عمق تنفيذها ، وتفاهة أثره ٠

وأما توحيد الاحزاب العربية الرسمية فى فلسطين وتجاهل القوة الوحيدة التى بح صوتها بالدعاء الى تكوين جبهة وطنية - ونعنى بها عصبة التحرر الوطنى - فتكتيل آخر فى صالح الاستعمار للقوى الرجعية المتهاونة معه ، واضعاف من جهة أخرى للقوى الشعبية التى هى القوى الوحيدة القادرة على مكافحة الصهيونية ٠

ان حل قضية فلسطين ومكافحة الصهيونية لن يتم الا بمكافحة الاستعمار أولا وقبل كل شئ والنهوض بالشعوب العربية واطلاق حريتها الى اخره .

رسالة الى رئيس

التحرير *

قضية فلسطين

جاءتنا رسالة بامضاء (فلسطيني) نقطف منها انه دعى لسماع محاضره عن (قضية فلسطين) في احدى الجمعيات الثقافية الديموقراطية وقد هاله وقوع المحاضر في أخطاء كثيرة يخشى أن تكون نتيجة لدعاية صهيونية وبسط الزميل الفلسطيني حالة اليهود في القطر الشقيق فقال ان جمهورتهم تعيش على نهج قريب بالنظام (الاشتراكي الوطني) وتخضع هذه الجمهرة للاراء العنصرية التي تبثها دائرة المعارف اليهودية - وهي الهيئة الثقافية التابعة لحفنة الصهيونيين وبعض الرأسماليين الانجليز - وقد كان للنشاط العنصري والدعاية العدائية أثرها البارز فلم ينضم يهودى واحد الى عصابة التحرر الوطنى وهى الحزب الديموقراطى فى فلسطين . ثم ان الوكالة اليهودية هى بعينها التى أسست « الهستدروت » المنظمة العمالية اليهودية - التى تحاول جامدة ان توجه العمال اليهود وجهة خاطئة - ولقد كشفت جريدة « الاتحاد » الفلسطينية الغراء الغطاء عن « الهستدروت » فى عدد من مقالاتها الرائعة ولا نحسب ان عربيا ديموقراطيا واحدا يوافق « المحاضر » الكريم فى موقفه من الهستدروت - ويقول الزميل كاتب الرسالة انه يأسف حقا لان المحاضر وقع فى خطأ نظرى جسيم اذ فصل الهجرة عن الصهيونية - فى حين ان نضال العرب يجب ان يتجه ضد الاستعمار والصهيونية والهجرة سواء بسواء - وعرض الزميل حالة اليهود بعد انهيار الفاشية فقال ان الاضطهاد قد زال عنهم فى أوروبا ، وأمامهم ان يدعموا الديموقراطية فى تلك البلاد بأن يساهموا فعلا مع غيرهم فى القضاء على بقايا الفاشية ، وأشار الزميل الى بعض ما جاء فى « ديلي وركر » جريدة الحزب الشيوعى البريطانى من ان تشجيع الهجرة الى فلسطين يعتبر بطريقة غير مباشرة طعنة موجهة الى الدول الديموقراطية التى

* الفجر الجديد ١١ أبريل ١٩٤٦ .

تحتاجهم والتي تتقف الديمقراطية الشعبية فيها موقف الامتحان - وأخيرا نقد
الرميل رأى الحاضر في ان هناك طبقة بورجوازية في فلسطين تداخلت مصالحها
مع الاستعمار - فقال ان هذا تحليل خاطيء لحالة المجتمع - فلم يحدث
ان تحولت حركة الطبقة البورجوازية العربية الى احضان الاستغلال
الاستعماري وانما هي كانت ان تبتدىء في بعض أجزائها - ومن ثم نرى ان
عصبة التحرر الوطني - وهي طليعة الشعب الفلسطيني تؤيد « اللجنة العربية
العليا » التي تعبر عن الطبقة البورجوازية ذات المضمون الوطني - وهذا عكس
الموقف الذي يتخذه الديمقراطيون في مصر من الهيئة السياسية التي تمثل
طبقة بدأت بالفعل تتداخل مصالحها مع الاستعمار .

تقرير لجنة التحقيق
مواصلة لجهودات الاستعمار
ضد بلادنا العربية *

الآن أيضا فضحت امانة الجامعة العربية ، وكشفت العناصر العربية
المتهاذنة مع الاستعمار .. أولئك الذين مجدوا لجنة التحقيق وأطروا الصداقة
البريطانية الأمريكية لبلادنا ..

لماذا جاء التقرير بهذا المضمون ؟

أولا لأن لجنة التحقيق كانت موفدة من أكبر البلدان الاستعمارية في
الوقت الحاضر وهما إنجلترا والولايات المتحدة ، بل قل بشكل أدق ،
ان هذين البلدين يؤيدان الصهيونية تأييدا قويا فعلا ، ويعارضان استقلال
فلسطين معارضة قوية ، ذلك بأن الاستعمار البريطاني هو الذي قبض على
فلسطين بقبضة من حديد وهو الذي وعد بها وطنيا قوميا للصهيونيين ، وعمل
على تحقيق هذا الهدف ، وأما الاستعمار الأمريكي فموقفه واضح من مطالبته
بهجرة صهيونية متدفقة قوية ، ولذلك فالاستعماران الأمريكي والانجليزي
طرف من طرفي النزاع في فلسطين ، ذلك النزاع الذي يتصارع فيه الاستعمار
من جهة والحركة الوطنية العربية من جهة أخرى ، فكان حتما ان تصدر لجنة
التحقيق تقريرها هذا الذي يؤيد الاستعمار ، ويطلب بابقاء سيطرته على
فلسطين ، وباستمرار حكم الانتداب ..

وثانيا لأن الاستعمار في حاجة جهرية للمحافظة على فلسطين حتى
يجعل منها محورا لمخاوراته ، ومؤامراته ضد الحركات الوطنية والتحريرية
في الشرق العربي ، وضد الاتحاد السوفيتي ، ثم ان لفلسطين مركزا استراتيجيا
ممتازا في سلسلة « المواصلات الامبراطورية » اذا لم يعد الاستعمار البريطاني
بتسلط عليه هدد استغلاله لشعوب الشرق العربي والهند والشرق الأقصى .

* الفجر الجديد ٧ مايو ١٩٤٦ .

والمعروف ان الشعوب العربية جميعا تقوم الآن قومة كبرى لتتحرر من الاستعمار البريطاني ، وهذا يشعر بضرورة تنازله في بعض الاحيان امام ذلك الضغط الشعبي المتزايد كما حدث بالفعل في سوريا ، ولذلك لا بد وان يحتفظ الاستعمار بقوات مسلحة كبيرة في فلسطين حتى يستطيع ان ينفذ منها على الشعوب العربية المجاورة فينتز منها ما يريد من عرق هذه الشعوب وكدها ، فاذا ما أضفنا الى هذا ان الاستعمار البريطاني يؤيد الدول الفاشية او نصف الفاشية في حوض البحر الابيض المتوسط - تركيا - اليونان - اسبانيا رأينا كيف انه يعمل لتشكيل كتلة تعادى الاتحاد السوفيتي ، ولا شك ان الاستعمار البريطاني والامريكي يرون في فلسطين قاعدة حسنة يستطيعان أن يركزا فيها القوات العسكرية التي سوف تهاجم وطن الاشتراكية من الشرق .

وأما السبب الثالث فهو محاولة الاستعمار ان يظهر الحركة الوطنية العربية كحركة عنصرية دينية موجهة ضد اليهود ، كما وضع هذا في المطالبة فتح أبواب فلسطين لهجرة ضخمة ، وبترك بيع الأراضي للصهيونيين حر من جميع القيود القانونية .

وخلاصة القول أن لجنة التحقيق أرادت بتقريرها أن تحول أنظار الحركة الوطنية العربية في فلسطين من مكافحة الاستعمار البريطاني - كهدف رئيسي - الى النضال ضد مسائل ثانوية تركز على الاستعمار ارتكازا كليا ، مثل الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، حتى تتحول تلك الحركة العربية من حركة وطنية الى حركة عنصرية دينية مصيرها الضروري النشل المحتوم .

خطورة التقرير

وهكذا يجب ان لا نعتبر التقرير مجرد محاولة لجس النبض ، اذ هو في الواقع يكشف عن نوايا الاستعمارين البريطاني والامريكي الحقيقية ، انهم يريدان ان يفتكا بالشعب العربي في فلسطين ، وأن يبقيا قبضتهما عليه باحديد والنفار ، وأن يعصراه مع الاستعمار الصهيوني ، وانهما يستفزان بأقصى ما يمكن ان يصل اليه الاستفزاز حتى تقوم الاضطرابات الدينية والعنصرية بينه وبين الكادحين اليهود في فلسطين وحتى تمتد هذه الاضطرابات الى الشرق العربي كله .

موقف الساسة الرسميين والحركات التحريرية من لجنة التحقيق :

وقد ظهر للأراى العام أن الساسة العرب الرسميين - ولا سيما الرجعيين منهم - قد وقفوا من لجنة التحقيق عند قدومها الى الشرق العربي موقفا غر وطني ، فرحبوا بها وتحدثوا عن « صداقة » بريطانيا وأمريكا التقليدية للعرب ، وعن ثقتهم الكاملة بأنها ستخرج من التحقيق بقرارات عادلة بالنسبة الى قضية العرب ، وكان أوضح رمز لهذا الموقف المتهاون مع المستعمر ذلك

الموقف الذى وقفه أمين الجامعة (الميجل) ، وهذا هو التقدير ، وهذه هي توصياته فما رأى هؤلاء السادة الذين تشبثوا بصداقة بريطانيا وأمريكا الاستعماريّتين للشعوب العربية المستعبدة .

أما الحركات التحريرية الشعبية فى البلاد العربية فقد تنبأت بنتائج « للتحقيق وأخذت منه الموقف الوطنى الصحيح بمقاطعة اللجنة ، هذا ما فعلته - بشكل خاص - عصابة التحرر الوطنى فى فلسطين ، منذرة بأن هذا التحقيق الثامن عشر الذى يقوم به الاستعمار البريطانى فى فلسطين ما هو الا مناورة جديدة من جهته فى سبيل تحويل الحركة الوطنية العربية من أهدافها الحقيقية الاصلية : تحرير فلسطين من الاستعمار وحصولها على حكم ديمقراطى سليم . وما هى ذى الوقائع تثبت خصائص الاستعمار ، والذى لا يتهاون مع المستعمر ولا يسالوم معه فى حقوق الشعب العربى ومصالحه الجوهريّة .

فلسطين فى كفاحها

وكان موقفنا ، والعناصر الديموقراطية مؤيدا تماما للخطة التى أخذت بها « عصابة التحرر الوطنى الفلسطينية » ٠٠٠ ولقد أوضحنا مرارا ان هناك مؤامرات يدبرها الاستعمار وأذنابه لبلادنا العربية - انهم بعد ما فشلوا فى تكوين كتلة (غربية) لاتجاه فرنسا الى اليسار أخذوا يكونون هذه الكتلة الشرقيّة فمنحت شرق الاردن استقلالها (العجيب) ، وهما هى ذى المفاوضات تدور مع مصر ، وعما قريب مع العراق بشأن ترتيب (معاهدات) صداقة جديدة ٠٠ وان الشرق العربى فى نهضته الحالية ، وفى استهدافه التحرر من الاستعمار تكال له الدسائس ، وتحاك حوله المؤامرات ٠٠ واخرها هذا (التقرير) الذى فصلناه - ولا شك ان للاستعمار مصلحة كبرى - بل المصلحة كلها - فى ابقاء الحالة فى فلسطين - وفى مصر والشرق العربى ان استطاع - على ما هى عليه من اضطراب ، وعدم استتباب الأمور - كما ان للاستعمار المصلحة كلها فى ان يتشبث بفلسطين ، بعد ما جلى عن سوريا ، واذن بالجلاء عن لبنان ، - ولسنا نعتقد ان استقلال البلاد العربية تحررا من خطر الاستعمار اذا ما بقى قلبها - فلسطين - مركز التجمعات ، والحشود العسكرية البريطانية - وحرى بنا أن لا نقع فى الخطأ الجسيم ، فنتحول بكفاحنا وانتباهنا كله الى قضية فلسطين - حرى بنا أن نضع نصب أعيننا دائما ان نضالنا لتحرير وادى النيل من الاستعمار مساهمة كبرى فى طرد الاستعمار من فلسطين وغيرها من دول الشرق العربى - حرى بنا أن نتبين أن المحاولات التى يقوم بها الاستعماريون والفاشيون لتكريز اهتمام الجماهير على مواضيع غير نضالنا المباشر ضد الاستعمار - خدمة كبرى له فلنكافح الاستعمار الجاثم على صدورنا ، ولنكافح أذنابه خائنى وطننا ولنستمر ونشتد فى تأييدنا لفلسطين الناضلة .

)

وثائق

مجلة الضمير

كانت « الضمير » الشقيقة الصغرى « للفجر الجديد » فعندما انفصل الثلاثي (صادق سعد - ريمون دويك - يوسف درويش) عن المجموعة الأجنبية الماركسية اختص يوسف درويش باعتباره محاميا عماليا بالعمل بين صفوف العمال .

وبعد سلسلة من الاتصالات نجح في تكوين « لجنة العمال للتحرير القومي - الهيئة السياسية للطبقة العاملة » وأصدرت لجنة العمال للتحرير القومي مجلة « الضمير » كلسان حال لها . وكان رئيس تحريرها محمود العسكري بينما كان يوسف درويش مشرفا سياسيا على المجلة وكان يكتب مقالاته باسم مستعار هو « خيرى محمود » وفيما يلي مقال نشر في افتتاحية عدد الضمير الصادر في ١٧ - ١٠ ١٩٤٥ .

وسوف نكتفى بهذا المقال باعتباره مجرد استكمال لمواقف مجلة الفجر الجديد . . ذلك ان الاثنين معا يشكلان الموقف المتكامل لجماعة « الفجر الجديد » .

لن تمرروا ٠٠٠

بقلم الزميل خيرى محمود

هى الكلمة التى صاح بها الجمهوريون الاسبانيون عام ١٩٣٦ ٠٠ يوم ان مجمت عليهم الفاشية العالمية بدباياتها وأسلحتها ، وألوانها المختلفة النازية والموسولينية ، وجنرالها فرانكو . هى الكلمة التى تصيح بها اليوم شعوب البلاد العربية فى وجه الصهيونية . صيحة واحدة ترددها الشعوب الحرة فى نضالها ضد الاستعمار والاستغلال ، ضد التظليل والتدجيل . ان الفاشية والصهيونية من طينة واحدة - الاستعمار ، الاستغلال الجشع .٠٠ فالفاشية اداة الرأسمالية المتعفنة لجأت للتدجيل والارهاب لتستمر فى استغلال الشعب الكادح ، والصهيونية اداة الاستعمارية العالمية لجأت للتدجيل على شعوب العالم والكادحين اليهود ، وتلجأ اليوم للارهاب واستعباد الشعوب العربية .

ان الصهيونية تجد تربة صالحة لانتشار مبادئها بين اليهود فى البلاد التى ساد فيها حكم الارهاب . فهى والفاشية مرتبطان ارتباطا وثيقا لا يحطه الا النضال ضد أسباب الاضطهاد والتعسف ، والدفاع عن الحريات الديمقراطية .٠٠

ان الصهيونية لا تحل بالكلية مشكلة ستة عشر مليوناً من اليهود بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب كافة على اختلاف اديانها فى سبيل حريتها وديمقراطيتها .

(عصابة مكافحة الصهيونية - العراق) ان الشعوب العربية لما أيقنت أن الصهيونية ليست فقط خطراً على فلسطين ، ولكن أيضاً على الشرق الأوسط ، على الحريات الديمقراطية وحقوق الانسان ، أسرع فى تنظيم النضال .٠٠ فهناك شعب لبنان انتقل من الاحتجاج على صفحات الصحف والكتب والمنشورات بالتظاهر فى الشوارع وعلان استيائه بالاضراب .٠٠ وذلك العراق قد انبأنا البرقيات ان شبابه الاسرائيلي الحر ، كون (عصابة مكافحة الصهيونية) وفى مصر اجبعت الاحزاب وعلى رأسها اللجنة التحضيرية

الندوبى نقابات العمال المصرية فى مؤتمر باريس (ولجنة العمال للتحرير
القومى) على استنكار الصهيونية ووجوب محاربتها ٠٠

ان الشعوب العربية وعلى رأسها شعب فلسطين عازمة باتحاديها
وتنظيم صفوفها واستنادها على الشعوب الديمقراطية الأخرى ان توقف خطر
الصهيونية الداهم ٠

واذا كانت « جامعة الدول العربية » لم تتخذ الموقف الحازم القاطع
الذى كان يتطلب منها فى هذا الامر فان الشعوب العربية ممثلة فى وفود
العمال العرب فى مؤتمر نقابات العمال العالمى بباريس امكنها باتفاقها ان تشعر
عمال العالم بخطر الصهيونية على الاسبانية ٠٠ وأمكنها أن تمنع دخول
مندوب العمال الصهيونيين فى لجنة الاتحاد التنفيذية ٠٠٠

والشعوب العربية ممثلة فى نقابات العمال لها كبير الامل بعد ان نالت
هذا الفوز ، وبعد ان وضعت القضية الفلسطينية على بساط البحث امام ممثلى
عمال العالم ان تنال فوزا اخر فى مؤتمر النقابات العالمى - استنكار الصهيونية
ومناصرة فلسطين المستقلة الديمقراطية الحرة ٠

وثائق

ندوة دار الأبحاث العلمية

كانت دار الابحاث العلمية ناديا ثقافيا يشكل واجهة علنية لمنظمة « الشراة » (ايسكرا) وفي هذه الدار كان مثقفوا اليسار المصرى يجتمعون فى ندوات ومحاضرات لتبادل الراى حول العديد من القضايا • وكانت « دار الابحاث العلمية » تصدر نشرة غير دورية تعكس نشاطاتها المختلفة ••

والوثيقة التى نقدمها الآن هى عدد من اعداد هذه النشرة غير الدورية (منزوع الغلاف والصفحة الاخيرة ••) ويتضمن مجموعة من « الكلمات » تقدم بها ممثلو جميع المنظمات الماركسية أو التى كان الماركسيون المصريون يمارسون دورا سياسيا فيها • وهى دار الابحاث العلمية (ايسكرا) ، رابطة فتيات الجامعة والمعاهد لطيفة الزيات (ايسكرا) ، مجلة الفجر الجديد (جماعة الفجر الجديد) ، لجنة نشر الثقافة الحديثة (تحرير الشعب) ، جماعة ام درمان (الحركة المصرية للتحرير الوطنى) •

ورغم ان هذه الوثيقة غير مؤرخة فان استقراءها يقطع بان الندوة قد عقدت فى مطلع عام ١٩٤٦ وقبل (يوليى - يوليى ١٩٤٦) حيث تمت الوحدة بين ايسكرا و ح • م • وايضا قبل ان تغلق الدار بناء على قرار صدق فى ١١ يوليى ١٩٤٦ •

ولأن الصفحة الأخيرة مفقودة فان كاماة عبده ذهب ممثل جماعة أم درمان (ح • م) ناقصة • وكانت مجلة أم درمان لسان حال القسم السودانى بالحركة المصرية للتحرير الوطنى ومن هنا فقد وجه عبده ذهب كلمته فى الندوة باسم الشعب السودانى •

كلمة تاريخية عن

مشكلة فلسطين

عبد الرحمن الناصر

عن دار الأبحاث العلمية

تمضى عشرات السنين وفلسطين الشهيدة تعاني وتتناسى ذل واضطهاد الاستعمار والصهيونية .. استعمار بغض ، وصهيونية آثمة .. غرضها استنزاف دماء الشعب الفلسطيني وكبت حرياته وخفض مستوى معيشته وذلاله . كل هذا لصالح حفنة قليلة من أصحاب المال والبنوك ..

ان الشعب الفلسطيني قد خرج من كبت استعمار تركى ليقع فى براثن استعمار بريطانى أشد وأككى ..

لقد كانت فلسطين جزءا من التركة العثمانية ، وكان شعبها الابى لا يفتأ من القيام بالثورات مطالبا بحريته واستقلاله ، وقد استغل فرصة ضعف الاستعمار التركى وقيام الحرب العظمى ليهب خائضا غمار القتال ضد هذا الكبت الاستعمارى الجاثم على أنفاسه ، المعرقل لتقدمه ونموه ، السالب لجميع حقوقه وحرياته .

لقد هب الشعب الفلسطينى والتجأ الى أعداء الاستعمار التركى من بريطانيين وفرنسيين فقدم لهم يد المعونة فى حربهم املا فى ان يجد منهم اعون فى نكبته والمنقذ له من آلامه واستغل هؤلاء الاستعماريون هذه الفرصة وتقدموا الوعود والعهود للعرب وراحوا يمنونهم بالحرية والاستقلال .

ففرى انه بينما كان الاستعمار الانكليزى ممثلا فى السير هنرى ماك ماهون المندوب السامى فى مصر يعقد اتفقا مع الشريف حسين شريف مكة خاصا باعتراف بريطانيا باستقلال الدول العربية بل اعلانها عدم عقد أى صلح الا اذا كانت حرية الشعب العربى واستقلاله من السيادة التركية شرطا حيويا فيه . فى نفس هذا الوقت كانت هناك اتفاقية أخرى سرية تعقد بين

الاستعماريين البريطانيين والفرنسي تعرف باسم اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٦ لتقسيم البلاد العربية بينهما ٠٠ ! فلسطين والعراق من نصيب بريطانيا ، وسوريا ولبنان من نصيب فرنسا .

وهكذا ينثر الاستعمار وعودة باليمين ليمسلبها ثانية بالشمال ، غير عابىء بمصالح الشعوب وغير مكترث بقوتها في تحطيمه ان آجلا وان عاجلا بل الادهي والامر من ذلك ان يرضخ الاستعمار لضغط الصهيونيين والى حاجتنا الى تأييدهم المالى . فيعلن المستر بلفور تصريحه المشؤوم سنة ١٩١٧ الذى جاء فيه : « ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودى واستخدام كافة التسهيلات لتحقيق هذا الهدف » .

وهكذا دق الاستعمار أول اسفين له في قضية الشعب الفلسطيني ٠٠٠ هذا الاسفين الذى لا زال يعتمد عليه الى الآن في تثبيت اقدامه في فلسطين . هذا الاسفين هو « الصهيونية البغضية » سلاح الاستعمار القذر .

ولكن الاستعمار رجل شريف ، لا يجب ان يخرق القوانين الدولية . بل يرى مراعاتها في جميع أعماله العدوانية لذلك تجده قد ألف عصبة الامم . بل قل « عصبة الامم » تحت قيادته يستعملها لتحقيق اغراضه وتنفيذ مآربه تحت ستار القانون الدولى .

فتمسكت هذه العصبة صك استعمار فلسطين تحت اسم « انتداب من قبل عصبة الامم » لرغم مستوى الشعب الفلسطيني !

نعم ٠٠٠ لقد رفعه ٠٠٠ وكيف لم يرفعه والاحصاءات الحكومية تثبت ان ٥٢٪ من السكان يعيشون بمعدل ٤ اشخاص في الغرفة الواحدة و ٣٥٪ من السكان في حالة ضنك شديد حيث يسكن أكثر من نصف السكان كل أربع أشخاص في الغرفة الواحدة بينما في انكلترا نسبة الذين يعيشون بمعدل ٤ أشخاص في الغرفة الواحدة هي نصف في المائة . بل لا زال العامل والفلاح يئنان من استغلالين : استغلال الاستعمار والصهيونية واستغلال صاحب الارض . وصاحب المصنع ٠٠ كيف لم يرفع الاستعمار فلسطين الى مصاف الامم الراقية وهو يستعمل سلاح الصهيونية لاثارة الفتن الطائفية والدعاية الخبيثة العنصرية ٠٠ بل لقد قوى الاستعمار الحركات الفاشية التى وجدت مرتعا خصبا لنموها ، ووجدت البذرة الصالحة لدعايتها للتمفرقة بين العرب واليهود باسم الدين ، وتبذر الارهاب والفرع في طول البلاد وعرضها ٠٠٠

كل هذا ليبقى الاستعمار مسيطرا على البلاد ، مثبتا أقدامه فيها ، مستغلا شعبها البشع استغلال .

ولكن العرب واليهود قد بدأ كفاحهما من زمن بل اشتد كفاحهما منذ انهزام الفاشية في أوروبا ، وصمما اما ذيل الحرية والاستقلال ، واما الفناء في كفاح الشعب الفلسطيني كفاحا مريرا حتى يقضى على كافة انواع الاستغلال تصميما نهائيا على التخلص من الاستعمار والاستغلال والصهيونية وسيستمر ان فلسطين - والشعوب العربية من ورائها تشد ازرها - قد صمدت سبيلهما .

ولكن يستطيع الاستعمار البقاء في فلسطين الا اذا أفنى شعبها عن بكره
'بييه ..

ماهى الصهيونية ؟ عن رابطة فتيات الجامعة والمعاهد لطيفة الزيات

الصهيونية كلمة تذكر فيذكر معها الاستعمار والرجعية فالصهيونية هى حليفة الجشع والاستعمار وعميلة الاحتكار والاستبداد .

والصهيونية كلمة طالما اختلطت على الكثيرين منا فخلطوا بينها وبين اليهودية وحسبوا أن الصهيونية اسما لمسميين ودلالة على شبيين . ولا عجب فى هذا فقد اراد الاستعمار هذا الخلط فكان . ولكن هل الصهيونية هى حقا اليهودية ؟ وهل نشأت الصهيونية مع نشأة اليهودية ؟

لقد عرف العالم اليهود اجيالا وقرونا ونال اليهود من العذاب الوانا رصنونا وقاسى اليهود من الحرمان أنواعا وضروبا . ولم تنشأ الصهيونية ، ولم تعرف الا فى اواخر القرن التاسع عشر ، نمت فى ظروف خاصة وبفعل قوى خاصة نفخت فيها فكانت الصهيونية وكان الوطن اليهودى .

فى اواخر القرن التاسع عشر يتحول النظام الرأسمالى من قوة ناهضة متقدمة الى قوة احتكارية رجعية . وفى اواخر هذا القرن تتدهور الرأسمالية ونشيوخ وتروح تتخبط فى بحر من الطغيان والكبت والاستبداد وهى تنشبث فى جنون بذلك النظام الرجعى المتعسف ، ذلك النظام الذى حكمت عليه متناقضاته بالفناء .

وتتنبه الهيئات الحاكمة فاذا بالشعب من حولها ساخط شائر فتخشى ان يهتدى الى الداء وان يتلمس الدواء ، تخشى ان يدرك ان النظام الاستعمارى الاحتكارى هو دواء وان النظام الديمقراطى الحق هو دأؤه تخشى كل هذا فتلعب لعبتها الفذرة لتحرف كفاح الجماهير عن طريقه الصحيح ، ولتوجه الجماهير الى علل تافهة تخلقها خلفا ضارية على الوتر الحساس مثيرة للنمرة الدينية مرة والوطنية اخرى والجنسية ثالثة ، عازفة

على تلك النغمات التي لا تفيد الا الطبقات الاحتكارية والقوى الرجعية • وقد نجحت الطبقة الاحتكارية في اليهود كبش الفداء والهدف الصالح الذي توجه اليه سخط الجماهير • ولقد قالها هتلر : « ان اليهود نعمة من السماء ارسلت لي لنو لم يكن اليهود لما استطعت اليوم ان اقوم بدوري في المانيا ولما حزت مثل هذا النجاح وباليهود سألعب دوري في اوروبا يوما » ونجحت القوى لرجعية الاستعمارية في لعبتها القذرة ، وبدأت في اواخر القرن التاسع عشر في اوروبا - موطن المدنية - مذابح اليهود وسالت دماء اليهود تصرخ في وجوه سسايها • سنغني ولكن ستمي الشعوب يوما ، وسنقضي ولكن سنكتشف الجموع عن الاعيكم حتما ، وسقطت الرقاب تحكي قصة المستبدين الدجالين الذين استحلوا دماء اليهود ليتشبثوا بنظام كتب عليه الفناء •

اما يهود العالم فقد كان خطبهم جليلا ، دهاهم ما دهاهم فترك جماهيرهم مشتتة مضطهدة معذبة يسهل تضليلها والتغريب بها ، وفعلوا ظهر عملاء الاستعمار امثال هرزل ووايزمن ، اولئك الذين كانوا يرتعون في احضان نشمبرلن والسلطان عبد الحميد وقيصر روسيا ، ظهر اولئك الخونة ليطلموا اليهود المذبذبين ويصرفوهم عن علة دائهم واساس بلائهم الا وهو النظم الاحتكاري الاستعماري الظالم يصرفونهم عن دواء هذا الداء عن الهدف الحقيقي الذي يجب ان يرنوا اليه الا وهو تدعيم الديمقراطية التي لا تعرف لونا ولا جنسا ولا ديننا • الديمقراطية التي تكفل لهم الحرية والمساواة واكمرام • يصرفون اليهود عن الكفاح الحقيقي الى أحلام زائفة ، وآمال باطلة الى انشاء دولة يهودية في فلسطين ، فلسطين بلد الميعاد وهكذا ظهرت فكرة الصهيونية وليس من الغريب ولا من المستغرب ان يرحب بها مستر شميرلن وزير المستعمرات الانكليزي وان يصدر وعد بلفور يعلن ان بريطانيا تؤيد كل التأييد قيام وطن يهودي في فلسطين • فقد ارتاع الاستعمار البريطاني من تلك القوى التحريرية النامية في الشرق العربي ، ورأى الصهيونية فرصته السانحة لتوجيه كفاح العرب بعيدا عن وجهته الصحيحة ضد الاستعمار والاستغلال الى كفاح عنصري بغض يفتني فيه العرب ويفني فيه اليهود ويرتوي الاستعمار بدماء العرب واليهود ، فينمو ويزدهر ويتشبث بفلسطين بدعوى انه حامى حمى الاقليات وأنه ناشر لواء السلام في أرض الميعاد •

وسرعان ما يكشف الاستعمار عن وجهه الغطاء ، وسرعان ما تنهال رؤوس الاموال البريطانية على فلسطين تنشب مخالبتها في اقتصادها الوطني تستنزف دماء أهلها • وراح الاستعمار يعمل من وراء الصهيونية يقاسم حشعها واستغلالها واستعبادها للشعب الفلسطيني حتى بلغت نسبة رؤوس الاموال البريطانية في فلسطين ٨٨ في المائة من مجموع رؤوس الاموال فيها •

وتم الارتباط بين الاستعمار البريطاني والصهيونية حين بدأت النازية في ألمانيا وحين بدأت المذابح اليهودية على نطاق لم يعرفه العالم من قبل وهنا بدأت الهجرة المنظمة تحت اشراف الاستعمار البريطاني وتم تحويل فلسطين الى قلعة استعمارية بريطانية ومركز استراتيجى خطير يهدد الشرق العربى بأجمعه .

وقد أنزل الاستعمار البريطانى وعميلته الصهيونية أضراراً فادحة فقد استندل العرب في ديارهم وطرد فلاحهم من الاراضى واستغل عمالهم أسوأ استغلال وأحل لهم الجوع والدمار وحول كفاحهم للخلاص من ربقة الذل والاستعباد الى كفاح عنصري بغىض .

أما اليهود فقد حشروا حشراً في فلسطين وبلغ عدد العاطلين منهم ٣٠ الف عامل ويعمل الكادحون منهم تحت ظروف من العمل القاسية شديدة القسوة . ارتضوا كل هذا في سبيل الوطن اليهودى المنفرد ، في سبيل الحلم الذى لن يتحقق ، في سبيل الخيال المضلل . بينما يغنى كبارهم ويغنمون . بينما يحول الرأس ماليون اليهود عرق العمال ذهاباً ويبلغون القمة على أكتاف العمال واليهود .

فالاستعمار البريطانى يستخدم الصهيونية لينمو على حساب العرب واليهود ثم يلقي بالفتات الى قلعة من كبار صهيونىي اليهود قلعة تتمرغ تحت قدميه وترتمى في احضائه وتصلى في محرابه .

ولكن العرب يقظون لا يخدعون فالحن والخطوب لا تمر بالشعوب مر الكرام وانما تتعلم منها الشعوب عبراً وتخلص منها بعضات وعظاات فقد آمن العرب واليهود اخيراً ان النظام الاستعمارى والاحتكارى يجر في اذياله الطغيان والاستبداد وان الديمقراطية وحدها هى الكفيلة بتحقيق الحرية والكرامة والمساواة .

وبداً الوعى يدب في الجموع يجمع من شتاتها ويضم صفوفها ويقوى من عضدها لتضرب الاستعمار وعميلته الصهيونية الضربة القاضية وقامت المظاهرات من العرب واليهود تعلن ان شعب فلسطين يريد ان يحرر فلسطين من ربقة الاستعمار ونير الصهيونية والاستغلال وان شعب فلسطين يريد اقرار حقه في الحياة الحرة الكريمة ، وان شعب فلسطين يريد تحقيق الديمقراطية .

قام احرار الفلسطينيين قومتهم الحقبة في وجه الاستعمار ، قاموا رجالهم ونسأؤهم ومدت المرأة الفلسطينية يدها الى الرجل تعاوده على الكفاح ، وستمضى المرأة الفلسطينية في كفاحها حتماً فالمرأة الفلسطينية تعرف ان لا كرامة لها ووطنها مستعمر مستغل وان لا حياة ووطنها ذليل مستعبد انها لترنو في ايمان الى اليوم الذى تتحقق فيه لفلسطين الحرية والديمقراطية .

فلسطين ومناورات الاستعمار

صادق سعد

عن أسرة تحرير الفجر الجديد

يريد الاستعمار البريطاني أن يبقى قبضته الحديدية على فلسطين بأش
نم، حتى تضمن له هذه القبضة أرباحه الاحتكارية الطائلة وسيطرته على
الشعوب المستعمرة المستعبدة في الشرق الأوسط والهند والشرق الأقصى ، وحتى
يحول فلسطين إلى مركز وثوب ضد شعوب شرق البحر الأبيض المتوسط
وشعوب الاتحاد السوفياتي . على أنه ليس من السهل عليه أن يقوم بهذا
كله مكشوفاً أمام الرأي العام العربي وأمام الرأي العام العالمي الحر الديمقراطي .
وليس من السهل على الاستعمار البريطاني أن يعتذر عن احتلال فلسطين
باحتياجات طبقاته الاحتكارية الانانية . فإذا قالت الحكومة البريطانية اليوم
إنها تصر على احتلالها لفلسطين حتى تضمن قبضتها الاستبدادية على شعوب
الشرق العربي وغير العربي ، قامت ضدها شعوب العالم كله - بما فيها الشعب
البريطاني الكدح ذاته - وأصبحت في مركز حرج ليس بعده من حرج ، إذ
فلا بد من عذر للاستعمار البريطاني حتى يبقى سيطرته الفولاذية على البلاد
العربي الشقيين ، عذر معقد يدخل فيه اعتبارات انسانية عاطفية واعتبارات
سياسية تبدو معقولة مثل ضرورة الدفاع عن شعوب لا جيش لها ، عذر معقد
بخلفه الاستعمار بيده ويزيد من تعقيداته بيده ثم يعلن ضرورة الحيلولة دون
الحكم المستقل الديمقراطي في فلسطين حتى تحل هذه العقدة . أما العقدة فهي
أن تكون فلسطين مركزاً للاضرابات الدينية والعنصرية . والسبيل إلى ذلك
هو تقديم فلسطين لقمة سائغة للاستعمار الصهيوني . فعلاً ماذا حدث منذ أن
احتلت الجيوش البريطانية تلك البلاد الشقيقة سنة ١٩١٧ ؟ صدر تصريح
إنور وبدأ تدفق الرأسمال الاجنبي على فلسطين ، وانتقل جزء كبير من أرضها
إلى أيدي المستعمرين وطردت آلاف العائلات الفلاحية العربية من الأرض التي
كانوا يزرعونها ، واستقرت رؤوس الاموال الاحتكارية على قوى فلسطين
الطبقية ومرافقها ، وحرم الاستعمار البريطاني عرب فلسطين من الحكم
الديمقراطي ، فكانت حكومته في فلسطين ديكتاتورية لا تعبر عن احتياجات

الشعب ومصالحه بل وتعمل على تدفق الارباح في ايدى المستعمرين والاحتكاريين ، حكومة لا تفكر في مصالح الطبقات الشعبية الجوهرية انما تعمل بشكل منظم على حرمانه من التعليم وعلى حرمانه من وسائل الصحة الاولى وعلى تخفيض مستواه المادى والثقافى تخفيضا مستمرا . وقابلت حكومة فلسطين الاستعمارية جميع محاولات العرب ومسايعهم المشروعة للتحرر والانعتاق بارهاب بوليسى وعسكرى منظم ، بفرض الاحكام العرفية ، بالزج بالوطنيين العرب فى السجون دون محاكمة وباعدامهم بعد حكم سريع كان الاستعمار فيه قاضيا ونائبا عموميا . واثارت الصهيونية متضامنة مع الاستعمار الثورات والفتن الدينية البغيضة . وقسمت الجماهير الكادحة الى قسمين - عربى ويهودى - بارهابهم المنظم على يهود فلسطين . والاستعمار البريطانى فى ذلك كله يتخذ منصب الحكم المحايد ، يشير الى الاضطرابات الدينية التى خلقها بيديه فيقول : « يستحيل أن يوجد حكم ديمقراطى فى هذه الفوضى ولا ان تمنح فلسطين الاستقلال وفريها هذه الفتن ، لان ذلك يعنى ترك العرب يفتكون باليهود فتكا . لا العرب ولا اليهود يستحقون حكما شعبيا ، لانهم لا يعرفون كيف يستعملونه ! » .

والاستعمار يجد لهذا كله أعوانا أقرباء فى الرجعيين من العرب ، هؤلاء الذين يرهبون الحكم الشعبى الديمقراطى كما يرهبه الاستعمار ذاته ، هؤلاء الذين يخافون على ارباحهم الطائلة التى اعتصروها من الشعب كما يخاف الاستعمار على ارباحه الطائلة التى اعتصرها من الشعب : هؤلاء الرجعيون من العرب هم الذين يثنون على صداقة بريطانيا التقليدية لانهم يحتاجون الى قواتها المسلحة كى تحميهم من كفاح الشعب وضغط الشعب وغضب الشعب ، هم يخدمون الاغراض الاستعمارية بان يحاولوا ان يوجهوا كفاح العرب التحريرى ضد الاستعمار واعوانه نحو كفاح اليهود كطائفة دينية فى فلسطين والبلاد العربية الاخرى . ألم تر فلسطين نورى السعيد ينصح عربها سنة ١٩٣٦ بان يتخلوا عن حركتهم الوطنية قبل ان يتراجع الاستعمار قيد أنملة ؟ ألم ير العرب جميعا نورى السعيد يقترح انشاء سوريا الكبرى ويعمل لها ويضمن هذا مشروع تقسيم فلسطين الى قسمين : احدهما عربى والاخر يهودى ؟ ألم تثر الهيئات الفاشية المصرية الاضطرابات الدينية فى القاهرة والاسكندرية فى ٢ نوفمبر الماضى - فى ذكرى وعد بلفور - بدلا من ان تطالب بتحرير فلسطين من الاستعمار ؟ اننا لا نعجب لهذا كله ، فالرجعية والفاشية - عربية كانت ام انكليزية ام عالمية - الرجعية والفاشية حليفتا الاستعمار فى كل مناسبة من المناسبات التحريرية ، فى كل مناسبة من مناسبات الكفاح الوطنى العربى المجيد .

واليوم تتكرر مناورات الاستعمار ، ولكن بشكل اشملى وعلى نطاق اوسع ذلك لان القضاء العسكرى على الفاشية فى اوروبا قد حرر الجماهير اليهودية الاوروبية من الاضطهاد العنصرى الحكومى المنظم فهدد بقطع المعين الذى يغذى الصهيونية بالرجال والقوى المعنوية والحرب التحريرية الاخيرة قد ايقظت قوى شعبية هائلة فى كل مكان فكانت الحركة الوطنية العربية من الحركات الشعبية التى نمت وازدهرت فى الايام الاخيرة . وان الاستعمار البريطانى لىواجه هذه الحركات جميعا ويقاوم النهضات الوطنية جميعا ، تلك النهضات الوطنية التحريرية التى تكبل له الضربة تلو الضربة فى اندونيسيا والملايو والهند وايران والعراق والمشرق ومصر ، تلك الحركات العادلة السليمة التى تتوثق الروابط بينها يوما بعد يوم ، تلك الحركات الشعبية التى دفعت بحكوماتها دفعا الى ميدان التعاون الدولى والتى ضغطت عليها ضغطا الى ان انشئت منظمة الامم المتحدة ، يواجه الاستعمار العالمى كل هذا غلابد ان يقوم مرة اخرى بمناوراته الجديدة القديمة التى اعتادها ليخدع الشعوب ، فان كان الاستعمار البريطانى يستعمل الاسلحة الفتاكة جهارا ضد الشعب الاندونيسى الا انه لا يستطيع ان يجمع الحركة الوطنية فى الشرق العربى بذات الشكل المكشوف ، فلا سبيل امامه الا ان يلبس اغراضه الاستعمارية ثوب الشرعية والحق انه يعلم تمام العلم ماهية القضية الفلسطينية . ولكننا نراه اليوم يرسل مع زميله الاستعمار الامريكى لجنة مشتركة للتحقيق فى قضية فلسطين ، مهمة لجنة التحقيق الرسمية ان تبحث ونفحص وتستمع الى الشهادات الرسمية وغير الرسمية ، الشهادات العلنية والسرية ولكن الغرض الحقيقى من ايفادها هو اثارة الفتن والاضطرابات الدينية والعنصرية فى فلسطين وغير فلسطين من البلاد العربية . فان كانت هناك مشكلة فى فلسطين كان على المسئولين عن الانتداب ان يعرضوها على منظمة الامم المتحدة او على مجلس الامن . وان كان الانتداب البريطانى قد اضر فشله الا تام فى حل المشكلة الفلسطينية ، فعلى مجلس الوصاية ان يأخذ المسألة فى يديه فيحرر الشعب الفلسطينى من الحكم الاستعمارى ويتركه يبنى منشآت الديمقراطية الذاتية . ولكن الاستعمارين البريطانى والامريكى قد انكروا سلطة منظمة الامم المتحدة ، والاستعماران الانجليزى والامريكى قد عينوا لجنة التحقيق فى حين انهما خصم فى المشكلة فكيف يلعبان دور الحكم ؟ اليس الاستعمار البريطانى هو الذى وعد ان تصبح فلسطين وطنا قوميا للصهيونيين ؟ اليس هو الذى حرم العرب من الحكم الديمقراطى المستقل ؟ اذن فهو سخذ الصهيونية الرئيسى ، فكيف يعطى له حق الفصل فى النزاع بين العرب والصهيونيين ؟ وهل نفس الشئ عن حكومة الولايات المتحدة التى تطالب الان باذخال ، ١٠٠٠ مهاجر جديد فى فلسطين . هذان الاستعماران كلنا اللجنة بالتحقيق فى مسألة فلسطين ، فى حين ان هذه المسألة لا تحتاج الى تحقيق جديد ، بعد التحقيقات السبعة عشر التى عرفت فلسطين منذ الاحتلال البريطانى ، هل تحتاج قضية

شعب يهدف الى التحرر والديمقراطية الى تحقيق ومن الذى يحقق ؟ مستعبدوه ومستغلوه ان قضية الشعب الفلسطيني هى قضية تقرير المصير التى وقعت هذه الحرب باسمها ، فليس أوضح ولا أعدل من أن يطبق هذا المبدأ على فلسطين .

نحن نرى للجنة التحقيق غرضا مزدوجا أولا ان تربط قضية فلسطين بقضية اليهود المضطهدين أو المشردين فى أوروبا .

فتشريد اليهود فى أوروبا وبقياء الاضطهاد العنصرى التى تؤلمهم انما تعالج باستتباب الديمقراطية فى أوروبا . لا بالاحتفاظ بالقوات النازية فى ألمانيا كما تفعل كل من انكلترا وأمريكا الآن . وان لم يكن بد من ايواء اليهود المشردين فى بلاد غير أوروبا نفسها ، فلم لا تقبلها انكلترا أو الولايات المتحدة وأرضها واسعة شاسعة ؟ الا أن الاستعماريين البريطانى والأميركى لا يريدان فى الحقيقة ان يقوما بعمل إنسانى - بمساعدة اليهود المشردين - وانما يريدان أن يدخل مهاجرون فى فلسطين ، أو على الأقل ان يهددا فلسطين والبلاد العربية بمهاجرين يهود حتى تثار مسألة الهجرة لا مسألة الحكم الديمقراطى المستقل فى فلسطين ، والاستعمار يرمى فى هذه المناورة الى تسوية قضية فلسطين أمام رأى العام العالمى ، اذ ان العرب سوف يرفضون كل هجرة جديدة - لان كل هجرة جديدة معناها تقوية الغزو الصهيونى - وعندئذ سيظهر الاستعمار الحركة الوطنية فى فلسطين كحركة وطنية متعصبة ، حركة أناس لا احساس لهم ولا مشاعر انسانية عندهم .

والاستعمار بهذه المناورة لا يرمى فقط الى تشويه قضية فلسطين فى نظر رأى العام العالمى ، وانما يرمى ايضا الى تشويهها فى نظر العرب أنفسهم ، فقضية الهجرة الصهيونية ما هى الا قضية ثانوية فرعية بالنسبة الى القضية الرئيسية الجوهرية ، قضية التحرر من الاستعمار البريطانى تحررا كاملا ، فالهجرة الصهيونية الى فلسطين قد نمت تحت الحكم البريطانى دون سواء والقوانين واللوائح التى وضعها هذا الحكم فى فلسطين هى التى تنظم الهجرة الصهيونية . ووجود القوات المسلحة البريطانية فى فلسطين هو الذى يجعل من الهجرة اليهودية إليها غزوا أجنبيا ، ونظام الاحتكارات فى أيدي المالين الكبار ، ذلك النظام الذى ادخلته بريطانيا فى فلسطين والذى تحميه بريطانيا بجيوشها ودباباتها وطائراتها ، هذا النظام يجعل من الهجرة اليهودية غزوا أجنبيا واحتلالا اقتصاديا . ووجود نظام حكم نيكتاتورى غير تمثيلى أو ديمقراطى حكم فى يد الحكومة البريطانية الاستعمارية ، هو الذى يجعل من الهجرة غزوا سياسيا ويوجد الارهاب الفاشى فى صفوف اليهود فى فلسطين وهو الذى يسلح هؤلاء اليهود ضد العرب ، ويسلخ أفرادا من العرب الفاشيين ضد اليهود .

اذن فقضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ان هي القضية ثانوية فرعية .
في حين ان قضية تحرير فلسطين من الاستعمار وايجاد حكم ديمقراطى فيها ،
هذه هي القضية الرئيسية الجوهرية ، ولذلك علينا ان نعتبر تقديم المسألة
الفرعية الثانوية الى المقام الأول مناوره من الاستعماريين البريطانى والأميركى ،
مناوره لكسب الوقت والتهرب من الالتزامات الدولية ، مناوره لتشويه
القضية الفلسطينية وتحويل الكفاح الوطنى فى فلسطين وغير فلسطين من البلاد
العربية من كفاح موجه ضد الاستعمار ، الى كفاح موجه ضد اليهود الى كفاح
دينى عنصرى ، مصيره الفشل المحتوم .

وكان الوطنيون العرب المخلصون قد رأوا هذا كله ، فنادوا بمقاطعة لجنة
التحقيق حتى تحبط مساعى الاستعمار ، ولكن الساسة العرب الرسميين أبوا
الا المثول أمام اللجنة فماذا كانت نتيجة التحقيق ؟ جاء تقرير اللجنة مطابقا
تماما لما توقعه الوطنيون العرب المخلصون ابان الانتداب ، أى حرم الشعب
الفلسطينى من الحكم الديمقراطى المستقل الذى يبغيه ، وافسح المجال امام الغزو
الصهيونى ، اذ طالب باباحة بيع الاراضى الى الصهيونيين اباحة كاملة ، وطالب
بتوثيق التعاون بين حكومة فلسطين الانكليزية وبين الوكالة اليهودية ، وحذ
هذا التصريح بشكل غير مباشر استمرار التوتر الدينى والعنصرى بل كانه
يطالب فعلا بتوسيع مذاه الى أقصى الدرجات اذ أوصى باذخال ١٠٠,٠٠٠ مهاجر
يهودى جديد الى فلسطين ، وهو ، اذ يؤكد ضرورة هذه الهجرة الجديدة ، انما
بصرح فى الوقت ذاته انها لن تحل مشكلة اليهود المشردين فى أوروبا ، اذن
فلماذا يطالب التقرير بها ؟ واضح انه يريد ان تتحول الحركة الوطنية العربية
فى فلسطين وغير فلسطين من مهاجمة الاستعمار البريطانى الى كفاح ضد
الهجرة والى مهاجمة اليهود ، الى كفاح دينى وعنصرى خاطئ ، لا اميل له فى
النجاح !

وقد أثار هذا التقرير موجة واسعة عميقة من الضجة والاحتجاجات
والاضرابات فى الشرق العربى كله ، فأرغبت الاستعماريين الانكليزى والأميركى
للذين لم يجرأ على تطبيق توصيات التقرير مباشرة ، بل جعلوا يبحثان عن
طريقة يخدعان بها العرب واخيرا قالوا : « نريد ان نستشير زعماء العرب فى هذا
التقرير » . كأنها قضية فلسطين لا تزال غامضة ، وكأنما أهل فلسطين لا حق
لهم فى ان يقرروا مصيرهم بانفسهم ولا حق لمنظمة الامم المتحدة فى ترتيب
العلاقات بين أهل فلسطين والاستعمار ، ان هذه اللعبة الجديدة استمرارا للمناورات
الاستعمارية السابقة لانها تحتفظ للاستعمار بسلطة تقرير مصير فلسطين ، نعم
ان استشارة العرب مناوره وليدة ولكنها ليست جديدة فقد عرف الشعب العربى
مثيلاتها وخبر فشلها والتواءها ولقد صحت اليوم الدعوة التى علا بها صوت
الديمقراطيين العرب بان تحطم الحلقة الفولاذية الاستعمارية فتعرض قضية
فلسطين على هيئة الامم المتحدة .

الحركة الوطنية في

فلسطين

عن أسيرة تحرير الفجر الجديد

أحمد رشدي صالح

الشعب وحدة الخالد وكل ما عداه عرض زائل . يعلمنا الشعب العربي الفلسطيني بكفاحه البطولي ضد الاستعمار والصهيونية ان حيوية الشعوب لا تنفذ وقدرتها على النضال لا تحد فهذا البلد الصغير الذي لا تزيد مساحته على ١ من ٢٨ من مساحة بلادنا . وهذا الشعب الصغير الذي لا يتجاوز كثيرا ١ من ١٧ من عدد مواطنينا الذي يعيش على ارض زراعية أقل من ٢ من ١٥ من ارضنا الزراعية ، هذا البلد الصغير مسرح معركة جبارة فاصلة في تاريخ الاستعمار وهذا الشعب الصغير هو رأس رمح المقاومة في هذه المعركة الجبارة الفاصلة . ان الصراع الدائر الان في فلسطين بين العرب والاستعمار والصهيونية صراع على الحياة ذاتها . اما ان تنجح الحركة الوطنية فيحتفظ الشعب العربي بالارض التي نشأ عليها وامتزجت بزرعها وتربتها عظام اجداده وآبائه واما ان ينتصر الاستعمار والصهيونية فيشرد ويفنى ، ولقد اتخذت المعركة وجهها جديدا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . فالاستعمار اليوم يحضر لحرب عالمية ثالثة . ويبني خط هجوم اقليمي في الشرق الاوسط ويتخذ فلسطين القاعدة الاولى في هذا الخط . فالمعركة اذا ازدادت سعيرا والصراع اذا اشتد عمقا وخطورة ولكن الشعب العربي الذي تهرس على أساليب الكفاح الثورية والسلمية سيستمر في نضاله لا يلين ، فمعركة فلسطين ليست معركة الارض الزراعية التي يستلبيها الاستعمار الغاصب ، ولا الوطن اليهودي الذي تبنيه الصهيونية على اشلاء ضحاياه ، وانما هي معركة الشعوب العربية ضد تغلغل الاستعمار ، بل معركة شعوب المستعمرات في الشرق الاوسط والاقصى ضد سارقي كدها ومسخريها .

ولقد يظن البعض ان الحركة الوطنية في فلسطين ابتدأت بعد الانتداب أو ظهرت مع وجود الصهيونية بها ، ولقد اتروج الاوساط الاستعمارية هذا الظن حتى يعتقد الناس ان الحركة الوطنية في فلسطين موجهة منذ بدئها ضد الصهيونية أو اليهودية .

الواقع انها أعرق من كلا من الاحتلال والصهيونية • غفى ظل الحكم التركي أخذت القومية العربية تنتعش وتعبّر عن وجودها بهذا الانتساج الادبي الذي غزا مصر وغيرها اواخر القرن الماضى وبهذه الجمعيات الثقافية التى رسمت لنفسها غاية قومية هى بعث ودراسة الاداب العربية • ثم اشتد وضوح الروح القومية العربية بانشاء الجمعيات السياسية فى اوائل هذا القرن كعصبة الوطن العربى التى أسست فى ١٩٠٥ واتخذت شعارها « البلاد العربية للعرب » اساسا لنشاطها ولجمعية الاخاء العربية المؤسسة فى ١٩٠٨ وجمعية الجامعة العربية وغيرها وما لبثت هذه الحركة القومية ان انعكست فى تغيير اخر اذ عقد المؤتمر العربى الاول فى باريس عام ١٩١٣ وأصدر بيانها الذى يقول فيه : من المهم أن يكون للعرب التمتع بحقوقهم السياسية بان يشتركوا فى الادارة المركزية ، اذن فالقومية العربية اتخذت طريق النضال ضد الاتراك قبل أن يعلن الانتداب ويصدر وعد بلفور بل بحت تباشّر هذه القومية قبل أن يعلن هيرزل مؤسس الصهيونية دعوته ، فالحركة الوطنية العربية فى فلسطين اذن ذات جذور وطنية عريقة ، وكفاحها اذن كان ضد المستعمر التركى قبل أن تحتلها الجيوش البريطانية بعشرات السفين •

ولكن هذه الحركة الوطنية العربية ، التى استهدفت التخلص من السيطرة الاجنبية اتجهت بعد الاحتلال وجهة خاطئة وذلك خضوعا لضغط القيادة الاقطاعية العربية التى كانت تتولاها حتى قيام الثورة ذاتها •• فقد اتسمت السنوات التى اعقبت الاحتلال بسمات كثيرة :

(ا) طغيان الكراهية الدينية والحزابات الطائفية • وشدة حدة هذه الكراهية ولا شك ان الاستعمار والرأسماليين الصهيونيين والاقطاعيين العرب هم المسؤولون عن المذابح المتكررة التى قامت بها بعض الجماهير العربية ضد اليهود •

وأما الرابع من هذه المذابح والكراهية الدينية فهو الاستعمار الذى نجح فى تحريك الانظار بعيدا عنه ، وهو الرأسماليون الصهيونيون الذين تجدروا فى اجتذاب عطف وحماس جماهير اليهود وزجهم فى المعركة لتثبيت أقدام الاستغلال الصهيونى فى فلسطين وهم الاقطاعيون العرب الذين ألقوا بالجماهير العربية فى المعركة ، فى حين أنهم كانوا يتفاهمون مع الاستعمار ويبيعون أرض فلسطين للسماسة الصهيونيين •

(ب) وتقسم هذه الفترة أيضا باتساع نطاق بيع الاراضى للصهيونيين بحيث باع الاقطاعيون العرب خمس الاراضى للرأسماليين الصهيونيين •

ان الذين أوقعوا بالمعرب عامة والمزارعين خاصة أضرارا فادحة هم طبقة كبار الملاك الاقطاعيين الغرباء عن البلاد الذين باعوا مساحات شاسعة من أخصب الاراضى الفلسطينية لليهود وأما المزارع العربى فهو شديد الوطنية لا يبيع أرضه لخصمه الا بعد أن تسد جميع أبواب الرزق أمامه .

(ج) وفى أثناء الازمة الاقتصادية العالمية وبعدها ازدادت الحدة بين العرب واليهود وأصبح كفاح الشعب العربى موجها الى اليهود وحدهم وذلك بتوجيه الفاشيين اليهود والاقطاعيين العرب .

عبر أن القيادة الاقطاعية للحركة الوطنية ما لبثت أن ظهر لها منافس قوى تلك هى القيادة البرجوازية التى كانت قد بدأت تعبر عن وجودها مبكرة جدا ، وأخذت تتجمع فى الوقت الذى تنقسم فيه القيادة الاقطاعية للحركة الوطنية بالضعف - بالثورة الفلسطينية تتحطم سلطة القيادة الاقطاعية وتبدو القيادة الثانية قوية - توجه الجماهير الى طلب الاستقلال - الى منازلة الاستعمار الى المطالبة بحكومة برلمانية والمطالبة باحتجاز مرافق البلاد كي تستغلها رؤوس الاموال الوطنية - لقد اتخذت الحركة الوطنية فى المرحلة الثانية طريقا مغايرا الى حد كبير للطريق الاول - أصبحت شعاراتها « الاستقلال » و « الحكم النيابى ومقاومة الاستغلال الأجنبى » .

ولعبت القيادة البورجوازية دورا عظيما فى اثاره الجماهير فأضربت النساء العربيات لأول مرة وظهرت الاحزاب السياسية وتكونت اللجنة العربية العليا وبرنامجها الدعوة الى تشكيل حكومة نيابية فى فلسطين ووقف الهجرة اليهودية ومنع بيع الاراضى وتأليف الحرس الوطنى الذى أصدر بيانا ذا مغزى هام يقول فيه « ان المستعمرين هم الاصل فى قضيتنا واليهود الفرع الاستعماريون هم الذين رمونا بالصهيونية وهم الذين يهددون دماء أبنائنا » .

هكذا دخلت الحركة طورها الثانى اتقودها البورجوازية . . ولكن الثورة هى عمل الجماهير الشعبية ، فها هى ذى حركة الاضرابات تبدأ من يافا المدينة الصناعية الكبرى - وها هى ذى جماهير الفلاحين تحمل الاسلحة دفعا عن أرضها . . . ان تدفق الجماهير الى المعركة وتحولها الى نضال ثورى ، وطول مداها ، قد ألقى الفزع فى قلوب جزء من القيادة البرجوازية فحدث انشقاق فى اللجنة العربية العليا ، وقال قائلهم مشيرا الى تغلغل العمال والفلاحين فى النضال الثورى « أية هبة تبقى للاراضى المقدسة فى نظر الزوار عندما يقدّمون الى هنا ويرون الشيوعية منتشرة فيها كما فى سائر البلاد أو أكثر . هذه الشيوعية التى ألفت التشويش فى شعبنا البسيط الوداع »

ولم تصدع الحركة الوطنية العربية صفوف قيادتها العليا فقط ، بل صدعت صفوف الصهيونيين أنفسهم ٠٠٠ ولكن تخاذل القيادة وضغط الاستعمار العاشم قد فكك الثورة بعد خمسة أشهر من أندلاعها .

والطور الاخير للحركة الوطنية في فلسطين يصطبغ بازدياد دور الطبقات الشعبية من عمال وفلاحين ومتقنين أحرار وبانتقال ثقل التوجيه والافارة الى القيادات الشعبية وهي عصابة التحرر الوطني ورابطة العمال ورابطة المتقنين العرب - وهذه القيادات وجهت النضال وجهته السلمية فأبرزت خطورة تحويله الى الكفاح ضد الصهيونية منفصلة عن الاستعمار أو الهجرة مستقلة عن الاستعمار أو اليهود اذا لم يكونوا صهيونيين . ان أهداف التحرر الوطني هي استقلال فلسطين وانشاء حكومة ديمقراطية تمثل الشعب الفلسطيني تمثيلا ديمقراطيا واشاعة الحريات الديمقراطية في البلاد ليتسنى للشعب تقرير شؤنه وايقاف الهجرة وفصل قضية فلسطين عن قضايا اللاجئين اليهود والفرق واضح بين هذا التوجيه والتوجيه الخائن الاقطاعي أو المتذبذب البورجوازي .

فالقيادة الشعبية ترى أن « مطالب العمال اليومية واحتياجات الفلاحين العادلة مطالب استقلالية تناضل في سبيلها نضالا شعبيا دائما » وهي ترى « أن قضية فلسطين في سبيل الحرية هي قضية نضال ضد الاستعمار وأعوانه وليست نضالا ضد عرق أو جنس » وتدعو الى توحيد أعداء الاستعمار أيا كانوا يهودا أم عربا ، ذلك لان جماهير « العرب واليهود تتلاقى في مصالحها وأهدافها في تأمين نظام ديمقراطي عادل يضمن عملا للعمال وأسواقا للمزارعين وأفاقا جديدة للمنتجين » انها تدعو الى توحيد الصفوف حتى مع القيادات التفافية ذلك « بأن الاحزاب التقليدية ورغم ضعفها ما زالت ثورية تستهدف 'استقلال والحرية' » .

ان خطة القيادة الشعبية هي تجمع اعداء الاستعمار حول النضال من اجل فلسطين حرة ديمقراطية وهذا التوجيه يلقي عضدا قويا يزداد يوما بعد يوم - لا بين العرب وحدهم بل وبين اليهود أنفسهم - لقد تعلم الشعب الفلسطيني ان الاستعمار هو أصل بلائه هو الذى يبيع مرافق بلاده للاحتكارات والرأسماليين الصهايونيين ، هو الذى يرهقه بالرسوم والضرائب ليحمى صناعات الرأسماليين الاحتكاريين هو الذى يحكمه بقانون أصدره ودون تمثيل ولا رجوع اليه هو الذى يستبد به ويمتنع كده ويحرمه حتى الوظائف الحكومية فيحتجر للبريطانيين اليهود ٦٥ في المائة منها ، ويفرض ضرائب مباشرة تقع على عاتق فلاحيه وعماله واجرائه وكادحيه - يصرف على البوليس والسجون اضعاف ما يصرفه

على الصحة وسبعة اضعاف ما ينفقه على التعليم - هو السبب في ان ٧٥ في المائة من أطفاله محرمون من التعليم و ٨٦ في المائة من بالغيه جهلة - وهو السبب في انخفاض اجرة عماله وارتفاع اجرة الصهيونيين الى الضعف أو الثلاثة اضعاف أحيانا •

ان نمو الطبقة العمالية وانقلاب صغار الفلاحين العرب الى اجراء واستغلال الجماهير العربية وهذه المظالم التي لا تنتهى ، قد فتحت امام القيادة الشعبية آفاقا واسعة •

ولقد أثبت الشعب العربى وطلبة اليهود ان تحرير فلسطين رهن باتحاد أهلها وسيرهم تحت قيادة وطلبة شعبية وأثبت تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ان الاستعمار الغاشم يركز أقدامه فى هذه المنطقة ويتوجه باعتداءات منها الى بلادنا العربية بل انه ليعدها لتكون حصنا له فى اعتداءاته على الدول الديمقراطية الاخرى ، فليكن نضالنا فى البلاد العربية تدميره وحرمانه من أية قاعدة يريدتها • ولنقو كفاحنا من أجل بلادنا حرة ديمقراطية ومن أجل فلسطين حرة ديمقراطية •

الدول العربية وفلسطين مصطفى كمال العيسوي عن دار الأبحاث العلمية

قد يظن البعض ان الدوافع التي اتحدونا - نحن المصريون - لدراسة مشكلة فلسطين انما ترجع الى اسباب دينية أو عنصرية أو عاطفية وهو ما ليس صحيحا بالمرة فمشكلة فلسطين اعمق من هذا كله اذ انها ترتبط تمام الارتباط بقضايا الشعوب العربية ارتباطا يحتم علينا - نحن شعوب الشرق الاوسط عامة - أن نسعى جادين لحلها . . . يتمثل ارتباط مشكلة فلسطين بمصالح شعوب الشرق الاوسط عامة ثلاث نقاط هامة ينبغي الالتفات اليها وهي :

١ - لقد نجح الاستعمار - نتيجة للسياسة التي اتبعها في فلسطين - في تفرقة الصفوف التي ينبغي ان تتوحد ضده فاصبح العرب يحاربون اليهود وأصبح اليهود يحاربون العرب دون أن يلتفت الفريقان الى محاربة عدوهما المشترك : الاستعمار ، فكانت النتيجة الحقيقية لذلك ان اصبحت الحركة الوطنية ضد الاستعمار في فلسطين اضعف منها في سائر بلاد الشرق الاوسط عامة ومصر وسوريا ولبنان على وجه التخصيص لذلك سوف تكون فلسطين المحاذي الذي يركز فيه الاستعمار قواته اذا ما اضطر الى الجلاء عن مصر مثلا - وقد انتقل اليها فعلا من سوريا - وبذلك يتخذ من فلسطين قاعدة له للهجوم على الحركات التحريرية الديمقراطية في بلاد الشرق الاوسط الاخرى . اذن فلن نتحقق للمصريين السيادة التامة في وطنهم اذا ما بقيت الاداة الحربية البريطانية في فلسطين كذلك لن تسلم الحركة الديمقراطية في سوريا ولبنان من التهديد المباشر من ناحية فلسطين .

٢ - يقوم الاستعمار للتمكن من سطرانه في فلسطين باداة بغیضة غتلة هي الصهيونية المحتل أن يبتد تأثيرها من فلسطين الى شرق الاردن ومنها الى بقية البلاد العربية .

٣ - ترتبط محاولة بريطانيا للسيطرة على بقول الشرق الاوسط كله تمام ارتباطا بامتامها بتعزيز نفوذها على فلسطين . فلكي تحتفظ بريطانيا

بسيطرتها على البحر الأبيض المتوسط تهتم بالاحتفاظ باسطول ضخمة في هذا البحر ، ولكي يكون هذا الاسطول قادرا على القيام بتنفيذ ما يلقي عليه من مهمات القرصنة في ذلك البحر يلزم لبريطانيا امدادها من بترول العراق وايران ويقتضى اوصول البترول منها الى الاسطول ليتزود منها بالزيت . وما تلك الموانئ الا موانئ فلسطين ، ويعنى هذا أن تكون سيطرة بريطانيا على فلسطين عاملا هاما في تسهيل استغلالها للعراق وايران .

فاذا كان هذا هو مقدار اتصال قضية فلسطين بقضايا الشعوب العربية الاخرى فلنا ان نتساءل عن مدى قيام حكومات الدول العربية بالدفاع عن قضية سكان ذلك القطر من الشرق الاوسط وعن عملها على تحقيق استقلال فلسطين الذى يعتبر في الواقع بمثابة الاساس في بناء استقلال الشعوب العربية .

لن نتعرض للمحاولات التى يقوم بها اذئاب الاستعمار في مختلف بلدان الشرق الاوسط لترويج السياسة العنصرية التى ابدعتها الاستعمار لتوسيع شقة الخلاف بين العرب واليهود ولن نتكلم عن مطاردة الديمقراطيين الاحرار الذين يقع على كاهلهم عبء الكفاح من اجل تحرير فلسطين ولن نتكلم عن تشجيع الاستعمار واذناؤه للفاشست في حملتهم ضد اليهود والاقليات في مصر وسوريا ولبنان وفلسطين اذ ان هذا معروف للجميع مما لا يقتضى شرحه في هذا المقام ولكن سوف نتناول في تلك العجالة موقف حكومات بلاد الشرق الاوسط مجتمعة في جامعة الدول العربية .

مضى على انشاء جامعة الدول العربية ما يزيد على السنة ورغم ذلك ما زالت مشكلة فلسطين كما هى قبل انشائها فقد ظن الكثيرون انها سوف تمضى قدما في سبيل تحقيق مصالح الشعوب العربية التى طالما كافحت الشعوب من اجل تحقيقها . وكانت مشكلة فلسطين اول امتحان اعترض سبيلها فكان من المنتظر ان تضرب الاستعمار في الصميم بالكفاح من اجل استقلال فلسطين ولكن حدث غير ما ترقع الناس وانتظروه فقد طعنت الجامعة قضية الفلسطينيين المتطلعين الى التحرر في الصميم . فقد احتوى ميثاق الجامعة العربية على ملحق خاص بفلسطين هو عبارة عن درس في تاريخ فلسطين مما يرد في الكتب المدرسية التى يقرؤها الصبية في المدارس الابتدائية استنتج منه واضعوه من حيث لا ندرى أن فلسطين بلد قاصر ما زال يحبو فلا يصح ان يكون له ممثل في الجامعة وبذلك استبعدت فلسطين من جامعة الدول العربية وحرمت قادة العرب الفلسطينيين من ان يرتفع صوت فلسطين عاليا من فوق منصة جامعة الدول العربية حتى يسمعه الاستعمار الذى لا يبغى الاستماع اليه وهنا ينبغى ان نتساءل : في مصلحة

من هذا الاستبعاد ؟ هل هو في مصلحة سكان فلسطين ام هو في مصلحة من لا يريدون ان يكون لفلسطين صوت مسموع ؟

فلما اشتدت حدة الازمة الفلسطينية دعى مجلس الجامعة الى الاجتماع فتوافد على مصر القاصي والداني وعقد الاجتماع تلو الاخر وتناقش المجتمعون وكثر الاخذ والرد - أو هكذا تخيلنا - وصدرت التصريحات تبشر الناس بقرب اعلان قرار خطير بحل المشكلة بين عشية وضحاها فاهتم الناس وأنصتوا ما وسعهم الانصات وطفقوا يتنسمون الاخبار ويلقون على اجتماع القادة العظم الامال الكبار وطال الاجتماع فحسب الناس ان مصر العالم يتقرر في المحادثات التي تجرى فيه وخصوصا وان المؤتمرات الدولية الهامة مثل طهران أو يالطا لم يكن كل منهما يستغرق اكثر من ايام ثلاثة أو اربعة . . . واخيرا صدر القرار وقراه الناس في الصحف المرة تلو الاخرى عليهم يجدون فيه حلا للقضية أو شيئا من ذلك الحل فما وجدوا فيه شيئا يستحق ثمن الصحيفة التي نشر فيها . ولا أخالكم الا ذاكرين ذلك القرار - قرا مقاطعة البضائع الصهيونية ومشروع انشاء صندوق الاعانة - أو قل صندوق الاحسان - ولا أخالكم ايضا الا ملاحظين أنه قرار فاشل لم يحل من المشكلة شيئا بل رجع بها الى الوراء وذلك يحرف انظار الجماهير عن الحل الصحيح للمشكلة .

ثم كان أن رغب الاستعمار في التظاهر بحل المشكلة بغية تخدير اعصاب سكان فلسطين كي يتنفس الصعداء بعض الوقت فألف لجنة التحقيق - أو قل لجنة التفتيش الانكلو اميركية . وقد وضحت منذ البداية مهمة تلك « اللجنة » ووضحت كذلك للعيان صنعتها السياسية . فما لجنة يختارها السادة الحكام من تجار الحرب في محور لندن - واشنطن من اتباعهم الا لجنة استعمارية غرضها للتوصية بما يتعارض واستقلال فلسطين . وما لجنة تتألف من دولتين من بين الدول الخمس الكبرى دون زميلاتها لحل مشكلة لها خطرهما وأهميتها بالنسبة للسلم والامن الدوليين الا لجنة غير شرعية ينبغي مقاطعتها وقد اعترف الامين العام للجامعة فعلا ان تلك اللجنة لجنة غير رسمية ودهش الكثيرون ممن تتبعوا « كفاح » الجامعة العربية من اجل خير الشعوب العربية وأعجبوا بشجاعة عزام باشا في هذا السبيل وراجعوا تفكيرهم عليهم كانوا مخطئين بادى الامر في الحكم على الرجل لما أظهره سعادته من روح كفاحية باعترافه هذا . ولكن ما أن شرفت لجنة التفتيش القاهرة حتى تبدل عزام باشا واصبح رجلا غير الرجل وكان يد ساحر قد مسته وكان ما نشر في الصحف عن اعترافه بعدم شرعية تلك اللجنة كان من الاكاذيب الصحفية فهورول في سرعة يحسد عليها الى الادلاء بشهادته امام اللجنة وهورول وراءه زملاؤه من مندوبي سائر بلاد الشرق الاوسط فألقى كل منهم خطبة مسجوعة عنى فيها باختيار احسن الفاظ التعصب والعنصرية مما

يطرب له الاستعمار واخذ الامين الخطير وزملاؤه يتبادلون الطرائف مع اعضاء اللجنة وانقلبت الجلسات الى حلقات للسمر عوضت على اعضاء اللجنة ما تكبدوه من مشقة اiban السفر ولماذا لا يسمرون وهم الزعماء المسيطرون على مصائر الملايين من شعوب البلاد العربية أليس من حقهم الضحك بعد ان جاهدوا في الدفاع عن قضية فلسطين امام اللجنة المجلبة مما اثار شفقة اعضاء اللجنة فوعدهم بالحل العادل . ازاء ذلك التلطف من جانب الملقين اعضاء لجنة التلفيق لم يسع الجامعة العربية الا ان تنتظر تقرير اللجنة علة يكون حاويا لحل المشكلة من وجهة نظرهم فاذا ما سألنا انفسنا - ويظهر اننا سنسأل انفسنا كثيرا - في مصلحة من هذا الاعتراف بتلك اللجنة فلسطين أم من بعثها من سادة الحرب في بريطانيا واميركا ؟ كان الجواب واضحا كل الوضوح بحيث لا يحتاج الى شرح . فهذا في مصلحة من ارادوا ان يكون لتلك اللجنة صفة رسمية شرعية .

ثم كان ان اعلنت اللجنة تليفقاتها المشؤومة بما فيه من استهتار مشين بمصالح فلسطين وسكانها وكان أن حنق الرأي العام العربي على التقرير وهاجمه بشدة فما كان من الامين الا أن يندمج في التيار . فهاج وماج ثم أعلن انعقاد مجلس الجامعة يوم ١٨ مايو للنظر في ذلك التقرير ولكن يظهر ان عزام باشا يؤمن ايماننا مطلقا بالمثل القائل « في الثأني السلامة وفي العجلة الندامة » اذ اجل الاجتماع ولم ينعقد بعد حتى كتابة هذه السطور .

ومن الواضح في سياسة الجامعة العربية ازاء مشكلة فلسطين انها تنظر اليها نظرة غريبة حقا من وجهة نظر الشعوب التي تكافح من اجل التحرر ، فهي ذاتها تنظر الى المشكلة كأنها مشكلة هجرة وبيع اراض وانه اذا حلت تلك المشكلة كان فيها حل مشكلة فلسطين وينسى زعماء الجامعة ان المشكلة مشكلة استعمار ليس الا . وما مسألة الهجرة وبيع الاراضى الا فخاخا ينصبها للوطنيين العرب واليهود كي يقعوا فيها فيلتفت العرب لمحاربة اليهود ، ويلتفت اليهود لمحاربة العرب دون محاربة أس البلاء .

ذلك هو موقف الجامعة العربية - التي تعبر عن رأى حكومات الدول العربية - في مشكلة فلسطين ، وهو موقف يتناقض تماما والاهتمام بتحقيق أمانى الشعوب العربية . فلماذا وقفت الجامعة مثل ذلك الموقف ؟ ولماذا يراعى متزعموها الجامعة مصالح بريطانيا دون مصالح الشعوب ؟ ان ذلك راجع الى ان الجامعة ليست جامعة شعبية مبنية على أساس جماهيري متين يجعل لها من القوة ما يساعد على كسر شوكة الاستعمار ، ذلك هو الجانب القائم من الموضوع ولكن هناك ناحية تبشر بالخير الا وهى ازدياد قوة الديموقراطيين داخل البلاد العربية وهجومهم المستمر على الاستعمار واذا نابه ودفاعهم عن

فلسطين وسكانها وعدائهم للصهيونية وقد وضع في السنين الاخيرة مدى تأييد شعوب الشرق الاوسط لقضية الحرية والديمقراطية في فلسطين فقد اشتركت البلاد العربية في النضال الوطني في فلسطين سنة ١٩٣٦ ضد الاستعمار البريطاني وذلك بالرجال والعقاد وكان قائد الثورة الفلسطينية اذ ذاك احد المجاهدين العراقيين وتآلفت في العراق احزاب ديمقراطية كان من بنود برنامجها : الكفاح من اجل فلسطين حرة ديمقراطية كما تآلفت فيها جماعة من المعادين للصهيونية من يهود العراق لمكافحة الصهيونية وتحطيمها • وقد تآلفت في سوريا ولبنان لجنة من الاحزاب للدفاع عن فلسطين ويعطف سكان الجزيرة العربية على قضية اخوانهم في فلسطين عطف لا يفوقه عطف ويؤيد الشعب المصري قضية فلسطين تأييدا تاما كما وضع في الاضراب الاخير الذي نادى به اللجنة الوطنية للعمال والطلبة احتجاجا على تقرير لجنة التلقيم وار اختلفت تلك المظاهر المتعددة من التأييد الشعبي فانها تشترك في الجوهر الا وهو توجيه الثقل ضد الاستعمار لا ضد اليهود كما يريد الاستعمار وفي هذا يقتضي التناقض الواضح بين النظرة الحكومية والنظرة الشعبية •

ويعمل الديمقراطيون الآن في اكتساب اكبر ما يستطيع كسبه من الحقوق الديمقراطية للشعوب كي نكون لها الكلمة العليا في منظمة الجامعة العربية • وهم دائبون على نشر الوعي بين الجماهير وتوضيح جوهر قضية فلسطين وارتباط قضايا الشعوب العربية بها وينشرون الدعاية اللازمة لنبذ قرا لجنة التلقيم نبذ النواة •

ان قضية فلسطين ليست قضية سكانها فحسب بل هي قضية شعوب الشرق الاوسط اجمعها • ان قضية فلسطين حلقة يسهل منها كشف الاستعمار ونفضه لا ينبغي أن تقوتها •

فيا شعوب الشرق الاوسط • !

انحدوا فباتحادكم لا يكون من السهل على المستعمر ان يحطمكم الواحد بعد الآخر وتعاونوا فان تعاونكم ضربة للاستعمار الغاصب •

وتكتلوا كي تكونوا الصخرة التي تتحطم عليها سفينة الاستعمار ليلية •

عاش اتحاد الشعوب العربية لتحقيق الحرية والديمقراطية •

لهذا نحن نناضل مع
فلسطين
سميد خيال
عن لجنة نشر الثقافة الحديثة

لماذا نناضل في سبيل القضية الفلسطينية ؟

ما هي الاسباب التي تدفعنا للوقوف مع الشعب الفلسطيني الباسل
في كفاحه للتخلص من الاستعمار والصهيونية وبناء دولة وطنية ديمقراطية في
فلسطين ؟

تنادى الاوساط الرجعية التي ينطقها ويسكتها الاستعمار البريطاني ،
بأن اساس كفاحنا في فلسطين هو الدين المشترك ، والعروبة المشتركة كأصل
عرقى نتوارث عناصره في دمننا فيجمعنا نحن والفلسطينيين في واحد ، ويميزنا
عن غيرنا من شعوب الارض وذلك بصرف النظر عن تعاقب الاجيال وتقلب
الامواضع . هذان عند المستعمر وشيعته هما المحركان الحقيقيان لوقوفنا جنباً
لجنب مع شعب فلسطين المناضل اما ما عداهما فباطل وقبض الريح .

يريد الاستعمار بذلك ان يصمم كفاحنا التحريري بالتعصب الدينى
والعنصرى ، لتسخط علينا الدنيا ، فننزعزل عن وجهة الحرية العالمية وينفرد هو
بنا ليضربنا بروحشيته المعروفة ويبرر ضرباته بأنها عمل انسانى نبيل .

ويريد الاستعمار أيضاً أن يحول القضية الفلسطينية من قضية وطنية
تحريرية هو المجرم الاول فيها ، الى قضية دينية عنصرية ، مركزه فيها مركز
الحكم الماحيد . وذلك يلقى تبعه نكبتها على الاقليات الدينية والاجنبية لينصرف
اليها النضال وتقع الفتنة ، ويبقى المستعمر آمناً ثابت القدم في فلسطين .

اما الاوساط الرجعية فلها - فضلاً عن فتات المستعمر - مصالح اخرى .
انها تحاول الباس جميع قضايانا ثوب الدين والعنصرية ، واخضاع كافة
مشاكلنا لمعاييرها المصطنعة الزائفة ، بغية ستر جرائمها عن أعين الجماهير

الكاذبة • وسد منافذ الحرية في وجوههم • وبذلك يسهل علينا تضليلهم وتحويل ضرباتهم بعيدا عن رؤوسها المظلمة •

اننا نحن لانهتم ببيان هذه الحقائق هنا لانها فقط حقائق يحاولون طمسها وانما لانها مرتبطة بالاعيب استعمارية ورجعية ينبغي كشفها • ولكن ليس هذا فقط ، بل اننا نحن نهتم بتبنيدها لاننا نود ان يعلم الجميع ، ان الحنين الغامض والانفعالات العاطفية المتقلبة والنظريات الرجعية الكاذبة الباطلة ، ليست هي الاساس الذى نقيم عليه نضالنا التحريرى فى أى وجه من وجوهه بل اننا نؤسسه ونقيمه على حقائق راسخة ، لتضمن هي بذاتها استمراره وتعاضله ، فيكون نضالا خليقا بشعبنا ، نضالا بطوليا عارما لا يهين أو يحضه الاعداء ، وسيحطم كافة الاعداء •

ان شعب فلسطين يناضل ليفوز بحقه المطلق فى تقرير مصيره حرا ديمقراطيا ، انه يناضل لتخليص فلسطين من الاستعمار البريطانى ، ولتطهيرها من الصهيونية ، ونحن نقف معه ، فى نضاله هذا لاننا اعداء للاستعمار والصهيونية ولاننا وطنيون احرار ، نحترم حق الشعوب فى تقرير مصيرها ، ونبذل ما وسعنا البذل لتوفير هذا الحق وتأمينه ، يقينا منا ان الحرية وحدة لا تتجزأ ، وان انتهاكها فى أى مكان هو اضعاف للجبهة الشعبية الساعية لعالم أفضل وديموقراطية لا اعداء التقدم ومستغلى الشعوب • ألا يقف شعبنا فى طليعة هذه الجبهة •• ألا يلقي ما تلقاه من هؤلاء الاعداء ؟

ان فلسطين تقع على حدودنا العامرة • ولذلك يشكل الاستعمار البريطانى الجاثم فيها خطرا ماحقا على حركتنا التحررية ، ألم يصرح الاستعماريون بان مركزهم فى فلسطين يجعلهم على بعد ساعتين فقط من القاهرة ؟ وبذلك يبنى سيفهم معلقا فوق رقابنا حتى جلائهم عن ارضنا • وابتمكنون من التسلط علينا والتحكم فى شؤوننا الداخلية والخارجية •

لهذا نحن نناضل لكى نتحرر فلسطين ، فيتم لنا التحرر •

ان فلسطين العزيزة هي التى تصل بين وادى النيل وبقية البلاد الشقيقة ، فطرق المواصلات تمر جميعها عبر فلسطين • ويستطيع الاستعمار البريطانى الكامن فيها ان يقطع علينا الطريق ، وبذلك يتعذر علينا ان نتبادل المساعدات عدد الحاجة ، كما يتعذر علينا تبادل التجارة ، وفى هذا اضعاف كبير لنا ولهم • الا يؤدى هذا الى شل الجامعة العربية ؟ أليس هذا سيفا استعماريًا معلقا فوق رؤوسنا ؟ نعم ونريد ان نحطه • ولهذا نناضل مع شعب فلسطين •

ان فلسطين موقع استراتيجي يشرف على شرق البحر الابيض ويتحكم في قنال السويس . ألم يصرح الاستعماريون أن مركزهم في فلسطين يجعلهم على بعد ساعة واحدة من القنال ؟ وبذلك يكون الاستعمار البريطاني النازل بها في مركز يساعده على محاصرتنا لا سيما وهو متحكم في غرب البحر الابيض ، وفي شماله وجنوبه على العموم . ان الحلقة الاستعمارية المضروبة حولنا تكاد ان تخنق انفاسنا . فلنناضل مع فلسطين الابية لتحطيم عقدة هذه الحلقة .

ان الاستعمارية البريطانية لتكذب كذبا مفضوحا حين تعلن انها آمنة مطمئنة من شعوب البلاد العربية ، وانها انما تحتفظ بجيوشها المحتلة فيها بقصد حماية هذه الشعوب من خطر محتمل من الخارج . كذبت بريطانيا . انها تخشى أول ما تخشى شعوب الشرق الاوسط على العموم . وشعبي وادي النيل على وجه الخصوص ، لان هذه الشعوب لم تهانن الاستعمار ولم تسكت عنه . انها تتناضل لاستقلالها وتحررها من نيره . وتحررها معناه ضياع مصالح بريطانيا الاستعمارية القائمة على استغلال هذه الشعوب وحكمها بالحديد والنار .

وان مصر لتقف في طليعة شعوب الشرق الاوسط في النضال ضد بريطانيا الاستعمارية وذلك بحكم المرحلة التي بلغتها من التطور وبحكم عدد شعبها ونمو الطبقة العاملة وتعمق وعيها . نعم ايها الاخوان ، فالتناقض بيننا وبين الاستعمار يظهر حادا فاصلا لا سبيل اليوم الى تخفيفه أو المصالحة فيه . وهذا ما يشعر به الاستعمار ويحسب له ألف حساب . ولذلك فهو متشبث ببقائه في فلسطين ، ليركز مدافعه هناك ويصوب فوهاته الى قلوبنا .

ولهذا فنحن نخوض مع فلسطين معركة واحدة ضد عدو مشترك .

أيها الوطنيون : ليس الاستعمار البريطاني هو وحده عدو فلسطين وعدونا ، ان الصهيونية لتتشب أظافرها في قلب فلسطين العريضة . واذا كان الشعب الفلسطيني الباسل يرمى بثقل نضاله فوق رأس المستعمر البريطاني باعتباره أصل الداء ، الا أنه لا يهادن الصهيونية بل يقاومها بغير هوادة . ونحن نقف مع الشعب الفلسطيني في محاربته للصهيونية المجرمة فما أسباب ذلك ؟

ان الصهيونية حركة رأسمالية عدوانية تساعد الاستعمار البريطاني وتعتمد عليه في نهبها لفلسطين . انها تسعى لخراج أهلها من ديارهم

وديار آبائهم وأجدادهم الاولين . ثم انها تسعى لفرض دولتها الرأسمالية الارهابية على فلسطين وجيرانها من بلاد العرب . ولذلك يحاربها الفلسطينيون وتحاربها الشعوب العربية ونحاربها نحن معهم دفاعا مشرونا عنا وعنهم ، وعداوة منا للرأسمالية العدوانية .

ان الصهيونية في احدى مظاهرها حركة دينية عنصرية متعصبة . فهي تساعد على بذر بذور التعصب الدينى والعنصرى بين أفراد شعبنا . وتساعد على قيام الحركات الفاشية عندنا . فتتجه للاستعمار وشيعته فرصة اثرة الفتنة بيننا ، وتحويل أنظار الجماهير عن أعدائهم الحقيقيين وصرفهم عن التفكير فى الاوضاع المرة التى يواجهونها ويحيون فيها .

ولذلك يهمننا اقتلاع الصهيونية من جذورها ولهذا فنحن نناضل مع شعب فلسطين .

وان الصهيونية بما لها من نفوذ فى العالم تعمل دائما على اثاره العداوة ضدنا وعرقلة مصالحنا المشروعة . انها تشترك مع الاستعمار البريطانى فى حبك المؤامرات لنا وانها لتحتث على البقاء فى مصر وتقوم له بدور الطابور الخامس . وثمة أمر آخر ، لقد سعت خائبة لمنع مؤتمر سان فرانسيسكو ، الذى سبق نشأة هيئة الامم المتحدة من الاعتراف بميثاق الجامعة العربية .

وان الصهيونية خطر كبير على اقتصادنا الوطنى . انها كحركة استعمارية رأسمالية . تتمتع بسلطان الاستعمار البريطانى وامتيازاته . وتعتصر موارد فلسطين وقواها ، وهى فى مركز يساعدنا على احراج كياناتنا الاقتصادية وتخريب صناعتنا الوطنية واليهبوط بمستوى معيشة شعبنا الكادح

ولهذا نحن نعادىها ونكافحها .

ثم ان الصهيونية كحركة دولية تقوم على تفريق الطبقة العاملة واضعاف كساحدها التحريرى ضد قوى الظلام ، واقد رأينا كيف أن وحدة الطبقة العاملة وكفاحها الجيد يساعدنا مساعدة جدية فى نضالنا الديمقراطى . ألم يقف اتحاد النقابات العالمى فى صف عمالنا الناضلين فى سبيل اسعاد شعبنا وتحرره ؟

الاستعمار البريطانى وشريكه الصهيونية هما العجوان الاصيلان لفلسطين ولقد رأيتم أيها الاخوان أنهما هما ألد أعدائنا ، وان قضية

فلسطين هي قضيتنا ، قضية استقلالنا وسيادتنا ، قضية خبرنا وحريتنا .
وإذا كان نضالنا الوطني يهدف الى تحقيق استقلالنا التام ، فان نضالنا
الديمقراطى يهدف الى رفعة شعبنا وسعادته ، فان نضالنا فى سبيل
القضية الفلسطينية هو لكفالة هذه الرفعة وتأمين تلك السعادة .

اننا نرى أن احدى وسائل النضال الفعالة هو أن نعرض قضيتنا
على مجلس الامن ، فهناك ملتقى أنصار الحرية وأعداء الاستعمار ، وهناك
تتكشف الحيل وتبطل الألاعيب .

وان الجبهة العربية العليا التى تضم خيرة الوطنيين الفلسطينيين
وتمثل مصالح فلسطين وشعبها أصدق تمثيل لترى مثل هذا الرأى أيضا
بالنسبة للقضية الفلسطينية فلنضغط ضغطا هائلا حتى يتم عرض القضيتين
على مجلس الامن ، ولنرفض فى حزم موقف المتفرج الذى يراد لنا أن نفقه
من مناوورات المفاوضات التى تقوم على مهادنة الاستعمار ومشاركته .

اننا ندرك حقا أن عبء نضالنا ضخم وان تبعاتنا التاريخية جسيمة
واننا لنؤمن بقوة شعبنا ونؤمن كذلك بحقنا المطلق فى الاستقلال
والديمقراطية . ثم اننا لسنا وحدنا ٠٠٠ ان فى العالم قوى شعبية
تحريرية تتعاظم يوما بعد يوم ، وتذك صروح الاستعمار والرجعية فى كل
مكان ، وعلى رأس هذه القوى يقف ماردي جبار هو الاتحاد السوفياتى
نصير الشعوب ، الذى كان لقوته الفضل الاول فى اباداة القلعة المحورية ،
واندى ناضل ويناضل فى معارك السلم كما فى معارك الحرب لتبديد
قوى الظلام ، وتأمين حق كل شعب فى أن يقرر مصيره بنفسه .

اننا أقوياء بشعبنا ، أقوياء بصلابة ارادتنا وتبصرها وأقوياء بحلفائنا
فلنضرب الاستعمار وشيعته ضربة الواصل الجرى ، ولنرتفع بفضل نضالنا
الى ذروة البطولة ولنقدم لنصنع تاريخنا بأيدينا . سنقول له كن
وسيكون :

الموت للاستعمار ، الموت للصهيونية ،

عاشت فلسطين المناضلة ، وعاش تضامننا معها فى النضال .

قصيدة لعبد الرحمن الشرقاوى

يا موغر الموتى على الاحياء
وأدى الظلال النائح الافياء
أعماقها بفجائع مسوداء
كالهول فى كسف من الظلماء
ليعود الاستعمار بالبلواء
قدر من الحرية البيضاء
للعالم المترنم الوضاء
صنوان تحت القبة الزرقاء
كم ذا تخون مرامى الشهداء
تلك الحقائق من لظى ودماء
تلوى الشعوب .. وتحت أى طلاء
أبد الزمان .. وآخر الاناء
كبرى .. فاية شدة ولواء !!
فتهضبت غضباته فى الماء
اغرب .. فانك أنت بيت الداء
ويسير من نار الى رمضاء
خطواتهم ملتبئة الاعياء
وأصفقها نعماء على نعماء
أرهامة للقلة الفضلاء
وخلفت أجيالا من العظماء
فليترك التاريخ للدهماء
عبر الحوادث - فوق كل قضاء
نكد على طبق من الاشلاء
وأرم السلام بكفك الشلاء
زودتها بالمال والاجراء
أنت .. فليل تعصب الجهاد

كم ذا تخون بطولة الشهداء
فيما التضحايا القاطعات مع الصبا
وتخطف الدنيا الخراب وزلزلت
ومشى بها الحرمان مريد الخطا
عجبا أخاضتها جحيما سادقا
ماذا تريد ؟ وكل ما فوق الشرى
هل كانت الالام الا وثبة
كانت لكى تحيا الشعوب جميعها
أنتظنها أكذوبة مشؤومة
يا خائن الالام ، والدم ، والنمى
ماذا تريد .. وباسم أية خدعة
الشرق يأبى أن تعربد فوقه
والنيل قد حمل اللواء لشدة
قد ثار منذ اليوم من هول الضنى
أزعمت انك بالرفاه تحيطه
أنظر الى الفلاح ينخره البلى
أنظر الى العمال كيف ترنحت
الكادحون سرقتهم حيواتهم
أو ما سفحت دماءهم وجعلتها
مرغت أهل الشرق فى خبل الطوى
لن يصنعوا التاريخ فى عليائهم
هو ملكها .. وقضاؤها يجرى به
يا أيها المستعمر امض الى مدى
وخن الضحايا سادرا ، ومضللا
قد جئت فى الشرق الكريم بعصبة
نهضت فلسطين الجراح .. وربما

ههنا ٠٠ صهيونية مدفوعة
ونكير بطشك فوق أعراف الربى
لتضلل الاحرار في ضرباتهم
او لست ظفر الغول ينفخ باللظى
ان الغلالات التى استزهقنها
تهتك الاسداف عما خلفها
ماذا تريد وما هناك ٠٠ وما هنا
جرح يسيل من الجحيم وهزة
كم وثبة تحت الضلوع كريمة
ناحت بها الجنبات وهى كظيمة
قد ألهب السوط الظهور وهدمت
فالأسد فى وحياتها مشبوبة
حهم من الويل يفجرها الجوى
لا آمن منذ اليوم قد جن الظما
وقد التقى الاحرار بعد تباعد
فستبلغ الايام من تفريقهم
ما أزوع الاحرار فى ضرباتهم
طاقات امكان ستتشىء فى غد
اما لنهدم عالما مترنحا
نبنيه من دنا ٠ ومن زهر الصبا

مجنونة للتخريب والافناء
كالعار يرهق خاطر المعزاء
ما تلك غير خديعة شمطاء
او لست ناب الحية الرقطاء
لتظل فوق التربة الخضراء
وتبين عن أطباعك العمياء
تنتجر الدنيا من الغلواء
تفضى الى الحرية الحمراء
مشحونة بالائنة السجاء
فتطلقت كالخزة الهوجاء
تحت الجوانح رعدة البغضاء
والجن منتفض من الصحراء
من منبع الحرمان والباساء
ومقامنا الصديان فوق الماء !
نكر ٠٠ فإى مدى ٠٠ وأى لقاء !
ما يبلغ السبياد من عنقاء ٠٠ !
كالسيل لا ٠٠ كالزعزع النكباء
دنيا تسير على ود واخاء
وغدا سنبنيه وأى بناء
يتاود الانغام والأصواء

تحية الشعب السوداني عصبة ذهب عن جماعة أم درمان

أيتها الزميلات ، أيها الزملاء :

خلقت عصبة الامم نظام الانتداب ، وبمقتضاه وضعت فلسطين
الشقيقة تحت الانتداب البريطاني وبمعنى آخر تحت استغلال بنوك
انجلترا الخمسة ولخدمة الامبراطورية البريطانية البرية .
وقبل ذلك بعقدين كان الانجليز قد اكتسحوا مصر ، ثم السودان
لاستغلال أشنع .

وقبل ذلك وبعد ذلك كانت الاستعمارية الانجليزية مصطحبة برفيقتها
الفرنسية قد طوقت العالم بسلسلة واحدة تلاووها الظاهر ، الاخذ - كما
ادعوا - بأيدي البلاد المتأخرة الى مدارج الرقي والحضارة ، وجوهره
الاستغلال المفصوح .

ولكن الشعوب لم تهدأ يوما : ففي مصر حدثت ثورة عام ١٩١٩ وفي
السودان اشتعلت أخرى عام ١٩٢٤ وفلسطين لم تنم منذ اقرار الانتداب .
ومما زاد الطين بلة ذلك الوعد المشؤوم وعد بلفور . بجعل فلسطين
وطنا قوميا لليهود الوعد الذي قابله الشعب الفلسطيني قرابة نصف
قرن بالكفاح والكفاح وكاد أن ينتصر لولا تلك العنصرية البغيضة التي أخذ
الاستعمار وربيبته الصهيونية تفرق بها بين جماهير اليهود البائسة ، وجماهير
العرب الشقيقة .

والى عهد قريب ، أيتها الزميلات وأيها الزملاء كان الشعب السوداني
يترك اشتراكا عاطفيا في حوادث فلسطين المكافحة ضد الاستعمار .
اذ أنه كان يحس بأنه مظلوم وأن فلسطين مظلومة مضطهدة مثله .

ولم يكن الشعب السوداني ليظل عاطفى المساهمة في حوادث فلسطين
الى أبد ... *

* بقية الصفحات منزوعة *

وثائق

الحركة المصرية للتحرير
الوطني

وقد اعتاد كواد الحركة الشيوعية المصرية على تسميتها (ح.م) أو (حمتو) ، ويمكن القول بأنها كانت من أوائل المنظمات الشيوعية التي نشأت في مطلع الاربعينيات وأكثرها شعبية .

وقد تميزت « ح.م » فور نشوئها بتبنيها لشعار « التمسير » بمعنى أن يكون الكادر الاساسى كله أو غالبية العظمى من المصريين ، وبعد « التمسير » كان هناك أيضا شعار « التعميل » بمعنى الاسراع بكسب وتربية كواد عمالية ودفعها لاحتلال مكان القيادة في المنظمة .

وقد جابهت هذا التنظيم منذ قيامه مهمة تحديد موقف متميز من قضايا عديدة قومية ووطنية واجتماعية واقتصادية وتحديد شعارات متميزة عن شعارات البرجوازية تجاه هذه القضايا .

وقد اعتادت قادة « ح.م » أن تكاف أحد أعضاء قيادتها بدراسة القضية موضوع النقاش واعداد تقرير مفصل عنها ثم تقديمه كمادة للنقاش أمام اللجنة المركزية للتنظيم .

وهذه الوثيقة التي نقدمها الان هي التقرير الاول الذى طرح على اللجنة المركزية للتنظيم لدى مناقشة القضية الفلسطينية ، ومن هنا تكتسب هذه الوثيقة أهميتها التاريخية ذلك أنها توضح الخلفية الفكرية للقرارات والمواقف التي اتخذها هذا التنظيم في هذه الفترة وما تلاها .

وان كنا لا نقرر أن التنظيم قد وافق على مجمل هذه الوثيقة انما هي مجرد أفكار لاحد قادته أعدت كمشروع للمناقشة .

ولعل هذه الوثيقة - وبغض النظر عما احتوتها من آراء قد يختلف أو يتفق معها القارىء - توحى بعمقها وبالجهد المبذول فيها ، بالجدية التي أخذت بها « ح.م » القضية الفلسطينية - وتطوراتها .

المشكلة الفلسطينية *

: التطور السياسى والاقتصادى

والاجتماعى للبلاد

ب : المهتدروت والتعاونيات

الموقف الراهن فى فلسطين هو بطبيعة الحال نتاج للتطورات السياسية والاجتماعية التى حدثت هناك خلال العشرين عاما الاخيرة ، فعندما حلت انجلترا مكان تركيا فى ممارسة القهر بدعم من المستعمرين الصهيونيين ، غدا تطور البرجوازية الوطنية الصناعية تطورا طبيعيا أمرا شديدا الصعوبة بالنسبة لبلدان الشرق الاوسط الاخرى . . وقد أدى ذلك أيضا الى صعوبة تكون طبقة من المثقفين الوطنيين المستنيرين تستطيع ممارسة الحكم . وهكذا فان الطبقة التى كانت تمارس القيادة خلال الاحتلال التركى والتى انبثقت أساسا من الطبقة الاقطاعية قد استمرت فى التصدع مع قليل من التكيف مع الظروف الجديدة (أى الرأسمالية) ، وهكذا فقد باشرت استغلالها للفلاحين من خلال شكل الرأسمالية الزراعية لكبار ملاك الاراضى العرب . وكان هؤلاء هم الذين يشكلون - والى وقت قريب - العامل الأساسى فى تحديد السياسة الفلسطينية من جانب السكان العرب .

* عثر على أصل هذه الوثيقة ضمن بعض الاوراق الشخصية لهنرى كوراييل ، أحد مؤسسى تنظيم ح.م.م. وثمة دلائل عديدة تؤكد أن كوراييل هو صاحب هذا التقرير ، وهو الذى قدمه للجنة المركزية للتنظيم ، كأساس لسياسة التنظيم تجاه القضية الفلسطينية ، والاصل الذى عثرنا عليه عبارة عن نسخة كربونية من تقرير مكتوب بالالة الكاتبة الفرنسية . وعنوانه Le Probleme Palestinien وتنتهى الوثيقة بعبارة

وقد قمنا بترجمته الى اللغة العربية مراعين الدقة الواجبة التى تحفظ للوثيقة قيمتها التاريخية .

وكانت قاعدتهم الاقتصادية تقوم على أساس زراعة واحدة هي الموالح وبذلك أصبح التطور الحديث للامة العربية الفلسطينية ناقصا مثله مثل تطور بقية جيرانها من العرب في منطقة الشرق الاوسط .

أما عن التطور الصناعى للبلاد فقد تأثر منذ عام ١٩٢٠ بهجرة اليهود الذين حملوا معهم رؤوس أموالهم ، وتأثر أيضا بتصدير رأس المال الانجليزى أنى البلاد بتزايد مضطرد وهذه الاموال الانجليزية كانت اما تستثمر مباشرة بواسطة شركات انجليزية ، أو يتولى استثمارها المهاجرون اليهود . وهكذا أبعد العرب عن السيطرة على أهم القوى الانتاجية فى بلادهم . ولم تستطع البرجوازية اليهودية التى نشأت فى مثل هذه الظروف - أو بالدقة لم تنشأ - أن تستعين بحركة الشعب الفلسطينى للعمل لتحرير البلاد ، خاصة وأن الشعب كان يتكون أساسا من العرب ، ولم يكن باستطاعته الوثوق باليهود وهم عناصر أجنبية منعزلة عن حركته . وكان المهاجرون اليهود فى هذه المرحلة خاضعين لسيطرة الانجليز خضوعا تاما وكانوا مجرد أداة فى يد الاحتلال . فى حين ظهرت فى صفوف الشعب - بعد ذلك - طبقة عاملة منظمة (أغلبها من اليهود) وقدمت مطالب مستقلة ، وكان تنظيم مثل هذه الطبقة يمثل خطرا داهما على البرجوازية .

لقد كان الصهاينة منذ البداية ، أى منذ عام ١٨٣٨ أداة دعم ومساندة وعمالة للامبريالية فى فلسطين (راجع كتاب ريناب من ص ٧٥ حتى ص ٨٠) وكان الصهاينة يشكلون الاغلبية الساحقة ليهود فلسطين ، ويتطلعون دوما لتعزيز مركزهم تجاه السكان العرب ، والعمل على احكام قبضة استغلالهم لهم . أما كبار الملاك العرب فكلما ازداد عداء اليهود لهم كلما ازداد بحثهم عن حماية امبريالية أخرى وهكذا لعبت الامبريالية الالمانية دور الملمم لكبار الملاك العرب ، ثم ما لبثت الفاشية أن لعبت دورها أيضا .

كيف كان الموقف الاقتصادى فى عام ١٩٣٦ ؟

وصل رأس المال الانجلو - أمريكى فى ذلك الحين الى ٣٠ مليوناً من الجنيهات ومما يذكر فى هذا الصدد ، ان اهتمام اميركا بفلسطين يرجع الى عام ١٩٢٤ ، ان لم يكن قبل ذلك . ففى تلك السنة ، وقعت الحكومتان الانجليزية والاميركية اتفاقية تضمن عدم الشروع فى اعداد اجهزة ولوائح الدولة الفلسطينية دون اتفاق مسبق بينهما .

وكانت الامتيازات تمنح منذ أمد لاستغلال البحر الميت ، وبناء مولدات للكهرباء على ضفاف نهر الاردن ، وأقيم مصنع للاسمنت بالقرب من حيفا .

وكان رأس المال الانجليزي يحتفظ لنفسه في كل مكان بنصيب الأسد .
 ليس هذا فحسب ، بل أنه كان يسيطر أيضا على واردات فلسطين ، ولم
 كانت واردات فلسطين أكثر من صادراتها فقد حصل الرأسماليون الانجليز
 - وباستمرار - على اعتمادات دائمة بالعملة الانجليزية على حساب الشعب
 الفلسطيني ، وبتزايد الواردات على الصادرات تأثرت أيضا حصيلة البلاد من
 الجمارك ، ويكفي أن نسبة الواردات الى الصادرات وصلت في فلسطين عام
 ١٩٣٥ الى ٥٥٠٪ .

الحصيلة الجمركية السنوية الوحدة المستعملة (مليون ليرة فلسطينية)

السنه	الحصيلة
١٩٢٤ - ١٩٢٥	٦,٣
١٩٢٥ - ١٩٢٦	٥,٣
١٩٢٦ - ١٩٢٧	٤,٥
١٩٢٧ - ١٩٢٨	٥,٣
١٩٢٨ - ١٩٢٩	٥,٤
١٩٢٩ - ١٩٣٠	٥,١
١٩٣٠ - ١٩٣١	٤,٢
١٩٣١ - ١٩٣٢	٤,٤
١٩٣٢ - ١٩٣٣	٧,٩
١٩٣٣ - ١٩٣٤	١١,٣
١٩٣٤ - ١٩٣٥	١٣,٥

وبطبيعة الحال فان النسبة العالية من هذه الواردات كانت تستورد
 من انجلترا ومن ثم فان العائد الاكبر من الفائدة كان يرجع اليها ، فمن
 بين ستين دولة تورد منتجاتها الى فلسطين تحتل انجلترا المركز الاول (٢٥٪)
 بينها تورد ألمانيا (١٢٪) والولايات المتحدة (٨٪) .

وكانت حصيلة الجمارك تتشكل في فلسطين في عام ١٩٢٠ نسبة ٢٣٪
 من ايرادات الحكومة ، أما في عام ١٩٢٥ فقد ارتفعت هذه النسبة الى ٥٠٪
 ومن ثم فقد وجد فائض في الايرادات كان يتزايد باستمرار فقد بلغ عام
 ١٩٣٢ مبلغا قدره ٤٩٩٥٢٣ ليرة فلسطينية ثم وصل الى ٢٢٢٢٢٢٢
 ليرة عام ١٩٣٥ .

وهكذا فاننا نجد أن هذا السيل من الواردات يتفق تماما مع المصالح البريطانية ، خاصة وإذا وضعنا في الاعتبار نوعية هذه الواردات التي تتنصع من الجدول التالي :

(بالكرة الفلسطينية)

السلعة المستوردة	القيمة عام ١٩٣٠	القيمة عام ١٩٣٤
مواد استهلاكية	٥،٤٦٠،١٤٤	١٢،١٢٠،٠٠٠
مواد أولية ومنتجات مصنعة	٥٩٧،٥٧٤	١،٠٦٠،٠٠٠

وتنقسم الواردات الى ما يلي :

السلعة	النسبة المئوية
مواد غذائية	٪٢٣
منتجات مصنعة	٪٥٤
موارد أولية	٪ ٨
خلافه	٪١٥

كذلك فان بريطانيا تستأثر بالميزات الأساسية في مجال الصادرات الفلسطينية أيضا ، فهي تحتل المرتبة الاولى أذ تنال ٥٧،٩٤ ٪ من الصادرات الفلسطينية ، تليها ألمانيا (١٨ ٪) - وتستوردان أساسا المواد والصابون والزيوت وتشكل المواد بشكل عام العنصر الأساسي في الصادرات الفلسطينية وتزايد نسبتها باستمرار من هذه الصادرات كما يتضح من الجدول التالي :

نسبة صادرات المواد الى اجمالي الصادرات

السنة	النسبة المئوية
١٩٣٠ - ١٩٣١	٪٤٨
١٩٣١ - ١٩٣٢	٪٥٦
١٩٣٢ - ١٩٣٣	٪٧٢
١٩٣٣ - ١٩٣٤	٪٧٥

وابتداء من عام ١٩٣٦ بدأت مرحلة جديدة من مراحل التطور في فلسطين ففقد تهيات الأسباب اللازمة لتحقيقه ، وبدأت الطبقات الغنية في الاستقرار والثراء ، وكان طبيعيا أن تحاول الخروج من السيطرة الاستعمارية . لقد نمت المبرجوازية ، ونمت معها الصناعة . وبينما كان رأس المال المستثمر في الصناعة (بخلاف الحرف) ٣،٠٠٠،٠٠٠ ليرة فلسطينية ، زاد في ١٩٣٥

الى ٧,٥٠٠,٠٠٠ ليرة فلسطينية ، وذلك بسبب التزايد المستمر في رؤوس الأموال المستثمرة .

وقد وصل عدد المهاجرين (اليهود) الذين يمتلك كل منهم ألف ليرة فلسطينية على الأقل الى ٧٢٧ شخصا عام ١٩٣٢ ، وارتفع الى ٣٢٥٠ شخصا عام ١٩٣٣ ، ثم الى ٥١٢٤ شخصا عام ١٩٣٤ ، ٦٢٠٩ شخصا عام ١٩٣٥ ، أما الودائع في البنك الفلسطينية في ذلك الحين فقد تصاعدت خلال هذه السنوات أيضا من ٤,٥٠٠,٠٠٠ ليرة الى ٧,٠٠٠,٠٠٠ ليرة ثم الى ١٢,٥٠٠,٠٠٠ ليرة ، ثم الى ١٦,٠٠٠,٠٠٠ ليرة فلسطينية .

وقد جاء في مجلة « اقتصاد فلسطين » عام ١٩٣٦ وفي المقال الخاص بالاستثمارات اليهودية أنه « يمكن في كثير من الاحيان الحصول على قروض قصيرة المدى من أغلب البنوك ، وتتصدر قائمة هذه البنوك ، عدد من البنوك الكبرى مثل بنك الانجلو فلسطيني ، وبنك باركليز والبنك العثماني ، وبذلك روما » وتقول المجلة نفسها « ان عملية اعادة بناء جهاز الدولة تسمح بدفع فوائد عالية على القروض الامر الذي يعنى أن فلسطين تجذب دائما المزيد من رؤوس الاموال ، التي يمتلكها حتى هؤلاء الذين لا يقيمون فيها ، وبرغم ارتفاع نسبة الفائدة . فان الضمانة جيدة ، فنحن نجد مثلاً أنه في حالة الرهن فان القرض لا يزيد عادة عن ٥٠٪ أو ٦٠٪ من قيمة البناء ودون احتساب نقيمة الارض » . وهناك امكانيات عديدة لاستثمار رؤوس الاموال والحصول على ربح جيد ومضمون في مجال الزراعة ، فالعائد المرتفع لحقائق البرتقال ونظام الرهن ونظام الضرائب تجعل من هذه الاستثمارات شيئاً مغرباً بصفة خاصة ، وهناك فوق ذلك كله العنصر الايديولوجي . . هذه بايجاز لمحة عن موقف أصحاب رأس المال الصهيونيين ونشاطهم .

وهناك سمة مميزة لنظام الضرائب في فلسطين وهي انخفاض نسبة الضرائب المباشرة وارتفاع نسبة الضرائب غير المباشرة ، ذلك أنه عند وضع أسس هذا النظام كان الريف فقيراً الى درجة تجعله عاجزاً عن دفع المزيد ، ومن ثم فقد ألقى العبء على سكان المدن في صورة ضرائب غير مباشرة . وقد وصف الدكتور جرانوفسكى ممثل الوكالة اليهودية حالة الفلاح في فلسطين في عام ١٩٣٦ فقال « ان الفلاح في حالة بؤس شديد ، الى درجة أن أية زيادة ولو طفيفة في الضرائب سوف تؤثر فيه وتفيض بكأس بؤس » وقال زميله أوسسكين في أحد خطبه « اذا ما تحسنت أوضاع الزراعة ، فسوف تسوء احتمالات شراء الاراضى » وهذان التصريحان

يفضحان تماما أهداف زعماء الوكالة اليهودية ، ويجب أن نقول ان حكومة فلسطين كانت تساعد على تحقيق هذه المطامع .

وفي صفحات مقبلة سوف نتعرض بالدراسة للوضع الاقتصادي الراهن في فلسطين أما الان فلنعد مرة أخرى الى منتصف عام ١٩٣٦ فقد تدهور الوضع السياسى الى درجة كبيرة بسبب التدخل الفاشى فى الشرق الاوسط، والسهولة الفائقة التى تحقق بها هذا التدخل ، وبسبب احتلال أثيوبيا ، وكان هناك أيضا تزايد تدخل الولايات المتحدة فى النواحي الاقتصادية وخاصة بعد أن استعاد الاقتصاد الأمريكى مكانه بعد أزمة وول ستريت وقد أدى ذلك كله الى تغير موقف بريطانيا تجاه الصهيونية ، فلم تؤيدهم ، ولما ازدادت أحاديث السكان الفلسطينيين عن التعاون العربى - اليهودى أثارت سلطات الانتداب القلاقل التى شكلت جراً ممتازا لللاعيب الرجعية .

وعندما بدأ نجم الفاشية فى الافول بعد يونيو ١٩٤١ أخذ الرجعيون العرب يبحثون عن وصاية جديدة ، ومن ثم فقد بدأوا - هم أيضا - فى التقرب الى الامبريالية الانجليزية فلقد وجدوا أنه يجب وأنه يمكن عقد صفقة معها .

ولقد وجدوا أن مثل هذه الصفقة ضرورية لمجابهة ذلك التأييد الذى اتخذ طابعاً عالمياً واسعاً - للرأسمالية اليهودية فى فلسطين ، وذلك بعد أن ثبتت قابلية فلسطين لاستقبال رؤوس الاموال ، وكانت هذه الصفقة ضرورية أيضا لان الرجعية العربية لم تكن قادرة على الصمود وحدها امام الاضطرابات المتزايدة فى صفوف الشعب العربى ومع احتمالات خروج السكان اليهود من تحت سيطرة الوكالة اليهودية ليتحولوا الى قوة ديمقراطية لايمكن أن تعارضها .

وكانت هذه الصفقة ممكنة - لان سياسة الامبريالية ، أو بمعنى أدق أسلوبها قد تغير ، ذلك أن انجلترا لم تعد تتعامل فى فلسطين مع رأسماليين يهود مبتدئين وانما مع طبقة نشيطة ذات صلات دولية واسعة ، وغدا من الصعب التحكم فى انطلاقتها ذى الطابع الدولى ، هذا بالإضافة الى أنه كان ينعين عليها مجابهة تصاعد قوى وطنية نشيطة فى فلسطين ، وهناك أخيرا ذلك التقليد المعروف الذى يدفع الامبريالية الى مساعدة مختلف المعسكرات بحثا عن توازن للقوى ينهك أعداءها ويشكل أفضل الضمانات بالنسبة لها .

لكل هذه الاسباب وبالرغم من وعد بلفور ، ووجود حزب حاكم موال للصهيونية لم تقدم انجلترا أى تأييد للأهداف الصهيونية ، ولعل هذا دليل

أجر على أن الحزب الحاكم لا قيمة له ، وان النظريات لا تكفى وحدها ، وان سياسة الدولة تتحور وفقا لارادة الطبقة الحاكمة ، وما على الحزب الحاكم سوى التنفيذ .

على هذا الضوء يمكننا أن نفهم طبيعة زيارة الوفد الاقتصادي العربي الى لندن مؤخرا ، أما الجامعة العربية فهي تساير السياسة الامبريالية الانجليزية ، ولعل خير دليل على ذلك هو موقف عزام بك ، فهو يدافع بشدة عن فلسطين ضد التهديد الصهيوني والتدخل الاميركي ، ولكنه يبنو متسامحا للغاية حينما يتعلق الامر بانجلترا ، وتدل تصريحاته العديدة على ذلك بوضوح .

وبعد أن جاء دور الرجعية العربية في فلسطين للتعاون مع انجلترا ، سارعت الرجعية اليهودية فربطت مصيرها بالامبريالية الاميركية ، وبدأ السياسيون الاميركيين المهرة يبدون اهتماما خاصا بالقضية الفلسطينية ، وفي نوفمبر ١٩٤٤ نشر « المجلس الاميركي للشئون العامة » دراسة تقول « ان الرخاء والسلام العالميين يتطلبان قيام سياسة اميركية بناءة تحاد المشكلة الفلسطينية » وأوردت الدراسة اشارات لاتجاهات اميركا في التدخل في هذه المشكلة منها « ممارسة ضغط متزايد على انجلترا حتى توافق على قبول عدد أكبر من اللاجئين في فلسطين الا اذا فضلوا الإقامة في أماكن أخرى » .

وأیضا « وهكذا تأكد أن الظروف لن تستقر في الشرق الاوسط الا اذا وضعت سياسة مستقرة تجاه كل دولة من دول المنطقة » وأخيرا « ان للولايات المتحدة مصالح اقتصادية أساسية في الشرق الاوسط » (البروجريه ايجبسيان ٢٩ - ١١ - ١٩٤٤) .

ثم تخرج جريدة « جويش كرونكل » الصادرة في لندن في ١٥ - ١٢ - ١٩٤٤ لتعزز هذا الموقف الاميركي بالتدخل في القضية الفلسطينية بقولها « سوف يطعن العالم الى أن الولايات المتحدة تهتم بالدول الأجنبية حين يعرف أن لها لصالح عملية ومستمرة في فلسطين » .

وشعرت لندن بالقلق حيال كل هذه الدعاوى التي تفتح الباب أمام التدخل الاميركي فقال لورد سترابولجي في ديسمبر ١٩٤٤ أمام « رابطة الدومينيون الفلسطينية » التي يرأسها ، ان اليهود سوف يزدادون في فلسطين بحيث سيصبحون أغلبية فيها خلال عشرة سنوات أو أقل من ذلك . وقال ان العرب يواجهون بذلك صعوبات ومخاوف وأن المخرج الأفضل للقضاء على مخاوف العرب هو أن تتبع فلسطين الامبراطورية البريطانية وتكون منطقتة ذات حكم ذاتي (لاجورص) ايجبسيان ٢١ - ١٢ - ١٩٤٤) .

واشتعل الصراع بين الامبريالتين الانجليزية والاميركية في أعقاب انتهاء الحرب العالمية ، وأعلنت الصحف في ١٧ - ٩ - ١٩٤٥ أن ترومان أرسل خطابا شخصيا لاتلى يطلب فيه السماح « لحوالى مائة ألف يهودى من سجناء معسكرات الاعتقال الألمانية بالهجرة الى فلسطين » وقالت أيضا « ان مستر بيرنس وزير الخارجية يتفاوض مع الحكومة البريطانية بشأن مستقبل فلسطين » .

ولا شك في أن هجرة مائة ألف يهودى الى فلسطين يقضى على السياسة الانجليزية بدون أى مقابل . كذلك فأننا يتعين علينا أن ندرك أن أميركا والصهاينة يلحون الان بشدة على تهجير هؤلاء اليهود الذين عذبوا في معسكرات الاعتقال مستخدمين مأساتهم التى هزت المشاعر ، وذلك قبل أن يخبوا تأثير مأساتهم ، ويتلاشى في أذهان الناس مبرر تهجيرهم لفلسطين ، ولعل هذا هو السبب في أن القوات الاميركية قد أحاطت بالمعسكرات مانعة اليهود المعتقلين فيها من مغادرتها حتى تظل مشكلتهم ملتصبة ، ولهذا السبب قال أيزنهاور في تقرير له نشر مؤخرا « ربما أثار قيام قواتنا بحراسة المعسكرات التى كان الجستابو الالمانى يحرسها ، اختلاطا في الازهان » (لايورص أجيسيان) ومع ذلك فقد رأينا كيف أفاضت الصحف الصهيونية والاميركية في الحديث عن المعاملة الوحشية التى تعرض لها اليهود في معسكرات الاعتقال . وكانت عناوين هذه الموضوعات تلاصق عادة عناوين مقالات أخرى تطالب برفع القيود البريطانية على استغلال بترول الشرق الاوسط وكان الهدف من هذه الحملة هو التأثير في الرأى العام ، فلما تحقق التأثير المطلوب جاءتنا برقية عن وكالة يونايتدبرس في ٢ - ١٠ - ١٩٤٥ تقول أن الجنرال والتر سميث يضع طائرته الخاصة تحت تصرف الصحفيين للقيام بحولة في معسكرات اعتقال اليهود فوراً .

فما معنى ذلك كله ؟

معناه هو ممارسة ضغط عنيف على الحكومة البريطانية لاجبارها على ارخاء قبضتها عن فلسطين .

والحقيقة أن الظروف المعيشية في معسكرات الاعتقال لم تكن - تحت الحراسة الاميركية أى بعد بعد هزيمة النازية بالسوء الذى تحدثت عنه الصحف ، فهي لو كانت سيئة لما أمكن الاستمرار في اقناع هؤلاء «الضيوف» بالاستمرار في الإقامة فيها ، ويمكن القول بأن ظروف المعيشة في هذه المعسكرات لم تكن أسوأ من ظروف الحياة بالنسبة للكثيرين من سكان بلدان أوروبا التى تعرضت للغزو الالمانى . واشتدت الحملة في الولايات

المتحدة وأخذ أعضاء مجلس الشيوخ ، وبعض الوزراء يقيمون ضجة مفتعلة حول هذا الموضوع ، واشترك في الحملة عدد كبير منهم ، ولكن عناصر معينة كانت تنشط بشكل خاص في هذا الصدد ، فكثيرا ما تردد اسم ماك كورمير وآخرين أما باقي أعضاء مجلس الشيوخ فقد كانوا يكتفون بالتوقيع على العريضة تلو الأخرى .

وربما ثار سؤال لماذا كان يمكن اقناعهم بمثل هذه البساطة ؟ وكيف أمكن جر الكثيرين منهم تحت دعاوى الحق والعدل كي يعملوا في خدمة أيديولوجية عنصرية تضر بكل الشعب العربي .

وللإجابة على هذه السؤال يتعين علينا أن نعود فنذكر بالدراسة التي أعدها « المجلس الأميركي للشؤون العامة » والتي تتحدث عن مصالح الولايات المتحدة في فلسطين بل وفي منطقة الشرق الأوسط كله . غير أن الامبريالية الأميركية وجدت أنه من الأفضل والأسهل أن تحقق مصالحها في المنطقة بادعاء العمل « لتخفيف آلام آلاف من البؤساء » .

وهكذا فرضت الامبريالية الأميركية على السياسة البريطانية أن تتخذ موقعا أكثر تسامحا وذلك باعلان الرجعية الاميركية بوضوح أنها قد اتخذت قرارا نهائيا ، وبنجاحها بمهارة في أن تكسب الى صفها جزءا كبيرا من الرأي العام العالمي ، بل وتأييد بعض الاجزاء المتخلفة من الطبقة العاملة ، ولم يعد أمام بريطانيا من طريق ، فهناك « الدمنيون » وهو يتطلب موافقة هيئة يختارها الشعب الفلسطيني بحرية تامة ، وهناك السماح لبضعة آلاف من اليهود بالهجرة الى فلسطين وهو اجراء لا يرضى أحدا ، وهكذا أجبرت السياسة البريطانية على قبول مشاركة الولايات المتحدة لها فيما أسمى بمسؤولياتها في فلسطين .

وحتى هذا الموقف المتراجع لم يقبله الأميركيون ، فما أن أذيع النبأ حتى سارع الأميركيون باعلان رفضهم له ، واضطر ترومان شخصا الى تكذيب نبيأ لجرى بريطانيا رسميا الى أميركا ، وغدا واضحا من مناقشات مجلس الشيوخ أن هناك - فقط تأييد لفكرة ارسال قوات مسلحة اذا ما تعلق الأمر بوقف اندلاع ثورة عربية قد تنشب بسبب هجرة اليهود (من تصرح للمسناتور جونسون) وأصبح واضحا تماما أن الولايات المتحدة قد قررت اذنتهاز هذه الفرصة لوضع أقدامها في الشرق الأوسط .

ومن هنا يتعين على المخلصين من اليهود أن يدركوا أن الامبريالية الأميركية إنما تسعى لمصالحها هي ، وإنها قد تتخلى دفاعا عن هذه المصالح

عن الصهيونيين كما فعات بريطانيا من قبل ، بل قد يأتى يوم تحمل فيه
يهود العالم مسؤولية توتر علاقاتها مع بريطانيا ، ومن هنا يجب أن نلج
في ابراز خطر تجاهل المتحدثين الرسميين باسم اليهود في بعض الدول للمهمة
التاريخية الملقاة على عاتق اليهود اليوم ، وهى تدعيم المعسكر المناهض
للامبريالية في بلادهم وفي العالم أجمع وتجنيد كل الجالية اليهودية في بلادهم
في النضال من أجل التقدم الاجتماعى وانهاء الظلم الاستعمارى .

وقد عقد اليوم مؤتمر بترولوى بين المستر أيك والمستر شنويل وربما
اتسع نطاق مثل هذه المباحثات ، خاصة وأن موضوع فلسطين هو أهم نقطة
في جدول الاعمال في هذه المفاوضات . وسوف يحاول المستر أيك في هذا
المؤتمر التوفيق بين المشروعات البترولية الاميركية في الشرق الاوسط وبين
الذريعات السرية البريطانية لمستقبل المنطقة ويقترح الاميركيون بناء خط
لأنابيب البترول طوله ١٣٠٠ ميل ويمتد من الخليج الفارسى الى البحر
المتوسط على أن تقوم بتنفيذه شركة استنادارد أويل أوف كاليفورنيا ، وشركة
جولف أويل كوربوريشن ، اللتين تتمتعان بامتيازات بترولية في المملكة
العربية السعودية والبحرين وأم القوين . والمطلوب ألا يمر هذا الخط بالعراق
وانما فقط بالسعودية والصفة الشرقية لنهر الاردن وفلسطين ، وربما أنشئ
له فرع يمر بسوريا ولبنان (طرابلس) وربما كانت أهم النقاط المناقشة
في هذه المفاوضات هى مطالبة اميركا بالحصول على قاعدة بحرية على ساحل
منطقة الشرق الاوسط . وهذه مسألة ذات أهمية كبرى بالنسبة للسياسة
الاميركية والخاصة بمسألة هجرة اليهود الى فلسطين وباحتمالات اقامة دولة
يهودية (فلسطين بوسط ١٩ - ٩ - ١٩٤٥) .

ومع ازدياد ضغط الاميركيين بدأت المقاومة الانجليزية تضعف وخاصة
بعد وقف قروض الاحتكارات ولا شك في أن الاميركيين قد أقحموا المسألة
الفلسطينية في المساومات المضنية التى تجرى بينهم وبين الانجليز في واشنطن
.. ولنحاول الان أن نرى ماذا بقى لدى الانجليز من امكانيات للمقاومة ؟

هناك أساليب مؤقتة . مثل اثارة القلاقل ، أو تنشيط دور الجامعة
العربية بهدف تأجيل عملية الهجرة اليهودية ، وافقصاد الثقة في السياسة
الاميركية في المنطقة . كما يمكن للانجليز أن يسعوا لنشر سياسة معاداة
السامية في الدول العربية كي يستخدموا بعد ذلك - ضدها الدبابات ، محاولين
أن يظهروا للعالم أن باستطاعتهم - هم أيضا - مساعدة اليهود حين يتهددهم
الخطر ، ومستغلين هذه الفرصة لتحطيم كل امكانيات حركة المقاومة التى
بدأت تتضح معالمها في مصر حيث يحاولون حث الشباب اليهودى والجالية
اليهودية كلها على القيام بنشاط صهيونى صاحب .



وبعد أن تابعننا تطور المشكلة الفلسطينية في إطارها الامبريالي ،
فسوف نحاول الان أن نتابع تطوراتها في الاطار الداخلي .

ولقد اتخذ هذا التطور بطبيعة الحال نفس السمات التقليدية لبلاد
محفل . قمع وحشى لاية حركة تقدمية (ذلك أننا لم نر اضطراراً مماثلاً في
وحشيته للاضطهاد الذى تعرض له الشيوعيون في فلسطين الا في البلدان
الفاشية) - عدم وجود تشريع عمالى جدى . . الخ .

ولقد تأثر النضال من أجل التحرر الوطنى على الدوام بالهجرة الجماعية
الى هذا البلد الصغير المتخلف الذى يعيش فيه سياسيون برجوازيون ذوى
أيدىولوجية صهيونية والحقيقة أن كون الصهيونية لا تستند الى أى أساس
علمى لا يجردنا مطلقاً من فاعليتها الايدىولوجية ، ذلك أن فاعليتها
الاساسية تنبع من كونها قد تغلغلت في صفوف الجماهير اليهودية في فلسطين
وفي دول أخرى عديدة . ولا شك في أن مثال الفاشية لا يزال ماثلاً في الازهار
مرضحاً لنا مدى النتائج الضارة التى يسببها انتشار أيدىولوجية خاطئة
في صفوف جماهير معينة ، وأثر ذلك على الشعور بالعداء بين العرب واليهود
ولعب دوراً في ذلك الطابع « البرجوازى » للبروليتاريا اليهودية في فلسطين .
وخاصة في موقفها من التعاونيات ، واتجاه العمال اليهود الى النشاط
الحرفى والتجارى ما أن تسنح لهم الفرصة بذلك .

وهكذا يشأ من ضعف البروليتاريا العربية وضعف البروليتاريا اليهودي
أبضاً موقف منطرف تتأثر به الجماهير ذاتها ، مثل الارهاب المناهض لليهود
والذى تمارسه بعض العصابات العربية والتى تلقى - أحياناً - تأييداً من
الجماهير العربية ، ومن ناحية أخرى مثل المطالبة بانشاء دول يهودية ، وهم
مطلب يوافق عليه أغلب السكان اليهود . بيد أن الصهاينة الفلسطينيين لا يعنون
بالدولة اليهودية ، دولة مستقلة ، بل دولة يطرد منها العرب ويحرمون من
العودة اليها .

وأياً كان الامر فاننا يجب أن نعترف بأن هذه السمات قد أثرت حتى
على الاوساط التقدمية اليهودية والعربية معا ، والتى اتضح ارتباطها
- بشكل أو بآخر - بأفكار طبقتها البرجوازية . بل لقد أدى ذلك الى
انقسام تام في صفوف الحزب الشيوعى، تمثل في تجمع العرب وحدهم واليهود
وحدهم منذ عام ١٩٤٣ .

ولكى نذوم هذه الظاهرة يتعين علينا أن نرجع ٢٥ عاماً الى الوراء
بذور الايدىولوجية التقدمية Poale Sion Smol حينما أدخل أنصار حركة

الى فلسطين ، ثم انفصل من هذه الحركة أفضل عناصرها وشكلوا مجموعة جديدة تحولت الى حزب شيوعي فيما بعد . واضطر الحزب للعمل في سرية نامة ، وبسبب أصل كوادره وضعف ارتباطها بالجماهير (وخاصة العربية) سرعان ما اتخذ موقفا انتهازيا تجاه الصهيونية . فأدى به هذا الموقف الانتهازى الى مزيد من الضعف . ويتلخص الموقف الانتهازى لهذا الحزب في عدم قيامه بتحليل طبيعة الصهيونية تحليلا عميقا ودقيقا ، وكان في احيان عدة يتغاضى عن طابعها الرجعى ، بل ويتقرب اليها ، وفي احيان أخرى كان يلجأ الى الارهاب لمحاربتها وازدادت أخطاؤه التكتيكية وتراكمت بسبب تذبذبه وضياعه المذهبي ، وانتهى الامر الى أن ادانته الدولية الثالثة في مؤتمرها السابع (أشار أعضاء الحزب الى هذا الامر دون أن يقدموا ايضاحات كافية) ، وبالرغم من ذلك عجز الشيوعيون الفلسطينيون عن اتباع خط أكثر فاعلية فيما بعد . وثمة سبب آخر لضعف الحزب الشيوعي هو أن أفضل الكوادر اليهودية كانت تبعد عن البلاد (الى بلادها الاصلية) عقب القاء القبض عليها ، وبذلك حرم الحزب من التجربة الجماعية المستمرة وتعرض دائما للاستنزاف . وكثيرا ما شعرت الكوادر الباقية بهبوط حاد في معنوياتها .

وتبلور الوضع في ١٩٤٠ عاكسا كل الماضى الثقيل على النحو التالى :

١ - أظهرت بعض العناصر - وخاصة العربية - اتجاها شوفينيا اذا كانت لا ترى فرقا بين يهود فلسطينيين عامة وبين الصهيونيين خاصة وأن مجرد وجود هؤلاء اليهود في فلسطين كان يعنى أن لديهم صلات تتفاوت قوتها بالصهيونية . ومن الملاحظ أن نفس هذه العناصر أظهرت موقفا سلبيا تجاه كثير من المواقف النضالية . وترتكب هذه العناصر خطأ كبيرا ألا وهو تجاهل تعاليم ستالين التى تقول ان الشيوعيين يجب أن يهاجموا بورجوازياتهم أولا . ولكن ما الذى يفعله الشيوعيون العرب ؟ أنهم يملأون صفحات جرائدهم بهجوم على الصهيونية ويتركوا جانبا مهاجمة الرجعية العربية وهم بهذا انما ينفذون الاهداف الرجعية ، ذلك أنه لن يمكنهم أبدا أن يرفعوا أصواتهم ضد الصهيونية أكثر مما تفعل البرجوازية العربية وصحفها وهم على أى حال لن يصبحوا بهذه الطريقة مؤهلين لاي كفاح جاد .

وبتفق السكان العرب جميعا على ادانة الصهيونية فما جدوى أن يضاعف الشيوعيون العرب هذه الادانة ؟ ان الواجب عليهم أن يعملوا على ألا تتحول معاداة الصهيونية الى معاداة لليهودية .

كما ينسى الشيوعيون العرب أن المشاكل العربية قد تطورت في العشرين عاما الأخيرة وأن الشيوعيين لا يمكن أن يظلوا على نفس موقفهم الماضى تجاه

يهود فلسطين اذ يوجد اليوم سكان يهود في فلسطين لهم سمات مميزة تختلف تماما عن يهود الدئل الأخرى وهم سكان لهم ثقافتهم الخاصة ولغتهم الخاصة ومؤسساتهم الخاصة . سكان يتكون ربعهم على الأقل من العمال والفلاحين وأخذوا يتخون سمة الشعب العامل ، والسكان اليهود في فلسطين يحتلون مركزا هاما في الصناعة ولهؤلاء حقوق قومية لا يمكن لأى دولة ديمقراطية أن ترفض منحهم اياها وعلى الشيوعيين النضال من أجل ذلك عليهم منح هؤلاء السكان كل حقوقهم السياسية بما في ذلك حق الانفصال . ولكن ما الذى يقوله الشيوعيون العرب ؟ ان فلسطين دولة عربية يجب أن ظل كذلك ، وهم بذلك ينكرون الواقع أيا كانت الأسباب التى فرضته وبذلك ينكرون النظرية الستالينية .

٢ - ومن الناحية الأخرى يبرز في صفوف اليهود اتجاه يضم كل التيارات (الصهيونية) سواء في صفوف يهود العالم أجمع أو في صفوف يهود فلسطين والمهاجرين ، ويذهب هذا الاتجاه الى حد انكار السمة الأساسية الرجعية للصهيونية : قد تغيرت طبيعة المشكلة اليهودية فعلا من جراء هذا الاتجاه . ففى أوربا أصبح العديد من اليهود غير مرغوب فيهم لانهم لا يستطيعون التكيف مع الظروف الجديدة وأصبحوا يشكلون عبئا على الشعوب . وفى فلسطين يقول هذا الاتجاه كانت الصهيونية رجعية طالما كانت تنفذ أغراض الامبريالية البريطانية وتستغل الأيدى العاملة العربية (التى تنقضى أجورها أقل والمتوفرة بأعداد أكبر بالنسبة للأيدى العاملة اليهودية النادرة) . ولكن الآن وببعضها أصبحت الصهيونية على ما يبدو فى تعارض مع الامبريالية البريطانية وبدأت تعمل على تكوين بروليتاريا يهودية والعديد من التعاونيات الانتاجية والتعاونيات الاستهلاكية وعلى تطوير الزراعة وبعد أن تشكلت قومية يهودية في فلسطين فقد غدا من الضروري اتباع موقف جديد تجاهها . هذا هو ملخص ادعاءاتهم .

ولكن ينسى أصحاب ومؤيدو هذا الاتجاه أولا : أن الناحية الرجعية القديمة في الصهيونية لم تختف كما يدعون بل ازدادت كثافة وعمقا .

فقد تعززت علاقاتها بقوى امبريالية أكثر خطرا وأصبحت بالفعل عميلا للامبريالية الأميركية كما أن أصحاب هذا الاتجاه لا يرون أن الصهيونية تستغل الأوضاع الراهنة في فلسطين لزيادة استغلال الطبقة العاملة التى تكونت حديثا .

ولقد ذهب الجناح المتطرف لهذا الاتجاه الى أن الانفصال عن الحزب وتكوين حزب

Ahiyout A, Communisti

الذى يشن هجوما شديدا

على الحزب الشيوعي الفلسطيني حتى انه ليجد أن هذا هو السبب الوحيد لقيامه .

كما انفصلت عنه مجموعة صغيرة هي جماعة EMET وقد تبلور الانقسام الفعلي في الحزب عام ١٩٤٢ بعد اشارة قضية هل يتعين على الحزب الاشتراك أو عدم الاشتراك في الاضراب الذي نظمته الهستادروت .

والحقيقة أن تطورات الحرب ونتائجها لم تعدل كثيرا من موقف هذه الجماعات ، والجناح الاول من الشيوعيين والذي يصدر صحيفة « الاتحاد » ويتمسك بما ورد فيها من آراء يرى أنه من حق اليهود الهجرة الى فلسطين ولكن من يعيش منهم فيها أصلا يجب أن يتمتع بالحقوق الديمقراطية التي يمكن أن يتمتع بها الجميع في كل الدول الاخرى : فمن حقهم مثلا أن يصبحوا مواطنين فلسطينيين بعد أن تغدو فلسطين دولة مستقلة وديمقراطية . ولهذه الجماعة صلات عمالية كبيرة في أوساط البروليتاريا العربية (١٠٠,٠٠٠) يشترك ١٨,٠٠٠ عامل منهم في جمعية العمل وهي منظمة نجحت مؤخرا في استبعاد العناصر الرجعية من صفوفها ويتمثل هذا الاتجاه في عصابة التحرر الوطني (العرب) وتشرف اللجنة المركزية لهذه الحركة على صحيفة « الاتحاد » . وهناك أيضا رابطة المثقفين العرب التي تزداد نموا والتي يتجمع أنصارها حول مجلة أسبوعية تدعى « الجهاد » يبدو أنه سيكون لها شأن هام في المستقبل .

أما الجناح الثاني فيتمثل في الحزب الشيوعي (اليهود) وهو يرى في أن الجالية اليهودية (التي تزيد عن ٧٠٠ ألف نسمة) ليست مجرد أقلية ليس لها حقوق قومية ، خاصة وأنها تسيطر على أغلب الأنشطة الاقتصادية في الدولة ويميل هذا الاتجاه الى فكرة « القومية الثنائية » (وربما كان يعنى بذلك وجود ادارتين مستقلتين تماما لهما جهاز تنفيذي مشترك أو حتى ليس لهما مثل هذا الجهاز) بعد التحرر من يد الاستعمار .

وقد أعلن الحزب الشيوعي (اليهود) في آخر مؤتمر له عقده في سبتمبر ١٩٤٥ معارضته للكتاب الابيض (مع العلم بأن جماعة جريدة « الاتحاد » توافق على العمل « بالاجزاء البناء فيه ») وجهة اعتراضاتهم على الكتاب الابيض هو انه يتضمن في وجهة نظرهم :

(أ) استمرار الظلم والنظام الاستعماري (أى النظام الذي لا يشترك فيه الصهاينة . ونحن نعلم كيف يمكن أن تصبح الهجرة مع وجود أوروبا ديمقراطية اذا توقفت الوكالة اليهودية وتوقف بعض موظفي وكالة الغوث عن التدخل في هذا الأمر) وذلك لاستمرار وجود المندوب السامي وغياب الانتخابات والمؤسسات الحرة .

(ب) ينص الكتاب الابيض على عدم « حرية الهجرة والمقصود بكلمة « حرية » هنا الحرية التي ينظمها الصهاينة » وهذا اجراء غير ديمقراطى في نظرهم .

(ج) منع حرية بيع الاراضى لليهود حتى يحولوها الى مزارع جماعية مثلا في حين انه لا يحرم تجريد الجزء الأكبر من صغار الملاك العرب من اراضيهم لصالح كبار الملاك (ليس صحيحا أن هذا القانون قد طبق على اليهود فعلا . فقد صرح جرانوفسكى من الوكالة اليهودية في تقريره السنوى في سبتمبر ١٩٤٥ بأن مساحة الارض التي أصبحت « ملكا قوميا » تعدت ٨٠٠ ألف دونم تم الحصول على ٣٣٠ ألف دونم منها منذ بداية الحرب) (فلسطين بوست ١٩٤٥/١٠/٢٠) .

ومن ناحية أخرى انضم الحزب الشيوعى (اليهود) منذ مايو ١٩٤٥ الى الاستادروت وأخذ يدعو البروليتاريا اليهودية في فلسطين الى النضال من أجل تحسين ظروف معيشتها ومن أجل دعم فكرة « الوطن القومى » والتعاون مع النقابات العبرية والنضال ضد السياسة العنصرية التي تتبعها Kibbutz Avoda (وهى التي تنص على طرد العمال العرب من العمل لمساعدة الأخوة اليهود في دول أوروبا المحررة عن طريق طفرة يقيم بها كل Yishour

ومن أجل تعاون كل القوى المناهضة للرابطة الحالية الموجودة في الهستادروت والتي تؤيد سياسة الرفاق مع الرأسماليين مع غياب الديمقراطية في هذه المؤسسة وموافقتها على برنامج بليتيمور (الذى يطالب بالتطبيق الفورى للأئدة الكومونولث في فلسطين) ثم يهضى تقرير مؤتمر الحزب الشيوعى (اليهود) قائلا :

« بالرغم من الاختلافات الايديولوجية القائمة فهناك العديد من المهام الوطنية والاجتماعية المشتركة التي يمكن - بل ويجب - أن تدفع أجزاء كبيرة من الطبقة العاملة الى التعاون الوثيق داخل الهستادروت » .

هذا هو برنامج الحزب الشيوعى (اليهود) ولكن يبدو أن أعضاء المسؤولين لا يدركون أنهم باشتراكهم مع الصهاينة في معارضة الكتاب الابيض وبانضمامهم للهستادروت (الذى سنتحدث عنه بالتفصيل فيما بعد) الى جانب الصهاينة ، وبنضالهم من أجل حرية الهجرة انما يسيرون بخطوات تبعدهم عن العرب (كما يود الصهاينة) خطوات تضلل الجماهير اليهودية المترددة وتأخر بذلك عزلة الصهاينة التي تعتبر شرطا أساسيا لكل تقدم اجتماعى أو سياسى في هذا البلد .

ولم يعد الصهاينة - بعد أن زادهم اشتراك الحزب الشيوعي معهم في الخطوط العريضة لسياساتهم الرامية الى عزل العرب والحصول على تأييد ايجابي من الامبريالية قوة وبأسا - يخشون هذا الحزب بل احتضنوه في الهيئات ودوت وأصبح في امكانهم اخفاء وجود أى خلاف في صفوف الطبقة العاملة والتقدم للمؤتمرات الدولية العمالية وغيرها مدعين الحديث باسم كل البروليتاريا الفلسطينية - أما داخل فلسطين فقد نجحوا بذلك في تضليل المزيد من العمال اليهود .

هذه هى نتائج الخط الذى يتبعه الحزب الشيوعي الفلسطينى الذى يدعو دائما الى ضرورة النظر الى « المشكلة بنظرة عالمية » . ونجد أن قراراته الصادرة في أغسطس ١٩٤٥ تتضمن دعوة للشعب اليهودى كله للنضال من أجل « اعادة الممتلكات المسلوبه منهم مع تعويضهم » . الدفاع عن الحقوق الديمقراطية والوطنية للشعب اليهودى ومطالبة مجلس الامن الدولى بمنحه ضمانات في هذا السبيل حتى يتمتع اليهود في شتى الدول بإمكانيات التطور الوطنى والاقتصادى والثقافى الحر » .

« السعي للحصول على مساعدة عاجلة لاقامة واسكان آلاف اليهود الذين لا يستطيعون - لسبب أو لآخر - العودة الى بلدانهم الاصلية ويريدون الهجرة الى دول أخرى ومن بينها فلسطين » - « مساعدة يهود فلسطين في كفاحهم ضد الكتاب الأبيض ومن أجل اقامة « وطن قومى حر » . »

كما جاء في هذه القرارات ما يلى :

« نعتمد الايديولوجية التى تقول انه يتعين على يهود العالم أن يعزلوا أنفسهم كما يجب أن يطبق عليهم كلمة « خارجين من أوروبا » على القوى الرجعية بما يتعارض مع مصالح اليهود في شتى الدول الأوروبية ويتعارض مع واجباتهم ونحن نرى أن افتصار الاشتراكية سوف يحل المشكلة اليهودية تماما » ولكن يبدو فيما يتعاقب بتنفيذ هذه القرارات أن الحزب الشيوعى ينسى تماما معنى هاتين الجملتين الأخيرتين .

ونشعر في نهاية الأمر أن الحزب الشيوعى اذ يترك ضعفه العددى يحاول تحطيم عزله بأية طريقة . ويتخيل متحججا بسياسة « الجبهات الوطنية » أنه يمثل هو الآخر تجمعا حزبيا حين ينضم للهيئات دون أن يضع في الاعتبار موقف الأحزاب التى يتحالف معها أو حجم القوة التى يتمتع بها . ولكن كيف يمكنه تفسير مسلكه هذا للجماهير الكادحة في فلسطين ؟ هذا ما لم يحاول الحزب الشيوعى تبريره في أى منشور على حد علمى .

ولتد فضل الحزب الشيوعي ابرام اتفاق مع كل الاتجاهات الشوفينية والرجعية الممثلة في الهستادروت بدلا من الانضمام « لعصبة التحرر الوطنى » التى تسمح أهدافها الوطنية بتحقيق تقدم فلسطين فى مجال القضاء على الآفات التى يعانى منها الشعب .

وقد جاء فى قرارات مؤتمر الحزب الشيوعي « ان النضال من أجل التعاون اليهودى والعربى والمساواة فى الحقوق الوطنية فى الدولة من أهم الوسائل لتحقيق الديمقراطية والاستقلال فى فلسطين - أن نظام الحكم الديمقراطى المستقل يعتبر بالثالى أساسا للاخاء بين شعوب هذه الدولة . . . سيجرز النضال من أجل ديمقراطية واستقلال بلدنا الانتصار عندما نخوضه سوريا يهودا كنا أو عربا » . . . لكنه يبدو لنا أن هذه الجمل قد أفلتت خلسة وسط قرارات لها اهتمامات أخرى تماما والا فما هى الترجمة العلمية لخط سير الحزب ؟ فى الاستعراضات التى أقيمت بمناسبة يوم النصر كانت شعارات الحزب محاطة بالاعلام الاجنبية وتتعلم الشعبية الشيوعية أغاني بشتى اللغات ولكنهم على حد علمى لم يتعلموا أغنية واحدة منها باللغة العربية ولم يطلب منهم أبدا « مخاطبة العرب » ان الحزب الشيوعي بسياسته الحالية يسهر عمل الرجعية ولا يقاومها الا فى أضيق الحدود .

ولا داعى للقول بأن العناصر التى تعمل على استمرار تقسيم وتفتت طيعة الشعب العامل الفلسطينى ، العناصر التى تعتقد أنه يمكنها انكار العامل اليهودى أو تتخيل أنه يمكنها التقدم بدون الحركة العربية ، يجب أن تثرب الى رشدها بأسرع وقت وأو أدى الامر الى استبعادها تماما حتى تصبح الامكانيات العديدة التى تفتحت منذ هزيمة الفاشية حقيقة واقعة على أرض فلسطين .

ويتعين علينا أن نلاحظ فى هذا الصدد أن الكتاب الابيض البريطانى الذى وافق عليه البرلمان كان يتضمن بالرغم من كل نقاط ضعفه ضمانا للحرية المستقبلية لو اتحدت صفوف الشعب اذ يشير الكتاب الابيض الى أن الهدف الذى تسعى الحكومة الى تحقيقه هو « انتشار دولة فلسطينية مستقلة يتمتع الشعبان بالحكم فيها بطريقة تحمى المصالح الحيوية لكل منهما » وسيتم بناء هذه الدولة خلال عشر سنوات « (أى عام ١٩٤٩) ويتم ادارتها عن طريق « العلاقات التعاقدية مع الامبراطورية البريطانية بما يضمن المصالح التجارية والاستراتيجية للدولتين بطريقة مرضية » .

ويعين الفلسطينيون بعد استتباب النظام ، فى شتى الاجهزة الحكومية ، ويتم بعد خمس سنوات تشكيل هيئة تمثل الشعب الفلسطينى لتضم

الدستور • هذه هي الامكانيات التي أصبحت الآن منسية بسبب تفتت الشعب الفلسطيني وتقع مسؤولية هذا التفتت على طليعة الشعب •

فما هو السبب الذي يقدمونه لتبرير غياب التعاون ؟ غياب الاتفاق على المعنى الحقيقي للنظم الادارية في الدولة ؟ هذه مسألة لا يمكن حلها الآن في واقع الأمر اذ لا يمكن أن تحل الا بعد المرحلة التالية الا وهي تكوين دولة فلسطينية حرة ومتمدة • ويرتفع الحل الى حد كبير بطريقة تنفيذ المرحلة السابق الاشارة اليها •

والمهم الآن هو معرفة لمن تقدم المطالب السياسية والتي تأتي أهميتها حتى قبل المطالب الاقتصادية التي يخلو للحزب الشيوعي التحدث عنها • لن يكون لنشاط الشيوعيين الفلسطينيين معنى الا عندما يعبر نضالهم عن اتحاد متين بين اليهود والعرب داخل حزب واحد وعندما يكون شعار هذا النضال والكفاح هو : ضد الامبريالية الانجليزية أو غيرها • وعندما يوحدون قواهم فعلا وليس بالكلمات وحدها في خضم النضال اليومي بدلا من تحييد بعضهم البعض أو خصام بعضهم البعض •

ولذلك يجب أن ينسحب الحزب الشيوعي من الهستادروت اذا ما رفضت اللجنة المركزية للهستادروت قطع علاقاتها صراحة بالصهيونية (أو على الأقل بالالتزام بالنضال من أجل برنامج بلتيمور) كما يتعين على الحزب الشيوعي النضال بعد ذلك للاندماج في عصبة التحرر الوطني (العربية) مع اختيار اسم جديد لها وعندئذ فقط سوف تكون هناك قوة تقدمية حقيقية في البلاد يستمتع اليها الشعب اليهودي الفلسطيني وتضمن له بطريقة فعالة احترام حقوقه وتسهيل له انفصاله عن الايديولوجية الصهيونية التي لم تنجح حتى الآن في حل أى من مشاكله الحيوية بطريقة مرضية والتي سيتضح عاجزها أكثر فأكثر مع مضي الوقت • ان الايديولوجيين الصهيونيين يؤيدون صراحة الألاعيب الرجعية في الشرق الأوسط ويهاجمون الاتحاد السوفيتي باستمرار ويتدخلون في الشؤون الداخلية للدول المستقلة ويوجهون هجمات متواصلة على الشعب العربي الفلسطيني ، وهذا وحده كاف لادانتهم والهجوم عليهم •

ولهذه الأسباب نفسها يتعين أيضا النضال من أجل عزل السياسيين العرب ذوى الميول الفاشية والذين يتلقون مساعدات سافرة أو شبه سافرة من السلطات الانجليزية ، لكن خطوة البدء لذلك كله هي أولا وقبل كل شيء ، توحيد صفوف الحركة التقدمية •

يجب ادانة الانقسام ، حتى ولو قام على أساس قومي ، ذلك أن أي انقسام هو بالضرورة غير شرعى لانه يحيط كيان الحزب الشيوعى الفلسطينى ذاته بالشكوك ، بل انه يحيط كيان فلسطين كلها بالشكوك . أى أن أي انقسام ينعارض تماما مع الهدف المحدد وهو تجميع كل القوى الراغبة فى الانفلاق من قبضة الامبريالية .

لقد زاد الصراع الطبقي حدة فى فلسطين كنتيجة للظروف الجديدة الناجمة عن الحرب اذ يتزايد حجم التراكم الرأسمالى وتصبح ظروف الحياة العمالية غير محتملة وطرات تغيرات على الاحزاب العمالية الصهيونية أدت الى نشوء حركات وتجمعات جنسية ولعله من المهم أن نشير هنا الى أن مؤتمر الهستادروت الذى عقد عام ١٩٤٤ قد وافق على توصية لصالح برنامج بلتييمور بأغلبية صوتين فحسب (٢٤ - ٢٢) . وبعد ذلك شكلت المجموعة الثانية التى نادى المعارضة داخل الماباى (حزب العمل فى فلسطين وهو المائل لحزب العمال البريطانى) حزبا منفصلا هو
Tava Leachdoth Haavoda

(حركة الاتحاد العمالى) ومن بين قادة هذا الحزب تابنكين وزسلبنج اللذين كان لهما نفس نفوذ بن جوريون فى الماباى ويعكس هذا الانفصال التغيرات التى طرأت على جماهير الماباى التى شعرت بخيبة الامل والتى يتحتم ايجاد طريقة اخرى لاسيطرة عليها . ولا شك أن هذا الحزب الجديد لم يغير ايدىولوجيته ولكنه اتبع سياسة نقابية صرفة وتكتيكا أكثر مرونة تجاه المشاكل الدولية وتجاه العرب . ويحاول زعماء هذا الحزب أن يكونوا بمثابة جسر بين Hashomer Hatzair Poale Zion من ناحية والماباى من ناحية أخرى

وأن يوحدوا الحركة « الصهيونية الاشتراكية » دون تحديد للبرنامج او للايدىولوجية بل تأكيد وحدة التنظيم فحسب فهم مع وضد « أبعاد العمل العرب » Kivouche Avoda مع وضد بلتييمور . . . الخ أنهم يتخطون فى التناقضات .

وبالإضافة الى هذه المجموعة هناك مجموعة Hashomer Hatzair ورابطة الاشراكيين وكلاهما ازداد نمو أثر الحرب بعد زوال أوهم الجماهير ، ولهذين الحزبين سياسة أكثر تقدمة فى مجال السياسة العامة لا فيما يتعلق بالمشكلة اليهودية . فهما مثلا يتبعان موقفا سلبيا تجاه يهود الاتحاد السوفياتى ورغم تعاطفهما مع الاتحاد السوفياتى ومع الاشتراكية العلمية (الى درجة أنهما قدما لسفير الاتحاد السوفياتى فى مصر الذى كان يزور القدس بعض الكتب النظرية كهدية) إلا أنهما قد اتبعوا موقفا عدائيا ازاء الشيوعيين اليهود فى كل الدول بما فى ذلك فلسطين ، ولم يحددوا موقفهم من

الحلول الديمقراطية للمشاكل القومية والدولية ، ويدعون في المجال النقابي أنهم يساريون في حين أنهم يقفون في أغلب الأحيان الى جانب اليمين (مقدمين كسبب لذلك حجة غريبة وهى أنهم حزب معارضة « مسؤول » ٠٠٠) فمثلا أبدوا الهستدروت في تخفيض ١٨٪ من نسبة غلاء المعيشة . وصوتوا في المجلس القومي Vaad Leoumi لصالح قرار المسابى بشأن التعليم (لا اخاء بين الشعوب) . وأحيانا يدعون التعاطف مع الاحزاب الشيوعية جميعا باستثناء الحزب الشيوعي الفلسطيني ويؤيدون مبادئ Kivouche Avoda وهى المبادئ العنصرية التى تقضى بطرد العمال العرب من المؤسسات التى يملكها اليهود (يؤيدون « النظام القائم على وجود قوميتين » مع أغلبية يهودية بطبيعة الحال ويناضون ضد بلتيمور .

ويتحدث حزب Poalezion Smol (العامل اليهودى اليسارى) بلغة ثورية واشتراكية ولكنه يعارض في الواقع الصيغة الديمقراطية للدولة ويمكن وصف نظريته بأنها خيالية .

وهو يؤيد قيام « دولة عبرية اشتراكية » في بلد لها طابع قومى مزدوج
Hashomer Hatzair أى أن موقفه يشبه تماما موقف

أما حزب Aliya Hadasha وهو حزب المثقفين والتجار الامان الاصلى فهو يطالب تجميد المواقف الراهن ويرغب في الاتفاق مع العرب ويؤيد « الهدوء والنظام » حتى يتيسر له تسويق البضائع وهناك أخيرا جماعة الرابطة الشعبية الديمقراطية وجماعات الدكتور مانيس (الذى ينادى بوحدة الاراضى الفلسطينية والضفة الشرقية لنهر الاردن وسوريا لا على أساس تاريخى حتمى فحسب بل لان ذلك سيعود بالنفع على اليهود) وتخوض هذه الجماعة وتدعى Ahouz غمار المعركة الى جانب كل الجماعات السابقة ضد السياسة الرسمية للصهيونية ولهذا فانها كثيرا ما يطاق على هذه الجماعات جميعا اسم « المجموعة المناهضة لبلتيمور » .

أما المجموعة المؤيدة لبلتيمور فتتضم : المسابى وادارة الهستدروت Harved Hatzioni وجميعهم شوفينيون ويخدمون الامبريالية . هذا عن الحركة العمالية وهناك بالطبع أحزاب أخرى عديدة في الطبقة البرجوازية .

أما في القطاع العربى وبالإضافة الى عصابة التحرر الوطنى (العربية) توجد خمسة أحزاب رسمية وجميعها رجعية وتدافع كل منها عن مصالح احدى العائلات الكبرى ونجد على رأس هذه الاحزاب حزب العرب .

وقد تألف في الاونة الاخيرة حزب يدعى « حزب الشعب » يشترك فيه أحد المحامين الأقدمين من حيفا ولهذا الحزب روابط قوية في الريف وله برنامج ذو صيغة اصلاحية اجتماعية بالنسبة للقطاع العربي . وهو من مؤيدي التمييز بين اليهود والصهاينة والتعاون الوثيق مع اليهود .

والحقيقة أن ثمة تطورا اقتصاديا واجتماعيا كبيرا قد تحقق في فلسطين بعد الحرب . فعند نشوبها كان ٣٥٠٠ عامل عربي يعملون في قطاع الصناعة باجور منخفضة للغاية وكان التجار العرب مجرد باعة متجولين أو من أصحاب الحوانيت الصغيرة . وكانت هذه الازمة نفسها تسود في القطاع اليهودي فلم يكن هناك غير ١٨ ألف عامل وكانت الاضرابات تتوالى وكان العمال يهاجرون الى الريف حيث يعملون تحت أى شرط . وكانت الدكتاتورية الصهيونية في أوجها . أما الآن فقد تحسن الوضع لوجود زيادة في الطلب على العمال كنتيجة للحرب وتطورت الثقافة غير أن هذا الازدهار قد أخذ يتضاءل في هذه الايام ولا يزال رؤس الافلاحين العرب قائما رغم ظهور طبقة من المزارعين اليسوري الحال وقد تم تداول ٦٠ ألف دونم من الارض بين العرب ، ومن الملاحظ أيضا زيادة حجم الزراعة اليهودية . ففي نهاية ١٩٤٤ كان هناك ٤٥ ألف مزارع يهودي أى ٨٪ من مجموع السكان اليهود . وحدث تركيز شديد في مجال زراعة الموالح في الاوساط اليهودية والعربية على حد سواء . وقدمت الحكومة لها نوعا من المساعدة . وفي الصناعات التي كانت تستخدم عام ١٩٣٦ عدد يصل الى ١٨ ألف عامل يهودي و ٣٥٠٠ عامل عربي ارتفع العدد الى ٤٦ ألف و ٩ آلاف على التوالي أما العملاء الاساسيون فهم الجيش والمستهلكين المحليين (التصدير يوازي ٢٠٪ من اجمالي الانتاج) وهناك اتجاه نحو الصناعة بد يظهر في رأس المال العربي . واذ كانت الامبراطورية البريطانية تقدم عام ١٩٣٦ ٢٥٪ من واردات فلسطين فقد حبط نصيبها الى ١٩٪ عام ١٩٣٨ الا أننا نجد عام ١٩٤٢ انها قدمت ٦٥٪ من وارداتها . أما الصادرات فقد نال الشرق الاوسط ١٢٪ منها عام ١٩٣٨ ووصلت هذه النسبة اليوم الى ٤٦٪ وتستخدم اليوم ٥٠ مؤسسة عددا من العمال يصل الى ١٥ ألف عامل ونجد انه بالرغم من انخفاض التجارة الخارجية فان ميزان المبادلات التجارية قد تحسن كما طرأ أثناء الحرب تحسن صناعي واجتماعي .

ان وجود أكثر من ٧٠ ألف مستخدم يهودي اليوم لم يخلق ويعزز جو المعارضة داخل الهستادروت ويدفع الرأسماليين الى الاتحاد ضد العمال . وهناك بين العمال العرب التسعة آلاف العاملين في مجال الصناعة يعمل ٣٥٠٠ لنجيش و ٤٥٠٠ للحكومة بينما يعمل أكثر من ألف في المؤسسات الكبرى الأخرى .

(وهناك أيضا ٢٥ ألف يعملون في حيفا لا سيما في الميناء و ٨ آلاف في السبك الحديدية ٠٠٠ الخ) ونرى مثلا أن هناك ١٨ ألف منضمون الى نقابات تقدمية وأنه وقعت أخيرا أكبر مظاهرة من نوعها في فلسطين اذ تظاهر أكثر من ١٣٠٠ عامل يهودى وعربى يعملون في ورشة بريطانية وقاموا باضراب بسبب حل لجانهم النقابية ولأن ظروف عملهم سيئة للغاية ولقد مرت المظاهرات بكل أنحاء تل أبيب ويافا ٠٠ ومن المؤكد أن هذا دليل على بداية عصر جديد قد يفتح أمام فلسطين أبوابا واسعة من التطور بعد أن تتخلى بعض طبقات الشعب عن تعصبها ويتحقق اندماج القوى التقدمية في البلاد .

ولا شك أن الحكومة التى تمنح المرتبات الضئيلة وتفرض ميزانية منافية لصالح الشعب والتى تقوم اليوم بدور صاحب العمل الاول فى البلاد سوف تنعزل ويستحيل عليها ممارسة مثل هذه السياسة ولكن لا يمكن أن يتحقق ذلك فى ظل الظروف السياسية السائدة الآن ، اذ أننا على وشك الدخول فى أزمة بسبب توقف الطلبات التى كانت مستمرة ابان الحرب وتطبيق سياسة الأجور كما يقتضيه من التصريحات التالية والتى تعكس قلق البورجوازية اليهودية فى فلسطين ازاء امكاناتها الاقتصادية اذا استمرت المنافسة الامبريالية كما حدث فى الماضى .

ونعنى بهذا التصريح التحليلى الذى أدلى به نوفوميسكى مدير « فلسطين روتاش ليميتد » الى صحيفة ها آرتس فى أغسطس عام ١٩٤٥ وتوقع فيه وقوع أزمة عنيفة تزلزل أرجاء البلاد والسبب على حد قوله الدخل الزائد للعمال وارتفاع أسعار المواد الأولية الذى يؤدى الى ارتفاع سعر التكلفة بدرجة تجعل المنتجات غير قادرة على الصمود أمام المنافسة الاجنبية وتدفع العامل الى اهمال عمله نظرا لارتفاع دخله . ثم اتبع هذا التحليل بسلسلة من المطالب الموجهة للحكومة والتى يمكن تصور مضمونها بسهولة . وليست هذه هى المبادرة الاولى اذ يقول الدكتور شموراك من ادارة الاعلام ١٩٤٥/٢/٧ « يتضح لنا حاليا موقف معنوى غريب يمر به يهود فلسطين اذ يؤمن الجميع بقرب وقوع أزمة وانتشار البطالة واننا لا نملك القوة الكافية للتصدى لها وقال أيضا كان عدد السكان اليهود قبل الحرب يصل الى ٤٧٥ ألف نسمة وكنا حوالى ١٨٣ ألف شخص نعمل فى مجال الاقتصاد العام أى بنسبة ٣٨٪ من اجمالى عدد السكان ولكن بعد الحرب كم سيزيد عدد الذين سيضطرون للبحث عن وظيفة أو سبل العيش . اننا نقدر عدد هؤلاء بحوالى ٦٠ ألف شخص » .

وأعرب الدكتور كانتا روفيتش فى مجلة الاقتصاد والمالية المصرية الصادرة فى ١٩٤٥/٧/٢٠ عن اعتقاده بأن فلسطين مع انتهاء الحرب قد

تطورت أجهزتها وزاد عدد العاملين فيها ، وقال و « تقترب فلسطين الآن كبرا
عز الحال بالنسبة للصور العامة التي تبرز خلال اقتصاديات الحرب في كل
دول الشرق الاوسط من فترة انتقالية ، ولا شك أن العديد من عوامل الرفاهية
ستتوقف . ولكن هناك مشكلة اضافية ينبغي حلها في فلسطين الا وهي مشكلة
المستقبل السياسي الذي يبدو غير مؤكد » .

ولا شك أن فلسطين مثلها مثل كل بلدان الشرق الاوسط سوف تشهد
فترة من الرفاهية اذا ما اختفت الامبريالية والمنافسات الناجمة عنها الا أن
الشخصية الرئيسية المعنية - بهذا الامر ألا وهي الشعب الفلسطيني لم تتمكن
بعد من أن تجعل صوتها مسموعا ولا شك أن أقرب الاحتمالات هي تطبيق
نظام حكم « الوصاية » على فلسطين ، ولهذا الاجراء مزايا عديدة إذ أنه يحبط
بذلك كل المطامح الصهيونية كما أن الدولة سوف تمر بعد
ذلك بتطور مادي مؤكد وتتمرس على الحرية وتدرج مصالحها الحقيقية .

وهناك في الواقع مؤشرات تؤكد أن جزءا من البورجوازية أخذ في الانفصال
عن السياسة الحالية ونعنى بها هذه الطبقة من البورجوازية التي تريد ظروف
اقتصادية وسياسية مستقرة حتى تمارس التجارة بالطريقة التي تحلو لها
سواء في الداخل مع العرب الذين يمثلون سوقا هامة وسهلة الارضاء - اذا ما كان
الجو ملائما - أو في الخارج مع دول الشرق الاوسط وحتى مع دول البلقان .
بيد أن هذا يفترض حصول فلسطين على الاستقلال الذاتي وتمتعها بنظام
للتجارة الدولية مطابق لمشروعات طهران .

ولا شك أن مشكلة المعتقلين السابقين في معسكرات ألمانيا النازية
ستجد حلها النهائي اذا ما أبدت الدول التي أظهرت من قبل اهتماما بمصيرهم
السياسي اهتماما مماثلا بمصيرهم المادي ووافقت على ايوائهم . ولا شك
أن انكلترا التي لها مصلحة مؤكدة في ذلك والتي عرضت الجنسية البريطانية
على الرجعيين البولنديين سوف تقترح هذه الصيغة وتتمسك بها . ان الرأي
العام العالمي وخاصة في الشرق الاوسط والاتحاد السوفياتي ودول أوروبا
الحررة بل وفي انكلترا يزداد معارضة للحل الصهيوني . أما الولايات المتحدة
- التي أعرب روزفلت أخيرا عن التزاماتها الرسمية تجاه المصالح العربية -
فربما تخلفت حتى الاخرى عن تأييد الصهيونية التي تقلل من مكانتها في الشرق
الاقصى وذلك في مقابل حصولها على بعض الضمانات الاقتصادية . بل لقد
بدأ ذلك يظهر في موقفها الحالي كما تؤكد البرقية التالية الخاصة بالمحادثات
التي تجرى في لبنان حيث تتفاوض لجنة لبنانية أميركية على اقامة معامل
لتكرير البترول في طرابلس » بينما يرى بعض أعضاء اللجنة أن

هذا الاتفاق يدعم روابط الصداقة مع الولايات المتحدة ، يعتقد آخرون انه يفرض تنازلات عديدة على الدولة . وهناك مجموعة ثالثة تتمنى اخضاع الاتفاق لشروط وضمانات بشأن موقف الولايات المتحدة تجاه فلسطين . وقد انفضت اللجنة دون التوصل الى قرار » (وكالة الانباء الفرنسية - البروجية ايجيسيان - ٢٤/١٠/١٩٤٥) .

الهستادروت :

لا يمكن عند دراسة المسألة الفلسطينية الا أن نعطي أهمية كبيرة للهستادروت وللتعاونيات التي ضللت الكثيرين حول الاوضاع الاجتماعية الحقيقية في فلسطين .

كيف نشأ الهستادروت ، وهو الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين ؟ نظرا لاصعوبات التي كان يلقاها الصهيونيون في اجتذاب عمال أوروبا من اليهود قبل موجة العداء للسامية التي انتشرت في المانيا ، ادعوا أنهم « اشتراكيون » وشكلوا اتحادا عاما للعمال قام بنشاط مزعج . وتمكنوا ، بما تلقوه من مساعدة موضوعية من الفاشية ، من تهجير كثيرين من اليهود الى فلسطين ، ثم تجنيدهم في تلك المنظمة النقابية « اسما » وقد أعطت هذه المنظمة للعمال شعورا بالامان ازاء الاحداث الالية التي كانت تجرى في فلسطين .

كما انها لم تمكنهم من التجمع في نقابة واحدة مع العرب وجعلتهم في حالة من الاعتماد التام على أصحاب الاعمال اليهود الذين كانوا قد دسوا عملاء لهم في الهستادروت كثيرا ما تولوا المناصب القيادية فيه . وتم في هذا الوقت وبأموال العمال اقامة الحد الأدنى من الخدمات الاجتماعية التي بدونها لا يمكن أن يكون هناك طبقة عمالية منتجة . وقد حل الهستادروت بذلك محل التشريعات العمالية التي لم تكن موجودة في فلسطين واستغلتها بنفس الطريقة التي استغلتها الحكومات في دول أخرى - مثل الولايات المتحدة وانكلترا - ولكن ببراعة أكبر وبشكل مفروض على كل أفراد الشعب .

ان القوة العددية الحالية للهستادروت تفسرها حقيقة أن الهستادروت لم يتعرض لاي ازعاج لا من جانب الحكومة ولا من جانب رجال الاعمال طالما أنه كان يخدم مصالحهم . وفيما يلي ما قاله كيب باللغة الانجليزية يهدف الى اعطاء شعبية للهستادروت بين الرأي العام العالمي : « أن الهستادروت ليس مجرد اتحاد للنقابات . وواجبه لا يقتصر على تحسين أوضاع أعضائه أو تنظيم

العمال ٠٠٠ بل كذلك خلق العامل اليهودى وتدريبه على العمل في ظروف معيشته الجديدة وتثبيت جذوره في بلده . ان وظيفة الهستادروت ليست فقط تحسين ظروف حياة العمال بل زيادة امكانيات امتصاص مهاجرين جدد ٠٠٠ وليس فقط الدفاع عن مصالح العامل في المؤسسات الخاصة بل كذلك اقامة مؤسسات تعاونية وتنظيم الشباب واعادهم للحياة « ٠٠٠ ان نفس هذه العبارات يمكن العثور عليها في الكتابات الفاشية عندما تعطى تبريرها لعدم تحسين ظروف حياة الطبقات العمالية .

ان الهستادروت يضم اليوم بالاضافة الى العمال اليهود - مجموعة من صغار البرجوازيين ذوى المهن الحرة والعاملين في الوكالة اليهودية ٠٠ بل انه يضم كذلك عددا من صغار الرأسماليين ! ان الشركات التجسارية العديدة التى يملكها الهستادروت تؤكد انه مؤسسة رأسمالية تتخفى وراء لافتة عمالية . ولما كان معظم العمال يشتركون فيه فان ذلك يدل ببساطة على ضعف النضج السياسى للطبقة العاملة اليهودية التى تسمح باقتصاص المخدرات الشخصية لتجميع بعض فروع الاقتصاد التى لا يستفيد منها - كما سنرى - سوى البنوك . وهذا يؤكد أيضا انه في مواجهة السكان العرب الذين يعيشون جميعا في فقر فان السكان اليهود يعتبرون متميزين (ما دام في استطاعتهم أن يساهموا بمبالغ كثيرة « تصل الى ٧ ليرات فلسطينية للعائلة الواحدة » في أموال الهستادروت (٠٠٠ -) * « ان نظام التعاونيات يخلق مشكلة عويصة في السياسة الاقتصادية العامة للهستادروت . فان بعض التعاونيات - التى تدير فيها الامور كما يجب - لم يعد لها شيء من الهيكل الجماعى للعمال ٠٠٠ بل أصبحت أقرب الى شركات صغار الرأسماليين » (الاقتصاد العمالى اليهودى في فلسطين - ص ١٠٩) .

(٠٠٠) * * ان الهستادروت يشترك مع الرأسماليين الفلسطينيين في الانتاج ٠٠ وغالبا ما يساعد ذلك بعض المؤسسات التى تعاني من العجز على الانتعاش كذلك فان الهستادروت يقوم بتشغيل ٤٠ ألف عامل في ظروف أقل ملاءمة بكثير من العمال المنضمين الى الهستادروت والذين يعملون في أماكن أخرى .

ان ما يكشف عن حقيقة الهستادروت هو حتمية الانضمام اليه بشكل يكاد يكون تاما ٠٠٠ الا فيما يتعلق بالحرفيين ؟ ان هناك اليوم ٧٣٪ من العمال والموظفين أعضاء في الهستادروت ان ما يثير الاهتمام هو أنه كان هناك - عام ١٩٣٦ - ٧٦٪ من العمال والموظفين أعضاء في الهستادروت وبالتالي فان

* (كلمات غير واضحة في الوثيقة الاصلية) .

ما يجرى في فلسطين هو العكس تماما لما يدور عادة ٠٠ أى أن هناك انخفاضا في نسبة العمال الذين يثقون في الهستادروت ولكن التقييم الشامل للهستادروت لا يمكن أن يتحقق الا اذا عرفنا الاتجاه الفاشي الذى أملاه عليه زعماءه . ان هذا الاتجاه يوضح التصميم على تنفيذ السياسة الصهيونية التوسعية بطرد العرب الى الفياق الصحراوية اذا أمكن ذلك ، ومن ١٩٢١ بدأ الهستادروت يدرب عصاباته من العمال (وهى شبيهة بالكوكلوكس كلان فى أميركا) على ابعاد العمال العرب من مجال الصناعة اليهودية والمزارع ومراكز العمل ٠٠٠ وبلغ نشاط هذه العصابات ذروته فيما بين ١٩٣٠ و ١٩٣٦ .

بل ان ارهاب هذا الهستادروت للعمال اليهود أنفسهم قد وصل الى حد ان قليلين منهم هم الذين يجرؤون على مواجهة ما يتهددهم من طرد وعلى خوض الكفاح التقدمى حقا من أجل تحرير الطبقة العمالية ، لان مثل هؤلاء « المتمردين » لا يمكنهم أن يجدوا عمالا فى أى مكان آخر عندما يفقدون رضاء زعماء الهستادروت عنهم .

كذلك فان غشل البروليتاريا العربية - حتى نشوب الحرب - فى تنظيم نفسها وتجميع صفوفها يعود كذلك الى الهستادروت الذى قام بالتنظيم القسرى للعرب الذين أمكنهم العمل فى قطاعه ، كما فعل الـ Quislings اليونانيون أثناء الحرب بالبروليتاريا اليونانية مثلا . هذا يساعد الهستادروت من ناحية أخرى على أن يثبت أن الطبقة العاملة العربية تقبل الصهيونية وان الاعتراض على « الصهيونية الاشتراكية » يجرى من قبل « الافندية والباشوات » . ولكن الهستادروت لم ينجح فى أن يخفى عن العالم ما يتعرض له الآلاف من عماله العرب من فظائع وما يخضعون له من مناورة مسرحية ، وقد استطاع الهستادروت بالكاد أن ينفذ ماء وجهه عندما أبعد تماما كل الشهود اليهود الذين أدركوا الامر على حقيقته .

التعاونيات :

ان نفس الافكار المسبقة بالنسبة للهستادروت يمكن أن نجدها كذلك فيما يتعلق بالتعاونيات . ومع ذلك فان للتعاونيات فى فلسطين معنى رجعيا لا يخفى على أحد .

اننا نعلم ان دور التعاونيات فى المجتمع الرأسمالى يقوم على أساس سد الطريق امام الآثار التخريبية للرأسمالية على مستوى حياة العمال ٠٠

كما انها تعبير عن التقعيد المتزايد للتوزيع في المجتمع الحديث . وعلامة على
نضج الرأسمالية في الدولة التي تتطور فيها هذه التعاونيات . ولكن لم يسبق
أن كان هدفها أو وسيلتها قلب الرأسمالية التي تتلاءم مع هذه المؤسسات بل
تقتضى وجودها في مرحلتها المتطورة .

وكما هو الحال بالنسبة للمستادرات فان التعاونيات في فلسطين
موجودة في كل مكان لتنشيط الحياة الرأسمالية بالبلاد ، وللقيام بمحاولات
سافرة باستخدام أموال العمال من أجل زيادة أرباح البنوك .

ان « هاماشبير هامركلسي » هي جمعية تعاونية للشراء ، وهي أكبر
مؤسسة من نوعها في فلسطين . وتبلغ أرباحها مليونين و ١٠٠ ألف ليرة
ورأسمالها ٣٠٠ ألف ليرة فلسطينية . ولها استثمارات في الريف . بل
تمتلك طاحونة . ان القيمة الصافية المستدحة للبنوك والتي لم يتردد الحديث
أدنا عن سدادها تبلغ ١٥٧ ألفا و ٥٠٠ ليرة فلسطينية . « ان هاماشبير
تمتلك مبلغ ٩ آلاف و ٦٧٥ ليرة فلسطينية على شكل سندات على « بنك
العمال » الذي تعتبر من أخلص عملائه . ولها كذلك علاقات عمل مع البنك
الانجليزى الفلسطينى وغيره من البنوك الكبرى « (الاقتصاد العمالى اليهودى
في فلسطين . مونستير - ص ٧٦) .

وجاء في مريض آخر يدور فيه الحديث عن حصص الارباح . . .

« ان هذه الحصص - من الناحية النظرية تبلغ الان قيمة كبيرة لان
عزاجد رأس المال بالنسبة الى الاحتياطي يتم بنسبة ١ : ٥ - ومع ذلك فان
الاعضاء لا يستطيعون الاستفادة من ذلك بطريقة مباشرة لانه لم يتم توزيع
هذه الحصص ، فان الربح قد وضع جانبا بطريقة حكيمة !! . فليس من
أهداف أى جمعية تعاونية أن تدفع أرباحا كبيرة » . ولذلك فان الكعكة كلها
تكون من نصيب البنوك ! ان تحقيق الربح للاعضاء لا يمكن أن يكون هدف
ى جمعية تعاونية .

وقد بلغ عدد الجمعيات التعاونية الريفية الاستهلاكية في عام ١٩٤٢
تشرين وتسعين جمعية . وحتى عام ١٩٤١ لم تكن أغلبها تعمل بشكل مرض
حتى ولو ظاهريا وذلك نظرا لصعوبة إيجاد مديرين أكفاء وملائمين كما ان
امكانيات الاعضاء المحدودة لم تكن لتحد فقط من تقدم العمل وانما كانت تتطلب
سرعة تقديم القروض المجزية خلافا لمبادئ مثل تلك الجمعيات التعاونية .

وجدير بالذكر هنا أن اشراف وضغط اتحاد العمال الاسرائيلى قد أتاحا
الفرصة أمام هذه التعاونيات للتوغل في الريف والمدن وخاصة في المنشآت

الزراعية حيث يمكن فرض احتكار جزئى أو كلى • وأغلبية سكان المدن بها فى ذلك العمال يبتاعون من صغار تجار التجزئة الذين يعملون عددا كبيرا من الساعات مستخدمين كافة أفراد العائلة مانحين إياهم كل الثقة وخافضين مستواهم المعيشى الى أقصى حد •

يتوصل هؤلاء التجار الى البيع بسعر أكثر انخفاضا من السعر الذى تباع به الجمعيات التعاونية (المرجع السابق ص ٧٩) ويتبين لنا من هذا ان هذا ان الجمعيات التعاونية فى فلسطين قد حددت مهمتها ، فهم رأسمالية بصفة أساسية وتعمل على ابعاد صغار المنتجين وصغار التجار فمهمتها أدت الى تحقيق نوع من الاحتكار يمكنها من الاحتفاظ بالاسعار عالية •

ولنر الآن ما يمثله بنك العمال الشهير وقد ورد أيضا موضوعه فى كتاب « العمل الاقتصادى اليهودى فى فلسطين » (المرجع السابق) •

أبان الحرب العالمية الاولى حصل • روبين A. Rupin ولصالح المنظمة الصهيونية على تحويلات هائلة من رؤوس الاموال الاميركية فمنح مبلغ ثمانية عشر ألف ليرة فلسطينية • تحت اشرافه لانشاء هذا البنك عام ١٩٢٠

وبدأ انشاء البنك تدريجيا • ثم قامت المنظمة الصهيونية بمنح قرض تحول بشكل طبيعى الى أسهم ذات امتيازات خاصة •

وفى عام ١٩٤٣ وردت رؤوس أموال جديدة من أميركا على وجه الخصوص أوجدت سندات ذات فوائد قيمتها ٢٧٦.٠٠٠ ليرة فلسطينية •

ويرجع الفضل فى ايجاد هذه السندات الى بعض الاميركيين الذين عطفوا على العامل الفلسطينى •

إلا أن هذه الموارد الجديدة لم تكن فى شكل مساهمات حسنة النية والدليل على ذلك السحب المنتظم للخصومات من الارباح التى أمكن تحقيقها •

فالاسهم العادية متداولة بين مختلف الايدى أما الثمانية وثلاثين ألف ليرة فلسطينية ذات الامتيازات فهى ملك للبنك الانجلو - فلسطينى منذ أن سحب الـ Kereu Khayasad الجزء الكبير من مشاركته بهدف اتاحة الفرصة أمام البنك الانجلو - فلسطينى لمساعدة الشركة التى سبقته وهى « الشركة الاستعمارية اليهودية » •

وتجدر الإشارة في ختام قصة بنك العمال الى أنه اذا كانت نسب الفوائد التي تمنح بها القروض قد بلغت اليوم ٦٪ فذلك يرجع الى أن المال الذي تقدمه كقرض هو عبارة عن قرض مقدم لها من البنك الانجلو - فلسطيني بنسبة ٥٪ كما كشفت دراسة أوراق الميزانية لهذا البنك .

وهناك ثمة شكل آخر مبتكر للجمعيات التعاونية الانتاجية والاستهلاكية ألا وهو المزارع الجماعية في فلسطين ولكي يتعين لنا أن نفهم ما يعنيه هذا الاصطلاح يجدر بنا أن نضعه في موضعه من نظام الزراعة اليهودية

فالمنشآت الزراعية اليهودية في فلسطين ذات أنماط مختلفة فهناك المزارع التي تستخدم اليدى العاملة المأجورة وهى المزارع ذات المساحات الشاسعة من الاراضى المزروعة وبها أكبر عدد من العاملين (٦٨٣٠٠ وعائلاتهم) ثم تأتى المزارع الجماعية أو الكيبوتزيم والمزارع العائلية وعادة ما تضم معاً الشكلىن الأخيرين من أشكال المزارع نظراً لانهما من حيث المبدأ يتشابهان في انهما لا يستخدمان اليدى العاملة المأجورة .

والواقع ان هناك عدداً معيناً من العمال الاجراء يستخدمون في الاعمال الاضافية وفي بعض الاحيان يستخدم بعض العرب في حالة نقص المستخدمين الاكفاء .

عدد المزارع	سكان	المساحة بالدونم	
٤٦	٦٨ ، ٣٠٠	٤٥٤ ، ٦١٣	مزارع وأسمالية
٥٥	١٢ ، ٥٨٤	١٤٧ ، ٩٧٢	عائليّة
٨٦	٢٧ ، ٩٦٧	٢٤٧ ، ٤٣٣	كيبوتزيم
١٨٧	١٠٨ ، ٨٥١	٨٤١ ، ٠٠٨	المجموع

ويرجع سبب ملكية اليهود لمساحة الـ ٨٤٠٠٠٨ دونم من الأراضى الى أن هذه الاراضى لا يمتلكها الـ KKL

أما المزارع العائلية التي يطلق عليها اسم موشاف أوفديم

فهى عبارة عن جمعيات تعاونية للانتاج (تباع المعدات والسماد ... الخ) .

كما أنها جمعيات تعاونية للبيع والشراء وليست جمعيات تعاونية استهلاكية والعمل بها يمضى أكثر ببطأ وسعر التكلفة يرتفع بعض الشيء

عنه في الكيوتزيم نظرا لعدم امكان التوسع في تقسيم العمل بها ، وخاصة أن تكاليف الانتاج مرتفعة فتكاليف معيشة العاملين في الكيوتز ليست أعلى بكثير من تكاليف الانفاق على الاصطبلات أو حظائر الحجاج ، وقد قام بنكي (اميكا ومورتجيج بنك وأجريكا لتشرل وركرز بلانتيشن كوربريشن)

الأميركيين بدراسة مشروع الكيوتزات وأرسلت خبراءها الى فلسطين فلم يثق هؤلاء في الكيوتزيم ولم يجدوا أن ثمة مبرر أو حافز لتواجد العمل غير المدفوع الاجر في هذه المنشآت .

لكن هذه المزارع التي تقوم على أساس الزراعة الرأسمالية كان من حقها أن تتلقى قروضا من الحكومة نظرا لانها تستخدم نظام الزراعة الواحدة .

وتعتبر الكيوتزيم الشكل الامثل والذي لاقى كثيرا من التشجيع من قبل الوكالة اليهودية نظرا لكونها الوحيدة التي استطاعت أن تخلق قاعدة لامتصاص المهاجرين وهي عبارة عن حقول عمل شاسعة ، انتاجيتها مرتفعة وذات تأثير مرض على السوق كما أن تكاليف الانتاج بها منخفضة نظرا لان اجر العمل ليس محدد ، بالاضافة الى ذلك فان الوكالة اليهودية تفرض مراقبة صارمة على العاملين سواء من الناحية الجسمانية أو العقائدية فهم بهذا يسيرون على منوال واحد من الاحترام والطاعة للتعليمات الصادرة اليهم . ولو كان الخبراء الاميركيون المرسلون من قبل البنك قد استطاعوا التنبؤ بالذى حدث ، ولو كانوا أيضا استطاعوا التنبؤ باستمرار أوروبا ونهاية المهاجرين لما ترددوا في الموافقة عليها .

ويتلقى الكيوتز الارض كقرض من Kereu Kayerneth ويمنع له الكيوتز عائدا من القيمة الاجمالية تبلغ نسبتها ٣٪ ولإصلاح هذه الارض يتلقى الكيوتز قرضا طويل الامد من Kereu Nayedhqui وهي خاصية من خصائص هذا الاخير اذ أن هذا القرض غالبا ما يكون أقل من الحد الأدنى الضروري لبدء العمل على قاعدة انتاجية .

ويكون لزاما بالتالي على الكيوتزات اللجوء الى رأسمال البنوك مع تنازلها عن حريتها في العمل الى الوكالة اليهودية التي تجنى فائدة ما من وراء الكيوتز من حيث أن الكيوتز لديه امكانية التأثير في السياسة

الداخلية بشكل قوى وذلك عن طريق اشرافها على الزراعة والسكان من أهل
الريف .

وقد أوضحت دراسة أخيرة أن الاحتياجات التكميلية للكيوتز من ناحية
رؤوس الاموال يمدّها بها البنك الانجلو - فلسطيني وقد اتضح أن دفع
الخوائد وسداد الديون يمتص كل موارد الكيوتزات .

وفي حالة عدم استطاعة الكيوتزات الوفاء بتعهداتها لا يتوانى الدائنون
عن تقديم كافة التنازلات الضرورية كي يستمر الاستغلال بانتظام .

قيمة الانتاج باللبنة الفلسطينية

وقيمة المصروفات في المزارع الجماعية

عام	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١
رأس المال	١٠٠٤٨٩٠ ر.	١٠١٦٧٧٩ ر.	١٠٢٤٣٦٤٨ ر.	١٠٥٤٩٠٠٠ ر.	٢٠٢٥٧٠٤٠ ر.
المصروفات					
مع السداد	١٠١٨٠١٤ ر.	١٠٤٩١٣٥ ر.	١٠٢٢٥٣٦٠ ر.	١٠٤٩٠٩٢٢ ر.	٢٠٦٨٢٣٢ ر.

ويتضح وفقا لهذه الارقام أن رأس المال المستثمر في هذه المنشآت
يسترد كل أربعة أعوام . وبهذا فان القروض اذا لم تزد فانها على الاقل
لا تفقد قيمتها أبدا بالنسبة للدخل والموشاف أوفديم

ديون المنشآت الزراعية التعاونية

باللبنة الفلسطينية

السنة	الديون
١٩٣٣	٦٢٧٠٧٥ ر.
١٩٣٤	٧٧٨٠٩٨ ر.
١٩٣٥	١٠٥٦٨١٢ ر.
١٩٣٦	١٣٢٤٠٩٠ ر.
١٩٣٧	١٦١١٥٦١ ر.
١٩٣٨	١٨٤٩٨٩٣ ر.
١٩٣٩	٢١٩٢٨٣٩ ر.
١٩٤٠	٢٥٤٤٥٠١ ر.

٢٨٥٠.٥٠٥

١٩٤١

٣٥٣٠.٩٤٠

١٩٤٢

وبالنسبة لهذا الجدول يجب أن نأخذ في الاعتبار أن عدد المنشآت قد زاد كما زاد العدد المتاح لكل كيبوتزيم وموشاف .

وفي حالة رغبة أحد الكيبوتزات في التوسع أو تحسين مكانته فإنه يتوجه الى Keren Hameohad للحصول على قروض بفائدة تصل نسبته الى ٦٪ للمبالغ الصغيرة ويتم الممداد خلال ثلاث أو أربع سنوات .

أما كيبوتزيم حزب شومار هازاير فلهم Keren خاص بهم . كما توجد مؤسسات لتقديم القروض نشاطها محدود في مناطق معينة وتقع مباشرة تحت اشراف البنك الانجلو - فلسطيني ، لكنها لا تقدم سوى قروض قصيرة الامد ، والجدول الآتي ذو دلالة ، فهو يثبت أنه حتى في فترات النهوض وبعد فترة طويلة من التراجع فان المزارع لا تسدد ديونها وانما تستمر في الاقتراض .

رؤوس الاموال المستثمرة بالليرة الفلسطينية

سنة	الاستثمارات المبدئية	الديون المؤجلة
١٩٣٩	١٩٥١.٨١٢	١٥٧.٥٠٤
١٩٤٠	٢٢٢٥.٣٥٣	١٦٥.٥٤٧
١٩٤١	٢٥٢٣.٥٩٤	١٨٧.٠٧٨
١٩٤٢	٢٩١٥.٠٨٤	٢٨١.٤٢٦

ولنأخذ كمثال على ذلك اثنتين من أشهر الكيبوتزات في فلسطين وهما جفاد وعين جارود .

قد زادت ديون كل منهما كما يوضح الجدول الاتي خلال السنوات من ١٩٤٠ الى ١٩٤٢ .

(بالليرة الفلسطينية) (بالليرة الفلسطينية) (بالليرة الفلسطينية)

الكيبوتز	الديون عام	الديون عام	الديون عام
	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢

جساد	٣٩٤١٧	٤١٠٣٩	٤٦٦٢١
عن جارود	١٤٤٥٨٧	١٤٤٣٤٣	١٣٩١٥٤

ومن جهة أخرى فقد اضطر هذان الكيبوتزات في عام ١٩٣٩ الى دفع فوائد على ديونها تبلغ قيمتها ٦٥ ألف ليرة فلسطينية وفقا للتوزيع التالي :

٣٧٪ الى KKL والوكالة اليهودية •

٣٦٪ الى البنوك أو الدائنين الآخرين الذين يطبقون نفس النسبة المتسادة المتراوحة ما بين ٨ الى ١١٪ •

٣٠٪ الى البنوك أو الدائنين الذين يستبيحون لانفسهم الحصول على فوائد قد تتعدى ١٨٪ •

جدول مختصر عن دائني المنشآت

اثر ايجابية التعاونية اليهودية في فلسطين

مؤسسات مركزية صهيونية	١٣٠٢٦٠٧	ليرة فلسطينية
حسابات مختلفة	٨٦٥١٧٧	ليرة فلسطينية
اتحاد العمال الاسرائيلي وشركاته	٥٣٧٤٥٠	ليرة فلسطينية
بنوك معروفة	٥٣٥٩٩١	ليرة فلسطينية
مؤسسات عامة	١٨٤٤١٠	ليرة فلسطينية
حكومة فلسطين	١٠٥٣٠٥	ليرة فلسطينية

والجدول السابق خاص بأرقام عام ١٩٤٢ وقد صنف حسب نظام الوكالة اليهودية ولقد كان من الافضل لمعرفة درجة الاستغلال جمع كل ما به علاقة بتكاليف الانتاج وذلك لخصم المصاريف الاخرى •

ولهذا السبب وعلى الرغم من أن الكيبوتزات تعد مزارع ذات انتاجية مرتفعة الا أنها لاتستطيع رفع مستوى المعيشة لأفرادها أو على الاقل تسديد ديونها •

ولنستعرض الان أحوال المعيشة في الكيبوتزات ، فحتى قيام الحرب •
اتفق الجميع الصهيونيون وأعداؤهم على السواء ، اتفقوا على أن أحوال الكيبوتزات تدعو للرثاء •

ذلك أن هذه الكيبوتزات التي تملك موارد كبيرة بالنسبة للاخريات تفنقد وسائل المعيشة المريحة الى درجة أن قاعة طعام في كفار غيلادي ليست أفضل بأى حال من الاحوال من الاصطبلات والحمامات ودورات المياه عامة بالنسبة لكل سكان الكيبوتز مهما كانت مساكنهم بعيدة مما يضطربهم الى الانتقال لمكانها بشكل غير مريح وغير مقبول .

والى وقت قريب كان سوء التغذية يسود الكيبوتزات ولا تزال هذه الكيبوتزات تعاني من نقص المواد الغذائية نقصا شديدا بسبب عدم كفاءة المسؤولين عن اعداد الطعام .

وفي بشمار أميك وفي مناطق أخرى يعاني أكثر من ٥٠٪ من أعضاء الكيبوتز من أمراض قرحة المعدة .

أما فيما يتعلق بظروف العمل فهي الظروف التي يمكن أن تسود في أى مزرعة والعمل غالبا ما يكون شاقا أو خطرا ، لكنه في أحيان أخرى يكون عملا بسيطا لا يتعدى الرد على مكالمات التليفون أو مسك دفتر الحسابات أو التجسس على القادمين الجدد أو العمل في مجال الثقيف الصهيونى .

والحد الأدنى لساعات عمل الكبار هو تسع ساعات وقد يبلغ أربع عشرة ساعة أو أكثر عندما يستلزم الامر .

وفي هذه الحالة يقوم المتطوعون من Harchare بالمساهمة في العمل الاضافى .

وماذا عن الامكانيات الثقافية ؟

ان أجمل قاعات الاطلاع تبقى خالية ، والواقع أن المباني الثقافية لا يشغلها الا بعض عابري السبيل أو بعض الاشخاص الذين يمارسون عملا بسيطا أو بعض الذين في دور النقامة .

وهؤلاء لا يرتادون الاماكن الثقافية الا لتصفح جريدة دون التعمق فيها أما المناقشات فلا تقام في الصيف مطلقا ونادرا ما تتم في الشتاء . وأغلبها غير مهم على الاطلاق ويحضرها قلة من الاشخاص وفي أغلب الاوقات تكون نوعيات الحاضرين ممن تأخروا في تناول وجبة الطعام (فالموتمرات تعقد في قاعة الطعام) وكثيرا ما يغلبهم النعاس خلال الجلسة .

الا أنه تجدر الإشارة الى أن سكان كيبوتز آرسى شومر هازائير يهتمون بالحفاظ على المظاهر فيكلف الشباب بالاعداد للحفلات والاعياء من وقت لآخر .

وفى مساء الجمعة يبدأ الغناء والرقص حتى يكون ويصيبهم التعب وذلك كمحاولة للخروج من الرقابة التى تفرض على الشباب المعتاد على نمط مختلف تماما من الحياة والذى يجد نفسه فجأة معزولا ومحاصرا وسط آلاف الدونامات من الاراضى .

أليس ذلك شبيهها بما حدث عندما ينطلق الفلاح المصرى وغنيا عساه ينسى هو الآخر همومه ؟

ويتبين لنا من ملاحظاتنا فى الكيبوتز أن دور الحضانة هى التى نحظى بأكبر اهتمام ، ذلك أن الصهيونية تواجه مشكلة زيادة النسل وتحسين صحة الاطفال حتى يمكنهم مواصلة عمل آبائهم فالاباء وحتى هؤلاء غير الراغبين فى مهنة الزراعة من سكان الكيبوتز يتعلقون باطفالهم وبحسن معاملتهم . ومن ثم لا يتركون الكيبوتز . وهذا عامل مهم بالنسبة للوكالة اليهودية ذلك أن تكاليف الانفاق على مثل هذا الفلاح أو المزارع أقل من الفلاح الذى يجلب من الخارج فالتشبث بالارض عامل من العوامل التى تتكون مع التقدم فى السن ، ثم هناك أيضا التعليم الموجه الذى يجعل من هؤلاء الشباب غير قادرين على التحرك خارج الكيبوتز وكل من شاهد هذا النمط من الأشخاص يستطيع أن يجزم بذلك .

ولنر الآن الكيبوتز من وجهة نظر اقتصادى صهيونى فاننا نجده يقول :

« لا يوجد فى الكيبوتزات مفهوم خاص للاستهلاك . فالسلطة فى الكيبوتز لها حق مراقبة استهلاك أعضائها فى حدود أوسع مما تستطيع أن تفعله الجمعيات التعاونية موشاف .

وغالبا ما تسمى السلطة استخدام هذا الحق وبطريقة غير انسانية وقاسية الى أقصى حد .

والخلاف مع الموشاف لا يتركز فقط على نوعية الغذاء وانما أيضا على المساكن وهى مساكن متواضعة كمظهر بعض شباب موشاف أنفسهم .

والتفاصيل الآتية لها دلالتها :

فقد نجحت بعض الكيبوتزات في ايجاد توازن في ميزانية حساباتها بفضل الحرب وعندما أرادت لجنتها الادارية استثمار كمية أكبر من المال في المباني والاستهلاك عارضت الوكالة اليهودية في ذلك بحجة أنه من انضروى التوفير والاقتصاد وزيادة الانتاج وكان الهدف الحقيقى في الواقع هو اجبار الكيبوتزات على ايداع أموالها في البنوك مما يتيح للبنوك استعادة أموالها التى فقدتها بانقاص قيمتها ابان الحرب .

وهناك سبب آخر هو محاولة منع أعضاء الكيبوتز من التعود على العيش في رفاهية ويسر ، الامر الذى يروونه ضارا بالنسبة لمشروعات الوكالة اليهودية المقبلة .

وفيما يتعلق بالشركات الصناعية الصغيرة في الكيبوتزات لنر ما قاله مانستير : « ليس هناك ما يقال ضد اتجاه الرأى العام طالما أن هذه الشركات التعاونية لا تدخل في منافسة مع الشركات القائمة بالفعل في المدن .

فهى محتملة طالما أنها لا تسبب أضرارا أو خطورة على وجود أصحاب الشركات والعمال في المدن .

ربما كانت هناك خطورة اذا كانت بعض المؤسسات القومية تمنح المال لمثل هذه المؤسسات مع رفضها منح لشركات خاصة » (العمل الاقتصادى اليهودى في فلسطين صفحة ٥٩) ولكن ما الذى استفاده رواد الكيبوتز من عملهم الشاق والمجهود المتواصل ؟ في أفضل أنواع الكيبوتزات تجد أن لهم مجرد الحق في تناول الطعام عند الاحساس بالجوع .

كما أن الكيبوتزينك (فلاح الكيبوتز) يتلقى مبلغا ضئيلا (يتراوح ما بين ٥٠ الى ٢٠٠ قرش بالقيمة الحالية) في مقابل خمسة الى عشرة أيام اجازة سنوية ويحدث هذا في أكبر وأغنى الكيبوتزات وحقوقه الضئيلة لا تتزايد على الاطلاق حتى ولو عمل لمدة ثلاثين عاما وحتى لو كان قد ساهم عند مجيئه الى الكيبوتز بآلاف الجنيهات .

ولنر ما يتقاضاه عضو الكيبوتز (الكيبوتزينك) من أجر : تصل تكاليف انرعاية السنوية لاسرة تشمل الاب والام وابن حديث السن الى ٢٥٠ ليرة

فلسطينية وفقا للتقييم الذى وضعه سكرتير الكيبوتز كفار ماكابى عام ١٩٤٥ فتتكلف رعاية كل عامل ١٠٠ ليرة فلسطينية .

ووفقا لاحصائيات اتحاد العمال الاسرائيلى يكون متوسط أجر العامل فى نفس الفترة ١١٥٠ قرشا يوميا أى حوالى ٤١٤ ليرة فلسطينية سنويا .

ولنفترض أن العامل يتعطل عن العمل حوالى ثلث السنة ، وإن مصاريف اعاشته قد تكلفه ضعف ما يتكلفه الكيبوتز (وهو شئ يستحيل حدوثه لأننا إذا استثنينا ثمن الطعام فإن العامل العادى يجب أن يكون أكثر تقطيرا فى انفاقه من أى عضو فى الكيبوتز) ويستطيع على الرغم من ذلك تغطية نفقاته (العناية والرعاية يكفلها له اتحاد العمال الاسرائيلى) وسيعيش أحسن حالا مما لو كان يعيش فى الكيبوتز بها أنه حر فى اختيار ما يروق له . وذلك أمر مستحيل حدوثه فى الكيبوتز .

والحساب يمكن أن يتم بطريقة أخرى . ولنأخذ مثلا على ذلك كيبوتز جفاد وهى من أجل وأغنى الكيبوتزات فقد بلغ ايرادها السنوى (فى عام ١٩٤٤) ١١٣٨١٢ ليرة فلسطينية .

وكانت مصروفاتها بحيث تركت لها فائضا صافيا يبلغ ٤٠٨٠ وهى حالة استثنائية نظرا لظروف الحرب .

فمع هذا الكيبوتز خلال نفس السنة الى دائنيه على اختلاف أنواعهم المبالغ التالية :

١٤٠٩٢	كيرين هايسود
٩١٥٠٠٠٠	الوكالة اليهودية
٦٠٠٠	بنوك خاصة
٣٥٧٤	نير
٣٢٢٠٠٠	بنك هو بواليم
٦٥١٠	البنك المركزى للحركة التعاونية
٥٦٠٠	بنك مزارع ايميك اسرائيل

٣٩٥٦٩ ل.ف

المجموع

وهكذا يتضح - انعدام استقلالية الكيبوتز الذى هو مجرد تابع تمام للوكالة اليهودية وتتضح ظروف المعيشة التى يعانى منها أعضاؤه .

والحقيقة أن أصحاب النظريات في الكيبوتز يفاخرون أن الجيل الجديد الناشئ في الكيبوتزات سيكون أقل ثقافة من الجيل الحالي .

وقد وضعت هذه النظرية موضع التنفيذ بطريقة منهجية في المدارس الثانوية ولناخذ على سبيل المثال - لتوضيح ذلك - ميشمار أميك حيث لم يتم تدريس أية مادة بطريقة فعالة تحت شعار انتهاج الاسلوب الثورى في التعليم .

كما لم يكن هناك متابعة للواجبات المدرسية ولا امتحانات نقل فالتألم ينتقل بطريقة تلقائية الى الفصل الدراسى الأعلى .

ونحن واثقون من أنه لا يوجد عدد كاف من المهتمين بالشئون الثقافية .

وإذا كان عدد المهتمين بالثقافة لا يتعدى واحدا أو اثنين من المتعصبين أو من الموهوبين فانه عدد كاف للتوغل والهيمنة ونيل الشهرة في كل مكان .

ونستطيع أن نتساءل أيضا ألا يوجد بين الاعضاء فكر اشتراكى تقدمى ؟

لا يوجد شيء من هذا القبيل . اذا كنا نعنى بهذا الفكر محاولة تفهم القوانين التى تحكم حركة المجتمع أو القوى المحركة فيه أو على أقل تقدير الاحساس بروح الزمالة الصادقة .

اننا لا نجد الا محتالين ولصوصا .

وقد يحدث في بعض الاحيان أن المتبقى من كيس الاسمنت لا يقيد في الدفاتر لتهيئة الفرصة للسارق لاعداد وليمة في المدينة .

ويحدث أن تكس علب السجائر ثم تهرب بطريقة سرية بالسعر الذى تباع به في المدينة .

وفي كثير من الاحيان نجد أن المستوى البدائى الذى يعيش فيه سكان الكيبوتز (وهى ظاهرة تشاهدها في السجن مثلا) يدفع الرجل نحو الحيوانية فهو قد يضطر الى أن يغتصب لنفسه وبأى وسيلة كانت وبأى حجة بعض مواد الغذاء من مطعم الاطفال .

ومما يؤكد أيضا عدم ملكية المجتمع لوسائل الانتاج بشكل حقيقي
وجود أوليجاركية نشأت عرضا وهى تتكون من العناصر الأكثر مهارا
وهم يقومون بأسهل المهام وقيمون صداقات وثيقة مع سكان المدن
ومهما بدت هذه الامتيازات تافهة الا أنها لا تنتهى أبدا ، وانما تنمو
وتضاعف باستمرار فامتياز يعقبه امتياز آخر ، وهى نفس القصة التى
تتكرر دوما منذ عصر الشيوعية البدائية . ثم تصل هذه العناصر الى الامتياز
الأقصى حين تمكن عن طريق الوكالة اليهودية من الحصول على تكليف
بالقيام بمهام سياسية .

وتفضل الوكالة اليهودية الاحتفاظ بمنصب وكيلها فى الخارج
الى الأعضاء المتمركزين فى الكيبوتزات .

فهى تشن غيه فزوجته وأبنائوه فى الكيبوتز . وهو يتلقى جزءا من أجره
من الكيبوتز وليس هناك امكانية للمعيشة خارج الكيبوتز اذا رفض هذه
المهمة . فهو موغل فى هذه العقيدة البورجوازية التى يدين لها بتحسين
مستقبله .

وبالنسبة للوكالة اليهودية فهو يعتبر رجل جدير بالثقة ويذهب الى
البلد التى تحدد له ليقوم باختيار ذوى الاعصاب الموهبة فيوغر صدورهم
بتوجس وشكوك فى المستقبل . وقد يعترض البعض على هذا الحديث
مائلا : انها حالات خاصة فالكيبوتز فى مجوعه لا يتصد به مثل هذا
النشاط ، وهو على العكس يعتبر مائلا للتقدم والتضامن فى العمل والحياة .

وسأجيب على ذلك بمثال قد يجده البعض غاميا لكونه مألوفنا
للغاية .

يوجد بالقرب من جيفاد - هذا الكيبوتز الغنى الذى سبق لنا
الاشارة اليه - كيبوتز صغير اسمه حمادية لا يزال يناضل من أجل البقاء .
حتى أنه لا يملك حجرة غسيل . ويحقق كيبوتز جيفاد ربحا صافيا يصل
الى ٤٠٨٤ ليرة فلسطينية ويمكن بتكاليف صغيرة أن يتولى غسيل كيبوتز
حمادية . ولكنه رفض رغم أنهم عرضوا عليه تسديد التكاليف ، ومن ثم
يضطر كيبوتز حمادية الى ارسال غسيله الى مغسلة فى حيفا .

ومن ثم نجد أن الكيبوتز فى الواقع ليس الا معسكر عمل يستخدم
الأيدي العاملة بأقل سعر ممكن ولا تصل فيه التقنية المستخدمة الى
المستوى الذى يطبق فى المزارع الكبرى فى الولايات المتحدة ، أما المسئرى

الثقافي فهو منخفض على عكس ما يحدث في مزارع الاتحاد السوفياتي
الجماعية .

وقد أدرك ذلك كله من كانوا يريدون الإقامة في الكيبوتز ثم غيروا
رأيهم بعد أن عرفوا حقيقة الامر . فمثلا نجد أن متوسط الإقامة في
كيبوتز عين هيرود الكبير يصل الى ٤ سنوات فإذا كان هناك من يعيشون
فيه ٢٠ و ٢٥ عاما الا أن هناك - كثيرون يهربون منه بعد بضعة
أشهر .

ولا شك في أن المجتمع القائم على المصالح النفعية وعلى استغلال
الانسان للانسان ، وعدم مكافأة الفرد طبقا للعمل الذي يؤديه انما يشجع
الاستغلال والكسل ويضر بالانتاجية . وهذا لا يخلق روحا اشتراكية لاتبدو
الا لدى صفوة تخوض النضال الطبقي . ولا تصبح هذه الروح عامة الا عندما
ينقل المجتمع كله الى مرحلة الاقتصاد الاشتراكي وهي عندئذ تنعكس هذا
الاقتصاد ولذلك فلا يمكن للعمال أن يحصلوا على أجور عادلة الا في ظل هذا
المجتمع وعندئذ سوف يهتمون بعملهم في المجال الاجتماعي ويؤمنون . ولا يمكن
أن يتم ذلك أبدا في ظل مجتمع رأسمالي حيث يعملون ان لم يكن من أجل
الكسب المباشر خوفا من الموت جوعا .

ان طلاب الكيبوتزات لا يدرسون الاحياء أو الطبيعة أو علم الفلك
أو الفنون أو الجغرافيا ، كما أنهم لا يتلقون أى تأهيل سياسى . في حين
نجد أن كل الأفكار البورجوازية المسبقة تنتشر وتزدهر في هذه الكيبوتزات
حيث لا توجد منافسة ولا صراع لاثبات الكفاءات .

ويمكن القول بأنه اذا كان الكيبوتز مملوكا لاحد كبار ملاك الاراضى
فان ذلك لا يغير شيئا ما في حياة الكيبوتز .

أما الاسطورة التى تقول أن أراضى الوكالة اليهودية ملك « للدولة »
فهى خاطئة تماما . فانها لن تصبح كذلك الا اذا أصبحت فلسطين دولة
يهودية ، ولكن ألن تكون الوكالة اليهودية في خدمة المصالح الرأسمالية ؟

وأود أيضا أن أشير الى انتقادات حاسمة للممارسة السياسية الصهيونية
فبما يتعلق بالكيبوتز في عديد من الكتب مثل (كتاب الصهيونية كما
تمارس) .

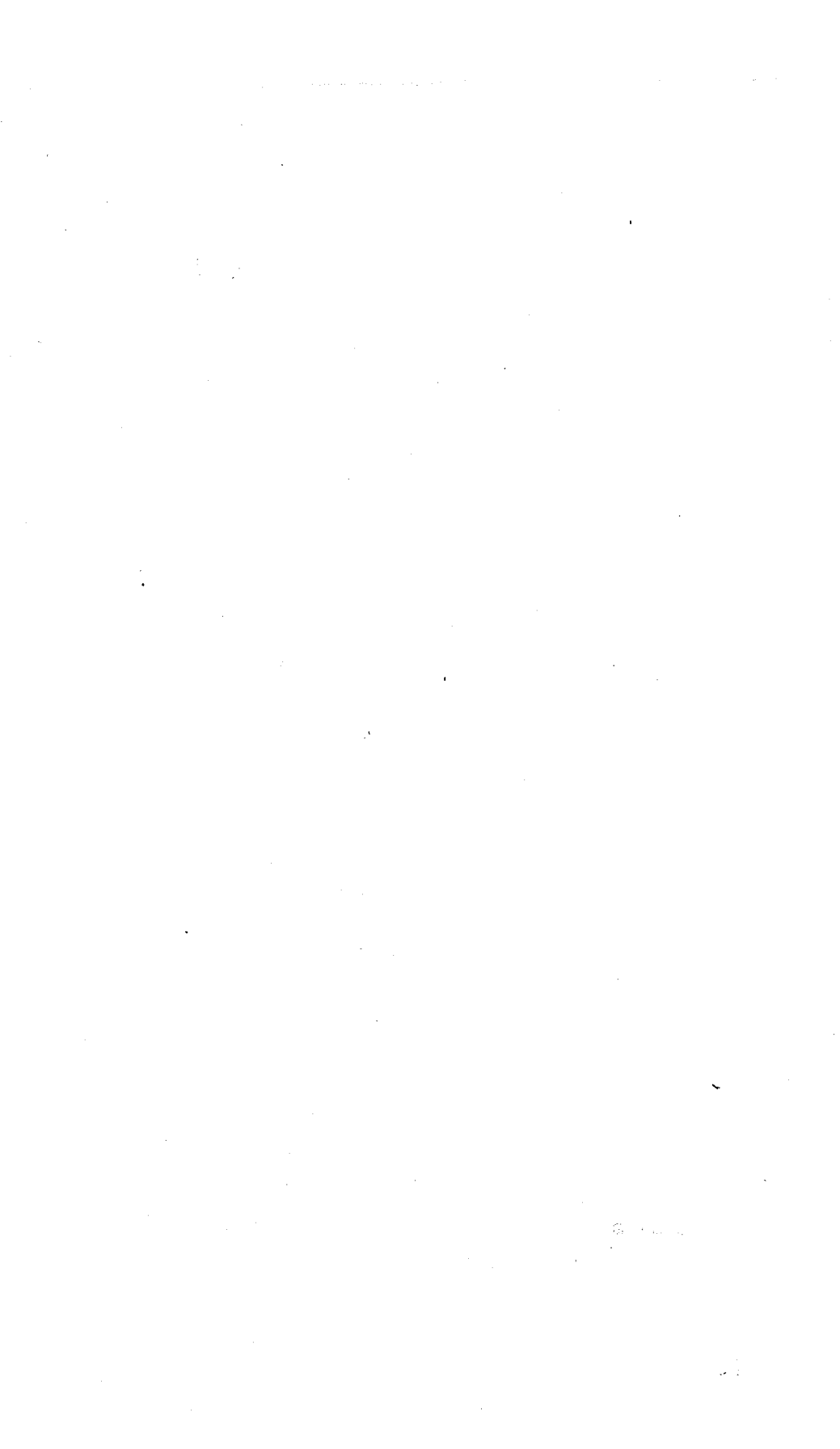
في الختام فان هذا الشكل من الانتاج اذا ما قورن بأنظمة الزراعة في
بؤدان الشرق الاوسط الاخرى فانه ليس أكثر من نظام يرسى قواعد تمايز
البورجوازية الزراعية والبروليتاريا الزراعية •

وقبل أن نختم يجب أن نحذر - في النهاية - من أنه وأيا كانت
وجهة نظر البعض في منجزات الكيبوتزات كمؤسسات زراعية ، قد يرى
فيها هذا البعض نوعا من العناصر الايجابية ، فان الكيبوتز لا يصلح مطلقا
كأداة للحكم على الصهيونية ذاتها ، والا كنا كمن يصدر حكما ايجابيا
لصالح النظام الفاشى مستخدما كشواهد اهتمامه بحقة مواعيد القطارات
أو بتجفيف المستنقعات أو برصف كثير من الطرق الواسعة •

القاهرة في ٢٢/١٠/١٩٤٥

و ثائق

ام درمان



صدرت مجلة « أم درمان » - « مجلة الكفاح المشترك » كلسان حال
للقسم السوداني بالحركة المصرية للتححر الوطنى (ح.م) وتولى رئاسة
تحريرها « عبده ذهب » الذى استطاع أن يبلور على صفحاتها موقفاً ماركسياً
متميزاً حول قضية العلاقة مع الشعب السودانى .

لكن « أم درمان » - وفى حالات قليلة جداً كانت تتناقش مشاكل أخرى
غير تلك المتعلقة بالسودان ومشاكله وعلاقاته بمصر . وفى هذه الحالات القليلة
كان كوادى (ح.م) يتولون عرض وجهة نظر قيادة التنظيم .

ومن هنا فإن المقال التالى يمكن اعتباره ممثلاً لوجهة نظر قيادة (ح.م)
التي انتدبت لكتابته واحداً من قيادتها المركزية .

ونحن نورد هذا المقال كنموذج للمواقف التي اتخذتها منظمة الحركة
المصرية للتححر الوطنى تجاه القضية الفلسطينية .

الصهيونية وعالم ما بعد الحرب

بقلم سعد المهدي

تواجه الصهيونية اليوم أزمة حادة تهدد كيانها ومستقبلها . وهي في نضالها المستميت للخروج من هذه الازمة تقع في ورطة سياسية أثر أخرى وتفضح نفسها بنفسها .

وليس أدل على هذه الازمة من تلك التهديدات المتكررة التي ترسلها جزافا لمن يقف في طريقها أو يعوق تحقيق أغراضها الاستثمارية المجرمة في فلسطين . هذه المؤتمرات المتتالية التي يدعو إليها زعماءها كلها شعروا بيوار بضاعتهم الكاسدة الفاشلة لعلهم يستطيعون الإبقاء على حماس تلك البقية من الجماهير اليهودية المخدوعة بما يصدر من قرارات يمعنون بها في التغيرير بتلك الجماهير .

لقد اعتمدت الصهيونية في مرحلة نهوض الفاشية والنازية على الاضطهاد اللاحق باليهود لتبرير وجودها كحركة اجتماعية ترمي الى انقاذ اليهود من آلامهم وتأمين حياتهم بانشاء وطن قومي لهم ، وفي خلال الحرب بررت دعوتها الى بناء هذا الوطن المزعوم برغبتها في تخليص اليهود من الفناء المحقق في أوروبا .

واليوم وبعد أن اندحرت النازية والفاشية عسكريا واطمحت العقلية العنصرية التي ترعرعت في احضانها وأصبح المستقبل في يد القوات التقدمية التي تبغى اقامة عالم تعيش فيه جميع الشعوب حرة مستقلة ، عاملة على ربط علاقاتها ببعضها على أساس التفاهم والصدقة المبنين على احترام الحقوق ، والتعاون على القضاء قضاء تاما على بقايا الفاشية وأذنابها المقتنعين .

في مثل هذا العالم لا يمكن أن تعيش الصهيونية لانه باستتباب النظام العالمي على الاسس المذكورة ستزول الاسباب التي ساعدتها على النمو خلال

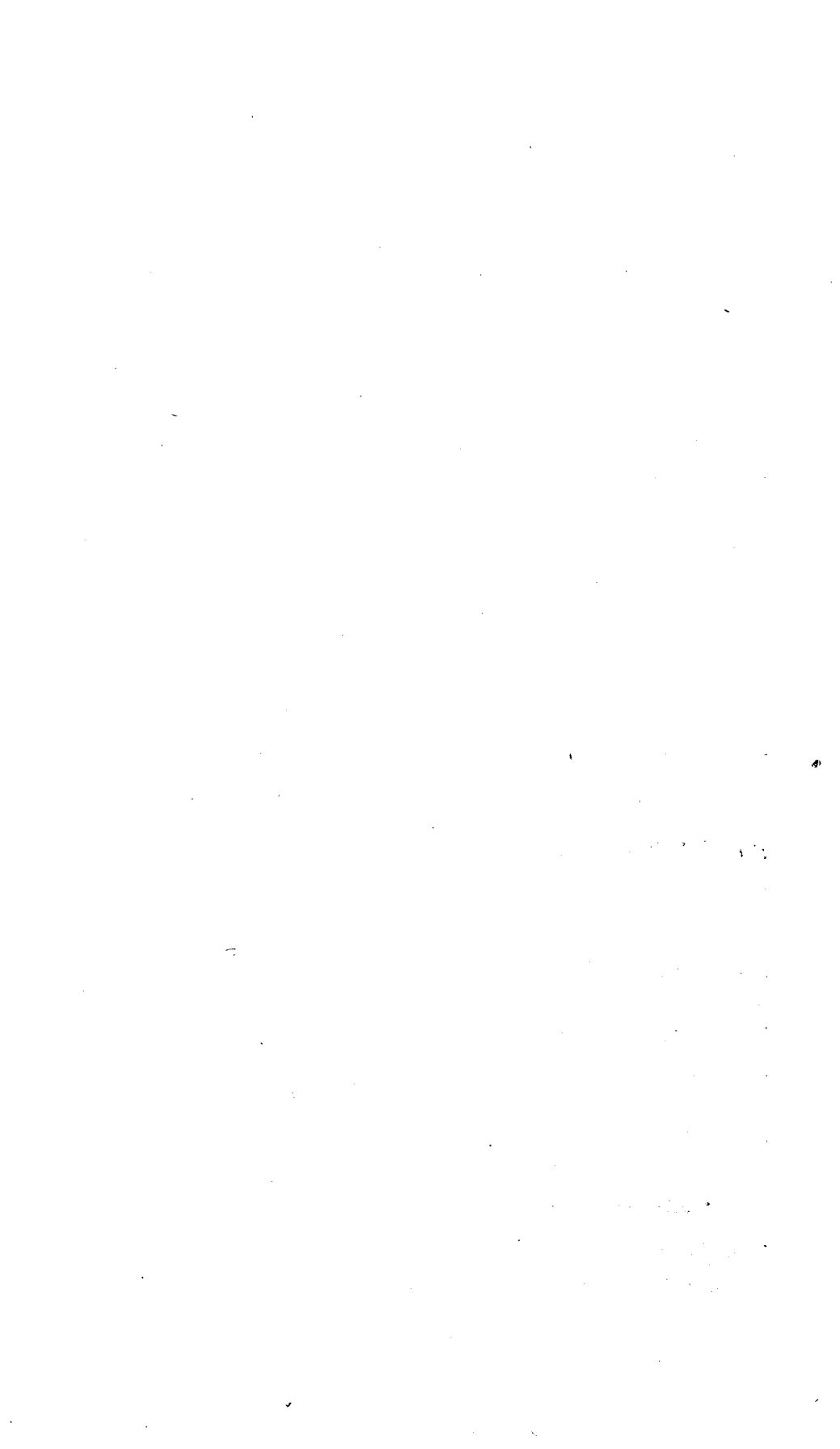
* أم درهان ٦ أكتوبر ١٩٤٥ .

أعوام ١٩٣٥ - ١٩٣٦ ، والتي أدت الى انقياد بعض أقسام الاقليات اليهودية التي كانت تعيش متساوية في الحقوق في البلدان الأوروبية الديمقراطية - الى الدعاية الصهيونية الفاسدة ، أى أن ظهور النظام النازي في أوروبا وما تبع هذا النظام من ضروب الاضطهاد الوحشي للاقليات وخاصة الاقلية اليهودية كان العامل الاساسى لازدياد النشاط الصهيونى بين الجماهير اليهودية ، وازهار الحركة الصهيونية على أنها الطريق الوحيد لانقاذ هذه الجماهير من وضعيتها الذليلة ، ووقف الزعماء الصهيونيين آنئذ موقف القادة المنقذين . وقد استغلوا شقاء الشعب اليهودى تحت وطأة الاستبداد النازى استغلالا كبيرا حيث سعت سعيا لا مثيل له لتوجيه أنظار الاقليات القومية اليهودية فى أوروبا والعالم أجمع الى الحركة الصهيونية وما ترمى اليه من بناء وطن قومى على أنه المنقذ الوحيد للمسألة الصهيونية .

ولكن الزعماء الصهيونيين يدركون اليوم ان الاسباب التي جاءت هذه الاعداد الكبيرة من اليهود للهجرة قد زالت الآن بانحجار الفاشية ، وأصبحت مسألة تكتيسها عن وجه الارض مرتبطة بانتصار قوى شعوب العالم الحرة في صراعها ضد الرجعية العالمية الملاذ الاخير لبقايا الفاشية - هذا الانتصار سيخلق الضمان لحرية اليهود وغير اليهود في أوروبا والعالم على أساس العدل والمساواة والاخاء ، وقد الغيت فعلا تلك القوانين الظالمة التي نشأت مع تسرب النازية الى جميع الدول الأوروبية وسيطرتها عليها ، ففى بلغاريا صدر قانون - منذ تولى الجبهة الوطنية المتحدة الحكم - يقضى بالغاء جميع القوانين الاستثنائية الصادرة قبلا ضد اليهود ، وهى تقضى باعادة الاموال والاملاك والمتاع اليهودى الذى صودر من قبل بموجب تلك القوانين الاستثنائية ، وقد تسلم اليهود فعلا أموالهم وأملكتهم وتعويضات كاملة عن المفقود منها والغيت الضرائب الاستثنائية التي فرضت عليهم .

وفي برقية ليهود رومانيا موجهة الى يهود فلسطين المهاجرين - دليل آخر لما تنتظره الشعوب عامة ومن ضمنها اليهود في أوروبا - يشرح فيها زعيم الجمعية الصهيونية حالة اليهود هناك بقوله « عدنا الى الحرية ، بلغوا الوكالة والشعب اليهودى ، ان اليهود في رومانيا ساملون أصحاء واننا استأنفنا الجهود وصدرت صحفنا من جديد » ، وقياسا على ذلك الحالة في جميع دول أوروبا المحررة التي انتصرت فيها قوات الحرية على قوات الظلم والطغيان والتي يحاول اذئابهم من الرجعيين اليوم محاولتهم البائسة الاخيرة لوقف هذا التيار الشعبى الجارف العامل على توطيد أركان الديمقراطية الصحيحة في هذه البلاد .

من هذا يتضح ان العوامل التي ساعدت الصهيونية على النمو في حقبة من الزمن قد زالت تماما ، وان الجماهير اليهودية لتأبى أن تكون أداة طيعة في يد الصهيونية بعد القضاء على الفاشية وتوفير أسباب الديمقراطية .



و ثائق

الرابطة الاسرائيلية
لكافة الصهيونية

اتخذ كفاح « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » (حدثو) الى جانب شعب فلسطين محاور عديدة كان أهمها فضح الصهيونية كحركة سياسية رجعية عنصرية عميلة للاستعمار ، والعمل على عزلها عن جماهير الطائفة اليهودية فى مصر والتي كانت تمثل فى الأربعينيات ثقلًا عديداً واقتصادياً هاماً . كذلك فان (حدثو) قد وقفت فى وجه محاولات جر الجماهير المصرية الى موقف عنصرى ضد الطائفة اليهودية وتمثل ذلك فى اصرارها على ضرورة التمييز بين الصهيونية كحركة سياسية وبين اليهودية كدين . . .
وتأكيداً لهذين الموقفين قامت (حدثو) بتكوين « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » والتي نعرض هنا وثائقها . . .
وقد أثار تشكيل هذه الرابطة اهتمام السفارة البريطانية التي أبرقت الى وزير الخارجية بيفن أكثر من مرة بمعلومات تفصيلية عن هذه الرابطة وعن نشاطها .

وثمة برقية تقول « بالاشارة الى برقيتى رقم ٦٠٨ المؤرخة فى ١١ يوليو ١٩٤٧ ، لى الشرف أن أبلغكم أن ممثل جهاز الامن قد أحضر لى نسخة من كتيب لهذه الرابطة جرى توزيعه بين الجالية اليهودية وعلى البعثات الدبلوماسية العربية بالقاهرة » .

وبعد أن تستعرض البرقية موجزا لما ورد فى هذا الكتيب تقول « ان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية ، هى شيوعية بالاساس » .
ونظرا لاهمية الامر فان نسخا من الكتيب قد أرسلت الى « القيادة العامة بفلسطين ، والى مكتب الشرق الاوسط - والى مركز المخابرات العامة ، القسم السياسى (قسم الشرق الاوسط) ، والى جهاز مخابرات الشرق الأوسط » (١) .

والحقيقة أن مجرد تكوين هذه الرابطة قد أثار ذعر العناصر الصهيونية التي ركزت كل جهدها لحل هذه الرابطة والاستعداد السلطة عليها وقد نجحت بالفعل فى استصدار قرار من وزير الداخلية بحل الرابطة .

ان وثائق هذه الرابطة لا توضح فقط حقيقة مواقف وشعارات « حدثو » ضد الصهيونية ، وانما توضح أيضا ان هذا التنظيم قد أخذ مسألة الكفاح ضد الصهيونية مأخذ الجد ، ولم يكتف بالشعارات أو المواقف وانما خاض معركة النضال السياسى والجماهيرى ضدها . . .

ان « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » ليست مجرد تنظيم طائفى قام ثم حل ، لكنها تعبير عميق عن مدى صدق واخلاص قادة هذا التنظيم للمواقف التي أعلنوها تجاه القضية الفلسطينية .

ضد الصهيونية ٠٠٠ في

صالح اليهود ٠٠٠ في

صالح مصر *

نشأت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية من الشعور بخطر الصهيونية على حل المشكلة اليهودية ، هذه المشكلة القديمة الاليمة • ومؤسسو الرابطة لا يجهلون المصاعب والعقبات المختلفة التي ستعترض بدون شك طريقهم وهم ما ضون في كفاحهم من أجل الطائفة الاسرائيلية المصرية بل من أجل يهود العالم أجمع •

أنهم يعلمون جيدا الوسائل الخطيرة والمكررة التي يلجأ اليها السياسة انصهيونيون كما يلجأ اليها أولئك الذين يستعملون الصهيونية كأداة لخدمة سياستهم الاستعمارية في الشرق الاوسط وهم لا يقللون من مدى تغلغل الاوهام والاحلام الخطيرة التي تبثها الدعاية الصهيونية في أذهان اليهود • مؤسسوا الرابطة المميزون منذ بدء كفاحهم ضد الصهيونية في مصر • • بين الضحايا المخدوعين الذين ضللتهم الدعاية الصهيونية ، وبين تلك الجماعة من السياسة والمأجورين الذين يجعلون من المشكلة اليهودية وسيلة يستغلونها لتحقيق أغراضهم ومطامعهم الانانية •

ان كفاحنا ضد الصهيونية جزء لا يتجزأ من الكفاح العام لحل المشكلة اليهودية •

أ - المشكلة اليهودية ونواحيها المختلفة

يشهد رماد ستة ملايين من اليهود ، ممن ذهبوا لتوحش الفاشيين ابان سيطرة النازيين على أوربا ، بوجود مشكلة يهودية ولبس العداء لليهودية - كما يدعى العنصريون - ظاهرة يرجع سببها الى صفات خاصة باليهود •

* بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية • القاهرة يونيو ١٩٤٧ •
مضبعة الشبكى بالأزهر بمصر •

ولا كما يدعى الصهيونيون الى صفات خاصة بغير اليهود • انها ظاهرة -
شأنها شأن الازمات الاقتصادية والحروب متولدة من أعماق هيكلنا الاجتماعي
وهي دليل مثلها على عدم توازن وخلل في مجتمعنا • فلان هناك عيوباً ومظالم
في مجتمعنا ، ولان هناك أناساً مضطهدين ومستغلين نرى المسؤولين عن هذا
الاستغلال والاضطهاد يحاولون - وكثيرا للأسف ما ينجحون - في تحويل
كشاح ضحاياهم الذي يزداد خطراً عليهم ، نحو الذين خصصهم التاريخ للقيام
بدور كبش الفداء ألا وهم اليهود ، فالعداء لليهودية - وهو السلاح المفضل
لدى الرجعية الفاشية - ليس موجهاً ضد اليهود فحسب بل هو موجه أيضاً
ضد الجماهير اليهودية ، التي يرمى الفاشيون لتحويل كفاها ، أى إبقائها
في أغلال العبودية •

فالمشكلة اليهودية لا تهم فقط اليهود الذين يحملهم أعداؤهم جميع عيوب
مجتمعنا ، بل تهم أيضاً الجماهير الشعبية ضحية هذه العيوب • ولهذا
نجد الحركات الديمقراطية في جميع أنحاء العالم تتحارب العداء لليهودية
باعتباره سلاحاً في يد أعداء التقدم والحرية •

وهذا التضامن في المصالح وهذا التحالف الواقعي بين الجماهير اليهودية
والقوى الديمقراطية العالمية • هو خير ضمان لحل هذه المشكلة القديمة حلاً
نهائياً حاسماً •

فنحن على عكس الصهيونيين الذين يعتبرون العداء لليهودية ظاهرة
أبدية لا يمكن تجنبها نثق ثقة تامة بالإنسانية ونثق بقوى التقدم
ونتناهاتنا بالاستقبل الداني اننا نؤمن بقرب انشاء عالم لا يكون فيه البؤس
والحرب والعداء لليهودية وكل فظائع الحاضر المخجلة سوى ذكرى أليمة لماض
بغيف •

ان المشكلة اليهودية قد تفرعت اليوم فأصبحت ذات ثلاثة جوانب
متميزة الواحدة عن الأخرى :

توجد أولاً مشكلة الاقليات اليهودية التي تعيش في أغلب أنحاء
العالم وهذه هي الناحية الرئيسية للمشكلة اليهودية اذ تمس مباشرة الاغلبية
الساحقة من اليهود •

وهناك ثانياً ، مشكلة يهود فلسطين ويريد الصهيونيون اظهارها
على أنها المشكلة اليهودية بأسرها •

وتوجد أخيراً ، مشكلة اليهود الذين لا مأوى لهم غير معسكرات
انشردين في أوروبا الغربية •

هذه هي النواحي الحالية للمشكلة اليهودية التاريخية •

ب - مشكلة الاقليات اليهودية

شاء التاريخ أن يعيش اليهود متفرقين منذ قرون في جميع القارات وفي معظم أنحاء العالم وأن يكونوا فيها أقليات تعيش جنبا الى جنب مع أغلبية السكان تشاركهم أعمالهم وآلامهم وآمالهم ولكن - وهنا تبدأ المشكلة اليهودية - تنتهز العناصر المعادية للديمقراطية في المجتمع وجود عدد من اليهود بين المسؤولين عن بؤس الجماهير لاثارة الشعب ضد الاقلية اليهودية بجمعها ، فتشيع الارتباك بين صفوف الجماهير الشعبية وتحول كفسادها التحريري الوطني الاجتماعي الى كفاح عقيم ضد « الجنس اليهودي » -

ويدعى الصهيونيون أن الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو جمع اليهود في فلسطين وانشاء دولة يهودية على غرار الدول الاخرى . ونحن نعلن اننا لا نعترض من ناحية المبدأ على فكرة تكوين قومية يهودية في جهة ما من العالم ، ولكننا نراه أمرا خياليا ومستحيلا من الوجهة العلمية في ظروف العالم الحاضرة أن تتكون قومية تضم جميع اليهود أو أغليبيتهم أو حتى قسما هاما منهم ، كما اننا ننكر أن تكون فلسطين هي البلد الذي سيزرعون أن يتجمع فيه عدد من اليهود يسمح بحل المشكلة اليهودية .

وما نعييه على الصهيونيين هو أنهم يريدون جذب اليهود الى فلسطين بالترغيم من معارضة سكانها من العرب وبمساعدة القوات الاستعمارية الظالمة .

فالصهيونية بدلا من أن تحل المشكلة اليهودية تؤدي بالعكس الى تعقيدها وزبادتتها حدة ، فلا يوجد بلد على سطح الارض يعيش فيه اليهود وسط عداء أغلبية السكان وفي ظل نظام استعماري ظالم كفلسطين .

والصهيونية تساعد الآن على قلب العالم العربي المشهور بصداقته التقليدية نحو اليهود الى أرض خصبة للحركات المعادية لهم . وليس أدل على فشل الصهيونية في حل القضية اليهودية من أنه قد ذبح ستة ملايين من اليهود بعد نصف قرن من نشاط صهيوني عالمي وبعد ربع قرن من نشاط صهيوني في فلسطين . ان الصهيونية التي ولدت في الاحياء اليهودية القديمة كامل عاطفي ، ليست اليوم الا أداة بين أيدي القوى الاستعمارية العالمية التي تريد استخدام اليهود لتأكيد سيطرتها على الشرق الاوسط .

انا نعتبر الصهيونية حركة معادية لليهود لانها تخدم في آخر الامر مصالح أجنبية وضارة بهم .

ونحن نعلن أن الطريق الوحيد الذى يجب على اليهود أن يسلكوه هو الاشتراك الصريح المخلص فى الحياة القومية للبلاد الذى يعيشون فيه . اننا لا نطالب اندماج اليهود الكامل - أى ذوبانهم - فى الاغلبية المحيطة بهم ، اذ دلت التجارب على أن ذلك ليس ممكنا فى كل مكان ولكننا نؤكد أن اشتراك اليهود الفعلى فى الحركة هو الوسيلة الوحيدة لعرقلة نشاط أعدائهم ولتقريب اليوم الذى توضع فيه عداوة اليهود الى الابد فى متحف التاريخ

لا يتقدم العداء لليهودية الا حيث تتراجع الديمقراطية . فالفاشية هى العدو الرئيسى لليهود وعلى هذا فمن الواجب علينا أن نكافح بكل قوتنا للقضاء على جميع بقايا الفاشية ، وعلى جميع المحاولات التى تبذل لحياتها من جديد ، اننا نتهم الصهيونيين بصرف اليهود عن الكفاح ضد عدوهم الاول - ألا وهو الفاشية ، بل أكثر من هذا نتهمهم للسياسة الصهيونية بالتعاون المتزايد مع عناصر مشهورة بنزعاتها الفاشية وفى ذلك خيانة لا تغتفر للقضية اليهودية ، هذه القضية التى لا يمكن فصلها عن قضية الشعوب العامة .

ان سلام الاقليات اليهودية لن يكفل الا بالتحالف مع القوى الديمقراطية ، التى بتحقيقها للحرية والرفاهية لكافة الشعب ستحقق بهذا الحرية والرفاهية لليهود .

ج - المشكلة الفلسطينية

ليس معنى معارضتنا للصهيونية التى تدعى امكان حل المشكلة اليهودية بجمع اليهود فى فلسطين ، اننا لا نهتم بالمسكلة الفلسطينية المتصلة بمصير يهود فلسطين الذين بلغ عددهم الان ثلث سكان تلك البلاد . لا تمنعنا معارضتنا للصهيونية عن التشهير بجميع المحاولات التى ترمى الى طرد السكان اليهود من فلسطين أو عدم الاعتراف لهم بكامل حقوق المواطنين ونحن فخورون بما حققه اخرا اننا فى فلسطين فى الميدان التعاونى والمادى بل اننا نريد المحافظة على هذه الاعمال وضمان نموها وبهذا فاننا نفصح الصهيونية ونكافحها .

ان الصهيونية تجعل بقاء اليهود فى فلسطين فى خطر فهى بتعاونها الخطير مع القوى الاستعمارية التى تسيطر على فلسطين أو تحاول أن تسيطر عليها ، وبالتفرقة المصطنعة التى تساعد على ايجادها بين الجماهير اليهودية والعربية ، تعمل على جعل اليهود آلة طيعة فى ايدى الاستعمار وتضعهم فى وجه الحركة التحريرية العربية ، وتفصلهم عن حلفائهم الطبيعيين ، القوى الديمقراطية العالمية .

ولكن وعى الجماهير اليهودية في فلسطين بزيادة باستمرار ، كما بزيادة احساسها بخطر السياسة الصهيونية الاجرامية . ان النظام البونيسي الاستبدادى الذى يكبل اليوم فلسطين التى حولت الى قلعة عسكرية بيد بوضوح الاغراض الانانية للاستعمار الذى لا يعتبر فلسطين الا كضاعة للسيطرة على الشرق الاوسط وللدفاع عن مصالح احتكارات البترول . ان المشكلة الفلسطينية هى اساسا مشكلة تحرير فلسطين من الاضطهاد والاستعمار والطريق الوحيد الذى يجب ان يسلكه يهود فلسطين هو التعاون مع العرب والاتحاد معهم ، لتحرير فلسطين من نير الاستعمار . ان فلسطين مستقلة ديمقراطية هى الوحيدة التى تستطيع ان تضمن للسكان اليهود حياة رغدة وحرية ومثمرة .

أما عن الاشكال الدستورية التى ستتخذها الدولة الفلسطينية المستقلة الديمقراطية فاننا نرى أن هذه المسألة يجب أن تترك للفلسطينيين أنفسهم عربا ويهودا ليحلوها كيفما شاءوا .

ويعارض السياسة الصهيونية في فزع أمر استقلال فلسطين فالمسألة الفلسطينية في نظرهم ليست سوى مشكلة الهجرة اليهودية وهذه النظرة لا تخدم سوى الاستعمار لانها تسيطر على سيطرته العسكرية والسياسية والاقتصادية ولانها تتيح له ان يلعب دور « الحكم » باشغال نار الخلاف بين العرب واليهود .

اننا نرفض تأييد سياسة للهجرة تعارضها اغلبية سكان فلسطين وتؤدي عمليا الى نتائج تتعارض مع الاغراض الانسانية المزعومة اننا لسنا في حاجة الى هجرة تؤدي باخراؤنا اليهود الى ان يعيشوا في جو حرب اعلى في فلسطين ، ان لم تؤد بهم الى معسكرات قبرص المشؤومة وراء الاسلاك الشائكة . ولكننا واثقون ان فلسطين الحرة المستقلة ستستترك عن طيب خاطر مع الدول الديمقراطية الاخرى في ايواء اليهود المشردين .

اننا نتهم الارهاب اليهودي في فلسطين بأنه حركة فاشية موجبة أساسا ضد الجماهير اليهودية ولا تخدم في الواقع سوى المستعمرين الذين وجدوا في الحركات الارهابية تحت ستار المحافظة على الامن حجة قانونية في الظاهر لتحويل فلسطين الى معسكر مسلح في خدمة مشروعاتهم العدوانية، وتبريرا أدبيا في الظاهر لاختضاع السكان الى نظام اضطهاد واستبداد دائم .

اننا نحمل الصهيونيين مسؤولية الافكار والرسائل الفاشية بين اليهود . اذ ليست الحركات الارهابية سوى نتيجة منطقية للسياسة الصهيونية المغامرة .

ان تكوين جبهة موحدة مع الحركة التحريرية العربية في سبيل فلسطين حرة مستقلة ديمقراطية هو طريق الخلاص الوحيد للجماهير اليهودية في فلسطين .

د - مشكلة المشردين

اننا واثقون ان كل انسان جدير بانسانيته مهما كان دينه ومهما كانت جنسيته ، لا يمكن الا أن يشعر باشمئزاز رهيب أمام الجرائم الفظيعة التي ارتكبتها المجرمون الفاشيون في معسكرات الموت كما أنه ولا بد يحيى ذكرى هؤلاء البؤساء الذين ذهبوا ضحية البربرية الهتلرية ، ولكن مئات الالاف ممن نجوا من هذه المعسكرات لا يزالون الى الان - بعد أكثر من سنتين من انتهاء الحرب - مسجونين في معسكرات المهاجرين في أوروبا الغربية .

اننا نعيب على الصهيونيين عدم اهتمامهم بهؤلاء اليهود المشردين الا في حدود مصالحهم الضيقة الانانية ، اذ يرفض الصهيونيين التفكير في أى حل لهؤلاء التتساء سوى الذهاب الى فلسطين ، وبذلك يطيلون عذابهم ليتمكنوا من استغلاله في حدود مصالح السياسة الصهيونية .

اننا نعتبر مشكلة اخواننا في معسكرات المشردين كمشكلة انسانية تهم الضمير العالمى . ولذلك نوجه ندائنا الى جميع أحرار العالم ليجدوا حلا لهذه المشكلة الأليمة .

ونحن نرى أنه من الواجب ضمان امكانية الرجوع في الحال لليهود المشردين في معسكرات ألمانيا والنمسا الى البلاد التي طردتهم منها الفاشية، ويزيد هذا الحل اليوم سهولة أن أغلبية المشردين كانوا يعيشون في بلاد شرق أوروبا المحررة التي تعاقب الان بعقوبات صارمة قد تذهب الى حد الاعدام - جريمة العدا لليهود . أما الذين يريدون لاسباب نفسانية بدء حياة جديدة بعيدا عن ذكريات الماضى المحزنة فاننا نرى أنه من واجب جميع البلاد ولا سيما الواسعة منها استقبال هؤلاء المشردين ومساعدتهم على التوطن فيها .

هـ - الطائفة اليهودية في مصر

عاشت الطائفة اليهودية المصرية العريقة في القدم منذ قرون طويلة جنبا الى جنب في مودة وإخاء مع بقية سكان مصر . ويكفى أن نذكر أسماء فيلون الاسكندري وسعد بن يوسف الفيومى وموسى بن ميمون كدليل على حرية الفكر اليهودى في مصر .

ولكن منذ بضع سنوات وجد يهود مصر أنفسهم تحت ضغط وتأثير دعاية مركزة صهيونية واسعة النطاق تحاول أن تثبت فيهم أفكارا عنصرية شومينية تحول كل اهتمامهم ونشاطهم نحو تكرين ما يسمونه دولة يهودية في فلسطين . ان الازمة الاقتصادية التي تسير الان أخذت تمس اليهود بازدياد ، اذ أن أغلبهم ينتمون الى الطبقات المتوسطة فصاحب الحرفة اليهودية والتاجر الصغير والمستخدم الذين يقاسون شظف العيش كثيرا ما يبتغون فريسة للدعاية الصهيونية التي تجعلهم يحلمون بالهرب من حياتهم الصعبة ليعيشوا في فلسطين « كفلاحين للارض في الهواء الطلق وبدون أن يهتموا بفنوت الغد » ويضاف الى أكاذيب الدعاية الصهيونية ضغط بعض أصحاب الاعمال الصهيونيين أو المحبين للصهيونية .

اننا نعدى في صراحة وسائل الدعاية الصهيونية في مصر التي نرى الى عزل الطائفة اليهودية عن الشعب المصرى عزلا خطيرا . وائنا لمصمون بكل قوتنا على مكافحة عملاء الصهيونية في مصر ، الذين يخفون المصالح الحقيقية لليهود المصريين لخدمة مصالح متعارضة كل التعارض مع مصالح اليهود ومصالح الشعب المصرى بأجمعه . اننا نراه واجبا مقدسا على يهود مصر أن يعانون حربا لا هوادة فيها ولا رحمة على الافكار الصهيونية وعلى من يقومون بالدعاية لها . يجب أن نخلص الشباب اليهودى في مصر من سموم الصهيونية .

ونحن نعلن أن السبيل الوحيد ليهود مصر هو الانضمام الى الحركة الوطنية المصرية والنضام التام معها في سبيل تحقيق جميع أهدافها . اذ لا تختلف مصالح الجماهير اليهودية بقاتا عن مصالح الشعب المصرى انعاما . ولا يمكن أن يعيش يهود مصر متساوين مساواة أخوية مع مجموع السكان الا اذا كانت مصر مستقلة حرة ديمقراطية .

والرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية تعلم أنها بكفاحها ضد النفوذ الصهيونى الضار انها تخدم مصالح الطائفة اليهودية كما أنها تخدم مصالح الوطن المصرى .

و - أغراض الرابطة

ان أغراض الرابطة تتفق وخطتها السليمة لحل المشكلة اليهودية في نواحيها المختلفة فلان الصهيونية ترمى الى زج يهود العالم كله في مازن حرج أو لانها تعبرض للخطر مصير يهود فلسطين ، كما أنها تستغل لأغراض انانية ما يعانيه المهاجرون من بؤس ، ولانها تحاول أخيرا عزل الطائفة اليهودية المصرية عزلا خطيرا عن مجموع الشعب المصرى ، لهذا تعتبر الرابطة أن الصهيونية هى أخطر حركة ظهرت في تاريخ اليهود أن الصهيونية عقبة في طريق حل المشكلة اليهودية .

والكفاح ضد الصهيونية واجب مقدس على كل يهودى ويهودية ،
خاصة وأن تقدم القوات الديمقراطية في العالم يفتح أماننا امكانيات
حل قريب للمشكلة اليهودية العتيقة .

وفي الوقت الذى تكافح فيه الرابطة ضد الصهيونية تناضل من أجل
جميع العناصر الايجابية التى تسهل من حل المشكلة اليهودية . وأغراض
الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية هي :

١ - الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التى تتعارض مع مصالح كل
اليهود والعرب .

٢ - الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصرى في الكفاح من أجل
الاستقلال والديمقراطية .

٣ - العمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين .

٤ - العمل على حل مشكلة اليهود المشردين .

وقد اقتضت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية على قبول
اليهود دون غيرهم كأعضاء عاملين فيها ، لانها تعتبر نفسها حركة يهودية
تعمل أساسا بين الجماهير اليهودية ، وبمناختها للصهيونية تخدم المصالح
الحقيقية للطائفة اليهودية المصرية وبالرغم من استقلالها عن جميع الاحزاب
السياسية ، فالرابطة تعلن استعدادها للتعاون مع جميع الذين يؤيدونها
بإخلاص في كفاحها لتحقيق أغراضها . وبمقدار نجاح الرابطة في كفاحها
ضد الصهيونية وبمقدار نجاحها في جذب الجماهير اليهودية نحو الحركة
الوطنية الشعبية المصرية ، تعلم الرابطة أنها في خدمة مصر ومصالحها وهى
نخوة بذلك والرابطة واثقة في عدالة دعواها ، واثقة من نتيجة الكفاح
الذى تخوضه واثقة من تأييد الرأى العام الديمقراطى لها - تشن
نضالها ضد الصهيونية أداة الاستعمار وعدوة اليهود تحت شعار :

ضد الصهيونية ! .. في صالح اليهود ! .. في صالح مصر ! ..

الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية

القاهرة يونيو ١٩٤٧

الاسرائيليون الوطنيون يؤلفون رابطة مكافحة الصهيونية *

تألفت أخيرا رابطة اسرائيلية لمكافحة الصهيونية ، ورأت ادارة « الجماهير » أن المسألة مهمة فأوفقتنا لمقابلة سكرتير الرابطة الاستاذ زورا مرارى .

وتلقانا الاستاذ بترحيب كبير اتبعه بفنجان من القهوة وسسيجارة ويتدأنا نسأله وهو يجيبنا بعربية واضحة .

سألناه : ما أهداف هذه الرابطة ؟

- ان أهداف الرابطة هي مكافحة الصهيونية ودعايتها المضللة بين كافة الاسرائيليين القاطنين بمصر .

- ولكن لماذا تكونت في هذه الايام بالذات ؟

- لان الدعاية الصهيونية المسممة نشطت في مصر أخيرا نشاطا كبيرا مما يهدد العلاقات بين العرب واليهود بتقسيم الجو في بلد كمصر عاش فيه اليهود أجبالا متعاقبة على أحسن ما يكون من الوثام مع زملائهم المصريين .
- ومن هم زعماء الصهيونية في مصر ؟

- ان زعماء الصهيونية في مصر معظمهم من كبار الاثرياء وأصحاب الأعمال ، وهم يستخدمون سلطانهم وأموالهم للضغط على موظفيهم الاسرائيليين وتبديدهم بالطرد ، ان لم يصبحوا صهيونيين مثلهم ولذا أصبح من واجب الاسرائيليين الديمقراطيين أن ينذروا الجماهير اليهودية بخطر صهيونية ، وأن يجمعوا اليهود في حركة قوية مضادة للصهيونية .

* الجماهير ٥ مايو ١٩٤٧ .

- ولكن .. هل الصهيونية خطر على اليهود أنفسهم ؟

- بالطبع ! فالصهيونية أداة استعمارية ، تريد جذب جماهير اليهود اليها لتحقيق أغراض الاستعمار بانشاء دولة يهودية في فلسطين تساعد على تثبيت أقدامه في الشرق الأوسط .

عذا ما تراه الصهيونية القذرة أما نحن فنرى أن الحل الوحيد والطبيعي لمشكلة يهود أى بلد ، هو كفاح أولئك اليهود الى جانب جماهير ذلك البلد في سبيل الحرية والاستقلال والديمقراطية ... فما رأينا أبدا ديمقراطيا يضطهد فيه اليهود ، هذا هو الحل الطبيعي والمنطقي أما الصهيونية خادمة الاستعمار فتريد أن تربط اليهود بعجلة الاستعمار وأن تجعلهم عبيدا لتنفيذ مآربه الحقير خلال سياسة فرق تسد التي يتبعها في فلسطين ، وخلال سياسة انشاء دولة يهودية صهيونية في فلسطين ، وخلال سياسة انشاء دولة يهودية صهيونية في فلسطين تصبح رأس الرمح الاستعماري ضد شعوب البلاد العربية .

ولعلك تسألني ولماذا يؤيد أغنياء اليهود هذا المذهب الاعتدائي (الصهيونية) والجواب على هذا بسيط ، فهم يريدون منطقة تتركز فيها جهودهم وينمون فيها صناعاتهم وأموالهم ويستغلون العمال والفلاحين العرب بل واليهود أنفسهم أبشع استغلال .

فعدنا نسأله :

- وهل تتوقعون تأييدا كبيرا من الجماهير الاسرائيلية ؟

- لا بد لنا من الاعتراف بأن هذا يحتاج الى جهاد طويل ..
الصهيونية في مصر مؤيدة - مع الاسف الشديد - من قوات البوليس المصرى نفسه ! وهى أيضا مدعمة بالاموال الطائلة والجاه العريض ! ولكننا واثقون بالقضية التى ندافع عنها ، لانها قضية عادلة لصالح مصر الوطنى ولصالح اليهود أنفسهم ونحن واثقون أيضا باننا سنسحق الصهيونية نفقتنا بأن الشعب المصرى سيسحق حقا الاستعمار وأعوانه !!

نداء الى يهود مصر *

جاءنا من الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية صورة خطاب وزعت
مذه آلاف النسخ على يهود مصر وهذا هو الخطاب :
أيها الاخوان :

يدعى الصهيونيون أنهم يستطيعون حل المشكلة اليهودية وأنهم يدافعون
عن مصالح طائفتنا وهذا كذب وافتراء !

كشفت الحوادث التي وقعت أخيرا في القاهرة القناع عن حقيقة
وجوههم وأثبتت خيانتهم للاخوة اليهودية وأنهم أخطر أعداء طائفتنا .

استأجر الصهيونيون مجرمين محترفين للاعتداء على أعضاء نادى المكابى
بالظاهر ولم يكن لهؤلاء الاعضاء ذنب سوى رفضهم السير وراء الدعاية
الصهيونية !

استنجد الصهيونيون بقوات البوليس ضد اخوانهم الذين لم ينكبوا
جريمة سوى ابداء رغبتهم في مشاركة الشعب المصرى الكريم حياته وكفاحه !

اصابة عشرات من اخواننا بجروح مختلفة والقبض على عشرات
آخرين وايداعهم في ظلمات السجون . هذه هي أعمال الصهيونيين !

أيتها الأمهات !

نريد أن نحمل أطفالنا من أكاذيب الدعاية الصهيونية الخلافة التي
ترمى الى ارسال أولادنا ليعيشوا في فلسطين وسط عداء أغلبية السكان وفي
نظام كله استبداد واضطهاد .

أيها اليهود ! أيتها اليهوديات ! تحاول الصهيونية الجر بنا في مغامرة
خطيرة !

* الجماهير ٢٦ مايو ١٩٤٧ .

تساهم الصهيونية في جعل فلسطين بلادا لا يمكن العيش فيها !

تريد الصهيونية عزل اليهود عن جماهير الشعب المصرى !

الصهيونية عدوة لليهود !

فلتسقط الصهيونية !

ولتحيا أخوة العرب واليهود

ولتحيا الشعب المصرى !

ان هذا النداء من رابطة اسرائيلية لتكذيب صريخ لادعاءات الرجعية
أن اليهود كلهم صهيونيون فهناك يهود ديمقراطيون أعداء الداء للصهيونية
والاستعمار . ان الرابطة لتكشف لليهود في صراحة أن مصالحهم متفقة
مع مصالح الشعب المصرى - الشعب الذى يكافح من أجل الاستقلال
والديمقراطية - فلن يكفل لليهود سلاما واطمئنانا الا تخلص البلاد العربية
من الاستعمار .

فضيحة نقراشية جديدة
النقراشي يحل الرابطة
الاسرائيلية لمكافحة
الصهيونية *

نشرت الجماهير منذ أسابيع ، نبأ تكوين « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » التي قام بتكوينها بعض شباب الجالية اليهودية في مصر .

ولقد كان هدف هذه الرابطة - كما أوضحته في بيان أصدرته ووزعت منه الالاف من النسخ - هو - غرض - الصهيونية ودعايتها الخداعة التي تهدف الى جعل اليهود أداة في يد الاستعمار لخدمة أهدافه الاستعمارية الجشعة في فلسطين والشرق الاوسط ومصر .

كان هدف هذه الرابطة هو محاربة أكاذيب الصهيونية التي تسمح عقول الجماهير اليهودية وتعزلهم عن التكتاف مع الشعب المصري والاشتراك معه في نضاله الوطني المجيد ضد الاستعمار لنيل الاستقلال والحرية والديمقراطية

وما كادت هذه الرابطة تنظم صفوفها وتعمل على مقاومة أكاذيب ادعاءة الصهيونية بين جماهير الجالية اليهودية ، حتى فاجأها الحكومة انقراشية هذه الحكومة التي تدعى أنها حاملة لواء العروبة والوطنية ، وقامت بحل هذه الرابطة بحجة (لا تضحكوا) .. نعم بحجة المحافظة على الامن العام !

اذن فمكافحة الصهيونية مخلة بالامن العام يا دولة الباشا !

أما ترك النوادي والهيئات والاتحادات الصهيونية بأكاذيبها ودعايتها السامة تنتشر وتزدهر - وتنشر ما هي معروفة به من ارهاب ، أما هذا فهو عن المحافظة على الامن والنظام اذن !!

* الجماهير ٢٣ يونيو ١٩٤٧ .

ان الحكومة النقراشية بهذا التصرف المخزى انما تساعد سياسة كبار رجال المال الناصرين للصهيونية في مصر .

ان ترك الصهيونية ترتع وتمرح ، وتثبت دعوتها المجرمة بين اليهود في مصر ، مضعفة بذلة لحركة مصر الوطنية وعاملة على تقوية الاستعمار . في الوقت الذي تحل فيه رابطة لمكافحة الصهيونية كهذه ، أن هذا منطق مقلوب ، ولكننا لا نستغربه من حكومة النقراشي !

ليعلم دولة النقراشي باشا وحكومته ، ان صوت اليهود الاحرار المعادين للصهيونية والمتعاونين مع الشعب المصرى في كفاحه ضد الاستعمار من أجل حريته واستقلاله ، ان هذا الصوت لن يخفت أو يضعف - بل سيدوى أقوى مما كان حتى تتحقق رسالتهم المقدسة للقضاء على الصهيونية وسيدها الاستعمار وأذنابه ، والاشتراك في كفاح الشعب المصرى من أجل الحياة في وطن سعيد متحرر من القيود والاستغلال .

النقراشى يدافع عن الصهيونية *

جاءنا القلغراف التالى :

على اثر النشاط الصهيونى الاثيم تكونت الرابطة الاسرائيلية لمكافحة
الصهيونية وأخطر سكرتيرها المحافظ بذلك واليوم ردت وزارة الشؤون الاجتماعية
بعدم الموافقة على تكوين الرابطة لاسباب تتعلق بالامن العام وبما أن
عنف الرابطة وطنى وهو مكافحة الصهيونية المجرمة التى تسىء الى سمعة
الطائفة الاسرائيلية وتضر بمصالح الشعب المصرى فان الرابطة تجلغ دولتكم
شديد احتجاجها على هذا القرار راجية سحبه لعدم تشجيع نشاط الصهيونية
الاثيم فى مصر .

الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية

* الجماهير ٢٣ يونيو ١٩٤٧ .

وثائق

- الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)

بيان من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني *

أيها المواطنون :

ان السياسة الامبريالية التي تنتهجها الحكومة البريطانية تجاه فلسطين قد أثبتت فشلها ، بالرغم من اعلان حالة الطوارئ وفرض القوانين العسكرية وذلك بفضل نهوض حركة التحرر في البلدان العربية وبفضل المقاومة الشعبية المطالبة بالحرية والاستقلال .

لقد جذبت الامبريالية البريطانية مسألة النزاع الفلسطيني الى حلبة صراع مستمر وذلك كي تخفي فشلها السياسى ولكي تجد حجة لتكوين لجنة تحقيق دولية لتقرير مصير فلسطين ، ولقد أظهر التقرير الذى قدمته هذه اللجنة مؤيدا لقرار التقسيم حقيقة المؤامرة الامبريالية الملتوية .

فلجنة التحقيق لم تهتم باسترداد أرض العرب واليهود من يد الانجليز بل تعمدت ابقاء احتلال بريطانيا لفلسطين وجعلها منطقة نفوذ عسكرى لها ، وبذلك تمكن الامبريالية البريطانية من توجيه أسلحتها نحو تفكيك قوى حركة التحرر الوطنى ولخندق أية مقاومة عربية على امتداد الشرق الأوسط كله .

ان بث الفرقة وسط سكان فلسطين هو الهدف الرئيسى للاحتلال ، فهذه الفرقة تدعم الامبريالية فى الشرق الاوسط كله ، وهى أيضا تخلق الفرصة والامكانية لاتحاد الصهاينة مع الامبريالية الانجلو - أمريكية .

ان القضية الفلسطينية هى قضية شعب متعطش للحرية والديمقراطية ، تلك الحرية التى أكدها ودافع عنها مندوب يوغسلافيا فى لجنة التحقيق الدولية عنحما طالب بأن يتخلص الشعب الفلسطينى من نير الاحتلال وأن يمكن من العيش حرا ومستقلا .

*لم نعر على الاصل العربى لهذا البيان لكننا عثرنا على ترجمته الفرنسية مودعة فى أرشيف الخارجية الفرنسية فأعدنا ترجمته الى اللغة العربية (المؤلف) .

كما دافع عن ذات الاهداف الرفيق جروميكو المنسوب السوفييتي في
مجلس الامن الدولي وطالب بتكوين حكومة عربية - يهودية مشتركة لفلسطين

اننا نعرب عن قناعتنا وأملنا بأن تسفر الايام المقبلة عن ايجاد حل
عادل للقضية الفلسطينية يكفل الحقوق العربية في كل الشرق الاوسط ويكفل
تحرير فلسطين وكل الدول العربية المحتلة •
يا شعوب العالم اجمع :

لقد حان الوقت كي تتوحد كل الصفوف ، لننهض في حرب لا هوادة
فيها ضد القوى الامبريالية وفصح خططها الاجرامية التي تستهدف تقريظ
صفوفنا •

علينا ان نواصل هذه المعركة حتى نحقق حريتنا •

علينا ان نمد أيدينا لمساندة حركات التحرر ، وأن نوحّد قواننا
مع كل القوى الديمقراطية التي تقف الى جوارنا وتساندنا في مجلس الامن
الدولي •

وأخيرا لا تنسوا أبدا أننا في معركة واحدة تضم كل القوى الديمقراطية
والمناضلة من أجل تحرير كل الشعوب التي تخضع لنير الاستعمار •

عاش كفاح الشعوب العربية من أجل الحرية •

عاش الكفاح الفلسطيني المشترك ضد الامبريالية والصهيونية •

تسقط الامبريالية الانجلو - أمريكية •

تسقط لصهيونية عدوة الشعوب العربية •

و ثائق

الجمامير

صدر العدد الاول من « الجماهير » في ٧ أبريل ١٩٤٦ كلسان حال
انظمة « شرارة » (أيسكرا) وكان يشرف على تحريرها مكتب تابع مباشرة
للمسؤول السياسى للمنظمة ، وفي يوليو - يوليو ١٩٤٦ تمت الوحدة بين ج*م
وأيسكرا وتكونت « الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى » (ححتو) وأصبحت
« الجماهير » ناطقا باسم المنظمة الجديدة ، وتكون للاشراف عليها مكتب
رباعى اثنان من كل تنظيم ٠٠ ثم أصبح هذا المكتب - بعد فترة - تابعا
مباشرة للجنة المركزية لحدتو .

ومن هنا تنبع أهمية ما نشرته « الجماهير » حول القضية الفلسطينية
باعتبارها وثائق تعبر - دوما - عن وجهه نظر اللجنة المركزية لحدتو ، أكبر
المنظمات الشيوعية المصرية وأكثرها ثقلا وجماهيرية .

كذلك تستمد هذه الوثائق أهميتها من امتدادها لتشمل واحدة من
أخطر المراحل فى القضية الفلسطينية وهى مرحلة ٤٦ - ١٩٤٨ .

وإذا كانت « الجماهير » منبرا علنيا لحدتو فانها قد استطاعت
فى بعض الاحيان أن تعيد نشر النصوص الكاملة للمنشورات والبيانات
التي تصدرها قيادة التنظيم سرا ٠٠ ومن بينها وثائق هامة تتعلق بالقضية
الفلسطينية -

وأخيرا فان هذه الوثائق هى وحدها الوثائق المتاحة حول الموقف
المباشر والشامل لليسار المصرى فى فترة صدور قرار التقسيم والاعداد لقيام
دولة اسرائيل والاعداد لحرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

فلسطين تحت نير الاحكام العرفية وقضيتها أمام هيئة الأمم *

عرض ٠٠ وعارضون

ستعرض قضية فلسطين خلال الاسبوع القادم على الجمعية العمومية
لهيئة الامم المتحدة ٠٠ يعرضها الاستعمار البريطاني متضامنا مع الاستعمار
الاميركي على أساس اتفاق تقول الانباء أنه عقد بين وزيرى خارجية
بريطانيا وأميركا ٠٠

وكم طالب الشعب الفلسطينى حكام العرب بعرض قضيته على مجلس
الأمن ٠٠٠ فلم يتخذ هؤلاء الحكام خطوة واحدة فى هذا الاتجاه !!

فى هيئة الأمم

ولكن ٠٠ ما الذى دفع الاستعمار البريطانى الى اتخاذ قراره بعرض
القضية على هيئة الامم ؟ • يجيب على هذا كاتب انجليزى فيقول « من
الواضح أن كل ما يرمى اليه المستر بيفن من وراء عرض القضية هو افساح
انجال أمامه لتنفيذ مؤامراته ومشروعاته فى فلسطين ولإبقاء مائة ألف جندي
بريطانى فيها لتبقى الحالة هناك ، مضطربة لا تعرف الاستقرار •

كما اتخذ الاستعمار البريطانى هذا القرار أيضا للضغط على
الاستعمار الاميركى كي يشترك فى المسؤوليات والالتزامات المادية والعسكرية
لاحتلال فلسطين ، حتى لا يحمل الاستعمار البريطانى عبء الاحتلال وحده ،
فى الوقت الذى يستغل فيه الاستعمار الاميركى رؤوس أمواله فى فلسطين !

وقد ظهر هذا الضغط واضحا فى تصريحات تشرشل وتهديده للاميركيين
« بالغاء الانتداب » •

لماذا هيئة الامم ؟

وقد وفق الاستعماران فى اختيار هيئة الامم (بدلا من مجلس الامن)
حيث توجد الكثير من الدول التابعة لهما والتي لا شك ستمنحها تأييدها !

وحيث لا يستطيع الاتحاد السوفياتى استخدام حقه فى الاعتراض
« الفيتو » لتحطيم ما يبيتونه لفلسطين من نيات سوداء !

* الجماهير ٢١ أبريل ١٩٤٧ •

بريطانيا تهدد !

وتحاول بريطانيا الآن باتفاقها مع أميركا أن تعرض القضية على هيئة الامم بحيث ينتهى بها الامر الى تشكيل لجنة تحقيق !!! وليدور الخلاف بعد هذا حول مسألة واحدة • من له حق الاشتراك في هذه اللجنة ومن له حق التحدى عنها ؟ !!

ورغم هذه المؤامرات السافرة الا أن بريطانيا تخشى أن يتخذ قرار ضدها • ولهذا نراها تقطع خط الرجعة مقدما فيصرح السير كادوجان « ان بريطانيا ليست ملزمة بتنفيذ القرارات التى قد تتخذها هيئة الامم المتحدة في مسألة فلسطين !! » •

نفيم عرض القضية اذن ؟!

الجامعة العربية

ولم تتخذ الجامعة العربية الى الآن خطوة ايجابية واحدة نحو حل قضية فلسطين على أساس الجلاء التام للجند البريطانيين ، بل انها قبلت الدخول في مفاوضات مع الاستعمار فساعدته على الماطلة والتسويق وبقاء سيطرته أطول مدة ممكنة ، كما حولت الانظار عن العدو الاساسى الا وهو الاستعمار الى مشاكل فرعية ككثراء الاراضى والمقاطعة الاقتصادية !!

وقد بلغ الامر برياض الصلح ان لا يرى أى فارق « في عرض القضية بطلب منا أو من غيرنا لان الهدف هو عرضها » حتى لو انتهى الامر الى مجرد لجنة تحقيق !!

والآن •

ان الصراع ضد الاستعمار هو صراعنا • صراع الجماهير التى تعاني الكثير من استغلال المستعمرين والمتهادنين •

فنحن لا نريد لجان تحقيق ولا نريد استعمارا أميركيا أو استعمار بريطانيا •

ولا نريد الا شيئا واحدا • هو جلاء الجيوش البريطانية فورا • والغاء الانتداب وتاليف دولة فلسطينية حرة مستقلة ديمقراطية •

الاسرائيليون الديموقراطيون
يقولون الصهيونية
بالرغم من تعاون البوليس
مع زعماء الصهيونيين *

في شارع فاروق نادى يهودى يدعى بالمكابى يقوم فيه بعض الاسرائيليين
بنشاط رياضى وثقافى - بعيدين عن الامور السياسية .

وكان النادى يسيطر عليه اسرائيليون معروفون بعدائهم للصهيونية
واخلاصهم للنضية المصرية ..

ولم يرتح الصهيونيون لهذا الامر فكيف يفلت هذا النادى من بين أيديهم !!
ولذا اجتمعوا ليل ، يدبرون ويتآمرون تحت زعامة كليمان شيكوريل .. الذى
جمع فى اليوم السابق لعقد الجمعية العمومية لهذا النادى عشرات من الشبان
الصهيونيين وبعض مستخدمى محله المعروف .

ودبروا المؤامرة لطرده الاسرائيليين الديموقراطيين .. وقال لهم زعيمهم ..
لا تخشوا شيئا .. فالبوليس المصرى يلجى أقل اشارة من أصبعى !! وقد
اتفقنا معه على كل شئ !

وفى اليوم المحدد لعقد الجمعية العمومية حشد شيكوريل جموعه
واستطاع بعد تزوير فى قائمة أعضاء النادى ، ووسائل وطرق مخالفة لقانون
الجمعيات أن يعين مجلس ادارة صهيونى ولكن الاسرائيليين الديموقراطيين
أبوا أن يحنوا رؤوسهم لهذه المناورة السافرة .. وكونوا لجنة معادية
لصهيونية أعلنت اخلاصها لمصر ولقضية استقلالها وحريتها .. كما أعلنت
باسم اليهود المخاضين لمصر عزمها الاكيد على محاربة الصهيونية فى كل
مكان ..

واجتمعت الجمعيات الصهيونية فى مصر ، واعتمدت ميزانية مقدارها
تسرة آلاف من الجنيهات لحرب اليهود الديموقراطيين .

وليس عجيبا أن يكون شيكوريل زعيم الصهيونية في مصر ، فهو من أصحاب الملايين ٠٠ وهو مشهور بالقسوة البالغة على موظفيه من اليهود أنفسهم حيث يعملون لقاء أجور تافهة ويعيشون في جو من الارهاب ، ملؤه الجزاءات والاستقطاعات .

ليس عجيبا هذا . وانما العجيب حقا . أن نرى ضابطا من ضباط بوليس الانقسام يواجه شابا يهوديا ديموقراطيا بقوله « أنه لا حق لأحد أن يتكلم باسم النادي سوى الخواجة شيكوريل » !!

ولم يكتف شيكوريل بهنصرة البوليس له ، وانما استأجر بعض البلطجية ووضعهم على باب النادي ليمنع دخول اليهود الديموقراطيين !!

ولكن الشباب اليهودي الديموقراطي ٠٠ أبى الا أن يستمر في النضال - واقتحم نادى المكابى في شبه مظاهرة سرعان ما تعالت فيها هتافات - لتسقط الصهيونية أداة الاستعمار ٠٠ لتحيا مصر ديموقراطية ٠٠ ليستقط الاستعمار .

وقد كشف منحوب « الجماهير » عن حقائق خطيرة ٠٠ وهى أن من بين قوة البوليس السرى شابا صهيونيا متطرفا ٠٠ ويدعى حاتشويل وهو أداة في يد الصهيونية ؟ ؟

ان ظهور حركة ديموقراطية بين يهود مصر ٠٠ وأن مقاومة اليهود الديموقراطيين للصهيونية أداة الاستعمار ، لحركة مباركة حقا ، جديرة بعطف كل وطنى يبغى القضاء على الاستعمار ٠٠

ان مجلة « الجماهير » باسم الملايين من المصريين الكادحين لتعلن تضامنها مع كفاح اليهود الديموقراطيين ٠٠ فهو كفاح من أجل استقلال مصر وحريتها .

الاستعمار يريد تكبيل
فلسطين بالأغلال
ونحن نكافح من أجل
فلسطين ديموقراطية *

قد انكشفت المؤامرة الانجلو سكيونية بخصوص فلسطين في أول جلسات اللجنة العامة لهيئة الأمم المتحدة عندما عارض المندوبان الانجليزان والاميركي طلب الدول العربية بادراج اقتراح باستقلال فلسطين في جدول الاعمال وأصرأ على الاكتفاء بتأليف لجنة تحقيق تذهب الى فلسطين للتحقيق في أسباب الاضطراب هناك ولتقدم تقريراً الى الجمعية العمومية في دورتها العادية في شهر سبتمبر القادم !!

ومن المضحك حقاً أن يحاول المستعمرون خداع العالم بنفس الوسائل العتيقة التي استعملوها عشرات السنين للتسويف وتأجيل الحل الطبيعي للقضية الفلسطينية ، فقد أرسلت الحكومة البريطانية الى فلسطين في العشرين سنة الماضية عشر لجان تحقيق قضت كل منها الشهور الطوال في (التحقيق) عن أسباب الاضطراب في فلسطين ولم تقترح واحدة منها أن تستقل فلسطين ، بل كانت كل اقتراحاتها تهدف الى تثبيت أقدام الاستعمار في فلسطين والشرق الأوسط بأجمعه .

وقد تألفت لجنة انجلو أميركية في السنة الماضية واستمرت في التحقيق سبورا طويلة ثم قدمت تقريرها الاستعماري المشؤوم فماذا تريدون أكثر من ذلك أيها المستعمرون ؟

كفى خداعاً وتسويفاً انكم! مكشوفون في نواياكم نحو فلسطين والشرق الأوسط بأجمعه .

ان قضية فلسطين واضحة لا تحتاج الى لجان ولا بحوث ولا تقارير . .

* الجماهير ٥ مايو ١٩٤٧

ان الشعب الفلسطيني يريد استقلاله وحريته - يريد ديمقراطية ومساواة يتمتع بها جميع المواطنين من عرب ويهود - يريد أن يتقدم في طريق الحضارة لا تعوقه أغلالكم وبطشكم ، وهو يعرف أنه لن ينال كل هذه الحقوق الا بعد أن يخرج أخرجندى بريطانى من بلاده !

وقد وصل الامر بالمندوب البريطانى - سير الكسندر كادوجان - الى درجة أنه صرح بأن بريطانيا مستعدة لقبول أية توصيات تقررها هيئة الامم المتحدة ولكنها لا تستطيع ضمان تنفيذ هذه التوصيات ، وقد سبب هذا التصريح ضجة في اللجنة العامة واحتج عليه المندوب الهندى والمصرى والسوفياتى .

وهكذا تدعو بريطانيا ٥٥ دولة الى الاجتماع لا لمناقشة استقلال فلسطين ورفاهية شعبها ، ولا للبحث عن حل للمشكلة ، بل لتؤلف لجنة (تحقيق) لن تكون قراراتها نافذة الا اذا رأت انجلترا فيها مصلحتها الخاصة .

ولكن هذه المؤتمرات الاستعمارية لن تتخذ الشعب الفلسطينى فالدون الديموقراطية تؤيد قضيته وستساعده على تحقيق رفايته .

والاستعماريون يريدون الاحتفاظ بفلسطين التى هى قلب منطقة النفوذ البريطانى لتكون القاعدة العسكرية والسياسية الرئيسية للاستعمار الانجلو اميركى لاستغلال الشعوب العربية وأساسا للكتلة المعادية للاتحاد السوفياتى وقاعدة للهجوم على الدول الديموقراطية الفتية .

كذلك تقع فلسطين في منطقة توجد فيها معظم آبار بترول الشرق الاوسط الذى يستغله الاستعماريون لحسابهم الخاص .

ومن البديهي أن يحاول الانجلو سكسونيون أن يفرضوا ارادتهم على شعوب الشرق الاوسط . فما هى جريدة اليوركشاير بوست الانجليزية تقول انه ليس ثمة طريقة للاتفاق بين العرب واليهود ولذلك يجب أن تفرض بريطانيا سياستها على العرب واليهود بالقوة أى أن يستمر احتلال فلسطين !

ومن الواضح أن الاستعماريون مصممون على البقاء في فلسطين وأنهم قد وضعوا المسرحية الخاصة بعرض قضية فلسطين على هيئة الامم المتحدة فوجدوا أن تأليف لجنة (تحقيق) هى أحسن وسيلة لكسب الوقت والتسويق .

ان استقلال فلسطين يستلزم جهادا متصلا من سكان فلسطين واتحاد صفوفهم وتخلصهم من النفوذ الصهيونى أداة الاستعمار من جانب والرجعية العربية ذنب الاستعمار من جانب آخر .

ان قضية فلسطين تتلخص في كلمتين كفاح من أجل الجلاء والديمقراطية .

ان أصدقاء فلسطين
في هيئة الأمم
هم أصدقاء مصر
وأن أعداءها هم
أعداء شعوب العالم *

تهادن مع الأعداء

كشف الاستعمار الانجلو الاميركى عن وجهه القبيح فوقف موقف الأعداء الصريح من قضية فلسطين ، وتبعه في هذا ذيله واتباعه من المستعمرات وشبه المستعمرات ومناطق النفوذ . فرفضوا أن يكون استقلال فلسطين المهمة الرئيسية للجنة التحقيق معالين هذا بعذر رخيص هو انهم لا يريدون أن يفرضوا على اللجنة حلا من الحلول . ثم لا يلبثون أن يفرضوا عليها أن تراعى المصالح الدينية لكل من الاسلام واليهودية والمسيحية « . والمراعاة المزعومة للمصالح الدينية في ظل الاستعمار في سياسة « فرق تسد » بناصر يوما هذا ويتحمس يوما لذاك . وهو الرابع على كل حال .

ثم يرفض الاستعمار الاميركى منح جواز مرور لاحد أعضاء الهيئة العربية العليا : وهو الدكتور بديرى بحجة انه « شيوعى » حتى لا يكشف موقف الاستعمار .

ويقوم الاستعمار بكل هذا فلا تحرك الرفود العربية ساكننا ولا تقوهِ صحافتها بحملة على المستعمرين . وانما تمضى في التشكيك في موقف الاتحاد السوفياتى . فاذا دافع عن استقلال فلسطين قالوا أنه يريد جلاء الجنود البريطانية لتحويل فلسطين الى بلد سوفياتية ! واذا ما تحمس في الدفاع عن استقلال فلسطين قالوا أنه يريد التحبب الى الشعوب العربية لتقلب الى شيوعية .

هذا في الوقت الذى تمتلىء الصحف المأجورة بشائعات كاذبة تدعى أن هناك اتفاقا سريا عقد في موسكو بين بيفن وستالين ، أكد فيه ستالين عدم التعرض لمصالح بريطانيا في الشرق الاوسط !

* الجماهير ١٩ مايو ١٩٤٧ .

وبلغ الامر بفارس الخورى مندوب سوريا في هيئة الامم ٠٠ أن يبعث برسالة الى وزارة الخارجية السورية يقول فيها : « وقد أثار موقف الوفود السوفياتية والسلافية أسفنا وخيب أمل الوفود العربية » .

وتشاء المصادفات العجيبة أن يرسل الخورى رسالته هذه في نفس اليوم اذى هب فيه الاتحاد السوفياتى مؤيدا من دول شرق أوروبا الديمقراطية : تشكوسلوفاكيا وبولندا ويوغوسلافيا - يقود النضال في عزم وتصميم كى تكون مهمة لجنة التحقيق الرئيسية ٠٠ استقلال فلسطين دون ابطاء .

هذا الاقتراح السليم والحل الوحيد لمشكلة فلسطين لم يصدر من الوفود العربية وانما صدر من الاتحاد السوفياتى الذى تهاجبه هذه الوفود .

هذا الهجوم الذى يشكك في قيمة هيئة الامم المتحدة ويظهرها كأداة في يد المستعمرين ويشوه موقف القوى الديمقراطية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتى ٠٠ هذه القوى التى لعبت دورا رائعا في مناصرة استقلال فلسطين والدفاع عن حريتها ان سياسة الرجعية العربية هي نفس السياسة التى يتبعها الاستعمار .

٠٠ انتاع

ولا تكتفى الوفود العربية بهذا التخطئ الذى يؤذى القضية ايذاء بالغا ، وانما تمضى في الاضرار بالقضية ، فيمتنعون عن التصويت لاقتراح الاتحاد السوفياتى بأن تكون الدول الخمسة من بين أعضاء لجنة التحقيق . أو تظن الوفود العربية أن لجنة التحقيق الحالية أحرص على استقلال فلسطين من لجنة يشترك فيها الاتحاد السوفياتى ، أهم راضون عن لجنة تحقيق مركبة معظمها - تحت ستار الحياد - لتأتمر بأوامر المستعمرين ؟؟

ما هو السر ؟؟

فما هو السر في هذا العداء الواضح للدول الديمقراطية المدافعة عن استقلال فلسطين ٠٠ وهذا التهادن السافر مع المستعمرين ؟ السر بسيط ٠٠ هو أن الفئات الحاكمة في البلاد العربية تلخى الشعوب . وترى في زيادة الحرية والديمقراطية تهديدا لمصالحها . أى مصالح كبار رجال الاموال وكبار ملاك الارض .

والشعوب التى تهب ضد المستعمر لا يؤمن شرها - في عرف هذه النشآت - فهي لن ترضى أن تتخلص من استعمار أجنبي لتستقر مستعبدة مستغل داخلى ٠٠ وتحس هذه الفئات بهذا الخطر على مصالحها فتفضل أن يبقى الاستعمار ، وترحب ببقاء الاحتلال ، كى تبقى في الحكم على حساب الشعوب وحريتها واستقلالها .

وتزداد الشعوب العربية غضبا على المستعمرين ، ومطالبة بالديمقراطية والاستقلال - فلا يجد هؤلاء الحكام - حتى لا ينفذ أمرهم وحتى لا تنفض نراياهم الحقيقية - سوى الدائرة والمناورة والتظاهر بين الحين والحين بالوطنية الزائفة فيحاولون توجيه كفاح الشعوب رجعة خاطئة ، ويحاولون في فلسطين أن يثيروا الشعب العربي على اليهود دون الاستعمار - ويحاولون تحويل الانظار الى مشكلة فرعية كمسكلة الهجرة • فيصرون له أن الهجرة هي أصل الداء ، كي ينسى أن المستعمر هو أصل البلاء •

بل يذهبون أبعد من هذا فيحاولون ارضاء المستعمر ويحرصون على عدم اغصابه كي يبقوهم في كراسي الحكم ، وكى يلقى اليهم بين الحين والآخر ببعض الفتات •

هذا هو السر ، وأنه ليفسر لنا موقف حكام العرب من استقلال فلسطين ، وسعيهم المتواصل للاتفاق مع الاستعمار في مؤتمرات لندن وبيروت ، وهذا يفسر لنا السر في تلكؤهم في عرض القضية على الهيئات الدولية تاركين السبق في هذا للمستعمرين •

عظات وعبر

ان في قضية فلسطين في هيئة الامم لدروس بالغات • فلقد وضع شكل سافر من هم الاعداء؟؟ لقد اتضح لنا ان الدول الديمقراطية حقاً وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي • هي أبطال الدفاع عن الشعوب وحريتها • استقلالها رغم كل الاباطيل التي تمتلىء بها صحف المستعمرين • وقد وضع لنا أن الكتلة الانجلو ساكسونية وذيولها أعداء الداء لحرية الشعوب • نحن ننتظر منها انصافاً مهما ادعت وتظاهرت واستخدمت من تعبيرات والفاظ •

والدرس الثاني الذي تعلمناه هو انه لا يكفي أن تعرض قضايا الشعوب في المحيط الدولي • انها المهم • • هو من يكون العارضون •

ان المتهاونين مع الاستعمار الحريصين على ارضائه لكفيلون باضعاف امة قضية يعرضونها •

والدرس الثالث الذي وضع لنا هو أن فلسطين قد بليت بنوعين من الرجعية ، رجعية صهيونية عدوانية ورجعية عربية والاثنين متحالفين مع الاستعمار •

وكلا الرجعتين حريصتان على ابقاء الاستعمار • فالصهيونية تستنجد به مطالبة اياه بفتح أبواب الهجرة • والرجعية العربية تستجديه أن يقلل أبواب

فلسطين وكلتاها تخونان قضية فلسطين وتصرفان أنظار الجماهير الفلسطينية عن الحل الصحيح وهو الاستقلال .

والدرس الرابع هو أن الصهيونية لا يمكن أن تعيش دون مستعمرين . فلم يذهب مندوب الوكالة اليهودية الصهيونية الى هيئة الامم ليطالب باستقلال فلسطين ، وانما ليناشد المستعمرين أن تفتح أبواب فلسطين للمشردين ، وليناشد سلطات الانتداب أن تعين الصهيونية على اقامة ما يسميه بالوطن القومي لليهود ، حتى تستمر في تضليل الجماهير اليهودية والتأثير فيها موهمة اياها بأن وطنها قوميا في ظل الاستعمار يحل مشكلة اليهود .

فمن العبث الصارخ بعد اليوم أن تحاول الرجعية العربية أن توجه أنظار العرب الى مكافحة الصهيونية وحدها مغفلة أمر المحرك الاصلى . . . الاستعمار الانكليزي الاميركي .

والدرس الخامس هو أن مشكلة فلسطين ليست مشكلة الهجرة كما يحاول الاستعمار وأذنابه أن يصورها للشعوب ، فعندما يتظاهر الاستعمار البريطاني بأنه يعمل لصالح العرب بتحديد الهجرة ، فانه لا يخدم العرب وانما يضللهم حتى يرضوا عن بقاءه في فلسطين ، وعندما يتظاهر الاستعمار الاميركي بأنه يحابي اليهود فيطالب بفتح أبواب فلسطين لهم ، فانه لا يخدم اليهود وانما يخدم مصالح الاحتكاريين الاميركيين .

فكل حل يفرضه الاستعمار . . . سواء بمنع الهجرة أو تحديدها أو التوسع فيها . . . انما هو حل استعماري لا يخدم العرب ولا اليهود وانما يخدم المستعمرين .

استقلال وديمقراطية

ان المشكلة الفلسطينية ليست مشكلة عرب ويهود يتناحran من أجل العيش في فلسطين ، انما هي مشكلة جماهير عربية ويهودية مستعبدة مستعمرة . . . ومستعمر يضطهدا ويستغلها ويكبتها مستعينا برجعية يهودية . . . هي الصهيونية ورجعية عربية مرتمية في أحضان المستعمرين .

ان حل مشكلة فلسطين يتلخص في شيء واحد . . . هو جلاء الجنود البريطانية عن فلسطين . . . هو قيام فلسطين الحرة الديمقراطية التي تستطيع في ظلها جماهير العرب واليهود أن تحل مشاكلها . . . وأن تعيش في سلام ووثام لصالح الملايين لا لصالح حفنة من الاحتكاريين .

ولن يتاح لفلسطين الاستقلال التام الا اذا اتحدت الجماهير العربية واليهودية وتخلصت من نفوذ وتأثير الرجعيين من صهيونيين وعرب ووحدت كفاحها في ضربة قوية جارفة ضد المستعمرين .

القاموس السياسى الصهيونية *

ما هى الصهيونية ؟

هى الحركة التى ترمى الى تكوين دولة يهودية فى فلسطين على اعتبار
انها الوطن الاساسى لهم .

كيف نشأت الصهيونية ؟

نشأت الحركة الصهيونية الحديثة فى أواخر القرن التاسع عشر ، عندما
ارتفع وعى الجماهير وسخطها على النظام الرأسمالى الاستعمارى ، فنهضت
وشارت للتخلص منه . هنا لم ير الرأسماليون الاحتكاريون حلا لهذا الخسر
الا بتحريك أنظار الشعوب الشائرة وصرف كناعها وتحويله ضد عدو وهمى
يستعملونه ككبش فداء . فكانت المذابح والاضطهادات ضد اليهود والاقليات
الآخرى التى انتشرت فى كافة البلدان الاوربية .

واستخدم استعماريو العالم ، الرأسماليين اليهود فى بث سموم
النظرية الصهيونية العنصرية بينهم ، وتضليلهم بانهم شعب لا يمكنه
الاندماج فى وسط الشعوب الآخرى وأن حل مشكلتهم والقضاء على اضطهادهم
انما يكون بتكوين دولة يهودية فى فلسطين !

ما علاقة الصهيونية بالاستعمار ؟

ذكرنا أن الرأسماليين اليهود هم الذين بثوا الدعوة الصهيونية وحتى
تأخذ هذه الدعوة الشكل العملى أصدرت بريطانيا وعد بلفور المشؤوم وحيد
علنا فكرة انشاء هذا الوطن اليهودى . ففيم تفيد الصهيونية الاستعمار !

١ - خلق أقلية يهودية بفلسطين واقعة تحت نفوذ الصهيونية ومرتبطة
بأحضان الاستعمار ؟

* الجماهير ٢ يونيو ١٩٤٧ .

٢ - تثير الدعاية الاستعمارية وصحافتها العربية المأجورة غضب الجماهير العربية على اليهود ، كما أنها تثير الجماهير اليهودية على العرب وبذلك يعطى الاستعمار لنفسه الذريعة لبقائه مدعيا انه تارة يحى اليهود وأخرى يحمى العرب ، والحقيقة انه يجد في فلسطين نقطة استراتيجية يستغلها في القضاء على الحركات التحريرية العربية وكقلعة استعمارية ضد الشعوب .

٣ - وتتهى الصهيونية الفرصة لاستغلال رؤوس الاموال الانكليزية والاميركية باستعباد العمال والفلاحين من العرب واليهود على السواء ، ونهب الثروات الطبيعية في البلاد العربية ولا سيما البترول والمعادن .

٤ - تعمل الصهيونية على عزل جماهير اليهود عن الاشتراك مع الشعوب في بناء أوطانهم بتحويل أنظارهم الى فلسطين .

ما هو الحل ؟

مشكلة اليهود تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ - مشكلة اليهود المعذبين في مختلف البلاد : هؤلاء عليهم أن يشتركوا في الكفاح مع شعوبهم من أجل تحقيق الديمقراطية التي تكفل لهم حقوقهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٢ - مشكلة اليهود المشردين بقبرص ومعسكرات المانيا والنمسا وبعض دول أوربا : هؤلاء يجب أن تكفل لهم السبل للعودة الى أوطانهم الاصلية ، أما الذين يرفضون العودة نتيجة لخوفهم مما وقع عليهم من الاضطهادات ، فعلى هيئة الامم المتحدة أن تحل مشكلتهم على نطاق عالمي ، ويجب أن يوضح أن فلسطين لا يمكن أن تحل القضية اليهودية ، وان كل محاولة لاطهار فلسطين كالحل لمشكلة اليهود انما هو تعقيد لكلا المشكلتين .

٣ - مشكلة فلسطين : ان حلها ينحصر في الكفاح المشترك بين جماهير اليهود والعرب معا للتخلص من الاستعمار الانكليزى وانشاء دولة حرة ديمقراطية مستقلة .

مقاطعة لجنة التحقيق في فلسطين خدمة للاستعمار والصهيونية *

أذاعت اللجنة العربية العليا قرارها بمقاطعة لجنة التحقيق التي أوغدها هيئة الأمم المتحدة الى فلسطين ، فكان هذا القرار عجيبا حقا من اللجنة العليا ، الهيئة العربية التي أبدت استعدادها الدائم للتعاون مع لجان التحقيق الاستعمارية التي طالما أوغدها المستعمرون مرة بعد مرة لتعذب بأهل فلسطين ولتضلل الرأي العام العالمي . ولن ينسى أحد مهزلة لجنة التحقيق الانكرو الاميركية التي زارت البلاد العربية منذ عهد غير بعيد .

أما الآن وقد تكونت لجنة تحقيق من هيئة الأمم المتحدة تشترك فيها لا أميركا وبريطانيا بل دول أخرى منها يوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ، وهما دولتان لا يمكن الادعاء بأنهما خاضعتان للنفوذ الانكرو اميركى ، ففى هذا الوقت نرى اللجنة العربية تقاطعها .

لقد بذل الاستعمار قصارى جهده لابعاد مشكلة فلسطين عن النطاق الدولى ، ولما رفعت مشكلة فلسطين أمام هيئة الأمم المتحدة ، وتكونت لجنة تحقيق يشترك فيها ممثلون أحرار وان كان بعض أعضائها كممثل استراليا يمثل السياسة الاستعمارية ، لم تنتهز اللجنة العربية العليا الفرصة للخروج من نطاق العلاقات الثنائية الضيقة بين أهل فلسطين والاستعمار بل أثرت أن تضيق على أهل فلسطين هذه الفرصة وتتركها لعملاء الصهيونية ليذيعوا أكاذيبهم دون أن ترفع صوتها لتفنيدها .

ان فى موقف الهيئة العربية العليا بمقاطعتها لجنة التحقيق تشكيك صريح فى هيئة الأمم الامر الذى يؤدى الى تجريد الشعوب العربية من سلاح قوى فى كفاحها ضد الاستعمار وهو نقل قضاياها الى المجال الدولى وفضح الاستعمار على نطاق عالمى .

فاللجنة العربية العليا لم تخدم فى موقفها الاخير سوى مصالح الاستعمار والصهيونية وهى لا تمثل اليوم مصالح أهل فلسطين بقدر ما تمثل مصالح الرجعيين من كبار الملاك ومن أثروا منهم ببيع الاراضى الى الصهيونيين .

الانكليز يفرقون بين العرب واليهود في فلسطين *

ان الاستعمار هو الاستعمار في كل مكان ! فالانكليز الذين ينكرون على مصر حقها في الحرية والاستقلال هم الانكليز الذين ينافرون في فلسطين كي يبرروا أمام أعين لجنة التحقيق الدولية وجود جيوشهم في القطر الشقيق ..

ادعت انكلترا أمام هيئة الامم المتحدة انها مضطرة الى الاحتفاظ في هذه المنطقة بجيش يزيد عدده على ١٥٠ ، ٠٠٠ جندي والى انفاق الملايين عليه للمحافظة على الامن وللسهر على ارواح سكان فلسطين من العرب واليهود ! .. ولاشبات ذلك ها هي اليوم تعطي للعالم مثلاً جديداً لسياستها الاستعمارية التقليدية « فرق تسد » .

اذ توالى حوادث الاعتداءات والاخذ بالثأر في فلسطين وتفاقمت الحال لدرجة أن ظن الناس ان البلاد قد أشرفت على حرب أهلية : حواجز تقام في الشوارع .. وأفراد مسلحون من فرق « النجادة العربية » و « الهجانا » الصهيونية ساهرون ليلاً ونهاراً على أطراف المدن .. والدبابات الانكليزية في شوارع يافا وتل أبيب ..

فمن المسؤول عن هذا التوتر الشديد في فلسطين ؟؟

تذكرنا هذه الحال بالحوادث الدامية التي وقعت قبل الحرب عندما كان الجنود الانكليز يتنكرون في زى العرب لمهاجمة الدور اليهودية أو في زى اليهود لمهاجمة القرى العربية اشعالاً لنار الحرب الاهلية .

انها نفس اللعبة الاستعمارية تتكرر اليوم ! ..

لقد أصبح من الواجب العاجل في الوقت الذي تستعد فيه لجنة التحقيق الدولية لوضع تقريرها ورفعها الى هيئة الامم المتحدة أن يتضامن سكان فلسطين تضامناً قوياً في مناهضتهم للاستعمار والتمسك بندايمهم « جلاء المستعمر واقامة حكومة ديمقراطية مستقلة » .

* الجماهير ٢٣ أغسطس ١٩٤٧ .

اجلوا عن فلسطين

نشرت لجنة التحقيق الدولية تقريرها عن فلسطين وهو يتضمن ١١
توصية ومشروعين لتقسيم البلاد بين العرب واليهود .

وأول ما يؤخذ على هذا التقرير دراسة مشكلة فلسطين على أنها مشكلة
تسوية علاقات العرب باليهود مع انها أصلا كفاح سكان هذه البلاد ضد
مستعمرينهم ومستغليهم . . . وقد أغفلت اللجنة الدولية المطلب الاساسى للعرب
واليهود معا الا وهو جلاء الجيوش الاستعمارية . . . وليس بغريب أن تخذ
هذه القرارات دول صغيرة هي كانت دائما ذبيلا للدول الاستعمارية الكبرى .

لقد سمع أعضاء اللجنة بيانات وافية ولسوا أدلة فاضحة تدل على فشل
السياسة الاستعمارية وعلى مدى الضرر الذى نتج عن النظام الارهابى
البوليسى المعروض الان على فلسطين ولكنهم بدلا من أن يأتوا بتوصية
واضحة عن انتهاء الانتداب البريطانى فى الحال ، وجلاء الجيوش الاستعمارية
بدون ابطاء اكتفوا بتوصية ناقصة هي وجوب انتهاء الانتداب البريطانى عندما
تسمح الظروف بذلك ، وبعد فترة انتقال أما عن الجلاء فلم تر اللجنة الموافقة
على اقتراح منحوب يوغوسلافيا الذى طالب بخروج الجيوش الانكليزية واعلان
استقلال فلسطين .

ولكن بالرغم من ذلك كله لا تعتبر هذه التوصية الدولية عديمة الفائدة . .
اذ أنها دليل جديد على فشل الاستعمار البريطانى فى ادارة فلسطين ادارة تكفل
أمن ورفاهية سكانها . . . ومما لا شك فيه ان الذين سيقومون بالدفاع عن
حقوق شعوب الشرق أمام الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة سيتهسكون
بهذه التوصية لكى يطالبوا بانتهاء الانتداب فى الحال .

ويظهر بين مشروعى اللجنة فرق واضح حاولت الصحف التقليل من
أهميته أو ستره على الاطلاق ، فالمشروع الاول الذى وافقت عليه أغلبية
أعضاء اللجنة يرمى الى تقسيم فلسطين الى دولة عربية وأخرى يهودية

* الجماهير ٦ سبتمبر ١٩٤٧ *

منفصلة تماما عن الاولى والى قبول ١٥٠ ألف مهاجر في الدولة اليهودية في عامين بدون استشارة العرب وأخيرا الى فصل القدس عن الدولة العربية ووضعها تحت وصاية دولية .

أما المشروع الثانى الذى أيدته مندوب يوغسلافيا فيرمى الى انشاء دولة اتحادية يكون لحكومتها الحق فى البت فى جميع المسائل المهمة . ويكون لجميع الفلسطينيين جنسية واحدة مع ضمان المساواة التامة للاقلية - أما بالنسبة للهجرة فتقديرها متروك للجنة مكونة من ثلاثة من العرب و ٣ من اليهود و ٣ تعينهم هيئة الامم المتحدة على أن تراعى فى حكمها قدرة البلاد الاقتصادية .



ومما يلفت النظر أيضا نوع الانتقادات التى وجهت الى تقرير اللجنة الدولية . فلم يهاجم أحد من الذين تكلموا باسم عرب فلسطين القوة الرئيسية التى حركت اللجنة وحملتها على وضع تقريرها الا وهى مناورات الاستعمار الانكاو أمريكى . . . أسهبت اللجنة العربية العليا فى اظهار « عدم عدالة » التقرير وأعفلت ترديد المطلب الاساسى للعرب الا وهو جلاء الجيوش الاستعمارية فى الحال عن فلسطين . . . بل ان مدير المكتب العربى فى نيويورك قد تطرف الى حد انكار صفة الوطنية الفلسطينية على جميع الذين دخلوا البلاد منذ سنة ١٩١٩ وفى ذلك اشارة لبعض اليهود واضعافا لثقة الفئات الداعية الى امكان الوصول الى اتفاق مع العرب .



ستعرض القضية الفلسطينية قريبا على الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة وسيحاول الاستعمار ايجاد حل لها ليركز أقدامه فى الشرق . . . أما الشعوب العربية فإن عليها أن تدافع عن حريتها بالمطالبة بجلاء الجيوش الاستعمارية عن فلسطين واقامة حكومة ديمقراطية فيها تنظر فى كيفية حل المشاكل المعلقة بين العرب واليهود .

حكومةنا وقضية

فلسطين *

بقلم د . ع

دائما ..

عندما نجد الرجعية نفسها في مأزق ، وعندما يشند عليها ضغط الشعب ويزداد مطالبته وتمسكه بحقوقه .. عندئذ تتلفت الرجعية حولها تبحث عن منفذ لها ومخرج ينقذها ولو مؤقتا فنجد هذا المخرج في الطريقة المعتادة وهي شغل أذهان الشعب بمسائل أخرى تنسيه مؤقتا مشاكله الرئيسية .

والشعب يزداد ضغطه عليها .. فها هي الحكومة تفشل في منع انتشار واشتداد الكوليرا ، وها هي أزمة الخبز الذي تعيش عليه الملايين تبدأ ، وها هو الدرويش بك يفضح في تقرير رسمي له ممالاة الحكومة للاستعمار ويوضح كيف ستؤدي سياسة الحكومة المالية والاقتصادية الى كارثة اقتصادية على البلاد ، وها هو موقف الحكومة من القضية الوطنية قد بدأ ينكشف ، وسياسة تجاهل الاستعمار قد بدأت تنفضح ، وأخذ حاكم السودان العام يكيل الصفعات للحكومة .

موقف حرج ، فما السبيل لينسى الشعب مشاكله ، وقضيته الوطنية ، ويسافر النقراشي باشا الى بيروت ليحضر اجتماع الجامعة العربية ويهود لتمتليء صحف الحكومة بالعناوين الضخمة ، وبالبط العريض « عودة الى الحروب الصليبية » ، « اعلان الحرب المقدسة لانتقاذ فلسطين » .

عاد النقراشي باشا من بيروت ، عاد ليشغل أذهان الشعب ، ولتمتليء الصحف بالتحضير لحرب دينية ، حرب صليبية بين العرب واليهود ، لا حرب تحريرية ضد الاستعمار .

وقرأ الشعب عن سفر جيشنا الى العريش فتساءل عجباً ، أذهب جيشنا المصرى الى العريش دون أن يمر على فايد وقنال السويس ؟ ألم ير في طريقه

جنودا بريطانية تحتل أراضينا المقدسة ؟ وعندما اقتربت الجيوش المصرية من فلسطين تسأل الناس هل أعلن النقراشي الحرب على الاستعمار ؟ هل استعد الجيش المصرى لطرد المستعمر من فلسطين ؟ ولكن ما ان وصل الجيش الى حدود فلسطين حتى أعلن أنه لن يدخل الا بعد جلاء البريطانيين ! لقد عبى الجيش المصرى وأعلنت الحرب ولكن لا على المستعمر الذى يحتل مصر وفلسطين وشرق الاردن ، لم تعلن الحكومة الكفاح المسلح والحرب المقدسة - كما طلب الشعب ونادى يوم عودة النقراشي من أميركا - ضد « الاصدقاء البريطانيين » ! بل تعلن الحكومة المصرية الحرب ضد اليهود وتعلن أن جيشنا لن يدخل فلسطين الا بعد جلاء الاستعمار عنها *

وبذلك تشترك الحكومة المصرية فى تنفيذ خطط الاستعمار ، وتهد له الطريق لاثارة حرب دينية فى فلسطين ، والتفريق العنصرى بين سكانها حتى يجد المبرر للبقاء فى فلسطين !

وها هى آثار هذه الخطة تظهر فيصرح كريكش جونز المندوب البريطانى فى هيئة الامم أن الجلاء عن فلسطين يتوقف على ايجاد تسوية بين العرب واليهود *

وهكذا تستغل الحكومة المصرية مشكلة فلسطين لتحويل أنظار الشعب عن قضيتته الوطنية وتشغل أذهانه عن الداء الحقيقى ، وأن الداء هنا فى مصر وهناك فى فلسطين وشرق الاردن والعراق ما هو الا الاستعمار الذى يثير الفتن والدسائس ليثبت أقدامه وليهضى فى استغلاله للشعوب العربية *

ان أجل خدمة تقدمها الحكومة المصرية للاستعمار وللمستعمرين هى صرف أنظارنا عنه .. عن العدو الحقيقى لنا وللشعوب العربية جميعها وتوجيه اهتمامنا الى حرب دينية لا يفيد منها سوى الغاصب ، سوى الاستعمار الانجلو أمريكى *

اننا نريد أن يعبأ جيشنا ، وأن تستعد قواتنا المسلحة ، اننا نريد أن يجند الشعب كله فى جيش واحد .. جيش يهب ليطرد الاستعمار من مصر والسودان ، ويشترك مع الشعوب العربية جميعها فى جبهة موحدة تقف صفا واحدا ضد العدو الاول *

ان تحرير وادى النيل ، وتوجيه ضربة قاصمة للاستعمار البريطانى فى مصر ، خير مساعدة نقدمها لفلسطين وللشعوب العربية ، فتحرير مصر خطوة هامة وأساسية نحو تحرير الشرق من الاستعمار *

استقلال وديموقراطية أو استعمار وعبودية * بقلم د . ع

تنظر هيئة الامم المتحدة الآن في مشكلة فلسطين ، تلك المشكلة التى ظلت ردحا طويلا من الزمن ولا زالت تشغل أذهان العالم أجمع . .

ومن العجيب حقا انك لا تستطيع أن تستخلص من صحفنا المصرية حقيقة واحدة غير مشوهة فالحلول التى عرضت كثيرة ، وتعليقات المراسلين البريطانيين والاميركيين الاستعماريين أكثر .

وأنت اذا تتبععت هذه الحلول ، وهذه العلاقات خرجت والمشكلة فى رأسك قد زادت تعقيدا عن ذى قبل ، وأحسست أنك غارق فى بحر من الآراء والحلول لا تدرى أيها يخدم القضية وأيها موجه ضدها .

ولكن تتبع معى قليلا مناقشات هيئة الامم لتصل الى حقيقة المناورات والمؤامرات التى تجرى بداخلها .

اتجاهان لا ثالث لهما !

اذا دققنا النظر فى كافة الحلول التى عرضت فى هيئة الامم لوجدت أن هناك اتجاهين لا ثالث لهما . فاما استقلال وديموقراطية . . واما استعمار وعبودية .

فكل وطنى لا ينظر الى أى حل لمشكلة فلسطين الا من زاوية واحدة فقط . . هى زاوية حرية واستقلال فلسطين . ومن الغريب أنه اذا تأملنا فى كافة الحلول التى قدمتها انكلترا أو أميركا والدول العربية مهما اختلفت أشكالها وأساليبها لوجدنا أنها ترمى فى جوهرها الى بقاء الاوضاع الحالية بفلسطين ، لا تؤدى الا الى بقاء السيطرة الاستعمارية .

موقف انكلترا

قد يبدو عجيبا حقا موقف انكلترا من مشكلة فلسطين ، فهي تهدد بالجلاء وتظهر أمام العالم بأنها متمسكة به ، والجامعة العربية تؤكد طبعاً ان هذا صدق ولكن أيمن لانكلترا الاستعمارية أن تتخلى عن قواعدها بكل سهولة ؟ وخاصة في فلسطين التي تعتبر منطقة استراتيجية هامة بالشرق الاوسط ومن خلالها تمر أنابيب البترول .

ولكن تأمل معي كلمة المستر كريتشى جونز المندوب البريطانى التى تبدأ بأن تقول أن انكلترا لا ترغب فى التخلي عن انتدابها عن فلسطين فحسب ، ولكن ستجلبو عنها كذلك فى أقرب مدة ممكنة ، ولكن بعد ذلك يضيف شروط هذا الجلاء فيقول ، ان قرار بريطانيا مرهون بشرطين الاول انه فى حالة ايجاد تسوية بين العرب واليهود فانها - أى بريطانيا - على استعداد لان يستمر انتدابها على فلسطين حتى الموعد المحدد لاعلان استقلالها .

ومعنى هذا الكلام ان الجلاء معلق على ايجاد تسوية بين العرب واليهود ، وهذا طبعاً شرط يصعب تحقيقه طالما تهدد الجامعة العربية بالحرب - بعد جلاء البريطانيين - وطالما ينادى زعماء الصهيونيين كذلك بالحرب ضد العرب .

ومعنى هذا ابقاء الحالة الراهنة بفلسطين تحت ستار عدم ايجاد تسوية بين العرب واليهود .

الحل الاميركى

بدأ هرشل جونسون المندوب الاميركى خطابه فى هيئة الامم المتحدة بادعائه بأنه كان من نتيجة الحرب العالمية الاولى تحرير منطقة الشرق الادنى ومنها فلسطين ، وظفر بعض أقطارها بالاستقلال ، وان أميركا مغتربة اذ ترى أغلب هذه الدول أعضاء فى هيئة الامم المتحدة ! وأيد مندوب أميركا « مشروع التقسيم والسماح بالهجرة » .

ولكنه فى نفس الوقت تجاهل مسألة الغاء الانتداب ومسألة استقلال فلسطين . ويحاول حصر المشكلة كلها فى شكل الحكم دون التعرض بتاتا لفشل الانتداب البريطانى ودون اشارة الى أمانى سكان فلسطين الى الحرية والاستقلال .

الاقتراح العربى

أما الدول العربية ، تلك الدول التى تحايل الظهور بمظهر المدافع عن حرب فلسطين ومصالحهم ، فيتقدم مندوبو سوريا والعراق بمشروع جديد « يطالبون فيه بوضع فلسطين تحت وصاية دولية » .

ويعنى هذا الاقتراح بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية . الاحتفاظ بالحالة الراهنة بفلسطين ، فالوصاية الدولية تعنى بقاء المستعمر البريطانى ومن ورائه الاستعمار الأمريكى محتفظاً بسيطرته الغاشمة وتحكمه العسكرى واستقلاله الاقتصادى تحت ستار قانونى زائف . هو الوصاية .

ان هذا الاقتراح لينكر على سكان فلسطين حكم أنفسهم بأنفسهم . هذا الحق الذى لم تجرؤ دولة واحدة على انكاره . ان هذا الاقتراح لهو بحق خيانة كبرى ترتكب فى حق سكان فلسطين الذين يكافحون من أجل حريتهم واستقلالهم . ومن المهازل أن يصدر هذا الاقتراح عن الدول التى ترغم أنها تدافع عن عرب فلسطين .

ويجب أن نذكر هنا كيف تناسى العرب اقتراحهم الذى قدموه فى الدورة الاستثنائية لهيئة الأمم المتحدة والخاص باعلان استقلال فلسطين تناسوا هذا الاقتراح الان ، وفى الدورة التى تبحث الحلوى العملية لحل مشكلة فلسطين .

اتجاه آخر

مما سبق يظهر لنا كيف أن كلا الحلين الأمريكى والعربى لن يؤدىا إلا إلى بقاء الحالة الراهنة فى فلسطين .

ولكن ظهر فى المجلس اتجاه جديد ، اتجاه قوى للدفاع عن استقلال فلسطين وديمقراطيتها ، اتجاه يخدم بحق قضية حرية فلسطين الشقيقة ، هذا الاتجاه يظهر جلياً فى اقتراح الاتحاد السوفياتى .

حل الاتحاد السوفياتى :

فى ١٤ فبراير ١٩٤٧ ، وقف الرفيق غروميكو فى الدورة الاستثنائية لهيئة الأمم المتحدة ، يدافع عن استقلال فلسطين ، ووقف يقول : « كل هذا

أدى بالوفد السوفياتى الى نتيجة هامة هى أنه لا يمكن حماية مصالح الشعوب العربية واليهودية الا بتكوين دولة عربية مستقلة من العرب واليهود ، نكفل لكل من الجانبين حقوقا متساوية » .

ثم وقف الفريق غروميكو فى ١٤ مايو يعلن بقوة أن الحل واضح صريح وهو الغاء الانتداب وعلان الاستقلال فلسطين الشئ الذى تجاهلته بريطانيا وأميركا ، بل وتجاهلته الدول العربية نفسها .

هذا هو جوهر الفرق بين الحلول الاميركية والعربية وغيرها ، وبين الحل السوفياتى ، الحلول الاولى تتجاهل مسألة استقلال فلسطين ، والحل السوفياتى يؤكد ضرورة الغاء الانتداب وعلان استقلال فلسطين فى أقرب فرصة .

وها هو الفريق ساربيكين يتوقف فى هيئة الامم ويعلن بقوة فشل الانتداب البريطانى وطالب بانتهاء الانتداب البريطانى فى أسرع وقت ممكن وعلان استقلال فلسطين فى أسرع وقت .

ولكن قد يتساءل القارىء . ان الاتحاد السوفياتى قد أيد بقوة استقلال فلسطين فلماذا أيد مشروع التقسيم ؟

تقسيم فلسطين

حاولت الرجعية العالمية والصحف المصرية أن تشوه موقف الاتحاد السوفياتى فام تشر غالبيتها الى الفرق الواضح بين حلى أميركا والاتحاد السوفياتى ، ولم تشر الى طلب الاتحاد السوفياتى باعلان استقلال فلسطين فى أقرب فرصة ، وراحت تشوه موقفه وتعلن أنه وقف موقفا « معاديا » للعرب واييد مشروع التقسيم .

ولكن تعال بنا . الى أقوال جروميكو نفسه فى يوم ١٤ مايو ١٩٤٧ فقد قال يومئذ « ان انشاء دولة عربية يهودية موحدة يتمتع فيها العرب واليهود بحقوق متساوية يمكن اعتباره من الحلول الممكنة للمشكلة الفلسطينية لمصلحة الشعبين ولجميع سكان فلسطين ولامن وسلام الشرق الاوسط . واذا ظهر أن هذا الحل غير عملى بسبب سوء علاقات العرب واليهود فلا بد من تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين عربية ويهودية . وأنا أكرر بأن هذا

الحل لا يجب الاخذ به الا اذا ثبت أن العلاقات بين العرب واليهود تبلغ من سوء الحد الذي يمنع التعاون السلمى بينهما ، والذي لا يرجى معه أى إصلاح » .

هذا هو موقف الاتحاد السوفياتى منذ ١٤ مايو ، ويدل بكل وضوح أنه يؤيد الدولة الموحدة في فلسطين . . وأنه لا يقبل تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين الا تحت شرط واحد هو عدم امكان تعاون العرب واليهود . وقد كان هذا انذار لزعماء العرب واليهود للتصاهم وتحسين لعلاقات حتى لا يؤدى سوء العلاقات بينهم الى تقسيم فلسطين .

ومنذ ذلك التاريخ وزعماء الجامعة وزعماء الصهيونيين يعملون على اثارة الفتنة والفرقة ، وعدم التعاون بين الجماهير العربية والجماهير اليهودية كما يعملون على عدم وحدتها حتى لا توجه ضربتها للاستعمار في فلسطين .

وها نحن نرى أنه في الوقت الذى تجتمع فيه هيئة الامم المتحدة لتناقش مشكلة فلسطين يجتمع في نفس الوقت مجلس الجامعة العربية ليعلن حرباً على اليهود وليحاول تجميع العرب في جبهة لا ضد المستعمر ، بل ضد اليهود .

وبذلك ساعدت الجامعة العربية ، كما ساعد زعماء الصهيونيين الذين أعلنوا كذلك استعدادهم لمحاربة العرب ، ساعد هؤلاء على ازدياد سوء العلاقات بين العرب واليهود ، مما أدى الى استحالة التعاون بينهم في المرحلة الحالية . . والى اضطرار الاتحاد السوفياتى أن يختار حل التقسيم لينقذ فلسطين من البقاء في وضعها الراهن ، تحت سيطرة الاستعمار البريطاني .

ان الحل الذى قدمه الاتحاد السوفياتى هو انقاذ فلسطين الحقيقية فنحن أمام أحد أمرين : أما أن نقبل تقسيم فلسطين الى دولتين مستقلتين ، أى اعلان استقلال فلسطين وتحررها من السيطرة الاستعمارية ، أى أن تقبل الوضع الحالى ومعناه بقاء فلسطين تحت سيطرة الاستعماريين البريطانيين والأميركيين .

التحرر من الاستعمار

ان الجماهير العربية ، والجماهير اليهودية أمامها هدف واحد ، هدف أساسى هو تحرير فلسطين من نير الاستعمار وتحطيم كافة مؤامراته ومناورات

•• ولتحقيق ما يصبون اليه من حرية وديمقراطية ، عليهم أن يوحّدوا صفوفهم ، لا لاثارة حرب دينية بينهم ، بل لتوجيه الضربة القاصمة للاستعمار في هذه المرحلة التي ضعف فيها موقعه وأخرج مركزه •

كما يجب أن يكافحوا كتشعبين ضد سياسة زعمائهما التي ترمى الى التفرقة العنصرية بينهم ، والتي أدت الى هذا الموقف ، والى استحالة تكوين دولة موحدة مستقلة في فلسطين في هذه المرحلة ، ولكن حتى اذا تم تقسيم فلسطين فعلى الجماهير العربية والجماهير اليهودية أن تكافح جنبا الى جنب لايجاد الجو الصالح ، وخلق التفاهم بينهما لتكوين دولة موحدة ، مستقلة ، وديمقراطية في تمثيلها ، وتكفل فيها الحقوق المتساوية للشعبين •

ان مشكلة فلسطين هي مشكلة تحرر وديمقراطية ، أو استمرار للاستعمار والعبودية •

عاشت فلسطين حرة ، ديمقراطية ، مستقلة •

وليسقط الاستعمار وأعوانه •

هل تثار حرب دينية
في الشرق بدلا من
حرب تحريرية ضد
الاستعمار ؟ *
بقلم امام خليل **

يجتمع حاليا في ربوع لبنان مجلس الجامعة العربية ، والغرض من هذا الاجتماع على حد قول المشتركين فيه هو دراسة المشاكل الهامة التي تواجهها الدول العربية ، فكم كانت دهشتنا في مصر بعد أن رأينا النقراشي باشا يسافر شخصيا لحضور هذا الاجتماع أن نسمع وزير المواصلات يقول : ليست قضية مصر مدرجة بجداول أعمال مجلس الجامعة ، ولا أدى ان كنا نتستثار أم لا ! أما بالنسبة لقضية فلسطين فأننا نرى بؤادر تدل على اتجاهات خطيرة غير سليمة »

* *

استعمار متداعى :

ان موقف الاستعمار في الشرق الاوسط لا يحسد عليه ، فمصر تضغط عليه لطرده من أراضيها وشعوب سوريا ولبنان ترفض بشدة الخضوع لعملائه الأردنيين ، وفي العراق يلجأ الى أساليب فاشية للاحتفاظ بالحكم .

هند جديدة :

ازاء هذه القوة الشعبية النامية يلجأ الاستعمار الى سياسة سبق أن نجحت في الهند نجاحا كبيرا . . . وهي تفرقة صفوف الجماهير الكادحة الثائرة وتحويل كفاحها عنه باثارة اضطرابات دموية ، بل حروب دينية أهلية . .

* الجماهير ١٢/١٠/١٩٤٧ .
* امام خليل ، اسم مستعار .

نذير خطيرة :

انها لنذر خطيرة حقا .. فالاستعمار يجعل على تحويل الشرق الى ساحة قتال داهية ، وها هي خطب تلقى في الجلسة الافتتاحية لمجلس الجامعة العربية تدل على أن حكام العرب يسرون في الطريق الذي يريدون الاستعمار السير فيه ..

فقد تكلم جميل مردم بك عن « المارك الدامية المقبلة » وطالب الشيخ عيسى بطرد اليهود من فلسطين كما طرد الصليبيون من قبل .. ثم يقف الامين العام للجامعة العربية فيعلن في سياسة غاية في الخطورة ..

حرب عنصرية

قال عبد الرحمن عزام باشا « لقد فهمنا أن الارهاب اليهودي سيسجل من الضروري يوما الرد على القوة ، فمن الحقائق المؤسفة أن الدول العربية أخذت تشعر بأن القوة أصبحت ضرورية لرد الظلم عن فلسطين » .

هذه هي السياسة التي يرى الامين العام السير عليها .. اثاره حرب عنصرية طائفية دامية تنهك قوى الجماهير العربية واليهودية معا . فهل هذا هو حقا طريق انقاذ فلسطين وتحريرها ؟

وحدة في حرب ضد الاستعمار :

ان الجماهير الكادحة في فلسطين سواء أكانت مسلمة أم يهودية أم مسيحية ، بل ان الجماهير الكادحة في العالم كله اليوم ليست على استعداد للقيام بحركة دينية تفرق صفوفها وتحطم وحدتها وتنسبها عدوها الاساسي ألا وهو الاستعمار ، والذي لن يتأتى الخلاص منه باثارة حرب دينية بين العرب واليهود في فلسطين ، أو بين المسلمين والمسيحيين في لبنان ، بل بتوحيد صفوف كل الوطنيين المعادين للاستعمار أيا كان دينهم في جبهة تضم شعوب البلاد العربية للنضال والكفاح ضد قوى المستعمر ..

أما الاهتمام الشديد في مجلس الجامعة العربية باثارة حرب دينية في فلسطين ، وتجاهله التام لتكتيل شعوب العراق وسوريا ولبنان ومصر وشرق الأردن وفلسطين في جبهة تقوم بتحرير الشرق تحريرا تاما من كافة آثار الاستعمار فجريمة وأى جريمة .

نحن وفلسطين * بقلم د. ع

ليشهد التاريخ ، ولتشهد الشعوب
العربية ، اننا الوحيدون في مصر
الذين نقف باخلاص من أجل تحريرها
من ربقة الاستعمار ، ومن أجل حياة
سعيدة ، حرة ، ديمقراطية .

يكافح الديمقراطيون في كل مكان ضد قوى الاستعمار والطغيان ،
وهم لا يجدون منفذا ، ينفذون منه الى الاستقلال والحرية الا ودخلوه وحاولوه .
ونحن المصريين لا نعالج مشاكل شعوب المستعمرات الاخرى الا من
زاوية واحدة ، زاوية الاستقلال والديمقراطية ، هذا هو موقفنا دائما ، وهذا
هو موقفنا من قضية شقيقنا فلسطين .

لقد أيدنا ، ونؤيد ، وسنؤيد دائما ، قيام دولة موحدة عربية
يهودية بفلسطين ولكن على شرط ، وشرط واحد ، هو أن تتحرر فلسطين من
ربقة الاستعمار ، وأن تتمتع بالاستقلال التام والديمقراطية الحقيقية .

ونسجل أن هذا هو موقفنا الاخير .

ولذلك كنا نهجم دائما الفاشيين وأناب الاستعمار ، الذين
نفذوا تعليمات المستعمر بحقة ، والتي هدفها جعل التعاون بين الجماهير
العربية والجماهير اليهودية مستحيلا في المرحلة الحالية .

وأخيرا عوضت قضية فلسطين على هيئة الامم ، وطلب الى الدول أن تجد
حلا للمشكلة حلا يرضى العرب واليهود .

وبعد أن أثبتت جميع التقارير أن الانتداب البريطاني قد فشل ، كان
المستعمر بعد العدة ، ويمهد الجو لبقائه وتثبيت مراكزه ، فبدأ بالايحاء الى

الرجعية العربية والرجعية اليهودية لاثارة ما أسموه - بالحرب الدينية - ولخلق جو يؤدي الى استحالة التعاون بين العرب واليهود .

وهنا لعبت الدول الديمقراطية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي دور المحطم لمناورات الاستعمار .

فوقف جروميكو يقول : اننا أمام أمرين ، إما استقلال فلسطين ، وإما ابقاء حالة الانتداب البريطاني .

ولكن كيف يتم تحقيق هذا الاستقلال ، وزعماء العرب وزعماء اليهود رفضوا التعاون ورفضوا اقتراح جروميكو الذي تقدم به منذ ١٤ مايو الماضي والذي يرمى الى انشاء دولة موحدة ثنائية مستقلة ؟

هناك لم يكن بد أمام الديمقراطيين ومحبي الشعوب ، وأعداء الاستعمار الا أن يقبلوا حل التقسيم كأساس لاعلان استقلال فلسطين ، وقد اعترف جروميكو نفسه بأنه حل ردي ، ولكنه الحل الوحيد الذي يؤدي الى انتهاء الانتداب واعلان استقلال فلسطين .

عندئذ شعر الاستعمار البريطاني بالخطر يقترب ، وبنيهايته في فلسطين توشك أن تحل ، فماذا يفعل ؟ ليوغز الى الفاشيين والمصلين أذئاب الاستعمار ، كي يهاجموا المشروع ويزيدوا من حدة الخلاف بين العرب واليهود .

ويخرج أحمد حسين بالمقالات تلو المقالات كلها تردد كلام المستعمر نفسه ولننقارن كلام أحمد حسين بكلام الجاسوس الانجليزى فى الشرق الجنرال سبيرز الذى يقول : « ان العرب مستعدون للتضحية بكل شئ فى سبيل وحدة فلسطين » .

وتردد الجامعة العربية نفس هذا القول .

ويخرج أحمد حسين ليقول : « ان ما يطرب له كل أوروبى وأميركى أن تنتزع فلسطين من يد العرب والمسلمين لتعطى الى اليهود » .

كلا أيها الفاشى .. اننا لا نريد انتزاع فلسطين من يد العرب والمسلمين لنعطىها لليهود ، اننا نريد انتزاعها من يد الاستعمار لنعطىها للعرب واليهود دولة مستقلة ديمقراطية ، ويجب أن يعلم أحمد حسين وأمثاله اننا لا نوافق على مشروع التقسيم الا مضطرين وكأساس لاستقلال فلسطين ، وأمانا بعد ذلك كفاح ، وكفاح طويل للتقريب بين وجهات نظر الدولتين العربية واليهودية المستقلتين ، وتوحيدهما فى دولة واحدة مستقلة ديمقراطية .

حول القضية الفلسطينية *

بقلم بدوى **

تستमित الرجعية العربية الآن للاحتفاظ بفلسطين مستعمرة بريطانية . .
ويدل على هذا موقفهم المشابه تماما لموقف الاستعمار البريطاني ، ذلك الموقف
الذى يعطى الرجعية العربية فرصة الظهور بمظهر المدافع عن وحدة فلسطين ،
والواقع أن موقف الرجعية العربية المعادى لليهود هو الذى أدى الى حل التقسيم
كحل الوحيد للوصول الى استقلال فلسطين فالاتحاد السوفياتى والدول
ديمقراطية قد أبدت قيام دولة موحدة ثنائية مستقلة فى فلسطين وتركت هذه
مسألة للعرب واليهود ليصلوا الى اتفاق بشأنها ، فان كانت الرجعية العربية
ترمى الى وحدة فلسطين لرسمت سياسة تعاون مع اليهود ، الا أن تتبع
طريق الذى سلكته والذى يؤدى الى حرب أهلية لا يفيد منها سوى
المستعمر .

خطاب هيكل باشا :

وقد وضح فى خطاب هيكل باشا الاتجاه العنصرى المعادى لليهود ، بل
نف نفراً بين سطور هذا الخطاب تهديدا واضحا لليهود المصريين ، فقد قال
'ننا لا نتبع سياسة مقاومة الظلم بالظلم ، ولكن كثيرا ما تنغى جحافل
الشعب الهائج على قوات النظام وسيكون من الصعب فيما بعد اخماد الكراهية
لليهود ' .

ومعنى هذا الكلام أن الشعب المصرى سيقوم من تلقاء نفسه بالهياج
ضد يهود مصر . . وهذا ما نستبعده كل الاستبعاد ، فالشعب المصرى شعب
- صريح يدرك من هم أعداؤه ، ويعرف أن أعداؤه ليسوا يهود مصر ، بل أن
عدوه الاول هو المستعمر وأذنابه .

ولكن خطاب هيكل باشا بمثابة تمهيد للرجعية المصرية لتحويل أنظار
الشعب المصرى عن قضيته الوطنية ، والزج به فى حرب دينية لا حرب
تحريرية ضد الاستعمار .

* الجماهير ٣٠/١١/١٩٤٧ .

** بدوى . اسم مستعار .

كما أن خطاب ميكل باشا تمهيد للرجعية المصرية للقيام بحملة ضد الشيوعيين تحت ستار أنهم يأترون بأوامر اليهود ، بل انه تمهيد للقيام بحملة ضد اليهود الاحرار أنفسهم •

انذار

اننا ننذر الشعب المصرى بأن يتجنبه المؤامرة التى تحيكها الرجعية العربية ضده ، وضد حقوقه وحرياته ، وضد قضيته الوطنية •

ولتعلم الرجعية أن الشعب المصرى بكافة قواته يرنو الى اليوم الذى يجند فيه للحرب ضد المستعمر وتطهير البلاد من آثاره •

السلام ٠٠٠ السلام فلتكون كتابات وطنية مسلحة ضد الاستعمار * بقلم محمود النبوى

الشعب المصرى شعب ثائر ٠٠ شعب أبى وفى شديد الحساسية ، ظر
كثيرون من الانهزاميين والمترددين ان وباء الكوليرا قد حد من روحه المعنوية .
وظن البعض الآخر من الفاشيين والمصلين انه يسهل خداعه وتحريك كنفاده
عن الاستعمار .

ولكن ها هي المظاهرات تعمر أنحاء القطر ، وها هي الالوف من الشباب
خرجت وهى على أتم استعداد لتبذل دماءها للكفاح المسلح ضد الاستعمار ٠٠

وقد حاولت الرجعية واذايبها من الفاشيين والمصلين أن تحول هد
الكفاح الى كفاح عنصرى ضد اليهود ، بل حاول أحمد حسين أن يحول هد
الكفاح الى كفاح دينى ضد المسيحيين تحت زعم أن الاستعمار البريطانى انما
بمستعمرنا لانه مسيحى متعصب ضد الاسلام ، فيكتب فى آخر عدد من مجلة
مصر الفتاة يقول « انا نلقى انجلترا ، ونلقى أميركا ، ونلقى روسيا معا ، لانهم
جميعا خصمنا شنوا علينا حربا صليبية باسم الاستعمار تارة ، وباسم المدنية
تارة ، وهم فى كل ذلك مسيحيين متعصبون ، يريدون القضاء على الاسلام
والمسلمين » .

ومن الطبيعى ألا يحاول أحمد حسين أن يبين لنا لماذا يستعمر
البريطانيون بلادا لا تمت للاسلام بصلة ٠٠ !

بل خرجت علينا هيئة كبار العلماء لتفتى ٠٠ لا بوجوب حشد القوى
ضد المستعمر بل لتفتى بحشد القوى لاثارة دينية !

حاول كل هؤلاء تحريك كنفاحنا الوطنى الى كفاح عنصرى دينى ،
وحاولوا بكل الوسائل اقناع الشعب المصرى أن عدونا وعدو الشرق ، ليس
الانجليز ، وليس الاستعمار الانجلو - أمريكى ، بل أن العدو الاساسى لنا هم
اليهود ، فتخرج الصحف المأجورة ، ويخطب زعماء الجامعة العربية وعلى رأسهم

عزام باشا ، دون أن يذكروا كلمة واحدة ضد الاستعمار البريطاني . لقد حاولوا تحويل كفاح الشعب من أجل حقوقه وحرياته . . من أجل الديمقراطية ورفع مستوى معيشته ، بل أرادوا تحويل كفاحه عن العهد الحاضر .

ولكن الشعب المصرى الرازح تحت نير الاستعمار ، يعلم حق العلم أن العدو الاساسى للشرق هو الاستعمار ، وأن جميع المشاكل التى خلقت فى الشرق هى من صنع الاستعمار ، فهو الذى خلق بسياسته « فرق تسد » مشكلة فلسطين ، ومشكلة الهند ، ومشكلة الاكراد ، ومشكلة الدروز ، ومشكلة السودان ، ومشكلة العظبة وعمان . . الخ من كافة المشاكل التى لا نزال تعاني منها حتى الآن .

يعلم الشعب هذا ، ويعلم ان العهد الحاضر مسؤول عن الحالة التى وصل اليها وعن الكبت الواقع عليه ، فخرجت مظاهرات وهتافات الاساسية موجهة ضد الاستعمار ، ولتحرير وادى النيل فنسمع هتافات « أين الجلاء ياانقراشى » و « ليسقط الاستعمار » ، « تسقط انجلترا » ، بل هتف الشعب « تسقط الحكومة النقراشية » فأمرت الحكومة باطلاق النيران على المتظاهرين .

والشعب المصرى يعلم أيضا ، أن تحرير فلسطين ، بل تحرير الشرق العربى . يتطلب خطوة أساسية وضرورية لتحرير وادى النيل ، فوادى النيل الحر المستقل يمكن أن يعبئ القوى ويجند الملايين ويشترك اشتراكا أساسيا فى حرب يخوضها الى جانب الشعوب العربية لتحرير الشرق من نير الظلم والاستغلال والاستعمار ، لذلك هتف الشعب باخلاص وحرارة « اعطونا السلاح لتحرير الوادى » وتحرير فلسطين بل وتحرير الشرق .

فلتعبئ الشعوب العربية قراها ، ولتتكالف اليوم وتقف صفا واحدا ، صفا قويا ، تجند فيه الملايين ، ولتكون كتائب الوطنيين المسلحة فى كل مدينة من مدن الشرق المستعمر بل وفى كل قرية ، ولنعلمها حربا شعواء على المستعمر الغاشم ، ولنظهر الشرق من آثاره وشروءه .

ولنوجه نحن المصريين ضربتنا الى الخط الاول للاستعمار فى فايد وقناة السويس والسودان ، فلن يمكننا تحرير فلسطين وظهرنا مكشوفة للعدو ، وقوات الاستعمار تصوب نحونا نارها وقذائفها .

وليكن هدفنا الاول : أن نحرر وادى النيل ، لنتمكن من تحرير الشرق كله .

بيان من الحركة
الديمقراطية للتحريض
الوطني (حـ د ت و) *
حول قرار زعماء
الجامعة العربية

أيها المواطنون

اجتمع رؤساء الحكومات العربية خلال الاسبوعين الاخيرين وأذاعوا على العالم انهم على وشك اتخاذ قرارات عملية خطيرة تهتز لها أركان المعمورة . وتم الاجتماع في ظروف حاسمة بالنسبة لمستقبل الشرق العربي ، فالقضية المصرية راکدة بين ملفات مجلس الامن والاستعمار سائر في خطته لفصل السودان وادماجه في الامبراطورية البريطانية ، ولا زال العراق وشرق الاردن يرزحان تحت وطأة قوات الاحتلال وتدخل الاستعمار الاميركي في شؤون المملكة العربية السعودية يزداد يوما بعد يوم ويهدد استقلال سوريا ولبنان . الاستعمار البريطاني يعمل جاهدا على التخلص من قرار الامم المتحدة الذي يقضى بالغاء الانتداب والغاء عن فلسطين .

تطلعت الشعوب العربية المستعبدة المكافحة من أجل حريتها وسيادتها الوطنية لعل في قرارات رؤساء حكوماتها ما يساعدها على الخلاص من ذلير الاستعمار والاستبداد وأخيرا صدر البيان . . فاذا به يتجاهل وجود الاستعمار في شرقنا العربي تجاهلا تاما . واذا به يزمجر ويغلي دون أن يذكر كلمة واحدة عن قضايا شعوبنا الوطنية المشروعة ودون أى توجهه لكفاحها ضد عدوها الذود ، الاستعمار ، وحصر البيان نفسه في الحديث عن اليهود ، وما يديره رؤساء الحكومات العربية ضدهم .

صدر هذا البيان في الاسبوع الثاني من ديسمبر ١٩٤٧ . ووزع على نطاق واسع . ثم أعيد نشره في « الجماهير » عدد ٢١ ديسمبر ١٩٤٧ .

أيها المواطنون

ان سياسة الاستعمار التي سار عليها رؤساء الحكومات العربية هي المسؤول الاساسى عن تقسيم فلسطين . فلقد كان ولا يزال الضمان الوحيد لوحدة فلسطين هو العمل على ايجاد جو من اللفة والثقة المتبادلة بين الجماهير الكادحة العربية واليهودية . ولكن زعماء الجامعة العربية الحاليين وزعماء الصهيونية الخونة . . في الوقت الذي كانت فيه هيئة الامم المتحدة تدرس القضية الفلسطينية ملثوا العالم صياح باعدادهم للحرب بين العرب واليهود الامر الذي أدى بالقوات الديمقراطية في هيئة الامم بالموافقة على التقسيم باعتباره الحل العملى الوحيد في الظروف الحاضرة والذي يحقق الغاء الانتداب البريطاني وجلاء القوات الاستعمارية عن الاراضى المقدسة .

واليوم وقد اتخذت هيئة الامم قرارها بانشاء دولتين مستقلتين على أساس الغاء الانتداب وجلاء القوات الاجنبية عن فلسطين فان الطريق الوحيد لتوحيد الدولتين الجديتين يكمن في المساهمة الجدية في طرد الاستعمار مصدر التقسيم والانقسام ، وايجاد جو من الثقة واللفة بين العرب واليهود والكفاح ضد محاولات التفرقة العنصرية الاستعمارية .

ولكن رؤساء الحكومات العربية بدلا من أن يتخذوا مثل هذا الموقف كي يخلقوا الظروف المناسبة لتقدم الجماهير العربية واليهودية نحو الوحدة أصدروا بياضهم العنصرى الاخير مهددين فيه بالحروب والفتن الدينية ضد اليهود في الشرق العربى بأسره .

وهكذا فان رؤساء الجامعة العربية لا زالوا مستمرين في سياسة الاستعمار التي أدت الى انقسام فلسطين وتقسيمها والتي من شأنها أن تزيد من الفرة والانقسام بين سكان فلسطين وتتقضى بذلك على كل اتجاه نحو الوحدة وتعطى الفرصة للاستعمار لابقاء قواته وسيطرته على الاراضى المقدسة .

أيها المواطنون

ان الاستعمار والرجعية العربية في ازمة . فقد استقلت سوريا ولبنان وها هي فلسطين على وشك الاستقلال . وفي مصر حدد الشعب مطالبه بالجلء عن مصر والسودان دون تحالف أو محالفة ، ونادى ولا يزال ينادى بالكفاح المسلح ضد الاستعمار . وفي كافة البلدان العربية تقف الحركة الوطنية

حجر عثرة في سبيل المشروعات الاستعمارية . وتعانى النظم الحاضرة أزمة اقتصادية اجتماعية ، ويزداد كفاح الجماهير يوماً بعد يوم من أجل مستوى معيشتها ومن أجل حياة انسانية سعيدة .

وقد أخذت الحكومات العربية الحاضرة والعهود التي تمثلها تنكشف أمام الجماهير وتنفض سياستها الموالية للاستعمار والمعادية للديمقراطية ، وأخذت حركة المعارضة تشتد وتوسع .

أمام هذه الازمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية يرى الاستعمار والرجعية الا مخرج لهما منها سوى اشعال حرب العنصرية في الشرق العربي . ينهى الشعوب عن أهدافها الوطنية ومطالبها الاقتصادية والاجتماعية وتحول أنظارها عن العهود الحاضرة المعادية للديمقراطية . وقد وجدوا في فلسطين نقطة البدء لتحقيق هذه السياسة الاجرامية .

في ضوء هذه الحقائق نستطيع أن نفهم البيان الذى أصدره رؤسب الحكومات العربية ، انه يرمى الى وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا الوطنية المقدسة ضد الاستعمار الى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار ، انه يرمى الى صرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح . انه يرمى الى تحويل أنظار المعارضة الوطنية الديمقراطية عن العهود الرجعية الحاكمة في الشرق العربي وعن مؤامراتها لتكثيله في كتلة استراتيجية خاضعة للاستعمار .

أيها المواطنون

احذروا ، واستيقظوا ، فالمؤامرة خطيرة واسعة ، وأعوان الاستعمار الذين كادوا أن يكبلوا وطننا بمشروع صدقى بيفن هم أنفسهم الذين يساهمون مع نورى السعيد (صدقى العراق) وزعماء شرق الاردن (أصحاباء بريطانية الاوائل) في تنفيذ هذه الخطة الأثمة .

ان الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى لتتجه الى كافة الوطنيين الديمقراطيين في الشرق العربى للنضال ضد هذه المؤامرة الاستعمارية والكفاح من أجل وحدة الشعوب العربية ، واعلان الحرب الوطنية المقدسة ضد الاستعمار . وتدعو كافة الوطنيين والمخلصين لقضايا الشعوب العربية الى توحيد صفوفهم بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية والسياسية في جبهة وطنية متماسكة والاستعداد الكفاح المسلح لتحرير وادى النيل من برائن الاستعمار ، فوانى

النيل الحر الديمقراطي خير ضمان لاستقلال الشرق العربي بأسره وكفاحنا من أجل وادى النيل هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين والشرق من الاستعمار والخونة •

- عاشت فلسطين حرة مستقلة •
- عاشت وحدة الشعوب العربية •
- لتسقط مؤامرة الحرب الدينية •
- عاشت الحرب الوطنية ضد الاستعمار •
- عاش وادى النيل حرا ديمقراطيا •
- وليسقط الاستعمار وأذنا به •

الجامعة العربية تؤيد
تقسيم فلسطين
على شرط ابقاء
الاستعمار فيها *
بقلم د.ع

لقد علمنا أن السبب الذي من أجله حضر نوري السعيد باشا الى القاهرة وحضوره جلسات مجلس الجامعة العربية ، هو محاولة اقناع زعماء الجامعة بالوافقة على مشروع موريسون كأساس لحل مشكلة فلسطين ، وقد علمنا أن الجامعة العربية قد وافقت على عرض الموضوع على مجلس الامن على أساس هذا المشروع . .

فما هو سر هذه المؤامرة الخطيرة . . ؟

منذ أن قررت هيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين على أساس جلاء القوات البريطانية و اعلان استقلال الدولتين (العربية واليهودية) ، والجامعة العربية تقوم بدعايتها الواسعة على رفضها لهذا المشروع وتمسكها « بوحدة فلسطين » .

وقد كتبت « الجماهير » منذ اللحظة التي قرر فيها مشروع التقسيم أن الجامعة العربية ليست « ضد التقسيم » بل انها تؤيد التقسيم اذا أدى الى بناء الجنود البريطانيين في فلسطين .

فسياسة الجامعة العربية ومحاولتها اثارة حرب دينية بين العرب واليهود تدل بكل وضوح على عدم اخلاصها لوحدة فلسطين ، فقد بينا في اعداد سابقة أن سياسة اثارة الحرب الدينية والعنصرية لن تؤدي الا الى اقناع اراى العام العالمى بضرورة التقسيم ، وانها تهدف أولا وقبل كل شئ الى اثارة الاضطرابات في فلسطين فتعزقل بذلك انسحاب الاستعمار البريطانى وتؤخر استقلال فلسطين .

مؤامرة جديدة

وها هي مؤامرة جديدة تطبخ في محاولة الجامعة العربية لاثارة قضية فلسطين أمام مجلس الأمن (عن طريق احدى الدول العربية والمرجح انها سوريا) وانتهاز فرصة مناقشة المجلس لقرار هيئة الأمم المتحدة الخاص بها ، لمحاولة حل القضية على أساس « مشروع موريسون » الذى وضعته الحكومة البريطانية كحل للقضية الفلسطينية .

« ما هو مشروع موريسون » ؟

طبقا لهذا المشروع ، تتكون منطقة عربية تشغل ٣٨٪ من مساحة فلسطين ومنطقة يهودية تشغل ١٧٪ ، والباقي بما فيه القدس يبقى تحت ادارة - بريطانية مباشرة .

وليس معنى هذا المشروع تكوين دولة عربية مستقلة أو دولة يهودية مستقلة ، بل تتكون حكومة مركزية لفلسطين تعينها بريطانيا ، أى ابقاء السلطات الحقيقية فى أيدي الحكومة البريطانية المركزية ، ومعنى ذلك اعطاء سلطات جديدة للمندوب السامى البريطانى ، فضلا عن اشرافه على المناطق التى ستبقى تحت السيطرة المباشرة للبريطانيين سوف يعطيه من السلطات ما يسمح له بالتدخل فى كافة أعمال المناطق المستقلة استقلالا ذاتيا شكليا ، عربية كانت أم يهودية .

ويشير المشروع الى أن الجيش والبوليس والمحاكم والشؤون الخارجية والضرائب ووسائل المواصلات كل هذه المرافق ستبقى بين أيدي الحكومة المركزية البريطانية . وهذا هو « مشروع موريسون » الذى لا يغير فى الوضع فى فلسطين من ناحية السيطرة البريطانية والحكم الاستعمارى ، ويمكن أن يضاف متاعب جديدة ومناوشات حادة بين العرب واليهود عندما يحدد الاستعماريون حدود المنطقتين العربية واليهودية .

ولكن بالرغم من ذلك ، وبالرغم من ابرام هذا المشروع الذى يرمى الى ابقاء فلسطين مستعمرة بريطانية يستغل الاستعمار مواردها وسكانها وينهب خيراتها ويحولها الى قاعدة حربية له يرسل منها جيوشه وعتاده لتعطيم الحركات الوطنية فى الشرق ، بالرغم من كل هذا يصلنا أن الجامعة العربية توافق عليه كأساس لحل مشكلة فلسطين .

الجامعة العربية ليست ضد التقسيم ولكن !!

ومعنى هذا أن الجامعة العربية ليست ضد التقسيم ، فمرافقتها على « مشروع موريسون » أكبر دليل على تأييدها للتقسيم . .

ولكن الجامعة العربية ضد انسحاب الجنود البريطانيين ، أى ضد استقلال فلسطين فمشروع موريسون الذى ننوى أخذه كأساس لحل القضية ، أساسه بقاء السيطرة - البريطانية على فلسطين واخضاع سكانها للاستبداد والاستغلال .

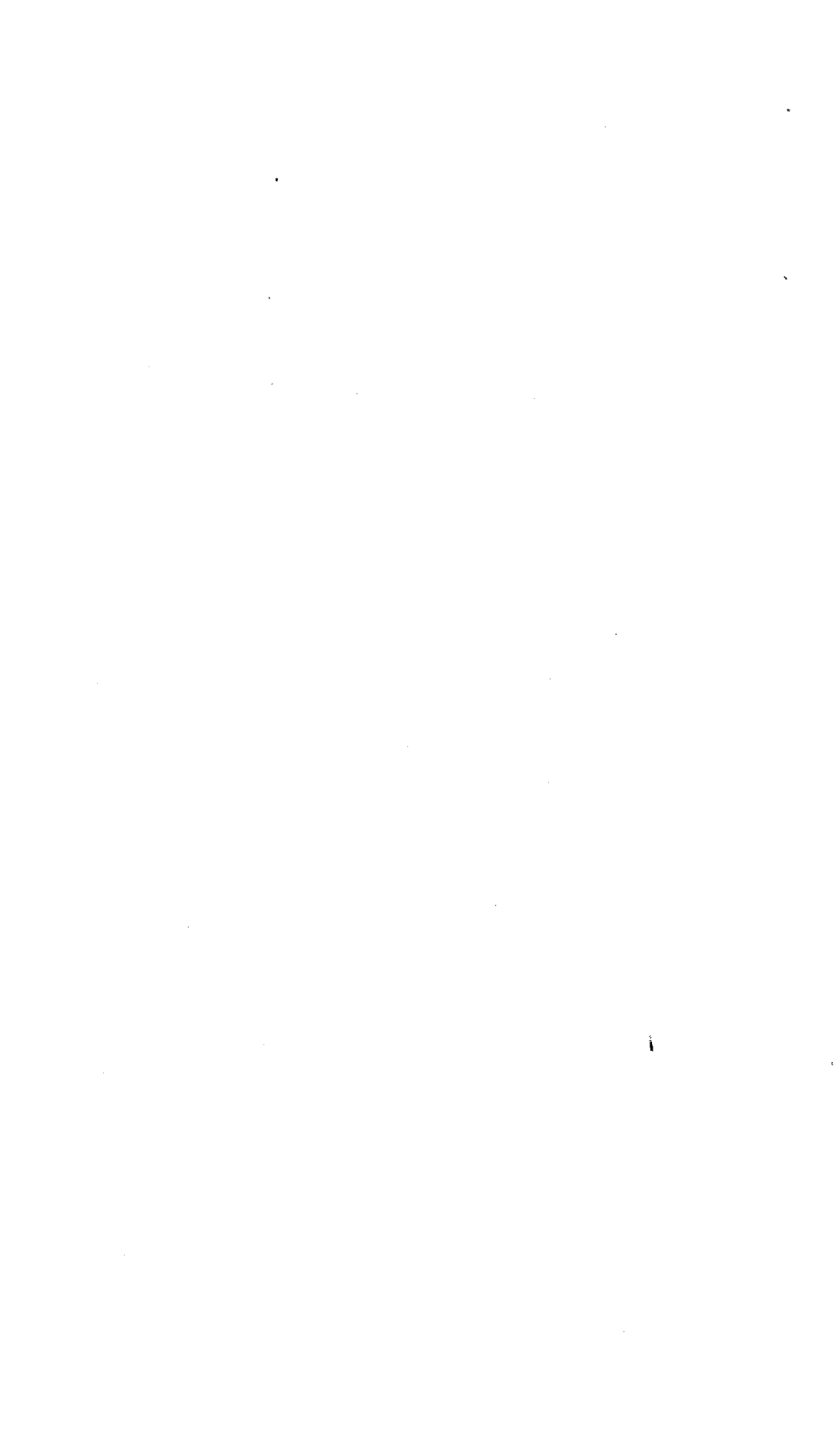
أوقفوا المؤامرة .

ان على الشعوب العربية التى تكافح للتحرر من نير الاستعمار ، أن توقف هذه المؤامرة فهذه الشعوب التواقّة للحرية والاستقلال ترفض بقوة وتنفس مشروعاً لا يؤدى الى حرية فلسطين واستقلالها .

وعلى هذه الشعوب أن تقف جبهة واحدة وصفا واحدا لتخطيم مشاريع الاستعمار ومؤامراته وتطهير فلسطين من أعوانه وأذنابه وتحقيق الديمقراطية والاستقلال لكافة الشعوب العربية .

وثنائق

يوسف حلمي
مجموعة روما



لم يكن يوسف حلمى شيوعيا ، لكنه كان واحدا من العناصر الوطنية الثورية التى ذأقت معنى الوحدة الوطنية ومعنى اقامة تحالف وثيق مع كل القوى الوطنية والثورية فى مصر . ومد له الشيوعيون أيديهم فتلقفها كجزء من التحالف العام الذى أقيم بين « حدثو » وبين بعض قيادات الاحزاب الوطنية ومنها « الحزب الوطنى » الذى كان يوسف حلمى واحدا من قادته .

ومع انبعثت حركة السلام العالمية كان يوسف حلمى واحدا من طلائعها المبكرة ، وكان السكرتير العام للجنة الوطنية المصرية لانصار السلام .

ومع اشتداد حملات الارهاب فى عام ١٩٥٤ اعتقل يوسف حلمى ثم أفرج عنه ثم هرب من مصر . وفى فرنسا أقام .

وهناك كانت « مجموعة روما » وهى مكونة من هنرى كورييل « ومجموعة من الشيوعيين المصريين ذوى الاصل الاجنبى الذين لجؤوا عن مصر بعد اخلاء المعتقلات عام ١٩٥٠ . وهناك اعتبروا أنفسهم « خلية » تابعة لحدثو . وأطلقوا على أنفسهم اسم حركى هو « مجموعة روما » (وكان هذا الاسم سببا فى أخطاء عديدة وقع فيها الكثيرون عندما أكدوا أن مقر هذه المجموعة كان فى روما ومن هؤلاء والتر لاکور فى كتابه :

Communism and Nationalism in the Middle-east.

وبطبيعة الحال كان من المفترض أن نشاط هذه المجموعة يسير تقريبا فى نفس الخط السياسى لحدثو .

وبعد الوحدة التى تمت بين (حدثو) وعدد من المنظمات الصغيرة والتى أسفرت عن تأسيس الحزب الموحد ونتيجة لتواجد قيادة موحدة جديدة بدأ وضع هذه المجموعة يهتز لكنها واصلت نشاطها وأصدرت عدیدا من النشرات وركزت جهودها فى الاساس دفاعا عن المعتقلين والمسجونين من الشيوعيين المصريين .

وكانت هذه المجموعة تصدر نشرة بالفرنسية والعربية بعنوان « كفاح شعوب الشرق الاوسط » ، كانت تجعل منها منبرا للدفاع عن المضطهدين في كل المنطقة وخاصة الشيوعيين المصريين .

وقد ظلت هذه المجموعة في العمل حتى صدر قرار بحلها بعد اتحاد الحزب الشيوعى المصرى الموحد مع مجموعة الحزب المصرى (الراية) وتكوين الحزب الشيوعى المصرى المتحد . وقد كان صدور العدد الذى نعرضه الآن من مجلة « كفاح شعوب الشرق الاوسط » عن مجموعة روما ، وما تضمنه من آراء حول القضية الفلسطينية أحد الاسباب التى تمسك بها البعض - فيما بعد - طلبا لحل مجموعة روما .



وفى باريس التقى يوسف حلمى بهذه المجموعة . ومن خلالها قام بنشاط كبير . . نعرض منه هذه الوثائق .

فقرات من خطاب يوسف حلمي
المسكرير العام للجنة الوطنية
المصرية لانصار السلام في
الجمعية العالمية لقوات
المسلم بهلسنكي *

« .. » وعندما نتكلم عن سياسة مصر الخارجية فلا يمكننا أن نتجاهل مشكلة اسرائيل وهي مشكلة تهدد بصفة دائمة ومتعمدة أمن شعوب المنظمة بما فيها شعب اسرائيل ، وكانت تبدو في بعض الاوقات مستعصية عن الحل .

ولكننا نعتقد أن الوقت قد جاء لكي تبذل جهود شعبية مضاعفة لوضع حد لحالة التوتر وسفك الدماء .

ان القرار الذي قدمه مؤتمر بانكونغ خاصا بهذه المشكلة يعطى مبادرة هامة للمدافعين عن السلام في البلاد العربية وفي اسرائيل لحلها ، لانه يدعو الى الحل السلمي .

ان أهمية هذا القرار تأتي أيضا في أنه مقدم من مصر بعد موافقة الدول العربية ، وهو أول موقف رسمي من هذا القبيل ينبغي أن يقابل من اسرائيل الرسمية ومن اسرائيل الشعبية بخطوة مماثلة .

✽ « كفاح شعوب الشرق الاوسط » نشرة بالرونو كانت تصدر باللغة العربية في باريس تحت شعار « في سبيل النحر الوطني والديمقراطية والسلام » نشرة دورية يصدرها الحزب الشيوعي المصري الموحد - ومن الصعب الزعم بأن هذه النشرة كانت تعبر في كل موضوعاتها عن رأى قيادة الحزب ، ولكنها كانت في أغلب الاحيان تعبر عن رأى مجموعته المقربة في باريس والتي كتب يوسف حلمي كل ما سيلى من وثائق متأثرا بأرائها .

والنشرة مشار على غلافها الى انها « عدد خاص من أجل السلام في الشرق الاوسط » العدد التاسع - نوفمبر ١٩٥٥ .

وقد أثرت فيما سبق الى حديث أدلى به البكباشى جمال عبد الناصر رئيس الحكومة المصرية الى مجلة « نيوزبك » الاميركية ، وهو عن مشكلات فلسطين ، وقد نشر في جريدة « الجمهورية » شبه الرسمية في القاهرة في ٣ مايو . وأرى أن أتلو عليكم بعض الفقرات المعبرة من ذلك الحديث الخطير . فقد قال : « أعتقد أنه من الممكن أن يكون هناك تحسن (أى فى العلاقات بين العرب واسرائيل) . اذا أظهرت اسرائيل رغبة فى قيام **سلام عادل** . **اننا لا نطالب بأن يكون السلام على أساس شروطنا** . ولكننا نتمسك بأن تظهر اسرائيل رغبة طيبة واخلصا لقبول قرارات الامم المتحدة » .

ولما سألته مراسل الجريدة الاميركية عن الشروط التى يراها تؤدى الى السلام بين العرب واسرائيل قال :

« ان الشرط الاول هو أن تبدى اسرائيل رغبة صادقة شريفة فى اقرار اسلام والتعايش السلمى » .

وقال ردا على سؤال آخر :

« ليست لدينا أية مقاصد عدوانية ضد اسرائيل أو ضد أية أمة أخرى . **واننى كجندى أود أن أقول اننى شاهدت كثيراً من ويلات الحرب بحيث أصبحت أشعر بالرغبة الخاصة فى السلام** » .

ان هذه التصريحات الخطيرة من رئيس حكومة مصر تشكل اتجاها حديدا فى السياسة العربية خصوصا اذا وضعت تحت ضوء الخطط المصرية البارزة فى خلال هذا العام .

اننا بلا شك ضد كل صلح يكون غرضه الوحيد تكبيل بلاد الشرق الاوسط كلها بحلف عسكري مرتبط بحلف الاطلسي ، ولكننا نريد السلام العادل بين الشعوب العربية وشعب اسرائيل . وهى أول مرة يعلن فيها العرب رغبتهم فى التعايش السلمى مع اسرائيل . وبأنهم انما يطلبون سلاما عادلا ، ولا يضعون شروطا مسبقة . وانما سلاما على أساس قرارات حيئة الامم .

نعم ، ان الوقت قد حان لكى يأخذ المدافعون عن السلام فى البلاد العربية وفى اسرائيل زمام المبادرة من أجل اقرار سلام شعوبى لا سلام اميركى ، من أجل احباط خطط المستعمرين ودعاة الحرب ، من أجل ازالة التوتر فى هذه المنطقة الذى هو جزء من التوتر العالمى .

ان حالة التوتر القائمة بين العرب واسرائيل تزداد حدة كلما نزلت البلاد العربية على ارادة السادة الاميركان ، وهى تخف حدتها كلما أخذت مصر موقفا استقلاليا أو سلاميا .

ولكن هل يمكن أن يتحقق السلام الحقيقي بين العرب واسرائيل دون أن تتدخل ارادة الشعوب لتفرض سلامها هى ولتراقب تحقيق هذا السلام ؟

لا يمكن أن نتجاهل مطلقا أن حكومة اسرائيل الحالية وبعض الحكومات العربية أيضا انما هى أدوات منفذة لارادة السادة الاميركان والانكليز ، فاذا لم تعبأ ارادة شعوب هذه المنطقة تعبئة كاملة لفرض السلام الذى تريده لا السلام الذى يريده الاستعماريون فسنجد انفسنا اما أمام صلح يستهدف تكوين حلف عسكرى جديد ، واما لا سلام على الاطلاق .

ومن هنا فانه على الشعوب أن تتحرك . . . على أنصار السلام فى اسرائيل وفى البلاد العربية ان يبادروا ويتحركوا ويتجمعوا وينسقوا جهودهم وكفاحهم لفرض السلام الذى تريده شعوبنا العربية وشعب اسرائيل .
ان السلام بين العرب واسرائيل ضرورى ليس فقط من أجل السلام العالمى ، بل من أجل استقلال بلادنا .

لم لا يعقد مؤتمر بين المدافعين عن السلم فى الشعوب العربية واسرائيل لوضع أسس مبدئية للسلام العادل وللتعايش السلمى ؟

أيها الاصدقاء الاعزاء ، انها لطويلة ومجيدة تلك المرحلة التى مرت عليها حركة السلام العالمية . والانتصارات التى أحرزت هى فخر الانسانية وستكون جزءا من تركتها الثمينة ولكن الهدف لم يتحقق بعد . ان عالما من الازدهار والموسيقى والكتب والحب ، عالما لا تفوح منه رائحة البارود وليس فيه مدافع ولا فقر ولا كره ، ان عالما كهذا قد أخذ يلوح فى الأفق ولكنه لايزال بعيدا . فان كنا نرغب حقا فى العيش فى عالما كهذا ان كنا حقا نريد أن نتمتع بثمار نضالنا المر مذاق من أجل السلام ، فان ذلك يتطلب منا الاستمرار فى النضال بعناد وبحماس دون كلل أو وهن .

وهذا ما أعدكم به باسم الشعب المصرى .

خطاب من يوسف دامي
المحامي الى البكباشي
جمال عبد الناصر*

السيد البكباشي جمال عبد الناصر - رئيس مجلس الوزراء -

بالقاهرة

لك مدى التحية بقدر ما أنت مخلص لقضية الاستقلال الوطني والسلام
العالمي ، الذين أثبتت الاحداث انها كل لا يتجزأ ، كما لعلك الان توافقني .

ان مشكلة اسرائيل قد عادت الى الوجود هذه الايام أكثر حدة وعنف ،
وهي تشغلني كما تشغلك وتشغل شعبنا بل وتشغل الرأي العام العالمي
أيضا . ولذلك رأيت أن أكتب لك فيها هذه السطور السريعة قبل أن
تتفاقم الامور وتستعصى على العلاج .

يخال الى انك لكي تسلك سياسة صحيحة تجاه مشكلة اسرائيل
يتلغى أن تعبد النظر في مفهومك عن هذه المشكلة .

وأحب أن أضع تحت التفاتك النقاط الاتية :

(١) عندما برزت هذه المسألة الى عالم الوجود أدركت حكومة
الاتحاد السوفياتي أية لعبة قذرة يدبرها الاستعمار الغربي لشعوب هذه
المنطقة ، فنادى بحق وجود دولتين ديمقراطيتين مستقلتين أحدهما تضم
أغلبية الشعب العربي والذانية تضم أغلبية الشعب اليهودي . وكان ذلك
الحل تطبيقا لسياستهم الخطئية الناجحة بالنسبة للقوميات في داخل

* كان هذا الخطاب والوثيقة التي تليه والمعنونة « بيان الى شعب
اسرائيل » مقارا لحملة عاذية نظمها عبد الناصر ضد يوسف حلمي أنتهت
بابعاده من الحياة السياسية . . وقد نشر الخطاب في نشرة « كفاح
شعوب الشرق الأوسط » - المرجع السابق ص ٧ .

بلادهم نفسها ، وتطبيقا للدستور السوفياتى الذى يعطى كل شعب من شعوب السوفيات حق الانفصال فى دولة مستقلة .

وهنا صاح الاستعمار - ويا للعجب - يندد بالمقترحات الروسية ويتهم روسيا بالصهيونية وبخيانة مصالح العرب وتعصبها لليهود ..

(٢) عندما أيد فريق من الشيوعيين (الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى) مقترحات الاتحاد السوفياتى وعندما حذروا شعبنا والشعوب العربية من الحرب القذرة التى يجبرها الاستعمار بالاشتراك مع الملك الخائن وعصابته كاشفين عن أن أحد أغراض هذه الحرب هو تنوير الحركة الوطنية وتحويل انطاقة الثورية للشعب لامتراجها فى فضاء سيناء وبطاح فلسطين ، فتكوا بهم وقالوا عنهم خونة يتلفون تعليماتهم من موسكو وتستأجرهم الصهيونية .

(٣) وعندما صوتت أغلبية الامم المتحدة لمشروع التقسيم - الذى نطالب به الان على لسان باندونج - أبدع النفاق الاستعمارى أيما ابداع وهو يصوت للمشروع ويوعز فى الوقت نفسه الى الحكومات العربية وقتذاك برفضه .

(٤) ولعب الاستعمار - كما تعلم طبعاً - بحرب فلسطين أمهر تلاعب وحركها كمها وجهها يوما هنا وهناك ، ولما انتهى دور الحرب القذرة أوقفها فى اللحظة التى يريد ، وبالشروط التى تحقق له خطط المستقبل .

(٥) وهكذا ضاعت الدولة العربية الديمقراطية المستقلة ، وقامت الدولة الاسرائيلية ولكن دون أن تكون مستقلة ودون أن تكون ديمقراطية ، لكى تظل حكومتها التابعة للاستعمار الانجلو - اميركى شاويش الاستعمار فى المنطقة ورأس الحربة المسددة الى حركات التحرر الوطنى فى البلاد العربية ، وخاصة فى مصر .

(٦) وظلت أبواق الاستعمار وعملائه تبت فى رأينا العام مشاعرا انكراية والتعصب وسوء الظن ضد اسرائيل وتفعل فى اسرائيل مثل ذلك ضدنا ، لابقاء حالة التوتر القائمة ولاستخدامها فى صالح مآربها السافلة وأطباعها فى السيطرة على بلادنا واستغلال شعوبنا ، بحيث منعت كل تفكير فى امكن تحقيق سلام عادل وحل هذه القضية بالطرق السلمية .

(٧) حتى كان مؤتمر باندونج الظاهر الذى تبنى بالاجماع القرار السديد الذى قدمه الوفد المصرى بحل المشكلة حلا سلميا على أساس قرارات الامم المتحدة ، وكان هذا القرار مع غيره لطفة أصابت قلب الاستعمار فى الصميم ،

لطمه ما زال يثقل منها حتى الان كما نراه ونسمعه في هذين سياسيين
كبار وصحف تنطق بأسمائهم •

(٨) غير أن الامر الغريب غاية الغرابة أنه لم تحصل حتى اليوم خطوط
ايجابية لوضع هذا القرار موضع التنفيذ ، فبديهي أنه ليس يكفى اصدار
قرار لكي ينفذ نفسه ، فهو لن نفذ الا اذا كافحنا من أجل تنفيذه كفلاح
الابطال ، فالاستعمار سوف يضع كل عراقيل ممكنة في طريق أى حل
سلمي لان اقرار السلام بين الدول العربية واسرائيل سوف يحطم رأس الحرب
المصوبة الى ظهورنا والى قلب سياسة الاستقلال الوطنى والسلم العالمى التى
ندمكسك بها الان حكوماتنا وعلى رأسها حكومتا مصر وسوريا •

(٩) ألم يعد واضحا وضوح الشمس لكل بصير انهم سلخوا غدرا ومن
وراء ظهوركم جيش اسرائيل تسليحا ضخما ليدبروا به المجازر هنا وهناك
على الحدود ، ملوحين لكم بعد كل مجزرة بقبول حلف الشرق الاوسط العسكرى
وظالين منكم الركوع تحت أقدام النفوذ الانجلو - اميركى ؟

(١٠) هنا تتقدم الحكومة التشيكوسلوفاكية وحكومة الاتحاد
السوفياتى لاحباط مؤامرات الغرب ، لرفع الضغط عنا ، لافساد خطط الغدر
والخيانة ، لتحطيم سياسة التدخل الاجنبى فى شؤوننا ، لكفالة استقلال
أدمننا ، لاقامة التوازن الذى يدعم السلم ويجعل المغامرون يفكرون طويلا
قبل الاقدام على المغامرة ، فتعرضان تزويد الجيش المصرى بالاسلحة
الجبارة ضمن صفقة تجارية عادية لا تصحبها شروط سياسية •

(١١) لصفقة الاسلحة هذه - فى رأى - أهمية أعظم جدا من الاغراض
السابقة ، ان أهميتها العظمى هى فى أنها رفعت كثيرا من قدر مصر فى أعين
جميع الشعوب المحبة للسلام لا لأن مصر أصبحت قوية عزيزة الجانب ، ولكن
لأنها أكدت ثقة العالم أجمع فى النوايا السلمية لحكومتها ، فما كانت
تشيكوسلوفاكيا - احدى دول معسكر السلام - لتزود أحد بالاسلحة بغية
الكسب المادى ، أو بغرض ترويج بضاعة فاسدة ومدافع لا تتطلق من الخاف ،
ولكنها قدمت الاسلحة المشهورة بدقتها وهى (آخذة بعين الاعتبار) سياسة
الاستقلال الوطنى والسلم العالمى للحكومة المصرية ، وهى واثقة من أنها
أن تستعمل فى العدوان وانما فى الدفاع عن استقلال البلاد •



(١٢) ولكن ماذا بعد ذلك ؟ هل هذا يكفي ؟ ان جمعية الاستعمار من تخلو من الحيل والمكائد ، فلماذا لا تقطع رأس الافعى وتنتهى ؟

أما كيف تقطعها فتلك هى المسألة كما يقول هاملت .

سيقول بعضهم ، وهم موجودون فى معسكرك وحولك وفيمن يدعون انهم رجالك سيقول هؤلاء الحمقى أو الجواسيس ان شئت ، أو ان شئت فعلماء الاستعمار - نلقى باسرائيل الى البحر .

ولا شك فى أنك تعى فى أن أقل ما يستحقه قائل مثل هذا الهذر أن يموت ضربا بالنعال لا بشئ آخر . ان اسرائيل قد وجدت ، وستوجد وسيستحيل القاؤها فى البحر .

واذن ؟

لا حل الا تنفيذ قرار باندونغ : - الحل السلمى لمشكلة فلسطين على أساس قرارات الامم المتحدة .

وهنا يقتضىنى الموقف بعض الايضاح .

ينبغى أن نفرق تفريقا دقيقا بين حكومة اسرائيل والعنصر الاستقرازية فيها ، وبين جموع الشعب الذى يتوطن فى هذه الدولة ، والذى يحمل وحده أعباء الحرب ومهالكها ، والذى يسقط رغما عنه فريسة للدعاية السموم المسلطة عليه ليل نهار .

ان كل فرد فى هذا الشعب وكل فرد فى أى شعب آخر ، لا يريد أن يموت ولا أن يقتل أحد - كل واحد يريد أن يبقى فى دماء بيته وعطف أمه وحب زوجته وضحك أطفاله .

ولكنه عندما يتسمم بفكرة ملحة تتكرر على مسامع كل يوم كما يحدث الان - بأن مصر تتسلح لكي تهدم بيته وسعادته وتفتك بأطفاله وتقضى على وطنه فسوف يسهل على دعاة الحرب أن يسوقوه الى المجزرة كما تساق الانعام .

فلتعرف هذه الحقيقة ، ولتكن فى فهمنا عندما نقول أن الحل الوحيد هو تنفيذ قرار باندونغ .

والآن كيف السبيل الى التنفيذ ؟

أرأيت الى الاتحاد السوفياتي كيف يرفع شعارات السلام الى أعلى
مَنان في سياسته الداخلية والخارجية ؟

أرأيت كيف أن هذه الدولة الجبارة المؤيدة بالقارة الصينية وبدول
الديمقراطيات الشعبية وبعطف ومشاركة جميع شعوب العالم المتعلقة بالسلام،
لا ترى في رفع هذه الشعارات مظهر ضعف أو خوف ، وإنما دليل قوة وحيوية
وثقة بالنفس وإيمان بالقضية والانسانية وبالمستقبل ؟

أرأيت كيف يهربون منها لتلاحقهم ؟ وكيف يبتعدون عنها فتقترب
منهم ؟ وكيف يرفضون مشروعاتها السلمية فتتقدم لهم بغيرها ثم
بغيرها ؟

أرأيت كيف تختصر سياسة السلام هذه وكيف تتراجع سياسة
الغرب ؟

لماذا لا تفعلون مثل ذلك ؟ لماذا ترفضون دعوة بن جوريون ؟ بل
لماذا تتركرون له المبادرة ولا تبدأون أنتم حتى لا تدعوا له مجال الدعاية
في العالم بأنه يطالب السلام وتطلبون الحرب ؟

لماذا لا تخاطبون شعب اسرائيل بكل اللغات شارحين له قضية
السلام الحقيقية ، وحقوق عرب فلسطين وقرارات الامم المتحدة وقرار
باندونغ ؟

لماذا لا تقولون له لقد انقضى عهد الحكومات الملكية الخاضعة
للاستعمار والتي كان من مصلحتها المشتركة مع الاستعمار ابقاء حالة
الوتر واشاعة الكراهية والبغض والحذر بين العرب واليهود ، وبأن البلاد
العربية دخلت في طور استقلالي جديد لا ينكر حقوق الشعب الاسرائيلي
وأنما يريد أيضا حقوق الشعب العربي ، ومصالح الشعبين لا تتناقض .
وأخيرا فإن الحل العملي الوحيد هو أن تطلبوا عقد مؤتمر دولي مثل مؤتمر
جيف الذي حقق السلام في الهند الصينية على أن يضم هذا المؤتمر الدول
العربية واسرائيل ودولا من مؤتمر باندونغ فضلا عن الدول الأربع الكبرى ؟

هل أنت فريسة مركب النقص الذي يقول أصحابه أن الدعوة الى السلم
تضعف معنوية الشعب وتصيب روحه بالخور وتثبت فيه الذعر ؟

هل أصابنا هذه السياسة معنوية الشعب السوفياتي أو الصيني بالخور ؟ أم أن هذه الشعوب العظيمة تقف في شجاعة الابطال للدفاع عن هذه السياسة واقتدائها بأعز ما تملك ؟

أن تصريحاتك الى مجلة « نيوزويك الاميركية » والتي نشرتها « الجمهورية » في ٢٣ مايو الماضي تصريحات جيدة في مجموعها وتعبّر عن الرغبة الصادقة في السلم . ولكنك عندما تقتصر على القول بأنك « كجندى شأحت كثيرا من ويلات الحرب بحيث أصبحت أشعر بالرغبة المداصة في السلم » فهذا هو نوع الكلام الذي قد يبيث الذعر ويضعف معنوية الشعب ، فأبست المسألة مسألة ويلات الحرب فحسب ، بل أنها ضرورة السلم وأهميته ورخاؤه ومباهجه وحقنا فيه وكفالتة لاستقلالنا ورفاهتنا وتقدمنا ، فهكذا يستوعب الشعب أيديولوجية السلم فيحبه ويدافع عنه ، ويكره الحرب ولكن لا ينخلع قلبه منها ..

بمجموع هذه السياسة أو ما يشابهها تنتج لك حتما النتائج الآتية :

- (١) تقال عطف شعوب العالم كلها وتأييدها وتقديرها .
- (٢) تقوى مناعة الشعب اليهودي ضد الحرب وتفسد الدعاية المسطرة عليه .
- (٣) تعضد عزم الشعب المصري وترفع معنوياته وتثبت فيه روح الدفاع عن أمن البلاد وسلامتها .

أما بعد فلتعلم ، فوق ذلك كله ، ان أنصار السلم الابطال في اسرائيل يقومون ككل أنصار السلام الشرفاء في العالم بدور جبار من أجل نفس القضية ، قضية السلام ، وضد مكائد الاستعمار واستفزازات الحكومة الاسرائيلية ، ومن أجل الدفاع عنك وعن سياستك الجديدة ، ولافهام الشعب الاسرائيلي أن صفقة الاسلحة غير موجهة ضده وغير ذلك مما تستطيع أن تستنبطه من صحيفة تصدر في اسرائيل باللغة العربية أرسلها اليك في غلاف آخر .

فلتخرجوا أيها الناس من هذه السياسة الوقوعية التي حبسنا فيها الاستعمار وأصحاب المصالح من شركائه ، فلتطالبوا بعقد مؤتمر على نطاق دولي لتنفيذ قرار بانفونج عن فلسطين لاقرار السلام مع اسرائيل وهو المؤتمر الذي نوهت به فيما قبل . فلتبدأوا الاستعداد للاعتراف بحقوق الشعب

الاسرائيلي في دولته التي لن يفيدنا الموقف السلبي منها الا أن تبقى حكومتها
سلاحا في يد الاستعمار ، فلتطلبوا تغيير لجان الهدنة السورية بلجان
حقيقية على غرار لجان الهدنة في كوريا وفي الهند الصينية .

فلفتعلوا شيئا ما لوضع قرار باندونغ موضع التنفيذ .

لقد أصدرت اللجنة الوطنية المصرية لانصار السلام قرارا يتضمن
الابتهاج باتفاق التسليح فمنعتم - ويا للعار - نشره في الصحف . وما
لتم تتأون بجانبكم وتصعرون خدكم لحركة السلم التي هي أشرف حركة
وطنية وإنسانية ، وما لتم تمنعون جمع التوقيعات على نداء فيينا لتحرير
السلحة الذرية ، وما زال الذين أعلنوا ودافعوا عن سياسة الاستقلال الوطني
السلم العالمي يملأون السجون والمعتقلات .

١٩٥٤

فلماذا ، لماذا أيها الرجل ؟ ..

ان هذا كله يعبر عن الفزع من الاستعمار ومحاولة استرضائه وتلين
جانبيه ؟ .. ولكن يا لسذاجة هذا التفكير .. أتحسبون الاستعمار يسكت عن
سياسة استقلالية أو سلبية تنتهجونها في مقابل كبت حركة السلم
جمع أنصار السلام ؟

ان الاستعمار يرحب قطعاً بهذه الرغبة ، فقط لانها تضعفكم وتجعلكم
كثير اعتمادا عليه وتمكن له من مقتلكم ، فقط لانها تدل على ضعف ثقافتكم
مجيروت القوى الشعبية وقدرتها على حماية سياسة الاستقلال والسلم ،
فقط لانكم تحبسون هذه القوى حتى يتمكن من تدبير مكائده مطلق الأيدي
لأنها أن يرغمكم ارغاماً - ويا للخزي وقتها - على التنكر لهذه السياسة واما
ان يطوح بكم وهو أقوى منكم بكثير .

وأخيراً فاني أرسل اليك بصورة من النداء الذي وجهته من أوروبا الى
سبع اسرائيل لينشر هناك في الصحف ومجلات أنصار السلام . وأنا
أثق أنه سيثير انطلاقا في كفاح أنصار السلام الاسرائيليين - ولكن أتحسب
من يكفى ؟

اللهم لقد بلغت اللهم فاشهد

بيان الى شعب اسرائيل *

في الظروف الراهنة والاضاع المستجدة - وأهمها تسليح مصر - تدبر على الحدود بين مصر واسرائيل أعمال استفزازية يصل بعضها الى حد اجازر ، وفي نفس الوقت تركز على الشعب الاسرائيلي كل أبواب الدعاية الممكنة لافهامه بضرورة شن حرب تسمى بالحرب « الوقائية » قبل أن يتمكن مصر والبلاد العربية من استكمال تسليحها للقضاء عليه والقائه في البحر . .

ان الموقف يبلغ حدا من الخطورة يهدد باشعال حرب مدمرة قد تتعدى هذه المرة ميادين القتال الى المدن والعامر من الجهات لتحليلها خرابا وتفتك بالالوف والالوف من المدنيين ، وهذا ما دفعنى الى أن أتوجه بالكلام الى شعب اسرائيل قبل كل شيء .

وأحب أن تعلموا أولا صفة هذا الذى يخاطبكم .

انى مواطن مصرى وطنى - كافحت فى صفوف الحركة الوطنية المصرية منذ كنت طفلا ، واعتصرت من تجارب الكفاح الوطنى فى بلادى وفى غيرها مما جعلنى أؤمن بأن استقرار السلم العالمى هو سبيل الشعوب والامم المضطهدة الى التحرر والتطور والرخاء ، وكان لى شرف الاشتراك فى تأسيس اللجنة الوطنية المصرية لانصار السلام وقيادتها منذ ١٩٥٠ ، وأصدرت مجلتى « الكاتب » فى خدمة حركة السلام . وفى وقت كانت أجهزة الدعاية الاستعمارية فى مصر وفى اسرائيل مركزة على اشاعة الكراهية وسوء الظن بين العرب واسرائيل ، كتبت أكثر من مرة أعلن للرأى العام فى بلادى أن شعب اسرائيل لا يقل رغبة فى السلام وكرها للحرب عن الشعب انصرى أو أى شعب آخر ، بل أن جملة الظروف التى تجمعت فى تاريخ الشعب الاسرائيلى تجعله أشد تعلقا بالسلام ومقتنا للحرب ، ودلت بالعدد الهائل من التوقيعات على نداء السلام الذى جمع فى اسرائيل وبلغ نسبة تزيد على

* « كفاح شعوب الشرق الاوسط » المرجع السابق ص ١١ .

ثأث السكان ، وغلث أن اثارة العءاء والكراهية انما هي أساليب استعمارية لنءويل الحركة الوطنية وصرفها عن مكافحة عءوها الءوءوء الكامن فى أءشاء البلاد .

وعلى ءء ما أعلم ، فقد نشرث بعض صءف ءزب « المءالم » فقرات من منالاثى وقد نشرث بعض صءفكم أخيرا ما نشره ءتاب مجلس السنم الاعمالى عن اءتماع ملسنكى فى يونيو الماضى ، وفيه من ءقريرى النصوء الخاصة بمشكلة فلسطين ، ومنها رأيتم انى ناءيت بسلام عائل بين بلادنا وبلادكم واننى ءعوت الى مؤتمر شعوبى يضع أسس ءذا السلام لءقبنائها لشعوب وءقرضها فرضا على الءكومات .

وأخيرا فأنا الآن لا أعيش فى بلادى وانما فى المنفى لانى ءاصمت ءكومة ءمال عبد الناصر وكافءت ضد سياستها الءاخلية والءارءية « القءيمة » باصرار ، واعتقئت فى عهدما ثلاث مرات وأخيرا ءنت - وما زلت - مطلوبا لمءاكمة أمام الماكم العسكرية . فاضطرت للاءءفاء وءابعت فى الاءءفاء ءفساى ءتى ءمءنت من الءروج من البلاد .

انى أءكى لكم ءذا التاريخ وهو ءء متواضع ، لءثقوا من انى برىء من ءل نزة شوفينية وانى كما رفعت فى الماضى شعارات السلام بايمان فانى رفعا اليوم بنفس اليمان وبءرارة أعظم ، وانى لا أءاول الءفاع عن الءكومة المصرية الءى ءطلب اليوم رأى أو على الأقل ءريتى .

انى أقول للشعب الاسرائيلى بأعلى صوت وبيقين تام - أن الءكومة المصرية الءاضرة لا تريد الءرب مع اسرائيل ولا ءسءع لها وليست لها أية مصلحة فيها .

انى أقول لشعب اسرائيل ان صفقة الاسلءة بين مصر وءشيكوسلوفاكيا ليست ، ولا يمكن أن ءكون ، موءةة ضد اسرائيل .

ان من الاسباب العميقة للانءلاب العسكري الءى قام البءبائى ءمال عبد الناصر ورفاقه هو الءرب « القفزة » الءى ءبرها الماك الءائن وعصابته مع الاستعمار فى ١٩٤٨ وءفع فيها الءبش أفءء ءمن .

ان ءطورا هاما فى سياسة البلاد العربية ءءاه اسرائيل قد برز الى الوءوء بعء مؤتمر بانءونء الءى ءعا الى ءل مشكلة فلسطين بالطرق السلمية .

انى أنادى شعب اسرائيل ألا يصغى الى الدعايات الاستعمارية المسمومة
التي تنادى بشأن الحرب الوقائية .

فلنرجع قليلا الى الوراء .

كانت الحركة الوطنية المصرية للتحرر من الاحتلال البريطانى تحتدم
وتتطور بسرعة بعد الحرب العالمية الثانية . وكان الشعب المصرى مصرا
على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وجلاء الجيوش البريطانية بلا قيد ولا شرط .
وحاول الانكليز أن يفرضوا على البلاد عن طريق حكومات الاقلية معاهدة
جديدة قبل الجلاء ولكن كفاح الشعب أحبط محاولاتهم كلها فدبروا
بالاشتراك مع عملائهم ووكلائهم ضمن ما دبروا حرب فلسطين لتتشغل بها
شعوب هذه البلاد ، والشعب المصرى على الخصوص ، عن حركاتها الوطنية
التي تطالب بالتحرر الكامل من سيطرة الاستعمار .

ألم يكن عجيبا أن يخرج جيش من بلاده الى خارج حدوده ليحارب من
لم يمسسه بسوء تاركا وراءه جيوشا أجنبية تحتل صهييم بلاده وتحمى مصالح
الاستعماليين الاجانب ؟ ..

لقد كانت المؤامرة بارعة دبرت بكل اتقان .

وهنا يقتضىنى التاريخ أن أذكر فضلا لاصحابه . فان الديمقراطيين
المصريين الذين برزوا بعد الحرب العالمية الى الوجود على رأس الكفاح
الوطنى ، نادوا بلا خوف ولا تردد بحق دولة اسرائيل الديمقراطية المستقلة فى
الوجود الى جانب دولة فلسطين العربية الديمقراطية المستقلة ، كما نادوا بأن
ذلك حرب قذرة مقصود بها تحويل الحركة الوطنية عن طريقها وإعلان
الاحكام العرفية لقمعها - ويومها بطش الملك الخائن وبوليسه السياسى ،
ومن ورائه الجاسوسية الاجنبية بهؤلاء الديمقراطيين وزجوا بالالوف الوطنيين
فى السجون والمعتقلات . وبعد قليل لحقهم الالف آخرون من الاخوان
المسلمين أنفسهم الذين انخدعوا بدعاية الحرب وألقوا بكتائبهم فى
ميدانها .

هذا هو ما يفهمه الشعب المصرى اليوم من حرب فلسطين وهو نفسه
ما يفهمه الضباط الذين قاموا بالانقلاب العسكرى وعزلوا الملك وأنهبوا حكم
أسرة محمد على وأعلنوا الجمهورية .

ولا أريد أن أتعب الحوادث خطوة خطوة ، وانما أنتهى الى السياسة الخارجية الجديدة التى انتهجتها حكومة عبد الناصر فى خلال هذا العام ، وهى تتوج بلا شك بمقاومتها الجدية لحلف أبقرة - بغداد الذى هو شكل جديد من أشكال التحايل الاستعمارى لفرض حلف الشرق الاوسط العسكرى الذى يعلم الشعب الاسرائيلى أنه بجانب صفته التحضيرية للحرب العالمية فانه يؤكد ويعمق النفوذ الاستعمارى الاستغلالى فى هذه المنطقة ، ولقيت هذه المناومة عطف وتشجيع العالم الديمقراطى والشعوب المحبة للسلم .

حتى كان مؤتمر باندونغ الظافر الذى مثل فيه أكثر من نصف الجنس البشرى ، وكان من بين قراراته القرار الخاص بمشكلة فلسطين التى أعلن المؤتمر وجوب حلها بالطرق السامية على أساس قرارات الامم المتحدة .

والذى قدم مشروع هذا القرار الى المؤتمر هو جمال عبد الناصر باسم الوفد المصرى وبعد موافقة الدول العربية ، الامر الذى يضاعف من أهمية القرار لانها أول مرة نسمع فيها بصفة رسمية تعبير الحكومات العربية عن ارادتها فى الوصول الى حل سلمى لهذه المشكلة .

هى خطوة جبارة الى الامام ، وهى تعبير صادق انبثق من ارادة الشعوب المشتركة فى المؤتمر وبالذات من ارادة الشعوب العربية ، وكلها تستهدف السلام لجميع الامم والاستقلال لجميع الشعوب .

وبعد العودة من باندونغ أدلى جمال عبد الناصر بحديث الى مجلة (نيوزويك) الاميركية ونشرته جريدة « الجمهورية » شبه الحكومية فى ٢٣ . يو الماضى . وقد نشرت بعض صحفكم نصوصا منه مما جاء فى تقريرى الى جمعية هلسنكى ، هذه النصوص الدالة على الاخلاص لقضية السلم وعلى اغبة فى التعايش السلمى مع اسرائيل .

وعلى ضوء السياسة العامة للحكومة المصرية فى الشهور الاخيرة وهى سياسة استقلال وطنى وسلم عالمى لا شك فيها ، لا يمكن أن تفسر هذه التصريحات ولا يمكن تأويل خطتها ازاء اسرائيل الا بأنها تعبر أصدق تعبير عن النفور من الحرب .

لقد أصبح واضحا كل الوضوح فى نظر العالم كله أن جيش اسرائيل يعمل اليوم للضغط على مصر والبلاد العربية لكى تخضع لمطالب الاستعمار . فى مقدمتها الحلف العسكرى للشرق الاوسط تحت النفوذ الاستعمارى ، ذلك الحلف الذى تقاومه مصر وسوريا والعربية السعودية مقاومة حازمة فى مصلحة شعوب الشرق الاوسط وشعوب العالم أجمع .

ان المذابح التي تقع على الحدود ليست مصادفة أو وليدة سوء الحظ ، بل هي أعمال مدبرة لتشديد الضغط الاجنبى الاستعمارى على مصر ، وهى تحدث فى الغالب بعد مرور « مندوب الهدنة » (!) أو كلها فشلت أساليب الضغط الاخرى .

لذلك كان تسليح مصر ضروريا لايقاف هذا الضغط أو على الاقل لضعاف اثره واقامة توازن يحمل شرط السلام فى هذه المنطقة ويحمل المغامرين على التفكير طويلا قبل الشروع فى مغامرة .

ولكن الاستعماريين والاستفزازيين ودعاة الحرب فى اسرائيل يشنون اليوم حملة دعاية هائلة ليهام الشعب الاسرائيلى بأن هذه الاسلحة موجهة ضد اسرائيل ، فلا بد اذن من اشعال حرب وقائية (!) .

نفس الدعوة المترجمة التى طالما رددتها ابواق كثيرة لاطلاق الحرب العالمية الثالثة .

ان شعب اسرائيل يعلم أن هناك مشكلة فعلا ، وان هذه المشكلة ينبغي أن تحل . ولكنها لن تحل أبدا عن طريق الحرب ، وبالعكس فان الحرب سوف تزيد الاوضاع سوءا ، وستبعد امكانيات الحل السلمى لاماد بعيدة ، وستجر وراءها ما لا يمكن تصويره من الخراب والدمار والدموع والاحزان ، وستهدد السلام العالمى نفسه بأخطار جدية .

لقد كان محتما أن تخسر مصر والبلاد العربية الحرب الماضية لان الشعوب سيقنت سوقا اليها معصوبة الاعين دون أن تكون لها بواعت وطنية شريفة تلحظ عليها . أما هذه المرة فان أى حرب جائرة تعلن ضدها فسوف تقابل بانتفاض أربعين مليوناً يدافعون عن استقلال بلادهم يحوطهم عطف مئات الملايين من العالم التى تعرف مقدما ، منذ اليوم ، أى أصابع استعمارية قذرة تدبر هذه الحرب .

اننا لنريد السلام ، وانكم لتريدونه يا شعب اسرائيل ، فارفعوا فى وجه دعاة الحرب شعارات السلام ، وارفعوا عاليها كما نرفع شعار مؤتمر باندونغ الذى تتبناه شعوب العالم لا شعوب آسيا وافريقيا فحسب ولنكافح معا من أجل وضعه موضع التنفيذ ، وأول خطوات التنفيذ فيما أرى هو المناداة بمؤتمر دولى يجمع الدول العربية ودول اسرائيل ودولا أخرى من الشرق والغرب ليجاد تسوية سلمية للمشكلة تعترف للشعب الاسرائيلى بحقه فى دولته المستقلة الديمقراطية وللشعب العربى بالحق نفسه ليعيش هذان الشعبان مع باقى شعوب المنطقة فى أمن وصداقة ورخاء وسلام .

يوسف طمى

القضية الاسرائيلية

(كفاح الشعب - لسان حال اللجنة

المركزية للحزب الشيوعى المصرى الموحد

عدد ديسمبر ١٩٥٥) *

تغيرت سمات القضية الاسرائيلية تغيرا جذريا منذ أن انشئت دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ . فلم تعد المكونات الاساسية لهذه القضية هى ضرورة «نبحث عن مأوى لآلاف اليهود المضطهدين فى « الجيتو » فى عدد من الدول . أو لهؤلاء الذين نجوا من مذابح النازية البربرية أو حتى تطلع الجماعات النضالية بدافع من الشعور الدينى أو القومى الى العودة الى أرض الميعاد . لم تعد المشكلة مشكلة دولة أو تجمع قومى يبحث لنفسه عن مكان تحت الشمس باسم الدين ، أو بالحق تحت ستار من الدين .

لم يعد الامر كذلك ، ذلك ان كل هذه العوامل قد اختفت الآن ، لتحل محلها المحاولات الواضحة التى تقوم بها الامبريالية الامريكية - تحت ستار من هذه الادعاءات التى كانت موجودة فى الماضى - لتجعل من اسرائيل رأس حربة لسياساتها العدوانية تجاه الشرق الاوسط ، وهى سياسة موجهة ضد

* أعيد نشر هذا المقال فى النشرة التى كانت تصدر فى باريس باسم

Nouvelles d'Egypte — Bulletin d'Information Publié par le Parti

Communiste Egyptien Unifié — Juin 1956.

وهى نشرة مطبوعة بالرونو وكانت تصدر عن « مجموعة روما » التى كانت حتى ذلك الحين تعمل - الى حد كبير - تحت لواء الحزب الشيوعى المصرى الموحد .

والذى يعنينا هنا هو أن هذه الوثيقة كانت عند صدورهما فى القاهرة فى ديسمبر ١٩٥٥ تعبر عن الحزب الشيوعى المصرى الموحد الذى تأسس من اتحاد « حدثو » مع عدد من المنظمات الصغيرة والذى ظلت « حدثو » تلعب فيه دورا أساسيا . واضعين فى الاعتبار أن ترجمتها من العربية الى الفرنسية ثم إعادة ترجمتها مرة ثانية الى العربية تتيح الفرصة لبعض الاختلاف عن النص الاصلى ، لكن ذلك لا يفقد الوثيقة قيمتها التاريخية .

مصر وسوريا ولبنان والاردن والسعودية ، وتستهدف تحويل اسرائيل الى
مخابر قط تستعمله لفرض نفوذها وسيطرتها على اقتصاديات وسياسة الدول
العربية .

ومن الواضح الآن تماما ان الخيوط التي تحرك تلك الدمية الخشبية
« اسرائيل » تمتد لتصل الى سوق الاوراق المالية الاميركية في « وول
ستريت » ، وهى تحرك هذه الدمية لتهدد بها مصر وسوريا والاردن .

اعتماد اسرائيل على المساعدات الاقتصادية الاميركية :

يمكن القول بأنه بدون المساعدات الاميركية لكانت اسرائيل قد أعلنت
منذ أمد طويل افلاسها :

(أ) فالواردات الاسرائيلية تزيد عن خمسة أضعاف الصادرات ،
والمساعدات الاميركية هى التي تغطي هذا العجز ، كذلك فان « الهبسات
والتبرعات ، وغالبيتها قادم من أميركا تشكل ثلاثة أرباع ميزانية اسرائيل .
وقد صرح وزير التجارة الاميركى بأن الولايات المتحدة قد منحت اسرائيل
حوالى مليار دولار فى الفترة من ١٩٤٨ الى ١٩٥٢ فى صورة قروض
أو تبرعات ، وفى اعتقادنا أن اسرائيل قد تلقت من أميركا مليارا آخر منذ
١٩٥٢ حتى الآن .

(ب) تستورد اسرائيل ثلثى احتياجاتها من المنتجات الغذائية من
أميركا ، ويزداد احتياج اسرائيل الى هذه المنتجات بصورة مستمرة ، إذ بينما
نجد أن عدد سكانها قد زاد أكثر من الضعفين فان الانتاج الزراعى لم يزد
بنفس القدر .

وقد علقت صحيفة فرنسية قائلة أنه طالما أن « معاداة أميركا »
ليست واردة فى قاموس السياسة الاسرائيلية فان وزير مالية اسرائيل
لا يقيم فى القدس ولا فى تل أبيب وانما فى نيويورك .

ما هو هدف هذه المساعدات الاميركية ؟

كما تقول مجلة « روز اليوسف » فى مقال افتتاحى لها « يأمل الرأسماليون
الامريكيون فى تحويل اسرائيل الى قاعدة أساسية للصناعات الثقيلة والخفيفة
فى الشرق الاوسط ، وبحيث تصبح أهم عميل لهم فى مجال التجارة والصناعة
والمنتجات الزراعية وهذا هو سر تدفق رؤوس الأموال الاميركية على
اسرائيل .

لكن لماذا اختارت أمريكا إسرائيل للقيام بهذا الدور ؟

ان الدعم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي يقدم لاسرائيل انما يستهدف أن يجعل منها الدولة الوحيدة القادرة على القيام بدور « رأس الحربة » لصالح الامبريالية الاميركية في الشرق الاوسط .

(أ) فنحن نجد أن رؤوس الاموال المستثمرة في اسرائيل هي غالبيتها العظمى أموال اميركية يديرها كبار الرأسماليين من اليهود الاميركيين ، الامر الذي يمكن أمريكا من الاشراف اشرفا تاما على هذه الصناعات منذ نشأتها ، خاصة وأن اسرائيل في حاجة ملحة دائما الى رؤوس أموال جديدة واسرائيل وحدها التي تهيم لرؤوس الاموال الاميركية مثل هذا الوضع ، ذلك أن أغلب رؤوس الاموال المستثمرة في الدول العربية ترتبط بالامبريالية البريطانية ، هذا بالإضافة الى أن جزءا منها ، استثمارات وطنية ، وبذلك فهي لا تخضع - ولو ظاهريا - للاشراف الامبريالي .

(ب) اسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الاوسط التي تعتمد اعتمادا تاما على المساعدات الاقتصادية الاميركية ، بينما الدول العربية لديها من الثروات القومية ، والتقاليد الوطنية في مناهضة الامبريالية ، ما قد يقف بها موقف « استغناء » عن المساعدات الاميركية المشروطة ، خصوصا مع زيادة فرص التبادل التجاري مع دول الكتلة الشرقية ومن ثم فان الامبريالية لا يمكنها أن تعتبر أن البلدان العربية قواعد مضمونة وثابتة لمساندة سياستها العدوانية .

(ج) أيدت الولايات المتحدة قبل انشاء دولة اسرائيل منظمتي « أرجون » و « شتيرن » الارهابيتين في حملتهما ضد بريطانيا وضد العرب وقامت بتزويد هاتين المنظمتين بالسلح والذخيرة والاموال ، ومن هنا ينبع الالتزام هاتين المنظمتين تجاه الولايات المتحدة ، وبعد قيام الدولة الاسرائيلية شكلت هذه المنظمات أحزابا سياسية ومنها حزب « حيروت » بزعامة مناحم بيجن وهو الحزب الثاني في اسرائيل ، وقد نجح هذا الحزب في ممارسة نفوذ كبير جدا في صفوف الجيش الاسرائيلي ، وأصبح هو والجيش أداة ضيقة في يد الامبريالية الاميركية .

(د) لكن أغلب الاحزاب الاسرائيلية تلخضع النفوذ الاميركي ، وذلك بوقوعها تحت ضغط مزدوج فهناك من جانب حزب « حيروت » وهناك من جانب آخر الاحتياجات الاقتصادية الملحة . بل أننا نرى أن الاحزاب

التي خضعت فيما مضى للنفوذ البريطاني ، لم تنج - هي أيضا - من هذا النفوذ الجديد ، الى درجة أن الحزب الاول في اسرائيل ، وهو حزب الماباي الذي يرأسه « بن غوريون » ، والذي يمارس نفوذا كبيرا على الهستادروت (والذي يضم في صفوفه ٩٠٪ من الشعب الاسرائيلي ، ويمتلك أكبر الاحتكارات الصناعية الاسرائيلية - الاميركية مثل « سوليل بونيه ») يخضع هو أيضا للنفوذ الاميركي . .

وتوضح هذه العوامل مجتمعة مدى ومستقبل السيطرة الاميركية الكاملة على اسرائيل وعلى جيشها واقتصادها وأحزابها السياسية .

لكن . . ما هو الطريق الذي تسوق اليه الامبريالية الاميركية اسرائيل ؟

أ) أن السياسة الاميركية تتلخص اليوم في دفع عملائها الى خوض مغامرات سياسية ، ومن ثم فان هؤلاء العملاء - في اسرائيل - لا يجدون سبيلا كي ينفذوا تعليمات أميركا سوى اثاره النزعات الدينية والقومية .

ويصرح العميل الاول للامبريالية الاميركية قائلا « لقد كانت اسرائيل تكره الحرب ، ولكنه لا يمكن لاسرائيل أن تحيا أو أن تزدهر بغير الحرب ، ان هدفنا هو غزو جبال لبنان التي تنبع منها أنهارنا ، والسيطرة على شبه جزيرة سيناء وعلى الاردن » . ويصرح موسى ديسان رئيس هيئة أركان الجيش الاسرائيلي بدوره قائلا « أن الاعداء يحيطون بنا ، وهم على امتداد ٤٠٠ ميل هي كل حدودنا وبإمكاننا اذا ما نظرنا من مبنى البرلمان الاسرائيلي في القدس أن نرى على بعد مئات الامتار طلائع الجيش الأردني أما طرقا ، وخطوط السكة الحديد الاسرائيلية فهي بدورها ليست بمنأى عن الهجمات العربية » .

وللاسف فان عملاء الامبريالية ينجحون بفضل هذه التصريحات الديماغوجية في تضليل الشعب الاسرائيلي .

ب) تدفع الولايات المتحدة اسرائيل الى رفض أي حل سلمي يحمي ويحافظ على مصالح الشعوب العربية والشعب الاسرائيلي ، وجدير بالذكر أن التسوية الوحيدة التي يمكن أن تقبلها الولايات المتحدة هي تلك التسوية التي تحمي مصالحها في المنطقة ويفسر ذلك تصريح « بن غوريون » الذي قال فيه « اننا لا يمكن أن نفكر - مجرد تفكير - في عودة لاجئ واحد . فان في ذلك نهاية دولتنا ، ولا يمكننا في نفس الوقت الموافقة على توطين

اللاجئين العرب في منطقة النقب » • ومن الواضح أنه ليس من مصلحة الشعب الاسرائيلي أن يستمر أكثر من مليون لاجئ عربي مقيمين بالقرب من حدوده ، بينما تتزايد في صفوفهم الكراهية والحقده ضد الشعب الاسرائيلي لانه يرفض أية تسوية سلمية تضع في اعتبارها مصالح كل دول الشرق الأوسط •

ج) تشجع السياسة الاميركية الهجرة اليهودية الى اسرائيل وذلك بالرغم من الازمة الاقتصادية الحادة في اسرائيل ، ففي الفترة من ١٩٤٨ الى ١٩٥١ وصل عدد المهاجرين الى ٦٠٠ ألف ، ثم تضاعف الى ثلاثة أمثاله في ١٩٥٥ • وتدفع السياسة الاميركية مئات الالاف من يهود اليمن والمغرب الى الهجرة لاسرائيل وهي تحاول في نفس الوقت جذب يهود دول شرق أوروبا الى هذا القرار ، وهو أمر يتناقض في واقع الامر مع المصالح الحقيقية لدولة اسرائيل ، غير أن الامبريالية الاميركية تزيد بهذه الهجرة من تبعية اسرائيل الاقتصادية لأمريكا وتزايد من عدد الجيش الاسرائيلي الذي تسيطر عليه سيطرة تامة •

د) تهدف السياسة الاميركية الى تحويل اسرائيل الى ثكنة عسكرية ضخمة ، وتهدف الى اقناع اليهود بأن ثمة خطراً يهدد كياناتهم ، ومن ثم يتعين على كل اسرائيلي (من سن ١٤ الى سن ٥٠ عاما بالنسبة للرجال ومن سن ١٤ الى سن ٣٥ عاما بالنسبة للنساء) أن يخضع لتدريب عسكري محته ٣٧ يوماً كل عام ، كما يخضع الجميع رجالاً ونساءً للتجنيد الاجباري متى وصلوا الى سن الثامنة عشر وذلك لمدة عامين •

ولا يمكن لأحد أن يدعي أن هذه الهستيريا العسكرية ، والالاحاح المستمر على خلق شعور بعدم الامان يتمشيان مع مصالح الشعب الاسرائيلي فان هذه الحالة ، قد نشأت وهي تستمر مستقرة بستار من الدين لتخدم فقط مصالح الامبريالية لأميركية ولتمكنها من استمرار استغلالها لاشعب اسرائيل ذاتها •

هذه هي السمات الاساسية لما يسمى « بالصهيونية » وهي ليست مجرد شعور عنصري فحسب ، بل هي أيضاً وبصفة أساسية اختراع صنعه الامبرياليون البريطانيون ، ثم ورثه عنهم الامبرياليون الاميريكيون وحوالوه الى أداة تخدم سياستهم •

موقفنا :

نحن نعتقد بأن كل ما تقوم به الاوساط الاسرائيلية الحاكمة من اعتداءات ومواقف عدوانية انها يتم بايحاء من الاميركيين الذين يمدون اسرائيل بالسلاح والمعدات والمؤونة ورؤوس الاموال .

ومن الواضح أنه اذا ما نجحت اسرائيل في التخلص من نفوذ الامبريالية الاميركية وحلفائها وأذا نجحت الدول العربية في اقامة حكومات تمثل شعوبها فانه سيصبح من السهل التوصل الى حل سلمي يوضع في اعتباره مصالح شعوب هذه المنطقة . وسيصبح من السهل القضاء على العنصرية التي تغذيها الامبريالية وبدء عصر جديد من التعاون السلمي بين العرب واسرائيل .

ومن الجلى أيضا أن موقفنا من الاعمال العدوانية الاسرائيلية لا يمكن الا أن يصبح نداء للنضال ضد الامبريالية الاميركية أساسا والى تسيير السياسة الاسرائيلية في واقع الامر .

ومن الممكن وضع حد لحالة التوتر القائمة بين اسرائيل والدول العربية على أساس من النقاط التالية :

أ) تطبيق قرار الامم المتحدة الصادر عام ١٩٤٧ والذي لا يرضى الاميركيين اليوم لانه لا يحقق لهم أهدافهم انحالية في الشرق الاوسط .

٢) عودة اللاجئين العرب الذين اضطروا الى مغادرة فلسطين ابان الحرب مع تعويضهم عن الخسائر التي لحقت بهم أو عن الارض التي أُنزعت منهم .

٣) تشكيل حكومة ديمقراطية عربية فلسطينية في فلسطين ينتخبها الشعب الفلسطيني في انتخابات حرة .

عاشت فلسطين العربية ، مستقلة وديمقراطية .

محاضر نقاش

محضر مناقشة مع

هنرى كورييل*

(أجريت المناقشة في باريس في ١٩٧٣/٤/٢)

س : ما هي حقيقة وتطورات موقفكم تجاه القضية الفلسطينية ؟

ج : كان موقفنا منذ البداية واضحا جدا فمنذ أيام ح.م ثم بعدها في « حدثو » كنا ندين الصهيونية ونعتبرها جزءا لا يتجزأ من معسكر الاعداء . وقد ركزنا جهودا كبيرة في عزل الصهيونيين عن المجتمع اليهودى في مصر ، وقاومنا في نفس الوقت الدعاوى العنصرية التى حاولت صرف الكفاح ، من كفاح سياسى ضد الاستعمار وضد الصهيونية كحركة استعمارية ، الى كفاح عنصرى ضد اليهود ، وكنا نعتقد أن العنصرية التى كان الاخوان المسلمون دعائمها كانت خير معين للصهيونية لأنها كانت تدفع بالانسان اليهودى العادى الذى عاش طوال حياته في مصر الى أحضان الصهيونية ومن هنا فاننا كما قاومنا « الصهيونية » كحركة رجعية ، قاومنا أيضا دعاوى الاخوان المسلمين العنصرية باعتبارها خطرا، يودى الى انتشار الفكر الصهيونى وسط اليهود المصريين .

وكنا قد أسسنا « الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية » وتعرضت هذه الرابطة الى هجوم مزدوج من الصهيونية ومن الحكومة المصرية التى كانت تتستر على الصهيونية .

وفي ٢٧ نوفمبر جاء قرار التقسيم ، وأذكر أن تطورات الاحداث كانت سريعة ومتلاحقة ولست أعتقد أننا فهمنا قرار التقسيم أو مبرراته

* هنرى كورييل أحد مؤسسى تنظيم الحركة المصرية للتحرير الوطنى (ح.م) وظل بعد الوحدة مع تنظيم « ايسكرا » (شرارة) الشخصية الاولى - لفترة من الوقت - في تنظيم الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى (حدثو) . وهذه الصفحات جزء من المناقشة الشاملة الثالثة التى أجراها المؤلف معه حول تاريخ وتطور الحركة الشيوعية في مصر . ونكتفى هنا بإيراد ما جرى من نقاش حول القضية الفلسطينية .

- في بداية الامر - فهما كاملا ، لكن مجموع الحركة الثورية العالمية كان يسير في اتجاه تأييد هذا القرار ، وترددنا في البداية ، ثم قررنا أن نؤيد «التقسيم» . . . وبدأت ضدنا حملة ارهاب عنيفة ، فقد ألقيت قنبلة على بيتي وفنيلة أخرى على مقر مجلة « الجماهير » وبدأ التحضير للحرب على قدم وساق .

س : وماذا بعد أن قامت الحرب في ١٥ مايو ١٩٤٨ ، وتحمس الجماهير الشعبية لها ، ألم تشعروا بعزلة « التنظيم » عن الجماهير بسبب هذا الموقف ؟

ج : لمدة قصيرة انخرفت الجماهير الشعبية في تيار الحرب . والحقيقة أننا وقفنا وحدنا لفترة ، فمثلا في كثير من القضايا الوطنية المتعلّقة بالنضال ضد الاحتلال الانجليزي لم تكن هناك فروق واضحة بيننا وبين حزب الوفد . أما في قضية فلسطين فقد كان الفرق واضحا وبارزا بيننا وبين كل القوى السياسية في البلاد .

ومنذ الاسابيع السابقة للحرب بدأنا نشعر بأصعب الاستعمار الانجليزي ، فانجلترا انسحبت بشكل غير منظم أو منتظم من فلسطين ، ودون تنفيذ مسؤولياتها كدولة انتداب بتسليم المسؤوليات لسلطة ما ، ولم تعترف بقرار التقسيم .

ومن هنا بدأنا نقول أن شمة معسكرين في البلدان العربية معسكر الشعوب العربية ، وفي مجابهته معسكر فاروق - نوري السعيد - الملك عبد الله وسادتهم من الانجليز ، والمعسكر الاخير كان متحمسا جدا للحرب والذي جعلنا نتشبت بموقفنا هو أن الاستعمار الانجليزي وعملاؤه كانوا أكثر القوى حماسة للحرب ، أليس في ذلك وحده ما يكفي لان يجعلنا نرتاب في أهداف هذه الحرب ؟

وجاءت حرب ١٥ مايو فاذا بنتيجتها الاولى هي المعتقلات والارهاب لكل القوى الوطنية ، وأقول ليس للشابوعيين الذين أيدوا قرار التقسيم وحدهم وإنما لكل وطني أو عدو للاستعمار وهنا بدأت تتضح أهداف الرجعية العربية من الحرب .

وأنت تسأل ألم يؤد هذا الموقف الى عزلتنا ؟ وأقول لا . . . في البداية كنا وحدنا ثم بدأت القوى السياسية الوطنية والمناهضة للاستعمار

نُلمح آثار هذه الحرب وكيف انها استخدمت أساسا كمبرر لارهاب كل القوى
الوطنية ولوضع قاداتها في المعتقلات والسجون بدأ الكثيرون يؤمنون بصحة
شعاراتنا ..

وأود- أن أسألك أنا سؤالا ، هل تعرف لماذا كانت « حددتو » هي
التنظيم الوحيد المؤهل لان يقيم علاقة وثيقة ومنذ البداية مع تنظيم الضباط
الاحرار ؟ الجواب في رأيي هو أن « حددتو » كانت التنظيم الوحيد الذي أثبتت
الايام صحة موقفه من قضية فلسطين . وقد كان الضباط هم أول من شعر
بذلك ، لانهم كانوا أكثر من تأثر بحرب فلسطين ..

ورويدا رويدا بدأت القوى السياسية المختلفة تقتنع اننا كنا الوحيدين
الذين قلنا رأيا صحيحا ابان حرب فلسطين .

صحيح اننا عزلنا لفترة من الوقت ، ولكن لم يمض سوى وقت قصير
جدا حتى أصبحنا قوة سياسية فعالة ، ففي ١٩٥٠ كانت « حددتو » في أوج
قوتها وجماهيريتها ، كنا نحرك جموعا هائلة تحت شعاراتنا ، ولم يكن هذا
من قبيل المصادفة .

ومن ثم فقد بدأت محاولات مرسومة لحرف الانظار عن الفهم الحقيقي
لحرب فلسطين وبواعثها ونتائجها ومن ثم فقد أثرت قضية « الاسلحة
الفاصلة » .

أعود فأكرر اننا كسبنا جماهيريا وسياسيا وتاريخيا من قبولنا لقرار
التقسيم لاننا كنا القوة السياسية الوحيدة التي قالت الحقيقة وجابهت
لجميع برأى صحيح .

وأسألك الآن هل تتخيل خريطة العالم الاوسط لو أن العرب قبلوا -
في ذلك الحين - قرار التقسيم ؟ لا شك أن الموقف كان سيتغير كثيرا ، ولا شك
في ان اسرائيل كانت ستصبح أضعف كثيرا وأقل تأثيرا .

واذا عدنا الى موقف الاعداء ، نرى أن الصهيونيين قبلوا قرار التقسيم
على مضض وعندما رفضه العرب ابتهجوا ووجدوا الفرصة السانحة للتخلص
من هذا القرار .

ولكن يجب أن تعلم اننا عندما قبلنا قرار التقسيم قبلناه على أساس
انه الحل الوحيد المتاح وليس على أساس أنه أفضل الحلول . وأؤكد أن عدم
قبول قرار التقسيم قد جر على العرب كثيرا من الكوارث . واننا كنا الوحيدين
الذين تلمسنا الطريق للموقف الصحيح وبهذا فان من حقنا أن نشعر بالفخر
بموقفنا هذا .

محضر نقاش مع

شحاتة هارون سيلبر

(أجريت المناقشة بالقاهرة في ١٩٧٤/٢/٢٥)

س : كشاب يهودى فى الأربعينات كيف تعاملت مع الحياة السياسية والاجتماعية فى مصر • وكيف تطورت مواقفك حتى أصبحت شيوعيا ؟ •

ج : أنا من أسرة متدينة وقد قام جدى ببناء معبد عرف باسمه وهو معبد زكى كرايم * بالسكاكينى لكننى دخلت مدرسة الفرير وهكذا عشت فى جو مسيحى كاثوليكي وأحس أبى بذلك فأحضر لى حاخام ليدرسنى الديانة اليهودية فى المنزل وظالت طوال الفترة من سن التاسعة حتى الثالثة عشرة أحفظ التوراة على يد هذا الحاخام • لكن أبى كان مصمما على ضرورة أن أتعلم اللغة العربية فأحضر لى شيخا معهما ليدرسنى فى المنزل قواعد اللغة • ولك أن تتصور حالة طفل يدرس فى المدرسة على يد مسيحين كاثوليك وفى المنزل على يد حاخام وشيخ مسلم • لكن أول اتصال لى بالشرعية الإسلامية كان خلال دراستى فى كلية الحقوق • ويمكننى أن أقول أن الأديان الثلاثة قد أثرت بشكل أو بآخر فى تكوينى الفكرى •

وكان أول اشتغال لى بالسياسة عندما اشتركت فى تنظيم اضراب فى مدرسة الفرير عام ١٩٣٥ وكان هذا حدثا بالفعل اذ لم يحدث أن أضربت مثل هذه المدارس •

وفى كلية الحقوق بدأت احتك بالتيارات السياسية وأعجبت لفترة بحزب مصر الفتاة وكان زميلى فى دفعتى عبد الرحمن الشرقاوى على علاقة بهذا الحزب وطلبت منه برنامجهم للاطلاع عليه • لكننى ظلت دوما أميل الى اليسار •

* يسمى معبد باعاد اسحق • وتقول الوثائق أنه بنى عام ١٩٢٥ وأن مؤسسه هو زكى كرايم • (راجع اليهود والحركة الصهيونية فى مصر • كتاب اليلال • المرجع السابق ص ٣٢ •

وكانت أول مرة أسمع فيها عن الشيوعية عندما قدمنا للتحقيق أمام مجلس تآديبي في كلية الحقوق أنا ومحمد عوده وسأله الاستاذ المحقق هل أنت وفدى فأجاب : لا أنا شيوعي • وكان هذا في عام ١٩٤٢ •

وبعدما تعرفت بضابط انجليزى اسمه « زاميت - هينز » حدثنى كثيرا عن الاشتراكية والشيوعية • لكننى ظلت بعيدا عن الموضوع في هذه المسائل • وقد حاولت الانضمام الى نادى المكابى ولم أستطع الاستمرار فيه أكثر من شهرين ، وحضرت عدة اجتماعات « لعصبة مكافحة معاداة السامية » وذات مرة - ولست أذكر التاريخ - دعيت الى اجتماع لشباب من اليهود فى منزل بهيدان سوارس (ميدان محمد فريد حاليا) وحضر الاجتماع شخص يدعى ستراسلسكى * وكانت الحجرة مظلمة والكلام خافت والجو تأمرى صرف ، وترك الاجتماع فى نفسى أثرا سيئا ولم أستمر معهم فقد أحسست أنهم جماعة متعصبة متطرفة •

وعندما تخرجت من كلية الحقوق بدأت فى الاشتغال بالمحاماة وتعرفت بأحد زملاء والدى فى العمل (وكان يعمل موظفا بمحلات شيكوريل) وهو دافيد ناحوم وحدثنى عن الشيوعية •• وعرفنى بهنرى كورييل وبدأت العمل فى صفوف ح.م.

ونظرا لاجادتى اللغة العربية ومصريتى الكاملة فقد عملت فى الاقسام انصرية وليس فى الاقسام الاجنبية وربما كان السبب أيضا أن معظم جيلنا من الشبان الاجانب واليهود كانوا يدرسون فى مدارس الليسية أما أنا فقد درست فى مدرسة الفرير ولهذا لم أكن على معرفة بهم •

* هو البير ستراسلسكى • مولود بالقاهرة عام ١٩٠٢ • اشتغل دائنصحافة • انضم الى « حزب التصحيحين » وكان أحد قاداته البارزين • سافر الى باريس لفترة ثم عاد الى مصر عام ١٩٢٩ ليؤسس فيها فرعا للحزب التصحيحين حيث أصبح رئيسا له فى مصر • وقد أصدر الحزب مجلة أسبوعية بالقاهرة اسمها « الصوت اليهودى » وانضم الى الحركة الصهيونية العالمية وأرسل مندوبا الى مؤتمر زيورخ عام ١٩٣١ • وفى عام ١٩٣٣ كون ستراسلسكى فى القاهرة والاسكندرية وبور سعيد فروعاً لتنظيم جديد اسمه « المنظمة الصهيونية الجديدة » وهى منظمة تعارض اعتماد وايزمان على وعود بريطانيا وتطالب بالاعتماد على طاقات اليهود أنفسهم • وفى ٢٨ مايو ١٩٤٥ ومع تصاعد النشاط الصهيونى فى مصر صدر قرار بطرد ستراسلسكى من مصر • وخاصة بعد أن ثبتت علاقته بحادثة قتل اللورد موين •

س : ما هو تفسيرك لتواجد تيار يسارى وسط الطائفة اليهودية في مصر ؟

ج : يقول لينين وهو يتناول المشكلة الوطنية .. انه في ظل الدول التي تتوافر فيها حياة ديمقراطية فان الاقلية اليهودية عادة ما تكون في مقدمة المدافعين عن الديمقراطية ، بينما في ظل ظروف الكبت والدعاوى العنصرية فان هذه الاقلية تتمسك بالتعصب والعنصرية .

ولهذا فان الصهيونية كحركة ظهرت أساسا بعناصرها القيادية وقواعدها في دول أوروبا الشرقية وروسيا القيصرية وذلك بسبب الاضطهاد العنصرى ضدهم .

ومع سريادة مناخ ديمقراطى عام في اطار الاقليات الاجنبية بمصر اعتقد ان هذه القاعدة قد وجدت تطبيقا صحيحا لها .

كذلك تلاحظ أن معظم الاقليات كانت تدرس في مدارس أجنبية ومن ثم فقد أتاحت أمامها فرصة أكبر للتعرف على مجريات الامور في أوروبا وأن تكون في تكوينها العام أكثر استنارة .

وأیضا فان أغلبهم درس في مدارس اللیسیه وكانت في اتجاهاتها متقدمه بالنسبة للمناخ السائد . وهنرى كوربيل وعدد من أبناء جيله درسوا في فرنسا وتواجدوا فيها في فترة تكوين الجبهة الشعبية .

وهناك رد فعل الاضطهاد النازى لليهود الذى دفعهم الى تبني قضايا الديمقراطية عموما ..

وأخيرا هناك معارك ستالينجراد التى أوضحت أن نهاية هتلر ستأتى على يد النظام السوفياتى وكان لا بد لذلك أن يؤثر في قضية اليهود .

س : ما تفسيرك لبروز كثير من القيادات اليهودية في الحركة الشيوعية المصرية ؟

ج : لا أقول قيادات .. وانما أقول بدايات .. فنظرا للأسباب التى ذكرتها فيما سبق تقدم عدد من الشباب اليهود نحو الفكرة الشيوعية ، لكن ذلك سرعان ما ذاب في طوفان تقدم المصريين بأعداد كبيرة نحو هذه الفكرة ، ومن ثم فقد أصبح هؤلاء اليهود الاجانب اقلية ضئيلة جدا ، وبسرعة شديدة زد عدد الشباب المصرى المتدفق حيوية ووطنية .

وأذكر أنه في عام ١٩٤٦ حضر الى مصر الصحفي الفرنسي الشيوعي « روجيه فايان » والتقى بعدد كبير من الشباب المصري الشيوعي وكنت أصحبه لاقوم بالترجمة له وقد أدهشه وأدهشني أن معظمهم بدأوا حياتهم السياسية في أحزاب وطنية متطرفة وانهم شبان دافقوا الحماس والوطنية وكانت اناركسية التي حملها لهم هؤلاء الاجانب هي الضوء التي أنار أمامهم طريق الكفاح . ويكفي هؤلاء الاجانب انهم قد استطاعوا وعلى الفور أن ينقلوا أفكارهم الجديدة الى أخلص الشباب المصري وأكثره حماسا ووطنية .

س : ننتقل الى موضوع آخر .. ما هو رأيك في طبيعة تكوين الحركة الصهيونية في مصر ؟

ج : لقد حاولت أن أدرس هذا الموضوع وتجمعت لدى بعض أوراق روثائق الطائفة اليهودية في مصر .. ويمكنني أن أقول ما يلي :

✽ انه دائما وأبدا كان هناك يهود بمصر ، أحيانا ينخفض عددهم جدا ليصل الى مجرد مائة شخص لكنهم كانوا موجودين دوما في مصر .

✽ ان الحركة الصهيونية قد بدأت في مصر أساسا مع تدفق الهجرة اليهودية من أوروبا الشرقية وروسيا القيصرية . وعلى أثر هذه الهجرة الكبيرة وفي فترة الحرب العالمية الاولى تكونت في مصر « فرقة راكبي البغال الصهيونيين » لمساعدة الحلفاء في الحرب . وكانت هذه الفرقة أحد ركائز انشباط الصهيوني وأحد أشكال تحالفه مع الانجليز وقد تركت أبعادا هامة على تاريخ العلاقة بين الصهيونية والاستعمار البريطاني ..

وعموما كانت الصهيونية في مصر غاية في النشاط وكان يسندها أثرياء الطائفة اليهودية وكانوا أيضا يشكلون فئة لا بأس بها من الطبقة الثرية في مصر .

وعموما كان النشاط الصهيوني يستند في مصر الى مساعدة وحماية الرأسماليين اليهود وكانوا ذوي نفوذ كبير .

س : ما رأيك في دور ليون كاسترو .. ؟

ج : يجب لكي نفهم مواقف رجال مثل ليون كاسترو أن نفرق بين الحماس لفكرة الوطن القومي لليهود (وفقا لوعده بلفور) وبين فكرة قيام

دولة اسرائيل وأحيانا قد يبدو الاثنان شيئا واحدا، ولكن هناك فروق دقيقة يجب التقبها لها .

فالوطن القومى يعنى أن انجلترا وقد لبست ثياب المنقذ لليهود من الاضطهاد العنصرى قد فتحت أمامهم أبواب الهجرة الى مكان آمن وهذا شئ يغرى اليهود أن يوافقوا عليه من منطق انسانى ، ولكن أن يتحول هذا المواطن الى دولة اسرائيلية فهذا شئ آخر .

وأنا لا أعرف ليون كاسترو شخصا ولم أدرس دوره ولكنى أتصور - - - - -
رقد أكون مخطئا - - - - - انه من هذه الفئة التى أيدت هجرة اليهود الى موطن آمن بدافع انسانى . . ومن خلال هذا المنطق انزلقوا رويدا رويدا ليصبحوا صهيونيين .

ويجب ن ندرك أن الصهيونية لها أسلوب خاص وذكى فى جذب اليهود اليها ، فهى لا تطلب منهم أن يكونوا صهاينة ، فقط تسعى كى تستدر عطفهم على اليهود المعذبين ، وتلعب الصهيونية على هذا الوتر وهو حساس عند كثير من اليهود وبعد ذلك تجذبهم رويدا رويدا الى حبالها . ولعل هذا هو سر تنييد غالبية اليهود للحركة الصهيونية حتى بعد عدوانها السافر فى عام ١٩٦٧ .

كذلك يجب أن نضع فى الاعتبار أنه مع تصاعد اضطهاد النازى لليهود ونكون الحركات اليهودية المناهضة للنازية والفاشية والدافعة عن الديمقراطية ممكن للصهيونية أن توقع فى حبالها الكثير من اليهود الذين بدأوا حياتهم السياسية كمجرد معادين للنازية .

س : ما هو فى تفسيرك سبب تغاضى الحكومات المصرية والطبقة البرجوازية عموما فى فترة ما قبل ١٩٤٨ - عن النشاط الصهيونى ؟

ج : هناك عديد من الاسباب أهمها أولا أن قضية فلسطين لم تكن دلنسبة للبرجوازية المصرية شيئا هاما ، وثانيا أن أجهزة الامن المصرية كانت فى أيدى الانجليز . ويمكننى أن أقول أن الانجليز كانوا لا يقساومون النشاط الصهيونى فى مصر . بل انهم تحالفوا معه فى كثير من الاحيان وخاصة قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية . حيث قام فى هذه الفترة حلف عبر معلن بين الصهيونية والاستعمار الانجليزى كانت مصر مسرحا هاما له .

وعلى سبيل المثال فان يوم ١١ نوفمبر وهو يوم الهدنة في الحرب العالمية الاولى كان يحتفل به في مصر على نطاق واسع وكانت فرق الجيش البريطاني تقيم استعراضات في شوارع القاهرة وتشارك معها فرق الكشافة التابعة لمختلف الجاليات الاجنبية في مصر ومنها فرق كشافة المكابي وكذلك فرقة Trem Peldor (اليمينيون الصهيونيون) .

كذلك يجب أن نضع في الاعتبار أن القوى التقدمية المصرية والاحزاب المصرية الوطنية لم تتنبه لخطر الصهيونية ربما لعدم نمو الادراك العربى لديها وربما لعدم ادراك مخاطرها الحقيقية ، ولم يتصد لمقاومة الصهيونية في بداية الامر سوى الاخوان المسلمين الذين فعلوا ذلك من منطلقات عنصرية وشوفينية كان لها أثر واحد هو زيادة التفاف اليهود حول الحركة الصهيونية . . ولكن ابتداء من عام ١٩٤٥ بدأت القوى التقدمية المصرية تدرك مخاطر الصهيونية وبدأت في التصدى لها وبشراسة ويجدر القول هنا أن البوليس المصرى والرجعية المصرية كانت تناصر الصهيونيين وتساعدهم ضد مناوئة القوى التقدمية المصرية لهم .

واذا أردت أمثلة فان لدى عشرات من الأمثلة فهل تتصور مثلاً انه في معتقلات عام ١٩٤٨ كان اليهود الصهيونيين يعاملون معاملة أفضل من الشيوعيين . . وهل تتصور أنه بعد فتح المعتقلات في عام ١٩٥٠ حرصت سلطات الامن على ترحيل اليهود والاجانب الشيوعيين خارج مصر ولم تفعل نفس الشيء مع العناصر الصهيونية .

واذا أردت معلومات أخرى فان لدى معلومات شبه مؤكدة تقول ان الحركة الصهيونية في مصر قد عقدت صفقات مع كثير من السياسة المصريين ومنهم النقراشى باشا بهدف ضمان معاملة المعتقلين الصهيونيين معاملة جيدة وأحياناً بهدف غرض النظر عن النشاط الصهيونى في مصر .

س : يقول البعض أن موافقة حدثو على قرار التقسيم قد أضعفت جماهيريتها فما رأيك في ذلك ؟

ج : لا أعتقد . فقد وافقنا على قرار التقسيم كالحل الوحيد المتاح . . وليس على أساس أنه أحسن الحلول . كذلك فان شعاراتنا الاساسية كانت شعارات وطنية . . لنحارب الاستعمار ونطرده من مصر أولاً . .

وعلى أية حال لا أعتقد أن الموافقة على قرار التقسيم قد أساءت الى موقف حدثو كتنظيم سياسى جماهيرى . وان كان البعض لا يزال يكيل لها التهم بسبب هذا الموقف حتى الآن .

مخضر نقاش مع

ألبر آرييه

الجلسة الأولى

(أجريت المناقشة بالقاهرة في ٢٩/٣/١٩٧٤)

س : ما هي معلوماتك عن موقف الشيوعيين من الحركة الصهيونية ونشاطها في مصر ؟

ج : كان هناك وقف مبدئي .. ضد الصهيونية باعتبارها حركة عنصرية ، وعندما نشط الشيوعيون في صفوف الجالية اليهودية بمصر وكان تعدادها كبيرا في الاربعينيات (ما بين ٧٠ ألف و ١٠٠ ألف نسمة) اصطدموا على الفور بالتشكيلات الصهيونية .

والحقيقة أنه كان هناك أسباب عديدة لهذا الصدام فهناك التناقض المذهبي بين الشيوعية كنظرة أهمية وبين الصهيونية كحركة عنصرية ، وهناك التناقض السياسي بين الصهيونية كحليف للاستعمار ، والشيوعية كحركة توجه هجومها في الأساس - في بلد شبه مستعمر كمصر - ضد الاستعمار وعملائه ، وهناك أيضا التناقض في النشاط العملي فالصهاينة كانوا يعملون وسط شباب الجالية اليهودية لاقتناعهم بالهجرة من مصر الى فلسطين في حين كان الشيوعيون يدعون كل الجاليات الاجنبية الى اتخاذ موقف صديق من الشعب المصري والنضال الى جانبه ضد الاستعمار وعملاء الاستعمار ..

وهكذا بدا التناقض حادا منذ البداية واستمر حادا حتى آخر لحظة ..

س : هل يمكن القول بأن المنظمات الشيوعية كانت تنهج نهجا واحدا في هذا الصدد ؟

ج : باختلافات ضئيلة في التقديرات ، يمكن القول بأن الجميع كانوا يناهضون الصهيونية لكن الحقيقة هي أن منظمة ايسكرا (شرارة) كانت أكثر المنظمات نشاطا في هذا الصدد ، لسبب بسيط وهو أنها كانت أكثر

المنظمات الشيعية نشاطا داخل الاجانب والاقليات عموما باستثناء الاقلية النوبية . والسبب في ذلك هو الظروف التاريخية لتأسيس « ايسكرا » التي بدأت أساسا كتجمع لعدد من المثقفين اليساريين اليهود ، والذين انتشروا في الاساس في بداية الامر وسط محيطهم وهو الجالية اليهودية ، وعندما قام التنظيم تكون فيه قسم مستقل للاجانب عمل أساسا وسط الجاليات الأجنبية .

ويمكنني القول بأن الهدف الاساسي لهذا النشاط كان تطبيق شعار « ايسكرا » المستهدف الى تحويل الجاليات الاجنبية من احتياطي للاستعمار الى قوى مساندة للحركة الوطنية .

ومن هنا كان نشاطهم وسط اليهود يتركز أساسا في حثهم على الانخراط في صفوف مقاومة الاستعمار والبقاء الى جانب الشعب المصري في معركته .

وهنا برز الاصطدام بينهم وبين الحركة الصهيونية .

س : متى بدأ هذا الاصطدام يتخذ اشكالا بارزة وحادة ؟

ج : يمكنني القول بأن هذه المعركة لم تتواجد في المناخ السياسي المصري بشكل عام قبل ١٩٤٥ . فقد كانت الصهيونية تمارس نشاطها علنا ، وفي ظل مباركة أو سكوت السلطات ، وكان زعماء الوكالة اليهودية يترددون على مصر بانتظام ، موسى شاريت وبن جوريون كانوا يزورون مصر كثيرا وبحرية تامة . ولم يكن ذلك فقط بسبب نفوذ سلطات الاحتلال ، ولا بسبب التحالف بين الوكالة اليهودية والانجليز في المعركة ضد الهتلرية ، ولا بسبب انشاء الفيلق اليهودي التابع للجيش الثامن البريطاني ، وانما أيضا لان البرجوازية المصرية والطبقات الحاكمة المصرية عموما لم تكن تعتبر الحركة الصهيونية خطرا عليها ، ولم تكن مهتمة لا بفلسطين ولا بالفكرة العربية أصلا .

وفي هذه الاثناء لم ترتفع ضد الصهيونية سوى أصوات ضئيلة وغير محسوسة وكان بعضها يقوم على أساس عنصرى مما ترك أثرا سلبيا .

وهكذا فان الطبقات الحاكمة في مصر قد تغاضت عن النشاط الصهيونى وسمحت له بالنشاط ، وكان هناك اتحاد صهيونى علنى في

مصر . يعلن بصراحة انتماءه للمنظمة الصهيونية العالمية ، وكان له نفس
بشارع عماد الدين فوق محلات باتا لم يغلّق الا عام ١٩٤٨ ، ويمكن القول ان
نشاطه ظل محتدما حتى نهايات عام ١٩٤٧ .

ثم ان البرجوازية المصرية كان لها علاقات تجارية قوية مع اليهود
في فلسطين ومع اليهود الرأسماليين في مصر .

وحتى بنك مصر كانت له صلة وثيقة جدا مع الرأسماليين اليهود في
مصر ، فبنك مصر كان مثالا يمتلك جزءا من أسهم محلات شمالا وبقية الأسهم
كانت مملوكة لأوفاديا سالم (صاحب شركة التسليفات التجارية) ، وكانت
علاقة أوفاديا سالم وثيقة جدا بكبار مساهمي بنك مصر الى درجة أنه اتفق
مع أحمد عند المقصود باشا على أن الذي يموت منهما أولا يتولى الآخر
الإشراف على تركته وعلى إدارتها . وفي اتحاد الصناعات المصرية كسب
اليهود يمثلون قوة أساسية وكان سكرتير اتحاد الصناعات هو المالي
المشهور الدكتور ليفي ، والذي كان أيضا أحد المهيمنين على الجمعية المصرية
للتشريع والاقتصاد . وإذا عرفنا أن الصهيونية تركزت في مصر في صفوف
كبار الأغنياء اليهود لأمكن معرفة مدى العلاقة بين البرجوازية المصرية
وبين النشاط الصهيوني .

وحتى عندما قتل الصهيوزيون اللورد موين لم تستطع البرجوازية المصرية
إخفاء عطفها على القتلة ولدى معلومات شبيهة مؤكدة أنه كان هناك اتحاد
لتبرئة القتلة لولا تدخل الانجليز مطالبين بضرورة الحكم بالاعدام عليهم .
كذلك كانت هناك قضية محمود العيسوي قاتل أحمد ماهر باشا ، وكانوا
يريدون اعدامه ومن ثم اضطروا الى اصدار حكم بالاعدام على قتلة لورد
موين .

ثم أتى عام ١٩٤٥ ، وفجأة بدأت البرجوازية المصرية تصرخ بشعارات
- مجرد شعارات - حماسية دفاعا عن عربية فلسطين ، وأؤكد هنا أنه
برغم هذه الشعارات فان البرجوازية المصرية لم تكسر تحالفها مع الرأسماليين
اليهود نواة وأساس النشاط الصهيوني في مصر ، سواء في المجال الاقتصادي
أو المجال السياسي .

واستمر النشاط الصهيوني محتدما ، بل تزايد بدرجاة كبيرة في
نهايات ١٩٤٥ وبدايات ١٩٤٦ ، وبدأ الصهيوزيون في جمع أموال كثيرة من

يهود مصر وبدأت عمليات واسعة لحث الشباب على الهجرة الى الكيبوتزات، وقبل ذلك لم يكن هناك اهتمام بتهجير الشباب اليهود الى فلسطين ، وكان موقف الجالية اليهودية في مصر هو موقف الجاليات التي لا تعاني من مشاكل ولهذا لم تتحمس للهجرة .

وأود هنا أن أشير الى أن الحركة ذات الطابع العنصرى والتي بدأت بمظاهرات ٢ نوفمبر ١٩٤٥ - في ذكرى وعد بلفور ، والتي قام بها الاخوان المسلمون والتي قيل أن المخابرات الانجليزية كانت خلفها قد بدأت هي أيضا في تسهيل مهمة الصهيونيين باقناع الشبان اليهود بالهجرة فقد كانت هذه الحركة أول حركة معادية لليهود في مصر .

وبدأ الصهيونيون أمثال وايزمان (شركة شل بوتاجاز) وزوج أبنته أميلي نجار (أحد سفراء اسرائيل الان) يمارسون نشاطا واسعا .

وحدث الاحزاب الصهيونية مثل الماباي ، هاشومير هاتسيير (المابام فيما بعد) في النشاط الاجاد وسط الشبان اليهود بمصر .

وسيطر الماباي على المكابي ، وكان هناك فرعان للمكابي ، مكابي الظاهر وكان أساسا ذو نشاط رياضي وكان يضم يهود الظاهر وهم في الغالب من فقراء اليهود أو صغار الموظفين في المحلات التجارية ، أما الفرع الآخر فكان مكابي « سنترال » (المركزى) ومقره كان بشارع عبد الخالق ثروت ويمارس أساسا نشاطا ثقافيا وكشفييا .

وكان هناك مسؤولون للدعاية يأتون خصيصا من فلسطين أذكر منهم رفائيل ركاناتى (كان مندوب دعاية من الماباي وكان يأتى لتنظيم عملية الهجرة) وآخرين مثل أورى واكييه (يلاحظ أنهما أسماء مستعارة) وسيطر الصهيونيون على المكابي وبدأت المحاضرات في مكابي سنترال تأخذ طابعا صهيونيا ، وتكونت مدارس كادر صهيونية ، ودرست كتابات هرتزل وبنسكر ، وألقيت محاضرات عن الحركة الصهيونية والكيبوتزات والانجازات الصهيونية في فلسطين وذلك كله بهدف اقناع شباب اليهود بالهجرة وكانت الهجرة تنجح أساسا الى كيبوتز « كفار جيلادى » (بجوار بحيرة طبرية) وكيبوتز « جفات » (بجوار حيفا) ، وكانوا ينظمون في الصيف رحلات للإقامة مجانا في الكيبوتزات للتعرف على الحياة الصهيونية . كان هذا عن نشاط الماباي . أما هاشومير هاتسيير (الماباي فيما بعد) فقد ركزوا نشاطهم في ناد في مصر الجديدة اسمه هيفرى هاتسيير وكانوا

أيضا ينظرون دعايات صهيونية ومحاضرات ودراسات لكتابات بورخوف (الأب الروحي للمصاهاى) وكانوا يجندون الشبان ويرسلونهم الى الكيبوررات الخاصة بهم . وكانوا يسيرون فى شوارع القاهرة ويرددون الاناشيد الصهيونية باللغة العبرية .

•• وأود هنا أن أشير الى شيئين أولهما أنه برغم هذا النشاط العارم فان الصهيونيين لم ينجحوا الا فى تهجير أعداد ضئيلة جدا واستتبر اليهود المصريين على رفضهم للهجرة •• وحتى عندما هاجر يهود مصر أو طردوا بعد عام ١٩٤٨ رفضت غالبيتهم العظمى الذهاب لاسرائيل وليس لدى أرقام دقيقة لكننى مثلا أعرف أن ٤٠٠٠٠ من يهود مصر يقيمون الان فى فرنسا ، وكثيرين آخرين ذهبوا الى بلدان أوروبا الغربية الاخرى أو الى أمريكا اللاتينية •

أما الشئ الآخر فهو أن البرجوازية المصرية لم تتخذ أى اجراء ولو شكلى للحد من هذا النشاط ، بل اننى أؤكد أن البرجوازية المصرية كانت تعرقل نشاط الشيوعيين اليهود ضد الصهيونية وتقاومه وتمنعه وتساعد الصهيونيين على منعه ••

ولعل السبب واضح فالبوليس السياسى والبرجوازية المصرية كانت تفضل أن يتحول الشاب اليهودى الى الصهيونية (وذلك لا يشكل خطرا مباشرا عليها) على أن يتحول الى الشيوعية فيسهم فى الصراع الطبقي ضدها ••

س : نعود الان الى نشاطكم كمنظمة « ايسكرا » ضد الصهيونية ؟

ج : قلت أنه قبل ١٩٤٥ كانت القضية غير مطروحة وكان النشاط الصهيونى غير ذى بال ولكن بعد ١٩٤٥ وبعد تزايد النشاط الصهيونى بدأ الصدام ، ويمكن القول أن هذه القضية صرحت بشكل حاد فى جدول أعمال ايسكرا فى ١٩٤٥ وفى البداية قررنا مقاومة نفوذ الصهيونيين فى المكابى سنترال وأرسلت ايسكرا عددا من أعضائها للانضمام اليه وكان المسؤول عن ذلك احوار ماتالون وانضم معه مجموعة من التقدميين مثل هانسى بنكسفيات وأنا وآخرين •

(تابع محضر النقاش مع

ألبير آرييه

الجلسة الثانية

(أجريت المناقشة بالاسكندرية في ١٩٧٤/٤/٦)

س : وقفت بنا في الجلسة الاولى عند قرار « ايسكرا » بالعمل على مقاومة النشاط الصهيوني وملاحقته في أندية المكابي . فما هي تطورات ونتائج هذا القرار ؟

ج : كانت الصهيونية مهيمنة فعلياً على « المكابي سنترال » وان كانت لا تعلن ذلك بل على العكس كان الصهيونيون يؤكدون أن المكابي ليست منظمة صهيونية ولا حتى سياسية . أما نحن فقد بدأنا نشاطنا بحضور ندواتهم ومحاضراتهم وكنا نوجه لهم أسئلة محرجة وان كنا أيضاً لا نعلن أننا شيوعيون ، وانما كنا نتظاهر في أسئلتنا بأننا نريد أن نفهم حقيقة الموقف وأبعاده ، وخلال ذلك كنا نجذب الى صفنا الشبان المخلصين ونزودهم على انفراد بالكتب الماركسية ، ثم نضمهم الى أندية يسيطر عليها اليسار ، والحقيقة أننا لم نستمر كثيراً في « المكابي سنترال » لاننا كشفنا وبدأوا في مطاردتنا ، وأحكم الصهيونيون قبضتهم على المكابي أما نحن فقد كسبنا بعض الشبان وخرجنا . ولعلنا من الملفت للنظر أو أول شخص كسبناه من « المكابي سنترال » كان يهودى قادم من فلسطين للدراسة في الجامعة الأميركية واسمه هاروفوف وضممناه الى ايسكرا حتى أنهى دراسته .

س : قلت في حديثك أنكم كنتم تضمون الشباب الى الاندية التي يسيطر عليها اليسار فما هي هذه الاندية ؟

ج : كان لايسكرا نشاط جماهيرى في عدد من الاندية اليهودية ومنها مكابي الظاهر ، وكان نشاطنا هناك قويا ، وكان محوره « يوسف حزان » وهو شخص جماهيرى استطاع أن يصل الى قيادة النادي فأصبح عضو مجلس ادارته . ورغم أنه كان من المفروض أن نشاط النادي كان رياضيا

وكشفنا إلا أن يوسف حزان استطاع أن ينشئ قسما للنشاط الثقافي ، وكانت الدعايات والمحاضرات الشيوعية تتقدم في علنية في هذا النادي الى حد كبير وأمكن تجنيد عناصر كثيرة في هذا النادي في عام ٤٦ - ١٩٤٧ مع ملاحظة أن حي الظاهر كان يضم فقراء اليهود .

وكان هناك كذلك رابطة خريجي مدارس الليسيه وكنا نسيطر عليها أيضا .

والحقيقة أنه كانت هناك محاولات عديدة للعمل وسط اليهود وكسبهم ومن بينها مثلاً أننا حاولنا تأسيس رابطة لخريجي مدرسة ابراهام بطيش بمصر الجديدة ، وتمت المحاولة تحت اشرافنا وبمجهودنا وبطبيعة الحال كنا سنسيطر على الرابطة لكن الصهيونيين تدخلوا والغريت الانتخابات بتوجيه منهم .

س : نعود الى نفوذكم في مكابي الظاهر وكيف تطور ؟ والى أين انتهى ؟

ج : مع بروز النشاط اليسارى فى « مكابى الظاهر » بدأت المصادمات بين التقدميين عموما والرجعيين ثم تبلورت فيما بعد لتصبح مصادمات بين اليسار والصهيونية ، وأجريت انتخابات لمجلس ادارة النادى ، وأصدرت القيادة (وأعتقد أن هليل شوارتز كان المسؤول المركزى عن هذا النشاط) تعليمات بضرورة النزول بثقلنا فى الانتخابات والحصول على أكبر قدر من المتعاضد ، وأعتقد أننا الآن أن هذا التكتيك كان خاطئا لانه استفز قوى كثيرة ، وعلى أية حال أجريت الانتخابات وحصل الشيوعيون على أغلبية ساحقة ، فلجأت العناصر الصهيونية لى كليمان شيكوريل وكان رئيس المكابى ، وهو رجعى وصهيونى ، واستخدم شيكوريل نفوذه لدى السلطة وكان وثيق الصلة بها ، وتدخل فى الامر ببناء على طلب من شيكوريل كمال رياض أحد قادة البوليس السياسى ، فألغيت الانتخابات وأغلق النادى ، وقام الشيوعيون بمظاهرة لافتتاح النادى وفتحه بالقوة فتصدى لهم البوليس ، وبعد ذلك قدم الصهيونيين قوائم بأسماء كل اليساريين والتقدميين الذين اشتركوا فى معركة « مكابى الظاهر » للبوليس ، وكانت هذه القوائم هى أول من اعتقل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ . والحقيقة أن هذه القوائم التى أعدها الصهيونيون عن معركة مكابى الظاهر قد وصلت الى جهات أخرى منها المخابرات الاميركية ، ودائلى على ذلك أن بعض الذين ضمت أسمائهم الى هذه القوائم قد استقر فى فرنسا بعد أن طرد

من مصر وقام بنشاط تجارى واسع ، وطلبوا تأشيرات دخول للولايات المتحدة ، لكن السفارة الاميركية فى باريس رفضت منحهم هذه الفيزيات على أساس أنهم أعضاء فى منظمة هدامة ، وقام هؤلاء الاشخاص بالبحث فى أسباب ذلك فأتضح أن ملفاتهم تتضمن تفاصيل دقيقة عن معركة نادى مكابى الظاهر بكل تفاصيلها ، وأن كل الذين اشتركوا فى هذه المعركة ذد ضمت أسماؤهم الى قوائم المنوعين من دخول الولايات المتحدة .

س : كيف تطورت الصراعات بين اليسار والصهيونيين فى الطائفة اليهودية بمصر ؟

ج : أود أولا أن أقرر أن الصهيونيين فى هذه المعركة كانوا فى مركز أقوى منا ، فهم كبار الاغنياء ، وفى مراكز مرموقة من المجتمع ، وعلى علاقات وثيقة جدا بالسلطة ، بينما نحن مطاردون من السلطة وفى أى معرك تبيننا وبين الصهيونيين كانت السلطة تنحاز تماما للصهيونيين ليس فقط لانهم وثيقوا الصلة بها ، وانما أيضا لان أى كادر شيوعى كان يمثل خطرا حقيقيا .

وبعد تأسيس « حدقو » بدأت معارك لتأسيس نقابات وروابط فى المؤسسات التى يمتلكها الرأسماليون اليهود ، والتى كان معظم عمالها من اليهود مثل شيكوريل وشملا وغيرهما ، وهكذا اتخذ الصراع طابعا طبقيا . . . العمال ضد الرأسماليين وكان هذا أخشى ما يخشاه أغنياء اليهود والصهيونيين .

س : فى صفوف المنظمة ، هل كنتم تنظمون دراسات حول طبيعة الصهيونية ، وحول قضية فلسطين ، وما هى طبيعة هذه الدراسات واتجاهاتها وباختصار أريد أن أعرف شيئا عن الاتجاه الفكرى والمحتوى النظرى لموقف ح . م . و . اسكرا ثم حدقو من هذه القضية ؟

ج : كانت هناك دراسات جادة ، وأذكر أننا كنا فى البداية نعتمد على دراسة كتاب ريناب Rennap وهو شيوعى انجليزى والكتاب بعنوان « معاداة السامية والمشكلة اليهودية » * وله مقدمة بقلم الرفيق ولیم جالاشر سكرتير الحزب الشيوعى الانجليزى ، ويمكن القول أن هذا الكتاب كان - فى بداية الامر - محور تفكيرنا النظرى .

ويمكن تلخيص القضايا الاساسية التى وردت فى هذا الكتاب فيما يلى :

(*) Anti-Semitism and the Jewish question (Lawrence and WisharÉ — Editors)

* أنه لا توجد أمة يهودية .

* أن العداء لليهود هو أحد مظاهر الصراع الطبقي شأنه شأن كل العداء للأقليات .

* أن هذه الظاهرة التي ظهرت في كنف المجتمع الطبقي سرف تنتهى حتما بزوال المجتمع الطبقي ذاته . وقيام النظام الاشتراكي .

* تحليل للصهيونية كحركة رجعية تخدم الاستعمار . وانها ارتبطت منذ البداية بقيصر روسيا وقصر ألمانيا والسلطان عبد الحميد وبك روتشيلد ، وكان هدفها هو ابعاد انبيود عن مجريات الصراع الطبقي في البلدان التي يقيمون فيها وارسالهم الى فلسطين لتكوين رأس جسر ثابت للاستعمار البريطاني .

ويمكن القول بأن الكتاب كان ابرازا لوجهات نظر الحزب الشيوعى البريطانى وينتهى الكتاب بالمطالبة بانهاء الانتداب وجلاء القوات البريطانية عن فلسطين وتكوين دولة واحدة تضم كل سكان فلسطين .

وبهذه المناسبة أود أن أذكر أنه كانت هناك صلة وثيقة بين المنظمات الشيوعية المصرية وبين الحزب الشيوعى الانجليزى في بعض الانشطة ، وأذكر أنه قد تقرر في اجتماع الاحزاب الشيوعية لدول الكومنولث البريطانى ضرورة مقاومة النشاط الصهيونى وتكوين منظمات جماهيرية للكفاح ضد الصهيونية ، وأن يكون الشيوعيون على رأس هذه المنظمات .

س : نصل الان الى تأسيس الرابطة الاسرائيلية للكفاح ضد الصهيونية . . كيف تأسست ؟ وفي أية ظروف ؟

ج : مع تصاعد الاهتمام بالقضية الفلسطينية ، وتصاعد النشاط الصهيونى كان لابد من تنظيم المواجهة مع الصهيونية ، كذلك بدأت العناصر الرجعية في مصر مثل « الاخوان المسلمين » و « مصر الفتاة » بنشاطات ذات

طابع عنصرى وشوفينى ، وحدثت مظاهرات وعمليات تخريب موجهة ضد اليهود بشكل عام . ومن ثم كان من الضرورى ابراز الفرق بين اليهود وبين الصهيونية ، وأعتقد أن تاريخ تأسيسها كان بالضبط فى ابريل ١٩٤٧ ، وقد وقع بيانها الاساسى خمسة أشخاص وهم : مارسيل اسرائيل - عزرا هيرارى - ادوارد ماتلون - روبير ستون - هانز بنكسفلت . وكانوا جميعا أعضاء فى منظمة « الطليعة المتحدة » التى تكونت من اتحاد « ايسكرا » مع « تحرير الشعب » .

وأصدرت هذه الرابطة بياننا نشرته الصحف اليسارية ونشرته أيضا الجريدة الوفدية « صوت الامة » وأصدرت أيضا كتيباً بأهداف الرابطة ومنشورا .

وجرى توزيع هذه المواد جميعا على نطاق واسع عن طريق أعضاء التنظيم .

وأذكر اننى كلفت بأن أوزع البيان على موظفى البنك البلجيكى وبنك باركليز والبنك الاهلى .

س : هل كنتم توزعون بيانات هذه الرابطة على اليهود أم على المصريين عموما ؟

ج : كنا نوزعها فى الاماكن التى يتركز فيها اليهود أساسا فمثلا معظم موظفى البنوك كانوا من اليهود ، وكذلك موظفى محلات شملا وشيكوريل وبنزايون وعندس . الخ .

س : قال مارسيل اسرائيل فى تقرير خطى كتبه بناء على طلبى عن نشاطه فى هذه الفترة انه هو الذى كتب ببيان الرابطة ، فما هى معلوماتك عن ذلك ؟

ج : هذا صحيح .

س : أريد أن أعرف ما هى ردود فعل تأسيس الرابطة وتوزيع بياناتها ؟

ج : حدث ما يشبه الجنون فى صفوف الصهيونيين ، والحقيقة ان الجرائد الوطنية والتقدمية قد أبرزت أخبار الرابطة وبياناتها وقلت لك أن

الصحيفة اليومية لحزب الوفد وهى « صوت الامة » أبرزت البيان على صفحاتها ..

وثمة رد فعل آخر جاء من جامعة الدول العربية ، فقد استدعى أمينها العام المساعد سكوتير الرابطة عزرا هرارى وأجرى معه مناقشة مطولة ، وأبلغه ترحيبه بهذه الخطوة .

أما السلطات المصرية فقد كان رد الفعل لديها هو انها قبضت على كل الذين وقعوا ببيان الرابطة فى أول مايو ١٩٤٧ . (وكانت السلطات انصرية قد اعتادت فى هذه الفترة القبض على العناصر اليسارية البارزة لمدة يوم أو يومين كاجراء تحفظى فى ليلة أول مايو) . وإذا كانت لى ملاحظة عامة على نشاط الرابطة هو انها قد حصرت نشاطها فى صفوف اليسار اليهودى ولم تفتتح على جماهير الطائفة اليهودية ، وكان هذا على أية حال عيب عام فى نشاطات « ايسكرا » الجماهيرية ويتلخص فى الخلط بين العمل الحزبى والعمل الجماهيرى .

س : كيف تطور موقف تنظيم « حدتو » من تأييد قيام دولة واحدة ديمقراطية ، الى قبول قرار التقسيم ؟

ج : أود أولا أن أقرر أن موقف الشيوعيين كان موقفا مبدئيا تحكمه عدة مبادئ أساسية :

✱ الكفاح ضد الصهيونية .

✱ الدعوة لتعزيز الكفاح المشترك بين العمال العرب واليهود ضد العدو المشترك وهو الاستعمار البريطانى .

✱ الدعوة لتكوين دولة ديمقراطية موحدة « مزدوجة القومية » على أرض فلسطين .

وعندما نوقشت القضية الفلسطينية فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة وقدم اقتراح التقسيم وأيده الاتحاد السوفياتى باعتباره أحسن الحلول السبئية أو بالدقة الحل الوحيد المتاح اجتمع المكتب السياسى لحدتو وناقش الامر ووافق على قرار التقسيم ، وكانت موافقته بالإجماع .

وأصدر المكتب السياسى منشورا وزع على نطاق واسع يحدد قيسه موقفه وي طرح الاسس النظرية له . وقد بنى هذا البيان على المنطلقات الآتية :

✽ التأكيد بأن قرار التقسيم هو أفضل الحلول السيئة ، ولم يكن هناك أى تخطئ للموقف السابق وهو الدولة الموحدة المزدوجة الجنسية وانما أبرز بوضوح أن الصهيونية والرجعية العربية والاستعمار أسهموا معا فى توتير الجو وفى افشال محاولات تأسيس دولة مستقلة موحدة مزدوجة القومية وأنه نتيجة لتطورات عديدة أصبح قيام مثل هذه الدولة غير ممكن فى ذلك الحين ، وأن السبيل المتاح كان التقسيم .

✽ ان النقطة الهامة فى كل كفاح « حدثو » كانت مقاومة الاستعمار ومن ثم فقد كان التوصل الى قرار التقسيم فى ذلك الحين هو السبيل لتصفية الاستعمار البريطانى فى فلسطين .

✽ أشار البيان كذلك الى موقف الاتحاد السوفياتى باعتباره جزءا من مكونات الموقف العام .

س : ألم يحدث الموقف بليلة فى صفوف التنظيم ؟ وهل تردد ولو تحت السطح أقوال ضده أو ضد من اتخذ هذا القرار ؟

ج : فى حدود علمى لا ، وما أعلمه أن التنظيم تقبل هذا الموقف بارتياح . وأود هنا أن أشير الى أن اللجنة المركزية لحدثو والتي كان عددها وقت صدور القرار ١٦ عضوا لم يكن بها سوى ثلاثة فقط من اليهود هما هنرى كورييل وهليل شوارتز وايمى ستون ، كذلك يجب ن نضع فى الاعتبار أن الحكومات انرجعية عميلة الاستعمار أى حكومات فاروق ونورى السعيد والملك عبد الله هى التى كانت متحمسة للحرب وهؤلاء جميعا كانوا معروفين تماما بولائهم للاستعمار وانهم عملاء له . ومن هنا فقد كان من السهل جدا اتخاذ الموقف المغاير لموقفهم ..

وكان الشعار الذى رفعناه فى وجه هجمات الرجعية وعنصرية الاخوان المسلمين هو التذكير بعمالة هذه الانظمة للاستعمار وهو التذكير بخطر التآمر الاستعمارى ، وكنا نصيح فى المظاهرات « الجلاء عن مصر » .. « الجلاء عن القدس » .. ونذكر أيضا أن حزب فلسطين قد اتخذت من جانب الحكومات الرجعية ذريعة لاعلان الاحكام العرفية وفتح المعتقلات أمام كل القوى الوطنية والتقدمية .

س : هل أخذت أى منظمة شيوعية موقفا مناهضا لقرار التقسيم
أو مغايرا لموقف حدتو ؟

ج : فيما أتذكر أن جماعة « الفجر الجديد » (طليعة العمال) كانت ضد
قرار التقسيم وفي المعتقل نقد بعض قادة هذا التنظيم أنفسهم وأدانوا وقوفهم
ضد قرار التقسيم .

س : هل لديك معلومات أخرى ؟

ج : لدى اضافة ختامية ، وهى أن هؤلاء الذين خاضوا معركة الكفاح
ضد الانشباط الصهيونى قد ظلوا مخلصين لموقفهم هذا وظلوا على ولاء لمصر
برغم تعرضهم للاعتقال وبرغم طردهم من مصر ، وقد رفضوا بعد طردهم
الذهاب لاسرائيل وحتى بعد أن استقروا لسنوات طويلة فى بلاد أخرى فانهم
لا ينسون مصر وفى كل المناسبات يقفون الى جانب قضية الشعب المصرى ،
فعلوا ذلك خلال عدوان ١٩٥٦ وخلال عدوان ١٩٦٧ وبعده وفى حرب أكتوبر
كذلك أود أن أذكر أن الحملة الارهابية فى ١٩٤٨ كانت مركزة بالنسبة لليهود
على العناصر الشيوعية والمناهضة للصهيونية وأن الصهيونيين الذين اعتقلوا
فى هايكسب كانوا يعملون معاملة متساهلة بينما عومل الآخرون
معاملة سيئة . وكان أوفاديا سالم الصهيونى يخرج يوميا تقريبا من المعتقل
بحجة العلاج لكنه كان يزور منزله ، وكان تليفون قائد المعتقل تحت تصرفه
يدير منه عملياته التجارية ونشاطه الاقتصادى .

وبعد انتهاء المعتقلات كان نصيب الشيوعيين اليهود الطرد من مصر بينما
أفرج عن عديد من الصهيونيين دون أن يطردوا ومنهم أوفاديا سالم الذى
استمر يزاول نشاطه الاقتصادى والتجارى حتى مات وذلك بالرغم من أنه
كان يمتلك شركة فى مصر وبنكا فى اسرائيل ، ولم تمس ثروته الا باجراءات
التأميم فى عام ١٩٦١ . أما ابنه البير سالم فقد ظل يزاول نشاطه المعتسدا
حتى قبض عليه مؤخرا فى قضية التهريب التى سميت بقضية « اخوان غبور »
ثم أفرج عنه بكفالة لكنه غادر البلاد .

ولعل هذا يكفى لتوضيح كيف كانت البرجوازية المصرية تتناسى دوما
الصهيونيين بينما تركز جهودها ضد المعادين الحقيقيين للصهيونية .

تعليق على الوثائق :
كان موقفهم صحيحا ٠٠
وصادقا وشجاعا ، ولكن !٠٠
بقلم خالد محيي الدين

ان الهدف الذى تتوخى كتب « الوثائق » ، أو « مجموعات الوثائق التاريخية » تحقيقه هو أن تضع أمام القارئ المعاصر « الحقائق المتكاملة » وأن تقدمها له محتفظة بثوبها التاريخي ، وبكل رنين الحقيقة المختزن في داخلها ، وذلك بهدف دعوته الى أن يعيد تقييم « الموضوع » الذى تعالجه أو تتعلق به هذه الوثائق .

فالتاريخ المعاصر ، يتعرض في بعض منعطفاته « لمسلمات » غرسها في أعماقه مؤرخون ذوو اتجاه معين أو ذوو غرض معين ، مستفيدين من « لصق » بعض « جزئيات » الحقيقة بجنبها الى جنب ، مخترعين بذلك صورة غير صحيحة على الاطلاق .

ومع مرور الزمن ، تتحول هذه « الصورة غير الصحيحة » الى مسلمات ، ولان الحقائق الكاملة غير متوفرة ، ولان الكثير من وثائقها قد طواه النسيان ، فانه لا يبقى في مكتبة الحدث التاريخي ، وفي متناول القارئ العادى أو حتى الباحث غير المتعمق سوى « أنصاف الحقائق » أو « المسلمات » المصطنعة من جزئيات الحقائق .

ومن هنا تبرز الضرورة الملحة ، لاعادة تقييم هذه المسلمات ، ولطرح الموضوع برمته من جديد كسبيل لاستنتاج « الحقيقة الكاملة » وصياغة ذرة جديدة أكثر صحة وأكثر موضوعية .

وبهذا نخدم « الحقيقة » ونخدم « التاريخ » ونقدم أسلوبا أكثر علمية لفهمه ودراسته ، وهو الأسلوب الذى يعتمد على « الحقائق المتكاملة » وعلى النظر « للحدث » من مختلف الزوايا كسبيل لرؤيته رؤية صحيحة .

وينطبق كل ما سبق أكثر ما ينطبق على موضوع هذه الوثائق « اليسار المصرى وموقفه من القضية الفلسطينية » .

فقد انتهز الكثيرون من الساسة والمؤرخين والكتاب غيبة « المعرفة » المتكاملة ، ولم يلتفتوا الى « الوثائق » التى تحتوى وتحتزن هذه المعرفة المتكاملة ، بل وربما تجاهلوا عن عمد ، وأخذوا ينسجون من مخيلاتهم « أنصاف حقائق » وربما « أشياء » لا تحتوى على أى جزء من أجزاء الحقيقة ، ثم بصوغونها في صورة « الخبر » أو « الواقعة » ثم يصممون على ترديد مرة أخرى وثالثة حتى تصبح « مسلمات » .

ولأن ذلك ضد الحقيقة ، ولأنه يرسم التاريخ وفقا لرغبات الكاتب وليس وفقا لحقيقة الحدث ، ولأنه - فوق هذا وذاك - يتعلق بقضية من أخطر نصابا تاريخنا المعاصر ، هي القضية الفلسطينية ، فإن الجهد الذى بذله الدكتور رفعت السعيد فى تجميع هذه الوثائق وتحقيقها هو جهد ضرورى ومثمر .

وتنبع ضرورته - ليس فقط من كونه دخض لاختفاء وقع فيها كثير من السياسة والكتاب والمؤرخين - ربما بحسن نية وربما بغير ذلك - ووضع الامور فى نصابها الصحيح ، أقول ان ضرورته ، لا تنبع فقط من كونه تصحيح للوقائع وإنما ايضا لأنه يسهم فى تقديم المفهوم الصحيح لدراسة اليفائف ومنهج تفكير اليسار المصرى تجاه واحدة من أخطر القضايا القومية الهامة .

وتبدو أهمية نشر هذه « الوثائق » اليوم أكثر من أى وقت مضى ، لأنها تأتي فى وقتها تماما فهي تأتي فى مرحلة تعود فيها كل القوى العربية لتدارس المواقف والاتجاهات والمنطلقات المختلفة حول القضية الفلسطينية .

نعود الآن الى الوثائق ...

وهى مجموعة كبيرة من التقارير والدراسات والمقالات والمستندات ومحاضر النقاش تغطى فترة تمتد من ١٩٤٥ وحتى ١٩٥٦ . وتقدم «المستندات صورة متكاملة لموقف مختلف القوى اليسارية فى مصر من القضية الفلسطينية .

ولقد مضى الآن قرابة ربع القرن على كثير من هذه الوثائق ، وزال ما أحاط بالاحداث التى لابسيتها الكثير من النزعات الحماسية والعاطفية ، ذلك فإن تجارب هذا الربع قرن ومآسيه ، ونجاحاته ، ونضالاته ، قد أفسدت الجماهير العربية مزيدا من الخبرة والمراس ، ومن هنا فاننا نعتقد أن الموقف قد حان لاعادة تسليط الضوء من جديد على هذه « الوثائق » . ليس فقط بهدف انصاف أصحابها وانصاف الحقيقة ذاتها ، وإنما - وهذا هو الأساس - حتى نستفيد من خبراتها ، وكى نخضعها لتقييم موضوعى يمكننا من استخلاص خبرات مفيدة لحركة التحرر الوطنى العربية عموما وللإيسار العربى والمصرى خصوصا .

و « الوثائق » التى بين أيدينا كانت تعبيرا عن وجهة نظر الفصائل النضالية والاساسية فى اليسار المصرى ، وأعنى بها الماركسيين المصريين ،

الذين تعرضت مواقفهم تجاه القضية الفلسطينية ، بل وتعرضوا هم أنفسهم ، لاضطهاد غير محدود ونكل بهم وبأفكارهم أشد التنكيل . ويكفى أن أول معتقلات واسعة عرفتھا مصر الحديثة وضمت الألوف من القوى الوطنية والتقدمية ، قد أقيمت في مصر بحجة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، وبحجة موقف هذه القوى من « حرب فلسطين » ومن « قضية فلسطين » . ومن هنا فإن دراسة هذه « الوثائق » سوف تعيننا أيضاً على فهم كثير من حقائق التاريخ العربي والمصري المعاصرين ، وسوف تفتح أعيننا على صراعات القوى السياسية والطبقية المختلفة ، وحقائق هذه الصراعات . . . وأيضاً سوف نقودنا الى فهم الكثير مما يحدث اليوم . . .

وباستقراء هذه الوثائق يمكنني أن أستخلص المنطلقات الأساسية لحركة اليسار المصري تجاه القضية الفلسطينية فيما يلي :

✽ اعتبار أن الصهيونية حركة عنصرية رجعية ، معادية للاستراكية وانها جزء لا يتجزأ من المعسكر المعادي ، معسكر الاستعمار والامبريالية .
✽ اعتبار أن الرجعية العربية هي أبضا عدو يتعين مقاومته ، والتنبيه لدعواء العنصرية باعتبارها حرف لكفاح الشعوب العربية ، وفضح تأمر الرجعية العربية والصهيونية معا خدمة لمصالح الاستعمار :

✽ التركيز الاول والأساسي موجه ضد الاستعمار ، وبالتحديد من أجل انتهاء الاحتلال البريطاني سواء في مصر أو فلسطين باعتبارها الخطوة رقم واحد في أي تحرك . والتركيز المستمر على دور الاستعمار في الحكم في تحركات الرجعية العربية ودفعها لخيانة مصالح شعوبها وأوطانها ، والتأكيد بأن نقطة البدء في أي تقدم هي الخلاص من الاحتلال والسيطرة الانجليزية على مصر وفلسطين معا .

✽ التفرقة الواضحة بين اليهودية كدين ، والصهيونية كحركة سياسية عنصرية ورجعية ، والوعي الكامل بخطر الدعاوى العنصرية ليس فقط بسبب طبيعتها غير الانسانية وغير الأخلاقية ، وانما أيضاً لانها تقود يهود مصر الى براثن التعصب والصهيونية ، وتشجعهم على قبول دعاوى الهجرة الى فلسطين .

✽ الكفاح في صفوف اليهود ، بهدف عزل النشاط الصهيوني ، وحث اليهود على المشاركة في الحركة الديمقراطية في اوطانهم كسبيل لضمان حياة مستقرة وديمقراطية ، وذلك كبديل لدعاوى الهجرة الى فلسطين التي كانت تروجها الصهيونية بينهم .

✽ فصح ما يمكن تسميته بالتواطؤ الرجعى مع النشاط الصهيونى فى مصر ، والذى اتخذ أشكالا عديدة تكشف « الوثائق » عنها ومنها « اعماض العين » المتعمد عن نشاط صهيونى عارم كان يتخذ من مصر مسرحا له ، الهجرة الى فلسطين ، ومن أشكال هذا التواطؤ أيضا الحرب العنيفة التى شنتها الرجعية على الكفاح الشيوعى ضد الصهيونية ، ومنها أيضا تلك العلاقات والتدخلات الاقتصادية ، التى كان لابد لها وأن تترك أثرها على المواقف السياسية .



✽ وفيما يتعلق « بالحل » الذى اقترحوه أو الذى وافقوا عليه لأمشكلة الفلسطينية ، فقد ظل لمد طويل هو العمل لاجلاء القوات الانجليزية عن فلسطين ، وقيام دولة موحدة يسهم فيها العرب واليهود جنباً الى جنب ، وكانوا يرون - أيضا - أن الاحتلال الانجليزى يشعل نيران التعصب ويستخدم الرجعية العربية ، والصهيونية ، كأداة لذلك ، بهدف ابقاء سيطرته على فلسطين ، وافشال أية محاولة لاستقلالها وقيام دولة موحدة على أرضها .

✽ كذلك توضح هذه الوثائق ، أن اليسار المصرى ، قد أدرك خطر الاستعمار الأمريكى ومنذ بدايات زحفه ، وأدرك التناقض بينه وبين الاستعمار الانجليزى ، وأدرك رعى الحركة الصهيونية بذلك ولعبها عليه . وتابع بذلك تغير مجرى التحالفات الصهيونية ، وكيف استعدت كي تنقل ثقل تحالفاتها الى الاستعمار الأمريكى الجديد . . . وأدرك اليسار المصرى ومنذ وقت مبكر ، كيف ارتبطت المصالح الاقتصادية الأمريكية فى المنطقة بمحاولات الصهيونية للتحالف مع هذه المصالح وتقديم العون والمساعدة والحماية لها . . .

✽ ثم تالتى بذلك الى قضية أساسية وهى موقف اليسار المصرى من قرار التقسيم .

وقد قلنا فى البداية أن اليسار المصرى كان يدعو الى جلاء القوات الانجليزية من فلسطين وقيام دولة ديمقراطية موحدة للعرب واليهود . . . وكان يدرك - برؤية بعيدة النظر - أن التصادمات العنصرية التى شجع الاستعمار على قيامها ، والتى انخرطت فيها بل وقادت كل من الصهيونية والرجعية العربية ، لن يؤدى الا الى نتيجة واحدة هى استحالة قيام هذه الدولة الواحدة . . .

هذا بينما كانت الجامعة العربية تقبل مشروعاً للتقسيم هو مشروع موريسون كل ما يميزه عن مشروع التقسيم الذى أقرته الأمم المتحدة أنه يحتفظ لبريطانيا باليد العليا فى فلسطين ويبقى لها حق السيطرة على مساحات واسعة منها بما يكفلها ذلك من سيطرة تامة على فلسطين كلها بادارتها العربية والاسرائيلية .

ثم جاء بعد ذلك مشروع التقسيم الذى نحن بصدد الحديث عنه وتقييم موقف اليسار المصرى تجاهه .

وتبدأ قصة المشروع عندما قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة تشكيل لجنة تحقيق خاصة مؤلفة من ممثلين عن استراليا وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا وجواتيمالا والهند وهولندا وإيران وبيرو والسويد وأورجواي . وسافرت اللجنة الى فلسطين وغيرها من البلدان ووضعت تقريراً قدمته الى الأمم المتحدة فى سبتمبر ١٩٤٧ .

وقد تضمن تقرير اللجنة توصيات عامة وافق عليها جميع أعضاء اللجنة وتتلخص فى ضرورة إنهاء الانتداب على فلسطين ، ومنحها الاستقلال على أن تتقدمه مرحلة انتقالية قصيرة تكون السلطة فى أثناءها مسؤولة أمام منظمة الأمم المتحدة مع المحافظة على حرمة الأماكن المقدسة وعلى أن يبنى دستور الدولة أو الدولتين الجدينتين على أساس ديمقراطى تمثيلى يضمن حقوق الإنسان الأساسية والمحافظة على حقوق الأقليات وأن على الدولتين تسوية الخلافات بالطرق السلمية والامتناع عن التهديد أو استعمال القوة فى العلاقات الدولية بأى شكل لا يتفق ومبادئ الأمم المتحدة . والمحافظة على وحدة فلسطين الاقتصادية ٠٠ (١)

ثم انقسمت اللجنة بعد اتفاقها على هذه التوصيات الى أغلبية وأقلية ٠٠

أما مشروع الاكثريية ٠٠ فيقضى بأن تقسم فلسطين الى دولتين : الدولة العربية وتتألف من الجليل الغربى ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلى المتقد من أسدود فى الجنوب الى الحدود المصرية ، وفى هذا تدخل منطقة الخليل وجبل القدس وغور الاردن . أما الدولة اليهودية فتتألف من الجليل

(١) جامعة الدول العربية - الامانة العامة - ادارة شؤون فلسطين - مذكرة عن مراحل تطور قضية فلسطين - عام ١٩٦٠ ص ٢ .

الشرقى ومرج بن عامر والقسم الاكبر من السهل الساحلى ومنطقة بئر سيج
التي تضم النقب .

وتصبح الدولتان مستقلتين بعد مرحلة انتقال تبدأ من أول سبتمبر
١٩٤٧ . ويقوم بينهما اتحاد اقتصادى يهدف الى استثمار المرافق العامة
كالسكك الحديدية ومياه الرى والطرق ضمن نطاق المصلحة العامة المشتركة
والى وحدة الرسوم الجمركية والعملة ، والى تهيئة الاسواق العالمية
لصادرات فلسطين كلها . . .

أما أقلية اللجنة ، المؤلفة من ممثلى الهند وايران ويوغوسلافيا فقد
اقترحت أن تقوم فى فلسطين حكومتان مستقلتان استقلالاً ذاتياً وتتألف
منهما دولة فيدرالية مستقلة عاصمتها القدس وينتخب مجلس تأسيسى
لوضع الدستور ، وتتناول السلطة المركزية قضايا الدفاع الوطنى والشؤون
الخارجية والمصالح الاقتصادية المشتركة وينتخب رئيس الدولة من قبل
مجلس الاتحاد (٢) .

ثم أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر
١٩٤٧ وهو يستند الى مشروع الاغلبية . .

وقد قابلت الدول العربية مشروعى اللجنة (أغلبية وأقلية) وقرار
الجمعية العامة للأمم المتحدة بالرفض التام والقاطع ، دون أن تقدم
أى بديل أو أى حل يتفق مع توازنات القوى العالمية والمحلية ، واكتفت
برفع شعار « فلسطين عربية مستقلة موحدة » (٣) دون أن تضع فى اعتبارها
حشد القوى اللازمة للاحتفاظ بعروبة فلسطين .

وإذا ما حاولنا أن نفهم موقف اليسار المصرى من قرار التقسيم وجب
علينا أن نضع فى الاعتبار عدة نقاط :

✽ ان الحكومات العربية التى رفضت قرار التقسيم كانت كلها حكومات
مرتبطة بالاستعمار بصورة أو بأخرى ، وكان رفضها - بالضرورة -
مشوباً بشبهة الخواطر مع الاستعمار الانجليزى ، الذى كانت مصلحته واضحة
فى افسال أى مشروع يقضى بانسحابه من المنطقة .

(٢) المرجع السابق ص ٣ .

(٣) من قرارات اللجنة السياسية للجامعة العربية فى اجتماعها المنعقد
فى القاهرة فى ٨ - ١٢ - ١٩٤٧ المرجع السابق ص ٤ .

✽ ان الجيوش التي تحركت للحرب في فلسطين كانت في نهاية الامر تحت ضغط أو حتى تحت سيطرة من قوات احتلال بريطانية في الاردن والعراق ومصر ٠٠٠ وفي مصر كان وجود الانجليز في الخط المباشر والحاكم لمؤخرة الجيش المصرى المتجه الى فلسطين كهيلا بذاته لاثارة مخاوف بل وسخرية أى وطنى .

✽ ان القيادات الفلسطينية كانت من الضعف والتخلف بحيث أنها توهمت في بداية الاربعينيات أن المانيا النازية بحكم عدائها لليهود يمكنها أن تكون حليفاً إيجابياً ، فوضعوا أنفسهم في موضع الشبهة والرفض من الرأى العام العالمى ومن الرأى العام الوطنى والتقدمى في البلدان العربية وفي فلسطين ذاتها .

ولعل المصدر الحقيقي لذلك الخطأ هو الوضع الطبقي لهذه القيادة التي كان يمنعها من الاعتماد على حركة الشعب الفلسطينى ونضاله ويفرض عليها أن تقاوم أى فكر تقدمى أو ثورى .

✽ وبعد ذلك وفي أعوام ما بعد الحرب عجزت القيادة الفلسطينية عن أن تكون قيادة فعلية لحركة الشعب الفلسطينى . ثم انها وفي عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ أساءت تقدير الموقف المحلى والدولى الامر الذى قادها الى وضع الشعب الفلسطينى بين اختيارين هما اما بقاء فلسطين عربية فقط ، واما عدم وجود فلسطين أصلاً . وإذا جاز لنا أن نفتق أو نختلف مع رفض التقسيم فان الموقف الذى يستلصى على الفهم السليم هو لماذا رفضت القيادات الفلسطينية قيام دولة فلسطينية وفقاً لقرار التقسيم ولم يكن ذلك ليمنع استمرارها في ادانة القرار ذاته .

✽ ان أحدا من الحكام العرب آنذاك لم يأخذ الحرب مأخذ الجد ، حتى أن رئيس وزراء مصر قد صرح في الجلسة السرية للبرلمان بأن المسألة لن تعدوا أن تكون نزعة عربية (٤) .

وفي نفس الوقت فان الانظمة الرجعية العربية انتهزت فرصة الحرب لتضرب الحركات الوطنية وتفتح أمام مختلف فصائلها السجون والمعتقلات .

(٤) د . اسماعيل صبرى عبد الله - في مواجهة اسرائيل - سلسلة اقراء - دار المعارف - يوليو ١٩٦٩ ص ٩

ثم كانت المسألة بأن ركزت بعض الانظمة العربية التي استولت جيوشها على بعض اراضي فلسطين جهودها على استمرار احتوائها لهذه الأرض الفلسطينية .

وبدء واجب أن أشير أيضا الى أنه في الوقت الذي بذل فيه اليسار جهده لاستيعاب العناصر الفضلى من الطائفة اليهودية ، فإن الرجعية العربية بذلت جهدها لضرب هذا المخطط وللتعاون مع العناصر الصهيونية ، كل هذا انتهى في خاتمة المطاف الى الاشتراك في مخطط حث أو دفع اليهود الى الهجرة ، ومن ثم قدموا لاسرائيل ألوفاً من الوافدين في الوقت الذي كانوا يتباكرون فيه على هجرة اليهود من أوروبا .

وبدء وفوق ذلك كله فإن هؤلاء السنين راعنوا على الموقف الانجليزى كائناً مخطئين أيضاً في حساباتهم ، إذ نسوا أن انجلترا خرجت من الحرب المالية الثانية مئخنة بالجراح ، وانها كانت عاجزة عن مجابهة الضغوط اليهودية سواء السياسية أو الاقتصادية .

هذا عن الاطار العام لموقف الرجعية العربية فماذا عن موقف اليسار ؟

لا شك في أن موقف اليسار المصرى بتأييده قرار التقسيم كان موقفاً سياسياً اتخذ بناء على عديد من الحسابات في مقديتها حساب توازنات القوى في فلسطين وفي المنطقة العربية وفي العالم . وأيضاً كل الملاحظات السابقة ، وبالإضافة الى ذلك - وليس بمعزل عنه تأثر موقف اليسار المصرى أيضاً بموافقة الاتحاد السوفياتى على قرار التقسيم .

والحقيقة أن اليسار المصرى قد أيد في بداية الامر فكرة الدولة الموحدة المستقلة والوثائق المتضمنة في هذا الكتاب تشير كلها الى اصرار الشيوعيين المصريين على فكرة قيام فلسطين موحدة ، مستقلة ، ديمقراطية ، والى تحذيراتهم المتكررة من أن المواقف العنصرية التي تسهم الصهيونية والرجعية العربية في اشارتها لن تؤدي الا الى تفجير الموقف بحيث يصبح قيام الدولة الموحدة أمراً غير ممكن ، ومن هنا فقد كانت تحذيرات اليسار المصرى وادانته للاتجاهات الشوفينية موقفاً سياسياً بعيد النظر ومحرماً لحقيقة المخاطر التي تترتب على هذه الاتجاهات ، وذلك بالإضافة الى كونه موقفاً مجدياً أيضاً .

وباختصار فإن اليسار المصرى وبعد أن أصبحت الدولة الموحدة القائمة على أساس ديمقراطى وعلى أساس الاستقلال ، غير متاحة ، بسبب عوامل عديدة - بذل جهده في تلافيها - وكانت في مجملها من صنع نفس القوى

التي تظاهرت بالتمسك بالدولة الواحدة . لم يجد مناصا من قبول
التقسيم ، ليس باعتباره حلا جيدا ، وانما باعتباره « الحل الوحيد المتاح »
مؤكد أنه حل « سيء » لكن توازنات القوى لا تحتل حلا أفضل منه ،
مركزا في نفس الوقت الى أن توازنات القوى هذه قد اختلت (ضد مصاحبة
العرب) بسبب من تأمر أو تساهل الحكومات الرجعية العربية ومطامعها الخاصة
وموالاتها لانجلترا ، وتركيزها على كبح جماح الحركة الوطنية في بلادها .

كذلك يجب أن نضع في الاعتبار أن اليسار المصري كان يتقبل التقسيم
كسبيل لاستقلال فلسطين ، وان قضية تحرير فلسطين من نير الاحتلال
البريطاني كانت في كثير من الاحيان ، العنصر الحاسم لدى كثيرين من مفكرى
اليسار .

وأیضا فان اليسار المصرى وهو يقبل مشروع التقسيم ، ويؤكد في
نفس الوقت أنه حل سيء ، لكنه المتاح الوحيد ، كان يدعو الى كفاح
طويل من أجل إعادة توحيد فلسطين من جديد على أساس ديمقراطى .

ولا بد لى من أن أقرر أن هذا الموقف من جانب اليسار المصرى كان - في
أغلب جوانبه صحيحا ، وكان أيضا موقفا شجاعا ، بل ونادر الشجاعة ،
ذلك أن الشيوعيين المصريين قد تمسكوا به في وجه تيار قوى جارف مشحون
بالعواطف القومية والدينية التي رفضت قرار التقسيم . ويمكننى أيضا أن
أقول باطمئنان أن الايام قد أثبتت أن موقف اليسار المصرى هذا كان
أكثر المواقف تعقلا ، وموضوعية ، والتقاء مع حقائق الوضع وتوازنات
القوى .

وبهذا يمكننا أن نقرر أن الشيوعيين المصريين قد اتخذوا موقفا
سليما بشكل عام ، ووضعوا أهدافا عامة سليمة أيضا .

ولكننى ، أجد أنه يتعين على أن أبدى بعض الملاحظات العاجلة
على هذا الموقف .

✽ ألاحظ أن اليسار المصرى اكتفى بقبول قرار التقسيم ، ورفض
فكرة التدخل العربى المسلح ، لكنه كان يتعين عليه أن يدعو الى تسليح
الجمهير الشعبى في فلسطين كي تتمكن من أن تثبت في أرضها ، وأن تواجه
الارهاب الصهيونى المسلح ، لقد غاب عن اليسار المصرى ادراك أن مواجهة
المؤامرة الصهيونية لابتلاع فلسطين كلها لم يكن يتطلب فقط استنكار موقف
الرجعية العربية الذى ربما يكون في نظر البعض تواطئا مع المخطط الصهيونى ،
وانما كان يتطلب أولا - وقبل أى شئ آخر - حشد القوى الشعبى العربية
وتسليحها ووضعها في موضع يمكنها من أن تصبح سيدة مصرها .

ولست أزعم أن هذه كانت مهمة اليسار المصرى وحده ، ولكننى أعتقد أنها قد غابت من فكره المعروف فى هذه الوثائق ، وأنه كان من المفيد تواجدها حتى يستكمل الموقف الصحيح اتساقه وموضوعيته .

✽ ألاحظ أيضا أن اليسار المصرى لم يتنبه بها فيه الكفاية لخطر الصهيونية ومطامعها المستقبلية .

صحيح أن الوثائق تقدم أدلة دامغة على أن اليسار المصرى كان أكثر القوى السياسية المصرية هجوما على الصهيونية وأدانة لها ، بل أنه قد تعرض بسبب ذلك لهجمات البوليس المصرى والرجعية المصرية عليه وصحيح أن « الوثائق » تعكس فهما نظريا وسياسيا واضحا وصحيحا تماما للصهيونية كحركة عنصرية استعمارية .

كل هذا صحيح ، لكننى أعتقد أن اليسار المصرى لم يضع فى اعتباره أن مطامع الصهيونية ليست واقفة عند حدود ما منحه قرار التقسيم لحولة إسرائيل ولا حتى عند حدود فلسطين ذاتها . ولست أشك فى أنه لو أن اليسار المصرى قد تفهم الأمر على هذا النحو ، لكان قد أكد على أهمية وضع مخطط لمجابهة هذه المشاريع التوسعية . لكن الانصاف يدعونى الى أن أؤكد أبعاد الخط الصهيونى لم تكن واضحة أيضا فى أذهان الكثيرين غير اليسار المصرى ، وإن أحدا لا يمكنه أن يزعم أنه قد تنبه الى هذا الخطر فى حجمه الحقيقى وفى الوقت المناسب .

وأجدنى أعود بذلك مرة أخرى الى شعار تسليح الجماهير العربية الفلسطينية .

✽ ملاحظة ثالثة : هى أن اليسار المصرى قد اتخذ موقفا صحيحا نهاما سواء من الناحية النظرية أو السياسية من قضية دعوة جماهير العرب اليهود للكفاح معا ضد الصهيونية والرجعية العربية . أقول - بدون تحفظ - أن هذا موقف صحيح ، لكنه انساق فى التطبيق اليومى بعيدا عن حقائق الأمر الواقع ، ولم يستطع أن يدرك مدى عمق النفوذ الصهيونى على جماهير اليهود بفلسطين وأن مجرد قبول الإنسان اليهودى للهجرة من وطن يستقر فيه آمنا ، الى أرض فلسطين هو بذاته موقف يحمل فى طياته بذرة الإنكار العنصرية والصهيونية .

كذلك يجب أن نضع فى الاعتبار أن الصهيونية كانت فى ذلك الحين فى أوج تألقها وانتصارها - فى نظر الكثيرين من أتباعها وأصدقائها على الأمل - وأنها قد حققت ، نتيجة لنفوذها وحسن تنظيمها وربما أيضا نتيجة للاخطاء العربية عامة والفلسطينية خاصة ، انتصارات كبيرة كان

بإمكانها أن تطمس - ولو إلى حين - كثيرا من معالم المواقف والصراعات
النظرية بينها وبين البروليتاريا اليهودية ومن ثم فقد أمكنها أن تطمس
احتمالات قيام تحالف جاد ومثمر بين البروليتاريا العربية والبروليتاريا
اليهودية في فلسطين ويجب أن نضع في الاعتبار أن أى تحالف من هذا
النوع كان قيامه يتطلب من بين شروط عديدة أخرى ضرورة أن تكون القوى
الشعبية العربية في فلسطين قوية ومنظمة وفعالة بصورة كافية لوضع مثل
هذا التحالف على بساط البحث .

أقصد أن التحالف من موقع الضعف في كثير من الأحيان أمر غير
ممكّن .

وأقصد أيضا أن تواجد قوة عربية فعالة ومؤثرة وقادرة على إحباط
المخططات الصهيونية ، أو حتى الإحياء بالقدرة على إحباطها ، كان يمكنه
أن يؤثر على مواقف قوى يهودية عديدة ، وجدت أن الصهيونية تلعب في الميدان
وحيدة دون منافس جدى . الأمر الذى أدى إلى نمو اتجاهات شوفينية غير
محدودة لدى قوى يهودية عديدة ، ومن هنا فأننى أقول أن الانكفاء بشعار
براق مثل « وحدة البروليتاريا العربية والبروليتاريا اليهودية » كان برغم
صحته القائمة نظريا وساسيا بعيدا عن تصورات الأمر الواقع .

✽ كذلك فأننى أتساءل - مجرد تساؤل - إذا كان رفض التدخل العربى
في فلسطين قد تم على أساس تصورات - أغلبها صحيح - مثل أن القائمين
بالتدخل رجعيون ، وموالون للاستعمار ، وأنهم استخدموا الحرب كتنكة لضرب
القوى الوطنية والتقدمية في بلادهم ، أقول أننى أتساءل برغم صحة كل
ما سبق ، ألم يؤد هذا التدخل - في ظل انهيار الموقف العربى في داخل
فلسطين - إلى حماية الضفة الغربية وغزة والحمة من التوسع الصهيونى
والاحتفاظ بعروبيتها ؟

✽ أود كذلك أن أشير إلى أن البسار المصرى قد نظر إلى قضية
تخليص فلسطين من الانتداب البريطانى ، نظرة كلاسيكية ، وركز عليها
تركيزا شديدا ، دون مراعاة وجود خطر توسعى آخر ، لقد تصوروا أن جلاء
الانجليز يحل المشكلة ، غير واضعين في اعتبارهم المخططات الصهيونية البعيدة
المدى ، ولا المخططات الاستعمارية الاميركية التى كانت ترسم للسيطرة
على المنطقة كلها من خلال قيام دولة اسرائيل الموالية لها تماما والتى
تستخدم من جانبها كنقطة ارتكاز وهجوم على حركة التحرر الوطنى
العربية .

ولقد كان ضروريا التركيز على استقلال فلسطين ، ولكن لا بد وأن يرتبط ذلك بالخطر الشديد من هيمنة الصهيونية - ومن ثم أميركا على المواقع التي أخلتها بريطانيا وأن كان الانصاف يدعونا الى التذكير بأن اليسار المصرى قد أكد ضرورة الاهتمام بمساندة ودعم الدولة العربية الفلسطينية لحماية من خطر الوقوع في قبضة الاستعمار .

وباختصار وبرغم كل الملاحظات السابقة - التي أعققت أنها بضرورة ملاحظات جانبية - فاننى أقول باطمئنان الى أن موقف اليسار المصرى كان أكثر صحة وأكثر شجاعة من مواقف القوى السياسية الاخرى . وأن الايام أكدت ولا تزال تؤكد صحة هذا الموقف واتساقه مع المصالح العربية والامال العربية .

أما الحكام العرب فقد ظلوا عند موقفهم رافضين أى حديث جاد أو موضوعى مكتفين بشعار « فلسطين عربية موحدة » وظل الامر كذلك حتى اتخذ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر موقفه الشجاع فى مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ والذى أعلن فيه قبوله بقرار التقسيم الصادر من الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ والتقى معه فى هذا الموقف كل الزعماء العرب الذين حضروا مؤتمر باندونج وصوتوا على قراراته .

فكان ذلك اعترافا ضمنيًا بصحة موقف اليسار المصرى وسلامته . وتمضى السنون ، وتتراكب أحداث أخرى ، لم يمس هنا مجال سردها لكنها تشترك جميعها فى التأكيد على أن موقف اليسار المصرى كان فى مجمله صحيحا وشجاعا وحكيما .

ولست أريد أن أختتم تعليقى هذا دون أن أذكر عبارة لفقت نظرى أكثر من غيرها فى هذه الوثائق ، وهى عبارة وردت فى مجلة الجماهير فى العدد الصادر فى ٢٣ - ١١ - ١٩٤٧ أى بعد أن أيد اليسار قرار التقسيم . والعبارة تقول « لقد أيدنا ، وفؤيد ، وسنؤيد دائما ، قيام دولة موحدة عربية يهودية بفلسطين ، لكن على شرط ، وشرط واحد ، هو أن تتحرر فلسطين من رقة الاستعمار ، وأن تتمتع بالاستقلال التام والديمقراطية الحقيقية » . ونسجل أن هذا موقفنا الأخير .

المراجع

مراجع عربية

- * ابراهيم دسوقي أباطة باشا (مقدمة كتاب) من قضايا الغدر ، نعلم من هنا !
- * أحمد محمد غنيم ، وأحمد أبو كف - اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ - ١٩٤٧ سلسلة كتاب الهلال .
- * د . اسماعيل صبرى عبد الله - في مواجهة اسرائيل - سلسلة اقرا دار المعارف - ١٩٦٩ .
- * أنور الجندى - عبد العزيز جاویش - سلسلة أعلام العرب .
- * القضية الفلسطينية - دار الابحاث العلمية .
- * بيان الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية - مطبعة الشبكشى بالازهر - يونيو سنة ١٩٤٧ .
- * د . جمال حمدان - شخصية مصر - دراسة في عبقرية المكان - سلسلة كتاب الهلال - ١٩٦٧ .
- * د . رفعت السعيد - اليسار المصرى ١٩٢٥ - ١٩٤٠ - دار الطليعة - بيروت - ١٩٧٢ .
- * د . رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الاول - ١٩٠٠ - ١٩٤٠ - دار الامل - القاهرة - ١٩٨٧ .
- * شبلى شميل - مجموعة الاعمال الكاملة - مطبعة المقتطف - ١٩١٠ .
- * على فهمى كامل - سيرة مصطفى كامل .
- * د . على ابراهيم عبده ، خيرية قاسمية - يهود البلاد العربية - منظمه التحرير الفلسطينية - مركز الابحاث .
- * مائير فلنر - خمسون عاما من نضال حزبنا الشيوعى .

- * د. ماهر الشريف - الشيوعية والمسألة القومية العربية في فلسطين .
- * محمد صبيح - مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية .
- * مذكرة عن مراحل تطور قضية فلسطين - جامعة الدول العربية - الامانة العامة - ادارة شئون فلسطين - ١٩٦٠
- * والتر لاکور - الاتحاد السوفياتى والشرق الاوسط - ترجمة المكتب التجارى - بيروت .
- * ولى الدين يكن - المعلوم والمجهول - الجزء الثانى .

مراجع أجنبية

- Clot Bey — Apercu general sur l'Egypte, Paris, 1840 Vol,1
- Gabriel Baer — A History of Land ownership in Modern Egypt, 1800 1950, London — 1962.
- Ivar Spector — The Soviet Union and the Muslim World — 1917-1958.
- J.A. Ahmed — The Intellectual Origines of Egyptian Nationalism — Oxford, 1960.
- Murry Harris — Egypt Under Egyptians — London . 1925.
- P. N. Holt — Political and Social Change in Modern Egypt — Oxford. 1968.
- Walter Laqueur — Communism and Nationalism in the Middle East

وثائق ودراسات غير منشورة

- * الرفيق سبائو - تقرير مرفوع منه خلال فترة اقامته بمصر الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الايطالى .
- * كامل عسلى - الاتجاهات التقدمية في الفكر العربى الحديث - رسالة دكتوراة غير منشورة .
- * محمود الاطرش - مخطوط بعنوان « دور الاممية الثالثة في تطور الوعى الوطنى والاجتماعى لدى الطبقة العاملة والشعوب العربية » .
- * وثائق وزارة الخارجية البريطانية . مكتب السجلات العامة . (مودعة بالمتحف البريطانى بلندن) .
- * وثائق وزارة الخارجية الامريكية .
- * وثائق وزارة الخارجية الفرنسية .

* كفاح شعوب الشرق الاوسط • نشرة دورية يصدرها الحزب الشيوعي
المصري الموحد •

— Nouvelles d'Egypte — Bulletin d'Information Publié à Paris le Parti
Communiste Egyptien Unifié — Juin 1956.

— Statuts de la Fédération Sioniste d'Egypte

ص * ودوريات

عام ١٩٧٤	* الاهرام
عام ١٩٣٤	* الاخاء الوطنى (عراقية)
(المجموعة الكاملة)	* أم درمان
عام ١٩٢٤	* البلاغ
(المجموعة الكاملة)	* الجماهير
عام ١٩٢٥	* الحساب
عام ١٩٤٦ - ٤٥	* الضمير
(المجموعة الكاملة)	* الفجر الجديد
عام ١٩٤٧ - ٤٦	* صوت الامة
عام ١٩٢٥	* حيفا (فلسطين)

— International Press Correspondence — English Edition 1925-1933

الفهرس

- * لماذا ٠٠ ؟
- * دراسة تمهيدية ٠٠
- * وثائق :
- * جر الجديد (مقالات)
- * الضمير (مقال)
- * نغمة دار الابحاث العلمية (دراسات)
- * الحركة المصرية للتححر الوطنى (تقرير داخلى)
- * أم درمان (مقال)
- * الرابطة الاسرائيلية لمكافحة الصهيونية
(بيانات وتقارير وأخبار)
- * الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى (حقتو) (تقارير)
- * الجماهير (مقالات ، ومنشورات صادرة عن منظمة
حقتو)
- * يوسف حلمى ، مجموعة روما (رسائل ، بيانات ،
دراسات)
- * محاضر نقاش مع : هنرى كوريل
شحاتة هارون
- البير آرييه
- * تعليق على الوثائق : بقلم خالد محيى الدين
- * المراجع .

صدر للمؤلف

- الاساس الاجتماعى للثورة العرابية .
- تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر .
- كتابات في التاريخ .
- صفحات من تاريخ مصر .

* في سلسلة طلائع الفكر الاشتراكي

- نقولا حداد
- عصام الدين حفنى ناصف
- ثلاثة لبنانيين في القاهرة

* في سلسلة قادة العمل السياسى في مصر

- محمد فريد ، الموقف والمأساة
- سعد زغلول - بين اليقين واليسار
- مصطفى النحاس - السياسى والزعيم والمناضل .
- حسن البنا ، متى وكيف ولماذا ؟
- أحمد حسين ، كلمات ومواقف .
- تأملات فى الناصرية .
- أوراق ناصرية فى ملف سرى للغاية .

* في سلسلة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية :

- تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ١٩٢٥ - ١٩٠٠
- اليسار المصرى ١٩٤٠ - ١٩٢٥
- تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٥٠ - ١٩٤٠
- منظمات اليسار المصرى ١٩٥٧ - ١٩٥٠
- تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ١٩٦٥ - ١٩٥٧
- الصحافة اليسارية فى مصر ١ - ١٩٤٨ - ١٩٢٥
- الصحافة اليسارية فى مصر ٢ - ١٩٥٢ - ١٩٥٠
- اليسار المصرى والقضية الفلسطينية

* روايات :

- السكن فى الاحوار العليا .
- البصقة .

رقم الايداع ٢٩٤٦ / ١٩٨٨

سركة الادب

للطباعة والنشر والتوزيع

(مورافيتلى سابقاً)

١٩ سة محمد رياضه - عابدين

تليفون ٣٩٠٤٠٩٦